مجلة

المجمع العلمي العراقي

المجلد السادس

(١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م)

مطبعة المجمع العلمي العراقي

التربية في الإسلام (1)

بحث مقارن

حضرات الاخوان والاخوات

إنه لمن دواعي الغبطة أن يتاح لنا هذا الاجتماع في مطلع الموسم الثقافي الذي نظمته دار المعلمين العالية ، وإنه لمن الحق كذلك أن نشكر الأصدقاء الأفاضل الذين هيأوا لنا جميعاً هذه الفرصة الشائقة .

أرجو قبل كل شيء أن توطّنوا أنفسكم على العيش معي ساعة أو بعضها في الماضي على شرط ألا يشغلنا عن الحاضر أو المستقبل ، فانما يطيب لنا العيش أحياناً في الماضي لنستوحي ونستلهم ما يُسدد خطانا في الحاضر والمستقبل إن شاء الله . خصوصاً ونحن نجتاز هذا اليوم مرحلة حاسمة من مراحل تأريخنا الطويل .

مضى على العالم الاسلامي ردح من الزمن وهم معنيون بتربية نشئهم وتعليمه وفقاً لنظم مختلفة ، بعضها قديم متحجر لا يصل بالأمة الى أهدافها ومثلها العليا المنشودة في هذا العصر وبعضها حديث قلدنا فيه نظم الغرب حذو القُذّة بالقُذّة ، وبعضها يشبه أن يكون وسطاً بين هذا وذلك . وقد بالغ بعض الأقطار الاسلامية في اصطناع نوع من النظم الأجنبية البحتة وقطعوا كل صلة لهم بماضيهم في التربية ، حتى إذا عاد الى الشرق بعض الدارسين في الجامعات الغربية عادوا وهم أعرف بتلك البلاد الأجنبية منهم ببلادهم، وأدرى بتأريخ الأمم الأجنبية منهم بتأريخ أمتهم ، وأبرع بالعمل تحت قيادة الأجنبي منهم تحت قيادة المواطنين .

(1) محاضرة ألقاها الأستاذ محمد رضا الشبيبي في « كلية التربية » دار المعلمين العالية .

ظن بعض القائلين الظنون بقيمة الجهد الذي بذله المسلمون في هذا المضمار ، وزعموا أن القوم ناقلون وأن حظهم من الابداع والابتكار أقل من القليل ، وتوهموا ان التعليم في العصور الاسلامية القديمة آلي عقيم يستند الى الحفظ والتكرار ، ولا يخلق مقدرة ما على التفكير والتنظيم وتحمل أعباء المسؤوليات .

وبعد فهذه محاولة لتفنيد بعض تلك الظنون الباطلة ، محاولة للدفاع عن بعض الجهد الذي بذله قدامى المربين المسلمين في سبيل غرس أسمى المبادىء والأخلاق في نفوس النشء ، وتلقين أدق الآراء والأفكار . وهي الى أن تكون محاولة تأريخية متواضعة أقرب من أن تكون شيئاً آخر ، ومع ذلك فمحاولتنا لا تخلو من الموازنة بين مختلف النظم والطرائق التعليمية والتربوية التي عرفت في شطري العالم الاسلامي القديم شرقاً وغرباً ، فلم تكن أساليب التربية والتعليم في العالم المذكور واحدة ، بل كانت هنالك فوارق تميز أساليب المشارقة عن أساليب المغاربة وان لم تكن فوارق أساسية في كثير من الأحيان ، فهذه طريقة عملية واقعية ، وتلك طريقة نظرية أو مثالية ، وههنا نظام ضروري مستقر للتعليم في مرحلته الابتدائية . وهنالك منهج للبحث العلمي الدقيق الواسع في مرحلته الجامعية العالية .

قام مجد الاسلام وحضارته على دعائم من التربية هي التربية الاسلامية بمبادئها ومقوماتها التي ثابر المربون من المسلمين على غرسها في النفوس . فأخذوا الناس بالصدق في القول والاخلاص في العمل والاستقامة في السلوك ودعوا الى الرجولة وضبط النفس والى التعاون والبذل والفاداة ومجدوا الحرية والمساواة وأكبروا التطلع الى النور والمعرفة فعاشت الأمة كريمة مرهوبة الجانب ، محبة للنظام تعمل إذا دعيت للعمل وتقول مملقة رأيها اذا طلب منها القول وتبذل اذا أريد منها البذل والمفاداة .

كانت درجات التعليم في الاسلام كما هي اليوم ثلاثة ابتدائية واعدادية وجامعية . وعني

بالعمل في هذه الدرجات وبوضع البرامج والمناهج واختيار الكتب والمواد جهابذة تأصّل فيهم الميل الى ممارسة فن التربية ، وكانت لهم رسائلهم في هذه الناحية ، فنهم المشارقة الذين نشأوا في العراق والشام والجزيرة وفي فارس وخراسان وما وراء النهر ، ومنهم المصريون والاندلسيون والمغاربة من أهل قرطبة وافريقية والقيروان ، ولم تكن القيروان دون قرطبة في عصورها الذهبية ، وكانت إليها الرحلة قبل قرطبة والقاهرة من الأقطار المغربية . هذا ولكل من أهل المشرق وأهل المغرب مجهوده وأثره في التعليم ولكل منهجه واتجاهه الخاص .

المدرسة المغربية

نشرت في هذه الآونة كما لا يخفى طائفة من بحوث المربين المسلمين مشارقة ومغاربة . وظهرت دراسات وتعاليق على تلك الرسائل والبحوث ولا شك أن عدداً منا اطلع عليها ، ويلاحظ أن جلّ المربين المعنيين بالنظر في تعليم الأحداث والصبيان أو بالتعليم في مرحلته الابتدائية أو الأساسية ينتسبون الى المدرسة المغربية مدرسة الأندلس والقيروان وافريقية ثم المدرسة المصرية بعد ذلك ، ونستطيع أن نقول إن هذه المدرسة تميّزت بعناية بالغة في هذه الناحية ، وان التوفيق حالف أساتذتها في مجهودهم الذي تجردوا له ، وتخصصوا به في مرحلة أساسية ثابتة من مراحل الدراسة وان أخذت عليها — أي على المدرسة المغربية — عيوبٌ منها العناية بالحفظ والتكرار ، وحشو الذهن بالمحفوظات أكثر من العناية بالبحث والتتبع والاستقراء الى غير ذلك مما قد يجعل هذه الطريقة في التربية آليّة عقيمة في كثير من الأحيان ، وقد لاحظ غير واحد من المعنيين بالبحث في التربية هذا الضعف في منهج المدرسة المغربية وندد بعضهم بالطريقة المتبعة في الأندلس والمغرب من حيث اعتمادها على حشو الذهن بالمحفوظات ، وفضل عليها طريقة المشارقة . ومن خصائص مذهب المشارقة التأكيد على الفهم ودقة الملاحظة وخلق نوع من النشاط أو الكفاية الذهنية . هذا مع العلم بأن بعض المعنيين بالبحوث النفسية يرون في الاكثار من المحفوظات ما فيه من الفائدة خصوصاً بعد نسيانها فان رواسبها باقية لا محالة في العقل الباطن وهي تعمل عملها

في تكوين الملكة خصوصاً في الفنون الأدبية بل في المجالات الثقافية اجمالاً . ولابن خلدون ملاحظاته اللطيفة في ذلك وله أيضاً مذهبه المعروف في احراز ملكة الأدب والبلاغة والتمكن من ناحية النظم والنثر ، وخلاصته أن قوانين العربيّة نحوها وصرفها وبلاغتها وبيانها لا تكفي في ذلك وانما تتحصل الملكة بكثرة المحفوظ من مختار كلامهم نثراً ونظماً ثم بالمران والممارسة فان ذلك أجدى على الطالب من تعلم الأصول والقواعد أكثر من الحاجة ، ولذلك نجد كثيراً من جهابذة النحاة ، والمهرة في صناعة العربية المحيطين علماً بتلك القوانين اذا سئل في كتابة سطرين الى ذي مودة أو شكوى ظلامة أخطأ وجه الصواب . هذا ما قاله ابن خلدون وقد دلت التجربة على صحة ما ذهب اليه في هذه الناحية .

مقارنة بين منهجين :

عنيت مدرسة المغاربة غالباً بتربية الولدان وتعليم الأحداث وشغلت بوضع البرامج واختيار الكتب والمواد لمرحلة الدراسة الابتدائية وهي أمور عني بها المشارقة أيضاً ولكن دون عنايتهم بالمراحل الجامعية العالية فان عناية المشارقة بالتعليم الجامعي لا تدانيها عناية . وضع محمد بن سحنون وهو من أعلام المغاربة في أواسط المائة الثالثة كتاباً مشهوراً سماه « آداب المتعلمين » وقد عوّل عليه من جاء بعده ، أو ألف في تعليم الأحداث ، فلابن سحنون فضل السبق في هذا الشأن ، وتلاه القابسي القيرواني من أعلام أواسط المائة الرابعة في المغرب ، وهو مؤلف كتاب سماه « الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين » نقل فيه عن ابن سحنون ، ويتميز كتاب القابسي بالتبسط ، فهو أوسع الكتب المصنفة في تعليم الأحداث بل هو الأصل الذي يُعوّل عليه في فهم المنهج المتبع في تعليم الولدان خلال المائة المذكورة . ومن رأي بعض الباحثين أنه أكمل كتاب أُلف في التربية الاسلامية . والكتاب عبارة عن أسئلة وأجوبة في علم القرآن وتعليمه وكيف ينبغي أن يُعلم الصبيان ، وفيما ينبغي أن يضاف الى تعليم القرآن من مواد أخرى إذ أنّ للمربين المسلمين في المواد التي تضاف الى تعليم الكتاب الكريم أقوالاً مختلفة ومناهج

متنوعة ، فالمربُّون الأندلسيون لا يرون حرجاً في أخذ حصة من الشعر والأدب والكتابة والحساب مع ذلك ، وبعض محدثي القيروان وافريقية وخصوصاً الطبقة القديمة منهم يفضلون الاقتصار على القرآن أولا ثم بعد ختمه وتملكه يشرعون في تعليم الشعر والأدب والكتابة . وقد ناقش ابن خلدون هذا الموضوع وقارن بين الرأيين وخرج من ذلك بترجيح مذهب القائلين بالاقتصار على تعليم القرآن في مرحلة الحداثة . وفي عصر القابسي القيرواني اي في المائة الرابعة وجد المحدث ابن عبد البر القرطبي وهو مؤلف رسالة سميت « جامع اشتات العلم وفضله » . والمؤلف مقيد بمنهج سلفه من أهل الحديث . ولا شك ان الالتزام بمنهج المحدثين في التربية افضى الى نوع من الجمود . وجاء بعد هذه الطبقة برهان الدين الزرنوجي[1] . وهو تركي النجار من أهل ما وراء النهر بل هو الوحيد من المشارقة في انتهاجه ذلك النهج في تعليم الصبيان وقد خص هذا الموضوع برسالة سماها : « تعليم المتعلم طريق التعلم » استفاد منها المعلمون والمربون في الاقطار التركية الواقعة فيما وراء النهر وبقية البلدان الاسلامية . وتتضمن رسالة الزرنوجي هذه وصايا قيمة للمتعلمين من ذلك قوله : « ينبغي لطالب العلم ان يكون مستفيداً في كل وقت ، وطريق الاستفادة أن يكون معه في كل وقت محبرة حتى يكتب ما يسمع من الفوائد العلمية ، قيل : ما حفظ فرّ وما كتب قرّ » ومع ذلك لا نعرف شيئاً يعتد به عن سيرة الشيخ الزرنوجي ولم نعثر له على ترجمة وافية بالمرام ، ومرد ذلك الى انه كان غاية في انكار الذات ميالاً الى العزلة والخمول ، وخطر رسالة الزرنوجي يتأتى من ناحية استناده الى النصوص ، والى طريقته التطبيقية . ويلاحظ انه يعزز آراءه بشواهد وأمثلة غير قابلة شأن المربي الحريص على الاستعانة بوسائل العمل والمشاهدة فاذا عزز رأيه بمثال من حكاية أو واقعة أراد ان يتمثل

(١) زرنوج والمشهور في اسمه « زرنوق » بالقاف بلد مشهور مما وراء النهر بعد « خجند » من اعمال تركستان ، هكذا قال ياقوت في معجم البلدان ، ولم يذكر السمعاني هذه الكلمة في كتاب الانساب .

الطالب أو القاريء تلك النماذج والأمثلة لينسج على منوالها في التعليم أو في التربية . والخلاصة هذه الرسائل عبارة عن برامج اسلامية ومناهج شرعية في التربية مضافاً اليها وصايا وارشادات وافادات شتى أسداها هؤلاء المؤلفون ، والواقع انهم اجزل الله ثوابهم أصابوا الأهداف في برامجهم ، فهي برامج وضعها مربون بكل ما في هذه الكلمة من معنى بالنسبة الى العصور المذكورة وسدوا بها حاجة السواد الاعظم من الناس ، وقد روعيت فيها ولا شك بعض الحقائق المقررة في علم النفس فان خبرة هذه الطبقة بدخائل النفس البشرية اجمالاً مما لاشك فيه ولو كانت خبرة محدودة . ومن هذه الناحية رأيناهم يؤكدون على ضرورة التدريج في مراحل التعليم واستخدام الرفق واللطف وتجنب العنف مع الولدان وسائر المتعلمين وانتهاج طريقة الترغيب دون الترهيب ولهم في باب مراقبة أحوال الصبيان والمتعلمين وملاحظة استعدادهم ومواهبهم الفطرية نصائح حسنة .

هذا من جهة ، وفي وسعنا من جهة أخرى تقسيم جهابذة التربية في العالم الاسلامي الى ثلاث طبقات ، الأولى: طبقة الفقهاء والمحدثين واليها ينتمي أكثر المربين من المغاربة وقد أمتازت برامجها في تربية الأحداث والصبيان بكونها برامج واضحة مفهومة لالبس فيها ولا تعقيد، والطبقة الثانية : النظار والفلاسفة واليها ينتسب جمهرة المربين من المشارقة ، ولا تخلو بعض مناهجهم من تعقيد أوغموض،والثالثة :طبقة المتصوفة وفي مناهجهم وطرقهم كثرة . ويعنى المتصوفة على علاتهم بتربية الراشدين .

المدرسة المشرقية

مضى القول في طبقة المربين من المغاربة ومذهبهم في التربية ، وبقي علينا ان نعقد فصلاً عن المربين من المشارقة وطريقتهم ومذاهبهم . ونعني بالمشارقة العلماء والفلاسفة والنظار الذين نبتوا في المشرق — وفي طليعته بلادنا العراقية وما اليها — . وسنشير في هذا الفصل وما بعده الى بعض

الفوارق والمميزات بين مذاهب المشارقة والمغاربة في هذا الشأن ، والى أثر البيئة والمنشأ في ظهور تلك الفروق والمميزات .

بين البيئة في العراق والبيئة في البلدان المغربية والافريقية فروق لا يستهان بها ، ففي العراق قبل غيره من البلدان دونت العلوم الاسلامية الأصيلة ونقلت العلوم والفلسفة الدخيلة ، وظهرت الأصول والمدونات الكبرى في الثقافتين ، وعن العراق والعراقيين نقلت تلك العلوم والفنون وانتشرت في الخافقين ، فلا غرو اذا اختلفت نظرة العراقيين عن نظرة غيرهم الى جملة من مناحي الحياة ومنها التربية ، وكان ذلك الاختلاف في وجهة النظر واضحاً في بعض الاحيان بل هو أشبه بما يقع من خلاف بين أستاذ وتلميذ في هذه الناحية .

سبق العراقيون الاولون في صدر الدولة العباسية غيرهم في معالجة كثير من الموضوعات العلمية والأدبية والتصنيف فيها . ومن ذلك علم التربية وحسبنا ان نتصفح رسائل ابن المقفع كالأدب الكبير والأدب الصغير — وكلمة الأدب هنا تعني التربية [1] — أو كتب الجاحظ كالبيان والتبيين ورسالة المعلمين ولا تزال مخطوطة ، ومنهــــا نسخ في بعض المكتبات ، ومن يقرأ الجاحظ يجد في تضاعيف كتبه كثيراً من نوادر المعلمين وأخبارهم وما الى ذلك . هذا وفيما

---

(١) قال ابن المقفع في معنى أثر التربية . وللعقول سجيات وغرائز بها تقبل الأدب وبالأدب تنمى العقول وتزكو ، وكما ان الحبة المدفونة في الارض لا تقدر ان تخلع يبسها وتظهر قوتها وتطلع فوق الارض بزهرتها وريعها ونضرتها ونمائها الا بمعونة الماء الذي يغور اليها في مستودعها فيذهب عنها اذى اليبس والموت . ويحدث لها باذن الله القوة والحياة فكذلك سليقة العقل مكنونة في مغرزها لا قوة ولا حياة بها ولا منفعة عندها حتى يعتملها الماء الذي هو حياتها ولقاحها .

هذا ما قاله ابن المقفع — ولا يذكر هذا الكاتب حتى يذكر معه كتاب « كليلة ودمنة » وهو كتاب وضع في السياسة وتهذيب النفس والاخلاق وضرب الأمثال على لسان الحيوان ، وضع اصله بالهندية ثم نقل الى الفارسية وعن الفارسية ، نقله ابن المقفع الى العربية في عصر أبي جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس فهو من ذخائر الشرق وتراثه الثمين بل هو تراث الانسانية في الحكمة والآداب ونصح السلطان ووعظ الحكام ولا يوجد في الاصل بعض فصول الكتاب المتداول والمرجح انها من مضافات ناقله ابن المقفع ، =

نقل من اليونانية والسريانية والفارسية في عصر المأمون وقبل عصره وبعد ذلك جملة من الرسائل المجردة في فلسفة التربية ، ثم تكونت هيئات وجماعات عنيت بالفلسفة والتربية ، ومن ذلك اخوان الصفاء في رسائلهم المعروفة وفي قريب من عصر اخوان الصفاء عاش « المعلم الثاني » . أبو نصر الفارابي ، وكان من أساطين التربية والتعليم ، وحسبنا ان نرجع الى ما وصل الينا من مؤلفاته ومنها كتابه الذي سماه « آراء اهل المدينة الفاضلة » . وفي هذا الكتاب نبذة عن التربية . على ان اكمل مصنفات الفارابي التي وقعت الينا كتابه الذي سماه « احصاء العلوم » عني فيه بتصنيف العلوم وترتيبها ، وتكلم على موضوعاتها واغراضها وما الى ذلك . وما مضى عصر الفارابي حتى جاء عصر ابن مسكويه الذي عني عناية بالغة بشؤون التعليم والتهذيب والاصلاح في كتابه المسمى « تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق » . وفي هذا الكتاب نقل عن فلسفة اليونان ولكن المؤلف أوصى ان يربى النشء المسلم وان يؤدب أولاً بآداب الملّة واحكام الشريعة وان ينهض بشرائطها ووظائفها ، وله أن ينظر بعد ذلك في الفلسفة ، ولابن مسكويه في توجيه طالب الحكمة وارشاده وسائل لطيفة .

هذا وقد كثر عدد الفلاسفة المعاصرين لابن مسكويه ، وكان اشهرهم بل أشهر فلاسفة الاسلام الشيخ الرئيس أبو علي ابن سينا ، عني بشؤون التربية والتعليم في جملة ما عني به من العلوم والفنون وقد احتفلت المؤسسات العلمية والجامعات في العالم بأسره بذكراه الالفية منذ خمس سنوات ونشرت بهذه المناسبة جملة من البحوث والدراسات العلمية والفلسفية وهكذا عاش ابن سينا الى هذا اليوم والى ما شاء الله ان يعيش وكأنه مدرسة حية .

يطول بنا نفس البحث اذا أردنا احصاء عدد المعنيين بالتهذيب والتعليم والتربية من فلاسفة

= ومهما كان فان الترجمة منقطعة النظير في الجودة ولو كتب الأصل بأسلوب عربي بليغ لما كان احسن من هذه الترجمة . ولابن المقفع بعد ذلك مذكرة نفيسة في نقد نظام الحكم وبيان طرق اصلاحه ألفها في شكل رسالة سماها « رسالة الصحابة » وقد اتهم الرجل بالزندقة وهو في كتبه المعروفة بريء من ذلك . ومن أئمة الأدب من غمز ناقل « كليلة ودمنة » من ناحية التصرف في الأصل بزيادة أو نقصان ونحن نقول حبذا لو استمر التصرف في نقل بعض الكتب على مثل ذلك .

المشرق وحكماء العراق ، ولكن هناك نمطاً آخر ممن أولعوا بالتربية وعشقوا ممارستها والكتابة أوالتأليف فيها لايسعنا اغفالهم، وفي مقدمتهم الإمام أبو حامد الغزالي، وكتبه حافلة بشذرات عن تربية الصغار وتعليم الكبار ، وحسبنا ان نرجع الى « احياء العلوم » والى رسالته التي اختار لها عنوان « ايها الولد » : فانها من انفس ما كتب في هذا الباب . ثم الى كثير من تصانيفه مثل كتابه المسمى « ميزان العمل » فلا يخلو هذا الكتاب من شذرات عن أثر البيئة في التربية وهكذا كتابه المسمى « فاتحة العلوم » ، ويكثر الغزالي [1] من استخدام لفظة « التربية » وكلمة « التعليم » في كتبه ، وما أقل استعمالها في مصنفات غيره من العلماء ، وليس ذلك بعجيب ممن كان في عداد أكابر المدرسين في المدرسة النظامية المشهورة ببغداد .

من نمط الغزالي في عنايته بالتربية على طريقة الفقهاء والمحدثين الماوردي [2] في كتابه

(١) قال الغزالي (ميزان العمل ص ٦٨) ان ما خلق الله قسمان : قسم لامدخل لنا فيه كالسماء والكواكب ، والقسم الذي خلق وجعلت فيه قوة القبول كان بعده اذا وجد شرط التربية . وتربيته هذه تعلق بالاختيار ، فان النواة ليست تفاحاً ولا نخلا ولكنها قابلة بالقوة لان تصير نخلا بالتربية وغير قابلة لان تصير تفاحاً، وانما تصير نخلا اذا تعلق بها اختيار الآدمي في تربيتها، فلذلك لو أردنا ان نقتلع بالكلية الغضب والشهوة عجزنا عنه ، ولكن اذا أردنا قهرهما أو اسلاسهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه .

(٢) عقد الماوردي في كتابه فصولا في التهذيب والتعليم منها فصل فيما يتأدب به المتعلم ويكون عليه العالم ، وفصل آخر عنوانه « أول ما يكون عليه العلماء من الاخلاق » وقد ألم فيه بآراء شبيهة بآراء المتأخرين من علماء التربية ، ومما قاله : ومن آدابهم — آداب المعلمين — ان لايعنفوا متعلماً ولا يحقروا ناشئاً ولا يستصغروا مبتدأ فان ذلك ادعى اليهم وأعطف عليهم واحث على الرغبة فيما لديهم » ومما روى عن النبي قوله : علموا ولا تعنفوا فان المعلم خير من المعنف . والماوردي كلمة اخرى محذر فيها المتعلم من التبسط والادلال على استاذه ، وان تقدمت صحبته ، وقد بلغ غاية الابداع في اشارته الى بعض الصفات الحسنة التي يجدر بالمعلمين ان يتصفوا بها ومن أخصها الفطنة والفراسة وما لها من صلة وثيقة بروح التربية ، وفي هذا المعنى يقول « ينبغي للعالم أن تكون له فراسة يتوسم بها المتعلم ليعرف مبلغ طاقته وقدر استحقاقه ليعطيه ما يتحمله ذكاؤه أولا تضعف عنه بلادته فانه أروح للعالم وانجح للمتعلم » . هذا ما قاله الماوردي، ولابن خلدون في هذا المعنى بحث طريف شبه المربي فيه بالطبيب ، فالطبيب الحاذق لا يعالج المرضى بعلاج واحد وانما يعالجون بحسب اختلاف مرضهم وأسنانهم وطبائعهم وما الى ذلك .

أدب الدنيا والدين ، والطبرسي في مكارم الأخلاق ، ونصير الدين الطوسي في جملة من كتبه ومنها كتاب عنوانه « آداب البحث » وآخر عنوانه « اخلاق ناصري » بالفارسية وفيه كلام مبسوط عن العدالة . والشهرزوري في « رسائل الشجرة الالهية » . وزين الدين العاملي المعروف بالشهيد الثاني في كتابه « منية المريد في آداب المفيد والمستفيد » الى كثير غير ذلك من الكتب التي تعتبر مآخذ أو مراجع في فن التعليم والتربية وفي آداب البحث والدراسة ، هذا وفي الديار الشرقية قبل غيرها — كما لا يخفى — أحدثت دور العلم وشيدت مباني المدارس بأقسامها ومرافقها على صورة لا تختلف كثيراً عن هذه الصورة المعهودة في الوقت الحاضر فأقام الطلبة وبعض الاساتذة فيها ، وحسبنا تلك المدارس الضخمة التي شيدها في المائة الخامسة نظام الملك وزير السلاجقة في نيسابور أولاً وفي بغداد ثانياً فنسبت اليه وسميت باسمه وقيل لها « المدرسة النظامية » شيدها بكافة مرافقها وأقسامها ومكتباتها وموقوفاتها وجراياتها وما الى ذلك حتى اخرجت جهابذة يشار اليهم بالبنان ، ولما تداعت المدرسة النظامية أنشئت في أواسط المائة السابعة المدرسة المستنصرية ولا تزال معالمها تشهد بعظمتها وعظمة الحركة العلميــة في العصر الذي أنشئت فيه .

ما أكثر النوادر والفوائد والتحف الخاصة بتعليم الصبيان واحكامه ، وتأديب الاحداث وأساليبه ومناهجه وأحوال المعلمين والمؤدبين التي نجدها في تضاعيف كتب التاريخ والأدب ، ومنها كتب الجاحظ كالبيان والتبيين ورسائل ابن المقفع وكتب ابي حيان التوحيدي ، وما الى ذلك . هذا والفرق بين الفقهاء والمحدثين والادباء والكتاب في هذا الشأن ان الاولين مارسوا التربية علماً وعملاً واختصوا بذلك وامتهنوا التدريس فأصابوا نجاحاً كبيراً ووفقوا توفيقاً ظاهراً لخبرة المعنيين منهم بذلك في علم النفس ، أما الآخرون اي الأدباء والكتاب فانهم عنوا بالاخبار اخبار المؤدبين والمعلمين ، وقيدوا نوادرهم وأشاروا الى أساليبهم في التربية ومع ذلك لم يستطع واحد منهم تجريد كتاب في فن التربية أو رسالة في أصول التعليم بخلاف غيرهم من المحدثين والمفسرين والفقهاء المتعاطين لهذه الأعمال .

لا شك في خطر الجهد الذي بذلته الدول الفاطمية والاتابكية والايوبية ودولة المماليك وما أنشأته هذه الدول من مدارس في الموصل والشام وفلسطين والقاهرة من هذا القبيل ، ولا شك كذلك في خطر ما أنشأ في بعض بلدان المغرب ولكن فضيلة السبق والتجديد كانت للمشرق والمشارقة ، ومن ثم طرست على غرارهم بقية الدول والبلدان .

هكذا اختلفت طبيعة الحركة التعليمية ومظاهرها باختلاف البلدان والبيئات وتفاوت الظروف وخواص المكان والزمان ، وهكذا اختلفت مستويات التعليم فرأينا مستواه في الشرق سامياً عالياً في غالب الاحيان بينما وقفت حركة التعليم في الاندلس وفي المغرب دون المستوى المذكور غالباً الا ما كان في بعض عصور قرطبة والقيروان والقاهرة ، وفي هذه العصور اشتهر ابن باجه وابن الطفيل والقاضي أبو الوليد ابن رشد وبنو زهر وغيرهم من فلاسفة الديار الاندلسية ، وبالجملة تميز حكماء الشرق ونظاره بدقة البحث وسعة الافق ولم يقفوا عند حد النقل والجمع دون الحكم والترجيح ولا شك ان تلك الحركة العلمية حركة البحث والتأليف انتقلت الى الديار المصرية بعد خراب الشرق على ايدي المغول .

رأي ابن خلدون في فوارق المدرستين

عقد ابن خلدون فصلاً بل فصولاً ممتعة عرض فيها لنقد اصول التربية والتعليم المعروفة في عصره . وفي هذه الفصول فرّق بين الشرق والغرب ، وقارن بين مختلف البرامج والمناهج التعليمية المتبعة هنا وهناك ، ولاحظ على منهج المغاربة قلة العناية بالتطبيق ، والمذاكرة والمناقشة . لاحظ ضرر الجمود على النقل والحفظ بشكل يدل على ضرب من الخمول والقصور ، وفي بعض هذه الفصول يقول بعد اشارة الى مناهج التعليم واوضاعه في المغرب والى رحلة المغاربة الى المشرق للتحصيل والرواية .

« اعلم ان سند التعليم قد كاد ان ينقطع من أهل المغرب باختلال عمرانه وتناقص الدول فيه . وذلك ان القيروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب والاندلس فاستبحر عمرانها وكان فيها للعلوم والصنايع اسواق نافقة وبحور زاخرة ، فلما خربتا انقطع التعليم من المغرب الا قليلاً في دولة الموحدين بمراكش ، ولم ترسخ الحضارة بمراكش لبداوة الدولة الموحدية وبقيت فاس وسائر اقطار

المغرب خلواً من حسن التعليم من لدن انقراض التعليم فى قرطبة والقيروان ، ولم يتصل سند التعليم فيهم فعسر عليهم حصول الملكة » .

هذا ما قاله ابن خلدون عن حالة العلم وأوضاع التعليم فى المغرب ، وله بعد ذلك كلمة صور بها عقم الطريقة المتبعة عندهم من حيث الاقتصار على حفظ المواد والدروس خلافاً لما عليه أهل المشرق ، وقال فى كلمته عن طلبة العلم من المغاربة : « فعسر عليهم حصول الملكة . والحذق فى العلوم ، وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة فى المسائل العلمية ، فهو الذي يقرب شأوها ، ويحصل مرامها ، فتجد طلاب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم فى ملازمة المجالس العلمية سكوتاً لا ينطقون ولا يفاوضون وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة . فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف فى العلم والتعليم ؛ ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه حصل ، تجد ملكته قاصرة ان فاوض أو ناظر أو علم . وما أتاهم القصور إلا من أصل التعليم وانقطاع سنده وإلا فان حفظهم أبلغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم به ، وظنهم أنه هو المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك » [1] .

هذا ما قاله ابن خلدون ويستفاد منه أن التعليم عند المغاربة فى العصور التي أشار اليها مجرد حركة آلية قوامها الحفظ ، فهي عقيمة خالية من الروح مع أنها عند غيرهم عملية إنشائية أو إيجابية عظيمة الأثر فى حياة الأفراد والجماعات .

المشارقة وصناعة التعليم

نوه ابن خلدون كثيراً بحذق المشارقة في الصنائع وفى مقدمتها صناعة التعليم وأنهم أبرع اهل الدنيا في ذلك حتى وقر فى أذهان أهل المغرب أن المشارقة أرقى البشر في أصل الفطرة ، نقل ابن خلدون هذا الرأى عن قوم من أهل العلم رحلوا الى الشرق واتصلوا بأهله وأخذوا عنهم ، وعادوا وهم على يقين بتفوق أهل الشرق في أصل الخلقة والفطرة ، وفي هذا المعنى

(١) مقدمة ابن خلدون ط المطبعة البهية ٣٠٣ .

يقول « فأهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة التعليم بل سائر الصنائع حتى انه ليظن كثير من رحالة أهل المغرب الى الشرق في طلب العلم أن عقولهم ـ عقول المشرقيين ـ على الجملة أكمل من عقول أهل المغرب ، وأنهم أشد نباهة وأعظم كيساً بفطرتهم الأولى . وان نفوسهم الناطقة أكمل بفطرتها من نفوس أهل المغرب ، ويعتقدون التفاوت بيننا وبينهم في حقيقة الانسانية » .

هذا ما أورده ابن خلدون وهو رأي طريف بل شهادة قاطعة للشرق ولكن ابن خلدون عاد وختم كلمته بالدفاع عن فطرة المغاربة . وقال ان التفاوت بينهم وبين المشارقة لم يبلغ هذا الحد وانّ قول من قال بذلك لا يخلو من المبالغة ، ومردّ الأمر في الحقيقة كما يراه ابن خلدون الى رسوخ الحضارة في الشرق ، وغلبة البداوة على المغاربة ، وهذا من الرجل دفاع معقول عن أبناء جلدته . فابن خلدون مغربي وزعم بعضهم انه من البربر وحجتهم في ذلك مذهبه وأقواله في العرب وسجاياهم البدوية ، والخلاصة : هذا ما خرج به ابن خلدون بعد درس مختلف الاوضاع التعليمية والتربوية في العالم الاسلامي ، وبعد المقارنة بين ما اصطلح عليه المشارقة بما اصطلح عليه المغاربة من حيث الجمود على الحفظ وعلى أقوال المشايخ ، أو من حيث العناية بتنمية المدارك والمواهب ، هذا ما أورده مؤرخنا الفذ منذ أكثر من سبعمائة سنة . ونلاحظ نحن اليوم أن تلك السجايا والطباع لم تتغير تغيراً يذكر خلال هذه العصور الطويلة ، وان البيئة وخواص الزمان والمكان ما زالت تعمل عملها وان العراقي يولد وهو مطبوع على الاقتصاد في الكلام حتى يتوهم فيه العي والحبسة ، ومع ذلك لا ينكر ما فطر عليه من العمق والغور بخلاف غيره ، ونلاحظ هذا اليوم ان حفظ اخواننا المصريين وبعض المغاربه أبلغ من حفظ سواهم ، وأنهم لا يجارون في قوة الذاكرة وطلاقة اللسان كما كان عليه أجدادهم في سالف الأزمان .

محمد رضا الشبيبي

خزائن العتبة الحسينية المقدسة

الروضة الحسينية إحدى العتبات المقدسة في مدينة كربلاء من العراق ، وهي في الشرف والفضل تأتي بعد العتبة العلوية في النجف الأشرف التي تضم اليها ضريح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

والمراد من العتبات المقدسة في العراق البنايات العظيمة الفخمة التي تضم اليها مراقد بعض الأئمة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام .

و « العتبات » جمع مفرده « عتبة » . وهي لغة إسكفة الباب أي الخشبة التي يوطأ عليها عند الدخول من الباب . وتطلق أيضاً على كل مرقاة من الدرج وجمعها « عتبات » و « عتب » .

والأظهر أن المراد هنا المعنى الأول ، فأطلق اسم « عتبة » بطريق المجاز المرسل على كل من تلك البروج المشيدة العظيمة مادة ومعنى ، التي هي في الحقيقة والواقع مفخرة من مفاخر العراق وآية من آيات عظمته . فالتسمية على هذا من باب تسمية الشيء باسم جزئه . وأطلق اسم هذا الجزء الصغير على ذلك الشكل الفخم الكبير دون غيره من أسماء الأجزاء الأخرى لأنه أول جزء تطأه قدما الوافد القاصد للتبرك بزيارة هؤلاء المراقد المشرفة . ويجوز إرادة المعنى الثاني باعتبار أن كل مرقد من المراقد المشرفة في تلك البروج الكريمة هو مرقاة في سلم الإمامة المقدسة ، فالتسمية على هذا من باب الاستعارة المصرحة . والتفسير الأول لغوي صرف ، والثاني لغوي أشرب معنى صوفي . وربما اختار المعنى الأول أرباب اللغة واختار المعنى الثاني الميالون الى التصوف من البكتاشية ونحوهم .

إن كل عتبة من أولئك العتبات تشمل قبة الإمام وأروقة تحف به ومسجداً ومنائر مذهبة

في الغالب كلا أو بعضاً ، صحونها باحة واسعة ، يطيف بها غرف لإيواء المجاورين والزائرين . وجميع أبنيتها شامخة فخمة مزينة بالقاشاني الثمين ، وأغلب قببها مذهبة ، وأبوابها مغلفة بصفائح الذهب أو الفضة . ولا نبعد عن الواقع إن قلنا إنّ العتبة في الحقيقة مسجد عظيم فخم يتوسطه — أو في طرف منه — قبة على مرقد أحد الأئمة الأطهار ، له مرافق كمرافق سائر المساجد مع غرف المجاورين والزائرين .

وهذا القدر في تعريف « العتبة المقدسة » يكفينا في هذا القسام لأن المقصود منه تصوير معنى العتبة لإدراك القارىء الذي لم يرها . وليس القصد تخصيصها بالبحث فإن لذلك موضعاً آخر قد يستغرق مجلداً أو يزيد .

إن العتبات المقدسة في العراق خمس : —

١ — العتبة العلوية في النجف الأشرف . وتحت قبتها مرقد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

٢ — العتبة الحسينية . وتحت قبتها مرقد الإمام سيد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام . وهي في مدينة كربلاء .

٣ — العتبة العباسية في مدينة كربلاء . وتحت قبتها مرقد الإمام العباس بن الإمام علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم . والإمام العباس غير داخل في سلسلة الأئمة الاثني عشر لأنه علوي غير فاطمي . فهو أخو الإمام الحسين من أبيه .

٤ — العتبة الكاظمية في مدينة الكاظم ، التي أصبحت متصلة ببغداد . وتحت قبتها إمامان كريمان : الإمام الكاظم موسى بن جعفر وحفيده الإمام محمد بن علي الرضا عليهم السلام .

٥ — العتبة العسكرية في مدينة سامراء . وتحت قبتها إمامان جليلان هما الإمام علي الهادي والإمام حسن العسكري أبو الإمام محمد المهدي الإمام المنتظر عليهم السلام .

فالعراق غني بمراقد الأئمة الطاهرين . فهو قطر يأتي في القدسية بعد القطر الحجازي ، أو بعد القطر الفلسطيني .

وتختلف العتبات المقدســة عمارة ، وسعة ، وغناءا ، وجمالا ، وجلالا ، وزينة ، وفخامة ، باختلاف مواقعها ومراكزها .

ولبعض تلك العتبات خزانة تحتفظ بما أهدى الى كرامة الإمام الراقد فيهـا . وأغنى خزانة في العتبات المقدسة خزانة العتبة العلوية ، فان ما تحتفظ به من الجواهر والذهب والتحف شيء عظيم القيمة والتاريخ . ولهذه الخزانة بحث خاص يكتبه من وقف على ما فيها واستوعب معرفة كبيره وصغيره ، ودقيقه وجليله .

والـكلام هنا يخص الخزانة الحسينية والذخائر الـكائنة في الروضة الحسينية ، فقد شـاءت الصدفة عند إشغالي منصب المفتش العام لمديرية الأوقاف العامة ، سنة ١٩٣٢ أن أقف على ما في الخزانة والروضة المباركة ، وأن أسجل ذلك في سجل خاص ، وقد عنّ لي أن أعرض ما دون فيه على القارئين في مقال ، خدمة للتاريخ وتسجيلاً للواقع .

أسجل في هذا المقال ثلاثة أمور :

آ — المصاحف الخطية القديمة الثمينة الموقوفة في الروضة الحسينية المبارڪة في أوقات مختلفـة .

ب — الطنافس « الزوالي » الثمينة القديمة في تلك الروضة الطيبة .

جـ — الجواهر والحلي والتحف ذات الشأن المحفوظة في خزانة الروضة الزكية .

أهم المصاحف الشريفة الفريدة :

عدد	طول سم	عرض سم	سطر س	تاريخ الوقف	اسم الواقف	تعليق
١	١٦	١٠	١٥	١٢٢٥ هـ	محمد جعفر	أوراقه من رق منشور وسطوره ممتدة الى منتهى عرض الورقة. والظاهر أن خطه قديم جداً . وهو منسوب الى الامام السجاد . الخط كوفي .
٢	٥٥	٣١	١٢	١٢٥٧ هـ	أنور الدولة هندي	الخط بمداد فضي ورؤوس الأسطر لازوردية وبين أسطره ترجمة بخط مائي اللون . وفي هوامشه تفاسير . وكلها محلاة ومزينة على وجه يندر مثيله . وبين صحائفه أوراق من رق منشور بيضاء خالية من الكتابة . « قيل إنه قد صرف على كتابته وتزيينه سبعون ألف روبية – والروبية نقد هندي معروف – » وفي أوله وآخره أربع أوراق مزينة ومحلاة تحلية وتزييناً حسناً جداً . الخط اعتيادي منسوب لميرزا حسين .
٣	١٧	١١	١٥	١١٠٦ هـ	محمد جعفر	جميع أوراقه محلاة مزينة وخطه جلي جداً . الخط على طراز خط ابن مقلة . واسم الخطاط مجهول .
٤	٢٩	١٨	١٥	١٢٥١ هـ	محمد علي خان	الصحيفة الأولى والثانية منه مزينتان وجميع سطوره بمداد أسود على ماء الذهب . وبين سطوره ترجمة فارسية بخط رفيع أحمر . وبين

عدد	طول سم	عرض سم	سطر س	تاريخ الوقف	اسم الواقف	تعليق
						كل ورقة وأخرى ورقة بيضاء رقيقة . والخط المعتاد المألوف . واسم الخطاط مجهول .
٥	٣٢	١٢	١٥	١٢٨٢ هـ	محمد بن طاهر	في كل صفحة ثلاثة أسطر بخط جلي واثنا عشر سطراً بخط رفيع . وأطراف السطور مزينة بنقوش . والخط الاعتيادي المألوف . واسم الخطاط مجهول .
٦	٢٨	١١	١٧	١٢٦٠ هـ	مجهول	بين سطوره قليل من التفسير بالفارسي . وهو محلى . والخط الاعتيادي المألوف . واسم الخطاط مجهول .
٧	٣٤	١٣	٢٤	١٢٥٢هـ	نواب تاج الدولة	الصحيفتان الأولى والثانية منه مزينتان بنقوش لطيفة بألوان مختلفة . وفي أول صحيفة منه دعاء استخارة . والخط جلي . واسم الخطاط مجهول .
٨	٣٨	٢٧	١١	١٢٥٧ هـ	مجهول	ناقص من آخره . وهو محلى . والخط جلي مذهب واسم الخطاط مجهول .
٩	٢٩	١٩	١١	١٣٠٤ هـ	مجهول	مزين . وبين سطوره تفسير فارسي بمداد أحمر رفيع الخط . واسم الخطاط غلام علي .
١٠	٣٢	١٤	١٧	١٣٠٤	قادر علي	محلى بماء الذهب . وكل صحائفه مزينة ومحلاة بنقوش مذهبة . وفي هامشه تفسير فارسي بخط إيراني . وبين كل ورقة وأخرى ورقة بيضاء

عدد	طول سم	عرض سم	سطر ص	تاريخ الوقف	اسم الواقف	تعليق
						ترمه . والخط المعتاد المألوف . واسم الخطاط غلام علي .
١١	٣٢	٢٠	١٤	١٣٠٤ هـ	خفراء سلطان	فيه قليل من التزيين والتحلية وبين سطوره قليل من التفسير بخط احمر وفى هامشه على بعض السور خواص تلاوتها . والخط المعتاد المألوف . واسم الخطاط محمد نظام كازروني .
١٢	٢٩	١٩	١٦	١٢٤١ هـ	اسعد	الصحيفة الأولى والثانية منه مزينتان بماء الذهب وألوان أخرى . والخط المعتاد المألوف . واسم الخطاط مجهول .
١٣	٣٨	٢٤	١٢	مجهول	اسعد	على بسملة كل سورة منه كتب - وقف روضة امام حسين - بخط مذهب . والخط الاعتيادي المألوف . اسم الخطاط مجهول .
١٤	٣٨	٢٠	١١	١٢٤١ هـ	اسعد	اول صحيفة منه مزينة وعلى بسملة كل سورة منه كتب « وقف سيد الشهداء » وفى هامشه تفسير فارسي . الخط المعتاد المألوف . واسم الخطاط مجهول .
١٥	٢٩	١٩	١١	١٢٤٧ هـ	نواب رمضان علي خان	علي . وسورة الفاتحة والصحيفة الأولى من سورة البقرة مكتوبتان بماء الذهب ومزينتان . والخط المعتاد المألوف . الخطاط مجهول .

عدد	طول سم	عرض سم	سطر س	تاريخ الوقف	اسم الواقف	تعليق
١٦	٢١	١٤	١٤	١٢٤٧ هـ	نواب رمضان علي خان	سورة الفاتحة وأول صفحة من سورة البقرة وآخر صفحة منه محلاة بماء الذهب ومزينة بنقوش . وبين سطوره تفسير فارسي بخط احمر رفيع . والخط المعتاد المألوف . واسم الخطاط محمد نظام كازروني .
١٧	٣٠	١٨	١٢	١٣٠٤ هـ	فرح سلطان خانم	مزين وبين اسطره تفسير فارسي بخط احمر رفيع . والخط المعتاد المألوف . واسم الخطاط مجهول .
١٨	٤٧	٣٠	١١	١٢٤٣ هـ	فتح علي شاه	محلى . بين سطوره تفسير فارسي بخط أحمر وفي الاطراف الأربعة لكل صحيفة تفاسير فارسية .
١٩	٣٣	٢١	١١	١٢٤٣ هـ	فتح علي شاه	بخط غلام حسين بن محمد جعفر . وبين سطوره تفسير فارسي بخط أحمر رفيع . وهو مزين .
٢٠	٢٩	١٩	١١	١٢٩٤ هـ	محمد حسين تبريزي	محلى وأول صحيفة منه مزينة بنقوش جميلة وبين سطوره تفسير فارسي بخط أحمر .
٢١	٣٧	٢٥	١٠	مجهول	مجهول	خطه جلي . والصحيفتان الأوليان تشملان سورة الفاتحة وأول البقرة يظهر ان خطهما من غير الخط الأصلي ، جاءتا تكملة لنقص كان قد حصل . وأول سطر في كل صحيفة منه مكتوب بماء

عدد	طول سم	عرض سم	سطر س	تاريخ الوقف	اسم الواقف	تعليق
						الذهب . وهو جلي حلي .
٢٢	٢٦	١٣		١٢٥٣ هـ	نواب سهرتندار	أول صحيفة منه مزينة بألوان لطيفة وخطه جلي .
٢٣	٣٠	٢٢	١٧	١٢٥٣ هـ	ميرزا محمد رضا	أول صحيفة منه مزينة بنقوش جميلة . وفي كل صحيفة ثلاثة أسطر بخط جلي ، واحد منها فضي اللون واثنان مذهبان وباقي السطور بمداد أسود . وفي أطرافه نقوش مختلفة الألوان .
٢٤	٣٢	٢١	١١	مجهول	مجهول	ثلاثة سطور منه بخط جلي وثمانية أسطر بخط رفيع بمداد أسود .
٢٥	٣١	٢٤	٩	١٢٨٦ هـ	طهان أغا	الصحيفة الأولى والثانية محلاتان. وخطه جلي. وبين اسطره تفسير فارسي بمداد أحمر .
٢٦	٣٠	١٩	١٤	١٢٩٤ هـ	مشير الملك أبو الحسن	في هوامشه تحلية وتزيين . وفي صحيفتيه الأولى والثانية نقوش جميلة. وبين سطوره تفسير فارسي.
٢٧	٣٦	٢٠	١٤	مجهول	حسين علي ميرزا فرمان فارمي	صحائفه الأربعة الأولى مزينة . وهو بخط عبد الصمد . وهو جلي قليلا .
٢٨	٣٢	٢١	١٣	١٢٥٩ هـ	محمد حسن	بخط سلطان محمد بن محمد حسين طناي بادي سنة ١٠٠٨ . وكل صحيفة ، ثلاثة أسطر منها مكتوبة بماء الذهب ، واربعة أسطر بمداد أحمر ، وستة أسطر بمداد اسود .
٢٩	٣٧	٢٣	١٢	١٢٩٦ هـ	مجهول	مجدول بطلاء ذهبي . والصحيفتان الأولى والثانية منه مزينتان . وعلى رأس كل سورة

تعليق	اسم الواقف	تاريخ الوقف	سطر س	عرض سم	طول سم	عدد
كتبت كلمة « وقف » .						
الصحيفتان الأولى والثانية منه مزينتان بماء الذهب وأصباغ مختلفة . وفي كل صحيفة سطران بخط جلي أسود . وبعد السطرين سطر بخط مذهب جلي . ثم تأتي عشرة سطور بمداد أسود .	محمد مقيم	١٢٥٣هـ	١٣	٢٢	٣٣	٣٠
الصحيفتان الأولى والثانية منه مزينتان بألوان مختلفة . والثلاثة الأسطر الأولى منه بخط جلي . والسطور الباقية بخط رفيع . وهو مجدول ومحلى .	حاج محمدحسين	١٢٩٠ هـ	١٥	٢٨	٤٣	٣١
مجدول بماء الذهب . وبين سطوره تفسير فارسي بخط أحمر . والصحيفة الأولى والثانية منه مزينتان .	شهربانو	مجهول	١١	٢٤	٣٦	٣٢
بخط محمد علي أصفهاني سنة ١٢٣٨ هـ . وجميع صحائفه وبعض هوامشه مزينة . وقد كتب في أول كل سورة منه بماء الذهب « وقف ابا عبد الله عليه السلام » . والصحيفة الأولى والأخيرة منه مزينتان بماء الذهب . وأول سطر وآخر سطر من كل صحيفة مكتوبان بماء الذهب بخط جلي . والسطر الوسط مكتوب	مجهول	مجهول	١٣	٣٠	٤٦	٣٣

عدد	طول سم	عرض سم	سطر ص	تاريخ الوقف	اسم الواقف	تعليق
						بلون فضي جلي . والسطور البقية مكتوبة بخط رفيع وهي اقصر من السطور الأخرى .
٣٤	٣٥	٢٤	١٣	١٢٧٧ هـ	مجهول	السطر الأول والسطر الوسط والسطر الأخير منه مكتوبة بماء الذهب . والسطور العشرة الباقية مكتوبة بخط أسود . وفي صحائفه شيء من التزيين ولكن الصحيفة الأولى منه مزينة بماء الذهب وألوان أخرى متناسبة .
٣٥	٣٥	٢٣	١٤	١٢٩٢ هـ	محمد جوهر حبش	مجدول بسواد وفيه طلاء مائي . وصحائفه الأولى والثانية والثالثة مزينة .
٣٦	٣٥	٢٣	١٥	١٢٩٣ هـ	الحاج علي جعفر	السطر الأول والسطر الوسط والسطر الأخير في كل صحيفة منه مكتوبة بماء الذهب بخط جلي . والسطور الأخرى بمداد أسود وهي أقل طولا من السطور الثلاثة . وفي صحائفه جداول وشيء من التزيين . ويظهر ان الصحيفة الأولى كانت ناقصة فكتبت صحيفة مكانها بخط غير الخط الأصلي .
٣٧	٣٣	٢٣	١٢	١٢٤١ هـ	محمد جعفر أغاپابا	في صحائفه الأولية أدعية مأثورة . وأول صحيفة منه مزينة . وعلى راس كل سورة كتب « وقف » . وصحائفه مجدولة . وفي آخره ٣٤ صحيفة كتبت فيها أدعية مأثورة .

عدد	طول سم	عرض سم	سطور ص	تاريخ الوقف	اسم الواقف	تعليق
٣٨	٤٢	٢٨	١٤	١٢٧٠ هـ	علي عسكر	الصحيفة الثانية والثالثة منه مزينتان بأبهى زينة . وفي أوله فهرست السور مكتوب بخط أسود وأحمر على ماء فضة وذهب . وعلى بسملة الفاتحة وبسملة سورة البقرة كتب كلمة « وقف » . وبين سطوره تفسير فارسي بخط أحمر .
٣٩	٤٢	٢٧	١٥	١٢٧٦ هـ	آقا مير علي اكبر	أول صحيفة منه مزينة . وبين سطوره تفسير بالفارسية بخط أحمر . وبعض هوامشه مجدول .
٤٠	٣٢	٢٠	١٤	١٢١٢ هـ	سيد محمد تقي بن ميرزا محمد حسين	في أوله سورة دائرة وعلامات الاستخارة . أول صحيفة منه مزينة . وجميع هوامشه محلاة . وبين سطوره تفسير بالفارسية بخط أحمر . وفي هامشه كتابات فارسية بخط أسود .
٤١	٣٣	٢٢	١٢	١٢٣١ هـ	الحاج محمد صالح أصفهاني	الصحيفة الأولى والثانية منه مزينتان بماء الذهب وألوان أخرى متناسبة . وبين سطوره تفسير بالفارسية بخط أحمر . وهو مجدول . وكل صحيفة منه مختومة بختم كتب فيه « وقف صرفد حسين » . وهو قد كتب سنة ١٠٨٨ غير ان كاتبه مجهول .
٤٢	٣٣	٢٣	٩	١٢٨٨ هـ	كلدار خان	يقتصر على نصف القرآن فقط . ويظهر ان جلد

عدد	طول مم	عرض مم	سطر ص	تاريخ الوقف	اسم الواقف	تعليق
						النصف الثاني مفقود . وكل لفظة جلالة فيه مكتوبة بماء الذهب . والصحيفة الأولى والثانية والثالثة منه محلاة . وهو في غايـــة الجودة والجلاء .
٤٣	٤٩	٢٩	١٥	١٢٣٢ هـ	أغا علي	خطه جلي جداً والصحيفة الأولى والثانية منه مجدولتان .
٤٤	٤٢	٢٩	٨	١٢٥٨ هـ	منور الدولة	مكتوب بخط أسود على لون أحمر . وبين ســـطوره تحلية . وهامشه مقسم إلى قسمين مكتوب فيه تفسير بالفارسية بخط تعليق أحمر، وهو مكتوب في ثلاثة مجلدات . وهو في غاية الروعة .
٤٥	٣٩	٢٦	١١	مجهول	مجهول	يظهر ان أوله ناقص أكمل بخط غير خطـــه الأصلي ، وصحـائفه مجدولة محـلاة . وآخره ينقص صحيفة واحـدة . وكل صحيفة منه تحتوي على ثلاثة سطور بخط جلي وثمانيـــة سطور بخط رفيع أقصر من السطور الجلية .
٤٦	٣٦	٢٣	١٥	مجهول	مجهول	مجدول وفيه شيء من التحلية .
٤٧	٤٦	٢٧	١٤	مجهول	مجهول	الصحيفة الأولى والثانية منه مزينتان وفي آخره نقص . وبين سطوره تفسير بالفارسية بخط أحمر .

عدد	طول سم	عرض سم	سطر ص	تاريخ الوقف	اسم الواقف	تعليق
٤٨	٥٣	٣٥	١١	١٢٧١ هـ	حاج ملا محمد	كتب سنة ١١٧٩ هـ . والصحيفة الأولى والثانية منه مزينتان زينة متناسبة . وبين سطوره وفي هامشه تفسير بالفارسية . وفي آخره كتبت أصول الاستخارة .
٤٩	١٤	٩	٩	مجهول	سيدهاشم صحاف	خطه أسود على ماء الذهب وبين سطوره ترجمة فارسية بخط أحمر . وهو مجدول ، بستة أجزاء .
٥٠	٢٤	١٥	١٣	١٢٧٧ هـ	حبيب الله خان	أوله مزين وكاغده ترمه . وفي بعض صحائفه شيء من التحلية .
٥١	٢٩	١٩	١٥	١٢٥١ هـ	محمد علي خان	مكتوب بمداد أسود على ماء الذهب . وبين سطوره ترجمة بالفارسية بخط أحمر . وبين صحائفه أوراق بيض رقيقة .
٥٢	٣١	١٦	١٣	١٢٦٣ هـ	محمد علي شاه حاكم اسكنپور	أوله وآخره مزينان . وبين سطوره ترجمة بالفارسية بخط أحمر .
٥٣	٢٤	١٥	١٨	مجهول	مجهول	الصحيفة الأولى والثانية منه مزينتان بنقوش متناسبة . وسطوره مكتوبة على ماء الذهب وبين سطوره ترجمة فارسية بخط أحمر .
٥٤	٣١	٢٤	١١	١٣١٣ هـ	آقا ميرزا محمد مرتضى	ثلاثة أسطر من كل صحيفة منه بخط جلي وثمانية أسطر بخط رفيع أقصر من الثلاثة . وفي هامشه شيء من النقوش وإشارات التجويد .
٥٥	٢٧	٢٠	٢١	١٢٣٦ هـ	جيران بكم	خطه كوفي ناقص الأول والآخر وقد أكل

عدد	طول سم	عرض سم	سطر ص	تاريخ الوقف	اسم الواقف	تعليق
						النقص بصحائف كتبت بالخط المعتاد . وقد كتب في ظهره أنه بخط سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . وهذا زعم تكذبه أوراقه فانها من كاغد لا من رق .
٥٦	٢٢	١٥	١١	مجهول	أغا حسين سرماس	ليس فيه ما يستحق البيان سوى جودة خطه .
٥٧	٤٣	٢٧	١٤	١٢٤٥هـ	أغا محمد كل جلي	جلي الخط بين سطوره ترجمة بالفارسية بخط أحمر مجدول وفيه شيء من التحلية والتزيين .
٥٨	٣٩	٢٤	١٢	مجهول	محمد جعفر	جلي الخط بين سطوره ترجمة فارسية بخط أحمر . وهو مجدول ومحلى .
٥٩	٣٠	٢١	١٥	مجهول	مجهول	ناقص الأول وقد أكمل النقص بصحائف كتبت بخط غير خطه الأصلي . والسطر الأول والسطر الوسط والسطر الأخير من كل صحيفة منه مكتوبة بخط جلي بماء الذهب ، والسطور الباقية مكتوبة بمداد أسود . وفي أطراف السطور شيء من النقوش .
٦٠	٤٩	٣١	١٨	مجهول	مجهول	مجدول وفيه تفسير هندي بخط تعليق . ينتهي بانتهاء سورة بني اسرائيل . ويظهر أن جلد النصف الثاني مفقود .

عدد	طول سم	عرض سم	سطر ص	تاريخ الوقف	اسم الواقف	تعليق
٦١	٣١	٢٣	١١	١٢٦٠ هـ	حاج مهدي الكليدار	السطر الأول والسطر الأخير في كل صحيفة منه بخط جلي بمداد فضي اللون . والسطر الوسط جلي الخط بماء الذهب . والأسطر الثمانية الباقية بخط رفيع . وفيه نقوش وتحلية .
٦٢	٤٠	٢٣	١٣	مجهول	مجهول	ينقص (٢٧) صحيفة من أوله ومثلها من آخره . وقد أكمل بصحائف أخرى بخط غير خطه الأصلي . وثلاثة أسطر في كل صحيفة منه بخط جلي والسطور الباقية بخط رفيع .
٦٣	٢٩	٢١	١٦	١٢٦٠ هـ	مجهول	حسن الخط بين سطوره ترجمة فارسية بخط أحمر .
٦٤	٢١	١١	١٤	مجهول	مجهول	مجدول ، خطه وسط في الجودة .
٦٥	٣٠	١٩	١١	١٢٤٢ هـ	خير النساء خانم	مزين ومجدول وكل لفظة الجلالة فيه مكتوبة بماء الذهب .
٦٦	٤٣	٢٩	١٥	١٢٤٠ هـ	محمد ابراهيم اسماعيل صحاف	مجدول حسن الخط بين سطوره ترجمة فارسية بخط أحمر .
٦٧	٤٢	٢٤	١٤	١٢٦٤ هـ	ميرزا محمد الطيب	بين سطوره ترجمة فارسية بخط أحمر .
٦٨	٣٠	٢٠	١٥	١٢٧٢ هـ	محمد رحيم	مجدول بين سطوره ترجمة فارسية بخط أحمر .
٦٩	٣٦	٢١	١١	١٢٩٠ هـ	أحمد بن أسد علي	بين سطوره ترجمة فارسية بخط أحمر .
٧٠	٤١	١٩	١٥	١٢٥٧ هـ	مهدي قلي خان نوري	كتب سنة ١٢٥٧ أي سنة وقفه . وهو على وبين سطوره ترجمة فارسية بخط أحمر .

عدد	طول سم	عرض سم	سطر س	تاريخ الوقف	اسم الواقف	التعليق
٧١	٤١	٢٩	١٥	١٢٢٠ هـ	محمد الطباطبائي	في كل صحيفة منه ثلاثة أسطر بخط جلي والسطور الأخرى بخط رفيع .
٧٢	٤٠	٢٨	١٥	مجهول	مظفر حسين خان	الصحيفتان الأولى والثانية منه مزينتان بماء الذهب . وجميع حواشي صحائفه منقوشة . وصحائفه مجدولة بماء الذهب .

إن هذه المصاحف الخطية القديمة الغالية القيمة هي أهم المصاحف الموقوفة في الحضرة الحسينية الشريفة . وهناك مصاحف أخرى خطية أيضاً صغيرة وكبيرة ووسط في أحجامها لا يقل عددها عن مائتين ، اعتيادية الخط حسنته . وهناك أيضاً عدد من المصاحف مطبوعة .

وأقصد من عبارة « بخط جلي » الواردة بالتعليقات أن الخط بحروف كبيرة . وأقصد بـ (المزينة) أن فيه نقوشاً بماء الذهب والفضة ونحوها من الألوان اللطيفة .

وفي الروضة المباركة شعرات من شعر الرسول صلى الله عليه وسلم محفوظة في زجاجة في قطن ملفوفة بلفافات . وقد حفظت في صندوق مرفوع في داخل شبكة الضريح الشريف .

إن هذه الآثار والمصاحف الخطية الشريفة تحفة ثمينة من الآثار الدينية .

الخزانة المباركة وأهم ما فيها :

الخزانة الحسينية المباركة واقعة قرب الضريح الشريف من جهة الشرق تقريباً وهي غرفة حصينة لها باب صغير من خشب الساج متينة . وليس للغرفة شبابيك على ما أظن — لأني لم أدخلها بل كانت المحفوظات فيها تجلب إلينا وبعد تسجيلها تعاد — . ويظهر لي أن داخلها ليس منظماً وأنه رطب لم يكن قد اعتني بحفظ موجوداتها لأني رأيت من بين المحفوظات ستائر (بردات) قديمة ثمينة جداً قد أثرت في بعضها الرطوبة فأفسدته . وقد عتبت بذلك على من كان يتولى أمر الخزانة . وإن أهم المحفوظات في الخزانة مما يستحق الذكر هو :

١ — تاج من قطيفة خضراء منقوشة بقصب في ستة زوايا . وعلى كل زاوية شريط من قصب ربط فيه « ٩٤ » لؤلؤة وسط . وبهذا التاج طوق ذهب له « ١٦ شرفة » . كل شرفة مزينة بلؤلؤ وحجرين أحمرين . ومجموع اللؤلؤ في الشرفات « ٣٨٣ » لؤلؤة . وتحت الشرفات يدور عقد يحتوي على « ١٢٥ » لؤلؤة كبيرة وفي ذيل الإطار الذهبي عقد آخر من اللؤلؤ يحتوي على (١٣٧) لؤلؤة كبيرة . وفي الإطار « ٣١ » قطعة حجر من « اللعل » الأحمر ، ثمانية أحجار منها كبيرة مسطحة والباقي وسط وصغار . وهذا التاج محفوظ في صندوق من فضة مثمن على شكل (فانوس) .

٢ — حمائل سيف أهداها أمير طامبور حسن علي خان . وقد وشّي بست وردات ذهب في وسط كل وردة قطعة كبيرة من الزمرد الأخضر الجيد . وفيه ثلاث عضادات من ذهب إحداها مستطيلة فيها أحجار من زمرد ومن ياقوت صغار ، وواحدة مربعة فيها ثلاثة أحجار من ياقوت وثلاثة من زمرد ، وواحدة صغيرة فيها حجر من ياقوت وحجر من زمرد . وكل الأحجار المذكورة من النوع الجيد .

٣ — سيف قديم من ذهب أهداه حسن علي خان . وهو مؤلف من نصل بقبضة ذهب وغمد فيه اثنتا عشرة قطعة كبيرة من الزمرد الجيد وثلاث عشرة من الياقوت الأحمر الجيد . وفي طرف الغمد عند ذباب النصل قطعة ذهبية فيها اثنتا عشرة قطعة زمرد كبار من النوع الجيد واثنتان وعشرون قطعة ياقوت أحمر جيـــد . ومقبض السيف منقوش ، فيه أحجار كريمة وحجر زمرد فاخر .

٤ — سرج من ذهب ومعه عذار وقلادة و« كوش » ومدار من ذهب . وبطانته قطيفة خضراء ، ومعه ثلاثة وجوه من قطيفة مقصبة الحواشي ، وله ركوب من فضة .

٥ — مرآة ملونة أطرافها ورق ذهب بحاشية مزينة بـ « ٧٧ » قطعة ياقوت أحمر ، وعليها تاج من ورق ذهب مزين بأحجار ياقوت وزمرد وماس عادي .

٦ — دملج تعويذة « بازبند » في وسطه دائرة مزينة بالماس وفوقه فرع مزين بالماس وفيه حجران من زمرد .

٧ — زوجا قرط كبيران من ذهب مزينا الأطراف باللؤلؤ وفي سطح كل منها أحجار من ياقوت وزمرد .

٨ — شكالة صدر ذهب مشبكة مزينة الأطراف بأحجار من ماس وياقوت . وفي وسطها حجر زمرد كبير ثمين . وهي مزينة الأطراف بأحجار مختلفة من ياقوت وماس . ولها ثلاث فروع في رأس كل فرع حجر زمرد وفي وسطها حجر فيروز .

٩ — شكالة من ذهب بشكل رأس ديك ، مزينة بياقوت وقد كتب فيها « وقف روضة مطهرة شاه كربلاء سنة ١٢٧٦ » .

١٠ — عصابة فيها ثلاث وتسعون قطعة ذهب مترابطة مزينة بأحجار فيروز وياقوت .

١١ — عقد لؤلؤ مع أحجار زمرد وياقوت . وزنه « ١٥ » مثقالاً .

١٢ — لة لؤلؤ من ثلاثة عشر سمطا يحتوي كل سمط على « ٢٤ » لؤلؤة .

١٣ — لوحة زيارة مزينة بأحجار ياقوت وزمرد وفيروز .

١٤ — غشاء مقصب يستعمل لوجه فرس يبدأ بسفيفة مؤلفة من إحدى عشرة قطعة ذهب في كل قطعة أحجار من ياقوت وزمرد .

١٥ — ستارة قطيفة مزينة الأطراف والوسط باللؤلؤ على نقوش من قصب .

١٦ — ستارة قطيفة مزينة باللؤلؤ . وقد كتب عليها « تقديم أنيس الدولة » .

١٧ — حاملتا شمع « شمعدان » كبيرتان جذراها من فضة وأعلاهما من ذهب لا يقل وزن ذهب كل واحدة عن « ١٥٠٠ » مثقال تخميناً . وهما هدية من والدة السلطان عبد العزيز بن السلطان محمود العثماني . وقد وضعتا تحت قبة الضريح الشريف .

١٨ — قنديل من ذهب وزنه مع ما فيه من مواد أخرى « ٤٠٠ » مثقال .

١٩ — رشاش ماء ورد « كابدان » من ذهب وميناء وزنه « ١٢٧ » مثقال مزين باللؤلؤ ناعم وعلى نحاية لطيفة . ويظهر أنه قديم . وأعتقد أنه عظيم القيمة .

٢٠ — غلاف مصحف من ذهب وزنه « ١٣١ » مثقالا .

٢١ — سيف من ذهب مهدى من « ميرزا محمد خان » وهو ثمين جداً وقد وضع داخل شبكة القبر الشريف .

٢٢ — سجادتان منسوجتان باللؤلؤ وقد كتب فيهما « سبحان ربي الأعلى وبحمده » .

٢٣ — سجادة بيضاء كتب فيها أسماء الأئمة الاثنى عشر .

٢٤ — مجموعة من تروس وسيوف ودروس وخناجر وقامات قديمة وشمامد ، لها قيمتها التاريخية .

٢٥ — ترس يظهر أنه قديم جداً مسمر بمسامير من ذهب ومزين بأحجار ياقوت « وقد علق داخل شباك القبر الشريف » .

٢٦ — قطع طنافس صغيرة مختلفة الأحجام قديمة ثمينة جداً .

٢٧ — ما يزيد على مائة ستارة ثمينة جداً ، قديمة من صنع الهند وإيران وسائر البلاد الإسلامية الأخرى . وهي مختلفة الأحجام طولاً وعرضاً ، من طول أربعة أمتار وعرض ثلاثة أمتار وما يقل عن ذلك بقليل أو يزيد بقليل . وبعضها مقصب ومزين بلؤلؤ ونحوه من أحجار أو زينة أخرى . وأعتقد أنها ثمينة جداً . وفي بعضها كتابات من قصب مثل « بسم الله الرحمن الرحيم » و « لا إلـه إلا الله » .

٢٨ — ثمانية رزم تحتوي على ستائر وأعلام قديمة مختلفة الأنواع من هندية وإيرانية . وكثير منها أصبح غير لائق للاستعمال لقدمه وتأثير الرطوبة فيه .

٢٩ — وردة من ذهب عليها شكل طير ولها خمسة هدب صغيرة مرصعة بأحجار ماس ، خمسة منها كبار ثمينة ، وستة منها وسط .

٣٠ — أربعة دمالج نماويف « بازبند » كلها ثمينة مزينة باللؤلؤ الناعم .

٣١ — عشر شكلات « جقة » من ذهب مزينة بأحجار كريمة من لؤلؤ وماس .

٣٢ — قلائد ذهبية « كردانة » واطواق ذهبيـة كلها مزينة بأحجار كريمة من لؤلؤ ونحـوه .

٣٣ — كمية كبيرة جداً من الذهب والفضة بأشكال كفوف . كثير منها مزين بنقوش وبعضها بأحجار كريمة .

ان هذا هو مجمل ما في الخزانة الكريمة من الآثار والمحفوظات من الهدايا الثمينة . وهي بالنظر الى قدمها ذوات قيمة وشأن .

أهم ما في الحضرة الشريفة من الطنافس « الزوالي » .

في الحضرة الشريفة من الطنافس « الزوالي » الثمينة القديمة الشيء الكثير . منهـــا ما لا استطيع تقدير قيمته لمراقته في القدم وجودته . ومن أهمها :

١ — طنفستان طول كل منهما خمسة أمتار تقريباً وعرضه أربعة أمتار تقريباً من نوع كاشان ، أرضيتها قصب (سورمه) مكتوب في وسطها « وقف حرم محرم ركن الدولة نارين » .

٢ — طنفسة من عمل همدان نيلية مقصبة منقوشة نقوشاً لطيفة . وقد كتب عليها ببياض من « حاج ناصر الملك الشيرازي » .

٣ — طنفسة من عمل أصفهان طولها يزيد قليلا على (٨) أمتار وعرضها (٥) أمتار . وهي قديمة جداً وثمينة ، صفراء اللون بحاشية سوداء .

٤ — خمس وسبعون طنفسة قديمة ثمينة مختلفة الأحجام ، فمنها ما طوله (١٤) متراً وعرضه (٧) أمتار ، ومنها ما طوله (١١) متراً وعرضه (٤) أمتار ، ومنها ما يتردد بين تسعة أمتار وستة أمتار طولاً وثلاثة وأربعة عرضاً . وهـــكذا . وكلها من النوع الفاخر الجيد من عمل « فرهان » أو (همدان) أو (قائين) أو (كاشان) أو (شيروان) أو (كرمان) . وهذه الطنافس

ذوات شأن من حيث الشكل والنقوش والجودة ودقة العمل والقدم .

ولا تزال الهدايا الى العتبة الحسينية المقدسة تتوارد وتحفظ فى الخزانة أو الأماكن الأخرى المناسبة لها .

ان للعتبات المقدسة فى العراق شأناً عظيماً عند المسلمين على اختلاف مذاهبهم وفرقهم وهي تقع فى أربع مناطق :

١ — منطقة الكاظمية القريبة من بغداد ، بل قد انصلت ببغداد لاستمرار العمران واتصاله . وفى هذه المنطقة العتبة الكاظمية المقدسة .

٢ — منطقة سامراء وتسمى قديماً « سر من رأى » . وكانت تسمى أيضاً « العسكر » . وفيها عتبة الإمامين علي الهادي ، ويلقب بالنقي أيضاً ، والحسن العسكري نسبة الى العسكر التي هي سامراء .

٣ — منطقة كربلاء وفيها عتبتان ، الأولى عتبة سيد الشهداء الإمام الحسين بن الإمام علي ابن أبي طالب ريحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن البتول الطاهرة فاطمة الزهراء بنت محمد ابن عبدالله رسول الله وخليله . والثانية عتبة الإمام العباس بن علي بن أبي طالب . ويسمى أيضاً (العباس السقاء) . واظن ان لقب السقاء جاءه من اقتحامه خط العدو وجلبه الماء من الفرات لأهله ، وكانوا قد منعوا من الوصول الى الفرات . فهذا اللقب على هذا التفسير الذي أراه لقب مدح وتشريف .

٤ — منطقة النجف . وهي فى الحقيقة جزء من الكوفة . وفى هذه المنطقة عتبة أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين الامام الغالب ، علي بن أبي طالب بطل الاسلام وفخر العرب .

ولهذه العتبات والراقدين فيها من الأئمة تاريخ طويل له محل آخر .

ويختص اسم (العتبة المقدسة) بما مر بيانه ، ولا يطلق على غيره من مساجد ومزارات في العراق مهما عظم شأنه . وقد سنت الحكومة العراقية سنة ١٩٥٠ تشريعاً فرعياً (نظاماً)

للعتبات المقدسة برقم (٤٢) قررت فيه أحكاماً تهدف الى إصلاح شؤونها الإدارية وصيانة كيانها الرفيع . ثم عدلته بنظام مرقم بـ (٣٢) لسنة ١٩٥٣ أدخلت بموجبه ضمن (العتبات المقدسة) سرداب الإمام المهدي في سامراء ، والجامع الذي يضم ضريح الصحابي الكريم (سلمان الفارسي) في ناحية (سلمان باك) قرب بغداد . وهذا التصرف خلاف للعرف .

منير القاضي

المجاميع الأدبية

(من مصادر تاريخنا الأدبي)

١ — في العهد العباسي

إنهمكنا في أيامنا الأخيرة في أمور السياسة ، ولم نعد نلتفت الى ثقافتنا أو آدابنا . وكان يؤمل الانتاج الأدبي ، والدراسات الأدبية من رجال أدبنا الا أنهم غرتهم السياسة بسيلها الجارف ، فحرموا الفائدة كما حرموا التوجيه ، فكانوا أشبه بنجار قضى غالب عمره في مهنته ، وحاول في يوم واحد أن يصير حداداً ، فأضاع الأمرين ، وأخطأ الشيئين .

لم تر أمة أغفلت أمر ثقافتها ، ومدونات الأمم تشهد بهذا الميل فقدمت ما استطاعت الا أن رجالنا تباعدوا حتى عن التوجيه . وفي هذه الحالة ليس لنا الا أن نرجع الى تاريخ أدبنا في عصوره القديمة ، أو بالتعبير الأولى الى مصادره لعلنا نلمح ما يبصر أو يدعو الى معرفة . فلم يبق لنا أمل الا في تاريخ أدبنا ومصادره .

ومراجعنا التي نرجع اليها أو نعوّل عليها كثيرة لا تحصى . وهذه لحقها التمحيص العلمي ، والتنظيم والترتيب ، وتناولت الآراء عليها بالنقد والتدقيق الصحيح . ومن أجل هذه المراجع (المجاميع الأدبية) ، فانها من خيرها . وهنا أذكر بعضها مما يفيد الشمول بنظرة سريعة الى آخر العهد العباسي ، ومن ثم أتناول ما بعد ذلك في العراق خاصة ليعلم ما هنالك من مصادر وبيان قيمتها العلمية والأدبية .

سار العرب في تاريخ أدبهم بابداع غير مسبوق بمثال ، فنهج الأدب نهجاً حراً في مادته ، وفي تاريخه ، فدوّنوا عن الأدب الجاهلي ، فتكونت مؤلفات خالدة في تاريخه كما في مادته .

وهكذا فعلوا في المنتقى المختار منه كما جروا على ذلك في أدب المخضرمين ، وفي الأدب الأموي . وطريقتهم ماضية في أحيـــاء التراث الأدبي ، فكان عملهم هادياً ومرشداً حيث لا هادي ولا مرشداً .

ولم يكتفوا بهذا . وانما كتبوا مجاميع منوعة بصورة أمالي ، ومحاضرات فلم يتركوا أمراً من أدب العرب ، ولـكن الانتبـاه الأدبي ساق الى التنظيم عن أهل العصر ، ومراعاة السلسلة في الأدوار . كتبوا عن الأدب المعاصر ومخلفاته فيما رأوا من منظوم ومنثور ، فظهرت آدابهم في الآثار والمخلفات . وهـكذا ، في التاريخ الأدبي ، ومن ظهر من أدباء ، وما تـكون من أدب .

وهـذا الأدب لم يهمل الأدب الجـاهلي . فاذا كان قد أدى خدمات جلى لفهم الـكتاب ومجاري لغة العرب لتفهم آي الذكر الحـكيم ، فان الـكتاب العزيز أكسب الأدب المعاصر رقة ، ونال من الحضارة تهذيباً ونفوذاً ، فكان أدب أهل العصر بعد الأدب الجاهلي ، والمخضرم ، والأموي ، فصح أن نسميه الأدب المعاصر ولـكنه لم ينسخ ما سبقه بل صار قوة وسنداً له .

وعلماؤنا كتبوا فيه كثيراً ، وهم أدباء بل لم يظهر عالم الا بما اكتسب من أدب قويم وثقافة كاملة من وجوهها المقبولة ، فـكتب أفاضل عديدون منهم (مجاميع) كل واحدة منها تمثل أدب أهل عصرها من العهود العباسية . وفيها عيون ما قال الأديب أو نطق به من مختار الشعر ، ومضوا بها حتى منتهى العصـور العباسية . وفي كلها حافظ الأدب العربي على ارتباطه بما سبقه ، ولا يضارعه أدب أمة في هذا النهج ، وفي ذلك الزمن .

ويهمنا بيان أشهر مجاميع العهود العباســـية مما يفيد كمصدر للتاريخ الأدبي واطراده ، واستمرار أوضاعه كأدب موحد بل أدب واحد ، لم يهمل جاهليه ، ولا اسلاميه ، ولا أمويه ، ولا عباسيه .

وهذه أشهر المجاميع في التاريخ الأدبي :

١ — مجموعة هارون بن علي المنجم المتوفى سنة ٢٨٨ هـ — ٩٠٠ م وفيها ذكر ثلة كبيرة من الشعراء بلغوا ١٦١ شاعراً . افتتحها بـ (بشار بن برد) ، وختمها بـ (محمد بن عبدالملك) .

اختار فيها من كل شاعر عيون شعره ، فأغنى عن دواوينهم ، وهذا الأستاذ فتح باباً في هذه (الخطة الأدبية) ، أو في تدوين (الأدب المعاصر) ، بجمع ما ظهر من أدب ، فوحّده ونظمه أو رتبه ترتيباً علمياً . فكان له الفضل الكبير الذي لا ينساه (تاريخنا الأدبي) . وسمى كتابه هذا (البارع في شعراء المولدين) .

والملحوظ ان هذا الكتاب مختصر من كتاب ألفه قبله في هذا الفن ، فحذف منه ما حذف لسمته ، وليسهل تداوله ، وينتفع العموم ، فصار أصلاً نسج كثيرون على منواله ، فلاحقوا العصور لمن تلا من أدباء ، فصار هذا الأثر صفحة تاريخية عظيمة الأثر في تاريخنا الأدبي كما في أدبنا مما لم تملكه أمة في تاريخ أدبها من ثروة وغنى أدبي . بحيث صار كل مجموع أدباً معاصراً لمن كان في عهده من أدباء . ومن مجموع ذلك (تاريخنا الأدبي) .

ومجموعة المنجم خفيت عن الأنظار ، أوفقدت ، فخلفتها مجاميع عوضت . وجاء في (كشف الظنون) ذكر (كتاب الباهر) في شعر المخضرمين من شعراء الدولتين . وهذا من تأليف أبي منصور يحيى بن علي المنجم وهو أخو هارون ووقف في مروان بن أبي حفصة ، فأتمه ابنه أحمد ابن يحيى ومثله في (ابن خلكان) الا أن ياقوت الحموي ذكر أنه في المخضرمين دون ذكر الدولتين ومهما كان فان هارون وأخاه وابن أخيه قاموا بمهمة تاريخية أدبية معاً . ولكن الملحوظ من بيان صاحب الكشف ، وصاحب الوفيات أن الباهر والبارع يشتركان في الموضوع ، ويؤسف ضياع هذين الأثرين والأمل أن يعثر عليهما ، لتزيد الثقافة ، وتمكين أول من كتب في تاريخ أدبنا ، وصارت خطته نهجاً لمن جاء بعده .

هذا مع العلم بأن أبا حاتم سهل بن محمد السجستاني المتوفى سنة ٢٥٠ هـ — ٨٦٤ م قد سأله ابن دريد المشهور عن الشعراء المولدين فعدت جماعة منهم بخير النعوت وهذه الرسالة عندي مخطوطتها . وربما تعد أول ما كتب في سلسلة شعرائنا . ومثله (كتب طبقات الشعراء) .

٢ — مجموعة اليزيدي بخط الأستاذ ابن أسد المتوفى سنة ٤١٠ هـ — ١٠٢٠ م وهو من الاساتذة المشهورين في الخط أخذ عن ابن مقلة . رأيت بخطه كتاباً (مراثي وأشعار وأخبار

ولغة) عن أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي [1] من ابن حبيب عن عمه الفضل عن اسحاق ابن ابراهيم الموصلي وغيره . وقال سمعت ذلك أجمع من أبي عبد الله وصححته ... وفيه ما سمعه أبو عبد الله من أبي حرب المهلبي وعدة قصائد من اختيار المفضل والأصمعي ذكر ذلك أبو عبيد الله بن مقلة [2] ونقلته من أصله ، بخط محمد بن اسد بن علي القاري [3] سنة ٣٦٨ هـ — ٩٧٩ م . وابن أسد شيخ ابن البواب كما جاء في غلافهما وأيد ذلك أبو الفداء وممن تملك هذه النسخة عبد القادر بن عمر البغدادي سنة ١٠٨٠ هـ — ١٦٧٠ م وكتب اسمه عليها [4] .

٣ — مجموعة الأستاذ الثعالبي المتوفى سنة ٤٣٠ هـ — ١٠٣٨ م أعني بها (يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر) . وألحق بها (تتمة اليتيمة) . وقد جمعا أدباً غزيراً لمختلف الأصقاع الاسلامية . وكان الأدب العربي شائعاً ، والناس منصرفون اليه . طبعت اليتيمة في دمشق سنة ١٣٠٣ هـ وفي مصر سنة ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م وتتمة اليتيمة طبعت في جزأين في طهران بتحقيق الأستاذ عباس اقبال سنة ١٣٥٣ هـ .

٤ — مجموعة أبي علي الحسن بن المظفر النيسابوري المتوفى في ٤ شهر رمضان سنة ٤٤٢ هـ — ١٠٥١ م وهذه المجموعة مهمة . ولم نقف عليها . وكنا نأمل أن تظهر هذه السلسلة ، فيعرف (تاريخ الأدب العربي) في الشعر خاصة لمختلف الأقطار العربية والاسلامية ، لتدرك

(١) ترجمته في تاريخ دول الأعيان تأليف ابن أبي عذيبة ج ٣ ص ١٥٥ مخطوطتي والسمعاني وفي هدية العارفين ج ٢ ص ٢٩ و ٣٠ وتوفي سنة ٣١٣ هـ — ٩٢٥ م .

(٢) يريد به أخا الوزير .

(٣) جاء في تاريخ أبي الفداء ذكر اسمه بالوجه المذكور في ج ٢ ص ١٦٠ عند الكلام على (ابن البواب) ولم يذكره في تاريخ وفاته وهدية العارفين ج ٢ ص ٩١ وابن خلكان (وفيات الأعيان) ج ١ ص ٤٠٢ .

(٤) هذه النسخة في خزانة السليمانية من كتب الرئيس مصطفى برقم ٩٠٤ وهذا الكتاب طبع على هذه النسخة بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد دكن في الهند سنة ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م . ولم تصور فيه الصفحة الاولى ليعرف خط ابن أسد .

درجة توغل هذا الأدب ، والميل اليه من جميع الأمم الاسلامية كما نطلع على شعراء المسلمين في هذه اللغة ودرجة التأثر بها . وجاء في معجم الأدباء : وله كتاب ذيله على تتمة اليتيمة لم أقف على اسمه [1] . وهو معاصر للثعالبي .

٥ — مجموعة الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧ هـ — ١٠٧٤ م . وهـذه حذت حذو اليتيمة ، وجعلها ذيلاً عليها ، سمّاها (دمية القصر ، وعصرة أهل العصر) طبعت بالمطبعة العلمية بحلب باعتناء المرحوم الأستاذ محمد راغب الطباخ سنة ١٣٤٩ هـ — ١٩٣٠ م . وأضاف إليها ملتقطات من ديوانه . وهذا أيضاً نرى الزمن متقارباً . فكان الاحصـاء منقوصاً فأتمـه ؛ وزاد عليه بمن تجدّد في شعره ، أو ظهر بما جدّ من الشعر . فزاد كل واحـد من هؤلاء المؤرخين في الأدب شعراء فاتهم من سبق ، أو أغفل ذكرهم ، وبدا شعراء أتموا السلسـلة . والمدة كافية لأن ينبغ أدباء في الشعر بعد من ذكرهم الأستاذ الثعالبي ، فظهروا في هذا العصر ، واقتضى التدوين عنهم .

والظاهر أن الباخرزي كتب دون أن يلم بالنيسابوري ؛ والمادة منتشرة ، وكان من المهم الاطلاع على المجموعتين كلها ، وأن نعرف ما فات كل واحد منها . وليس ببعيـــد أن نعثر على المجموعة الأولى من ذيول اليتيمة كما عثرنا على الأخرى فطبعت .

٦ — مجموعة أبي الحسن علي بن زيد البيهقي المتوفى سنة ٥٦٥ هـ ـ ١١٦٩ م وكان من المؤرخين الأفاضل ؛ وله (مشارب التجارب) أتمّ به حوادث (تاريخ اليميني) ، و (تاريخ بيهق) و (تتمة صوان الحـكمة) في تاريخ الفلاسفة . ومجموعته هذه سمّاها (وشاح الدمية) جعلها ذيلاً على دمية القصر للباخرزي ، فمشى على نهج من سبقه ، وروعيت السلسلة والترتيب بذكر ما فات ، وبيان ما جدّ .

٧ — مجموعـة الحظيري الورّاق المعروف بدلال الـكتب المتوفى في صفر سنة ٥٦٨ هـ —

(١) معجم الأدباء طبعة الأستاذ (مارگليوث) ج ٣ ص ٢١٨ . وهدية العارفين ج ٢ ص ٢٧٥ .

١١٧٢ م . وسماها (زينة الدهر وعصرة أهل العصر) . ذكر فيها ألطاف شعر العصر ، جعلها ذيلاً على دمية القصر [١] . ولا شك أنها اشتركت مع سابقتها وشاح الدمية . وكان أملنا كبيراً أن نقف على ما هنالك مما يمس برجال الأدب العربي ، ومخلفاتهم الأدبيـة المحافظة على اطراد الأدب ومراعاة ترتيب عصوره .

ونستطيع أن نعد كتاب (نزهة الألباء) في ضمن هذه المجاميع وهو لأبي البركات عبد الرحمن بن الأنباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ ـ ١١٨١ م .

٨ — مجموعة العماد الكاتب الاصبهاني المتوفى سنة ٥٩٧ هـ — ١٢٠٠ م وهو أبو عبد الله محمد بن صفي الدين الملقب بـ (العماد الكاتب الاصبهـاني) ويعرف بإبن أخي الوزير . وكان كاتباً ، وفقيهاً شافعي المذهب ، تفقه بالمدرسة النظامية زماناً ، واتقن الخلاف وفنون الأدب ، وله من الشعر والرسائل ما لا يحصى ، وكان قد نشأ باصبهـان ، وقدم في حداثتـه ، وتفقه على الشيخ أبي منصور سعيد بن محمد الرزار مدرس النظامية ، وسمع بها الحديث من أبي الحسن علي ابن هبة الله بن عبد السلام ، ومن أبي منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون ، ومن أبي المكارم المبارك بن علي السمرقندي وغيرهم ، وأقام ببغـداد ، ولما تخرج وهو تعلق بالوزير عون الدين يحيى بن هبيرة ببغداد ، فولاه النظر بالبصرة ، ثم بواسط [٢] .

وعرفت ثقافته في الشام ، واشتهر فيهـا ، وظهرت مؤلفـاته ، فكان غرة في جبين الدهر ، وآثاره تشهد بقدرته ، وتؤيد مكانته وعـدة دعاها بـ (خريدة القصر وجريدة العصر) وهـذا الكتاب العظيم في عشرة مجلدات طبع في مصر القسم المتعلق بشعرائها ونشره الأساتذة أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس بمجلدين طبعا في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥١ م وطبع المجلد الأول من قسم شـعراء الشام في المجمع العلمي العربي بدمشق بتحقيق الدكتور شكري فيصل سنة ١٩٥٥ م وطبع المجلد الأول من قسم شعراء العراق في المجمع العلمي

(١) ابن خلكان الطبعة الكستلية ج ١ ص ٢٨٦ .

(٢) دول الأعيان تأليف ابن أبي عذيبة ج ٥ ص ٢٢٤ وفيه تفصيل ترجمته .

العراقي سنة ١٩٥٥ بتحقيق الأستاذ محمد بهجت الأثري والدكتور جميل سعيد ولا تزال بعض مجلداته مخطوطة وعندي مجلد مخطوط يتعلق بشعراء ايران يرجع لعصر المؤلف أو قريباً منه ونأمل أن تطبع بقية مجلداته وهو يعد ثروة أدبية غزيرة جمع شعراء العراق والشام والجزيرة ومصر والمغرب والعجم مما بعد سنة ٥٠٠ هـ — ١١٠٦ م وانتهى بسنة ٥٩٢ هـ — ١١٧٦ م ولم يترك إلا النادر الخامل وأحسن في هذا الكتاب وأجاد وجعل كتاب (زينة الدهر) مكملاً وذيله بكتابه (السيل على الذيل [1]) .

٩ — مجموعة ياقوت الحموي [2] المتوفى سنة ٦٢٦ هـ — ١٢٢٨ م . وهذه هي المسماة (معجم الأدباء) أو (إرشاد الأريب لمعرفة الأديب) في تلخيص للعصور المارة ، وذكر لعصورها . وربما أغنت في مادتها متطلب الإجمال . فهي مجموعة نفيسة أجملت رجال الأدب للعصور السالفة ، وجاءت بلا شك مكملة للخريدة وذيلها . وجامعة لمن تقدم من أدباء العصور ولو كانت مرتبة على تاريخ الوفيات لعددناها خلاصة لما قبلها من كتب (المجاميع) ولكنها جاءت على ترتيب المعاجم .

١٠ — مجموعة ابن الشعار الموصلي [3] المتوفى بعد سنة ٦٦٠ هـ — ١٢٦١ م ، وهذه تتلو مجموعة العماد الأصبهاني بل أنها تبدأ من سنة ٦٠١ هـ — ١٢٠٤ م وتمضي الى سنة ٦٥٤ هـ — ١٢٥٦ م أي الى قبل سقوط الخلافة العباسية ببغداد ومجموعته هذه تسمى (عقود الجمان في شعراء الزمان) ، ومعناها (قلائد الجمان في فرائد الزمان) ، بدأ بهم من أوائل المائة السابعة الى السنة المذكورة أو إلى آخر العهد العباسي ، في عشرة مجلدات ضخام منه ثمانية مجلدات في خزانة السليمانية (أسعد أفندي) في استنبول وهي مسجلة من رقم ٢٣٢٣ الى ٢٣٣٠ ، وينقصه الثاني والثامن . وقد

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢ ص ١١٠ .

(٢) تفصيل ترجمته في كتاب التعريف بالمؤرخين المطبوع ببغداد سنة ١٩٥٧ م ج ١ ص ١٠ — ١٥ .

(٣) تفصيل ترجمته في كتاب التعريف بالمؤرخين ج ١ ص ٧٥ و ٧٦ .

بذلت جهوداً في التحري عنها ، فلم أتمكن . وكانت المحاولات غير مجدية . وفي كشف الظنون أنه مجلدان ، ولعلها كتابان .

وابن الشعار صاحب هذه المجموعة قال في مقدمة كتابه هذا أنه كان قارب إنهاء كتابه الموسوم بتحفة الوزراء المذيل على معجم الشعراء للمرزباني فأخلد أن يجمع من الشعراء الذين دخلوا في المائة السابعة وأدركوها ، وانخرطوا في سلك فريقها وجاوزوها ، ومن وطأ بساطها ، وسلك صراطها على حسب ما صار لدى حصوله . واتفق لي وقوعه ووصوله من شعراء عصري ومحاسن فضلاء دهري ... حاوياً لشوارد كلامهم ، مشتملاً على السمين والغث ، والقشيب والرث ، ليكون أجلى في العيون وأبهى ، وأحلى في النفوس وأشهى ، لا يمل من تصفحه قاريه ، بل يروقه ما اشتملت عليه تطاويه ...

وفي مقدمته يذكر يتيمة الدهر والخريدة وكتباً عديدة كان هذا شأنها في تمثيل أهل عصرها ، ولم يترك فيه من كان في ثغور الروم ، أو في ديار بكر . أو الشام مثل ابن الساعاتي وكثيرين ، وفي العراق ، وأكثر من شعراء اربل . وكان عاش فيها بخدمة ابن المستوفي أمداً طويلا . واعتمد تاريخه كثيراً .

وهذه المجاميع يتكون منها ومن غيرها مما هو أشمل وأهم مثل أمالي القالي والبيان والتبيين للجاحظ والكامل للمبرد ... تاريخ أدبنا ، وتعرفنا بخلاصته وصفوته بحذق فنونه ، وما يصح أن يستظهر من مختار الآداب .

وللأمم عناية بهذه المجاميع وفي ايران وتركيا والهند تعرف بـ (التذاكر) . وفي تركيا يقال لها أيضاً (مجموعة أدبية) . وكلها جرت على نهج العرب ، ولكنها لم تبلغ ما عندنا من إتقان واطّراد ، فتعد من أجل المختارات ، فهي خير مدرب للأدب الذي يبدأ بحفظ المختارات ، ثم بالتشطير ، فالتخميس ، ثم يمضي الى معارضة الشعراء في بعض القصائد ، فيعتبر كوسيلة للتمرين حتى يبدع . وعلى هذا النهج التدريب على النثر .

كانت هذه المجاميع تمدّ صفوة أدبنا ، ومن خير المصادر في (التاريخ الأدبي) وعلى هذا جرى أدبنا في الأقطار الأخرى ، وفي الأندلس خاصة ، وهو ذو صلة مكينة ، وعلاقة وثيقة بأدبنا وتاريخه .

وعلى كل حال علمنا جملة مجاميع لا على سبيل الاحاطة من مصادر تاريخ أدبنا وتسلسلها في وثائقها للعهود العباسية بل في أهم وثائقها وهي (المجاميع الأدبية) فهل العصور التالية جرت على غرار ذلك ؟ أو من نوع هذه الطريقة المستمرة ؟

٢ — في عهود المغول والتركمان

لا شك أن المجاميع الأدبية للعهود العباسية أدت خدمات عظيمة لـ (تاريخ أدبنا) ، فكانت من أجل المصادر ، بل هي (تاريخ أدب) موسع لم يعهد مثله ، ولم يكن أوضح منها بتفصيل زائد إلا (أصل الآثار الأدبية الخاصة) ، من دواوين أو مجموعات تعين أدبياً ، وما توالى كذلك من أدب ناطق ... وأنى تحصل هذه في مجموعة كاملة ، أو في خزانة ، أو معهد ... !

وكان من المهمّ مراعاة هذه السلسلة لما بعد العهود العباسية فهل هناك ما يصح أن يعوّل عليه من مجاميع أمثال تلك للعصور التالية :

إننا الآن نتناول هذا الموضوع . ولا نعدم أمثال تلك المصادر ، وإنما روعيت تلك الحالة بعينها في العهود التالية ، واستمرت أمداً ، وان الفواصل التاريخية لم تهمل الآثار الأخرى بقدر المستطاع ، فالمجاميع الأدبية لم تنقل هذه المعرفة ، فصارت خير مرجع للمؤرخين ومصدراً للمتأدبين ، نقلوا المهم منها ، وعاد في الإمكان الرجوع الى التواريخ ، ولم يؤثر بعد الزمن ، ولا فقدان آثاره في الحروب أو بسبب الأيدي العاتية ، ومنها ما نقلتها الرغبة العلمية ، فصارت زينة المالك ، أو نماذج آدابها ، أو طريق التوسع في المعرفة التاريخية .

فهنا مراجعنا ليست خاصة بناحية من نواحي الثقافة وهي (المجاميع) ، وانما هناك تواريخنا ،

بل إن تاريخ أدبنا لا يقف عند حدود التواريخ والاتصال بها ، وإنما الآثار الأدبيـــة نفسها وكتب النقد الأدبي وأمثالها وسيلة للمعرفة ، ولكن (المجاميع الأدبية) تهمنا أكثر ، فهي مما تدعو الحاجة إليها ، وتعد ألزم لموضوعنا ، وهي مختارات هذه العصور .

وهذه أشهر المجاميع الأدبية التي راعت السلسلة الماضية مما يعد في طليعة المصادر لتاريخ أدبنا .

١ — مجموعة ابن الساعي [1] . هذه يقال لها (لطائف المعاني في ذكر شعراء زماني) . وتعد من أجل المصادر لاكمال الطريق الموصل الى (تاريخ الأدب) . ومثل هذا الأثر لا يحتمل ضياعه . والأمل أنه مطمور في زوايا الإهمال ، فيحتاج إلى إثارة ، ولا يستطيع أن يعلن عن نفسه من تلقائه . وأمثاله من المهملات كثيرة بل أن المعروف الذي لا يحتاج الى تتبع لم يباشر في طبعه ولا اتخذت التدابير لانقاذه من التلف .

نعلم أن ابن الساعي ولد سنة ٥٩٣ هـ — ١١٩٦ م وتوفي سنة ٦٧٤ هـ — ١٢٧٥ م ، فهذه المجموعة المتعلقة بشعراء زمانه متداخلة بلا ريب مع مجموعة ابن الشعار ، وبين هؤلاء الشعراء من يعود للعصر العباسي الأخير فيشترك في الاستفادة العصران ، وإذا كانت فقدت حقيقة هذه المجموعة ، فمن الضروري أن نلتمس ما فيها من المؤلفات التاريخية ، وفي المجاميع أمثالها لنسد الخلل ، والزمن المقصود في هذه المجموعة يختص بالنظر إلينا ما بعد العهد العباسي ، وهو قليل في مدته ، ولم يكن مجهولاً جهالة مطلقة .

٢ — مجموعة أخرى لابن الساعي . وسماها (أخبار الأدباء) . جاءت في كشف الظنون .

وهذه في الأدباء . وتفيد العصور العباسية أكثر من العصر التالي وهو عصر المغول ، عصر مؤلفها . ولعلها لا تخلو من علاقة ، ولو لمدة قصيرة .

---

(١) منتخب المختار ص ٣٥ ومقدمة الجامع المختصر لابن الساعي للدكتور الأستاذ مصطفى جواد . والتعريف بالمؤرخين ج ١ ص ٩٠ — ٩٥ .

وقد علمنا مؤخراً أنّ نسخة منه موجودة في مدينة حلب لدى وَرَثة الحاج قدُّور التاجر الحلبي . وهي تقع في خمسة مجلدات مؤرّخة بسنة ٨٨٥ و ٨٨٦ هـ (١٤٨٠ و ١٤٨١ م) . قاله الأستاذ كوركيس عواد نقلاً عن ذيل فهرست بولس سباط ، المطبوع في القاهرة سنة ١٩٤٠ (ص ٣٨ الرقم ١٠١٧) .

٣ — مجموعة ابن الفوطي المتوفى في ٣٠ المحرم سنة ٧٢٣ هـ — ١٣٢٣ م . وهي (الدرر الناصعة في شعراء المائة السابعة) . وهذه متداخلة في مجموعة ابن الساعي وابن الشعار وإن مثل هؤلاء الأفاضل كل واحد منهم كشف بلا ريب عن أمر جديد ، وتتضمن أمراً أو تعديلاً في سابقاتها .

وهذا أيضاً يعدّ من الآثار الضائعة أو الهالكة . وفي التحري من وجوده وأمثاله يوصل قطعاً الى ما يكشف عن أدبنا وتاريخه . وهو ثروة في أدبنا لا تزال مجهولة ، ولكن هل خفي ما عندنا باختفاء هذه المجموعة ؟

ذلك ما لا أقوله . دوّنت التواريخ عن شعراء عديدين ربما كانوا من المهيمنين الذين لا يتنكر أمرهم ، ولا يهمل شأنهم في التاريخ ، وفي تاريخ أدبنا . ولو كانت هذه المجموعة موجودة لأغنت في كشف عن هذه الصفحة الأدبية المهمة بصورة أوسع ممن كتب في التاريخ وله نفوذ نظر في التدوين . كان مارسه مدة ويكتب عن قدرة . خلف آثاراً عديدة ونافعة جداً .

وهذا الأثر وأمثاله نقل كثيرون منه . من أهمهم الذهبي ومن بعده ، وان ضياعه أواختفاءه عن الأنظار لم يحرمنا فوائده ، وإنما جعلنا في عناء من الانتفاع ، وطلب المراجع العديدة .

٤ — مجموعة أخرى لابن الفوطي . وهي (تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب) . وهذا وان كان تلخيصاً إلا أنه جامع لأدباء عديدين يشملون عصور العهد العباسي فمن بعده من الشعراء والأدباء . وهذا لم يعثر إلا على جزء منه ، وبعض نتف . ولا يهمل التتبع في أمره ، أزال

(١) تفصيل ترجمته في التعريف بالمؤرخين ج ١ ص ١٤٨ — ١٦٣ .

عن صفحة وإن كان لا يخلو من نقص . ولعل الأيام تظهر أجزاءه الأخرى وان طابع (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد) نقل ترجمته من مجمع الآداب في معجم الألقاب وهو أصل الملخص فلا ندري ما إذا كان رجع الى أصل الكتاب ، أو أنه نقل عن غيره ، أو اطلع على الترجمة منقولة من مجموع أو أنها مذكورة على نفس الشرح منقولة في حينها من الأصل .

وأعتقد أن المطبوع في الهند هو مجلد من الأصل . وجاء عنوان الكتاب مغلوطاً ويبدأ بحرف الكاف من الألقاب . ويستبعد أن يكون من التلخيص حققه الأستاذ الفاضل الحافظ محمد عبد القدوس القاسمي نشر المجلد الأول سنة ١٩٣٩ م والثاني سنة ١٩٤٠ م في الهند ومن الملخص المجلد الرابع في الخزانة الظاهرية بدمشق وأوراقه غير مرتبة بوجه الصحة .

ويعوض عن ذلك بعض التعويض (كتاب ذيل مرآة الزمان) لقطب الدين اليونيني وأجزاؤه موجودة الى سنة ٧١٣ هـ ، والحوادث الجامعة المطبوع بهذا الاسم أشار إلى بعض الأدباء . ومؤلفات أخرى ليست من موضوع بحثنا من أهمها تاريخ الذهبي الكبير .

٥ — مجموعة تقي الدين عمر ابن الشيخ حسن بن أبي المفاخر عدي بن أبي البركات بن مسافر . وهو الذي ينتسب إليه أمراء اليزيدية . وهذه من مجاميع القرن السابع . وتعد من أقدم المجاميع الأدبية إلا أنها غير خاصة بعهد مؤلفها . وإنما هي مختارات قديمة وغيرها ، ويصح أن تعدّ من مجاميعنا الأدبية النافعة . وعندي أصل هذه النسخة في مجلد ضخم يرجع إلى عهد المؤلف ، وليس فيها ما يشمّ منه رائحة الغلوّ ، وتبدأ بالحمدلة والصلاة على النبي وآله وصحبه . ومختاراتها مهمة .

٦ — مجاني العصر (المعصر) في تاريخ أهل العصر لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الاندلسي ولد سنة ٦٥٤ هـ — ١٢٥٦ م وتوفي في ٢٨ صفر سنة ٧٤٥ هـ — ١٣٤٤ م في مصر [1] .

٧ — معجم الشعراء والمنشدين (تعليقة في الشعر) .

(١) هدية العارفين ج ٢ ص ١٠٢ و ١٠٣ وفيه تفصيل مؤلفاته .

تأليف عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الدمشقي الشافعي ، ولد في ١٩ المحرم ٦٩٤ هـ — ١٢٩٤ م وتوفي في مكة في العشر الثاني من جمادى الأولى سنة ٧٦٧ هـ [١] — ١٣٦٥ م وفي هذا الكتاب ذكر جماعة من شعراء وأدباء بغداد والعراق وينقل من تاريخ ابن النجار . منه نسخة في المكتبة الوطنية في باريس برقم ٣٣٤٦ اسمها (نزهة الالبا)أو (تذكرة الأدبا) ولم يذكرها صاحب كشف الظنون قال لي ذلك الدكتور الاستاذ مصطفى جواد .

وجاء في هدية العارفين ان اسم الكتاب المشار اليه (نزهة الألباب فيما لا يوجد في الكتاب) [٢] .

٨ — مجاميع أخرى . انقضى عهد الدول وشطر من الجلائرية ، والمجاميع الأدبية متصلة في العراق . وفي هذا العهد ، وما بعده بقليل انتشرت مجاميع في الشام ومصر ، غالبها ذو علاقة بالعراق ، وذو اتصال به لم يهملها أو يغفل أمرها أكابر رجال الشام ومصر . ومن أهم هذه مجاميع الصفدي مثل (الوافي بالوفيات) ، و (أعيان العصر وأعوان النصر) وهذا الأخير تكلم في رجال العراق ، وبينهم من كان له نصيب من الأدب ، توسع في تراجمهم وذكر أدبهم ، ومثله ابن فضل الله العمري في كتابه الخالد (مسالك الابصار) . وهكذا يقال في القلقشندي في صبح الأعشى ، والنويري في نهاية الارب وكثير غير ذلك .

ثم توالى التدوين في هذه الاقطار ، ولم تنس العراق ، فكان لهذا الانتقال في التدوين أثره ، ولم يحرم القطر الا أنه تناوبته حوادث ، وتوالت عليه أرزاء دمرت الكثير من مخلفاته ، واستمرت حالاته المؤلمة حتى دخول العثمانيين العراق . ومهما يكن فالعراق لم يفقد ما يبين حالته الادبية من آثاره ، ومن آثار أقطارنا العربية الاخرى . والكلام على المجاميع الادبية في الاقطار العربية موطن لايسعه هذا البحث .

وجل ما نقول ان الاستاذ السيوطي كتب (بغية الوعاة) فحافظ فيه على الاتصال الادبي

(١) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٧٨ .

(٢) هدية العارفين ج ١ ص ٥٨٢ .

وله مؤلفات أدبية أخرى .

هذا . والأمر غير مقصور على المجاميع الأدبية . وإنما هناك (المادة الأدبية) ، و (كتب النقد الأدبي) ، و (كتب التاريخ) مما يطول تعداده ، وبيان قيمته الأدبية ، أو علاقته بأدبنا . وكل هذه لايزال أدباؤنا في غفلة عنها مع أنها توضح صفحات في الآداب ، وفي رجال الأدب . وهكذا تمتد العلاقة الى أيامنا الحاضرة مما لايسع التفصيل فيه ، فقد استمر البحث الى عصورنا الأخيرة من عراقيين عديدين .

ولا شك ان حالة العصر هذه امتدت الى العهد العثماني ، وفيها بيان مجاري الأدب ونموج الثقافة ومثلها الحالات السياسية والعلاقة الأدبية بها توضح أكثر ، وتزيد في البيان . فاذا كان الشعر مثلاً قد خرج من دائرة المديح والاستجداء نوعاً ، فلم يناصر من رجال السياسة ، فالوجهة الأدبية غير مقصورة على هذا النوع من الأدب ، وإنما ولدت العصور اتجاهات جديدة في الأدب وفي النقد الأدبي ، ولكل عصر اتجاهه الخاص به ، وفيه صفحات عظيمة النفع ..

وليس من موضوعنا التوسع في هذه الناحية ، ولكن يهمنا أن نعين ان متزعمي الأدب عندنا غالبهم حفاة . وكيف يستطيع أداء المهمة ، أو الواجب المعين لها وقد جاءها اعتباطاً ، وكان في هذا محروماً من المعرفة الأدبية وتاريخها ، وفي جهل عن السياسة الثقافية ومراميها ، أو محدود الفكر ، قاصر النظر ، جامداً مما يجعلنا في ريب من ادارة الأدب ، أو أن يقوم بأعبائه أمثال هؤلاء فضلاً عن تعهد (التوجيه الادبي) .

— نعم حرمنا ادارة أدبنا ، ولا يزال العجز يسوده ، والخذلان يلازمه ، وفي هذه الحالة لا نلتفت الى الأقوال ، أو الدعاوى الفارغة وآية « كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » تقف حجر عثرة في طريق التزعم الأدبي ، والأدباء المتزعمين .

نريد أن نمضي في (تاريخ أدبنا) الى استقصائه من منابعه الخالصة دون أن نكاشف أنفسنا عناء ، وان نقوم بالمهمة قياماً صادقاً ، وكيف يقدر من لم يؤهب نفسه لها ، وليس له ما يؤهله وهو لايملك من المعرفة ما يصلح لذلك التوجيه !؟

وفي (تاريخ أدبنا) رجعنا الى هذه المجاميع ، أو ما كانت هذه من مراجعه ، والى علاقات الأدب ، وتعرفنا للعصر ومجاريه ، ولرجاله .. وفي هذه جماع الفائدة فنستنطق ما فيها . والامر ليس بالسهل ، وهو ما يجب أن نحاوله ، وأن ندرك بعض صفحاته . والأمر ليس موكولاً الى فرد ، أو أفراد بل الى عمل الأمة بتوجيه صحيح ، وجهد مكين الا ان البذرة قد تنمو ، وأن المعرفة قد تتوالى فتترا كم ، وقد قيل قديماً « كل مجتهد مصيب » .

واننا في هذه الحالة اذا كنا لم نشاهد كافة الآثار الأدبية ؛ ولا جميع خزائن الكتب فمن الضروري أن يمضي التدوين في طريقه ، وان لا نتأخر عنه ، فنزيد ونضيف ما يتيسر الحصول عليه حتى نبلغ المدى .

سمعنا كثيراً من بعض المدعين ان له كتاباً أو مؤلفاً في الموضوع ، أو جمع من حين ، فهذه أقوال كل ما يمكننا أن نصفها بأنها ذرّ الرماد في العيون ولو كانت ابانت ، فقد طال الانتظار ، ونفد الصبر ، وفوات المدة الطويلة فضحت صاحبها أو مدعيها .

وعلى كل حال مصادر أدبنا كثيرة . واذا وجدت المجاميع الأدبية فلا يعدل عنها ، فيستعان بغيرها ، وانما يكون ذلك عند الفقدان أو الغياب عن الأنظار أو أن نراعي الشكل . ولا يقال بوجه ان الأدب انعدم . وان الثقافة ماتت بل تغير الاتجاه الأدبي ؛ ولم ينقطع الادب من الحركة والتطور المستمرين .

هذا . ما أمكن تلخيصه . والعهد العثماني واسع . وله بحث خاص به في تاريخ أدبنا .

عباس العزاوي

الشريعة الاسلامية
نظام اجتماعي شامل صالح

الشريعة لغة مورد الماء — أي المحل الذي يستقي منه الناس الماء للشرب غالباً . وهي في اصطلاح فقهاء الدين — الطريقة الموضوعة بوضع إلهي، أي الأحكام التي أنزلها الله تعالى لعباده على لسان أحد أنبيائه . وهي القواعد الكلية والأحكام الجزئية التي يرسم بها النبي خطة صالحة مستقيمة للناس في أمور معاشهم ومعادهم . وهي ما تسمى « الصراط المستقيم » المنوه بها في « فاتحة الكتاب » في آيتها الخامسة .

ولا فرق بين تلك القواعد والأحكام من أن تكون قد نص عليها النبي المشرع صراحة أو أن تكون راجعة إليه استنباطاً واجتهاداً . فيقال مثلاً : الشريعة المحمدية — وهي الإسلامية . والشريعة المسيحية . والشريعة الموسوية .

والشريعة بعرف القانون — هي مجموع الأوامر والنواهي التي قررتها القوانين الوضعية الصادرة من الجهة التشريعية المختصة في الدولة ، وعلى الناس اتباع أحكامها . فيقال مثلاً : شريعة الجمهورية العراقية . وشريعة الدولة العربية المتحدة . وهكذا .

وهي بالمعنى العام — مجموع قواعد وأحكام قد أمر الناس باتباعها ، فإن كان الآمر هو الله تعالى على لسان أحد أنبيائه نصاً أو تأويلاً ، فهي شريعة إلهية ، وإن كان الآمر غيره تعالى فهي شريعة وضعية .

والمقصود من « الشريعة الإسلامية » الشريعة المنسوبة إلى الإسلام ، وهو النظام الاجتماعي الذي جاء به للناس محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه الصلاة والسلام بوحي من ربه . وهو النبي الأمي الذي نشأ في مكة التي كانت منقطعة عن الدول المتمدنة ، نائية عن بلاد العلم والقانون ،

محرومة من معاهد الدراسة والتعليم ، لا مكتبة فيها ولا كتاب ، ولا أساتذة ولا معلمين ، ولا مدرسة فيها ولا كلية ولا جامعة ، ولا رصد فيها ولا مختبر ، ولا جامعة أكسفورد أو جامعة لندن أو غيرهما . يندر فيها من يقرأ أو يكتب . فهي قاحلة ماحلة من العلم وأسبابه ووسائله .

نشأ صاحب « النظام الاسلامي » في تلك البيئة الأمية الجاهلية ، وتربى في ذلك المربى القاحل الماحل من العلم وأسبابه . ولكنه جاء بنظام اجتماعي محكم حكيم ، يعجز أن يأتي بمثله أكبر أساتذة الجامعات المشهورة في العالم ، وأعظم فيلسوف اجتماعي عرفه الناس . وأتى بشريعة تتضاءل دونها الشرائع الوضعية في أزهى عصورها . شريعة من قواعدها « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي » و « لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالباطل وأنتم تعلمون » و « لا إكراه في الدين » و « أمرهم شورى بينهم » و « في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » و « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » و « لا تزر وازرة وزر أخرى » و « قد أفلح من زكاها — أي النفس — وقد خاب من دساها » و « قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » . حض على العمل . و « من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » حث على العمل الصالح المفيد . و « تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » . حث على التعاون بين الأمة في أمورها المعاشية والحيوية والتجنب عن الاشتراك في الآثام والعدوان . و « أوفوا بالعقود » و « أوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا » . حض على التمسك بالإيفاء بالعهود والمواثيق التي هي أساس الاطمئنان . و « والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر . و « بعثت الى الأبيض والأسود والأحمر » . نص على أن اللون لا أثر له في التمييز بين أبناء البشرية . و « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » . و « إنّ الله يكره العبد البطال » و « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » و « الناس سواسية كأسنان المشط » . فالتراحم بين الناس والتعاون بينهم والمساواة بينهم من أهم

قواعد الإسلام . و « الناس عيال الله وأحبكم إليه أكرمكم لعياله » .

فهذه القواعد والأسس الاجتماعية الحكيمة ونحوها مما يفوق الحصر ، تتفرع منها أحكام تضمن سعادة المجتمع الإنساني ورفاهيته في مستوى العيش والكرامة .

والمقصود « من النظام الاجتماعي » الأسلوب الذي ينظم التواصل والتعامل والتعاون بين الناس في مقومات حياتهم وسيرهم في شؤونهم . وهو يختلف باختلاف العصور والبيئات والتأثيرات الخارجة عن مقتضيات الفطرة التي فطر الناس عليها . ويتفاوت سمواً ، وهبوطاً ، وعلواً ، وانحطاطاً ، وعدلاً ، وظلماً ، ورجاحة ، وضعة ، بتفاوت تلك الأسباب والمؤثرات الخارجة عن حكم الفطرة وقضاء الطبيعة .

وأكمل الأنظمة وأتمها ما انسجم مع الفطرة ، ولاءم الطبيعة ، وجارى ميزان العقل السليم ، والعدل الذي جبلت على حبه النفوس المطمئنة .

وأقصد من قولي « شامل » أنه لا يقتصر على ناحية واحدة من النواحي الاجتماعية ، بل ينطوي على سائر النواحي الإنسانية ، من تعامل ، وخلق ، وتعبد ، وما ألفه الناس في حياتهم مما يماشي العقل السليم والعدل .

والنظام الاجتماعي الكامل : ما كان شاملاً عاماً . وأحسن أنواع هذا النظام الشامل العام ، ما جاء ضامناً للناس حياة رافهة وعيشاً رغداً ، واستقراراً وطمأنينة ، مع الحرية والمساواة اللتين لا تتحقق حياة طيبة ، ولا عيشة راضية ، إلا بتوفرهما .

يظن كثير من الناس أن الإسلام نظام « تعبدي » فقط : لا يوجه الناس الى غير النظر في مستقبلهم البعيد « اليوم الآخر » لينال الجزاء الموفور المشكور في ذلك اليوم . وقد جاءهم هذا الظن من التصاق كلمة « الدين » به : فيقال « دين الإسلام » و « الدين الإسلامي هو الحق » و « ان الدين عند الله الإسلام » مفسرين « الدين » بالطريقة التعبدية ، من عقائد وعبادات ، كما هو المعروف في أكثر الأديان السماوية الأخرى ، وكما هو السابق إلى فهم العامة من الناس . وقد

فاتهم أن يعرفوا أن « الدين » هو ما يخضع له الإنسان من المسالك الاجتماعية العامة في حياته ، مشتق من « دان يدين » أي « خضع يخضع » . فقد يكون الدين عقيدة ، وقد يكون عقائد وعبادات فقط ، وقد يكون نوعاً خاصاً ولوناً معيناً من الحالات الاجتماعية ، وقد يكون نظاماً اجتماعياً شاملاً . فلكل وجهة يخضع لها الإنسان ، فهي دينه . « ولكل وجهة هو موليها » . فالإسلام دين ، وهو في الحقيقة والواقع « نظام اجتماعي شامل » . والديمقراطية دين ، وهي نظام خاص بأسلوب الحكم في المجتمع ، أي حكم الشعب . والاشتراكية دين ، والمسيحية دين ، والشيوعية دين ، والنازية دين . ولكن الظانين بالاسلام ظن السوء عكفوا على بحث الأديان الجديدة في الظاهر ، المتيمة جداً في مغزاها ومرماها ، فانصرفوا في وقت ما إلى الرجوع في البحث والمفاضلة بين النظام الديمقراطي والنظام النازي ، والتحزب لأحدهما دون الالتفات إلى غيرهما . وفي وقت ما إلى النظام الديمقراطي والنظام الاشتراكي فقط ، وفي زمن إلى النظام الديمقراطي والنظام الشيوعي لا غير ، وهكذا : فهم يحورون بين حدين فقط من الأنظمة الاجتماعية ، متمشين في ذلك حسب الدعاية الناشطة إلى أحد اللونين ، فيبحثونهما ، متجادلين ، غالين . كل يتعصب لنحله بأقصى ما عنده من حدة ومغاضبة ، ويرمى خصمه بالجمود والتقليد الأعمى ، وربما تجاوز الأمر بين الخصمين إلى ما هو أشد وأشقى . وقد نسوا أن بين كل من النظامين المتقابلين اللذين قصروا أنفسهم على دراستهما ، والبحث فيهما ، والذب عن أحدهما ، والتبشير بأحدهما والمفاضلة بينهما ، وحبسوا أفكارهم في طرفيهما ، نظاماً آخر . نسوا أن بين تلك الأنظمة نظاماً وسطاً أهملوا دراسته ، ونبذوه وراءهم ظهريا ، وربما وسموه ظلماً بالعقم ، وأنه من أساطير الأولين ، وهم لم يدرسوه ، ولم يقفوا على ما فيه ولم يفقهوه ، ولم يعرفوا غيراته وما نسب إليه من الأمور التي هو براء منها . وقد يسمونه (بالرجعي) وهم لم يقرأوه ليعلموا أنه تقدمي أكثر تقدمية من غيره ، ولم يتعمقوا فيه ليفهموا أنه نظام صالح قد يكون أوفى بالأغراض الاجتماعية من كل من النظامين اللذين حبسوا أنفسهم في دائرتيهما ، ومن سائر الأنظمة الاجتماعية الأخرى . ألا ، هو « الإسلام » . فإن الإسلام نظام اجتماعي شامل للناحية الاخلاقية في المجتمع ، والناحية الاقتصادية فيه ، والناحية المالية ، والناحية التعاملية ، وأسلوب

الحكم الصحيح ، والناحية التعبدية . وهذه النواحي هي قوام نظام المجتمع الجاري عليه . فاذا كان النظام الشامل لها صالحاً كان المجتمع الجاري عليه صالحاً أيضاً ، وإذا كان فاسداً أو ناقصاً ، كان ذلك المجتمع فاسداً أو ناقصاً أيضاً .

والاسلام نظام صالح أحكمته التجارب ، ووضحت حسنه وصلاحه خلوص النية في تطبيقه في الصدر الأول . وهو مرن ... متطور في جزئياته ، ثابت في قواعده وكلياته ، هاد الى أقوم الأساليب في حياة المجتمع الإنساني مادة ومعنى . فمن المهم للباحث الاجتماعي وطالب الحقيقة أن يخرج نفسه من حبوس التقليد ، وأن لا يكون « إمّعة » يسلك حيث سلك غيره ، من غير أن يبحث في الأمور أو يدقق فيها ، وأن لا يكون « كالذي ينعق بما لا يسمع الا نداء » . انه لحري بباحث الحقائق في الأمور الاجتماعية ان يتوجه الى دراسة النظام الاسلامي ومعرفته معرفة صحيحة ، متوغلاً في كشف طرقه المستقيمة لايصال المجتمعات الانسانية الى التكافل الوثيق ، والتضامن التام ، والتعاون الصحيح ، والعدالة الاجتماعية ، مسترشداً بما حققه هذا النظام من ذلك في الشرقين: الأوسط والأدنى في الماضي مما عجز غيره عن تحقيقه ، فلربما وجد فيه الباحث المتحري للحقيقة ضالته التي ينشدها في بحثه في الانظمة الاجتماعية . ولا يليق بمن يدعي تحري الحقائق واختيار الأصلح للمجتمع ، وينصب نفسه مرشداً وهادياً ، أن يهمل درس نظام اجتماعي قائم بين ظهرانيه وفي متناوله ، ظاناً عدم كفايته لانقاذ الانسانية مما وصلت اليه من هبوط ، وما تتحمله من جور واعوجاج . هو لم يدرس النظام الاسلامي ولم يعرف خططه ومراميه ، وهو يدعي تحري أحسن النظم لسير الناس عليه آمنين مطمئنين في حياتهم . أليس هذا أمراً عجيباً ؟ . فان من يتحرى أحسن النظم عليه دراستها ومعرفتها معرفة صحيحة ، متوخياً في دراسته الحقائق المؤيدة بالدليل ، والا كان القول باطلاً والتظاهر بالتألم لما عليه جماهير البشر من سوء الحال خدعة تشبه خدعة المستعمرين الذين مهدوا لاستعمارهم الأمم مادة ومعنى بالتظاهر بالاشفاق عليهم ، واحياء أراضيهم ، وتقدم بلادهم وترفيه عيشهم . وهم كاذبون في ذلك ، وهم ظالمون .

لا يرضى الاسلام إتباع الظنون « وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وإن الظن لا يغني

من الحق شيئاً » .

ويأبى الاسلام مجاراة الهوى والسير على مقتضاه « أفمن اتخذ إلهه هواه ... » .

ويكره الاسلام التقليد الأعمى « أنا وجدنا آباءنا على أمة وأنا على آثارهم مقتدون قل أو لو جئتكم بأهدى مما كان عليه آباؤكم » .

ولا يقدم الاسلام في تقرير الاحكام الا بالدليل « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » .

ويذم الاسلام الجمود وسد منافذ العلم ، وصرفهما عن التقاط الحقائق « صم بكم عمي فهم لا يعقلون » .

ويمقت الاسلام الغرور بالعلم « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » ، لأن الغرور بالعلم يسد باب التقدم فيه .

ولا يرضى الاسلام باقرار الباطل والسكوت عليه « أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً نكراً » .

وأوجب الاسلام إعمال العقل ، الجوهر الثمين في الانسان « قل انظروا في ملكوت السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يعقلون » . « إن هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً » .

فنظام اجتماعي هذه أسسه ومبانيه ، لابد ان يكون صالحاً حتماً ولا يتصور ان يكون فاسداً أبداً .

واللوم في النقد على الباحثين والطاعنين في هذا النظام السامي هو نبذهم دراستهم إياه ، وعدم وقوفهم على ما فيه ، وعدم معرفتهم أحكامه ، وجهلهم تفاصيله ، واعتمادهم فيما قالوه على السماع وما شاع .

ان النظام النازي يعتمد على أساس التعصب الذميم للعنصرية ، واعتقاد معتنقيه ان عنصرهم أشرف العناصر البشرية وفي القمة ، لذلك يجب أن يسود سائر الأمم ، وان يستعمر ، ويحكم من الأمم الأخرى ما يراه لازماً لعلو عنصره وشرفه . وقد صنف هتلر العناصر البشرية الى عدة

أصناف حسب هواه وتحكمه، ووضع تلك الأصناف في مراتب حسب خياله وظنونه وجنونه، وجعل عنصره في الذروة ، وعمل لإخضاع الأمم اليه ، وتمادي مع حزبه الى تحقيق ذلك ، فكانت عاقبة أمره خسراً ذريعاً . والاسلام يقول لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » و « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . فالنظام النازي نظام ظالم ذميم بعيد عن الحق والعدل كل البعد مضاد لحقي الحرية والمساواة اللتين هما من أجل حقوق الانسان .

ولا يصح أن يتسرب الى الخاطر ان مذهب القومية يمت الى النازية . فان معنى القومية هو ان يحب المرء قومه ، ويسعى الى اسعاده ، ليكون في مصاف الأمم الحية ، ويعيش رغداً ؛ من غير ان يحتقر أحداً من الامم والشعوب الأخرى ، أو ان يسلب قوتها ، أو يتحكم فيها ما يشاء . فان حبه لقومه إذا وصل به الى هـذا الحد ، انقلبت قوميته عنصريـة ، وأصبح عنصرياً نازياً ذميماً . وهذا غير ما يقول به النظام الاسلامي .

وتعتمد الديمقراطية على ان الحكم للشعوب لا لملوك ولا لطبقة معينة من الشعب دون أخرى . فالشعب هو الحاكم ، والأمة هي الحاكمة لنفسها بنفسها . وهذا الأساس الصحيح هو أحد مبادئ النظام الاسلامي ، ومادة من مواده ، قال الاسلام : « وأمرهم شورى بينهم » و « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة » « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » و« المسلمون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً» . فالنظام الديمقراطي مقصور على طريق الحكم في الأمة ، ولا يتعرض لغيره من أمور المجتمع ومقوماته . فهو نظام محمود ولكنه ، قاصر بالنظر الى النظام الإسلامي ، اذ انه يخص ناحية واحدة من مقومات المجتمع .

والاشـتراكية نظام يعتمد في جوهره على أسـاس منع إحتكار قسم من الشعب للثروة وحرمان الآخرين منهـا ، وعلى ضرورة اشـتراك المحروم في الانتفـاع من ثروة المحظوظ بالطرق القانونية المعقولة لا بالاغتصاب والنهب . وهو أساس سليم ، ومادة من مواد النظام الإسلامي . قال الاسلام : « وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » . فالنظام الاشتراكي نظام محمود ، غير أنه قاصر أيضاً على نواحي خاصة من مقومات المجتمع . والنظام الاسلامي يشمل تلك النواحي وغيرها . ويحقق غرضه بالطرق التي يطمئن اليها قلب الدافع للضرائب من غير تلكؤ

وامتعاض ، لأنه بدافع التربية الاسلامية ، لايشعر بغضاضة أو إجبار عند دفعه الضريبة .

ويقوم النظام الشيوعي على أساس تأميم ثروة الأمة والتصرف بها على وجه يحفظ كيانها ويؤمن لأفرادها مقومات الحياة الراقية قدر الامكان ، من مسكن ملائم للانسان ، واستشفاء ، وتعليم ، وما يتبع ذلك ، والناس مع هذا عمال في مجتمعهم . وهو نظام ليس من قواعده التعرض بالقيم الروحية والدينية السماوية لا ايجاباً ولا سلباً ، على ما أعلم - انصح عني - وإذا ما قاوم الأساطير والخرافات التي الصقت بالأسس الصحيحة للاديان ، فلا يصح أن يقال فيه انه يقاوم الأديان ، فان جميع الأديان الصحيحة لا ترضى بالخرافات والأساطير والبدع التي ما انزل الله بها من سلطان ، بل تتبرأ منها ، ولاترضى بها . وأهم أسس هذا النظام عوامل الانتاج ، وشيوعها مع أرباحها في الأمة بجميع أفرادها شيوعاً قسطاً ، فتصرف الأرباح كاملة في التوسع في مصالح الامة . فالنظام الشيوعي بهذا المعنى يزيد على النظام الاشتراكي بتأميم الثروة ، وفرض العمل على ذويه من القادرين عليه . ولكنه قاصر أيضاً على النواحي المادية في المجتمع مبتدعاً تحديد الملكية الفردية الى أقصى حد - حد الضرورة - . وتنظيم تلك النواحي المادية أساس من أسس النظام الاسلامي ولكن على وجه أخف وأقرب الى قيمة الانسان وحريته مما هو في النظام الشيوعي . وان تحديد الملكية الفردية تحديداً معقولاً لا يأباه النظام الاسلامي ، فان التوسع في الملكية من الأمور الجائزة المباحة في الاسلام لا من الأمور الواجبة والمفروضة فيه . والامور المباحة الجائزة ، تجوز قواعد الاسلام للسلطة القائمة بادارة المجتمع ان تحددها وفقاً للمصلحة العامة ، والمصالح المرسلة ، بل لها ان توقف العمل بالجائز المباح إدارة إذا رأت ان المصلحة العامة تقتضي ذلك .

ان النظام الاسلامي ، نظر إلى أحوال المجتمع ومقتضياته نظرة عميقة ، التفت فيها الى تنظيم سائر أحواله ومقوماته : —

نظر الى وضعه المالي فقرر فيه خطة يشبهها النظام الاشتراكي . أقول يشبهها النظام الاشتراكي ، لأن النظام الإسلامي في ذلك أسبق من النظام الاشتراكي الحديث ، فقد ألزم الاسلام من زادت ثروته على مقدار قليل معين ، ان يدفع الى صندوق الأمة « بيت المال »

مقادير بنسب تختلف باختلاف جنس المال ، أسماها « الزكاة » كأن يدفع مثلاً عما يملك من الذهب اذا بلغ عشرين مثقالاً حال عليهما الحول عنده ، نصف مثقال أي ربع العشر ، وكل مبلغ تجاوز هذا الحد يدفع عنه لصندوق الأمة ربع عشره . وكأن يدفع خمس الأرباح التي تصفو له آخر كل سنة ، وان يقدم مقداراً معيناً من المال للفقراء في ابتداء أول يوم من أيام عيد الفطر ، وان يقدم لحم الاضاحي في أيام معلومة من أيام عيد الأضحى ، وان يقدم مقداراً من المال من الكفارات والنذور التي عينها النظام ، وهكذا . فموضوع أخذ مقدار من أموال الثري وصرفه في المصلحة العامة التي من أهمها ترفيه الفقراء والعناية بهم ، هو أساس من أسس التنظيم المالي في النظام الاسلامي . وقد جاء النظام الاشتراكي مشابهاً له فيه ، وإنما يختلف في الشكل . واختيار الشكل مفوض الى أهل الحل والعقد في النظام الإسلامي أي الى ذوي الخبرة المتمرنين العارفين للطريقة الصحيحة في جمع المال وإنمائه وتوزيعه واستهلاكه في المصالح العامة . وهي تختلف باختلاف العصور والبيئات . والاسلام لا يمنع الأمة من وضع الخطط الصالحة المثمرة في نظام المال والعمل بها . فالجمود على خطة واحدة وبشكل واحد في جباية الحقوق المالية للأمة ، أو التصرف بالخطط لتوفير الأموال وتنميتها ، وصرفها على ما تقتضيه المصلحة ، أمر تعود طبيعته ، ومغبته ، وحسنه ، وعيوبه ، على القائمين بتنفيذ النظام الاسلامي لا على نفس النظام . فالمبدأ في النظامين واحد ، فان المصلحة العامة فيهما هي القائد الهادي الى رسم الخطة الصحيحة .

ونظر في الروابط التعاملية بين أفراد المجتمع ، فوضع خطة سليمة متينة ، وقواعد عامة مستخلصة من أدلة لا تقبل الطعن ، قوامها العدل والإنصاف ، تســـاير ما تقتضيه العصور والبيئات من الأساليب والأحكام . وهي مبوبة مفصلة في كتب الفقه . شمل هذا النظام التعاملي روابط العائلة منذ أن تنشأ الى أن تنحل بالموت أو الافتراق .

وقد قصّرت الأنظمة الأخرى عن هذا الشمول وتلك القواعد المتينة التي من أولياتها : « لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان » و « لا ضرر ولا ضرار » أي أن أضرار الغير ممنوع — ولا يجوز مقابلة الضرر بأحداث ضرر مثله و « ما جعل عليكم في الدين من حرج »

و « إنما الأعمال بالنيات » و (إن الله يكره العبد البطال) .

وأحكم نظام الميراث ونظام العائلة .

والتفت الى الناحية الخلقية في المجتمع ، فرسم له خطة تربط بين أفراده بروابط السلام والمحبة والتعاون والتسامح ، حتى تتحقق الأخوة بينهم « إنما المؤمنون أخوة » . وهذه الخطة مفصلة في كتب السلوك والأخلاق مثل كتاب أحياء العلوم للامام الغزالي . ولم يجعل الاسلام من اللون أو الشكل ، أو السكن ، أو الجنس موضع مفاضلة بين الناس ، ولا سبباً لرفعة بعضهم على بعض أونفرة بعضهم من بعض ، فالأسود والأبيض ، والطويل والقصير ، والسامي والاوروبي ، والعجمي والعربي ، أخوة متساوون في خطة الإسلام ونظامه .

ونظر في أسلوب الحكم في المجتمع ، فقرر أن يكون ديمقراطياً ، جمهورياً ، شورياً ، لا استبدادياً مقصوراً على ملوك يتناوبون الحكم والسلطان ويتوارثونه ، ولا على طائفة معينة من الناس ، فرئيس الدولة يكون بالانتخاب الصحيح . وقد جرى ذلك فعلاً في حكم الراشدين على نطاق ضيق . وكان على من بعدهم أن يتوسع في هذا النظام — أي نظام الانتخاب — ويحدد أصوله ، ولكن الطامعين في الملك قد أفسدوا ذلك من أصله ، ولم يدعو مجالا لتقرير طريقة الانتخاب بنطاقه الواسع ، بل ضربوا فكرة الانتخاب عرض الحائط ، وجعلوا الحكم ملكا عضوضاً يتوارثه أبناء طائفة من الأمة عن آبائهم . فأماتوا بهذا أبدع أسلوب في الحكم جاء به الإسلام وعمل به في عصور طغيان الملكيات ، ونبذوا حكم « وأمرهم شورى بينهم » و « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها » وراء ظهورهم ، كما ان الفقهاء الإسلاميين لم يتعرضوا لهذا الأمر ، ولم يكتبوا فيه إلا قليلاً جداً ، أما خوفاً أو قصوراً منهم ، إذ أنهم قصروا فقههم وتفقههم على العبادات والمعاملات بين الأفراد ، وتركوا بحث ما هو أهم من ذلك وهو نظام الحكم والإدارة ، واكتفوا فيه ببحث « الإمامة » في كتب العقائد والكلام على وجه موجز ، مختصر للغاية ، وفقاً لعقيدة كل طائفة ونحلة .

فالحكم في النظام الإسلامي جمهوري ، انتخابي ، شعبي ، ديمقراطي . غير إن تقرير طريقة الانتخـاب كان مفوضـاً إلى فقهاء الشعب ، ولكن الطامعين لم يمكنوا الشعب من تقرير الطريق ، ولم يتناوله الفقهاء بالبحث الواسع ، مع أنهم لم يغفلوا في فقههم بحث قتل الجرادة في الحرم . ولا يبعد أن يكون الخوف من غضب الملوك قد حال دون ذلك .

ووجه الإسلام عنايته الى الاقتصاد الوطني فعني بالثروة الطبيعية من معادن وركاز ، ووضع لها قواعد أساسية فوض أمر تنظيمهـا الى الأمـة ، كما عني بالزراعـة ، فقرر قواعد المزارعة والمسـاقاة ، ونظام العشر ، والخراج ، وإحيـاء الأراضي ، وحفر الآبار الارتوازية ، وفوض تنظيم سائر ما يتعلق بذلك الى الحكومة المنبثقة من الشعب ، حسب مقتضى الأزمنـة وتبـدل الأحوال . ولم يأل جهداً في تنظيم أمر التجارة والحث عليها ، وقبول الضمان البحري « التأمين البحري » وقبول بعض الأوراق التجارية . وترك للأمة أن تتخذ ما تراه موافقاً للمصلحـة العامة في تنظيم التجارة على وجه لا يصادم القواعد الأساسية الصريحة في النظام الإسلامي ، كما قرر قواعد العمل وحقوق العمال « الأجراء » . فالإسلام يدعو الى العناية كل العناية بإنماء الثروة وتنشيط العمل ، على وجه شريف ممزوج بالرحمة والعطف على الطبقة الضعيفة مالياً في الأمـة . وفي كل ذلك فوض للأمة أن تتخذ ما تراه فيه من السبل الصـالحة للنهوض باقتصادها حسب تغير الأزمان والأحوال بشرط واحـد هو ألا يكون مناقضاً للقواعـد الجوهرية في الإسـلام الاثراء . وهي « العدل ، وحرمة الظلم ، وحرمة أكل أموال الناس بالباطل » .

كل ما أسلفنا ذكره موجزاً من نظام الاسلام، يعود معظمه الى الوجهة المادية ، ولكنه لم يقتصر على ذلك ، ولم يهمل أمر الروح ـ وهو الفج العميق في الانسانية ، وأحد ركني البشرية ، بل هو ركنها الأعظم، الذي بدونه لا يفرق الانسان عن الحيوان الاعجم ـ فرسم خطة واضحة قوية يستمد منها الروح غذاءه الزكي في عالم الغيب ، ويعرج بها إلى عالم الخلود حيث تطمئن النفس راضية مرضية، خطة نزيهة من كل مايشعر بالنقص في ذات الموجد الأعظم، توجه الناس الى عبادته بأدب يليق بجلاله وكماله، وتبعد الناس عن عبادة الاصنام الحجرية أو البشرية، وعن الانحناء لغير الحق . وهذه الخطة مبينة في

قسم العبادات والطيبات الصالحات ، من النظام الاسلامي .

فالاسلام — أو قل « الدين الاسلامي » أو « الشريعة الاسلامية » ليس رسوماً تعبدية فقط ، واشارات ، وتعاويذ ، وهيتمة ، وأشكال جافة سيمائية ، بل هو نظام اجتماعي قويم ، شامل سليم ، يدعوا الى التآخي بين الناس والتعاون بينهم ، والنهوض بهم الى العمل الجدي في حياتهم والى التناصر والسلام ، ويهدي الى الرشد . بل قل هو « الصراط المستقيم » للمجتمع في سيره في الحياة الدنيا ، وضامن له الحياة الفضلى بكل معاني الحياة ومقوماتها . واذا ما وجدنا اعوجاجاً ، أو سوء عيش ، أو عسراً ، أو بطالة ، أو نقداً ، أو انحرافاً عن العدل الاجتماعي في بعض المجتمعات الاسلامية ، فليس سببه النظام الاسلامي ، بل الانحراف عن تطبيق قواعده . فمثل هذه المجتمعات احتفظت باسم « الاسلام » فقط دون العمل بموجباته ومقتضياته . وأي نظام آخر من نازي أو ديمقراطي أو اشتراكي أو شيوعي ، إذا انحرف معتنقوه عن قواعده وخططه ، وتمسكوا باسمه فقط ، كانت نتيجته في المجتمع مثل نتيجة النظام الاسلامي في ذلك المجتمع الذي شذ عن الاسلام واحتفظ باسمه فقط . فليس النقص في النظام وانما في التقصير في تطبيقه .

وإذا ما تعصب النازي أو الاشتراكي أو الشيوعي أو الديموقراطي أو المسلم لنظامه ، فليس من الصواب له أن يبادر الى هجو الأنظمة الأخرى والتشنيع بها ، من قبل أن يقف على خططها ومراميها ، اذا كان رائد حقيقة وطالب إصلاح . بل عليه أن يدرس أحكامها ، ويعرف خططها الاجتماعية وغاياتها ومراميها ثم يقارن بينهما . فاذا لم يفعل ذلك ، فقد يجد نفسه مخطئاً في تهجمه على تلك الأنظمة ، ظالماً لنفسه ولغيره . ويجدر به ان يكون في كل ما يقول واضحاً صريحاً ، لا يتستر بالألفاظ ، ويلوذ بالالتواء ، وإلا كان كاذباً في دعواه تحري الحقيقة ، وانه من روادها .

هذا النظام الاسلامي الذي أوضحنا بعض مضامينه وخططه ، وبينا أنه لا يخرج عن كونه نظاماً اجتماعياً صالحاً شاملاً ، غير ناقص ولا قاصر ، وانه واضح مبين ، لا يجوز المنطق والعدل والانصاف الدعوة للخروج على دائرة موطنه وحكمه ، والتوجه الى غيره ، من دون أن يدرسه

الداعي ، ويقف على خططـه ، ويفارق بينه وبين غيره من الأنظمة التي لم تأت في الحقيقـة بشيء جديد في أكثر أحكامها الوضوعية زيادة على ما قبله النظام الاسلامي صراحة أو دلالة . بل استطيع أن أقرر أن أكثر المضامين الصالحة من تلك الأنظمة ما هو الا تنظيم شكلي لتسهيل العمل بالأسس الاجتماعية التي قبلها الاسلام وفرض أمر تطبيقها الى تنظيم أولي الأمر في المجتمع الاسلامي . ولا يجدر بي السكوت على لوم أولي الأمر في المجتمع الاسلامي سابقاً وحاضراً لعدم قيامهم بتقرير الخطط المؤدية الى تطبيق أسس النظـام الاسلامي وقواعـده على وجه سهل مثمر ثمرة وافرة صحيحـة سالمة ، وتفهيم الناس أساليبه التحررية . فاذا ما أردنا ان نعرّف الناس قيمة هذا النظام معرفـة واضحة كاشفة علينا ان نقرر تلك الخطط ، ونعلنها للناس على وجه مفهوم ونطبقهـا في مجتمعنا تطبيقاً عملياً ، لا نظرياً فقط . فان النظريات المجردة لا تطمئن اليها القلوب . بل لا تركن اليهـا النفوس إلا اذا اقترنت بالعمل . وهذا هو القاعدة الأولى في الاسـلام — فان العمل هو الذي يعلي شأن القول . فقد تقرر في القرآن العظيم الذي هو دستور النظام الاسلامي ، ان العمل شرط لصحـة القول والنظر . « ان الذين آمنوا وعملوا الصـالحات . وقل اعملوا فسيرى الله عملـكم ورسوله . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات » .

بل ان قواعد النظـام الإسلامي أوجبت العمل على جميع القادرين : — قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسـوله — وقررت الأجرة مقـابل العمل — إنما تجزون بمـا كنتم تعملون — وحددت الأجرة بمقياس مضبوط ، هو « الأجر على قدر المشقة » .

فالنظـام الاسلامي شامل صـالح لا يعوزه إلا نشاط ذويه للعمل بأحـكامه ، ورسم الخطط الصحيحة لتسهيل تطبيقه واستثمار فوائده من أقصر طريق وأحكمه .

منير القاضي

عبد الله بن سبأ

هذا رجل تقرأ خبره في كل كتاب من كتب العقائد والفرق ، وفي أكثر كتب التأريخ والأخبار التي تحدثت عن الفتنة في أيام عثمان بن عفّان ، وعن مقتل الإمام علي بن أبي طالب ، وعن الغلو والغلاة .

تقرأ خبره في الكتب القديمة كما تقرأ خبره في الكتب الحديثة ، التي تعرضت للموضوعات المذكورة ، حتى ليخيل الباحث أنه بطل من الأبطال ، ورئيس من رؤساء الفتن في الإسلام . ومع ذلك — وهذا هو الغريب — فإنك إذا ما تعمقت في دراسة الروايات وقرأت كل ما ورد عنه ، خرجت وأنت لا تعرف عن نسبه وأهله شيئاً ، إنما كل ما تعرفه عنه أنه يهودي ابن يهودي ، وأن أمه كانت سوداء ولذلك عرف بابن السوداء .

قالوا إنه : عبد الله بن سبأ ، وإنه كان « يهودياً من أهل صنعاء ، أمه سوداء . »[1] فهو يماني الأصل ، يهودي الدين من جهة الأب وإفريقي من جهة الأم . أسلم كما جاء في تأريخ الطبري زمان عثمان[2] . وقالوا : إنه كان رأساً من رؤوس الفتنة والشغب والبدعة . تنقل في الأمصار داعياً فيها إلى الثورة . وكان من أبطال الفتنة التي قامت على عثمان ، كما كان من رؤوس الدعوة التي أسست مذهب الغلو في علي بن أبي طالب والمبالغة في حبّه مبالغة انتهت إلى تأليهه .

وذكر بعض الأخباريين أنه أدرك وفاة عليّ بن أبي طالب ، وأنه التقى في « المدائن » رجلاً اسمه « جرير بن قيس » ، وكان جرير قد قدم حديثاً اليها ، فسأله ابن السوداء : « ما الخبر ؟ »

(١) الطبري (٥/٩٨) « طبعة المطبعة الحسينية » .

(٢) الطبري (٥/٩٨) .

فقال جرير : « ضرب أمير المؤمنين ضربة يموت الرجل من أيسر منها ، ويعيش من أشد منها » . وكان جوابه : « لو جئتمونا بدماغه في ألف صرة ، لعلمنا أنه لا يموت حتى يذودكم بعصاه . »[1] ومعنى ذلك أن ابن السوداء كان حياً حين ضرب علي بن أبي طالب في الكوفة ، وأنه توفي بعد وفاة عليّ .

ومرجع هذه الرواية « الجاحظ » ، وقد ذكرها في « كتاب العصا » ، نقلاً عن « حباب ابن موسى عن مجالد عن الشعبي عن جرير بن قيس »[2] . وقد دعته بـ « ابن السوداء » ، ولم تسمه بـ « ابن سبأ » أو « عبد الله بن سبأ » ، كما سمته بقية الروايات .

وقد جعلت الرواية المتقدمة والد « ابن السوداء » رجلاً اسمه « حرب » ، ففيها : « عن جرير بن قيس ، قال : قدمت المدائن بعدما ضرب علي بن أبي طالب — كرّم الله وجهه — فلقيني ابن السوداء ، وهو ابن حرب . فقال : ما الخبر ؟ فقلت : ضرب أمير المؤمنين ضربة يموت الرجل من أيسر منها ، ويعيش من أشد منها . قال : لو جئتمونا بدماغه في مئة صرة ، لعلمنا أنه لا يموت حتى يذودكم بعصاه . »

وهذه الرواية ، هي أقدم رواية وردت عن ابن السوداء ؛ لأن ناقلها « الجاحظ » ، وهو من المتوفين سنة « ٢٥٥ هـ » . وتعد روايات سواه متأخرة ، لأنهم كانوا من المتوفين بعده ، فهم متأخرون عنه ، وتعد رواياتهم لذلك متأخرة عن رواية الجاحظ المذكورة من ناحية الترتيب الزمني ، وإن كان من الجائز أن يكون بعضها أقدم عهداً من رواية الجاحظ ؛ لأن راويها أخذ روايته من مرجع متقدم على المرجع الذي نقل الجاحظ منه .

ويلي الجاحظ في ترتيب سني الوفاة ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ . وقد ذكر في كتابه « المعارف » ابن سبأ ، فقال : « السبئية من الرافضة : ينسبون الى عبد الله بن سبأ ، وكان أول

(١) البيان والتبيين (٣/٤٦) .

(٢) البيان والتبيين (٣/٤٦) « القاهرة ١٩٢٧ م » ، « طبعة حسن السندوبي » .

من كفر من الرافضة ، وقال : علي ربّ العالمين ؛ فأحرق علي أصحابه بالنار »[1] . ثم « النوبختي : أبو محمد الحسن بن موسى » ، وهو من رجال القرن الثالث للهجرة ، ومن علماء الشيعة المشهورين وصاحب مؤلف في فرق الشيعة معروف ومطبوع متداول يقال له « فرق الشيعة » . ثم أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المفسر والمؤرخ المشهور[2] . ثم أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي المتوفى سنة « ٣٢٨ هـ »[3] .

ونجد في كتاب رجل من رجال الشيعة أسمه « أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي » صاحب كتاب « معرفة أخبار الرجال » ، أشياء عن « ابن سبأ » لم ترد في كتاب الجاحظ ولا في كتاب ابن « قتيبة » ، وقد ذكر سندها على هذا النحو : ابن قولويه عن سعد بن عبد الله ابن أبي خلف القمي عن محمد بن عثمان العبدي عن يونس بن عبد الرحمن عن عبد الله بن سنان عن أبيه وينتهي السند بجعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٨ للهجرة[4] .

هؤلاء هم ، في الواقع ، السند والعمدة في أخبار « ابن سبأ » . أما غيرهم من أمثال عبد القاهر بن طاهر البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ صاحب كتاب « الفرق بين الفرق » ، و « ابن حزم » المتوفى سنة « ٤٥٦ هـ » ، و « أبي المظفر عماد الدين شاهفور طاهر بن محمد الاسفرايني » المتوفى سنة ٤٧١ هـ ، و « الشهرستاني » المتوفى سنة ٥٤٨ هـ صاحب « الملل والنحل » ، و « الايجي » المتوفى سنة « ٧٥٦ هـ » ، والمقريزي المتوفى سنة « ٨٤٥ هـ » ، و « ابن خلدون » المتوفى سنة « ٨٠٨ هـ » ، و « الجرجاني » المتوفى سنة « ٨١٦ هـ » ، وغيرهم ، فقد بحثوا في « ابن سبأ » وفي السبئية ، ولكنهم لم يأتوا اجمالاً بشيء جديد ، يزيد على ما ذكره المتقدمون ممن ذكرت . وقد كان مرجعهم كتب أولئك المتقدمين عليهم في الغالب ،

(١) المعارف (ص ٢٦٧) ، طبعة القاهرة سنة ١٩٣٤ ، (ص ٣٠٠) « طبعة أوربة » .
(٢) استعنت بالطبعتين من كتابه : تأريخ الرسل والملوك : طبعة « لايدن » ، والطبعة المصرية .
(٣) العقد الفريد (٢/٢٣٦) « طبعة محمد سعيد العريان » .
(٤) راجع كتابه : معرفة أخبار الرجال .

أو الموارد التي رجع اليها أولئك المتقدمون عليهم . ولهذا فان مناقشتنا الموضوع ستكون الموارد المتقدمة بالدرجة الأولى مع الاشارة الى الموارد الأخرى بالمناسبة .

وقد عرف الشخص الذي نتحدث عنه بـ « عبد الله بن سبأ » ، في كثير من الكتب التي تحدثت عنه ، ودعي بـ « ابن سبأ » أحياناً و بـ « ابن السوداء » أحياناً أخرى . و بـ « عبد الله ابن السوداء » كذلك . أما الطبري ، فقد دعاه بالتسميتين : دعاه بـ « عبد الله بن سبأ » ودعاه بـ « ابن السوداء » [1] . وقد جعل « أحمد بن عبد ربه الاندلسي » من الرجل رجلين . فسمى أحدهما عبد الله بن سبأ ، وسمى الآخر عبد الله بن السبّاب [2] .

فانت إذن أمام شخص عرف بـ « عبد الله بن سبأ » ، و بـ « ابن سبأ » أحياناً ، و بـ « ابن السوداء » و بـ « عبد الله بن السوداء » أحياناً أخرى . كما دعي « عبد الله بن السبّاب » في بعض المراجع . أما من دعاه « عبد الله بن سبأ » و « ابن سبأ » ، فقد جعل أباه رجلاً عرف بين الناس بـ « سبأ » . وأما من سماه « ابن السوداء » أو « عبد الله بن السوداء » ، فقد نسبه الى أمه ، وكانت سوداء ، فغلب صفتها عليها ، وصارت كأنها اسم علم لها . إلا ما كان من « الجاحظ » ، فقد ذكره بـ « ابن السوداء » ، ثم استدرك ، فقال : « وهو ابن حرب » [3] . فجعل أباه رجلاً عرف بـ « حرب » .

أما موطن « ابن سبأ » ومنشؤه الذي نشأ فيه ، فقد كاد ينصب اجماع الرواة على أنه « اليمن » ، إلا ما كان من رواية منسوبة الى « الشعبي » ورد فيها أنه كان يهودي الأصل ، من أهل الحيرة [4] . وقد نصت بعض الروايات على اسم المكان الذي ترعرع فيه من اليمن ، فجعلته « صنعاء » ، وهي مدينة صار لها شأن كبير منذ أيام استيلاء الحبش والفرس على اليمن ، وبقيت

(١) الطبري (٥/٩٨) « طبعة المطبعة الحسينية » .

(٢) العقد الفريد (٢/٢٤١) ، ضحى الإسلام (١/٢٣٤) .

(٣) البيان والتبيين (٣/٦) « طبعة السندوبي » .

(٤) الفرق بين الفرق في بحث الشيعة والغلاة (ص ٢٢) .

على هذه الأهمية في الإسلام إلى اليوم .

وقد نسبه بعض أهل الأخبار الى « حمير » ، فدعاه بـ « الحميري » ، فهو من « حمير » على روايتهم هذه[1] . ولكن هذه النسبة لا تعني أنه كان من حمير لحماً ودماً بالضرورة ، فقد عرف « كعب الأحبار » بـ « الحميري » ، ولم يكن « كعب » من صميم حمير ، بل كان من يهود « حمير » . ونسب « وهب بن منبـه » الى « حمير » كذلك ، ولم يكن « وهب » حميرياً صريحاً ، بدليل ما صرح به بعض أهل الأخبار من أنه كان « أبناوياً » ، فهو من الأبناء ، أي من ذلك الجيل الذي تكون من أختلاط الفرس بأهل اليمن الأصليين بالزواج بعد دخول اليمن في منطقة نفوذ الساسانيين بعد طرد الحبش من اليمن وبقاء الحكم فيها في أيدي الفرس الى ظهور الإسلام . فيجوز أن تكون حميرية أبن سبأ حميرية مكتسبة ، اكتسبها بالولاء . ويجوز أن تكون قد وردت اليه من جهة شيوع قدومه من اليمن . وقد كانت لفظة حمير يومئذ ترادف اليمن ، ولا سيما أنه نسب الى أب هو « سبأ » ، و « حمير » من « سبأ » . ورأيي أن لفظة « سبأ » نفسها ليست اسم أبي « عبد الله » ، بل هي اسم الشعب ، وأنها صارت أسم أبيه من باب التغليب .

ما ذكرت هو كل ما ورد عن أبن سبأ وعن أبيه وأمه وعن وطنه . وهو مادة مقتضبة ليس فيها عن الرجل الا القليل . أما كيف وصل الى العراق ، أو بلاد الشأم ، أو أي مكان آخر دخله ، فعلمه عند ربك . وأما نواحي حياته الأخرى ، غير المبادئ التي زعم أنه جاهر بها بين المسلمين ، فلا نعلم من أمرها شيئاً . وإذن ، فليس لنا هنا الا التحدث عن الآراء المنسوبة اليه وعن العقائد التي يقال إنه زرعها بين الشيعة ، وعن الفتن التي أضرم نيرانها في أيام عثمان .

وأبدأ قبل كل شيء بالحديث عن الفتنة التي أثارها على الخليفة عثمان . وهي فتنة تحدث عنها الطبري ، وهو أقدم من أشار اليها من المؤرخين ، ثم أعطف بعده بالكلام على آرائه الأخرى

---

(١) الرسالة : الجزء ٧٧٥ ، الاثنين ١٠ مايس ١٩٤٨ .

رأياً بعد رأي ، وهي آراء تخص نوعاً خاصاً من العقائد ، تتلخص في : الوصية ، وفي الغلو في حق علي وفي الرجعة .

وترجع روايات الطبري عن « عبدالله بن سبأ » إلى سند هذه صورته : « ومما كتب به إليّ السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن يزيد الفقعسي »[1] . أو « ... في ذلك قصة كتب إليّ بها السري يذكر أن شعيباً حدثه عن سيف ، عن عطية ، عن يزيد الفقعسي ، قال ... »[2] . أو « فيما كتب به إلي السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن يزيد الفقعسي ، قال ... »[3] . فنرى من هذا السند أن الطبري قد أخذ كل ما ذكره عن عبد الله بن سبأ من مصدر واحد ، هو « السري » عن « شعيب » عن « سيف » عن « عطية » ، وتنتهي سلسلة سند « السري » بـ « يزيد الفقعسي » .

وقبل أن أعرض لرجال هذا السند ، أرى تسطير كل ما أورده الطبري عن « ابن سبأ » مبتدءاً بخبر وروده الى البصرة قادماً من الحجاز[4] . ففي البصرة بدأت فتنته كما ذكر الطبري ، ومن هذه المدينة انتقل الى المدن الأخرى ، معلناً نقمته على الخليفة عثمان : ودعوته في علي بن أبي طالب وفي الرجعة ، واقناعه أبا ذر الغفاري بأخذ رأيه في المال وفي تصرف معاوية في أموال « بيت المال » .

وإليك ما كتبه الطبري عن مجيء ابن السوداء الى البصرة ، قال : « مما كتب به إلي السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن يزيد الفقعسي ، قال : لما مضى من إمارة

(١) الطبري (٥/٩٠) « ذكر الخبر عن تسيير عثمان من سير من أهل البصرة الى الشأم » .

(٢) الطبري (٥/٦٦) . « أخبار أبي ذر رحمه الله تعالى » .

(٣) المصدر نفسه (ص ٩٨) « ذكر مسير من سار الى ذي خشب من أهل مصر وسبب مسير من سار الى ذي المروة من أهل العراق » .

(٤) « فأسلم زمان عثمان ، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ... » ، الطبري (٥/٩٨) .

ابن عامر ثلاث سنين بلغه أن في عبد القيس رجلاً نازلاً على حكيم بن جبلة ، وكان حكيم بن جبلة رجلاً لصّاً إذا قفل الجيوش خنس عنهم ، فسعى في أرض فارس ، فيغير على أهل الذمة ، ويتنكر لهم ، ويفسد في الأرض ، ويصيب ما يشاء ثم يرجع ، فشكاه أهل الذمّة وأهل القبلة إلى عثمان ، فكتب إلى عبد الله بن عامر أن « احبسه » ومن كان مثله ، فلا يخرجنّ من البصرة حتى تأنسوا منه رشداً . فحبسه ، فكان لا يستطيع أن يخرج منها . فلما قدم ابن السوداء ، نزل عليه ، واجتمع اليه نفر ، فطرح لهم ابن السوداء ، ولم يصرح ، فقبلوا منه واستعظموه ، وأرسل إليه ابن عامر ، فسأله : ما أنت ؟ فأخبره أنه رجل من أهل الكتاب رغب في الإسلام ورغب في جوارك ، فقال : ما يبلغني ذلك ؟ أخرج عني . فخرج حتى أتى الكوفة ، فأخرج منها ، فاستقر بمصر ، وجعل يكاتبهم ويكاتبونه ، ويختلف الرجال بينهم »[1] .

ويفهم من هذا الخبر أن مجيء « ابن السوداء » إلى البصرة ونزوله على « حكيم بن جبلة » كان في السنة الثالثة من إمارة « عبد الله بن عامر » على البصرة ، وبناء على ذلك تكون سنة مجيء « ابن السوداء » إلى البصرة سنة « ٣٢ هـ » تقريباً أو سنة « ٣٣ هـ » . فقد كان تعيين « عبد الله بن عامر » عاملاً على البصرة سنة تسع وعشرين ، عينه عليها عثمان . وكان قد عزل أبا موسى الأشعري واليها قبله . وكان عبد الله بن عامر ابن خال عثمان بن عفّان ، وكان عمره خمساً وعشرين سنة يومئذ . وقد ذكر الطبري الخبر المذكور في جملة حوادث سنة ٣٣ للهجرة[2] .

وكانت المحطة الثانية بعد البصرة مدينة « الكوفة » ، ولم يذكر الطبري مدة مكوث « ابن السوداء » فيها ، ولا المحل الذي نزل فيه . وإنما اقتصر على الإشارة الى « خروجه منها ، واستقراره بمصر » . فكان خروج « ابن السوداء » من الكوفة خروجاً إجبارياً ، لا رأي له

(١) الطبري (٥/٩٠) .

(٢) الطبري (٥/٤١) « ثم دخلت سنة تسع وعشرين » « ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة » .

فيه ولا اختيار ، وقد أوصله إلى مصر ، حيث استقر فيها ، وزاول عمله في إثارة الفتنة على عثمان ، وفي إعلان آرائه ، كما اتخذ مصر قاعدة سرّية اتصل منها بالمشاغبين على عثمان وبدعاة الفتنة في البصرة وفي الكوفة : يرسل رسله سراً اليهم ، ويتراسل معهم ، حتى أثار المصريْن ، وجعلها يشتركان مع مصر في الحملة على الخليفة ، وفي مهاجمته في بيته بالمدينة .

ولم يشر « السري » في هذه الرواية الى بلوغ « ابن السوداء » دمشق الشام ، ونزوله فيها أيام ولاية معاوية عليها . ولكن « الطبري » يذكر في موضع آخر من تأريخه وهو باب حوادث سنة « ٣٠ هـ » أنه بلغ دمشق الشأم ، وأنه نزل بها ، واتصل بأبي ذر الغفاري ، وكان بها يومئذ ، وأنه أغراه بمعاوية . وقد نقل كلامه هذا عن « السري » ، بالسند نفسه المذكور في الخبر السابق ، وفي أخباره الأخرى التي أوردها عن هذا الرجل . وهاك نص ما ذكره عنه :

« وفي هذه السنة ، أعني سنة ٣٠ هـ ، كان ما ذكر من أمر أبي ذر ومعاوية وإشخاص معاوية إياه من الشأم الى المدينة . وقد ذكر في سبب إشخاصه إياه منها اليها أمور كثيرة ، كرهت ذكر أكثرها . فأما العاذرون معاوية في ذلك ، فإنهم ذكروا في ذلك قصة كتب إليّ بها السري ، يذكر أن شعيباً حدثه عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسيّ ، قال : لما ورد ابن السوداء الشأم ، لقي أبا ذر ، فقال : يا أبا ذر ، ألا تعجب الى معاوية يقول : المال مال الله ألا ان كل شيء لله ؟ كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ، ويمحو اسم المسلمين . فأتاه أبو ذر ، فقال : ما يدعوك أن تسمي مال المسلمين مال الله ؟ قال : يرحمك الله ، يا أبا ذر ، ألسنا عباد الله ، والمال مال الله ، والخلق خلقه ، والأمر أمره ؟ قال : فلا تقله ، قال : فإني لا أقول إنه ليس لله ، ولكن سأقول مال المسلمين ، قال : وأتى ابن السوداء أبا الدرداء ، فقال له : من أنت ؟ أظنك ، والله ، يهودياً ؟ فأتى عبادة بن الصامت ، فتعلق به ، فأتى به معاوية ، فقال : هذا ، والله ، الذي بعث عليك أبا ذر . وقام أبو ذر بالشأم ، وجعل يقول : يامعشر الأغنياء ، واسوا الفقراء ، بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاوٍ من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . فما زال ، حتى ولع الفقراء بمثل ذلك ، وأوجبوه على الأغنياء ، وحتى شكا

الأغنياء ما يلقون من الناس . فكتب معاوية الى عثمان أن أبا ذر قد أعضل بي ، وقد كان من أمره كيت وكيت . فكتب اليه عثمان : إن الفتنة قد أخرجت خطمها وعينيها ، فلم يبق إلا أن تثب ، فلا تنكأ القرح ، وجهز أبا ذر إليّ ، وابعث معه دليلاً ، وزوّده ، وأرفق به ، وكفكف الناس ونفسك ما استطعت ، فإنما تمسك ما استمسكت . فبعث بأبي ذر ومعه دليل . فلما قدم المدينة ، ورأى المجالس في أصل سلع ، قال : بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكار . ودخل على عثمان ، فقال : يا أبا ذر ، ما لأهل الشام يشكون ذربك ؟ فأخبره أنه لا ينبغي أن يقال مال الله ، ولا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالاً . فقال : يا أبا ذر عليّ أن أقضي ما عليّ، وآخذ ما على الرعية ، ولا أجبرهم على الزهد ، وأن أدعوهم الى الاجتهاد والاقتصاد . قال : فتأذن لي في الخروج ، فإن المدينة ليست لي بدار . فقال : أو تستبدل بها إلا شراً منها ؟ قال : أمرني رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن أخرج منها إذا بلغ البناء « سلعاً » . قال : فانفذ لما أمرك به . قال : فخرج حتى نزل الرَّبَذَة »(١) .

فكان خروج أبي ذر من دمشق ووصوله الى المدينة في سنة ثلاثين للهجرة . أما إقامته في المدينة ، فكانت كما نرى من هذه الرواية قصيرة جداً ، لعلها لم تكن الا أياماً ، ثم غادرها بعد ذلك الى الربذة حيث أقام بها الى سنة وفاته . وكانت في السنة الثامنة في ذي الحجة من إمارة عثمان ، أي في سنة اثنتين وثلاثين للهجرة(٢) .

وبعد أن وقفنا على خبر مجيء « ابن السوداء » الى البصرة ، وخبر التقائه بأبي ذر في دمشق ، وتلقينه رأيه في المال ، وتعليمه التفريق بين مدلول : المال مال الله ، وهو المدلول الذي كان يقول به معاوية ، ومدلول : المال مال المسلمين ، وهو الرأي الذي نادى به أبو ذر منحولاً من ابن السوداء ، نعود الى موازنة الخبرين أحدهما بالآخر . فقد كان مجيء « ابن السوداء » الى البصرة في السنة الثالثة من حكم العامل ابن عامر . وقد رأينا أنه كان في السنة اثنتين

(١) الطبري (٥/٦٦) .

(٢) الطبري (٥/٨٠) « ذكر الخبر عن وفاته » في حوادث سنة اثنتين وثلاثين .

وثلاثين أو السنة الثالثة والثلاثين للهجرة ، كما ذكر ذلك مؤرخنا الطبري وأدرجه في حوادث هذه السنة [1] . وكانت سنة إخراجه من البصرة الى الكوفة ، ومن الكوفة الى دمشق في هذه السنة كذلك .

أما سنة إخراج أبي ذر من الشام ، وترحيله الى المدينة بناء على طلب عثمان ، استجابة لشكوى معاوية من أبي ذر ، فكانت سنة ثلاثين للهجرة . وأما سنة وفاته ، فكانت السنة الثانية بعد الثلاثين من الهجرة ، وكانت بالربذة . ومعنى هذا أن ذهاب أبي ذر الى الشام ، وخروجه منها ، كان قبل مجيء ابن السوداء الى البصرة ، وأن سنة وفاته كانت قبل ذلك . ومعنى هذا أيضاً نفي التقاء ابن السوداء بأبي ذر في دمشق ، ونفي أخذه نظريته في المال من ابن السوداء .

ثم إن من الصعب تصديق خبر أخذ أبي ذر من رجل مثل ابن السوداء ، وهو رجل نكرة من أصل يهودي ، يظاهر لجأة بين المسلمين . وأبو ذر رجل شديد عنيف ، من قدماء الصحابة ، وله قدم راسخة في الإسلام ، ليست به حاجة الى الأخذ من يهودي دخل حديثاً في الإسلام ، حتى وإن قلنا بجواز التقاء أبي ذر به . لقد كان أبو ذر معتداً برأيه ، فقيهاً ، عالماً بقواعد الإسلام ، لا يأخذ من أحد إلا اذا وثق به ، فكيف يتأثر برأي رجل طارئ مطارد ، يرد دمشق وهو مغضوب عليه مطعون في دينه ، ثم يتأثر به بهذه السرعة ويتحمس له ويأخذ بمقالته ؟ .

ذكر الطبري أن أبا ذر كان « يختلف من الربذة الى المدينة مخافة الأعرابية ، وكان يحب الوحدة والخلوة ، فدخل على عثمان وعنده كعب الأحبار ، فقال لعثمان : لا ترضوا من الناس بكف الأذى ، حتى يبذلوا المعروف . وقد ينبغي المؤدي للزكاة ألا يقتصر عليها ، حتى يحسن الى الجيران والإخوان ، ويصل القرابات . فقال كعب : من أدى الفريضة ، فقد قضى ما عليه . فرفع أبو ذر محجنه ، فضربه فشجه ، فاستوهبه عثمان ، فوهبه له . وقال : يا أبا ذر ، إتق الله ،

(1) الطبري (٥/ ٩٠) .

واكفف يدك ولسانك . وقد كان قال له : يا ابن اليهودية ، ما أنت وما هونا ؟ والله لتسمعن مني ، أو لا دخل عليك »[1] .

ورجل يكون هذا جوابه مع رجل هو أقدم إسلاماً من ابن السوداء ، وقد اشتهر بين المسلمين بالعلم وبالوقوف على الكتب القديمة ، ويراد بها كتب يهود ، حتى نعت عندهم بـ « كعب الأحبار » ، وغطى نعته هذا اسمه ، يتجاسر عليه ويضربه في حضرة خليفة ، ويقول له : « يا ابن اليهودية ، ما أنت وما هونا ؟ والله لتسمعن مني أو لأدخل عليك » أو « يا ابن اليهوديين أتعلمنا ديننا » برواية أخرى[2] . هل يعقل أخذه من رجل أسلم حديثاً ، ولم يكن معروفاً ، ولم يشتهر بعلم ، ولا بأي شيء مميز آخر ؟ وهل يعقل انجرافه ذلك الانجراف بدعايته ، وتحمسه ذلك التحمس له ؟ . وهل في الإسلام نقص وفراغ في هذا الباب ، حتى يأتي رجل فارغ منه لاندري مقدار موضع قدمه في الإسلام ، ليرشد أبا ذر الى هذه الناحية التي كانت من أهم النواحي المهمة التي تعرض لها الإسلام ؟

وقد جاء خبر سب أبي ذر لكعب الأحبار ، في كتاب « أنساب الأشراف » للبلاذري بشكل آخر . ورد على هذه الصورة : « لما أعطى عثمان مروان بن الحكم ما أعطاه ، وأعطى الحارث بن الحكم بن أبي العاص ثلاث مئة ألف درهم ، وأعطى زيد بن ثابت الأنصاري مئة ألف درهم ، جعل أبو ذر يقول : بشر الكافرين بعذاب أليم ، ويتلو قول الله عز وجل : (والذين يكنزون الذهب والفضة ...) الآية . فرفع ذلك مروان بن الحكم الى عثمان ، فأرسل الى أبي ذر « نائلاً » مولاه : أن انته عما يبلغني عنك . فقال : أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله وعيب من ترك أمر الله ؟ فوالله لأن أرضي الله بسخط عثمان أحب إلي وخير لي من أن أسخط الله برضاه . فأغضب عثمان ذلك وأحفظه ، فتصابر ، وكف ؛ وقال عثمان يوماً : أيجوز للإمام أن يأخذ من المال ، فإذا أيسر قضى ؟ فقال كعب الأحبار : لابأس بذلك . فقال أبو ذر :

(١) الطبري (٥/٦٧) .
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٢/٢٤٠) .

يا أبن اليهوديين ، أتعلمنا ديننا ؟ فقال عثمان : ما أكثر أذاك لي وأولعك بأصحابي ؟ إلحق بمكتبك ، وكان مكتبه بالشأم ، إلاّ أنه كان يقدم حاجّاً ، ويسأل عثمان الإذن له في مجاورة قبر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيأذن له في ذلك . وإنما صار مكتبه بالشأم ، لأنه قال لعثمان حين رأى البناء قد بلغ « سلعاً » : إني سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : إذا بلغ البناء « سلعاً » ، فالهرب . فأذن لي آتِ الشأم فأغزو هناك . فأذن له . وكان أبوذر ينكر على[1] معاوية أشياء يفعلها . وبعث اليه معاوية بثلاث مئة دينار ، فقال : إن كانت من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا ، قبلتها ؛ وإن كانت صلة ، فلا حاجة لي فيها . وبعث اليه حبيب بن مسلمة الفهري بمئتي دينار ، فقال : أما وجدت أهون عليك مني حين تبعث إلي بمال ؟ وردّها . وبنى معاوية الخضراء بدمشق فقال : يا معاوية إن كانت هذه الدار من مال الله ، فهي الخيانة . وإن كانت من مالك ، فهذا الإسراف : فسكت معاوية .

وكان أبو ذر يقول : والله ، لقد حدثت أعمال ما أعرفها ، والله ما هي في كتاب الله ولا سنّة نبيه . والله إني لأرى حقاً يطفأ ، وباطلاً يحيا ، وصادقاً يُكذّب واثرة بغير تُقى ، وصالحاً مستأثراً عليه . فقال حبيب بن مسلمة لمعاوية : إنّ أبا ذر مفسد عليكَ الشأم ، فتدارك أهله إن كانت لكم به حاجة . فكتب معاوية الى عثمان فيه . فكتب عثمان الى معاوية : أما بعد : فاحمل « جندباً » إليّ على أغلظ مركب وأوعره . فوجه معاوية من سار به الليل والنهار . فلما قدم أبو ذر المدينة ، جعل يقول : تستعمل الصبيان ، وتحمي الحمى ، وتقرب أولاد الطلقاء ! فبعث اليه عثمان : الحق بأي أرض شئتَ . فقال : بمكة . فقال : لا . قال : فبيت المقدس . قال : لا . قال : فبأحد المصرين . قال : لا ، ولكني مُسيّرك الى الربذة . فسيره اليها ، فلم يزل بها حتى مات »[2] .

وكان أبو ذر كما جاء في الأخبار شديداً زاهداً جداً ، يعنف أي شخص مهما كانت منزلته

---

(١) أنساب الأشراف (٥/٥٢) .
(٢) البلاذري : أنساب الأشراف (٥/٥٢ وما بعدها) .

إذا وجد أنه قد مال الى الدنيا ، وأنه قد تصرف تصرفاً يخالف ما كان في أيام الرسول . وقد عرف ذلك عن نفسه ؛ فكان يقول : « ما ترك الحق لي صديقاً » . أو « ما زال بي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لم يترك لي الحق صديقاً » [(1)].

فيفهم من هذا الخبر المتقدم ومن سائر الأخبار عن أبي ذر أن حملته هذه على المكتنزين للذهب والفضة ، وعلى الجامعين للثراء ، وعلى المبتعدين عن الزهد المقبلين على الدنيا ، إنما بدأت قبل ذهابه الى دمشق بأمد طويل ، وأن خروجه من المدينة وذهابه الى الشأم كان ناشئاً من تذمره من الوضع الجديد ، وتذمر المقربين منه والغالب أن ذهابه اليها لم يكن عن طيب خاطر ، بل كان كرهاً وقسراً ، تجنباً من وقوع فتنة في مدينة الرسول بسبب حملته المنيفة هذه ، وتخلصاً منه ، فأرسل الى معاوية ليكون في سلطانه ونفوذه وتحت تأثيره ، وهو رجل اداري سياسي ، يعالج المعضلات والمشكلات باللين والحيلة والرفق ، إلا إذا وجد عنفاً وشدة . وقد عمل معاوية كل ما أمكنه لتغيير رأي أبي ذر واقناعه بالتزام الصمت والسكوت ، كما قام بامتحانه لمعرفة درجة صدقه واخلاصه في دعوته ، بإرسال الأموال المغرية اليه . فلما وجد منه الجد في الدعوة والصدق في القول ، والاخلاص في العقيدة وأنه ماض في ذلك لاينثني عنه ؛ شديداً لايلين ولا يخشى عقاباً ، أدرك خطره ، وعرف ما ستعمل دعوته هذه في دمشق ، وكتب الى الخليفة يلتمس منه إصدار الأمر بنقله منها الى مكان آخر . وهكذا تخلص منه .

وقد ذكر البلاذري أخبار أبي ذر ، وذكر رأيه في المال ، ولم يشر الى التقائه بابن السوداء أو بابن سبأ . وقد جاء البلاذري بروايات عن أبي ذر لم ترد في تأريخ الطبري ، اغترفهما من منابع لم يغترف الطبري منها . ولو كان قد التقى به ، أو تلقن رأيه في المال منه ، لأشار إليه ؛ فقد أشار كما رأينا إلى رأي أبي ذر في المال وفي الغنى والأغنياء قبل ذهابه الى الشأم . ولو كان رأي أبي ذر مأخوذاً من أحد ، لأشار البلاذري اليه ولا شك .

---

(1) البلاذري (٥/ ٥٤ وما بعدها) .

ولم يكن أبو ذر الشخص الوحيد الذي نادى بهذا الرأي وجاهر به ، لقد شاركه فيه وقال به كثير من الصحابة غيره . وقد أخذ عمر بن الخطاب الصحابة بالشدة في اقتطاع الأرض وامتلاك الأملاك ، وعنف العمال لابتنائهم البيوت بالجص والآجر واستخدامهم خشب الآبنوس في البناء . ثم لم يكتف بذلك ؛ بل حصر قريشاً والصحابة في المدينة ، ولم يسمح لهم بمغادرتها إلا بإذن خشية أن يذهبوا الى الأمصار ويقيموا فيها ويتملكوا الأملاك الواسعة ، فيبطروا ، ويبتعدوا عن جو بلادهم البسيط ، وعن شظف العيش .

ونظرية أبي ذر في المال لا تدخل في موضوعنا هذا ، والبحث فيها يشغلنا عن أصل بحثنا ، فليس لنا إلا أن نتتبع ابن سبأ أو ابن السوداء . وقد أوصله بعض الأخباريين الى دمشق ، فزعموا أنه قابل أبا ذر وقابل نفراً غيره من الصحابة ، ثم غادر دمشق الى مصر . أما كيف غادرها ، وكيف وصل الى مصر ، وكم مكث في دمشق ، فتلك أسئلة لم يجب أهل الأخبار عنها ، ولم يكلفوا أنفسهم عناء البحث فيها ، فعلمنا عنها لذلك جهل ، وإحاطتنـــا بأخباره في مدينة معاوية صفر .

أما في مصر ، فقد أصاب ابن السوداء فيها نجاحاً كما يظهر من خبر « يزيد الفقعسي » ؛ فتمكن من إقرار آرائه ، ومن إثارة القوم على الخليفة ، ومن مكاتبة أهل البصرة والكوفة في الثورة على عثمان وعلى عماله حتى أشعلها ناراً ، وحتى نجح في تأليب الناس في تلك الأماكن ، وهي مواضع حساسة جداً ، فأقبلت على المدينة ، وشاغبت فيها ، وحاصرت الخليفة ، ولم ترجع إلا بعد قتلها له ، وإثارتها فتنة كانت آثارها في المسلمين عظيمة ، فقسمتهم وشتت شملهم ، وأهلكت عدداً كبيراً منهم في الحروب الأهلية التي وقعت فيما بعد .

وأما إقامة ابن السوداء بمصر ، ومدة مكوثه فيها والمحل الذي نزل به ، والأشخاص الذين حل عليهم ، فهذه وأمثالها أمور لم يتحدث « الفقعسي » عنها ولم يشر إليها . لقد اكتفى بإيصاله الى مصر ، وبنسبة الفتنة له ، ثم تركه هناك ، دون أن يتطرق الى الجزئيات والفروع والتفاصيل . ومن هنا كان كل ما نعرفه عنه هناك أنه وجد أرضاً خصبة زرع فيها الفتنة ،

ولكننا لا ندري أين زرعها ؟ ومن ساعده على زرعها هناك ؟

ويذكر القفصي أن عبد الله بن سبأ قال لأهل مصر : « لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ، ويكذب بأن محمداً يرجع ، وقد قال الله عز وجل : (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) ! فمحمد أحق بالرجوع من عيسى . فقبل ذلك عنه ، ووضع لهم الرجعة ، فتكلموا فيها . ثم قال لهم بعد ذلك : إنه كان ألف نبي ، ولكل نبي وصي . وكان علي وصي محمد . ثم قال : محمد خاتم الأنبياء ، وعلي خاتم الأوصياء . ثم قال بعد ذلك : من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ووثب على وصي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وتناول أمر الأمة ؟ ثم قال لهم بعد ذلك : إن عثمان أخذها بغير حق . وهذا — يعني علياً — وصي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فانهضوا في هذا الأمر ، فحركوه ، وابدؤوا بالطعن على أمرائكم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تستميلوا الناس ، وادعوهم الى هذا الأمر .

فبث دعاته ، وكاتب من كان استفسد في الأمصار ، وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون ، فيقرؤوه أولئك في أمصارهم ، وهؤلاء في أمصارهم ، حتى تناولوا بذلك المدينة ، وأوسعوا الأرض إذاعة ، وهم يريدون غير ما يظهرون ، ويسترون غير ما يبدون ، فيقول أهل كل مصر إنا لفي عافية مما أبتلي به هؤلاء ، إلا أهل المدينة ، فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار . فقالوا : إنا لفي عافية مما فيه الناس ... فأتوا عثمان ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، أيأتيك عن الناس الذي يأتينا ؟ قال : لا ، والله ، ما جاءني إلا السلامة . قالوا : فإنا قد أتانا . وأخبروه بالذي أسقطوا إليهم . قال : فأنتم شركائي وشهود المؤمنين ، فأشيروا علي . قالوا : نشير عليك أن تبعث رجالاً ممن تثق بهم إلى الأمصار ، حتى يرجعوا إليك

بأخبارهم . فدعا محمد بن مسلمة ، فأرسله الى الكوفة ، وأرسل أسامة بن زيد الى البصرة ، وأرسل عمّار بن ياسر الى مصر ، وأرسل عبد الله بن عمر الى الشأم ، وفرق رجالاً سواهم ، فرجعوا جميعاً قبل عمّار ، فقالوا : أيها الناس ، ما أنكرنا شيئاً ، ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم ، وقالوا جميعاً : الأمر أمر المسلمين ، الا أن أمراءهم يقسطون بينهم ، ويقومون عليهم . واستبطأ الناس عمّاراً حتى ظنّوا أنه قد اُغتيل ، فلم يفجأهم إلاّ كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، يخبرهم أن عماراً قد استماله قوم بمصر ، وقد انقطعوا اليه ، منهم : عبد الله ابن السوداء ، وخالد بن ملجم ، وسودان بن حمران ، وكنانة بن بشر[1] » .

وقد أيد البلاذري ما جاء في تأريخ الطبري من إرسال عثمان عمار بن ياسر الى مصر « ليأتيه بصحة خبر ابن أبي حذيفة ، وحق ما بلغه عنه من باطله ، وأمره أن يقوم بعذره ، ويضمن عنه العتبى لن قدم عليه . » ولكنه بدلاً من أن يهدىء الأحوال ، ويسكت ابن أبي حذيفة ، « حرّض الناس على عثمان ، ودعاهم الى خلعه ، وأشعلها عليه ، وقوّى رأي ابن أبي حذيفة وابن أبي بكر ، وشجعهما على المسير الى المدينة[2] » . ثم رجع مع من جاء من المصريين الناقمين الى المدينة ، واتصل بهم هناك ، وكان من المحرضين على الخليفة .

ولكنه لم يشر الى عبد الله بن سبأ أو ابن السوداء ، ولم يذكره كما ذكره الطبري . وقد ذكر الطبري أن ابن السوداء كان في جملة المصريين الناقمين على عثمان ، الذين جاؤوا إلى المدينة فأثاروا الفتنة فيها ، الفتنة التي انتهت بقتل الخليفة ، وسنده في ذلك : « السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان[3] » .

أما إرسال عثمان عمار بن ياسر الى مصر ، فمسألة فيها نظر ، وإن نص عليها بعض الأخباريين ، فقد كان عمار مخاصماً لعثمان ، منتقداً له . وقد جادله مراراً ، واصطدم به مراراً اصطداماً عنيفاً .

---

(١) الطبري (٥/٩٨ وما بعدها) .

(٢) البلاذري (٥/٥١) .

(٣) الطبري (٥/١٠٣ وما بعدها) .

وكان متحاملاً عليه ، فليس من المعقول تكليفه القيام بهذه المهمة الخطيرة ، مهمة إشاعة الأمن والطمأنينة بين أهل مصر ، وهو نفسه من الناقمين عليه ، خاصة كانت اشارة من نصح عثمان بارسال الرجال الى الأمصار ليرجعوا اليه بالأخبار الصحيحة عن الوضع ، بأن يكون أولئك الموفدين ممن يثق بهم الخليفة ويعتمد عليهم (١) . ولم يكن عمار باجماع الأخبار ممن تنطبق عليه جملة « ممن تثق بهم » .

ولذلك لا يعقل اختيار عثمان لعمار من دون الناس لهذه المهمة ، وإن فرضنا أنه إنما فعل ذلك لعلم عثمان بأثر عمار في أهل مصر وبمكانته عندهم ، وأنه أراد بذلك أيضاً مصالحته واستدراجه اليه . فان عماراً لم يكن من أولئك الذين يستدرجون في سهولة ويصالحون في يسر . وقد خرج غاضباً وعاد غاضباً على عثمان .

وقد ذكر البلاذري أن عماراً بحسب رواية بعض الأخباريين كان في جملة من خرج مع علي بن أبي طالب ، لتهدئة روع المصريين واسكاتهم بعد أن طلب عثمان من علي أن يفعل ذلك (٢) ، وهذا يدل على أنه كان في المدينة حين قدوم الوفد . ويفهم من بعض روايات الطبري أن عماراً كان في المدينة حين وصل المصريون اليها ، وأنه اتصل بهم ، وجاء اليهم من المدينة .

أولد مقتل الخليفة حالة من الفوضى وعدم الاستقرار ، فلبس معظم أهل المدينة في بيوتهم ، دفاعاً عن أنفسهم وعن أموالهم ، وانتهز الأعراب والمستعدون هذه الفرصة فالتفوا حول الثائرين ، وهرب الموالي من سادتهم ولم يعودوا يطيعونهم . وكان موقف الخليفة الجديد صعباً بين الآراء المتضاربة والفتن المتعددة التي ظهرت منذ أيام عمر : كان عليه ارجاع الأمن وإسكات الشغب ، واجابة مطالب الأغلبية ، وإصلاح بيت المال ، وكان عليه النهوض لمقاومة الجماعة المناوئة له ، وهي جماعة قوية ، تعتمد على الدهاء والمكر السياسي ، وعلى المال تنفقه من غير حساب في

(١) « ... قالوا نشير عليك أن تبعث رجالا ممن تثق بهم الى الأمصار حتى يرجعوا اليك بأخبارهم ... » ، الطبري (٥/٩٩) .

(٢) البلاذري : أنساب الأشراف (٥/٦١) .

اكتساب ذوي الرأي والنفوذ ، وابعادهم عن الخليفة الجديد .

ولم تكن حركة وثوب الأعراب والموالي على ساداتهم حركة خاصة في المدينة ، بل كانت وبدأت في العراق ثم انتشرت الى مصر وبلاد الشام وسائر الأماكن ، ومنها انتقلت الى « المدينة » عاصمة الخلافة . لقد كانت أسبابها ودوافعها قديمة ، ترجع الى ما قبل الإسلام ، وقد ثارت الآن لمجيء وقود جديد اليها ، فظهرت في شكل هذه الثورة المؤسفة والثورات المتوالية التي شغلت علياً وبني أمية ، حتى انتهت بسقوط دولتهم ، وذهاب ملكهم ، ولو انتبه المسؤولون الى عواملها الأصلية ، لسلموا ، وارتاحوا ، وعاشوا في أمن وراحة وسلام .

لقد عرفت جرثومة دعاة الحركة المناوئة لعثمان بـ « السبئية » في تأريخ الطبري . ونحن لا يعنينا في هذا المكان إلا هؤلاء . ويظهر من روايات هذا المؤرخ ، وكلها من « سيف » ، أن هذه الجماعة كانت بمصر ، وأنها وردت المدينة منها ، وأنها صارت جماعة ذات أثر خطير في تلك الأيام ، وإن لم تكن تضم أناساً من المشاهير المعروفين ، فلم يكن فيها من أبناء الأسر ، أسر قريش المعروفة ، ولم يكن من بينها من كان من الصحابة ، بل كان جلهم من الشبان أو الكهول الناقمين على الوضع العام ، وعلى الاسراف في بيت مال المسلمين يذهب الى « أولاد الطلقاء » والى نسل من حارب النبي في جانب قريش . هذه كانت بعض دعواهم فيما أذاعوه على الناس (١) .

وقد تكرر ورود لفظة « السبئية » في تأريخ الطبري عن أيام الفتن التي وقعت في أيام عثمان وفي أثناء تولي علي الخلافة . وقد كانوا قوة لها أهميـة في معركة الجمل ، ترمي بالنشاب ، وتحرك المعركة كما يذكر الرواة بحسب رأيها وخططها . وكان لها رأي مسموع في خلافة علي ، لامتلاكها ناصية الدعاية والتأثير في السواد وتوجيه الرأي العام . ومع ذلك لم يتيسر أصحاب الأخبار الى أصل التسمية ، هل جاءت من نسبتها الى عبد الله بن سبأ ، أو من انتسابها الى « سبأ » أي الى يمن ، فهم جماعة يمانون وذلك على نحو ورود لفظة « مضرية » من نسبتها الى

(١) الطبري (٥/١٠٢) .

مصر ، وقد كان لها أيضاً أثر خطير في معركة الجمل .

والظاهر أنها كانت كتلة من أكثر الكتل السياسية التي ظهرت في أيام عثمان نظاماً . كانت بارعة في توجيه دعايتها ونشر أغراضها ، نشيطة في تكوين الفروع السرية لها ، متمكنة من معرفة أسباب التذمر ، عارفة بالمواضع الحساسة من الحياة وبما يشكو منه الناس . وقد تسترت في دعوتها ، وجاهرت بها بحسب الظروف والأحوال ، وكانت تتراسل مع من عرفت منه التذمر والتشكي من سوء الوضع ، وتتقصى أخبار الولاة وأخبار المخالفات التي يقومون بها ، ولا سيما أخبار التجاوز والتطاول على بيت المال ، فتذيعها بين الناس ، للإشهار والإعلان ، تذيع أخبار الأمصار في مصر ، وأخبار مصر في الأمصار ، وهكذا كان الناقمون على علم بما يجري في سائر بلاد الإسلام .

وكانت الكوفة والبصرة من أكثر المواضع حساسية في العالم الاسلامي ، وهما في ذلك أشد خطراً من مصر . فرأى « أهل مصر » مكاتبة زعماء المصرين والاتصال بهم ، لتوحيد الخطط ، وتكوين قيادة ثورية واحدة ، تقوم بعمل واحد ، وتنتهج في عملها نهجاً واحداً . وقد وردت جملة « أهل مصر » في مواضع من تأريخ الطبري كناية عن الثائرين . وهي تؤدي معنى « السبئية » أي الثوار المصريين الذين كانوا ينقمون على عثمان . وكان من زعمائهم : عبد الرحمن ابن عديس البلوي ، وكنانة بن بشر الليثي ، وسودان بن حمران السكوني ، وقتيرة السكوني ، والناقفي بن حرب العكي ، وابن السوداء .

ويذكر « سيف » أن الناقمين على الخليفة في الأماكن الثلاثة المذكورة اتفقوا أولاً وبعد أن تمت خططهم على « أن يثوروا خلاف أمرائهم واتعدوا يوماً » ، ثم أجلوا الثورة الى وقت مناسب آخر[1] . ورأت « السبئية » وضع خطة أخرى محكمة ، فـ « كاتبوا أشياعهم من أهل الأمصار أن يتوافوا بالمدينة لينظروا فيما يريدون ، وأظهروا أنهم يأمرون بالمعروف ، ويسألون

(١) الطبري (٥/١٠١ وما بعدها) .

عثمان من أشياء لتطير في الناس ولتحقق عليه . فتوافوا بالمدينة . وأرسل عثمان رجلين مخزومياً وزهرياً ، فقال : أنظرا ماذا يريدون ، وأعلما علمهم ، وكانا ممن قد ناله من عثمان أدب . فاصطبرا للحق ، ولم يضطغنا ، فلما رأوهما ، باثوهما ، وأخبروهما بما يريدون ، فقالا : من معكم على هذا من أهل المدينة ؟ قالوا : ثلاثة نفر . فقالا : هل إلا قالوا لا قالا : فكيف تريدون أن تصنعوا ؟ قالوا : نريد أن نذكر له أشياء قد زرعناها في قلوب الناس ، ثم نرجع اليهم فنزعم لهم أنا قررناه بها ، فلم يخرج منها ، ولم يتب ، ثم نخرج كأنا حجاج حتى نقدم فنحيط به فنخلعه ، فإن أبى قتلناه وكانت إياها » (١) .

وتكاتب أولئك الناقمون ، وقالوا : موعدكم ضواحي المدينة في شوال ، على أن يأتوا بهيئة الحجاج ، وذلك من سنة خمس وثلاثين .

وفي الأجل المضروب الذي تكاتبوا عليه ، خرج الناقمون من أهل البصرة والكوفة في زي الحجاج قاصدين الحجاز . وقد قسم أهل كل مصر من هذه الأمصار الثلاثة جماعتهم الى أربعة أقسام ، عرفت كل جماعة من هذه الجماعات بـ « الرفاق » جمع « رفيق » ، وعلى رأس « الرفاق » رؤساء يتولون شؤون الرفاق . فكان على رأس « رفاق » البصرة الأربعة أربعة رؤساء وعلى رأس « رفاق » الكوفة الأربعة أربعة رؤساء وعلى رأس « رفاق » مصر الأربعة أربعة رؤساء كذلك ، ومجموعهم اثنا عشر رئيساً أو « رفيقاً » يدير شؤون الرفاق .

وجعلوا على كل قوم من الأقوام الثلاثة ، أي على كل أربعة « رفاق » ، رئيساً أعلى يشرف على القوم . فكان الغافقي بن حرب العكي على « قوم » مصر ، وكان عمرو بن الأصم على قوم الكوفة ، وكان حرقوص بن زهير السعدي على قوم البصرة . وقد نعت رئيس القوم بـ « الأمير » . وكان « ابن السوداء » في جملة رجال رفاق مصر ، ولكن « السري » صاحب هذا الخبر ، لم يذكره في جملة الرؤساء أو الأمراء (٢) .

(١) الطبري (٥/١٠١ وما بعدها) .
(٢) الطبري (٥/١٠٣ وما بعدها) .

كان اتجاه هذه الحركة التي ظهرت ضد عثمان اتجاهاً اجتماعياً في الدرجة الأولى إذن . وأما ما لابسها من تحزب وتشيع لعلي ، فلم يكن أثر له في البدء ، كان هوى الناقين على الخليفة من أهل الكوفة في الزبير ، وكان هوى أهل البصرة في طلحة ، وكل من هؤلاء يدعو الى صاحبه ، ويسعى اليه . ولما ورد وفدها ضواحي المدينة على الميعاد المتفق عليه ، راجع كل « رفاق » من الرفاقين صاحبه ، إلا « رفاق » مصر ، فقد راجعوا علي بن أبي طالب ، وكان هواهم فيه . ويذكر « الطبري » نقلاً عن « السري » أن هذه الحركة بدأت في السنة الأولى من إمارة عثمان ، بدأت على أثر اتخاذ رجال من قريش أموالاً في الأمصار ، وانقطاع أناس إليهم ، وامتلاكهم آلاف الرقيق ، ثبتوا على ذلك سنين . ثم إن ابن السوداء أسلم ، وتكلم فوجدت دعوته رواجاً بين الناس . وكان عمر « قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج في البلدان ، إلا بإذن وأجل ، فشكوه ، فبلغه ، فقام فقال : ألا إني قد سننت الإسلام سن البعير ، يبدأ فيكون جذعاً ثم ثنياً ثم رباعياً ثم سديساً ثم بازلاً ، ألا فهل ينتظر بالبازل إلا النقصان ؟ ألا فإن الإسلام قد بزل ، ألا وإن قريشاً يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عباده ، ألا فأما وابن الخطاب حي فلا ، إني قائم دون شعب الحرة ، آخذ بحلاقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا في النار » (١) .

فلما مات عمر ، تنفس هؤلاء الرجال من قريش ، وتنفست أموالهم ، وكثرت أملاكهم كثرة لا يفكر فيها إلا من كان محروماً معدماً . فامتلكوا الأرضين الواسعة في العراق ، واقتطعوا خيرة الاقطاعيات الخصبة ، واستغلوا الألوف من أصحاب الأرض الأصليين من الموالي ، ومن هنا نبتت الشكاوى وارتفعت ، وظهرت معها نظرية « السواد بستان قريش » .

يقول السري : فلما ولي عثمان ، لم يأخذهم بالذي كان يأخذهم به عمر ، فانساحوا في البلاد . فلما رأوها ، رأوا الدنيا ، ورآهم الناس ، انقطع من لم يكن له طول ولا مزية في الإسلام ، فكان مغموماً في الناس وصاروا أوزاعاً اليهم ، وأملوهم ، وتقدموا في ذلك ، فقالوا : يملكون ،

(١) الطبري (٥/١٣٤) .

فسكون قد عرفناهم ، وتقدمنا في التقرب والانقطاع اليهم . فكان ذلك أول وهن دخل على الإسلام ، وأول فتنة كانت في العامة ، ليس إلا ذلك »[1] . وذكر أيضاً « لم يمت عمر ، رضي الله عنه ، حتى ملته قريش . وقد كان حصرهم بالمدينة ، فأمتنع عليهم . وقال : إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم في البلاد ، فان كان الرجل ليستأذنه في الغزو ، وهو ممن حبس بالمدينة من المهاجرين ، ولم يكن فعل ذلك بغيرهم من أهل مكة ، فيقول قد كان لك في غزوك مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما يبلغك ؛ وخير لك من الغزو اليوم : ألا ترى الدنيا ولا تراك . فلما ولي عثمان ، خلّى عنهم ، فاضطربوا في البلاد ، وانقطع اليهم الناس ، فكان أحب اليهم من عمر »[2] .

وقد كان عمر شديداً في هذا الباب ، يرى التقشف في الحياة ، ويطبق ذلك على نفسه وعلى أهله أولاً . كان لا يلبس إلا الملابس الخشنة ، ولا يأكل إلا الأكل البسيط الذي يكون في متناول الطبقات الفقيرة . لم يرض بنخل الدقيق ، ولم يستعمل اللحم إلا في القليل ، أسوة بالفقراء والمعوزين . وهذا مما غاظ الطبقات الغنية من قريش التي كسبت وحصلت على مالها في الإسلام . وقد أكل بعض الناس مع عمر ، وأكلوا مع عثمان ، وهاك ما قاله بعض هؤلاء :

قال عمرو بن أمية الضمري : كنت أتعشى مع عثمان خزيراً من طبخ من أجود ما رأيت قط : فيها بطون الغنم وأدمها اللبن والسمن . فقال عثمان : كيف ترى هذا الطعام ؟ فقلت : هذا أطيب ما أكلت قط . فقال : يرحم الله ابن الخطاب ، أكلت معه هذه الخزيرة قط ؟ قلت : نعم ، فكادت اللقمة تفرث في يدي حين أهوي بها الى فمي وليس فيها لحم ، وكان أدمها السمن ، ولا لبن فيها . فقال عثمان : صدقت ، إن عمر ، رضي الله عنه ، أتعب والله من تبع أثره ، وإنه كان يطلب بثنيه عن هذه الأمور ظلفا » وقال عبد الله بن عامر : « كنت أفطر مع عثمان في شهر رمضان ، فكان يأتينا بطعام هو ألين من طعام عمر . قد رأيت على مائدة

(1) الطبري (٤/١٣٤) .

(2) الطبري (٥/١٣٤) .

عثمان الدّرمك الجيد ، وصغار الضأن كل ليلة ، وما رأيت عمر قطُّ أكل من الدقيق منخولاً ، ولا أكل من الغنم إلاّ مسانها . فقلت لعثمان في ذلك ، فقـــال : يرحم الله عمر ، ومن يطيق ما كان عمر يطيق » [1] .

وهناك قصص من هذا النوع يمثل التغير الذي طرأ في أيام عثمان على حياة بعض أسر قريش والتطور الكبير الذي طرأ عليهم بالقياس الى أيام عمر : تطور ظهر في الثروة الكبيرة التي انهالت عليهم ، وفيما يعقب الثروات الضخمة في العادة من ولوج حياة البطر والرفاهية والترف في الحياة ، ومن ميل الى زيادة الربح وتضخيم الثروة دون نظر الى مستوى الآخرين . وهذا مما ولد السخط لا في نفوس الموالي والأرقاء وحدهم ، بل في نفوس كثير من قريش والأنصار ، رأوا أن الحياة الجديدة قد أنشأت ظروفاً تتعارض مع دعوة النبوة وأحكام الإسلام ، وأنها جعلت ممن حاربوا الإسلام في أيام النبي ، ولم يسلموا إلا في أيام نصره ، أو من نسلهم طبقة سادة متنفذة مكتنزة للمال ، تأخذه من بيت مال المسلمين ، ولا تدفع إليه إلا النزر اليسير . أما من حارب وجاهد في سبيل الإسلام ، فقد حُرم ذلك ، أو قتر عليه ، أو حيل بينه وبين الأرض ، مع أنه قديم عهد بالاسلام . ومن هنا نشأ التـذمر ، وارتفعت الأصوات بظهور مخالفات وتصرفات شخصية وكيفية لم تعرف في أيام الرسول ولا في أيام الشيخين [2] .

وإذا كانت حركة التذمر هذه قد ظهرت في المدينة ، وإذا كان عمر قد تكهن بها وشخصها وعرف نتائجها وهو خليفة ، فإن شعور أهل المدينة بها لم يكن بدرجة شعور أهل البلاد المفتوحة ولا سيما أهل العراق . فقد مني العراق بالإقطاع في العهد الساساني السابق للإسلام ، فكان في ذلك العهد سادة وأتباع : سادة هم الأسرة المالكة الساسانية والوزراء والمرازبة والدهاقين ورجال الدين ، ولكل منهم أرضين واسعة تستغل لحسابهم وحدهم ، واتباع كانوا يشتغلون إما لغيرهم ، وإما لحسابهم ، ولكن بكسب ضئيل لا يكفي إلا لسد الرمق في الغالب وهذا ما جعل

(١) الطبري (١٣٦/٥) .

(٢) راجع أجوبة الخليفة عثمان على اعتراضات منتقديه .

السكان وهم أخلاط من الناس وخليط من أجناس وأديان ، ينقمون على الحكومة ويشعرون أنها هيأة غريبة عنهم ، لا تعرفهم إلا عند حاجتها الى المال . فلما جاء المسلمون ، فرحوا بهم ، ورأوا في قدومهم الخلاص والفرج بعد الشدة ، وسهلوا للفاتحين سبل الفتح ، ودخلوا في الاسلام أفواجاً أفواجاً ، ولكنهم سرعان ما شعروا أن مشكلاتهم الأصلية ، المتعلقة بمعاشهم وبحياتهم لم تحل ، فانتقلت الأرض الى ملاك جدد ، لم يكونوا من أصحاب الإقطاع في السابق ، ولا علم لهم بإدارة الأملاك ، استأثروا بخيرات الأرض دونهم ، مع مساواة الإسلام بين الجميع في الحقوق ، ورأوا أن الدهاقين القدماء المستغلين قد استعانوا بالسادة الجدد وهم من رجال قريش ، فتقربوا اليهم ، مستغلين نفوذهم وسلطانهم وصاروا كالسابق يتحكمون فيهم . فالوضع الجديد إذن هو استمرار للوضع القديم مع فارق واحد ، هو ذهاب ســـادة قدماء ومجيء سادة جدد أخذوا مواضع الماضين .

وقد كان الناقمون على الخليفة ألواناً ، لا تجمع بينهم جامعة ، لتعدد دوافع النقمة . وكان « السبئيون » في جملة هؤلاء . ولما كان موضوعنا خاصاً بهم ، وليست له صلة مباشرة بموضوع الفتنة على عثمان ، فسنقتصر الكلام عليهم وعلى بقية دعوتهم في أيام عثمان وعلي .

وقد وردت لفظة : « سبئي » في بعض الروايات مرادفة لمنتقم لخصم ، مدفوعاً على خصومته هذه بعامل النقمة ، كالذي ورد عن « عمير بن ضابيء البرجمي » وكان أبوه قد مات في الحبس ، عزره عثمان وحبسه لعمل ارتكبه ، فصار ابنه من أشد الناس على الخليفة . ولما تحدث « السري » عن سبب الخصومة ، تعرض لحال أبيه ، ثم قال : « فلذلك صار عمير بن ضابيء سبئياً » (١) .

والغريب أن هذا الدور الذي ينسبه « السري » الى « ابن السوداء » والى السبئيين لا نجد له ذكراً في الجزء الخاص من تأريخ « البلاذري » المطبوع ، وفي هذا الجزء خبر خلافة عثمان

(١) الطبري (١٢٧/٥) ، البلاذري : أنساب (٨٤/٥) .

وتفاصيل مقتله ومن اشترك فيه . ثم من الغريب أيضاً أننا لا نجد في مراثي عثمان الواردة في تاريخ الطبري أو في « أنساب الأشراف » أو في أي مكان آخر اشارة الى دور هذا اليهودي المسلم ، ودور السبئيين في التحريض على الخليفة وفي اثارة الفتن عليه . والاشارة الى دور هؤلاء مهمة جداً ، ولا سيما أن مثيرها كما يذكر « السري » رجل من أصل يهودي . فالإشارة اليهم خير مطعن وأحسن مثلبة توجه الى خصوم عثمان والتجاسرين عليه . لقد طعنوا في علي فاتهموه بأن له يداً في قتل عثمان [1] ، وأشاروا الى قتلته ، فلم لم يشيروا الى ابن السوداء والى السبئيين إن كان للسبئيين يد في قتل عثمان ؟

والسبئية كما رأيناها في روايات « السري » حركة اجتماعية ذات اتجاه اشتراكي متطرف تدعو الى الثورة على الأغنياء وعلى الأثرياء الجدد وعلى السادة الجدد الذين امتلكوا أرضين واسعة في المناطق الخصبة من العراق ، وقد تحاملت على عثمان لأنه تساهل على زعمها مع أقربائه ومع بني أمية ، فتركهم يعبثون في بيت المال ، أخذوا منه ما لا يستحقونه ، فأثروا ، وامتلكوا ، واكتنزوا ، وتحكموا في شؤون الفقراء . فماذا كان رأيها بعد مقتل عثمان ؟ وماذا كان موقفها من الخليفة علي ؟ هل كانت معه أم عليه ؟

و « السري » — بعدُ — موردُنا وسندنا الأول والأخير في هذا البحث أيضاً . وهو يتحدث عنهم في أثناء كلامه على خلافة علي ، فيرينا إياهم أناساً ظنوا أن الأمر سيكون في

(١) قال حسان بن ثابت :

يا ليت شعري ، وليت الطير تخبرني : ما كان شأن علي وابن عفانا

وقال الوليد بن عقبة بن أبي معيط :

بني هاشم ، ردوا سلاح ابن أختكم ولا تنهبوه ، لا تحل مناهبه
هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما غدرت يوماً بكسرى مرازبه
وكيف يرجون البراءة عندنا وعند علي سيفه ونجائبه

البلاذري (٥/١٠١) .

أيديهم ، وأن الحكم سيكون لهم في أيام علي ، وأنه سيفقد رغباتهم ، وإذا به يخالفهم في الرأي ، ويجادلهم في مذهبهم ولا يقرهم على ما ذهبوا إليه . وقد أزعجهم رأي علي هذا وغاضهم ، ولكنهم لم يجرؤوا على الثورة عليه علناً ، وانما سكتوا وصبروا وعملوا ضده سراً ، وذلك ببث دعايتهم بين جماعته وأنصاره واشاعة الفرقة بين حزبه ، وقد أضر عملهم هذا بعلي ، كما ألحق الضرر بهم ، وساعدوا من حيث لا يدرون بتقوية جبهة معاوية ، وباضعاف جبهة علي واضعاف على معنداه إضعافهم هم من حيث لا يدرون . فمعاوية خصمهم كما هو معروف للجانبين .

بويع علي بالخلافة ، وكانت الحالة فوضى ، والآراء متضاربة ، ودعاة الفتن نشيطون في كل مكان . وجاء اليه طلحة والزبير في عدة من الصحابة يقولون : « يا علي ، إنا قد اشترطنا إقامة الحدود ، وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل ، وأحلوا بأنفسهم . فقال لهم : يا إخوتاه إني لست أجهل ما تعلمون ، ولكني كيف أصنع بقوم يملكونا ولا نملكهم ؟ ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم ، وثابت اليهم أعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا ، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون ؟ قالوا : لا . قال : فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله . »(١) ثم إنه تأثر من مقالة بعض الناس فيه ، فقام في قريش « فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر فضلهم ، وحاجته اليهم ، ونظره لهم ، وقيامه دونهم ؛ وأنه ليس له من سلطانهم إلا ذلك والأجر من الله عز وجل عليه . ونادى : برئت الذمة من عبد لم يرجع الى مواليه . فتذامرت السبئية والأعراب ، وقالوا : لنا غداً مثلها ، ولا نستطيع نحتج فيهم بشيء(٢) » .

وذكر « السري » أيضاً أن علياً خرج في اليوم الثالث على الناس ، « فقال : يا أيها الناس ، أخرجوا عنكم الأعراب . وقال : يا معشر الأعراب الحقوا بمياهكم ، فأبت السبئية ، وأطاعهم الأعراب ، ودخل علي بيته . (٣) »

(١) الطبري (١٥٨/٥) .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) الطبري (١٦٠/٥) .

وهكذا نرى السبئية والموالي والأعراب جبهة متحدة ضد أصحاب الأرض والمثرين من قريش . لا يرون الرجوع الى عملهم إلا بشروط ، وإلا بإصلاح حالهم وانصافهم وإعطائهم حقهم في العمل والانتاج . أما سادتهم من قريش ، فهم يأبون عليهم ذلك ، ويرون في قولهم هذا تحدياً وفتنة ، وتطاولاً عليهم ، وخروجاً على القانون والنظام . وعمت المدينة ، المقر الذي قتل فيه الخليفة وبويع فيه الخليفة الجديد ، حالة من الفزع والاضطراب .

وحار علي في الأمر ، وخرج معظم الصحابة عنها ، فكان الكثير منهم قد تركها يوم وصول « المصريين » اليها ، وعلمهم بانفلات الأمر من يدي عثمان . وصار الناس القادمين من المدينة يجيبون حين يسألون عن الوضع : « قتل عثمان ، واجتمع الناس على علي ، والأمر أمر الغوغاء »[1] .

وقد عزا من خرج من المدينة مهاجراً أو فاراً من هذا الوضع سوء الحال الى « الغوغاء من أهل الأمصار ونزّاع القبائل » ، والى مظاهرة الأعراب والعبيد لهم[2] . وكل هؤلاء هم من الطبقات المتذمرة الفقيرة المعدمة ، التي يرجع تذمرها الى عهد بعيد قبل الاسلام ، وهم الأكثرية الغالبة ؛ لهذا غلبوا على المدينة ، وتحكموا فيها في هذا العهد .

وقد أولدت هذه الحالة مشكلة خطيرة لعلي ، أدركتها السبئية منذ أول يوم استخلف فيه ، فقالت له :

خذها اليك وأحذرنْ أبا حسنْ　　إنا نمرُّ الأمر إمرار الرسنْ

صولة أقوام كأسداد السفنْ　　بمشرفيّات كغدران اللبنْ

ونطعن الملك بلين كالشطنْ　　حتى يُمرّنَ على غير عننْ[3]

(١) الطبري (٥/١٦٦) .

(٢) « الغوغاء من الأمصار ونزاع القبائل وظاهرهم الأعراب والعبيد » ، « إن الغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحدثوا فيه الأحداث ، وآووا فيه المحدثين ... » ، الطبري (٥/١٧٣ وما بعدها) .

(٣) الطبري (٥/١٥٨) .

وعرفها عليّ أيضاً وشخصها في اليوم الأول من توليه الخلافة ، وعرفها كل من كان واقفاً على واقع الحال وعلى الأسباب التي أدت الى حدوث تلك المشكلات .

فلم يكن السبئيون على ما يبدو واضحاً جلياً من رواية « السري » عنهم ، من خاصة جماعة عليّ ، ولا من أتباعه المخلصين له ، بل كانوا أصحاب رأي ومقالة وفكرة اجتماعية ، انحازوا الى عليّ ومالوا اليه ، لمكانته ومنزلته ، ولتقشفه وشدة زهده ، ثم هو على خلاف من ثاروا عليهم في المال وفي اكتناز الأرض والثروات . ولو وجدوا رجلاً آخر له المكانة التي كانت لعليّ والمنزلة التي تمتع بها عليّ بين المسلمين ، وكان له رأي كرأيهم وهوى كهواهم ، لمالوا اليه حتماً ، ولساعدوه وأيدوه ، ولكنهم لم يجدوه ، ولم يجدوا أمامهم إلا عليّ بن أبي طالب ، فاندسوا بين جماعته ، وساعدوه على حذر ، وعلى أمل التغلب عليه وتوجيهه الوجهة التي يريدونها ، وإلا اشتغلوا ضده وانقلبوا عليه ، إن كان ذلك في الإمكان فعله ، وانتخبوا غيره ممن يطاوعهم في تلك الآراء .

ولما خطب عليّ في مسيره الى البصرة لملاقاة طلحة والزبير ، طالباً ألا يرتحلن معه « أحد ، أعان على عثمان ، رضي الله عنه ، بشيء في شيء من أمور الناس » ، « اجتمع نفر ، منهم : علباء ابن الهيثم ، وعدي بن حاتم ، وسالم بن ثعلبة القيسي ، وشريح بن أوفى بن ضبيعة ، والأشتر ، في عدة ممن سار الى عثمان ، ورضي بسير من سار . وجاء معهم المصريون : ابن السوداء ، وخالد ابن ملجم ، وتشاوروا ، فقالوا : ما الرأي ؟ وهذا ، والله ، عليّ ، وهو أبصر الناس بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان ، وأقربهم الى العمل بذلك ، وهو يقول ما يقول ، ولم ينفر اليه إلا هم والقليل من غيرهم ، فكيف به إذا شامّ القوم وشامّوه ، وإذا رأوا قلتنا في كثرتهم ؟ أنتم ، والله ، ترادون وما انتم بأنجى من شيء » . وكانت مداولة ومشاورة ، كان لابن السوداء فيها رأي مسموع وصوت عال . ثم اتفقوا على ألا يبالوا بكلام عليّ ، وعلى ان يسيروا الى البصرة ، ويشتركوا في القتال ، ولو بغير إذن ، وقد نفذوا ما اتفقوا عليه ، فكانوا في جملة من ساهم في معركة الجمل ، وأشعل نارها وابتدأ بها ، مع رغبة عليّ في عدم البدء بالهجوم ، وتجنب القتال

بالمفاوضات والسلم [1] . وقد قام السبئيون في هذه المعركة برمي النشاب [2] . وكان ابن السوداء قد أوصاهم وأصدر وصاياه اليهم بقوله : « يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم ، واذا التقى الناس غداً فأنشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر ، فإذا من أنتم معه لايجدوا بُداً من أن يمتنع ، ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ، ومن رأى رأيهم عما تكرهون ، فأبصروا الرأي ، وتفرقوا عليه ، والناس لا يبصرون » [3] .

وساهمت السبئية في القتال ، لم تبال برأي علي ، واشتركت فيه الى جانب علي . وكان واجبها وعملها اشعال نيران الحرب حرب الجمل كلما وجدت فتوراً في وقودها . تذهب الى الأمام حين تشعر بفتور القوم في القتال فتهاجم ، حتى إذا ما رأت النيران وقد ارتفعت مرّت ، وقد حاول علي زجرهم مراراً ومنعهم من القتال ، ولكنهم كانوا يأبون إلّا إقداماً ، مضوا في ذلك الى النهاية : نهاية حرب الجمل [4] .

وانتهت حرب الجمل بانتصار علي ، ونظر علي في بيت مال البصرة ، فإذا به « ستمئة الف وزيادة » ، فأمر بقسمته على من شهد معه الحرب . وقال : « لكم إن أظفركم الله عزّ وجل بالشام مثلها الى أعطياتكم . وخاض في ذلك السبئية ، وطعنوا على علي من وراء وراء » [5] .

طعنوا عليه لتوزيعه هذه الأموال على ما يظهر ، ولهم رأي خاص في « بيت المال » ، وفي التصرف في أموال المسلمين . وهكذا نجد السبئية مع علي في الظاهر ، ولكنها لم تكن معه ، إلا اعتقاداً منها بأنها ستستغله وتستفيد منه في تحقيق وجهة نظرها في مذهبها المعروف .

ولم تر السبئية البقاء في البصرة طويلاً بعد انتهاء حرب الجمل ، فانحلت علياً من المقام ، كما

(١) الطبري (٥/١٩٤ وما بعدها) .
(٢) المصدر نفسه (ص ٢٠٣) .
(٣) الطبري (٥/١٩٥) .
(٤) الطبري (٥/٢٠٧) .
(٥) الطبري (٥/٢٢٣) « بيعة أهل البصرة علياً وقسمة ما في بيت المال عليهم » .

يقول « الطبري » ثم ارتحلت بغير إذنه ، فأدرك علي غرضهم ، وخالفتهم له ، فارتحل في آثارهم ، ليقطع عليهم أمراً إن كانوا أرادوه »[1] . ولم تذكر الرواية الجهة التي قصدتها والمكان الذي أرادته ، والظاهر أنها قصدت الكوفة ، لتعمل عملها فيها بين مختلف الآراء والاتجاهات فيه ، وهو موضع كان سكانه من أشد الناس نقمة على المتنفذين أصحاب الأملاك من قريش . وقد ساهموا هم أنفسهم كما رأينا مع المصريين والبصريين في الثورة على عثمان .

فالسبئية التي خاصمت عثمان وحاربته ، وأغرت العبيد والموالي والأعراب بسادتهم ، وبأصحاب الثراء والأملاك ، ونادت علناً بالخروج عليهم والاستيلاء عنوة على كل ما يملكون ، لم ترض من علي أيضاً ، ولم تؤيده إلا اعتقاداً منها أنه سيستجيب لها ، أو أنها ستتغلب عليه . فلما وجدت أنه لا يقرها على ما ذهبت اليه ، ولا يوافقها على رأيها في انتزاع الأرضين والأملاك من الملاك والمثرين عنوة ، وأنه على العكس طالب الأعراب والعبيد والموالي بالرجوع الى مواضعها والى سادتها ، نفرت منه ، وأخذت تعمل من وراء وراء للتخلص منه ، ثم تركته وسابقته . والظاهر أنها اعتزلته ، فلم تشارك في حروبه مع معاوية وجماعته أهل الشأم ، ولا في قتال الخوارج خصوم معاوية وعلي .

أما عملها ومجال نشاطها في بث دعوتها هذه ، منذ هذا اليوم ، فقد سكت « الطبري » عنه ، فلم يحدثنا بشيء عن ذلك ، ولم ينبئنا بنشاطها في هذا الميدان في الكوفة أو البصرة . كذلك لم يذكر أهل الأخبار اسمها بين أسماء الداعين الى الثورات الاشتراكية المتطرفة المتيقة في العهدين الأموي والعباسي . ولم يكن من السهل عليها بالطبع رفع رأسها بعد تغلب معاوية على العراق ، والجاهرة بدعوتها أو التجاسر على نشرها بين الناس ، وهي متهمة بتهمتين : تهمة المشاركة في الفتنة التي قامت على الخليفة عثمان التي أدت الى مقتله ، وتهمة الدعوة إلى تأليب العبيد والموالي والأعراب والفلاحين على سادتهم وعلى حكامهم ، وهي دعوى أخطر في نظر الخليفة الجديد من التهمة الأولى . وفي كلتا الحالتين لاهوادة فيها ولا مجاملة ولا رفق في المعاملة . ولذلك لم تطمع

(١) المصدر نفسه .

السبئية في عفو أو رأفة من معاوية أو من الولاة الذين عينهم على المصرين في العراق أو في مصر .

ما ذكرته هو آخر ما ذكره الطبري عن نشاط السبئية وعملها في هذا الباب . أما رأي « ابن سبأ » في الرجعة وفي الوصية وفي الغلو في علي بن أبي طالب ، فقد ذكره الطبري في أخبار سنة ٣٥ هـ ، أي في أيام عثمان وفي أثناء إقامة « ابن سبأ » بمصر .

ويتلخص هذا الرأي فيما يأتي :

١ — الرجعة : قال ابن سبأ للمصريين : « لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ، ويكذب بأن محمداً يرجع ، وقد قال الله عز وجل : (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) فمحمد أحق بالرجوع من عيسى . فقبلوا ذلك عنه ، ووضع لهم الرجعة ، فتكلموا فيها » .

٢ — الوصية : وقال ابن سبأ للمصريين أيضاً : « إنه كان ألف نبي ، ولكل نبي وصي ، وكان علي وصي محمد . ثم قال : محمد خاتم الأنبياء ، وعلي خاتم الأوصياء » .

٣ — الطعن في الخلفاء : « ثم قال بعد ذلك : من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ووثب على علي وصي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وتناول أمر الأمة ، ثم قال لهم بعد ذلك : إن عثمان أخذها بغير حق ، وهذا وصي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فانهضوا في هذا الأمر ، فحركوه ، وابدؤوا بالطعن على أمرائكم ، واظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وجعلوا يكتبون الى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ، ويكتب أهل كل مصر منهم الى مصر آخر بما يصنعون . فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم ، حتى تناولوا بذلك المدينة ، وأوسعوا الأرض إذاعة ، وهم يريدون غير ما يظهرون » .

أما الرجعة ، رجعة النبي محمد الى العالم بعد وفاته ، فلا نجد لها أثراً في فرق الشيعة ، أوالفرق

---

(١) الطبري (٥/٩٨) .

الأخرى . نعم ، لقد تشكك عمر في وفاة النبي ، حين فوجئ بخبر وفاته ولم يصدقه ، ولكنه عاد فصدقه . والرجعة التي نادى بها ابن سبأ تختلف عن الرجعة التي ذهب اليها عمر .

والرجعة الى الحياة بعد الموت ، من الآراء المعروفة عند كثير من الشعوب ، ومنهم أهل مصر القدماء . أما البت في صحة ما نسبه السري الى ابن سبأ من القول بالرجعة ، فأمر غير ممكن في الزمن الحاضر ، ولا يمكن البت فيها ، ما لم تتوفر لدينا موارد أخرى جديدة تزيد في علمنا بآراء هذا الإنسان .

والذي يظهر من روايات أهل الأخبار عن الرجعة عند ابن سبأ أنه كان يقول برجعة علي ابن أبي طالب . وقد ذكر أنه لما بلغه خبر مقتله قال للذي نعاه له : « كذبت ! لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة ، وأقمت على قتله سبعين عدلاً ، لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ، ولا يموت حتى يملك الأرض » (١) .

وأما الوصية ، فإنها من عقائد الشيعة الأساسية ، وعلي في نظر الشيعة هو وصي رسول الله ، وهو خاتم الأوصياء ، كما أن محمداً هو خاتم الرسل والأنبياء ، وهو الإمام أيضاً ، ومنه انتقلت الإمامة الى ولديه الحسن فالحسين ثم الخلفاء . وفي الخلفاء تختلف فرق الشيعة في إمامتهم .

ويذكر النوبختي أن عبد الله بن سبأ والى علياً ، وأنه قال إن علياً من الرسول بمنزلة يوشع ابن نون بعد موسى ، وأنه أول من شهر القول بفرض إمامة علي ، وأظهر البراءة من أعدائه ، وكاشف مخالفيه . ثم قال « فمن هنا قال المخالفون إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية » (٢) .

ويذكر الرواة أن ابن سبأ غالى بعد ذلك في علي بن أبي طالب ، وأن غلوه هذا ورأيه في الوصية دفعاه الى الطعن في الخلفاء الثلاثة والصحابة الذين لم يوافقوا علياً ، وتبرأ منهم ، وأنه

---

(١) فرق الشيعة (ص ٢٢) .

(٢) فرق الشيعة (ص ٢٢) .

تطاول عليهم وأخذ يسبهم ، ولما سُئِلَ عن ذلك ، قال : « إن علياً عليه السلام ، أمره بذلك . فأخذه علي ، فسأله عن قوله هذا ، فأقرّ به ، فأمر بقتله . فصاح الناس إليه : يا أمير المؤمنين ، أتقتل رجلاً يدعو الى حبّكم أهل البيت ، والى ولايتك والبراءة من أعدائك ؟ فسيره الى المدائن . » [1]

ونجد في بعض الكتب إشارة الى فرقة دعوها بـ « السبّابية » ، عرفت بسب الخلفاء المذكورين وبعض الصحابة ممن لم يكن من مؤيدي علي . وقد قصد بها « السبئية » وصرح بذلك . البغدادي [2] وابن حزم [3] والاسفراييني وآخرون [4] .

وقد قال البغدادي عند كلامه على « السبابية » : « السبابية أتباع عبدالله بن سبأ » [5] ، وذكر ابن عبد ربه رواية للشعبي عن الرافضة ورد فيها : « وقد حرّقهم علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، بالنار ، ونفاهم الى المدائن ، منهم : عبد الله بن سبأ ، نفاه الى ساباط ، وعبد الله ابن السبّاب ، نفاه الى الحاذر ، وابن كروس » [6] . و « عبد الله بن السبّاب » هو عبد الله ابن سبأ ، ولا شك ، وقد أخطأ راوي الخبر ، فجعل من الرجل الواحد رجلين : اسم أحدهما عبد الله بن سبأ ، واسم الآخر عبد الله بن السبّاب .

والسبئية هم « سبابية » إذن ، أي من الجماعة التي عرفت بالتطاول على الخلفاء وعلى بعض الصحابة ، واشتهرت بسبّهم . والسبّ هو لون من ألوان التعبير عن العواطف ، حيث تغلب العاطفة على العقل ؛ وهو نوع من الإفراج عن النفس . وقد سبّ الأمويون عليّ بن أبي

---

(١) النوبختي : فرق الشيعة (ص ٢٢) .

(٢) الرسالة : العدد ٧٧٦ ، تاريخ ١٧ مايس ١٩٤٨ (ص ٥٥١) .

(٣) الفصل : بحث فرق الشيعة .

(٤) وفيات الأعيان (١/٥١٤) ، فوات الوفيات (١/٢٩٨) « طبعة مصر » ، السبكي : طبقات الشافعية (١/٢٢٨ و ٣/٢٣٨) .

(٥) الفرق بين الفرق (٢٢٣) .

(٦) العقد (١/٢٦٧) .

طالب ، في مقابل سب هؤلاء للأمويين ، كما طعن الخوارج في عثمان وعلي وفي الأمويين .

وذكر بعض أهل الأخبار والفرق أن السبئية غالت في علي ، وأنه « كان يدعي النبوة ، ويزعم أن أمير المؤمنين ، عليه السلام : هو الله ، فبلغ ذلك أمير المؤمنين ، عليه السلام ، فدعاه وسأله ، فأقر بذلك ، وقال : نعم أنت هو ، وقد كان ألقي في روعي أنك أنت الله ، وأني نبي ! فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : ويلك ! لقد سخر منك الشيطان ، فارجع عن هذا ثكلتك أمك ، وتب . فأبى ، فحبسه ، واستتابه ثلاثة أيام ، فلم يتب ، فأحرقه بالنار ، وقال : إن الشيطان استهواه ، فكان يأتيه ويلقي في روعه ذلك . »

وروى أن الإمام جعفراً الصادق ذكر عبد الله بن سبأ فقال : « لعن الله عبد الله بن سبأ ! إنه ادّعى الربوبية في أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان والله أمير المؤمنين ، عليه السلام ، عبداً لله طائعاً . الويل لمن كذب علينا ، وأن قوماً يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا نبرأ الى الله منهم ، نبرأ الى الله منهم ! »

وفي هذا الغلو يقول السيد الحميري :

قـــومٌ غـــلوا في عليّ ، لا أبا لهُمُ   وأجشموا أنفســاً في حبّه تعبــا
قالوا : هو ابن الإلـه جلّ خالقنــا   مـن أن يكون له ابن أو يكون أبا [(١)]

وروي أيضاً أن علياً لما رأى اصرارهم على الغلو فيه ، وقولهم له : أنت أنت ، أي أنت الإله ، أمر باحراقهم في النار : أمر بحفر أخدود لهم وضع فيه ناراً ، وأحرقهم فيها ، وأنهم كانوا يقولون ، وهم يشاهدون النار : الآن ثبت لنا أنك أنت ، لأنه لا يحرق في النار إلا الله . وأن علياً قال في ذلك شعراً منه :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً   أججت ناري ودعوت قنبرا

وزعم أن أتباع عبد الله بن سبأ ، وتسميهم بعض الكتب السبئية وتسميهم كتب أخرى

(١) العقد الفريد (٢/٢٣٦) « طبعة محمد سعيد العريان » .

السبابية ، قالوا إن علياً حيّ لم يمت « وهو الذي يجيء في السحاب ، والرعد صوته ، والبرق سوطه ، وأنه سينزل الى الأرض بعد ذلك فيملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً . »[1]

ويظهر من موازنة ما جاء في تاريخ الطبري وفي كتب الملل والنحل بما جاء في كتاب فرق الشيعة للنوبختي والرجال للكشي ، أن كتب الشيعة قد غالت في ذم ابن سبأ وفي التنصل منه والتبرؤ من آرائه ، وزادت في نسبة الغلو اليه . وهذه ملاحظة تستحق الدرس .

عرفنا السبئية في روايات السري ، وهي في الأصل حركة اشتراكية تذمرية ، دفعتها عوامل متعددة ، وانتهت بقتلها الخليفة عثمان ، وبتولية علي بن أبي طالب ، وعرفنا أنها لم تكن تؤيد علياً إلا طمعاً في تغيير الأوضاع وقلب الأحوال . فلما وجدت أنه ليس على ما تريد ، تذمرت منه ، وأخذت تعمل للتخلص منه ، فكيف انقلبت الى فرقة تغالي في حبه ، وتبالغ في تقديسه ، حتى جعلته إلاهاً ، وشبه إله . وهل يعقل وقوع ذلك من هذه الفرقة ؟

هذه أسئلة مهمة ، تحتاج الإجابة عنها الى غربلة جميع ما ورد في هذه الروايات ، ونقد سلسلة سند السري ، وسيكون ذلك عملنا في الجزء التالي من المجلة إن شاء الله .

جواد علي

(١) الشهرستاني (١/٢٦٥ وما بعدها) « تحقيق محمد بن فتح الله بدران » .

الضائع من معجم الأدباء

لياقوت الرومي الحموي

إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف أيضاً بمعجم الأدباء كان قد شرع في طبع ما وجده منه الأستاذ المستشرق المشهور « د . س مرغوليوث » سنة « ١٩٠٧ م » وهو يومئذ أستاذ الأدب العربيّ في جامعة أوكسفورد بانكلترة . وكان الطبع في مطبعة هندية بشارع المهدي بالأزبكية من القاهرة . وقد أخرج الجزء الأول سنة « ١٩٠٧ » أيضاً ، ثم أخرج الجزء الثاني سنة « ١٩٠٩ » وكانا كاملين في الظاهر ، ثم طبع الجزء الثالث سنة « ١٩١٠ » وكان ناقصاً ، فقد جاء في أوله ما هذا نصه « باب الحاء : الحارث بن أبي العلاء عمار بن العريان أبو سفيان (سقطت الترجمة) . حبشي [1] بن محمد بن شعيب الشيباني أبو الغنائم النحوي الضرير ... » . وحدث في أثنائه نقصان لم يتنبه له الأستاذ مرغوليوث ، وهو في ترجمة « الحسن بن علي الاسكافي » فقد اختلطت ترجمته بترجمة الحسن القطان ، وذلك ثابت بقول ياقوت – ص ١٦٩ – : « وكنت عند كوني بمرو عرض عليّ شيخنا فخر الدين أبو المظفر عبد الرحيم بن تاج الاسلام أبي سعد السمعاني – تغمدهما الله برحمته – جزءاً يشتمل على رسائل للحسن القطان [2] إلى الرشيد الوطواط محشوة بالسبّ له والثلب تصريحاً لا تعريضاً ... » [3] ولم يفطن الأستاذ مرغوليوث الى هذا التداخل بين الترجمتين فعدّ قسماً مما ورد في « ص ١٦٩ » وما ورد في

(١) له ترجمة في « نكت الهميان في نكت العميان » لصلاح الصفدي « ص ١٣٣ » وبغية الوعاة للسيوطي « ص ٢١٤ » .

(٢) هو أبو علي الحسن بن علي بن محمد المروزي القطان كما في بغية الوعاة « ٢٢٤ » .

(٣) وقد أجابه رشيد الدين الوطواط عن تلك الرسائل بكتب مثبتة في ديوان رسائله « ص ١٨–٢٦ » . وذكرها ياقوت في ترجمة القطان المذكور .

الصفحات « ١٧٠ ، ١٧١ — ١٧٩ » من ترجمة الإسكافي مع أنها مختصات بترجمة القطان ،
وحدث في آخر الجزء الثالث نقصان أيضاً ، فقد جاء في ترجمة « أبي محمد الحسن بن محمد المهلبي الوزير » ما هذا نصه (قد سقطت من نسختنا أوائل الترجمة) ، وسقطت ترجمة « ابن هودار » فقد جاء في آخر ترجمة « الحسن بن المظفر النيسابوري » — ٢١٠ — « قال أبو علي الضرير : رأيت ابن هودار في المنام بعد موته ... » . وينتهي الجزء الثالث بترجمة « الحسن بن ميمون النمري » . في « ص ٢١٥ » . وقال طابعه في آخره : « انتهى القسم الأول من الجزء الثالث » . وفي هذا القول إشارة إلى وجود قسم ثان لهذا الجزء ، ولكنه مفقود ، ولو كان موجوداً لنشره مع القسم الأول ، ثم طبع الأستاذ المذكور الجزء الخامس سنة « ١٩١١ م » والجزء السادس سنة « ١٩١٣ » وبقي الجزء الرابع والجزء السابع غير مطبوعين ، ثم طبع مختصر الجزء السابع سنة « ١٩٢٦ » باعتبار أنه الجزء السابع بكماله ، ثم طبع الجزء الرابع أو مختصره سنة «١٩٢٧» .

وأول ترجمة في الجزء الرابع هي ترجمة « الحسن بن أبي المعالي بن مسعود بن الحسين أبي علي ابن الباقلاني الحلي » . وآخر ترجمة في الموجود منه هي ترجمة « عبد الله بن برّي بن عبد الجبار أبي محمد المصري » كما جاء في « ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ » منه وهي ناقصة ، ولذلك قال الناشر في آخر صفحة من الكتاب : « هنا خرم في النسخة الأصلية مقداره بحسب العدد الذي على الصحائف « ٦٥ » صحيفة ، وآخر ترجمة فيه بعد هذا الخرم ترجمة « عبيد بن شرية » الآتية في « ص ١٠ » من المجلد الخامس .

ومختصر الجزء السابع يبتدئ بترجمة « محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن عبدالوارث أبي الحسين الفارسي ابن أخت أبي علي الفارسي » . وينتهي بترجمة « يونس بن إبراهيم الوفراوندي » قال الناشر في آخره — ص ٣١٣ — : « انتهى الجزء السابع من كتاب معجم الأدباء » . وقد لحظت أنّ في الجزء الرابع والجزء السابع على اعتقاد أصالتها تراجم من تراجم الشعراء الذين لم يستحقوا أن يسمّوا بالأدباء ، كالحسين[1] ابن حجاج (ج ٤ ص ٦)

(١) هو الحسين بن أحمد بن محمد المعروف بابن حجاج وفي قول آخر « بابن الحجاج » على الصحيح .

والحسن بن الحسن بن واسان الدمشقي (ص ١٧) والحسين بن الضحاك الخليع « ص ٣٠ » والحسين بن عبد الله بن يوسف المعروف بابن شبل البغدادي « ص ٣٨ » والحسين بن عبد الله ابن رواحة الأنصاري « ص ٤٧ » والحسين بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن أبي حصينة المعرّي « ص ٦٤ » ولو وصفه ياقوت بالأديب الشاعر ، والحسين بن عبد السلام المعروف بالجمل المصري « ص ٧٦ » والحسين بن محمد بن عبد الوهاب المعروف بالبارع البغدادي « ص ٨٨ » والحسين بن مُطير الأسدي من الشعراء المخضرمين بين الدولتين الأموية والعباسية « ص ٩٧ » . وأبي زبيد حرملة بن المنذر الطائي من المخضرمين بين الجاهلية والاسلام « ص ١٠٧ » وحفص الأموي بالولاء من مخضرمي الدولتين ، والحكم بن عبدل الأسدي من شعراء الدولة الأموية « ص ١٢٣ » والحكم بن معمر بن قنبر الخضري أحد الشعراء الاسلاميين « ص ١٢٨ » والأعور الكلبي حكيم بن عياش من شعراء بني أمية « ص ١٣٩ » وحماس بن ثامل من مخضرمي الدولتين « ص ١٤١ » وحمزة بن بيض الحنفي الكوفي من شعراء الدولة الأموية « ص ١٤٦ » وحمزة بن علي الحسين زربي « ص ١٥٢ » وحُميد بن ثور من المخضرمين « ص ١٥٣ » وحميد بن مالك الأرقط من الشعراء الاسلاميين « ص ١٥٥ » وحُميد بن مالك الكناني « ص ١٥٦ » وحُميدة بنت النعمان الأنصارية « ص ١٥٧ » وخالد الزبيدي اليمني « ص ١٥٩ » والبعيث خداش بن بشر التميمي من شعراء الدولة الأموية « ص ١٧٣ » وخرقة ابن نباتة الكلبي « ص ١٧٥ » والخضر بن هبة الله الطائي « ص ١٧٧ » وخلف بن أحمد القيرواني « ص ١٧٨ » وخويلد بن خالد الهذلي من المخضرمين « ص ١٨٥ » وخيار بن أوفى النهدي من الشعراء الاسلاميين « ص ١٨٨ » وداود بن سلم التميمي بالولاء « ص ١٩١ » ودكين بن رجاء الفقيمي الراجز « ص ١٩٨ » ودكين بن سعيد الدارمي الراجز « ص ٢٠٠ » وذي القرنين أبي محمد الحسن بن ناصر الدولة عبد الله التغلبي « ص ٢٠١ » وراشد بن إسحاق ابن راشد « ص ٢٠٣ » ومسكين الدارمي ربيعة بن عامر من الشعراء الاسلاميين « ص ٢٠٤ »

وربيعة بن يحيى المعروف بأعشى تغلب من شعراء الدولة الأموية « ص ٢٠٧ » وربيعة بن ثابت الأسدي من شعراء الدولة العباسية « ص ٢٠٧ » ورستة بن أبي الأبيض الأصبهاني الضرير « ٢١٠ » وابن ميادة الرماح بن أبرد من شعراء الدولتين الأموية والعباسية « ٢١٢ » ورؤبة بن العجاج الراجز من مخضرمي الدولتين « ص ٢١٤ » وأسير الهوى زاكي بن كامل الهيتي « ص ٢١٥ » . وزائدة بن نعمة التستري « ٢١٦ » وأبي دلامة زند بن الجون الأسدي بالولاء « ص ٢١٠ » وزياد بن سلمى الأعجم العبدي من الشعراء الاسلاميين « ص٢٢١ » وزيد بن الحسن الأحاظي « ص ٢٢٣ » والسائب بن فروخ المكي من شعراء بني أمية « ص ٢٢٥ » والسري الرفاء « ص ٢٢٦ » وسعد بن الحسن بن شداد الناجم « ٢٣١ » وسلم بن عمرو التيمي بالولاء من شعراء الدولة العباسية « ٢٤٧ » وسليمان بن مسلم بن الوليد الضرير « ص ٢٥٤ » وسهل ابن إبراهيم الوراق « ص ٢٥٩ » وشبيب بن يزيد ابن البرصاء المري من شعراء الدولة الأموية « ص ٢٦٠ » وسداد[1] بن إبراهيم بن حسن الظاهر الجزري « ص ٢٦١ » وطريح بن إسماعيل الثقفي من مخضرمي الدولتين « ص ٢٧٦ » وظافر بن القاسم الحداد الاسكندري « ص ٢٧٨ » والعباس بن الأحنف « ص ٢٨٣ » .

هذه التراجم في الجزء الرابع الذي يكاد يكون معجماً للشعراء، ولعله أحد أجزاء معجم الشعراء الآتي ذكره ، من تأليف ياقوت أيضاً . وأما الجزء السابع بل مختصره ففيه من تراجم الشعراء الذين لم يوصفوا بالأدباء : محمد بن علي بن أبي مروان الأموي « ج ٧ ص ٤٧ » ومحمد بن لنكك البصري « ص ٧٧ » ومحمد بن مناذر « ص ١٠٧ » ومحمد بن نصر بن القيسراني « ص١١٢ » ومحمد بن نصر ابن عنين الدمشقي « ١٢١ » ومحمد بن هانئ الأندلسي « ص ١٢٦ » والمؤمل

(١) ذكره ياقوت الحموي في حرف الشين « ص ٢٦١ » والصحيح أنه « سداد » بالسين المهملة ، كما جاء في بابه السين من فوات الوفيات « ١ : ٣٤٠ » من طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد . وكما جاء قبله في الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي .

ابن محارب المحاربي من مخضرمي الدولتين « ص ١٩٥ » والمؤيد بن عطاف الآلوسي « ص١٩٩» ونجم بن سراج المقبلي « ص ٢٠٤ » ونصر بن أحمد الخبزأرزي « ص ٢٠٦ » ونُصيب بن رباح من الشعراء الاسلاميين « ص ٢١٢ » ونصيب مولى المهدي « ص ٢١٦ » والفرزدق همام ابن غالب « ص ٢٥٧ » ومهذب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الشاعر « ص ٢٦٧ » ويحيى ابن عبد الرحمن الأندلسي « ص ٢٨٣ » ويحيى بن نزار المنبجي « ص ٢٩٣ » ويحيى ابن هـذيل الكفيف « ص ٢٩٤ » ويزيد بن مفرغ الحميري « ص ٢٩٧ » ويزيد بن الطثرية « ص ٢٩٩ » ويعقوب بن الربيع أخو الفضل « ص ٣٠٢ » ويموت بن المزرع « ص٣٠٥ » ويوسف بن الحجاج ابن الصيقل الكوفي « ص ٣٠٦ » ويوسف بن هارون الرمادي « ص ٣٠٨ » ويونس بن سالم بن يونس الخياط من مخضرمي الدولتين « ص ٣١٢ » .

فكأن الجزء الرابع والجزء السابع من معجم الأدباء منتزعان من معجم الشعراء لياقوت الحموي وهو أخبار الشعراء على تسمية أخرى (إن لم يكونا جزءين منه) وأضيف إليهما عدة تراجم من تراجم الأدباء . وقد ذكر ياقوت كتابه المذكور أعني أخبار الشعراء في أثناء كتبه قال في الكلام على « بركة زلزل » في معجم البلدان : « وكانت أخت زلزل تحت إبراهيم الموصلي فقال فيه في قصة ذكرتها في أخبار إبراهيم من كتاب (أخبار الشعراء) الذي جمعته » . وذكره أيضاً في الكلام على « الرملة » و « جفير » ومن المحتمل أنه ذكره في مواضع أخرى . وأذكر بهذه المناسبة ، كما يقال اليوم : ما قاله الأستاذ محمد عبد الجليل في مقدمة رسالة « عين القضاة الهمذاني » وقد نشرها في أوربة وقدم لها بمقدمة باللغة الفرنسية قال فيها : « نصّ ياقوت الحموي في معجم البلدان يختص بموت عين القضاة وموت أبيه وجدّه ، ويضيف الى ذلك قوله : كما ذكرنا في كتاب أخبار الأدباء . أي الكتاب الذي نشره مرغوليوث . ثم إن وستنفلد وبروكلمان لم يذكرا « أخبار الأدباء » في عداد كتب ياقوت الحموي ، ولكن الحاج خليفة ذكره في كشف الظنون منسوباً الى تاج الدين علي بن أنجب البغدادي المعروف بابن الساعي

المتوفى بعد ستين سنة من وفاة ياقوت [1] ، ولعل بعض النسخ المخطوطة التي نشر عليها معجم الأدباء هي من تأليف ابن الساعي المذكور ، أو مأخوذة من نسخة لها صلة بكتابه ، فتكون جملة (كما ذكرنا في كتاب أخبار الادباء) زيادة أو شرحاً أضيفا إلى الأصل وهو أمر مستعمل مألوف في المخطات [2] » .

وقد فات ياقوتاً ذكر فريق من الأدباء ، فمنهم من لم يطلع على تراجمهم ، كما يدل عليه كتاب « بغية الوعاة » للسيوطي ، ومنهم من لم يجدهم حريين بأن يذكروا في معجمه مع أنه نبه على أدبهم في معجم البلدان بحسب مواضع بلدانهم ، فالمهملون استخفافاً منه لهم أو غفلة منه عنهم ليسوا في عداد الذين عقدت هذا البحث في ذكرهم ، وإنما عقدته فيما ضاع من التراجم من معجم الأدباء حسب ، وعثرت عليه في مطالعاتي وتصفحاتي ، وأضفت اليه أشياء أخرى للافادة وهي التراجم الآتية :

١ — الحسن بن محمد التميمي التاهرتي المعروف بابن الربيب [3]

قال السيوطي : « قال ياقوت : طلب العلم بالقيروان واعتنى به علي بن محمد بن حفص المحوي القزاز ، وكان محباً له ، فبلغ به النهاية في الأدب ، وعلم الخبر والنسب ، وله في ذلك تأليف مشهور . وكان خبيراً باللغة شاعراً مقدماً قوي الكلام ، يتكلف بعض التكلف . وكان عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي يروي له ما لا يروي لأحد من الشعراء ، سئل عن شعر أهل بلده فقال : إن ثم ابن الربيب ، مات بالقيروان سنة عشرين وأربعمائة » [4].

(١) الصحيح بعد « ثماني وأربعين سنة » : ٦٧٤ — ٦٢٦ = ٤٨ .

(٢) مقدمة رسالة « شكوى الغريب عن الأوطان إلى علماء البلدان الصفحة ٤ » . تفسير الفاضل محمد عبد الجليل في الجريدة الآسيوية ، في شباط ومارت سنة ١٩٣٠ .

(٣) في الأصل الذي هو بغية الوعاة « الزبيب » وهو مستبعد عندي ، والمعارف هو ما ذكرت .

(٤) بغية الوعاة « ص ٢٣٠ » .

٢ — الحسن بن علي بن محمد بن إبراهيم بن أحمد القطان أبو علي المروزي البخاري .

ذكرت أن ترجمته اختلطت بترجمة حسن الاسكافي في المعجم « ٣ : ١٦٩ » قال السيوطي : « قال ياقوت : كان فاضلاً عالماً باللغة والأدب والطب وعلوم الأوائل المهجورة ، وكان ينصر مذهبهم ويميل إليهم ، شيخاً كبيراً محترماً ، يأخذ بأطراف من العلوم ، وغلب عليه اسم الطب وله في كل نوع تصنيف مأثور ، وتأليف بين أهل مرو مشهور ، وله دكان يقعد فيه للتطبيب ، ويؤذي الناس ويشتمهم إذا سئل عن شيء من المداواة . وكان اشتغل[1] بالفقه والحديث في ابتداء عمره ثم أعرض عنه ، وكان يسمع الحديث على كبر سنه ويشتغل به تستراً وإظهاراً للرغبة في العلوم الشرعية ، والله تعالى أعلم بالعقيدة الباطنة ، وله تصانيف منها العروض ، مشجر نسب أبي طالب وغير ذلك . مولده بمرو سنة ٤٦٥ وقبض عليه الغز لما تغلبوا على مرو فيمن قبضوا فجعلوا يشتمهم وهم يحثون التراب في فمه حتى مات في العشر الأوسط[2] من رجب سنة ٥٤٨[3] » .

تتمـــة

وقال ظهير الدين البيهقي : « عين الزمان الحسن القطان المروزي ، كان من تلامذة الأديب أبي العباس اللوكري ، وكان طبيباً حكيماً مهندساً أديباً ، له طبع في الشعر ، وله تصانيف منها (كيهان سياحت) في الهيأة وكتاب في العروض وكتاب (الدوحة) في الأنساب ، ورسائل في الطب ، وأكثر معالجاته يؤول الى تقليل الطعام ، وتلطيفه ، وربما ينهى المريض عن الدواء الغذائي فضلاً عن الغذاء . ومن فوائده : أم الفضائل النفسانية الحكمة ، وظئرها المزاج المعتدل ، وأبوها الاستعداد الكامن ، وابنها السعادة العظمى . وقال : الرياء أخس الأعمال ، والاحتيال أزكى السير[4] .

(١) أي درس وطلب .

(٢) كذا ورد والصواب « الوسط » جمع الوسطى ، والعشر هي الليالي .

(٣) بغية الوعاة « ص ٢٢٤ » .

(٤) تاريخ الحكماء للبيهقي « ص ١٥٦ » طبعة دمشق .

٣ — الحسن بن القاسم الرازي أبو علي

قال ياقوت : «كان لغوياً نحوياً ، لازم مجلس الصاحب ابن عباد وصنف البسوط في اللغة [1] » .

٤ — الحسن بن علي الباقطاني

قال ياقوت في « باقطايا » من معجم الأدباء : « باقطايا ويقال باقطيا : من قرى بغداد ، على ثلاثة فراسخ من ناحية قطربل ، ينسب إليها الحسين بن علي الكاتب الأديب ، ذكرته في معجم الأدباء » .

تتمـــة :

والباقطاني هذا من رُواة هلال الصابي قال : « حدث أبو الحسن علي بن هشام قال حدثني أبو عبد الله الحسن (كذا) بن علي الباقطاني (كذا) [2] . » ، ثم قال : « وحدث أبو الحسين علي بن هشام قال سمعت أبا عبد الله الباقطاني يقول ... [3] » . وقد سطا الصابي في هذا الخبر على نشوار المحاضرة للمحسن التنوخي [4] ، والباقطاني من رُواة التنوخي المذكور [5] .

٤ — العميد أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين القمي الكاتب

هكذا ذكره كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد الشيباني المعروف بابن الفوطي ، قال : « هو والد الأستاذ أبي الفضل بن العميد ، وكان العميد يلقب بكله . وذكر أبو إسحاق الصابي أن رسائل العميد لا تقصر في البلاغة عن رسائل ابنه أبي الفضل . قال ياقوت في كتابه : وعندي

(١) البغية « ص ٢٢٦ » .

(٢) كتاب الوزراء « ص ٢٨٨ » طبعة دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة

(٣) المذكور « ص ٣٦٦ » .

(٤) راجع « نشوار المحاضرة ٨ : ٦٨ » .

(٥) النشوار أيضاً « ٨ : ١١ ، ٢٤ » .

أن هذا الحكم من أبي اسحاق فيه حيف شديد على أبي الفضل ، والقاصُ لا يحب القاصَ .

وتقلد ديوان الرسائل لنوح بن نصر السامانى ولقب بالشيخ العميد[1] » ، وينقل ابن الفوطي من كتاب ياقوت استدللنا على أن الترجمة كانت في نسخة إرشاد الأريب ، يعني معجم الأدباء .

٥ — زيد بن عبدالله بن رفاعة الهاشمي أبو الخير الهاشمي

قال الصلاح الصفدي : « أحد الأدباء الفضلاء ، كان معاصراً للصاحب بن عباد ؛ قال ياقوت : كان يعتقد رأي الفلاسفة ، ذكروا[2] عنه أنه قال : متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية حصل الكمال ، أقام بالبصرة زماناً طويلاً وصادف بها جماعة جامعة لأصناف العلم منهم أبو سليمان محمد ابن معشر البُستي ويعرف بالمقدسي وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني وأبو أحمد النهرجوري وغيرهم ، وصحبهم وخدمهم ؛ وكانت هذه الجماعة قد تألفت بالعشرة وتصافت بالصداقة ، فوضعوا بينهم مذهباً ، وزعموا أنهم قد قرّبوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله ، والمصير الى جنته ، وقالوا : إن الشريعة قد دُنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية ، والمصلحة الاجتهادية ؛ وصنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة علمها أو عملها وسمّوها « رسائل إخوان الصفاء » وكتَمُوا أسماءهم وبثوها في الوراقين ووهبوها للناس وادّعوا أنهم ما فعلوا ذلك إلا ابتغاء وجه الله وطلب رضوانه ، وحملت هذه الرسائل الى الشيخ أبي سليمان محمد بن بهرام المنطقي السجستاني فنظر فيها أياماً وتبحرَ فيها دهراً طويلاً وقال : تعبُوا وما أغنوا ، ونصبوا وما أجدَوا ، وحامُوا وما وردُوا ، وغنوا وما أطربوا ، ظنُّوا ما لم يكن ولا يكون ولا يستطاع ، ظنُّوا أنهم [يمكنهم أن] يدسُّوا

(١) تلخيص معجم الألقاب « ج ٤ الورقة ١٨٤ من نسخة مكتبة الآثار المصورة » .

(٢) الذاكر الأول هو أبو حيان التوحيدي في « الامتاع والمؤانسة « ٢ : ٣ » ونقله من كتابه ابن القفطي في تاريخ الحكماء « ص ٨٥ » من الطبعة المصرية . وهو في الكتابين المذكورين أبسط من هذا وأوسع منه ثم نقله من كتاب أخبار الحكماء ابن العبري في كتابه « تاريخ مختصر الدول — ٣٠٨ طبعة اليسوعيين ببيروت » .

الفلسفة التي هي علم النجوم والأفلاك والمقادير والمجسطي وآثار الطبيعة ، والموسيقى الذي هو معرفة علم النغم والايقاع والنقرات والأوزان ، والمنطق الذي هو اعتبار الأقوال بالاضافات والكميات والكيفيات ، وأن يطبقوا الشريعة بالفلسفة . وقد رام هذا قبلهم قوم كانوا أحد أنياباً ، وأحضر أسباباً ، وأعظم أقداراً ، فلم يتم لهم ما أرادوا ، ولا بلغوا ما أملوه ، وحصلوا على لوثات قبيحة ، وعواقب مخزية . الى كلام طويل من هذا الباب ... ومن تصانيف ابن رفاعة كتاب الأمثال . كتاب صناعة الخط (١) » .

[تتمة]

وقد حذف الصلاح الصفدي من كلام التوحيدي خصائص زيد بن رفاعة التي تهم المترجم ، وسننقلها بعد أن ننقل ما عثرنا عليه من سيرته في كتب أخرى ، قال الخطيب البغدادي :

« زيد بن رفاعة أبو الخير . حدث ببلاد الجبال وخراسان عن أبي بكر محمد بن الحسن ابن دريد وأبي بكر بن الأنباري كتب الأدب ، وروى أيضاً عن أبيه عن أبي كامل الجحدري وغيره ، وكان كذاباً . حدثنا عنه أبو بكر أحمد بن علي ابن يزداد القارئ وذكر لنا أنه سمع منه بالدينور أخبرنا ابن يزداد أخبرنا أبو الخير زيد بن رفاعة الهاشمي حدثني أبي حدثنا أبو كامل الجحدري حدثني أبو الحسن بن فضيل قال قال رجل لعمرو بن عبيد : يا أبا عثمان إني لأرحمك مما يقول الناس فيك . قال : يا ابن أخي أسمعتني أقول فيهم شيئاً ؟ قال : لا قال : فإياهم فارحم . ورأسله واحد بما يكره فقال لمبلغه : قل إن الموت يجمعنا والقيامة تضمنا والله يحكم بيننا . سمعت أبا القاسم هبة الله بن الحسن الطبري ذكر زيد بن رفاعة فقال : رأيته بالري . وأساء القول فيه . سمعت القاضي أبا القاسم التنوخي ذكر زيد بن رفاعة فقال : أعرفه وكان يتولى العمالة لمحمد بن عمر العلوي على بعض النواحي . ولم نعرفه بشيء من العلم ولا سماع الحديث ، وكان يذكر لنا عنه

(١) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٤ الورقة ١٠٢ » . قال الصفدي بعد ذلك : « قلت : زعم قوم أن الذي وضعها جماعة من علماء الفاطميين بمصر ، كانت توجد رسالة بعد رسالة ملقاة في جامع عمرو بن العاص . والذي أراه أنها لخدمة الدوام » .

أنه يذهب مذهب الفلاسفة . قلت له : أ كان هاشمياً ؟ فقال : معاذ الله ما عرفناه بذلك قط ، أو كما قال[1] » .

وذكره شمس الدين الذهبي في ميزان الاعتدال ، وابن حجر في لسان الميزان ، جاء في اللسان : « زيد بن رفاعة الهاشمي أبو الخير معروف بوضع الحديث على فلسفة فيه أخذ عن ابن دُريد وابن الأنباري ، قال الخطيب كذاب ، وقال اللالكائي : رأيته بالري . قلت : له أربعون موضوعة سرقها منه ابن ودعان ، وسيأتي في (ابن عبدالله) انتهى ، وقال للزي في جوابه عن حال الأربعين الودعانية : كان من أجهل خلق الله بالحديث وأقلهم حياءاً وأجرأهم على الكذب ، وقد وضع عامتها على أسانيد صحاح مشهورة بين أهل الحديث يعرفها الخاص والعام فكان ذلك أبلغ في هتك ستره وبيان عواره[2] » .

ثم جاء في اللسان : « زيد بن عبد الله بن مسعود الهاشمي أبو القاسم اتهم بوضع أربعين في الآداب ، قاله النباتي . قلت : هو أبو الخير بن رفاعة ، لا صبحه الله بخير . سمع منه تلك الأربعين الباطلة أبو الفتح سُلَيْم بن أيوب الرازي بالري بعد الأربعمائة ... وهذا كذاب[3] » .

وقال ابن الجوزي في ترجمة أبي نصر محمد بن علي بن عبيد الله بن ودعان الموصلي القاضي المتوفى سنة ٤٩٤ : « قدم بغداد سنة ٤٧٣ ومعه جزء فيه أربعون حديثاً عن عمه أبي الفتح [بن ودعان] وهي التي وضعها زيد بن رفاعة الهاشمي وجعل لها خطبة فسرقها أبو الفتح بن ودعان ... وحذف خطبتها وركب على كل حديث شيخاً إلى الشيخ الذي روى عنه ابن رفاعة[4] » .

وقال أبو حيان التوحيدي : « كان زيد بن رفاعة ذا ذكاء وذهن وقاد ويقظة واتساع في الفنون من النظم والنثر والكتابة والبراعة في الحساب والحفظ لأيام الناس ومعرفة بالمقالات وتبصُّر في الآراء وتصرُّف في كل فن لكنه لا ينسب لمذهب لجيشانه في كل شيء ، وغليانه في كل

(١) تاريخ بغداد « ٨ : ٤٥٠ ، ٤٥١ » .
(٢) لسان الميزان « ٢ : ٥٠٦ » .
(٣) المذكور « ٢ : ٥٠٨ » .
(٤) المنتظم « ٩ : ١٢٧ » .

باب وكان قد صحب المقدسي والنهرجوري والزيحاني وغيرهم وهم الذين كانوا وضعوا رسائل إخوان الصفاء [1]... » .

وروى محب الدين بن النجار بسنده إلى أبي الخير أو أبي القاسم بن رفاعة الشيرازي المذكور عن الصولي عن المبرد قال قيل لأبي شعيب العالم : ما لأهل المدينة حسان الاصوات ؟ فقال : هم مثل العيدان خلت أجوافها فحسنت أصواتها [2] .

ولزيد بن رفاعة هذا ذكر في كامل بن الأثير « ١٠ : ١١٤ » ومعجم الأدباء « ٥ : ٣٨١ » وإنباه الأنباه « ٣ : ١٦٩ » وقد طبع له في حيدر أباد الدكن « تأريخ اصلاح المنطق » لابن السكيت . والتأريخ من الفعل أرّخ وهو من مصطلحات الكتاب .

٦ — زيد بن مرزكة الموصلي :

ذكره ياقوت في غير موضعه وأشار الى أنه قد ذكره فيه قال في ترجمة علي بن دبيس النحوي الموصلي : « قرأ النحو على ابن وحشي صاحب ابن جني وأخذ عنه زيد بن مرزكة الموصلي وهو مذكور في بابه [3] » .

تتمـــة :

وقال السيوطي : « زيد الموصلي النحوي يعرف بمرزكه (بفتح الميم وسكون الراء وفتح الزاي وتشديد الكاف) قال الصفدي : كان نحوياً شاعراً أديباً رافضياً وله يرثي الحسين :

فلولا بكاء المزن حزناً لفقده | لما جاءنا بعد الحسين غمامُ
ولو لم يشق الليل جلبابه أسىً | لما انجاب من بعد الحسين ظلام [4] » .

(١) الامتاع والمؤانسة « ٢ : ٤ » ونقله منه القفطي في تاريخ الحكماء وابن العبري في مختصر الدول وابن حجر في لسان الميزان كما ذكرنا آنفاً .

(٢) التاريخ المجدد لمدينة السلام « جزء الظاهرية بدمشق الورقة ٣٢ » .

(٣) معجم الأدباء « ٥ : ٢٠٧ » .

(٤) بغية الوعاة « ص ٢٥١ » .

وقال الصلاح الصفدي : « زيد مرزكه — بفتح الميم وسكون الراء وفتح الزاي وتشديد الكاف — كذا وجدته مضبوطاً . موصلي من قرية من قراها ، كان نحوياً شاعراً أديباً إلا أنه كان رافضياً دجالاً ، ومن شعره الذي أبان فيه عن سوء مذهبه قوله يستطرد بأبي بكر — رضي الله عنه — :

وإذا لزمت زمامها قلقت   قلق الخلافة من أبي بكر

وقال يرثي الحسين بن علي — رضي الله عنه — من قصيدة :

فلو لا بكاء المزن حزناً لفقده   لما جادنا بعد الحسين غمامُ

ولو لم يشق الليل جلبابه أسىً   لما انجاب من بعد الحسين ظلام [1] »

ولا نشك في أن الصفدي اطلع على ما كتب ياقوت في سيرة الرجل .

٧ — عبد الله بن أحمد بن علي بن هبة الله قوام الدين أبو محمد الهاشمي العباسي

قال ابن الفوطي : قوام الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن علي بن هبة الله ابن المأمون الهاشمي البغدادي القاضي الأديب ، ذكره شهاب الدين ياقوت الحموي في كتاب معجم الأدباء وقال : اجتمعت به ببغداد سنة اثنتي عشرة وستمائة ، وسمع كتاب الجمهرة لابن دريد من أبي المعالي أحمد بن عبد الغني بن حنيفة الباجسري بروايته عن ثابت بن إبراهيم البقال عن ابن رزمة . وله أشعار حسنة فصيحة [2] .

وكان ياقوت قد ذكره في ترجمة أبيه « أحمد بن علي بن المأمون » قال : « سألتُ ولده أبا محمد عبد الله بن أحمد عنه فأعطاني جزءاً بخط والده وقد ضمنه ذكر نفسه وذكر ولده فنقلت منه جميع ما أذكره في هذه الترجمة إلا ما أبينه [3] » ثم قال : « واجتمعت بولده قوام الدين أبي محمد عبيد الله بن أحمد وقد أفردت له ترجمة في هذا الكتاب ، فأنشدني لوالده من حفظه :

(١) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٤ الورقة ١٠٥ » .
(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٤٤٨ من نسخة مكتبة الآثار المصورة .
(٣) معجم الأدباء « ٢ : ٤١ من الطبعة الأولى » .

فؤاد المشوق كثير العنا ... ومن كتم الوجد أبدى الضنى
وكم مدنف في الهوى بسهمهم ... وكانوا الأماني له والمنى
لقد خلفوه أخا لوعة ... موله شوق يعاني المسنى
ينادي من الشوق في إثرهم ... إذا آده ما به قد منا
بها جسداً ناحلاً بالعراق ... مقيماً وقلباً بوادي منى
تحرقه زفرات الحنين ... ويغدو بهن الشجى ديدنا (١) »

[تتمة]

وقال جمال الدين محمد بن سعيد الواسطي المعروف بابن الدبيثي : « عبد الله بن أحمد بن علي ابن هبة الله بن المأمون أبو محمد ابن القاضي أبي العباس بن أبي الحسن ، من أولاد الأشراف الأعيان ، والعدول المقبولين عند الحكام ، شهد أبو محمد هذا عند قاضي القضاة أبي الحسن علي بن أحمد بن الدامغاني في ولايته الثانية يوم الأحد ثالث عشر شهر ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، وزكاه العدلان أبو المظفر أحمد بن أحمد بن حمدي وأبو جعفر محمد بن عبد الواحد بن الصباغ . ولما توفي والده في سنة ست وثمانين وخمسمائة ، وكان يتولى قضاء دجيل ، تولى أبو محمد ذلك وعزل عنه وأعيد إليه ، وناب ببغداد عن أقضى القضاة أحمد بن علي بن البخاري ، وعزل عن القضاء والعدالة أجمع في صفر سنة أربع وستمائة بسبب كتب قيل عنه زوّرها (٢) ، ولم يكن محمود الطريقة في شهادته وقضائه ، سمع من أبي المعالي أحمد بن عبد الغني ابن حنيفة [الباجسري] وأبي القاسم يحيى بن ثابت بن بندار وأبي محمد عبد الله بن أحمد بن

(١) المذكور « ٢ : ٢٥٦ » .

(٢) قال تاج الدين بن الساعي البغدادي في حوادث سنة « ٦٠٤ » : « وفيها أحضر العدل أبو محمد عبد الله بن المأمون قاضي دجيل الى باب النوبي الشريف وكشف رأسه عند الصخرة ودرر (أي ضرب بالدرة) ثم شهر في محال البلد ونودي عليه (هذا جزاء من يزور) وكان هذا الرجل من بيت كبير معروف بالشرف والعدالة والعلم والقضاء لكنه هدم مجد بيته بتتبع ما نسب اليه وإقدامه عليه ، أعاذنا الله من تسويل الشيطان » . « الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ٩ : ٢٧٠ » .

الخشاب وغيرهم وروى عنهم ، سمع منه قوم من الطلبة . ومولده فيما قرأت بخط أبيه في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة [1] » .

وقال شمس الدين الذهبي في وفيات سنة « ٦٢٠ هـ » : « عبد الله بن أحمد بن علي بن هبة الله الشريف أبو محمد ابن الزوال الهاشمي العباسي البغدادي . ولد سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، وسمع من يحيى بن ثابت وأبي المعالي الباجسرائي وأبي محمد بن الخشاب ، وهو من بيت حشمة وتقدم . توفي في ليلة عاشوراء . وقد ناب في القضاء ببغداد ثم عزل عن القضاء والعدالة بسبب تزوير ولم يكن محمود الشهادة [2] » .

٨ — عبد الله بن أحمد بن محمود أبو القاسم الكعبي

قال ياقوت في ترجمة أبي زيد أحمد بن سهل البلخي : « هذا آخر ما كتبته من كتاب أبي سهل أحمد بن عبيد الله من أخبار أبي زيد ، وما أرى أن أحداً جاء من خبر أبي زيد بأحسن مما جاء أثابه الله على اهتمامه الجنة ، وسأكتب أخبار أبي القاسم عبد الله بن أحمد الكعبي البلخي عنه في موضعه [3] » .

ومما نقله ياقوت « سمعتُ أن الأمير أحمد بن سهل بن هاشم كان ببلخ وعنده أبو القاسم عبد الله ابن أحمد بن محمود الكعبي وأبو زيد ليلة من الليالي وفي يد الأمير عقد لآلىء نفيسة ثمينة ، تتلألأ كأنجمها ويتوهج نورها ، وكان [العقد] حمل إليه من بعض بلاد الهند حين افتتحت فأفرد الأمير منها عشرة أعداد وناولها أبا القاسم ، وعشرة أعداد أخر وناولها أبا زيد وقال : هذه اللآلىء في غاية النفاسة فأحببت أن أشرككما فيها ولا أستبد بها دونكما ، فشكرا له ذلك ثم إن أبا القاسم وضع لآلئه بين يدي أبي زيد وقال : إن أبا زيد من هو مهتم بشأنهن فأردت أن أصرف ما برّني به الأمير إليه لينتظم في عقدهن . فقال الأمير : نعما فعلت : ورمى بالعشرة الباقية إلى أبي

(١) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٩٢٢ ، الورقة ٨٨ » .
(٢) تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب المذكورة ، ١٥٨٢ ، الورقة ٢٦٢ » .
(٣) معجم الأدباء « ١ : ١٤١ » .

زيد وقال : خذها فلست في الفتوة بأقل حظاً ولا أوكس سهماً من أبي القاسم ولا تغبن عنها فانها ابقيت للجراية (كذا) من الفيء بثلاثين ألف درهم[1] » . وقال: « لما ورد أحمد بن سهل بن هاشم المروزي بلخ واستولى على تخومها راود أبا زيد على أن يستوزره فأبى عليه واختار مسلامة الأول والمقي فاتخذ أبا القاسم الكعبي وزيراً وأبا زيد كاتباً ، وكان أبو القاسم الوزير ، وأبو زيد من الكتاب ، وعظم محلها عنده وأصبحا بأرفع طرف عنده مرموقين ، وبأروى كأس من جنابه مصبوحين ومغبوقين ، وكان رزق أبي القاسم في الشهر الف درهم ورقاً ولأبي زيد خمسمائة درهم ورقاً ، وكان أبو القاسم يأمر الخازن بزيادة مائة درهم لأبي زيد من رزقه ونقصان مئة درهم من رزق نفسه فكان يصل الى أبي زيد ستمائة درهم والى أبي القاسم تسعمائة درهم ، وكان يأخذ اذنه مكسورة ، ويأمر لأبي زيد بالوضيع الصحاح ، فبقوا على ذلك مدة غير طويلة ، وعاشوا على جملة جميلة ، حتى فتكت بهم يد المنون[2] » . ثم قال : « قرأت في كتاب البصائر لأبي حيان الفارسي [التوحيدي] من ساكني بغداد[3] ... للكعبي كتاب في التفسير يزيد حجمه على كتاب أبي زيد[4] » .

[تتمة]

وقال أبو بكر الخطيب : « عبد الله بن أحمد بن محمود أبو القاسم البلخي ، من متكلمي المعتزلة البغداديين ، صنف في الكلام كتباً كثيرة ، وأقام ببغداد مدة طويلة وانتشرت بها كثيرة ، ثم عاد الى بلخ فأقام بها الى حين وفاته . أخبرني القاضي أبو عبد الله الصيمري [حدثنا] أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال : كانت بيننا وبين أبي القاسم البلخي صداقة قديمة وكيدة ، وكان إذا ورد مدينة السلام قصد أبي وكثر عنده (كذا) وإذا رجع إلى بلده

(١) معجم الأدباء « ١ : ١٤٤ » .

(٢) المرجع المذكور « ١ : ١٤٧ » .

(٣) قال قال أبو حامد القاضي لم أر كتاباً في القرآن مثل كتاب لأبي زيد البلخي ... » .

(٤) معجم الأدباء « ١ : ١٤٨ » .

لم تنقطع كتبه عنا ، وتوفي أبو القاسم ببلخ في أول شعبان سنة تسع عشرة وثلاثمائة »[1] » .

وقال أبو سعد بن السمعاني في « الكعبي » من الأنساب : « وأبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي — رأس المعتزلة ورئيسهم ، ذكره أبو العباس المستغفري في تاريخ نسف وقال : دخل نسف في أيام رئاسة أبي عثمان سعيد بن إبراهيم ، ونزل رباط الجوبق (اهله جوبق) وعقد له مجلس الاملاء . روى عنه محمد بن زكريا بن الحسين النسفي ولولا أن ذكره لما كان من حقه أن يذكر في كتابي هذا لتصلبه في الجهم والاعتزال ولأنه كان داعية ضلالة أكره الرواية عنه وعن أمثاله . وذكر المستغفري أن أبا يعلى بن خلف امتنع من زيارته لما دخل عليه الكعبي مسلماً وزائراً ولم يقم له أبو يعلى ولا كلمه ، والفرقة الكعبية ينتمون اليه إلى أبي القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الذي تقدم ذكره ، وهم جماعة من المعتزلة ، وكان يزعم أن ليس لله — عز وجل — إرادة وزعمت الكعبية أن جميع أفعاله واقعة منه بغير إرادة ولا مشيأة منه لها ، وقد كفرت المعتزلة قبل الكعبية بقولها : إن الشرور واقعة من العباد بخلاف إرادة الله — عز وجل — ومشيأته ، مع قولهم بأن أفعاله التي ليست بإرادة واقعة بمشيأته ، فزاد أبو القاسم الكعبي عليهم في هذا الكفر فزعم أن ليس لله — عز وجل — إرادة ولا مشيأة على الحقيقة » .

وقال ابن حجر في لسان ميزان الاعتدال : « عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي أبو القاسم الكعبي ، من كبار المعتزلة ، وله تصنيف في الطعن على المحدثين يدل على كثرة اطلاعه وتعصبه ... وذكر المصنف في تاريخ الاسلام أنه كان داعية الى الاعتزال ... واشتمل كتابه في المحدثين على الغض من أكابرهم وتتبع مثالبهم سواء أكان ذلك عن صحة أم لا ، وسواء أكان ذلك قادحاً أم غير قادح حتى إنه سرد كتاب الكرابيسي في المدلسين فأفاد أن التدليس بأنواعه عيب عظيم ، وحسبك ممن يذكر شعبة فيمن يعد كثير الخطأ ، عقد باباً أورد فيه ما رويه مما ليس

(٤) تاريخ بغداد ٩ : ٣٨٤ .

له معنى يزعمه ويأباه فيما يرويه متناقضاً لسوء فهمه .. وقال ابن النديم في الفهرست : اليه تنسب الطائفة البلخية : أخذ الكلام عن أبي الحسين الخياط ... وقيل إنه كان يكتب لبعض القواد فقبض على القائد فأخذ الكعبي فاعتقل حتى خلّصه الوزير علي بن عيسى بن الجراح ... ونقل عن أبي سعيد الاصطخري قال : ما رأيت أجدل من الكعبي ... توفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة (1) » .

وله ترجمة في المنتظم « ٦ : ٢٣٨ » والوفيات « ١ : ٢٧٣ » وشذرات الذهب « ٣ : ٢٨١ » وغيرهن .

٩ — عبد الله وقيل عبد الباقي بن محمد بن ناقيا البغدادي :

قال ياقوت في ترجمة أبي الحسن علي بن سليمان البغدادي الأديب : « قرأت بخط أبي سعد قال : ذكر أبو المظفر محمد بن العباس الأبيوردي في كتاب تعلّة المشتاق من تصنيفه قال فيه : وقد صممت العزم على معاودة الحضرة الرضوية بخراسان ... وعلم الأديب أبو الحسن علي ابن سليمان ضري عزمي بجشم إليّ قدمه ... ومن مليح ما أسمعنيه أنه قال سألنا أبا القاسم عبد العزيز بن أحمد بن ناقيا البغدادي ... قلتُ هكذا قال عبد العزيز وصوابه عبد الله ، ذكرناه في بابه من هذا الكتاب (2) » .

وكان ياقوت نفسه قد قال في ترجمة أحمد بن يوسف بن صبيح الكاتب : « حدث أبو القاسم عبد الله بن محمد بن ناقيا (3) الكاتب في كتاب ملح الممالحة (4) ... » .

---

(1) لسان الميزان « ٣ : ٢٥٥ » .

(2) معجم الأدباء « ٥ : ٢١٨ » من الطبعة الأولى » ...

(3) في طبعة مرغليوث الأولى « ٢ : ١٦٢ » باقيا ، وقال في الحاشية « في كشف الظنون : ابن ماميا » . والصواب ما ذكرناه وهو الذي ضبطه ابن خلكان في الوفيات « ١ : ٢٨٨ » ثم الصفدي في الوافي بالوفيات .

(4) معجم الأدباء « ٢ : ١٦٢ » .

(تتمة)

وقال ابن الدبيثي في ترجمته :

« عبد الله بن محمد بن الحسن بن ناقيا أبو القاسم الأديب الشاعر ، كان فاضلاً له ترسل حسن وشعر جيد ومقامات وغير ذلك من التصانيف الأدبية . ذكره تاج الاسلام أبو سعد بن السمعاني في تاريخه فيمن اسمه عبد الباقي ، فقال : عبد الباقي بن محمد بن الحسن بن ناقيا أبو القاسم الشاعر ، من أهل الحريم الطاهري (١) ، سهواً منه . هكذا سماه جماعة ممن لقيه وسمع منه وروى عنه من الحفاظ المتقنين ، والاثبات المحققين ، كأبي علي أحمد بن محمد البرداني وأبي الفضل محمد بن ناصر السلامي وغيرهما . أخبرنا القاضي أبو طالب محمد بن علي بن أحمد الواسطي [الكتاني] قراءة عليه وأنا أسمع قيل له أنشدكم أبو علي أحمد بن محمد بن أحمد البرداني فيما كتبه إليكم بخطه قال أنشدني أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين بن ناقيا البندار لنفسه :

أخلاي ما صاحبت في العيش لذةً ... ولا زال عن قلبي حنين التذكر

ولا طاب لي طعم الرقاد ولا اجتنت ... لحاظي مُذ فارقتكم حسن منظر

ولا عبثت كفي بكأس مُدامة ... يطوف بها الساقي ولا حسن مزهر

هكذا سماه أبو علي في روايته عنه لهذه الأبيات وفي غيرها ، وفي ذكر وفاته ، أنبأنا محمد ابن علي الواسطي الكتاني المحتسب قال كتب إلينا أحمد بن محمد الحافظ — يعني أبا علي البرداني — يذكر لنا أن أبا القاسم عبد الله بن محمد بن ناقيا توفي ليلة الأحد رابع محرم سنة خمس وثمانين وأربعمائة ودفن بباب الشام ، ومولده في ذي القعدة سنة عشر وأربعمائة ، وله شعر ورسائل (٢) » .

وقال الصفدي : « عبد الله بن محمد بن الحسين بن ناقيا بن داود أبو القاسم بن أبي الفتح

(١) في الجواهر المضية في طبقات الحنفية « ١ : ٢٨٣ » من أهل شارع دار الرقيق . وهو في الحريم الطاهري .

(٢) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ٩٨ » .

الحنفي الشاعر المعروف بابن البندار البغدادي ، قال محب الدين الأنماطي[1] ابن النجار : هكذا رأيت اسمه بخط يده ورأيت بخط عبد الوهاب الأنماطي اسمه عبد الباقي — ويأتي ذكره في عبد الباقي[2] » . ثم قال : « عبد الباقي بن محمد بن الحسن بن داود بن ناقيا (بالنون وبعد الألف قاف وياء آخر الحروف) أبو القاسم الحربي البغدادي الشاعر صنف عدة كتب منها تفسير فصيح ثعلب واختصر الأغاني وغير ذلك وله ملح الملح[3] وأغاني المحدثين وملح الكاتب ، ويذهب الى رأي الأوائل وله مقالة في التعطيل ، توفي سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، وكان يعرف بابن البندار ، وله مقامات أدبية إلا أنه كان مطعوناً عليه في دينه وعقيدته وكان كثير الهزل والمجون ، سمع من عبد الرحمن بن عبيد الله الحربي ومحمد بن علي العشاري وأبي القاسم علي بن المحسن التنوخي وغيرهم وروى عن جماعة من الشعراء كأبي الخطاب الجبلي وأبي القاسم المطرز وغيرهما ، ومن شعره وهو مريض :

نمضي كما مضت القبائل قبلنا ... لسنا بأول من دعاه الداعي

تبقى النجوم دوائراً أفلاكها ... والأرض فيها كل يوم ناعي

وزخارف الدنيا يجوز خداعها ... أبداً على الأبصار والأسماع

... وكان يقول : في السماء نهر من خمر ونهر من لبن ونهر من عسل لا يتقطع منه شيء ويتقطع هذا الذي يخرّب البيوت ويهدم السقوف ، وكانت بينه وبين ابن الشبل منافرة ، ومباعدة شائعة ظاهرة ؛ قال أبو الحسن علي بن أحمد الدهان أنشدته يوماً لابن الشبل :

وما أسجد الله الملائك كلهم ... لآدم إلا أن في نسله مثلي

ولو أن إبليساً درى خرّ ساجداً ... لآدم من قبل الملائك من أجلي

(١) كذا جاء ولم يعرف بهذا النسب وإنما سبق الناسخ فأخذه من السطر الثاني .

(٢) الوافي بالوفيات « نسخة الدار المذكورة ٢٠٦٦ الورقة ٨٩ » .

(٣) قدمنا أنه ملح الممالحة وكذلك هو في الوفيات .

فيا رب إبراهيم لم أوت فضله ... ولا فضل موسى والنبي على الرسل
فلِمْ لي وحدي ألف فرعون في الورى ... ولي ألف نمرود وألف أبي جهل

فلما سمعها قال : أشهد بين يدي الله أنه ما أخرج آدم من الجنة إلا أنه كان في ظهره ، ثم قال : امض إليه فأنشده :

فكونك في الظهر من آدم ... بشؤمك أهبطه إذ عصى
ولو كان آدم ذا خبرة ... بأنك من نسله لاختصى

وقيل له : ألم تكن قرأت على الشيخ ابن الشبل ؟ قال : بلى ، وإلا من أين اكتسبت هذه البلادة التي فيّ ؟! فبلغ ذلك ابن الشبل فقال :

فقل ما شئت إن الحلم رأيي ... وشأني الخير إن حاولت شرّا
فأنت أقلّ أن تلقى بذم ... مجاهرة وأن تُغتابَ سرا

... وقال أبو الحسن علي بن أحمد بن الدهان : دخلت على ابن ناقيا بعد موته لأغسله فوجدت يده اليسرى مضمومة فاجتهدت حتى فتحتها وفيها كتابة بعضها على بعض فتمهلت حتى قرأتها فاذا فيها مكتوب :

نزلت بجار لا يخيّبُ ضيفه ... أرجّي نجاتي من عذاب جهنم
وإني على خوفي من الله واثق ... بانعامه والله أكرم منعم[1] ».

وقال ابن الفوطي في ترجمة الأمير أبي الحارث مُهارش بن علي بن المجلي العقيلي : « ومدحه أبو القاسم بن ناقيا بقصيدة غراء منها :

أسفر الحق عن ضلال بهيم ... وقضى السيف دين كل غريم

منها : أصبح الدهر منك في حلل السعـ . . . ـد وعهد الأيام غير ذميم
نفر الملك بالأمير فما يعـ . . . ـرب إلا عن رأيه المستقيم

(١) المرجع المذكور « الورقة ١٢٠ » .

وأنارت برأيه دولة القا ... ئم بعد الظنون والترجيم

أنت جلّيتهنّ يا ابن الجلي ... كرباً آذنت بأمر جسيم[1]

وقال الذهبي في وفيات سنة « ٤٨٥ » ، « عبد الباقي بن محمد بن الحسين بن داود بن ناقيا أبو القاسم الحريمي البغدادي ، شاعر مجود ، صنف عدة كتب منها تفسير فصيح ثعلب ، والأغاني إلا أنه كان مفترياً ثلابة يطعن على الشريعة ويذهب الى رأي الأوائل وله مقالة في التعطيل ، وكان كثير المجون والهزل سمع أبا القاسم الخرقي . ترجمه السمعاني وقال : روى لنا عنه ابن السمرقندي وعبد الوهاب الأنماطي وأبو الفضل بن ناصر ، وسألتُ عبد الوهاب عنه فقال : ما كان يصلي وكان يقول : في السماء نهر من خمر ونهر من لبن ونهر من عسل لا يسقط منه شيء بل يسقط هذا الذي يخرّب البيوت ويهدم السقوف . مات في الحرم وله خمس وسبعون سنة[2] » .

وقد نقل ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الأبصار من كتاب ابن ناقيا في الأغاني قال في ذكر المغنين وأصحاب الموسيقى : ومنهم اسمرائيل السواد ذكره ابن ناقيا في غير موضع من كتابه المسمى بالمحدث في الأغاني[3] ... » .

هذا ما وجدناه في المخطوطات من سيرته وقد أحلنا في الحواشي على مظان سيرته من المطبوعات كالوفيات والجواهر المضيئة ، وله ترجمة في المنتظم « ٩ : ٩٨ » ولسان الميزان « ٣ : ٣٨٤ » والبغية « ص ٢٩٢ » ومما ذكره له ابن خلكان من الكتب « الجمان في تشبيهات القرآن » . وقد طبع مقاماته بعض المستشرقين بأوربة .

١٠ — عبد الله بن محمد أبو محمد الايجي :

قال ياقوت : « إيج بالجيم : بلدة كثيرة البساتين والخيرات في أقصى بلاد فارس ... وأهل

(١) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٣٠٨ من نسخة الآثار المصورة » .

(٢) مختصر تاريخ الاسلام « نسخة الأوقاف ببغداد ٥٨٩١ الورقة ١٣٨ » .

(٣) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٨٧٠ الورقة ١٢٦ » .

فارس يسمونها إيك ، منها أبو محمد عبد الله بن محمد الإيجي النحوي الأديب صاحب ابن دريد ، روى عن أبي دريد الكثير[1] » . فوصف ياقوت إياه بالنحوي الأديب يقضي أن يكون أهله في معجم الأدباء .

١١ — عبد الله بن محمد بن السيد أبو محمد البطليوسي

قال ياقوت : « بَطَلْيوس بفتحتين وسكون اللام وياء مضمومة وسين مهملة : مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربي قرطبة ولها عمل واسع يذكر في مواضعه . ينسب اليها خلق كثير منهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي النحوي اللغوي صاحب التصانيف والشعر مات في سنة ٥٢١[2] » .

١٢ — عبد الله بن محمد بن علي بن الحسن عين القضاة أبو المعالي الميانجي

نسبة إلى « ميانة » قال ياقوت : « ميانة بكسر أوله وقد يفتح وبعد الألف نون ، والنسبة اليه ميانجي كالذي قبله وهو بلد بأذربيجان ، معناه بالفارسية « الوسط » وإنما سمي بذلك لأنه متوسط بين مراغة وتبريز ، وأنا رأيتها وهو منها مثل زاوية إحدى المثلثات (كذا) ، وقد نسب اليها القاضي أبو الحسن علي بن الحسن الميانجي قاضي همذان استشهد بها — رح — وولده أبو بكر محمد وولده (عين القضاة عبد الله بن محمد) كان له فضل وفقه ، وكان بليغاً شاعراً متكلماً ، تمالأ عليه أعداء له فقتل صبراً ، كما ذكرنا في كتابنا : أخبار الأدباء[3] » .

[تتمـــة]

وقال ابن الفوطي : « عين القضـــاة أبو المعالي عبد الله بن محمد بن علي العلامة الميانجي

(١) معجم البلدان في (إيج) ونقله منه ابن مكتوم في تذكرته ونقله السيوطي من التذكرة في « بغية الوعاة ص ٢٩٠ » ولم يشر ابن مكتوم الى الأصل .

(٢) معجم البلدان في « بطليوس » . وله ترجمة في الوفيات « ١ : ٢٨٧ » وقلائد العقيان وبغية الوعاة وغيرهن .

(٣) معجم البلدان في « ميانة » .

الصوفي الفقيه الحكيم ، ذكره الامام أبو الحسن البيهقي [١] وقال : هو من تلاميذ صدر الشايخ محمد بن حمويه والامام أبي الفتوح أحمد بن محمد الغزالي ، وكان يضرب به المثل في الذكاء ، وكان من تلاميذ عمر الخيامي وخلط كلام الحكماء بكلام الصوفية ، ومولده سنة تسعين وأربعمائة ، وكان فقيهاً أديباً يميل الى الصوفية ، وصنف في فنون العلوم ، وكان حسن الكلام ، وكان الناس يعتقدون فيه ويتبركون به ، وظهر له القبول التام بين الخاص والعام حتى حسدوه وأطلقوا ألسنتهم فيه ، وقصده أبو القاسم الوزير الدركزيني ، وعقد عليه محضراً وحمله إلى بغداد مقيداً وصُلب بهمذان في اليوم السابع من جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وخمسمائة ، وقبرُه يزار بها ولما دخلتُ همذان أقمتُ بها [٢] ... » .

وفي آخر ترجمته من كتاب البيهقي أقوال له في الحكمة والتصوف ، وقد طبع رسالة الشكوى التي ألّفها في السجن بعض العلماء المسلمين وقد ذكرنا ذلك في أول البحث . وله ترجمة في طبقات الشافعية « ٤ : ٢٣٦ » وغيرها .

١٣ — عبد الله بن محمد بن علي الخوارزمي ثم الزاوطي أبو القاسم الملقب بالكامل

قال ابن الفوطي : « الكامل أبو القاسم عبد الله بن محمد بن علي الخوارزمي الزاوطي الأديب ، ذكره ياقوت الحموي في كتاب معجم الأدباء وقال : أصله خوارزمي ، وهو من أهل زاوطا [٣] في بلاد واسط ، ولد بها وقرأ الأدب على أبيه وعلى أبي سعد أحمد بن علي بن الموصلية ، وحدث بواسط سنة خمسمائة ، وقدم بغداد سنة عشر وخمسمائة وروى بها شيئاً من شعره وتصانيفه ، وكان معاصراً لأبي محمد الحريري صاحب المقامات ، وكان عنده قوة في البلاغة فاخترع أن عمل كتاباً

(١) في المطبوع من تأريخ البيهقي للحكماء « ص ١٢٦ » أحضر مما ذكره ابن الفوطي .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٢١٠ » .

(٣) في معجم البلدان « زاوطا بعد الواو المفتوحة طاء مهملة مقصورة ، لفظة نبطية : وهي بليدة قرب الطيب بين واسط وخوزستان والبصرة ... وربما قيل زاوطة ، وفيه أيضاً » وقد نسب اليها قوم من الرواة » .

وسماه (الرِّحل) وهي ست عشـــرة رحلة وله أشعار غير ما أورده وأودعه في كتاب الرحل [1] » .

(تتمـــة)

وقال ابن الدبيثي : « عبد الله بن محمد بن علي بن محمد أبو القاسم بن أبي عبد الله الأديب ، يعرف بابن الخوارزمي ، من أهل زاوطا ، إحدى بلاد البطائح . قدم والده من خوارزم العراق وسكن هذه الناحية ، وولد ابنه عبد الله هذا بها ، وطلب العلم وقرأ الأدب على أبيه وغيره وسمع منه الحديث ومن سعيد بن الوصلية وغيرهما ، وحدث بواسط في سنة خمسمائة ، وقدم بغداد في سنة عشر وخمسمائة وروى بها شيئاً من شعره وتصانيفه . سمع منه بها أبو عبد الله الحسين بن محمد بن خسرو البلخي البزاز فيما قرأت بخطه ، أنشدني أبو القاسم إقبال بن علي بن أحمد المقرئ قال أنشدني أبو العلاء محمد بن محمد بن التقي العلوي قال أنشدني أبو القاسم عبد الله بن محمد الخوارزمي لنفسه :

ربَّ ليـــل فريت فروته أحـ . . . ـــسبه وهـو بارد بارد
على صناد سنادُ كأنها عنـ . . . ـد الرنى مثل ساعد ساعد
ما افتقرت العلي مفتقراً عمـ . . . رني وما كل واجد واجد
إن تنكري يا قتيل قتلك لي فـ . . . لي على ذاك شاهد شاهد (كذا)
تغير لوني وابتـى شهـدا أ ن الذي طال عامدي عامد (كذا)
أقـول إذ زارني وودعني قل لي متى أنت عائد عائد (كذا)

عاد أبو القاسم بن الخوارزمي إلى بلده ، بعد قدومه بغداد وتوفي بعد ذلك بيســير والله أعلم [2] » .

وقال العماد الاصفهاني الكاتب : « الكامل أبو القاسم عبد الله بن محمد بن علي الخوارزمي ،

(١) تلخيص معجم الألقاب ، ج ، الترجمة ٨٨ من الكاف طبعة لاهور .

(٢) ذيل تاريخ بغداد ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ، ٥٩٢٢ الورقة ٩٨ » .

من أهل زاوطا ، كان من أضراب الحريري ومعاصريه ، وهو ذو الفضل الشائع ، والمنطق الرائع ، وكما للحريري (المقامات) فله (الرُّحَل) : بنى كل رحلة منها على حادثة تمّت ، ونادرة اتفقت له أو لوالده ، وأودعها من غرائب الاستعارات ، وبديع الألفاظ وأبكار المعاني كل ما رق وراق ، وشاق القلوب وفاق ، وله الفصول البديعة التي أنشأها مواعظ فصيحة الألفاظ ، جزلة الكلام ، جزيلة الجدوى ، وله رسائل غريبة ، ومصنفات عجيبة ، وسأورد منها لمّاً ، فمن منظومه ما أنشدنيه أبو نصر بن حامد الزكوي بالزكيّة [1] للكامل الخوارزمي :

أطاع الهوى فاستعبدته المطامع ... ومالت به له نحو الحبيب النوازع

وكان تمادي البعد أنساه وجده ... فهيج ذكراه الحمام السواجع

نوائح يُبكي شجوُها كل سامع ... لهن وإن لم تجر منها المدامع

كتمتُ الهوى ما اسطعت فازداد كثرة ... بقلبي حتى لم تسعه الأضالع

فوا كبدي مالي أحنُّ إلى الصِّبا ... وهيهات ما عهد الصِّبا لي راجع

وإن أك قد ناهزتُ سبعين حجة ... فقلبي في طبع الصبابة يافع

يغيّرُ مَرُّ الدهر أجسام أهله ... وتبقى على حالاتهن الطبائع

وأهدى إليّ صدقة بن الحجاج مقدم « زاوطا » كتاب (الرُّحَل والفصول) بخط الكامل الخوارزمي ، فطالعتها وانتخبت من خطه ما أوردت منه ، فمن شعره الذي أودعه (الرحل) قوله في الرحلة المكيّة ، يصف كل نوع من الحجيج ويذمُّهم ويمدح أهل العراق ، فمن ذلك ذمُّ اليمني :

ما شاهدت عيني ولا أبصرت ... في محفل كان ولا موسم

فتىً يمانياً وفي كفّه ... بريق دينـار ولا درهم

... ومما مدح به وفد العراق :

(١) قال ياقوت : « زكية بفتح أوله وكسر ثانيه وتشديد ياء النسبة ... قرية جامعة من أعمال البصرة ، بينها وبين واسط ، وقد نسب اليها نفر من أهل العلم عدادهم في البصريين عن الحازمي » .

أكرِمْ بهم وفداً يطيب بنشرهم ظهرانُ مكة كلّها والأبطحُ
ما مثلهم أحلى ندىً وشمائلاً غرّاً وأعطى للجميل وأسمحُ
بهم أباهي كل مَن وافى منىً في عصرنا ولهم أود وأنصحُ
لم أعط إلا كل قوم حقهم (١) ونصيبهم ممن أذم وأمدح (٢)

وله أيضاً في هذه الرحلة مقيماً عذره فيما قال :

لا تلم قائلاً على ما بدا منه ... وسله يخبرك فيه بعذره
فلسان الفتى يجمجم في القول ... ل ومحض التحقيق باطن صدره

وفيها قوله : أطوّف ما أطوف ثم آتي إلى بيت كبيت العنكبوت
تضاوى فيه أطفال جياع يزجّون الشتاء بغير قوت

وفيها له :

وقد يخطئ الرأي المجرّب ذو الحجى ويدركه القدم الغبي المغفّل
وقد تسلب المرء الحوادث عقله فيسهو عن الرأي السديد ويذهل

وقوله : بالسفح بجهدك واحتيالك أمسى تحصّل رأس مالك

وقوله :

الحمد لله شكراً مبدل العسر يسرا من بعد طول إياسي أغنى وأقنى وأثرى
فلست من بعد هذا أخشى بعد الدهر فقراً

وقوله في رحلة أخرى :

عيناء كالريم إذا مازنت بيضاء كالشمس دنت للشروق
وهي كقبض الروح قرباً فإن حاولتها فهي كبيض الأنوق

---

(١) الوجه « لم أعط كل قوم إلا حقهم » .
(٢) الوجه « ممن أذم وممن أمدح » .

وقوله: أواصلتي أيام غصني ناضر ... وفوداي سوداوان(1) يا أم مالك
وهاجرتي أن شاب رأسي وأنمت ... منابت مسود من الرأس حالك
كأن لست ذاك الشخص إذ أنا روضة ... تكنفنا أدم الظباء الحوالك
وقوله: من كل أزهر وجهه ... بدر وحشو ثيابه غرٌ (كذا)

وله يصف صلاح حاله في أوبة من سفرة:

وعدنا كأن الدهر لم يكُ مسّنا ... ببؤس وما زلنا من الدهر في نُعمى
وصرنا إلى حال من العيش غضة ... وأخصب وادينا وكُشفت الغُمّى
كذا الدهر كرار بخير على الفتى ... وشر فلا حرباً(2) يدوم ولا سلما

وقوله في أخرى:

غُذيتُ بدَرّ الهول في المهد مرضعاً ... وهأنذا في وكره أتدرّجُ
ولوج خروج عند كل ملمة ... إذا لم يكن منها لذي اللب مخرجُ
وأقدم إقدام القسرّ بأنه ... إذ أنزل المقدور لا يتحرّجُ

وله يصف خصباً بعد جدب:

وأخصبت أرضنا وولى ... ما كان فيها من الجدوبِ
واعتذر الدهر فيه عما ... جنت علينا يد الخطوبِ
من كل خير وكل شر ... أخذت مستوفر النصيبِ
فالحمد لله كم كروب ... فرّجها الله عن قريبِ

وقوله في أخرى:

ولربما أهدى السبيل لنا ... شبح يضيء بنوره الأفق
وقوله: لا تغترر بظاهر المقال ... وكُن لحسن القال غير قالي

---

(1) الصواب « أسودان » لأن الفود مذكر .
(2) حال من الدهر .

فكم عدوٌ ظاهر الضلال يخفي الضلال منه في الظلال

وقوله : الصبح ما فيه لعين ريبهْ قد كُشف الغيب فليس غيبهْ

نقبت في العلم عن النقيبهْ حتى أتى بالنكت العجيبهْ

نجيب حتى جاء بالنجيبهْ وحبه من دينه حبيبه (كذا)

وله من أخرى يصف نظره إلى طعام لايصل إليه :

إذا ما الضرس ناب الطرف عنه فيا طول البلاء على السماء

وإن هو دام ذاك على اتصال لحيٍّ فالسلام على البقاء

وقوله : يجلّي كما يجلي العقاب بلحظه إذا ما رأى صيداً أسف وأنشبا

وقوله في مدح بغداد :

وأين كبغداد وأين كأهلها لطالب عرف أو لعرف وعرفان ؟

وقوله : قد دفعنا إلى زمان خبيث ليس فيه لمقتر من مغيث

فأخو الجهل لست أظفر منه في سؤالي إلا بصفع حثيث

وأخو العلم إن سألت بشعري أو بعلمي أجاب غير مريث

عارضا شعري الدجى بشعر وحديثي منافقاً بحديث

ضاع في ذا الزمان نحوُ الكسائيْ ووعظ البصريْ وشعر البعيث

أيها النفس عاث فيك يد الده . . . ر على ما أراه منه فعيثي

ومن أخرى :

وفي الأحاديث إذا ما جرت مكشفة للمرء عن حاله

وقوله : لا تغرنّكَ الظواهر في المر ء ولكن فابطنه يملك عقلَهْ

وإذا ما وردت خلاً جميلاً حسناً ظاهراً فأخبره تقله [1] (كذا)

(١) تضمين للمثل المشهور « اخبر تقله » .

ومن أخرى :

وكيف وحاجتي في قرن شمس ... تدلّت للغروب برأي مين ؟
متى ضجّمت في طلب وغابت ... رجعت وفي يدي خفّا حنين

وقوله : ومن لجأ الأمور بغير حزم ... ولا رأي تورّط في المهالك
ومن سلك الفجاج بلا خفير ... دعته إلى متالفها المسالك

وقوله يصف لصوصاً وقفوا عليه :

كمثل السعالي في فلاة تبادرت ... وحيداً أضلّته بفجاج مهاويها
وأذؤب قفر صادفت في قرارة ... من الأرض ليلاً أعنزاً نام راعيها

وقال بعد نثر منه « وأقبلوا عليّ وخزاً وهمزاً ونهزاً » :

كأنني بسرة يمزّزها ... بالشوك مستعجل يرطّبها
أو مثل أضحيّة تبادرها ... عند المصلّى الرجال تضربها

وقوله : فإن يفعل فأشأم من بسوس ... على نصر وأنحس من قدار
وأكفر في الخليقة من سنان ... ومن شمس وأجهل من حمار

وقوله :

ومتى جحدتُك نعمة وقعدتُ عن ... حسنى مكافأة لدى إمكانها
فاعلم بأني لم تلدني حرّة ... مضربة غذيت بمحض لبانها

ومن أخرى يصف خلاصاً من شدة :

كأننا الطير من الأقفاص ... ناجية من شبك القناص
طيبة الأنفس بالخلاص ... منفضات الريش والقناص (كذا)

وقوله : ترى كل مرهوب المهابة لاثما ... على وجه بدر تحته قلب ضيغم

وقوله في مدح أديب :

ذاك الذي لو عاش قسٌّ إلى ... زمانه ذا وابن صوحان

وابن دريد وأبو حاتم | وسيبويه وابن سعدان
وعامرُ الشعبيُّ وابن العلا | وابن كريز وابن صفوان
قالوا له كلُّهم : إنه | سيدنا أو قال : غلماني

وفي رجل انكسرت سوقه وقلّ قبوله :

وكان كمثل البوّ ما بين أرؤم | يلوذ بحقويه السَّراة الأكابرُ
فأصبح مثل الأجرب الجلد مفرداً | طريداً فما تأوي إليه الأباعر

وقوله : ويجهل قدر السيف والسيف مغمد | ويعرف قدراً حين يفري ويقطع
ورب جواد يُزدرى وهو قائم | ويسبق فُرّاطَ القطا حين يسرع

وقوله : يصف مخدة ويذمها :

مُخدّد الخد الذي فوقها | فهو عليها وهو فوق التراب

ومن نثره في الرحل ، من أمثاله « أطوع من شامي ، وأصنع من رومي ، وآكل من خوارزمي ، وأصبا من نبطي ، وأحسب من قبطي ، وأجهل من هندي ، وأطغى من صغدي ، وأذكى من عربي ، وأبخل من مغربيّ ، وأحلم من قرشي ، وأعلم من حبشي ، وألأم من زنجي ، وأفتك من زيجي ، وأفصح من يمني ، وأكفر من أرمني ، وأفطن من مدني » .

[ومنه] « أقبلت أفواج الحجاج من الفجاج ، وقدمت وفود الرفاق من الآفاق ، المصري إذا حدّث تحدف ، وإذا سأل ألحف ، وإذا أخذ أجحف ، وإن خاطبك أسهاك ، وإن عاملك دهاك ، لا يزيدك في الدرة على الذرة ، ولا يبذل لك في الحبة أكثر من حبة ، والمغربي يملأ وعاءه ، ويخلي معاه ، ويحفظ ذهبه ، ويطيل سغبه ؛ تروقك من الشامي قامته ، وتروعك هامته ، وتعجبك عمامته ، وإذا سمعته حبة قامت قيامته ، لا يستنكف ذو العقل ، أن يماحك في شرى البقل ، ولا يأنف الشريف أن يستزيد الطاقة على الباقة » .

في صفة فقير « قليل الثال ، سيّء الحال ، أشعث السربال كالغربال ، كثير العيال كالرئال ،

أسعى من دولاب ، وأعرى من اسطرلاب ، وأرذل من شماب ، وأذل من عنل ، وأقفر من جناب أبي شمال ، وأخيب من حنين ، وأحقر من طنين ، صبيته كالفراخ ، على رمض السباخ ، فقلت له : خذ طريقك ، فلن يخالط ريقك » .

[ومنه] « بصُرت بإنسان ، من أهل خراسان ، مديد القامة ، واسع الهامة ، مثل النعامة ، يزف زفيف النعامة ، برأس كالجلمود ، وجبهة كجبهة الأسود ، أخرج هميانا كالطفل المقموط ، والخشف المسموط ، فتركه فانكاه (كذا) وحل عقده ووكاه ، وأدخل فيه كفا كرفش الشعير ، أو كخف البعير ، وأخرجها مملوءة من الذهب ، الأحمر كاللهب ، من الحمر المدورة ، والمغربية المقبرة ، والقاشانية المجعفرة ، والغزية المسطرة ، والسابورية المثبرة ، وقال : هذا مقدار حقك ، ومقدور رزقك » .

[ومنه] « أشهر من الطود ، وأندى من الجود ، وأصلب من العود ، وأكرم من البحر إذا زخر ، وأشجع من الليث إذا غفر ، وأجمل من البدر إذا سفر ، شيخ فحم ، أسود كالفحم » .

ومن أخرى « فلما استمر بنا السير واستدر ، واشتد الوقت حرا واحمر ، وخفت المزاود ، وصرت الجداجد ، وقل الناجد ، وشح الساجد ، واستغاث الغناء ، وتوقدت السماء ، وصرع الناس الاغماء ، وليت ولكبد غلية ، وللمنية ولية ، فتبعت الروايا أنفس متاطفها ، وأماليب مواكنها ، فاحتكت إحدى الروايا من المطايا ، بغصن من سلم كالجلم ، قد انكسر منقسدا ، وأبقى رأسه محددا ، فقدها قد الشفرة ، وفتحها فتح السفرة ، فرويت واكتفيت ، وتزودت واستقيت ، وملأت القربة ، وقضيت الإربة » .

ومن أخرى يصف سفينة « خرج بي أبي وأنا ابن سبع ، كقدح من نبع ، فطلب كريما يستجديه ، وخرقا على الدهر يستمديه ، فاحتملنا على ورقاء مجوفة ممطقة ، سوداء مخرقة ، أضلاعها بادية ، ظواهرها رواء وبواطنها صادية ، لها أرجل ذات حوافر جوافر ، مختنقات

وحوافر ، برأس كنقار ، وحلى من قار ، تزحف على أرض كالزجاج ، أو ثوب ديباج ، وطريق رتّاج ، ومدرج مدراج ، ليس لأرجلها آثار ، ولا لخطوها عثار ، ولا لمرها دثار (كذا) ، تميس ميس العروس ، على مثل بطن الطروس :

تلاعب نيتسسان المحسور وربما رأيت نفوس القوم من جريها تجري

ومن أخرى « نضبت ببلادنا المياه ، وعطلت الأرفاه ، واحتبس القطار ، وذهب من المال الشطر ، وغلت الأسعار ، واشتد الإمطار ، وفشا الاسفار ، فلا زرع يُروى ، ولا ضرع يُمرى ، وجمدت الأيدي عن النسوال ، وأذيلت الأوجه المصونة بالسؤال ، فخرج أبي يتتبع ذا كرم يأوي إلى مغانيه ، وذا يسار يميله ويغنيه ، فقرعنا باب دار على علم منا بأعلها ، وقصد لأجلها ، فأقبلت جارية ذات جمال بارع ، وخلق رائع ، ونور ساطع ، تجشّل وجوها يسلب العقول ، ويجرّ القول ، وتدير عينين حشوهما فتور ، وناظرها مسحور ، بأطراف مخضبة ، وأصداغ معقربة ، وثدي مفلكة ، وغلائل معركة ، وحلي وقلائد ، وعقود ومجاسد ، ففتحت الباب ، وفتنت الألباب ، وتلقتنا بالادنساء والتقريب ، والتأهيل والترحيب ، ومالت بنا إلى مجلس مملوء بالسرور ، يرتد البصر عنه ارتداد المحسور ، مفروش بالحرير ، والقالي والحنور ، وعمل المرند ، مبخّر بالند والرند ، فلا ساتر أقتاره ، يذكي قتاره ، ثم نادت : قد جاوزنا المشاء ، فهاتي العشاء ، فأتت متهادية ، تحمل مائدة ، خفت منها قوائمها ، وجسمت فيها دعائمها ، عليها سفرة كاستدارة الهالة ، لا محالة ، وأحضر عليها خبز وسميع ، وجدي رضيع ، دهنه يتصبب ، وودكه يتحلب ، كأنه ذهب على فضة ، وأدبة على قضة ، إلى غير ذلك من جوادية بالدهن مفعمة ، وبالسكر الأبيض مفعمة ، فلما اكتفينا مالت الى العود وضمته ، وإصلاح زيره وبمه ، وغنت :

فيا رب حي الزائرين كلاهما وحي دليلاً بالفلاة هداهما
فليتهما ضيفاي في كل ليلة من الدهر مكتوب علي قراهما

وليتها لا يـنزلان بمـنزل ولا وطن إلا وعيني تراهما

فأقمنا عندها في خفض وطيب ، وعيش رطيب ، إلى أن أدال الله من تلك الحال ، وكشف عنا ظلمة الاهمال » .

ومن أخرى « كان أبي أيام تجـلده ، وإذ شرة الشباب من عدده ، ركاب أخطار ، وابن رحل وأسفار ، عسّافاً للطرق ، مثلافاً للأرق ، لباساً للظلام ، أباءاً للظلام ، وراداً للأمور الجسام ، رباءاً للأجسام ، أهدى في بريّة من نجم ، وأمضى إلى مغنة من سهم ، وأمضى على المكاره من وهم ، وهو مع ذلك يلغني في إرواحه ، ويستصحبني في غدوه ورواحه ، ويدرجني في مراقي الاوجال ، ويولجني ملاقي الآجال ، فانحدر بي بريد البصرة ، يروم بها على زمانه النصرة ، عند انصرام الشتاء وإدباره ، وإطلاع النخل وإباره ، وإضاءة الربيع وأنهاره ، وتفويف الرياض وإزهاره ، ونزول الحمل ذكاء ، وحين غرد في البقل المكاء » .

ومنها في صفة خنجر « أبرزت له خنجراً طويل النصل ، سريعاً في الفصل ، أجرى من المنية ، وأمضى من القضية ، له حد مرتق ، وطرف مذلق ، ومتن كالشهاب ، في الالتهاب :

أخضر اللون بين خديه برد من دنانع تميس فيـه المتون (كذا)

أوقدت فوقه الصواعق ناراً ثم شابت به الزعاف القيون»

ومنها في صفة قارىء « افتتح القراءة بآي من التنزيل ، وأحسن من الترتيل ، بحنجرة حلالية (؟) وطريقة شسجية جليّـة ، فكادت الـواري أن تتدعدع ، والقلوب أن تتصدع ، بنغمة يخشع لها السامع ، وتسترسل بها المدامع » .

وفي صفة رفيق « قال هل لك في رفيق يسرك بأنسه ، ويواسيك بنفسه ، ويعينك على مباهجك ، ويصل جناحيك في مناهجـك ، تأمن غيبه ، وتفقد عيبه ، يعتبك ولا يعتبك ، ويستغفرك ولا يذنبك ، يكون عنك في الهم النائب ، ويكفيك الم النائب ، لا تخاف زلته ، ولا تشكر خلته ، ولا تذم خلته ، ولا تتهم دخلته ، يطلعك على ما خفي عليك ، ويؤثرك بما في يده ولا يسألك ما في يديك ، لا يلزمك مؤونة ، ولا يطوي عنك معونة :

يسرك مظلوماً ويبجيك ظالماً   وكل الذي حمّلته يتحمّـــلُ

فقرّ عيناً ، فما علقت إلا بحسام لا ينبو ، أو شهاب لا يخبو ، أو جواد لا يكبو ، عبداً بغير شراء ، وصيداً بغير عناء ، وقام متصوراً أن كل بيضاء شحمة ، وكل حمراء لحمة ، ولم يعلم أن التمرة جمرة ، والأكلة نكلة ، وأن اللقمة نقمة » .

ومن أخرى « بينهم شاب حين بقل عارضه ، وأقلم عنه رائضه ، نقي السربال ، في جلده رئبال ، رائق في هيأته وشارته ، يتصرفون بإشارته ، ومنهم شيخ بصير ، وبين الحي قصير ، بيّن اللهجة ، قوي المنة والمهجـــة ، بدل برائه ، وشدة اجترائه ، عن شهد .. الجال ، جهير الشقاشق ، مستن المراشق ، لا يعفو وطابه ، ولا ينقطع خطابه ، كالبثق إذا انفجر ، والرعد إذا زعجر ، فلما أحس بنا قمد على حواميه ، وأقعى إقعاء الأسد دون ما يحميه ، كالواجد بعد الاضلال ، والبارك عند النضال ، وقال : حياك الله من قادم وطار ، وسانح أسـفت به قوادم مطار ، أهدته لنا المناهج ، وتهللت لدينا منه المباهج ، فأسفرت بطلعته البقاع ، واستشرفت الى غُرته الصقاع ، فمن الرجل أكرم الله وفادته ، وأجزل من الخيرات إفادته ، ومن أي المياه مشربه ، والى أي الجهاد مذهبه ؟ إنك ترى بلدتنا ، وتشاهد بلادتنا ، منزلنا في غمض الفجاج ، بين أغتام لجاج ، وزنوج أفواج ، وعلوج أنباط ، وعتراء أشراط ، ذوي فلاحة ، وعارمــــي ملاحة ، لا تجد مُبصراً من عماية ، ولا مُرشداً الى هداية ، همل مسيمون ، وأغفال سائمون » .

ومن أخرى « قرية ظاهرة المحل ، اثيمة الأهل ، فائرة المناهل ، متوسطة المجاهل ، نسيمها عجاج ، وماؤها أجاج ، ورجالها علوج ، ونساؤها زنوج » .

وفي صفة حرّ « اشتد الهجير واحتدم ، ومنعت الأرض القدم ، وامتسك النسيم ، وكثر منا التخوّف منه والترسيم ، وألهب عوز ، وقدح النار الأمعُوز ، وأخذ الأخّم بالكظم ، فغادرنا لحماً على وضم ، فتصعدت الروح ووردت ، وفترت الحواس وبردت ، وأقدمت المنية

وقدمت ، وآلت الكريهة وألت ، وتقطعت الأنفاس ، ولحق الإياس ، وحضرت عند الأخامس ، وأنت بأم مابين الدهارس » .

ومن أخرى في صفة شاب « صبيح نصيح ، يجمع رونق الصباحة ، إلى رقة الفصاحة ، ويضيف حسن البشر ، إلى طيب النشر » .

في صفة مصري : شاب لطيف الجسم ، صغير الجرم ، له لحية مبرجة ، وعمة مدرجة ، ورأس هزهاز ، ولسان جراز ، وثياب بيض ، وكُم عريض ، ويد بأختها معقودة ، وعذبة من ورائه مردودة ، وطيلسان تمنكبه ، وسبال شذبه ، فقلت له : أطاب الله مسموعك ، وأعذب ينبوعك ، فلقد أبديت عن فضل تسجد له الأذهان ، وأدب تستحليه القلوب والآذان ، فلله أنت أينا البقعة ؟ وما الصنعة ؟ فقال : أما البقعة فمصر[1] ، بها عقدت تمائمي ودعائي ، وبها كان مدرجي وانتمائي ، منبت الأصل ، ومعقد الوصل ، وأما الصنعة فأفانين علوم حويتها ، وصنوف آداب وعيتها ، وفقر فضائل وجبيتها ، فإن شئت القرآن فأنا أبو عمرو ، أو الورع فأنا أبو ذر ، أو الفقه فشافعيه ، أو ارتجال الخطب فصعصعيه ، أو الحديث فابن عباسه ، أو الذكاء فمن إياسه ، أو الوعظ فابن بشاره ، أو الزهد فابن ديناره ، أو الشعر فجميله ، أو الأدب فخليله ، أو البلاغة فابن حميدها ، أو النجوم فابن رشيدها ، أو الطب فجالينوسه ، أو شرح الحكمة فبطليموسه » .

ومن أخرى « في الاتحاد تمازج القلبان ، وتلاصق الخلبان ، وسقطت مع صحة الألفة مسحة الكلفة » .

ومن أخرى « حفزني الاضطرار ، وأسلمني الاصطبار ، لأمر يجمع غرضين مفترضين ، وعرضين معترضين ، في حال يتمثل الاستحقاق ، مع سرعة اللحاق ، ويتصور الاخفاق في

(١) نافس المؤلف نفسه وكان قد قال — سامحه الله وغفر له زلته — :

لا خير في مصر ولا أهلها — لاحرها الزاكي ولا عبدها
معاشر لا يرتضي فعلها — ولا يرجى الخير من عندها

جنبات الاعتياق ، ووافق المقدور أربعاء لا يدور ، في سفر ، المكروه للسفر ، والقمر عند انقضاء دولة ، قد نزلت بين القلب والشَّولة ، فقلت : العقرب ، النحس الأقرب ، وبعده القوس المبلد ، وللتعقيد مولِّد ، فقسَّمت وفكَّرت ، وقدَّمت وأخرت ، ثم مضيت واستخرت ، فوافقني صديق ، وأخ شفيق ، فأنكر طيَّتي ، وأكبر خطيَّتي ، وقال :

مالك لا تلوي على زاجر ولا تخاف السفر المطايا
أما سمعت القوم ممن قضى بعلمه في الحكم أو جرَّبا
ونهيه عن سفر الماء إن أمسى يحل القمر العقربا
لاسيما في أربعاء أتى آخر شهر حان أن يذهبا

فقلت له : لله من أخ أنت ، ما أوثقني بنصحك وإرشادك ، وأعرفني بصدق ودادك !! غير أني أريد رجلاً جالت جوائله ، واستقلت به رواحله ، وتخلَّت عنه شواغله ، وفارق واديه ، وأخلى [ناديه] ومتى جنحت الى الاقامة ، وقعت في الندامة ، فلما أصبته مصمَّماً ، وتوجهت ميمَّماً ، وأصررت على العزيمة متمماً ، أوسعني وداعاً ، وشيعني دعاءاً ، فثنيت إليه الزمام ، وشددت به الالتزام ، ثم استخرت وما تأخرت ، وحثثت وما تلبثت ، وعجلت وما وجلت ، وجددت وما رددت ، واقتحمت وما أقمت ، فلم أزل أقري من الليل إهابه ، وأقطع من النهار سحابة ، حتى تبدلت من ظهر الأورق ، بطن الزورق ، واعتضت من ميثرة السَّرج ، مفترش المرج ، ومن حسكة الأخفاف ، سكة المجداف ، في بطيحة بعيدة [الأطراف ، وسيعة] الجباب ، فسيحة الرحاب ، هاوية المصيف ، نازحة السيف ، فقطعتها في رفاقة ، بعيدة الاقاقة ، كالحمر الزناقة ، والنوق المقطورة ، والمعزى الممطورة ، أذل من النقد الجربة ، والأمة المغتربة ، عزل من السلاح ، أشباح بلا أرواح ، أُكُل لكل ذي ناب ومخلب ، وحبائس لكل ذي شفرة أو مخلب ، مالنا عن كائد محيد ، ولا معنا لمانعة حديد ، سوى حربة كانت معي وديعة . فلما جزعنا البطائح ، وطالعنا المطارح ، واستعملت الخيزرانة بعد الأمهار ، وأفضينا إلى ضيق من الأنهار ، وجفاء

بغير حزم ولا استظهار ، فما هو إلا أن وصلنا مقسمه أو كدنا ، ودنونا من الصمد وما صمدنا ، حتى طلعت علينا ذئاب ثائرة ، وشلوح عائرة ، بأيديهم السيوف المصلتة ، والترس المصمتة ، والسهام المفوّقة ، والحراب المذلّقة ، عراة الأجسام ، مشبقي اللثام ، خفضي الكلام ، فأدركتني حميّة جهلية ، وأخذتني أبية غفلية ، حمية من غير حام ، ورمية من غير رام ، وأخطأت الرأي ، وما التفت ورائي ، فأسرعت الوثبة ، وصوبت الحربة ، فاذا أنا بذئاب فاغرة ، وكلاب دافرة ، قد أحدقوا بي دون الرفقة ، واستداروا علي استدارة الحلقة ، فقمدت قعود المحسوب ، والهدف المنصوب ، فما أقلعوا عني إلا وأنا غربال الاهاب ، ممصفر الجلباب ، متصاعد الأنفاس ، فاتر الحواس ، من طعنة تفور ، ودم يمور ، وعظم مكسور ، وجلد مقشور ، وإذا أنا بغلام قصير ، دميم حقير ، لونه سبيج ، وسواده مميج ، كريه الشكوة [ذميم البدعة] قد حمل علي بسيف كأنه كتف بعير ، وعارضة مرير ، يريدني بوثبته ، ويومي إلي بضربته ، فقلت له : ويحك أثائر أم غائر ، وطالب هدم أم طالب بسدم ؟ وباغي خلاص أم آخذ بقصاص ؟ وملتمس رحل أم قاصد ذحل ، ومحصل قماش أم مغتنم حشاش ؟ فانتهره غلام أشقر ، كأنما أخرجته عبقر ، فصرف عني كيده ، وكف أيده ، ودفع [من] بادرته ، ورده في حافرته ، وصاح اليه أما من مهل ، يا ابن جهل ، أتعلم على ماذا أقدمت ، وعن ويلك همت ، ولأي حجاب كرم تهتك ، ولأي دم عزيز تسفك ، وبأي شيخ قوم تفتك ، تباً لآرائك ، وقبحاً لآدابك ، كأنك تحسد قدارا ، أو تفتك فرارا ، إنك لتريد أن تطفئ نوراً ، وتشب ناراً ، وتقطع آلاءً ، وتصل بلاءً ، وتهدم علاً ، وتفشي ظلماً ، لقد طغيت جدا ، وجئت شيئاً إدّا ، شم حسامك ، وقصر إقدامك ، وانظر قدامك ، ثكلتك أمك ، وعدمك خالك وعمك ، وشغلك سقمك وغمك . ثم عطف علي وقال : بأبي أنت وأمي ، صنائعك ذرائعك ، ومننك جننك ، وجميلك كفيلك ، وإحسانك دانك ، وطعامك حسامك . إن أياديك تقمع أعاديك ، ومبارّك تدفع مضارك ، ولك عندي منهن كل غراء ، واضحة ، وبيضاء لائحة ، غادية إلي ورائحة ، دونك خذ ما تراك واجدا ، وانصرف بما لك

راشداً ، وليهُن عليك ما أتيت بها وُقيت ، وليصغر ما سلبته من لباسك ، بسلامة نفسك ، وأسلُ عن سائل الدماء ، ببقيّة الذماء ، وعذراً أبا القاسم فاني الآن مستضعف النصير ، قليل النفير . فقلت له : شكرتك الأفواه ، وصُفِقت لك الباه ، ودام أميشك الماء ، فلقد أحسنت ووفيت ، وجزيت وكافيت ، فدعني أنجُ بما ضمت عليه الأضالع ، فان المال ضائع . ثم ولّوا وولينا ، وخلّونا وتخلّيت ، وشالت بي النعامة ، لما صحّت السلامة » (١) .

وقد التبست « الرّحَل » على القلقشندي فظنّها مقامات ، قال : « وهذه نسخة مقامة أنشأها أبو القاسم الخوارزميّ في اقالته لأديب يعرف بالهيثي وانقطاعه في البحث ، وغلبة الخوارزمي له ، أوردها ابن حمدون في تذكرته وهي :

« وصية لكل لبيب ، متيقظ أريب ، عالم أديب ، يكره مَواقف السقطات ، ويتحفظ من مصادف الغلطات ، ويتلطف من مخزيات الفرحات ، أن يدّعي دون مقامه ، وينقص من تمامه ، وينقص من سهامه ، ويظهر بعض شكيمته ، ويساوم بأيسر قيمته ، ويستر كثيراً من بضاعته ، ويكتم دقيق صناعته ، ولا يبلغ غاية استطاعته ، وأن يعاشر الناس بصدق الناصحة ، وجميل السامحة وأن لا يحمله الاعجاب بما يحسنه ، على الازواء (٢) بمن يستقربه ، والافتراء على من يعترضه ويلسنه ، ليكون خُبرُه أكثر من خَبَره ، ونظرته أروع من منظره ، ويكون أقرب من الاعتذار ، وأبعد من الخجلة والانكسار :

فليس الفتى من قال إني أنا الفتى ولكنه من قيل : أنت كذلكا
وكم مدّعٍ ملكاً بغير شهادة له خجلة إن قيل أن لستَ مالكا

ولقد نُصرتُ بالانصاع ، على ذي نباهة وارتفاع ، وذلك أني أسمدتُ في بعض الأعوام ،

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٢٦ الورقة ١٨١ — ١٨٩ » .

(٢) في صبح الأعشى وهو مهجما « الازدراء بمن » والصواب ما ذكرناه .

مع جماعة من العوام ، بين تاجر وزائر ، إلى المزل (١) والحائر ، حتى انتهينا إلى قرية شارعة ، آهلة زارعة ، وما منا إلا من أملقته السُّمَيرِيَّة (٢) فاعترضته ، وأسقمته وأمرضته ، وقترته فقبضته ، وكثر منا الجؤار ، واستولى علينا الدُّوار ، فخرجنا منها خروج المسجون ، وقد تقوسنا تقوّس العُرجون ، فاسترحنا بالصعود ، من طول القعود :

كأننا الطيرُ من الأقفاصِ ناجيةً من أحبُلِ القنّاصِ
طيّبةَ الأنفسِ بالخلاصِ منفّضاتِ الريشِ والنواصي

فما استتمت الراحة ، ولا استقرت بنا الراحة ، حتى وقف علينا واقف ، وهتف بنا هاتف : أيُّكم الخوارزمي ؟ فقالوا له : ذلك الغلام المنفرد ، والشاب المستند ، فأقبل إليّ ، وسلّم عليّ ، وقال : إن الناظر يستزيرك ، فليعجل إليه مصيرُك ، فقمتُ معه ، يتقدّمني وأتبعُه ، حتى انتهى بي إلى جِلّة من الرجال ، ذوي بهاء وجلال ، وزينة وجمال ، من أشراف الأمصار ، وأعيان ذوي الأخطار ، من أهل واسط وبغداد ، والبصرة والسواد :

ترى كل مرهوب المهابة لائحاً على وجه بدر تحته قلب ضيغم

فقام إليّ ذو المعرفة لإكرامه ، وساعده الباقون على قيامه ، وأطال في سؤاله وسلامه ، وجذبوني إلى صدر المجلس فأبيت ، ولزمتُ ذُناباه واحتبيت ، وأخذوا يستخبرونني عن الحال ، والمعيشة والمال ، وداعية الارتحال ، وعن النية والقصد ، والأهل والولد ، والجيران والبلد :

وما منهم إلا حفيٌّ مُسائلٌ وواصف أشواق ومُثنٍ بصالح
ومستشفع في أن أقيم لياليا أروحُ وأغدو عنده غير بارح

(١) كذا ورد في الصبح ، والمزل ماء بين البصرة واليمامة ، ولا صلة له بالحائر والظاهر أن أصله « الغري » أي موضع بالنجف بدلالة أنه سيقول في بعض شعره :

« اذهبوا أنتم فزوروا عليا »

(٢) في الصبح « السمرية » والصواب « السميرية » نسبة الى رجل اسمه « سمير » بالتصغير استحدث هذا الضرب من السفن .

ثم قال قائلهم : هل لقيت عين الزمان وقلبه ، ومالك الفضل وربّه ، وقليب الأدب وغَرْبَهُ ، إمام العراق ، وشمس الآفاق ؟ فقلت : ومن صاحب هذه الصفة المهولة ، والكناية المجهولة ؟

فقالوا : أو ما سمعت بكامل هيثت ، ذي الصوت والصيت ؟

ذاك الذي لو عاش [قس] إلى * زمانه ذا وابن سُوحان
وابن دُريــد وأبو حاتم * وسيبويه وابنُ سعدان
وعامر الشعبيّ وابن العلا * وابن كُريز وابن صفوان
قالوا عجائب كلامهم : إنه * سيدنا ، أو قال : غلامي (كذا)

فقلت لهم : قد قلّدتم المنّة ، وهيجتم الجنّة ، إلى لقاء هذا العالم المذكور ، والسيد المشهور ، وقد كانت الرياح تأتيني بنفحات هذا الطيب ، وهدر هذا الخطيب . فالآن لا أثر بعد عين ، سأصبح [(1)] لأجله عن سُرى القَيْن ، اغتناماً للفائدة ، والنعم الباردة ، ووجداناً للضالة الشاردة .

أين أمضي وما الذي أنا أبغي بعد إدراكي المنى والطِلابا
فاذا ما وجدتُ عندكمُ العلـ ـم قريباً فما أريد الثوابا
اذهبوا أنتم فزوروا عليــاً لأزور الهيتيّ والآدابا
لن أبالي إن قيل [إن] الخوارز ميّ أخطأ [في] فعله أو أصابا

فقالت الجماعة : بل أصبت ، ووجدت ما طلبت ، وقديماً كنا ننشر أعلاقك ، ونتمنى اتفاقك ، ونتداول أوصافك ، ونحب مصافاتك ، ونُكثر لديه ذكرك ، ونعظّم لديه قدرك ، فيتحرك منك ساكنه ، وتتقلقل بك أماكنه ، ونسأل الله — سبحانه — أن يجمع بينك وبينه بمحضرنا ، وتُلامح عينك عينه بمنظرنا ، ويلتف غبارك بغُباره ، ويمتزج تيارُك بتياره ، ويختلط مضمارك بمضماره ، فيعرف منكما السابق والسُّكَيت ، والشوذانق والكُمَيت ، ويتبين من الذي يحوي القصب ، فانكما كما قال الشاعر :

---

(١) في الصبح « سأصبح » بتشديد الباء . وفيه إشارة الى المثل السائر .

هما رمحان خطيّان كانا | من السُّمر المثقفة الصعاد
تهال الأرض أن يطأ اعليها | بمثلها تسالم أو تُعادي

فقال [بعض الجماعة] : لقد تنكبتم الانصاف ، وأخطأتم الاعتراف ، وأبعدتم القياس ، وأوهمتم الالتباس ، أين ابن ثلاثين إلى ابن ثمانين ، وابن اللبون ، من البازل الأمون ؟ والرمح (١) الرازح ، من الجواد القارح ؟ والكودن البروض ، من المجرّب المروض :

وابن اللّبون إذا ما لُزّ في قرنٍ | لم يستطع صولة البُزل القناعيس

كم لديهم بطائح وسباخ ، وصاكن صرائف وأكواخ ، بين يديه صوادية أنباط ، وعلوج أشراط ، ورعاع أخلاط ، وسفل سُقاط ، في بلدة إن رأيت سورها ، وعبرت جسورها ، تحت واغربتاه ، وإن رأيت وجهاً غريباً ناديت : وا أبتاه . لا أعرف غير النبطية كلاماً ، ولا ألقى سوى والدي إماماً ، في معشر ما عرفوا الترحال ، ولا ركبوا السروج والرحال ، ولا فارقوا الجدار والظلال :

أولئك معشر كبنات نعش | خوالف لا تغورُ مع النجوم

[فكيف لي] بمساواة رجل جوّال ، رحّال حلال ، بهيت وُضع ، وبالكوفة أرضع ، وببغداد أثغر ، وبواسط أحفر ، وبالحجاز وتهامة فطامه ، وبمصر والمغرب كان احتلامه ، وبنجد والشام بقل عارضه ، وباليمن وعُمان قويت نواهضه ، وبخراسان بلغ أشدّه ، وببخارى وسمرقند تناهى جدُّه ، وبغزنة والهند شاب واكتهل ، ومن سيحون وجيحون علّ ونهل ، وبعبسان والبصرة عوّد وقرح ، وبالجبال جلة وبحليح ، فهو يعدّ اللازني إمامه بن ، وابن جني غلامه ، والمتنبي من رُواته ، والمرتي حامل دواته ، والصابي باري قلمه ، والصاحب رافع علمه ، وابن مُقلة من ناقلي غاشيته ، وابن (٢) أبي حفصة بعض حاشية ، وقد قرأ الكتب وتلاها ، وحفظ العلوم ورواها ، ودرس الآداب ووعاها ، ودوّن الدواوين وألّفها ، وأنشأ الحكم

---

(١) لعل الأصل « والمهر الرازح » .

(٢) في الأصل « وبن أبي حفصة » وابن أبي حفصة هو مروان الشاعر المعاصر — كان — للرشيد .

وصنفها ، وفصّل المشكلات وشرحها ، وارتجل الخطب ونقحها ، فهو البحر المورود ، والامام المقصود ، والعلم الممرود ، هذا بون ومرتقى شديد (كذا) .

أتلقون بالأعزل الراعبـــا وبالأكشف الحاسر الدارعا ؟!

وبالكودن السابق الـابـا وبالمنجل الصـارم القاطعـا ؟!

فما استتم كلامه حتى أقبل ، فاذا نحن به قد طلع فهرولا ، وأقبل مستعجلاً ، فرأيت رجلاً أبلج ، أهتم أفلج ، أفطح أردح ، طويلاً عنطنط [1] ، يحكي ذئباً أمعط ، أجم أحبط ، فتلقوه معظمين ، وله مفخمين ، فقصد من المجلس صدره ، وأسند الى المخدة ظهره ، فما استقر به المكان ، حتى قيل له : هذا فلان . فقبض من أنفه ، ونظر إلى بشطر من طرفه ، وقال يمعض فيه : هلموا ما كنتم فيه ، تمساً للشوهاء وجاليها ، والقرعاء وحالبيها .

جاء زيـد بجـسرٍ راً رســـنه خـل لا يتعبه سـنه (؟)

أحبـه قومـه على شـــوهٍ إن القرنبى فى عين أمها حسنه [2]

[فقال] : كان لنا شيخ بالأنبار ، كثير الأخبار ، قد بلغ من العمر أملاه ، ومن السنّ أعلاه ، قرأت عليه جميع الكتاب ، وعلم الأنساب ، ومسائل ابن السرّاج ، وديوان ابن العجاج [3] ، وكتاب الاصلاح ، ومشروح الايضاح ، وشعر الطرماح ، والمبين للفرهودي ، والجمهرة للأزدي . وأكثر من [ذكر] المصنفات ، المجهولات والمعروفات ، ينفخ فى شقاشقه ، ويَزيد فى بقابقه ، ويتعاظم في مخارقه . وجمل القوم يقسمون بيننـــا الألحاظ ، ويحسبون الألفاظ ، وما منهم إلا من اغتاظ لسكوتي وكلامه ، وتأخري وإقدامه . ثم هذى الشيخ إذ وصف له رجل على الغيب ثم رآه ، فاحتقره وازدراه ، وأنشد متمثلاً :

لعمر أبيك تسمعُ بالمعيديّ بعيـــد الدار خير أن تراه

(١) كذا ورد للموازنة السجعية ، وكان الأولى ضبط الجملة على « عنطنطا ... أمعطا » كقوله تعالى « سلاسلا وأغلالا » .

(٢) هكذا ورد البيتان .

(٣) في الأصل « ابن الحجاج » والمشهور « العجاج » ولذلك اخترنا ابن العجاج .

فقال : هذا العبيدي هو ضمرةُ بن صخرة بن جابر بن قَطَن بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مُرّة بن أد بن طابخة بن الياس بن مُضر بن نزار ابن معد بن عدنان . والعبيديُّ تصغير مَعْدي وهو الذي قالت فيه نادبته :

أنعى الكريم النهشلي المصطفى   أكرم من خاس أو تخندفا

فقلت : ما بعد هذا المقال ، وجه الاحتمال ، وما يجب لي بعد هذه الواقحة ، غير المكافحة ، ولم يبق لي بعد المغالبة ، من مراقبة .

ما علتي وأنا جَلْدٌ نابلُ (١)   والقوس فيه (٢) وَتَر عُنابلُ

تَزِلُّ عن صفحته المعابلُ

ما علّتي وأنا [رجل] جَلْدٌ   والقوس فيه وَتَر عُرُدُّ

مثل ذراع البكر أو أشدُّ

فعطفت عليه عطف الثائر الآسف ، والتفتُّ إليه التفات الطائر الخاطف ، فقلت له : يا أخا هيت ، قد قلتَ ما شئت ، فأجب الآن إذا دُعيت ، والزم مكانك ، وغُض عنانك ، وقصّر لسانك ، إنَّ نادبة صخرة خندفته ، لما وصفته ، وما سمتُ في نسبتك إياه لخندفه ذكرا ، فأبن عن ذلك عذرا . فقال : إن خندف هي امرأة الياس بن مُضر غلبت على بنيها ، فنسبوا إليها ، كطهيّة ومزينة ، وبلعدوية وعُرينة ، وشلكة وجهينة ، ونُدبة وأُذينة ، وكشيب بن البرصاء ، وابن الدّعماء . فقلت له : سئلتَ ، فأجبت وأصبت ، فأخبرني عن خندف هل هو اسم موضوع ؟ فوقف عند ذلك حماره ، وخمدت ناره ، وركد جريانه ، وسكن هذيانه ، وفتر غليانه ، وظهر حرانُهُ ، وذلّ وانقمع ، وانطوى واجتمع ، فاضطره الحياء ، وألجأه إلى الاستجداء ، إلى أن قال وهو يخفي لفظه ، ويطرق لحظه : أظنّه لقبا . فقلت :

(١) كذا ورد في اللسان في مادة علل . وفي مادة عنبل « وأنا خب نائل » . (وهذه حاشية طابع صبح الأعشى) .

(٢) كذا ورد بالتذكير والمشهور تأنيثها .

هو كما ظننت فما معناه وما سببه ؟ وكيف كان موجبه . فلم يجد بداً من أن يقول : لا أدري .
فقال وقد أذاقه مُرّ الاهانة ، وأحسّ من القوم بتظاهر الشماتة :

وودّ بجدع الأنف لو أنّ صحبه تنادَوا وقالوا في المناخ له : نَمِ

ثم أقبلوا إليّ ، وعكفوا عليّ ، بأوجه متهلّلة ، وألسنة متوسلة ، في شرح الحال ، والقيام بجواب السؤال . فقلت : هذا بديع عجيب ، أنا أسأل وأنا أجيب ، إن إلياس بن مضر تزوج ليلى بنت تغلبة [1] بن حلوان بن الحاف بن قضاعة بن معدّ (في بعض النسب) ، فولد له منها: عمرو وعامر وعُمير ، ففقـدتهم ذات يوم ، فألحى على ليلى باللوم ، فقال : اخرجي في أثرهم ، وأتيني بخبرهم ، فمضت في طلبهم ، وعادت بهم ، فقالت : ما زلت أخندف في ابتغائهم ، حتى ظفرت بلقائهم ، فقال لها إلياس : أنت خندف ، والخندفة في الاتباع ، تقارب الخطو في إسراع ، وقال عمرو : يا أبتي أنا أدركت الصيد فلويته ، فقال له : أنت مدركة ، إذ حويته، وقال عامر : أنا طبخته وشويته ، فقال : أنت طابخة إذ شويته ، فقال عمير : أنا انقمعت في الخباء ، فقال له : أنت قمعة للاختباء ، فلصقت بها وبهم هذه الألقاب ، وجرت بها إليها الأنساب. فقال حينئذ : هذا علم استفدته ، وفضل استزدته ، وقد قال الحكيم : مذاكرة ذوي الألباب ، نماء في الآداب ، فقلت له متمثلاً :

أقـول له والرمحُ يأطر متنَـهُ تأمّل خفـافاً إنني أنا ذالكا

ثم لم يحتبس إلا قليلاً ، ولم يُمسك طويلاً ، حتى عاد إلى هديره ، وأخـذ في تهـديره ، طامعاً بأن يأخذ بالثأر ، ويعود الفيض له في القهار ، فعدل عن العلوم النسبية ، وجال في ميدان العربية ، ولم يُحسّ أن باعه فيها أقصر ، وطرفه دون حقائقها أحسر ، فقال : حضرت يوماً حلبة من حلبات العلوم ، وموسماً من مواسم المنثور والمنظوم ، وقد غصّ بكل خطيب مصقع ،

(١) صوابه « بنت حلوان بن عمران » . (حاشية طابع مسبح الأعشى) .

وحكيم مُقنِع [1] ، وعالم مصدع ، ومُليء من كل عتيق صهّال ، وفنيق [2] سوّال ، ومنطيق جوال ، فأخذوا في فنون المعارضات ، وصنوف المناقضات ، وسلكوا في معاني القريض ، كل طويل عريض ، حتى أخذ السائل منهم بالمخنّق ، ببيت [الفرزدق [3]] :

وعضّ زمان يا ابن مروان لم يدَعْ ... من المال إلا مُسحتاً أو مُجلّفُ

فكثر فيه الجدال ، وطال القال ، وما منهم إلا أجاد القياس ، وأصاب القرطاس ، ووقع على الطريق ، وأتى بالتحقيق ، فلما رأيتهم في غمرتهم ساهون [4] ، وفي ضلالتهم يعمهون ، فناديتهم إليّ فسارعوا ، ومنّي فاسمعوا ، فأنا ابن بجدتها ، وعالم ما تحت جلدتها ، ثم إني أبديتُ لهم سراره ، وأثقبتُ [5] ناره ، وحللتُ عقدَه ، ومخضتُ زبدَه ، وأطرت لبده ، وبجست حجره ، وأبثثتهم بُجَره وبُجَره ، فقالوا : لله أبوك ، فانك استبقتنا إلى غاية ، وأكشفتنا لغباية ، وأجليتنا لشبهة ، وأضوأتنا في بدهة ، وما أعلم [6] اليوم على ظهرها من يقوم بعلم ما فيه ، ويطلع على خافيه . فأدركني الامتعاض ، وأخذني الانتفاض ، فأنشدته :

من ظن أن عقول الناس ناقصة ... وعقله زائد أزرى بـه الطمعُ

وقلت له : ادعيت ، فوق ما وعيت ، فأخبرني عن أول هذا البيت ، يا مُجري السكيت ، وكيف ننشده : وعَضّ ، بالفتح أو : وعُضّ ، بالضم ، فقـال : كلاهما مَرويّ . فقلت : نبتـدي بالفعل ثم نعود الى الاسم بإذا الانتجاب ، تهيباً للسائل في الجواب ، وأخبرني لم فتحت آخر الماضي ؟ فأسرع من غير التغاضي ، وقال : لأنه مبني عليه ، لايضاف سواه إليه . فقلت :

(١) في الأصل « مقنع » بتشديد النون وتحمسا وذلك غلط لأن المراد من الحكيم « الاقناع » لا أن يكون لابساً قناعاً .

(٢) في الأصل « فتيق » بمعنى المفتوق ولا محل له هنا .

(٣) قال الطابع : الزيادة من اللسان ، مادة س ح ت و ج ل ف .

(٤) كذا ولعل الأصل « رأيت أنهم ... » .

(٥) في الأصل « أبقيت » وهو تحريف .

(٦) لعل الأصل « وما نعلم » أو (فقال الشيخ) .

هذا جواب تمامه ، ومن صبيان المكتب لا نمدمه ، وإنما ألتمس منك الفائدة فيها ، وأطلب كشف خافيها ، فقال : ما جاء عن أئمة النحاة ، وسائر الرواة في هذا غير ما شرحته ، ولا زاد على ما أوضحته ، فقلت : دع عنك هذا وأخبرني عن هذا البناء ألعلة أم لغيرها ؟ فأقبل يتردد ويتزحزح ، ويتثاءب تارة ويتنحنح ، فلما سدّ عليه من طريقه ، وحصل في مضيقه ، وغصّ بريقه ، قال : لا أعلم . فقالت الجماعة : أعذر إليك من ألقى سلاحه ، وغضّ جماحه ، ومن أدبر بعد إقباله ، عدل عن قتاله :

والحق أبلجُ لا يُحدُّ سبيله   والحق يعرفه ذوو الألباب

والآن فقد فازت قداحُك ، وبانت غُررك وأوضاحك ، وأجدتَ النضال ، وأدركت الخصال ، فأوضح لنا عما سألت ، وأرشدنا إلى ما دللت ، لئلا يقال : هذا تَعنّت ، ومُحال بحث ، فقلتُ : حباً وكرامة ، اسمع أنت يا طغامة ، إن الفعل من فاعله ، كالولد من ناجله ، لايخلو الفعل من علامة الفاعل ، في لفظ كل قائل ، وهي الفتحة من ماضيه وواقعه ، والزوائد في مستقبله ومضارعه ، وبيان ذلك أن الفتحة لا تكون مع التاء والنون [1] ... فتثبت الفتحة ، ثم تقول : أخرجتُ وأخرجنا ، فتسقطُ ما ذكرنا ، وعلامتان لمعنى مُحال ، لايوجبها الحال ، فإن كانت النون التي مع الألف ضمير المفعول عادت الفتحة ، فتقول : أخرجنا الأمير ، فهذا بيّن . فصفقت الجماعة وسبّحت [2] ، وهسّنت وبخبخت [3] ، وجعل الأديب يضطرب اضطراب العصفور ، ويتقلب تقلب الصقور ، متيقناً أن أسده صار جُرذاً ، وبازيه عاد صُرداً ، ودُرره انقلبت مَخْشَلباً [4] ، وزيتونه تحوّل غَرَباً [5] ، وقناه تغيّر قصباً ، وأن مستقيمه تموّج ،

(١) بياض في الأصول .

(٢) لعله « وسبحت » أي قالت : سبحان الله أو « وشمتت » وهو الأقرب .

(٣) أي قالت : بخ بخ . وفي الأصل « وبعبعت » ولا محل له .

(٤) في الأصل « ودوره انقلبت غشليا (؟) ولم يعرف طابع الصبح معنى « الخشلب » وهو الصدف الذي لادر فيه .

(٥) في الأصل « عربا » (بكسر العين) .

وجيده تبهرج ، وصحيحه تدحرج ، وجديده تكرّج ، فقال منشدهم :

ترى الرجل النحيف فتزدريه وتحت ثيابه أسد مزيرُ
ويعجبك الطرير فتبتليه فيخلف ظنك الرجل الطّرير
فما عظم الرجال لهم بفخر ولكنْ فخرهم كرمٌ وخيرُ

فأخذه الإبلاس ، وضاقت به الأنفاس ، وسكنت منه الحواس ، ورفضه الناس ، وجعل ينكت الأرض ، ويواصل بكفّه العضّ ، ويتشاءم بيومه ، ويعود على نفسه بلومه ، يمسح جبينه ، ويكثر أنينه ، فقمت فقامت معي الجماعة وتركته ، واستهانت به وفركته ، فلما بقي وحده ، تمشّى لحده ، وأسبل دمعته ، ووداًن الأرض بلمته :

وكان كمثل البدر ما بين روّم تلوذ بحقويه السّراة الأكابرُ
فأصبح مثل الأجرب الجلد مُفرداً طريداً فما تدنو إليه الأباعرُ

فقام فتبعني ، ووقف وودّعني ، وأطال الاعتذار ، وأظهر التوبة والاستغفار ، وقال : مثلك من ستر الخلل ، وأقال العثرة والزلل ، فقد اغتررت من سنك بالحداثة ، ومن أخلاقك بالدماثة . فقلت : كل ذلك مفهوم معلوم ، وأنت فيه معذور لاملوم ، وما جرى بيننا فهو منسي غير مذكور ، ومطوي غير منشور ، ومخفيّ غير مشهور :

[وجدال] أهل العلم ليس بقادح ما بين غالبهم إلى المغلوب

ثم سكت فما أعاد ، ونزلتُ وعاد ، وكان ذلك أول عهدٍ به وآخره ، وباطن لقاء وظاهره ، وكلّ اجتماع وسائرَه » (١) .

وللكامل الخوارزمي من دعاء « يا عالم السرّ ، يا قادراً على الضرر والشر ، يا ذا الملك الأعظم ، يا ناشراً رفات الأعظم يا دافع البلاء ، يا مانح الآلاء ، يا كاشف اللأواء ، يا مرسل القطر ومجيب

(١) صبح الأعشى ٤ : ١٢٨ — ١٣٨ .

دعوة المضطر ، أعنيّ واصرف السوء عني ، وأغنني ، وإلى ما فيه رضاك ورضاي أبلغني [1] » .

١٤ — عبد الله بن الحسين محب الدين أبو البقاء العكبري :

ذكره ابن الفوطي قال : « ذكره ياقوت الحموي في كتاب معجم الأدباء ، وقال : كان إمام مسجد ابن حمدي بالريحانيين ، ومتقدم الاقراء به ، وكان ديناً ورعاً صالحاً متقللاً حسن الأخلاق ، قليل الكلام فيما لا يجدي نفعاً ، لم يخرج من رأسه كلمة فيما علمت إلا في علم وما لا بد له منه من مصالح نفسه ، وكان رحمه الله رقيق القلب ، تفرد في عصره بعلم العربية والفرائض ، سمع من ابن الخشاب وحضر مجلس الوزير عون الدين بن هبيرة في القراءة والسماع ، وله تصانيف كثيرة وله شعر [2] . روى لنا عنه جماعة من مشايخنا ، وكان مولده سنة ثماني وثلاثين وخمسمائة وتوفي في ربيع الأول سنة ست عشرة وستمائة ودفن بباب حرب [3] »

(تتمـــة)

وقال ابن الدبيثي : « عبد الله بن الحسين بن عبـد الله أبو البقاء بن أبي عبـد الله بن أبي البقاء العكبري الأصل ، البغدادي المولد والدار ، الفقيه الفرضي النحوي ، تفقه على مذهب أبي الله أحمد بن حنبل — رح — على أبي حكيم إبراهيم دينار النهرواني وأخذ النحو عن أبي محمد ابن الخشاب وغيره وسمع الحديث من أبي الفتح محمد بن عبد البـــاقي بن أحمد المعروف بابن البطي ومن أبي زرعة طاهر بن محمـد المقدسي وأبي بكر عبد الله بن محمد بن النقور وجماعـة آخرين ، وكان جامعة لفنون من العلم والنحو واللغة العربية ، وشرح المقامات الحريرية وشعر أبي الطيب المتنبي وغير ذلك . سمعنا منه ونعم الشيخ كان . قرأت على أبي البقاء عبد الله بن الحسين ابن عبد الله النحوي [وأسنده إلى أبي هريرة] عن رسول الله — ص — قال : « الدين النصيحة »

(١) المرجع المذكور قبل الأخير .

(٢) قطعنا هنا كلام ياقوت ، بسبب جملة « روى لنا عنه جماعة من مشايخنـــا » ذلك لأن ياقوتاً كان يستطيع أن يروي عن العكبري بغير واسطة لتعاصرهما فالقول الأخير لابن الفوطي .

(٣) تلخيص معجم الألقاب « ج ٤ الترجمة ٦١٥ من الميم » .

قال قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأَئمة المسلمين وعامتهم . سألت الشيخ أبا البقاء عن مولده فقال : ولدت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة . وتوفي ليلة الأَحد ثامن ربيع الآخر سنة ست عشرة وستمائة ودفن يوم الأَحد بباب حرب — رح [1] — » .

وقال الصلاح الصفدي : « عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين الامام العلامة محب الدين أبو البقاء العكبري البغدادي الأَزجي الضرير النحوي الفرضي الحنبلي . صاحب التصانيف ، ولد سنة ثمان وثلاثين [وخمسمائة] وتوفي سنة ست عشرة وستمائة . قرأ على ابن الخشاب وأبي البركات بن نجاح [2] ... وله من المصنفات تفسير القرآن ، إعراب القرآن ، إعراب الشواذ من القرآن ، متشابه القرآن ، عدد آي القرآن ، إعراب الحديث ، [نيل] المرام في نهاية الأَحكام ، في المذهب [الحنبلي] ، الكلام على دليل التلازم ، تعليق على الخلاف ، المقنع من الحمال (كذا) في الجدل ، شرح الهداية لأَبي الخطاب [محفوظ الكلوذاني] ، الناهض في علم الفرائض ، البلغة ، في الفرائض ، التلخيص في الفرائض ، الاستيعاب في أنواع الحساب ، مقدمة في الحساب ، شرح الفصيح ، المشوب المعلم ، ترتيب كتاب إصلاح المنطق على حروف المعجم ، شرح الحماسة ، شرح المقامات الحريرية ، شرح الخطب النباتية ، المصباح في شرح الايضاح والتكملة ، التبيع في شرح اللمع ، لباب الكتاب ، شرح أبيات كتاب سيبويه ، إعراب الحماسة ، الايضاح عن معاني أبيات الايضاح ، تلخيص أبيات الشعر لأَبي علي ، المحصّل في إيضاح المفصل ، نزهة الطرف في إيضاح قانون الشرف ، الترصيف في علم التصريف ، اللباب على البناء والاعراب ، الاشباع في النحو ، شرح شعر المتنبي ، شرح بعض قصائد

(١) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ٩٠ » .

(٢) الذي حذفناه مفيث في ترجمة أبي البقاء المؤلف نفسه في « نكت الهميان في نكت العميان ص ١٧٨ » وله ترجمة في الوفيات « ١ : ٢٧٩ » وكامل ابن الأثير وذيل الروضتين « ص ١١٦ » والنجوم الزاهرة « ٦ : ٢٤٦ » والشذرات « ٥ : ٦٧ » وإنباه الرواة « ٢ : ١١٧ » وذيل طبقات الحنابلة « ٢ : ١٠٩ » وبغية الوعاة « ٢٨١ » .

رؤبة ، مسائل في الخلاف ، في النحو ، تلخيص التنبيه لابن جني ، العروض مطول [كذا لعله مفصل] ، العروض مختصر ، مختصر أصول ابن السراج ، مسائل نحو مفردة ، مسألة قول النبي — ص — (إنما يرحم الله من عباده الرحماء) ، المنتخب من كتاب المحتسب ، لغة الفقه ، ومن شعره يمدح الوزير [نصير الدين ناصر] بن مهدي [العلوي] :

بك أضحى جيد الزمان مُحلّى بعد أن كان من حُلاه مُخلّى

لا يجاريك في نجـارك خلق أنت أعلى قـدراً وأعلى محـلا

دُمت تحيي ما قد أُميت من الفضـ . . . ـل وتنفي فقراً وتطرد محلا[1] »

وقال شمس الدين الذهبي في وفيات سنة « ٦١٦ » : « عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين الامام العلامة ، محب الدين أبو البقاء العكبري الأصل ، البغدادي الأزجي الضرير النحوي الحنبلي الفرضي ، صاحب التصانيف ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، وقرأ القراءات على أبي الحسن علي بن عساكر [البطائحي] وقرأ النحو على أبي محمد بن الخشاب وأبي البركات بن نجاح ، وتفقه على القاضي أبي يعلى الصغير محمد بن أبي حازم بن أبي يعلى [بن الفراء] وأبي حكيم إبراهيم بن دينار النهرواني ، وبرع في الفقه والأصول ، وحاز قصب السبق ، في العربية ، وسمع من أبي الفتح بن البطي وأبي زرعة المقدسي وأبي بكر بن النقور وغيرهم ، ورحلت إليه الطلبة من النواحي وأقرأ الناس المذهب والفرائض والنحو واللغة . قال ابن النجار : قرأت عليه كثيراً من مصنفاته ، وصحبته مدة طويلة ، وكان ثقة متديناً ، حسن الأخلاق ، متواضعاً . ذكر لي أنه أضر في صباه بالجدري . ذكر تصانيفه : صنف تفسير القرآن ، وكتاب إعراب القرآن ، وكتاب إعراب الشواذ ، وكتاب متشابه القرآن ، وكتاب عدد الآي ، وكتاب المرام في المذهب ، وثلاثة مصنفات في الفرائض ، وكتاب شرح الفصيح وكتاب شرح الحماسة ، وكتاب شرح المقامات ، وكتاب شرح خطب ابن نباتة . ثم ذكر

(١) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٣٤ » . وذكر الأبيات الذهبي في تاريخ الاسلام على ما يجريه بيانه وهندوشاه في « تجارب السلف » بالفارسية « ص ٣٣٤ » .

ابن النجار تصانيف كثيرة ، تركنها اختصاراً . روى عنه الدبيثي وابن النجار والضياء المقدسي والجمال ابن الصيرفي وآخرون ، وكان — رح — إذا أراد أن يصنف كتاباً أحضرت له عدة مصنفات في ذلك الفن ، وقرئت عليه فاذا حصله في خاطره أملاه فكان بعض الفضلاء يقول : (أبو البقاء تلميذ تلامذته) يعني : هو تبع لهم فيما يلقونه عليه . ومن شعره (وذكر الأبيات الثلاثة المقدم ذكرهن) .

توفي أبو البقاء — رح — في ثامن ربيع الآخر . وقرأت بخط السيف بن المجد : سمعتُ المراتبي يقول سمعت الشيخ أبا البقاء يقول : جاء إلي جماعة من الشافعية وقالوا : انتقل إلى مذهبنا ونعطيك تدريس النحو واللغة بالنظامية فأقسمت وقلت : لو أقمتموني وصببتم عليّ الذهب حتى أتوارى ما رجعت عن مذهبي[1] » .

وقد طبع من تآليف أبي البقاء المكبري « التبيان في إعراب القرآن » ونُسب إليه شرح ديوان المتنبي ، نسبه اليه بعض الأدباء جهلاً أو عمداً وهو لعفيف الدين علي بن عدلان الموصلي الأديب النحوي المتوفى سنة « ٦٦٦ هـ » كما جاء في آخر الشرح ، وكما دلت عليه عدة أدلة أقل ما فيها أنها تنفي نفياً قاطعاً أن يكون ذلك الشرح لمحب الدين المكبري ، وقد أوضحنا ذلك في في مجلة المجمع العلمي العربي[2] ، والظاهر لنا أن الذي عزا هذا الشرح الفذ الى المكبري كان قد رأى نسخة غفلاً من اسم المؤلف فأراد أن يرفع قيمتها فنسبها إلى هـــذا العالم الفاضل ، ونستدل على ذلك بوجود نسخة من الشرح غفل أيضاً من اسم المؤلف محفوظة بدار الكتب الوطنية بباريس وأرقامها « ٣١٠٥ » .

٩٥ — عبد الرحيم بن علي بن الحسن أبو علي الأسعد القاضي الفاضل الوزير المنشيء ،

قال ابن الفوطي : « ذكره الشيخ ياقوت الحموي في كتاب معجم الأدباء وقال : كان أوحد دهره ، وفريد عصره ، عقلاً ونبلاً ، وفصاحة وبياناً ، لم يكن أحد يضاهيه في صناعة

(١) تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ٢٢٦ » .
(٢) مجلة المجمع العلمي العربي « ج ١ ، ٢ مج ٣٢ » .

الانشاء ، وكان محبوباً وقوراً نزه المجلس على شراسة كانت في خلقه ، وتقلل في ملبسه ، فانه كان لا يزيد لباسه على التصفية البغدادية ، والدنيا تدبر برأيه ، وصلاح الدين سلطان البلاد لا يرد له أمراً ، وكان يترفع عن التسمية بالوزارة ويعمل عملها سراً . وتوفي في سابع عشر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة ، ومولده بعسقلان في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وذكروا أن الكتب التي خلفها مائة ألف وعشرين (كذا) ألف مجلدة ، وزاد سبرته [1] في عدة مجلدات [2] » .

(تتمة)

وقال الصلاح الصفدي : « عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسين بن أحمد بن الفرج ابن أحمد [2] القاضي محيي الدين بن علي أبو علي بن القاضي الأشرف أبي الحسين اللخمي البيساني الأصل العسقلاني المولد ، المصري الدار ، صاحب ديوان الانشاء ووزير السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ... ولما عمل العماد الكاتب كتاب (الخريدة) بعثه إليه في ثمانية أجزاء ، فلما أحضرت لدى الفاضل قال : وأين الآخران ؟ لأنه قال كتاب (خريده) وما أرى إلا ثمانية يعني (خري ، عشرة) لأنّ (ده) بالعجمي عشرة [3] » .

وقال ياقوت نفسه في ترجمة « أبي علي الحسن بن محمد بن أبي الشخباء العسقلاني : » وقيل إن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني من رسائل ابن أبي الشخباء استمد ، وبها اعتضد [4] » .

وقال عبد اللطيف بن يوسف البغدادي في سيرة نفسه : « ثم أني توجهت إلى زيارة

(١) غير واضحتين .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : الورقة ٢٦٦ » .

(٢) هذا النسب موافق لما ذكره الذهبي في تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ٩١ » .

(٣) الوافي بالوفيات « نسخة الدار المذكورة ٢٠٦٦ الورقة ١٨٠ » .

(٤) معجم الأدباء « ٣ : ١٩٥ » .

القدس ثم إلى صلاح الدين بظاهر عكا ؛ فاجتمعت ببهاء الدين بن شداد قاضي العسكر يومئذ ، وكان قد اتصل به شهرتي بالموصل ، فانبسط إليّ ، وأقبل علي وقال : نجتمع بعماد الدين الكاتب ، فقمنا إليه وخيمته إلى خيمة بهاء الدين ، فوجدته يكتب كتاباً إلى الديوان العزيز [يعني ديوان الخلافة العباسية] بقلم الثلث من غير مسوّدة وقال : هذا كتاب إلى بلدكم . وذاكرني في مسائل من علم الكلام وقال : قوموا بنا إلى القاضي الفاضل فدخلنا عليه ، فرأيت شيخاً ضئيلاً كله رأس وقلب ، وهو يكتب ويُملي على اثنين ووجهه وشفتاه تلعب ألوان الحركات لقوة حرصه في [1] اخراج الكلام ، وكأنه يكتب بجملة أعضائه ، وسألني القاضي الفاضل عن قوله تعالى (ولو أنّ قرآناً سُيّرت به الجبال) وعن مسائل كثيرة ومع هذا فلا يقطع الكتابة والاملاء . وقال لي : ترجع إلى دمشق ونُجرى عليك الجرايات . فقلت أريد مصر . فقال : السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكا وقتل المسلمين بها . فقلت : لا بد لي من مصر ، فكتب لي ورقة صغيرة إلى وكيله بها [2] » .

والقاضي الفاضل ديوان رسائل وديوان شعر ، ولكل منهما نسخ محفوظة في دور الكتب .

١٦ — عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب أبو هاشم الجبائي :

قال ياقوت الحموي : « جُبّي بالضمة والتشديد والقصر : بلد أو كورة من عمل خوزستان ... ومن جُبّي هذه أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجُبائي المتكلم المعتزلي صاحب التصانيف مات سنة (٣٠٣) ومولده سنة (٢٣٥) وابنه أبو هاشم عبد السلام كان كأبيه في علم الكلام وفضل عليه بعلم الأدب فانه كان إماماً في العربية ، مات سنة ٣٢١ ببغداد [3] » .

(١) الصواب « على إخراج الكلام » .

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء « ٢ : ٢٠٥ » طبعة أوغست مولر ، وللقاضي الفاضل ترجمة في الجامع المختصر « ٩ : ٢٨ ، ٦٤ » والوفيات « ١ : ٣٠٨ » ومرآة الزمان « مخ ج ٨ ص ٤٧٢ » وكامل ابن الأثير في حوادث سنة ٥٩٦ والنجوم الزاهرة « ٦ : ١٥٦ » والشذرات « ٤ : ٣٢٤ » . وإلى وفاته إشارة في ذيل الروضتين « ص ١٧ » .

(٣) ولعبد السلام ترجمة في تاريخ الخطيب « ١١ : ٥٦ » ولسان الميزان « ٤ : ١٦ » .

(تتمة)

وجاء في أصل لسان الميزان « وقال ابن النديم في الفهرست : كان عبد السلام بصيراً بالنحو واللغة ، قرأ على أبيه وغيره » .

١٧ — عبد العزيز بن ابراهيم بن بناء بن حاجب النعمان أبو الحسن :

قال ياقوت في ترجمة ابنه علي بن عبد العزيز : « علي بن عبد العزيز بن إبراهيم بن بناء (كذا) ابن حاجب النعمان أبو الحسن ، قد ذكرت معنى تسميتهم بحاجب النعمان في ترجمة أبيه ... وكان أبوه يكتب لأبي محمد المهلبي وزير معز الدولة [1] » .

(تتمة)

قال ابن النديم : « ابن حاجب النعمان أبو الحسين عبد العزيز بن إبراهيم ، وكان أبوه حاجب النعمان أبي عبد الله الكاتب ، وكان أبو الحسين أحد أفراد الزمان في الفضل والنبل ومعرفة الكتابة بالدواوين ، وكان إليه أيام معز الدولة ديوان السواد . ولم يشاهد خزانة للكتب أحسن من خزانته لأنها كانت تحتوي على كل كتاب عين وديوان فرد بخطوط العلماء المنسوبة . وتوفي وله من الكتب كتاب (نشوة النهار في أخبار الجوار) . كتاب الصبوة ، كتاب أشعار الكتاب ، كتاب أخبار النساء ويعرف بكتاب ابن الكاتي ، كتاب الغرر ومجتنى الزهر ، كتاب أنس ذوي الفضل في الولاية والعزل [2] » .

وأسماء الشعراء الكتاب والكتاب الشعراء الذين ذكرهم في كتابه « أشعار الكتاب » هي :

« محمد بن داود ، القاسم بن صبيح ، يحيى بن خالد ، الفضل بن يحيى ، علي بن عبيدة ، جعفر بن يحيى ، الفيض بن أبي صالح ، يوسف بن القاسم ، أحمد بن يوسف ، يعقوب

(١) معجم البلدان « ٥ : ٢٥٩ » ، وفي تاريخ الخطيب كما يأتي « بيان » بدلا من « بناء » .
(٢) الفهرست ، ص ١٩٣ طبعة مصر .

ابن نوح . ابن المقفع . عبد الوهاب . الفضل بن الربيع . يعقوب بن الربيع . الحسن بن سهل . الفضل بن سهل . زنبور بن الفرج . يوسف لقوة . سندي بن صدقة . سهل بن هارون . محمد بن بكر . حمزة بن خزيمة الكاتب . حماد بن نجاح الكاتب . القاسم بن يوسف . أبو عبد الله بن داود . مسلمة بن سلم . صالح بن أبي النجم . محمد بن الحسين بن شعيب . داود بن جمهور . أبو الحارث محمد بن عبد الله الحراني . إبراهيم بن العباس الصولي . محمد بن عبد الملك الزيات . الحسن بن وهب . سليمان بن وهب . أبو عثمان سعيد بن حميد الكاتب . سعيد بن وهب . موسى بن عبد الملك . الحسن بن رجاء بن أبي الضحاك . إبراهيم بن إسماعيل بن داود . عمرو بن مسعدة . مجاشع بن مسعدة . أحمد بن المدبر . إبراهيم بن المدبر . أبو الجهم أحمد بن يوسف . أبو علي البصير . أبو الطيب عبد الرحيم الحراني . أحمد بن أبي سلمة كاتب عباس . أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري . أبو عبد الرحمن العطوي . جعفان الكاتب . سليمان بن أبي سهل بن نوبخت . الحسن بن الحسين بن سهل . أحمد بن محمد بن زيدونة الكاتب . أبو النمر هارون بن محمد كاتب الحسين بن زيد . هريمة بن الخليع . أبو جعفر محمد بن جعفر الكاتب . إبراهيم بن عيسى المدائني . علي بن عبد الكريم . أبو الحسن أحمد بن إبراهيم . بن داود الصيرتائي . أبو بكر محمد بن هارون بن مخلد بن أبان . أحمد بن عيسى . أبو صالح عبد الله بن محمد بن يزداد . عبد الله بن النضر الكاتب . عبد الله بن يزيد . القاسم بن يوسف السلمي . أحمد بن خالد الرياشي . غالب بن أحمد القطان . عمر بن عثمان بن اسفنداد . علي بن الحسن المصري . سهل بن محمد الكاتب . محمد بن أحمد المعروف بعجون الكاتب . عبد الله بن أحمد بن يوسف . عبد الله بن محمد بن عبد الملك . أبو الصقر إسماعيل بن بلبل . أبو الفضل أحمد بن سليمان بن وهب . محمد بن مهران الكاتب . أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود اليعقوبي . عبد الله بن عبد الله بن يعقوب . أحمد بن علي بن خيار الكاتب . منصور بن عبدالله الكاتب . أحمد بن علوية الأصفهاني . أبو الطيب محمد بن عبدالله اليوسفي . أبو الحسن علي بن عبد الغفار الجرجاني . أبو الحسين عبد الوهاب بن عمرو الشلمغاني . أبو علي أحمد بن علي بن

الحسن الماذرائي . ميمون بن ابراهيم الكاتب . عبد الله بن أخت أبي الوزير . محمد بن علي بن أبي حكيمة . محمد بن علي المعروف بديدن . محمد بن الفضل الجوفزاني الكاتب . عيسى بن فرغانشاه الكاتب . أبو علي أحمد بن إسماعيل نطاحة . علي بن محمد بن نصير بن منصور بن بسام . أبو العباس هبة الله بن محمد بن عبد الله الناشيء . أبو بكر أحمد بن محمد الطالقاني . محمد بن غالب باح الأصبهاني . أبو القاسم جعفر بن محمد بن حدار ، كاتب الطولونية . أبو محمد العباس بن الفضل الفارسي . أحمد بن صالح بن شيرزاد الكاتب . محمد بن علي الكاتب باذنجانة . محمد بن أحمد بن علي بن حيان . علي بن محمد بن سير الماذياني . عبد الله بن طالب الكاتب . محمد بن عمر المعروف بابن الخنساء . أبو الحسن علي بن محمد الفياض . أبو علي عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني . أحمد بن محمد بن متوكل من ساكني مصر . أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد الأصبهاني . أبو الحسين أحمد بن يحيى بن أبي البغل . أبو محمد القاسم بن محمد الكرخي . مقاتل بن نصر بن المنتصر الدبلي . أبو الحسين أحمد بن خالد الماذرائي . أبو الحسين محمد بن إسحاق بن الحسين الماذرائي . أبو علي عاصم بن محمد بن الكاتب . أبو عبد الله الحسين بن أحمد الماذرائي . أبو عبد الله حكم بن معبد الأصفهاني . أبو علي محمد بن عروس الكاتب . أبو العباس بن ثوابة . أبو الحسين بن ثوابة . القاسم بن عبيد الله بن سليمان . أبو العباس بن الفرات . أبو الحسين علي بن عباس النوبختي . أبو عبد الله أحمد بن عبد الله النوبختي . محمد بن عبيد الله السنوي (كذا) جعفر بن قدامة . أبو عبد الله المفجع البصري . أبو الفضل العباس ابن عبد الجبار . أبو القاسم علي بن محمد النحوي . أبو الطيب محمد بن علي البخاري . أحمد بن عبد الله بن رشيد الكاتب . الحسن بن محمد بن غالب بن أبي عبد الله الاصفهاني . أبو القاسم بن أبي العلاء . حمدون بن حاتم الأنباري . يحيى بن زكريا بن يحيى . أبو علي الحسن بن يوسف . أبو عبد الله أحمد بن كامل . أبو علي محمد بن علي الفياض . أبو غالب مقاتل بن النضر . أبو جعفر محمد بن شعبة الجرجاني . أبو علي محمد بن علي بن مقلة ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن صالح بن يحيى الكاتب . أبو الحسن سعيد بن إبراهيم البرتي النصراني الكاتب . قال ابن

النديم : « هذا آخر ما تضمنه كتاب أبي الحسين بن حاجب النعمان الكاتب من أسماء الكتاب الشعراء الذين اختار من أشعارهم[1] » .

وقال الخطيب البغدادي : « علي بن عبد العزيز بن إبراهيم بن بيان بن داود أبو الحسين المعروف بابن حاجب النعمان ، كان أحد الكتاب الحذاق بصنعة الكتابة وأمور الدواوين ، وله كتب مصنفة في الهزل . ذكر لي هلال بن المحسن الكاتب أنه مات يوم الجمعة لسبع بقين من شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة »[2] .

وقال الصلاح الصفدي : « عبد العزيز بن إبراهيم بن بيان الرئيس أبو الحسين بن النعمان الكاتب البغدادي ، قال الخطيب : أحد الكتاب الحذاق بأمور الديوان ، له تواليف في الهزل ، توفي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة . منها كتاب الصبوة ، كتاب أشعار الكتاب ، كتاب الفصل في الولاية والعزل ، كتاب الغرر ومجتنى الزهر ، كتاب النساء[3] » .

وقال أبو علي المحسن التنوخي : « ولقد شاهدت مجلساً في شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة كأنه من مجالس البرامكة ، ما شهدت مثله قط ، قبله ولا بعده ؛ وذلك أن كاتب الوزير أبي محمد الحسن المهلبي على ديوان السواد أبا الحسين عبد العزيز بن إبراهيم المعروف بابن حاجب النعمان سقط من روشن في دار أبي محمد على دجلة فمات في اليوم الثامن من السقطة ، فجزع عليه أبو محمد وجاء من غد إلى أولاده لأنهم كانوا دفنوه عشياً وكنت معه فعزاهم بأعذب لسان ؛ وأحسن بيان ووعدهم الاحسان وقال : أنا أبوكم وما فقدتم من ماضيكم غير شخصه . قال لابنه الأكبر أبي عبدالله : قد وليتك موضع أبيك ورددت إليك عمله ووليت أخاك أبا الحسين — وكان هذا صبياً سنه عشر سنين أو نحوها — وأجريت عليه كذا وكذا (رزقاً كبيراً وقد ذهب عني) ، فليلازمه[4] فان سنيهما متقاربة ليتعلم بتعلمه وينشأ بنشوئه فيجب حقه عليه . ثم قال لأبي العلاء

(١) الفهرست « ص ٢٣٦ — ٢٣٩ » .

(٢) تاريخ بغداد « ١٠ : ٤٥٦ » .

(٣) الوافي بالوفيات « ٢-٦٦ الورقة ٢١٠ » .

(٤) لعله أراد « فليلزم أخاه أبا عبدالله » .

صاعد بن ثابت خليفته على الوزارة : اكتب عهداً لأبي عبد الله واستدع كل من كان أبو الحسن — رح — مستأجراً منه شيئاً فخاطبه في تجديد الاجارة للورثة فإن أكثر نعمه إنما كانت دخالات وإجارات ومزارعات قد انحلت الآن بموته ، ومن امتنع فزده من مالي وأسأله ولا تقنع إلا بتجديد العقد كيف جرت الحال . ثم قال لأبي المكارم بن ورقاء — وكان سلف[1] الميت — : إن ذيل أبي الحسن طويل ، وقد كنت أعلم أنه يُجري على أخواته وأولادهن وأقاربه شيئاً كثيراً في كل شهر ، وهؤلاء الآن يهلكون بموته ولا حصة لهم في إرثه ، فقم إلى ابنة أبي محمد الماذرائي — يعني زوجة المتوفى — فعزّها عني ، واكتب منها بجريدة بأسماء جميع النساء اللواتي كان أبو الحسين يجري عليهن وغيرهن من الرجال ، وضعفاء حاشيته ، وقال لأبي العلاء : إذا جاءك بالجريدة فأطلقها عاجلاً لشهر ، وتقدم بإطلاقها على الادرار ، فبلغت الجريدة ثلاثة آلاف وكسراً في الشهر ، وعملت في المجلس وأطلق مثلها وامتثل جميع ما رسم به أبو محمد ، فلم يبق أحد إلا بكى رقة واستحساناً لذلك ... وقلت أنا لأبي محمد ذلك اليوم : لو كان الموت يستطاب في وقت من الأوقات لطاب لكل ذي ذيل طويل في أيام سيدنا الوزير ، فإن هذا الفعل تاريخ الكرم ، وبه يتحقق ما يروى عن الأسلاف من الأجواد والماضين من الكرماء الأفراد . وغير ذلك مما حضر في الحال . ثم نهض أبو محمد — رح — فارتفعت الضجة من النساء والرجال وأهل الدار والشارع بالدعاء له والشكر »[2] .

وقد ذكر القلقشندي كتاب « ذخيرة الكتاب » واستمد منه وقال إنه لابن حاجب النعمان[3] ، والظاهر أنه لابن المترجم أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان ،

---

(١) سلف الرجل بكسر السين وتسكين اللام : زوج أخت زوجه .

(٢) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة « ١ : ٣٩ — ٤١ » .

(٣) صبح الأعشى « ٢ : ٤٨ ، ٤٩ » ومختصره « ص ١٦ » .

٢٢ — عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر عين الدين أبو الحسين الفارسي المحدث المؤرخ ، قال ابن الفوطي :

« ذكره ياقوت الحموي في كتاب معجم الأدباء ، وأبو النضر الفامي في تاريخ هراة وقال : كان أديباً فاضلاً . قال ياقوت : لم يُر بخراسان والعراق أجمع منه للفضائل وهو سبط أبي القاسم القشيري ، وخرّج له الحفاظ الفوائد كالامام أبي الفضل محمد بن أحمد الجارودي . وهو الذي صنف الذيل على تاريخ الحاكم منذ وفاة الحاكم سنة خمس وأربعمائة ، وقرأ الكثير على المشايخ ، وكتب عن الامام أبي الحسن علي بن فضال المجاشعي ، واختلف الى إمام الحرمين الجويني وخرج الى النواحي ونسا ودخل خوارزم والى غزنة ، ومنها إلى لوهور ، وقرأ عليه الناس تصانيف القشيري ، وصنف كتباً منها كتاب (المفهم لصحيح مسلم) وغير ذلك ، وله شعر حسن ، منه قوله :

من يبغ مالاً في الورى فأنا إلى ... طلب المعالي رائح غادي
نفسي وإن فقدت أمانيها فقد ... أبت أن[1] تلين لخدمة الأوغاد

مولده سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ، وتوفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة »[2] .

(تتمـــة)

وقد نقل ابن الفوطي من تاريخ نيسابور لعبد الغافر الفارسي المذكور كما جاء في ترجمة طاهر ابن عبد الله النوراباذي رئيس نيسابور ، قال : ذكره[3] الامام عين الدين عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في تاريخه .

وقال الصلاح الصفدي : « عبد الغافر بن إسماعيل بن أبي الحسين عبد الغافر[4] ، هو

(١) تقرأ وصلية لاقطعية ليستقيم الوزن .
(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٢٤ » .
(٣) المرجع المذكور « ٤ : ١٨٨ » .
(٤) المذكور هو « عبد الغافر ركن الدين الزوشتاني الفقيه الشافعي » .

حفيد الحافظ المذكور آنفاً ، هو الحافظ أبو الحسين الفارسي ، مصنف السياق لتاريخ نيسابور ، ومعجم الغرائب في غريب الحديث وانفهم : شرح مسلم . كان إماماً محدثاً حافظاً أديباً فصيحاً مفوهاً ، روى عنه ابن عساكر بالاجازة وتوفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة . قال ياقوت : نقلت من خطه الذي يفوق أصداغ الملاح قوله ، بل قصائد تفوق سلاف الراح [1] ... » .

١٩ — عبد الهادي الهاروني اليهودي :

قال الصفدي : « صاحب الخط المليح إلى الغاية على طريقة ابن البواب . كان موجوداً بعد مائة [2] ، قال ياقوت : أنشدت من شعره :

قلبي معنىً عميد بين الهوى والهواء هذا يقود زمامي وذا يصد هوائي

يا من يقرب وصلي منه موعده لو لا عوائق من خلف تباعده

لا تحسبن دموعي البيض غير دمي وإنما نفسي الحامي يصعّده » [3]

٢٠ — عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد الامام أبو القاسم القشيري النيسابوري الزاهد الصوفي مؤلف (الرسالة) المشهورة في الصوفية والتصوف .

قال الصلاح الصفدي : « شيخ خراسان وأستاذ الجماعة ومقدم الطائفة ... توفي أبو القاسم سادس عشر شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربعمائة ، ودفن بالمدرسة بباب الطاق بجنب شيخه الأستاذ أبي علي الدقاق . قال ياقوت ... أخذ طريق التصوف عن الأستاذ أبي علي الدقاق وأخذ هو عن أبي القاسم الفيروزآبادي وأخذ هو عن الشبلي عن الجنيد عن السري عن معروف الكرخي عن داود الطائي عن التابعين ، وله كتاب آداب الصوفية وكتاب بلغة

(١) الوافي بالوفيات « ٢٠٦٦ » الورقة ٢٣٨ نسخة دار الكتب الوطنية بباريس » ، ولعبد الغافر ترجمة في الوفيات « ١ : ٣٣١ » وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي « ٤ : ٢٥٥ » ، وغيرهما .

(٢) كذا جاء في النسخة الخطية للوافي بالوفيات والظاهر أن الأصل « بعد أربعمائة » .

(٣) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية المتقدم ذكرها ٢٠٦٦ الورقة ٢٤٦ » .

الفاضل ، وكتاب التحبير في علم التذكير [1] ... » .

(تتمـــة)

وقال سبط ابن الجوزي في وفيات سنة ٤٦٥ : « عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد أبو القاسم القشيري النيسابوري ، وأمّه سلمية . ولد سنة ست وسبعين وثلاثمائة في ربيع الأول ومات أبوه وهو طفل ، فنشأ وقرأ الأدب والعربية ، وكان يميل الى أبناء الدنيا فدخل على أبي [علي] الدقاق فأعجبه حاله ، فصحبه لجذبه من ذلك ، وتفقه على [أبي] بكر [محمد] بن بكر الطوسي وأخذ علم الكلام عن ابن فورك ، وصنف التفسير الكبير والرسالة ، وكان يحب الصوفية وأهل الدين والطريقة ، عظيماً عند أهل نيسابور يعظ ويتكلم بكلام الصوفية ، وخرج الى الحج وقدم بغداد . وكانت وفاته في رجب وقيل في ربيع الآخر بنيسابور ودفن بالمدرسة إلى جانب شيخه أبي علي الدقاق وصلى عليه أكبر أولاده عبد الله ، ولم يقرب أحد من أولاده وأهله الزاوية [2] التي كان يجلس عليها ويصنف ويتعبد ، احتراماً وتعظيماً له ، وكان قد أهدى له بعض أصحابه فرساً فركبه عشرين سنة لم يركب غيره ، فلما مات أقام الفرس أسبوعاً لا يأكل ولا يشرب حتى مات ، فكان بينه وبين وفاته ستة أيام . ومن شعره :

الدهر ساومني عمري فقلت له ... لا بعت عمري بالدنيا وما فيها

ثم اشتراه تفاريقاً [3] بلا ثمن ... تبّت يدا صفقة قد خاب شاريها

وكان ثقة حسن الوعظ ، مليح الاشارة يعرف الأصول على مذهب الأشعري والفروع على مذهب الشافعي — رض — ولما قدم بغداد عقد مجلس التذكير فروى عن النبي — ص — (السفر قطعة من العذاب) الحديث ، فقام إليه سائل فقال : لم سماه — ص — قطعة من العذاب ؟ فأجاب بديهاً : لأنه سبب فراق الأحباب . فصاح الناس وماجوا ولم يقدر على إتمام

(١) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٥٢ » .

(٢) لعل الأصلية « الزاوية » .

(٣) يقال « باعه أو اشتراه تفاريق » وهو ضد الاشتراء بالجملة والجمل .

المجلس ، فنزل ... وكان له من الولد عبد الله وعبد الواحد وعبد الرحمن وعبد الرحيم وعبيد الله وعبد المنعم ، وأثنى عليهم ابن السمعاني [1] ... » .

٢١ — عبد اللطيف بن يوسف بن محمد موفق الدين أبو محمد البغدادي الأديب الحكيم :

قال ابن الفوطي : « ذكره الفاضل شهاب الدين ياقوت الحموي في كتاب معجم الأدباء وقال : لبس الخرقة من ضياء الدين أبي النجيب [عبد القاهر] السهروردي ، وقرأ على الشيخ الحسن بن علي بن عبيدة الكرخي ، وله تصانيف في الأدب والحديث والطب ، وذكره الفاضل في رسالة كتبها الى الوزير نجم الدين بن المجاور في حق الشيخ موفق الدين عبد اللطيف يقول فيها : أديب ملأ فيه الاسماع (كذا) وفاضل لا بأخبار الآحاد ولكن بتواطؤ الاجماع (وعينه فراره) وفي لسانه من العبارة ماره (كذا) وفي قلبه من الذكاء ناره . توفي في المحرم سنة تسع وعشرين وستمائة ، ومولده سنة سبع وخمسين وخمسمائة » [2] .

(تتمــــة)

وقال الصلاح الصفدي : « عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي الموصلي البغدادي المولد والأديب ، أبو محمد بن أبي العز النحوي ، أسمعه والده الكثير في صباه من أبي الفتح بن البطي وأبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي ، وأبي القاسم يحيى بن ثابت بن بندار البقال وأبي بكر عبد الله بن النقور وغيرهم ، وتفقه للشافعي وقرأ العربية ، على [كمال الدين] ابن الأنباري ، وصحب الوجيه [المبارك] أبا النجيب الضرير النحوي ، وبرع في النحو وتميز

(١) مرآة الزمان « نسخة باريس ٦٠٠٥ الورقة ١٤١ » وله ترجمة في تاريخ بغداد للخطيب « ١١ : ٨٣ » ودمية القصر للباخرزي « ص ١٩٤ » وأنسابه السمعاني في « القشيري » والمنتظم « ٨ : ٢٨٠ » والكامل في وفيات سنة ٤٦٥ والوفيات « ١ : ٣٢٤ » وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي « ٣ : ٢٤٣ » والنجوم الزاهرة « ٥ : ٨١ » والشذرات « ٣ : ٣١٩ » ، وحواشي تكملة إكمال الاكمال « ص ٢٦٤ » .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ج ٥ الترجمة ١٩٨ من الميم » .

على أقرانه وقرأ الطب والحكمة ، وصنف في الأدب وغيره ، وكان يكتب (خطاً) مليحاً وسافر الى الشام ودخل مصر ولقي قبولاً ، وقرأ الناس عليه الأدب والطب ، وروى أكثر مسموعاته وكان غزير الفضل ، كامل العقل ، حسن الأخلاق محباً للعلم وأهله ، ودخل بلاد الروم وأقام بها مدة وكان يطب ملكها وصادف قبولاً . ولما توفي الملك عاد إلى حلب وحدث بها وحج وأقام ببغداد مريضاً بعلة الذرب وتوفي سنة تسع وعشرين وستمائة [1] .

وترجمه الصفدي ثانية ظاناً أنه رجل آخر ، قال : « عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي ابن أبي سعد العلامة موفق الدين أبو محمد الموصلي الأصل البغدادي الفقيه الشافعي النحوي اللغوي المتكلم الطبيب الفيلسوف المعروف قديماً بابن اللباد ، لقبه تاج الدين الكندي بالجدي المطجن ، لرقة وجهه وتجعده ويبسه . ولد ببغداد في أحد الربيعين سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، وتوفي ببغداد سنة تسع وعشرين وستمائة ، سمعه أبوه من ابن البطي وأبي زرعة المقدسي وشهدة وجماعة وحدث بدمشق والقدس ومصر وحران وبغداد ، وكان أحد الأذكياء المتضلعين من الآداب والطب وعلم الأوائل ، إلا أن دعاويه كانت أكثر من علومه ، وكان دميم الخلقة نحيفها قليل لحم الوجه ، بالغ القفطي في الحط عليه ، وكان من يشغل من دمشق إلى حلب (كذا) . ومن كلامه : اللهم أعذنا من جموح الطبيعة وشموس النفس ، وسلس لنا منار التوفيق ، وخذ بنا في سواء الطريق ، يا هادي العمي ، يا مرشد الضلال ، يا محيي القلوب الميتة بالإيمان ، خذ بأيدينا من مهواة الهلكة ، ونجنا من ردغة الطبيعة ، وطهرنا من درن الدنيا الدنية بالاخلاص لك والتقوى إنك مالك الدنيا والآخرة . سبحان من عم بحكمة الوجود ، فاستحق بكل وجه أن يكون المعبود ، تلألأت بأنوار جلالك الآفاق ، وأشرقت شمس معرفتك على النفوس إشراقاً وأي إشراق . ومن تصانيفه : غريب الحديث ، والمجرديه (كذا) والواضحة في الفاتحة ، ومنها كتاب (رُبَّ) . كتاب الألف واللام ، شرح بانت سعاد ، ذيل الفصيح [2] ، خمس

---

(١) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٤٣ » .

(٢) لقد طبع هذا الكتاب مع فصيح ثعلب بمصر » .

مسائل نحوية ، شرح مقدمة ابن بابشاذ ، شرح الخطب النباتية ، شرح سبعين حديثاً ، شرح أربعين حديثاً طبية ، الرد على فخر الدين الرازي في تفسير سورة الاخلاص ، شرح نقد الشعر لقدامة ، قوانين البلاغة ، الانصاف بين ابن بري وابن الخشاب ، في كلامهما على المقامات ، مسألة (أنت طالق في شهر ما بعد قبله رمضان) ، كتاب قبسة العجلان في النحو ، اختصار العمدة لابن رشيق ، مقدمة حساب ، اختصار كتاب النبات ، اختصار كتاب الحيوان لأرسطو ، واختصر كتباً كثيرة في الطب ، كتاب أخبار مصر (الكبير) ، الافادة في أخبار مصر[1] ، تاريخ يتضمن سيرته[2] ، مقالة في الرد على اليهود والنصارى ، مقالة في النفس ، مقالة في المعاش ، مقالة في السقمونيا ، كتاب في العلم الالهي ، كتاب الجامع الكبير في المنطق والطبيعي والالهي ، زهاء عشر مجلدات وبقي يصنف فيه مدة . شرح (الراحمون يرحمهم الرحمن) . اختصار الصناعتين للعسكري ، اختصار كتاب مادة البقاء للتميمي ، كتاب بلغة الحكيم ، للشيخ تاج الدين الكندي حيث قال الخطيب ابن نباتة في أول خطبة ذكر فيها وفاة النبي — ص — : الحمد لله المنتقم ممن خالفه ، المهلك من آسفه ، المتوحد في قهره ، المتفرد بعز أمره . فقال الشيخ تاج الدين الكندي : العجب ممن يفتتح هذه الخطبة بمثل هذا الكلام لو لا غفلة لحقت الخطيب ، ولائق بها أن يكون افتتاحها : الحمد لله العادل في أقضيته بلا جور في قضائه الممضي حكمه في بريته بلا ريب في مضائه ، المتفرد بالبقاء بلا مشارك له في بقائه ، المرجو روحه فلا راحة لأوليائه دون لقائه . وهذه السجعات في غاية المناسبة لافتتاح خطبة يذكر فيها وفاة رسول الله — ص — . فقال موفق الدين المذكور : الخطيب إنما قال ذلك نظراً إلى قوله تعالى : فاما نذهبنّ بك فانا منهم منتقمون . وهذا الجواب في غاية السّداد والحسن ، ولو أورد على

(١) قد طبع هذا الكتاب غير مرة وبه اشتهر مؤلفه في العالم الغربي بحيث قل أن أهمله معجم رجال غربي للعلماء .

(٢) نقل منه ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء في طبقات الأطباء « ٢ : ٢٠٣ » .

الخطيب وهو حيّ ما أجاب بأحسن من هذا الجواب ولا أسدّ [1] » .

وقال أبو عبدالله بن الدبيثي : « عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعدالموصلي البغدادي الولد أبو محمد ابن أخي سليمان الموصلي ، أديب فاضل له معرفة بالنحو واللغة والعربية وعلم الكلام والطب ، أسمعه والده في صباه من جماعة منهم أبو الفتح محمد بن عبد الباقي المعروف بابن البطي وأبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي وأبو القاسم يحيى بن ثابت الوكيل وغيرهم ، وغلب عليه علم الطب والأدب وبرع فيهما . خرج من بغداد إلى الشام وديار مصر وأقام هناك ، وقرأ الناس عليه هناك وسمعوا منه وانتفعوا به . بلغني أن مولده في سنة سبع وخمسين وخمسمائة [2] .

وقال زكي الدين المنذري في وفيات سنة « ٦٢٩ » : وفي الثاني عشر من المحرم توفي الشيخ الأجل العالم أبو محمد عبد اللطيف بن الشيخ الأجل الفقيه أبي العز يوسف بن أبي البركات محمد بن علي بن أبي سعد الموصلي الأصل ، البغدادي المولد الشافعي النحوي اللغوي الحكيم المنعوت بالموفق ، ببغداد ودفن بالوردية [3] . ومولده ببغداد في أحد الربيعين سنة سبع وخمسين وخمسمائة . سمع الكثير بإفادة والده من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان وأبي القاسم يحيى بن ثابت بن بندار وأبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي وأبي علي الحسن ابن علي بن الحسن المقرئ وأبي الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد بن يوسف وفخر النساء شهدة بنت أحمد بن الفرج الإبري وجماعة جمة سواهم ، واشتغل بالنحو واللغة وبرع فيهما ، واشتغل بالطب والكلام وغير ذلك وصنف تصانيف مفيدة مختصرة ومطولة ، وحدث

---

(١) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٥٣ » .

(٢) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢١ الورقة ١٦٢ » ، ولم يذكر ابن الدبيثي وفاته لأن آخر نشرة لتاريخه كانت سنة « ٦٢١ هـ » .

(٣) هي من مقابر بغداد الشرقية وتعرف اليوم بمقبرة الشيخ عمر وهو شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد السهروردي .

بغداد ودمشق والبيت المقدس ومصر وغير ذلك من البلاد . سمعتُ منه بالقاهرة وبالبيت المقدس ، وهو من بيت العلم والحديث . والده أبو العز يوسف كان فاضلاً تفقه على الامام أبي النجيب السهروردي وصحبه وسمع منه ، وسمع أيضاً بنفسه من القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري والحافظ أبي القاسم إسماعيل بن أحمد السمرقندي وأبي الحسن علي بن هبة الله بن عبد السلام وأبي منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون وجماعة سواهم . وقد تقدم ذكر عميّه : أبي الفضل سليمان وأبي الحسن علي [1] » .

وقال تقي الدين بن قاضي شهبة : « عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي العلامة موفق الدين أبو محمد البغدادي ، أصله من الموصل ... ومن كلامه : من لم يذق لذة العلم ولم يتكدح لم يفلح ... [2] » .

وقال بن النجار كما جاء في الاختصار : « عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي الموصلي الأصل ، البغدادي المولد والدار أبو محمد بن أبي العز . أسمعه والده من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن البطي وأبي زرعة طاهر بن محمد المقدسي ويحيى بن ثابت بن بندار وأبي بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النقور ، في آخرين ، وتفقه في صباه على مذهب الامام الشافعي ، وقرأ العربية على عبد الرحمن الأنباري ، وصحب شيخنا الوجيه الضرير النحوي مدة حتى برع في النحو وتميّز وقرأ علم الطب حتى أحكمه وصنف مصنفات في الأدب وغيره ، وكان يكتب خطاً مليحاً ، وسافر الى الشام ودخل ديار مصر ورأى هناك قبولاً كثيراً ، وكان غزير الفضل كامل العقل ثم إنه دخل الى بلاد الروم وأقام بها مدة ، وكان يطببُ ملكها وصادف قبولاً عظيماً فلما توفي الملك عاد إلى حلب وحدث بها ثم توجه الى بغداد ، فأقام بها إلى أن توفي ثاني عشر محرم سنة تسع وعشرين وستمائة ودفن في مقبرة الوردية ، وكان مولده في أحد الربيعين من سنة

(١) التكملة لوفيات النقلة ، نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية ١٩٨٢ د ج ٢ الورقة ٩٩ » .

(٢) طبقات الشافعية ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٠٢ الورقة ٦١ » .

سبع [1] وسبعين [2] » . وقال ابن العماد الحنبلي : « وشرح أحاديث ابن ماجة المتعلقة بالطب وحدث ببلدان كثيرة ، قال الذهبي : كان أحد الأذكياء البارعين في اللغة والآداب والطب وعلم الأوائل لكن كثرة دعاويه أزرت به ؛ ولقد بالغ القفطي في الحط عليه وظلمه وبخسه حقه [3] » .

٢٢ — عبد الواحد بن علي بن برهان أبو القاسم العكبري النحوي :

قال الذهبي في وفيات سنة « ٤٥٦ هـ » : « بقية الشيوخ العالمين بالعربية والكلام والأنساب ، سمع ... قال ياقوت الحموي في تاريخ الأدباء : نقلت من خط عبد الرحيم بن النفيس بن وهبسان قال نقلت من خط أبي بكر محمد بن منصور السمعاني سمعت المبارك بن عبد الجبار الصيرفي ، سمعت أبا القاسم بن برهان يقول : دخلت على الشريف المرتضى في مرضه فإذا قد حوّل (وجهه) إلى الحائط فسمعته يقول ... فقمت وخرجت فما بلغت عتبة الباب حتى سمعت الزعقة عليه [4] » .

(تتمــة)

وقال الصلاح الصفدي : « عبد الواحد بن علي بن عمر بن إسحاق بن إبراهيم بن برهان (بفتح الباء الموحدة) أبو القاسم الأسدي العكبري النحوي ، صاحب اللغة والعربية والتواريخ وأيام العرب . قرأ على عبد السلام البصري وأبي الحسن السمسمي ، وكان يحضر حلقته فتىً مليح الوجه ، فانقطع عنه فسأل عنه ، فقيل : إن عميد الملك [الكندري] اعتقل والده ، فانحدر إلى باب الراتب فصادف الكندري ، فحين رآه أقبل عليه مسلماً ، ووقف الغلام حوله ، فقال له ابن برهان : (فيك الخصام وأنت الخصم والحكم) ، ولم يزد على ذلك . فوجم الكندري وسأل

(١) في الهامش « كذا ذكره الشيخ » ، وقد تقدم أن مولده كان سنة « ٥٥٧ » .

(٢) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد « نسخة المجمع المصورة ، الورقة ١٨ » . ولعبد اللطيف البغدادي ترجمة مفصلة في عيون الأنباء « ٢ : ٢٠١ » وترجمة في ذيل مرآة الزمان لليونيني « ١ : ١٨٠ » والنجوم الزاهرة وفوات الوفيات « ٢ : ٧ » وهي منقولة في الأغلب من الوافي بلا إشارة « ٦ : ٢٧٩ » .

(٣) الشذرات « ٥ : ١٣٢ » .

(٤) تاريخ الإسلام « نسخة المتحفة » البريطانية « الورقة ٥٦ » .

ممّن في حبسه ، فأخبر بالرجل وأن ابنه يغشى الشيخ للاقتباس ، فأطلقه ووهبه ما عليه وكان ثمانية عشر ألف دينار . ومن شعر ابن بَرهان :

أحبتنـــا بأبي أنتم … وسقياً لكم أينما كنتم
أطلتم بصادي بعادكم … وقلتم نزور فما زرتمُ
فانْ لم تجودُوا على عبدكم … فانَّ المُعَزَّى به أنتمُ(1)

وقال سبط ابن الجوزي في وفيات سنة « ٤٥٦ » : « عبد الواحد بن علي بن بَرهان أبو القاسم النحوي ، كان عالماً فاضلاً بعلوم شتىّ منها علم العربية والنحو ، ولولا شراسة أخلاقه له آثار باقية وكتب مصونة ، ولم يلبس سراويلاً قط ولا (كان) يغطي رأسه ، ولم يقبل لأحد عطاءاً ، وهو القائل : من قال إن (من) للتبعيض فقد جاء أهل اللغة بما لا يعرفونه . وتوفي ببغداد جمادى الأولى وقد أنافت على الثمانين ، وقد طعن فيه ابن عقيل ، وقال محمد بن عبد الملك الهمذاني : إنه كان يميل الى المُرْد الصباح ويقبلّهم من غير ريبة(2) » .

وقال محب الدين بن النجار : « قرأت في كتاب الفنون لأبي الوفاء علي بن عقيل الفقيه الحنبلي بخطه قال : قدم علينا أبو المعالي الجويني أول ما دخل الغز فتكلم مع أبي إسحاق الشيرازي وأبي نصر بن الصباغ وسمعت كلامه وقال ... كان الشيخ أبو القاسم الأسدي المعروف بابن برهان العكبري النحوي (وكان متفنناً في العلوم علامة في النحو والنسب وعلوم القرآن والأصول) عند عميد الملك ، وقد كان فاتشه الشيخ أبو المعالي الجويني وكان قدم علينا سنة تسع وأربعين (وأربعمائة) شاباً أشقر اللحية ، فجرى منه مقاولة للشيخ الامام أبي القاسم في العباد هل لهم أفعال ؟ فقال : إن وجدت في القرآن آية تقتضي ذلك فالحجة لك ، فقال الشيخ

(1) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٨٢ » ، وله ترجمة في تاريخ الخطيب « ١١ : ١٧ » والمنتظم « ٨ : ٢٣٦ » . ونزهة الألباء « ص ٢٣٣ » والجواهر المضية « ج ١ ص ٣٣٣ » ، وفوات الوفيات « ١ : ١٩ » . وإنباه الرواة « ٢ : ٢١٣ » والبغية « ص ٣١٧ » .

(2) مرآة الزمان « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٠٦ الورقة ١٠٠ » .

أبو القاسم (ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون [١]) وعدّ صوته وجعل يقول (هم لها عاملون) وأصرح من هذه الاضافة لا يكون « [ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم] كفاراً حسداً من عند أنفسهم [٢] » . « لو استطعنا لخرجنا معكم [يهلكون أنفسهم] والله يعلم إنهم لكاذبون [٣] » أي قد كانوا مستطيعين . فأخذ أبو المعالي يستروح إلى التأويل ، فقال : والله إنك بارد تتأول صريح الكلام لتصحح بتأويلك كلام أبي الحسن الأشعري ، وأكله بالحجة فبهت ابن الجويني . وكان أيضاً في دولة عميد الملك نوع عصبية على الأشعرية وأصحاب الحديث ، فقبض أبا المعالي من الانبساط وإلا فقد كان أحسن الناس لفظاً وأقوام منه في النظر [٤] » .

وقال أبو الفرج ابن الجوزي في ترجمة أبي الحسن عبد العزيز بن الحارث التميمي المتوفى سنة ٣٧١ : « وقد تعصب عليه الخطيب وهذا شأنه في أصحاب أحمد ، فحكى عن أبي القاسم عبد الواحد بن علي الأسدي العكبري أن التميمي وضع حديثاً ، وهذا العكبري لا يعوّل على قوله فانه لم يكن من أهل الحديث والعلم إنما كان يعرف شيئاً من العربية ولم يَروِ شيئاً من الحديث ، كذلك ذكر عنه الخطيب وكان أيضاً معتزلياً [٥] » .

٢٣ — عبد الواحد بن محمد بن علي بن زكريا أبو القاسم

قال الصفدي : « قال ياقوت : وقفت على كتاب شرحَ فيه أشعار أبي الطيب المتنبي فأجاده وكبره وهو من أهل اصبهان [٦] » .

(١) سورة المؤمنون » الآية ٦٣ » .
(٢) سورة البقرة » الآية ١٠٩ » .
(٣) سورة التوبة » الآية ٤٢ » .
(٤) التاريخ المجدد لمدينة السلام » نسخة المكتبة الظاهرية ، الورقة ١٣ » .
(٥) المنتظم » ٧ : ١١٠ » .
(٦) الوافي بالوفيات » نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٨١ » .

٢٤ — عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه أبو القاسم

قال الصفدي : كان خرداذبه مجوسياً أسلم على يد البرامكة ، وتولى أبو القاسم هذا البريد والخبر بنواحي الجبل ، ونادم المعتمد واختصّ به قال ياقوت في معجم الأدباء : وكان أبوالفرج الاصبهاني إذا أورد عنه شيئاً في كتابه أوقعه (كذا) بالوقيعة فيه والتنقص له بقوله : إنه كثير التحصيل (كذا) . ومن تصانيفه كتاب المسالك والممالك ، كتاب أدب السماع ، كتاب الطبيخ كتاب اللهو والملاهي ، كتاب جمهرة الأنساب للفرس ، كتاب الأنواء ، كتاب الندامى والجلساء ، كتاب الشراب ومن شعره :

في مثل وجهك يحسن الشعر ... ويكون فيه لذي الهوى عذرُ
ما إن نظرت إلى محاسنه ... إلا تداخلني له كِبْرُ
تتزين الدنيا بطلعته ... ويكون بدراً حين لا بدرُ[1] »

(تتمـة)

قال محب الدين محمد بن النجار : « عبيد الله بن أحمد بن خُرداذبه أبو القاسم الكاتب ، كان جدُّه خرداذبه مجوسياً فأسلم على يد البرامكة ، وتولى عبيد الله هذا البريد والخبر بنواحي الجبل ونادم المعتمد وخص به ، وكان راوية الأخبار والآداب . روى عنه أبو علي الكوكبي وأبو عبد الله الحكيمي ومحمد بن عبد الملك التاريخي وله مصنفات منها كتاب المسالك والممالك وكتاب الندمان والجلساء وكتاب اللهو والملاهي وكتاب الطبيخ وكتاب الشراب . قرأت في كتاب أحمد بن أبي طالب الكاتب بخطه أنبأنا ، أبو عبدالله حمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمي أنبأني عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه قال حدثني أبي قال : كان كسرى إبرويز قد قال له

(١) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٤ الورقة ٢٩٧ » ، وهذا الذي ذكره الصفدي نقلا من معجم الأدباء أكثره منقول من كتاب « الفهرست » لابن النديم « ص ٢١٢ من طبعة مصر » سوى الأبيات الثلاثة وسوى تنقص أبي الفرج .

مجموه إناث تقتل . فقال : لأقتلنّ الذي يقتلني فأمر بسُمّ يخلط له في أدوية ثم كتب عليه (دواء للجماع مجرّب ، من أخذ منه وزن كذا وكذا مرّة) . وصيره في خزانة الطب ، فلما قتله ابنه شيرويه وفتش خزائنه مرّ به فقال في نفسه أبهذا الدواء كان يقوى على شيرين ، فأخذ منه فمات ، فقتله أبوه وهو ميت . أنبأنا عبد الوهاب بن علي الأمين (ابن سُكينة) عن محمد بن عبد الباقي الشاهد أن الحسن بن علي الجوهري أخبره قال أنبأنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه قراءة عليه عن أبي بكر محمد بن خلف المرزبان قال أنشدت لابن خرداذبه :

في مثل وجهك يحسن الشعر ويكون فيه لذي الهوى عذر
ما إن نظرت إلى محاسنه إلا تداخلني له كبر
تتزين الدنيا بطلعته ويكون بدراً حين لا بدر[1] »

وقال الذهبي كما جاء في لسان ميزان الاعتدال : عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه[2] (بضم المعجمة وسكون الراء[3] وآخره موحدة مضمومة ثم هاء ليست للتأنيث يكنى أبا القاسم ... إنه عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه ... وكان جده مجوسياً وعني هو بالكتابة ... وكان راوية للأخبار ... وكان يأتي في تصانيفه بالغرائب حتى قال بعضهم في شيء نقله عنه (كذا زعم ابن خرداذبه) وإن يك كاذباً فعليه كذبه ، وأنشد له المرزباني شعراً وسطاً ، وممن كذبه أبو الفرج الاصبهاني[4] » .

وقال أبو الفرج الاصبهاني في أخبار معبد المغني : « وذكر ابن خرداذبه أنه غنى في دولة بني أمية وأدرك دولة بني العباس ، وقد أصابه الفالج وارتعش وبطل ، فكان إذا غنى يُضحك

. . . .

(١) التاريخ المجدد لمدينة السلام ، نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، الورقة ٨٠ ، ٨١ .

(٢) المطبوع في لسان الميزان « ٤ : ٩٦ (خرداذبه) وهو غلط .

(٣) في المطبوع « الراو » وهو تصحيف .

(٤) لسان الميزان « ٤ : ٦٩ » .

منه ويهزأ به . وابن خرداذبه قليل التصحيح [1] لا يرويه ويضمنه كتبه ، والصحيح أن معبداً مات في أيام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده [2] » .

وقد ضبط مؤلف تاج العروس في مادة (روم) خرداذبه بضم الخاء وسكون الراء وفتح الدال بعدها ألف وكسر الذال المعجمة وسكون الياء التحتية وآخرها هاء » كما قال ناشرو الأغاني ، وقد طبع كتابه « المسالك والممالك » في ليدن بهولندة من ممالك أوربة سنة ١٩٠٤ .

٢٥ — عبد الله بن عبد الرحيم أبو القاسم الاصبهاني :

قال الصفدي : أحد فضلاء أصبهان وأدبائها ، له تصانيف منها كتاب أخبار أبي الطيب ، كتاب استدرك فيه على ابن جني في كتابه الصغير المسمى بالواضح . قال ياقوت : لا أعرف من حاله شيئاً إلا أنه كان به [3] سنة إحدى وأربعمائة (كذا) [4] » .

« يتبع »

مصطفى جواد

(١) في نسخة « التحصيل » .

(٢) الأغاني « ١ : ٣٦ طبعة دار الكتب المصرية » . ثم نقل من كتابه في أخبار أبي سعيد مولى فائد » (كما في ج ٤ ص ٣٣٠ » وقال في ترجمة (نبيه) : « زعم ابن خرداذبه أنه رجـل من بني تميم صلبية ... » .

(٣) لعله « حيا » .

(٤) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٤ الورقة ٣٠٠ » .

سباخ الوادي

مقدمة :

الوادي الرسوبي الذي يخترقه الرافدان تكوّن تحت البحر مما حملته المياه الجارية اليه من رمل وطمي وطين . وتقدم الوادي باتجاه الخليج على مرّ الزمن . وكان منذ تكونه وادياً تتكاثر في تربته الاملاح القابلة للذوبان — املاح البحر . ولما تزل نسبة الاملاح عالية في مجموع الوادي . وقد كان لهذه الاملاح أثر كبير في حياة الوادي . ولا شك ان هذا الأثر تفاعل على مرّ الزمن والعوامل التي خضعت لها مدنيات الوادي وكان لها شأن في مصاير تلك المدنيات .

والاملاح تتركز في ظروف معينة في سطح التربة وفي الطبقة الجذرية منهسا فيقل الحاصل وينخفض الانتساج العام في المنطقة . واذا وصل التركز حداً معيناً يتفاوت باختلاف النبات تعذر نموه . وفي ظروف معينة أخرى يقل تركز الاملاح وينتقل معظمها الى حيث لا تؤثر في نمو النبات ووفرة الحاصل فتصلح الارض وتغل غلالاً جيدة .

فالاملاح بعد الماء أهم عوامل انتاج الارض في وادي الرافدين . وهي تتصل في ناحية ارتفاع نسبتها في التربة باستخدام مياه الري في الزراعة اتصالاً وثيقاً . ان لمياه الامطار كذلك صلة كبيرة بأمر الاملاح الا انها صلة تختلف اختلافاً كبيراً عنها لمياه الري فهي في ظروف معينة من السقوط ومن جفاف الارض تعمل على خفض نسبة الاملاح في سطح التربة .

ويخال لنا ان مدنيات الوادي الزاهرة استندت فيما استندت اليه الى انتاج وافر من أرض صلحت على مرّ الزمن بأن تخلصت مما تركته مدنية سابقة ونظام للري سابق من أملاح فيها . وان المدنيات انتهت الى جمود لا انهيار الانتاج بنتيجة تحول الارض الصالحة الى سباخ .

ان الأرقام التحليلية التي نوردها في هذا البحث مقتبسة من بحوث حول الملحية أجريناها

في مختبرات البحوث العلمية الصناعية على فترات متقاربة منذ سنة ١٩٤٠ .

منشأ الاملاح :

عندما انحسرت مياه البحر عن الوادي تركت في تربته أملاحاً مما تتألف منه ملحية[1] مياه البحر فاحتفظت القاعدة المائية في طبقات التربة السفلى بملحية مياه البحر كما احتفظت الاجسام المائية التي انقطعت عن البحر كالبحيرات والمستنقعات بما تحمله من أملاح فكان منها ومن أملاح مياه القاعدة الشطر الأكبر من مجموع الاملاح التي يحتوي عليها الوادي . وتبع ذلك على مدى العصور الجيولوجية وخلال الفيضانات وفي الري تبادل وتساقط وتصنيف وتركيز وتخفيف تركت كلها آثارها في ملحية الوادي باختلاف ارجائه فتبدلت الملحية وتباينت درجاتها بين منطقة وأخرى وتغيرت نسب الاملاح التي تتألف الملحية منها . وكان هنالك مصدر آخر للاملاح انتشرت منه في بعض مناطق الوادي هو الترسبات المعدنية التي توجد قريبة من سطح الأرض والتي تصل مياه القاعدة المائية بينها وبين طبقات التربة . مثال ذلك كبريتات الكالسيوم التي توجد قرب سطح الارض في مناطق واسعة من الوادي وهي من املاح التربة كثيرة الذوبان وتوجد على شكل جبس في بعض المناطق وعلى شكل انهسا يدرات في البعض الآخر . وللكبريتات هذه أهمية معينة في ملحية بعض مناطق الوادي .

ومياه الري مصدر آخر للملحية في الوادي فهي تحمل نسبة صغيرة من الأملاح وبعض هذه الاملاح تبقى في التربة بعد ان تتبخر مياه الري . على ان هذا المصدر ثانوي ونعتقد أن مياه الري ليست هي المنشأ الرئيس لملحية الوادي . ان ملحية مياه دجلة تتراوح بين حوالي (٢٢) الاثنين والعشرين جزءاً من الاملاح في مئة ألف جزء من الماء في موسم الفيضان وحوالي (٣٦) الستة والثلاثين جزءاً من الاملاح في مئة الف جزء من الماء في موسم الصيهود وذلك في موقع مدينة بغداد . وان ملحية مياه الفرات تتراوح بين حوالي (٢٦) الستة والعشرين جزءاً

(١) أقر المجمع العلمي العراقي مصطلح الملحية لمصطلح Salinity

من الاملاح في مئة الف جزء من الماء في موسم الفيضان وحوالي (٦٣) الثلاثة والستين جزءاً من الأملاح في مئة الف جزء من الماء في موسم الصيهود وذلك في موقع الملوحة . وتعتبر ملحيتا دجلة والفرات من الملحيات المنخفضة في مياه الري .

كيف احتفظ الوادي بالملح :

اذا كانت نسبة الاملاح الذائبة مرتفعة في التربة فان المياه تذيبها وتتخلص التربة منها بتصريف محلول التربة . واذا لم تكن محاليل التربة قابلة للتصريف بقيت الاملاح في التربة . ان الوادي عبارة عن وضع مناق في أمر الملحية على حد هذا التعبير ويمكن اعتباره كذلك الى كل مدى محلي . فتصريف الاملاح بطيء . ذلك ان سهول الوادي منبسطة لا ترتفع عن منافذ التصريف ارتفاعاً كافياً . ان المسافة بين مدينة بغداد ومصب شط العرب في الخليج تقدر بخمسمئة كيلو متر . ولا يزيد ارتفاع الارض التي تقوم عليها المدينة اكثر من (٣٢) اثنين وثلاثين متراً عن سطح البحر . ان انحداراً ضئيلاً كالذي نجده في السهول لا يساعد على تصريف الأملاح . ومنافذ التصريف الفرعية كالانهار والروافد التي تمتد في السهل تجري بانحدار يتناسب وانحدار السهل بكامله . لذلك كانت مجالات تصريف الاملاح عن طريق تصريف مياه التربة من السهول خاضعة لأثر هذا الانبساط مع تفاوت في ارجاء السهل ناشئ من عوامل محلية .

هناك وضع تصريفي واحد في الوادي كان له مفعول تصريفي ساعد واضح ذلك هو منخفض الثرثار . فقد كان الانخفاض كافياً لفتح مجال للتصريف . وأصبح المنخفض خلال عصور طويلة موضع تجمع المياه النازلة سطح التربة الذيبة ما يتبلور فوقه من أملاح نتيجة تبخر مياه التربة . كما أصبح موضع تصريف مياه القاعدة المائية للسهول المحيطة بالمنخفض وما يتركز في القاعدة من املاح تذيبها المياه من طبقات التربة وخاصة السفلى منها . وهكذا أصبح منخفض الثرثار حاوياً كميات هائلة من الاملاح . فلما تكونت بحيرة الثرثار في النصف الأخير من شهر نيسان ١٩٥٦ بما انصب فيها من مياه دجلة أخذت املاح المنخفض تنفذ الى مياه البحيرة ولم تمض سبعة شهور

حتى كانت مياه البحيرة تحمل (١٢٫٠٠٠٫٠٠٠) اثنى عشر مليون طن من كلوريد الصوديوم وهو ملح الطعام و (٦٫٠٠٠٫٠٠٠) ستة ملايين من الأطنان من كبريتات الكالسيوم . ولم تكن الرقعة التي غطتها مياه البحيرة رقعة كبيرة . ولا تزال مياه البحيرة تستنفذ الاملاح من قاعها . كما ان مياه البحيرة لم تغط بعد قاع المنخفض بكامله . وعند ما يتم ذلك تكون مياه البحيرة قد حلت كميات هائلة من الاملاح — تلك الأملاح التي جاءت من المناطق المحيطة بالمنخفض بالتصريف المباشر في حالات محدودة وبالتصريف غير المباشر في الغالب من الحالات.

ملوحة بعض مياه الوادي :

ان ملوحة بعض مياه القاعدة المائية في ارجاء الوادي تبلغ (٨٠٠) ثمنمئة جزء من الاملاح في مئة الف جزء من الماء وهي ملوحة عالية جداً . وتبلغ ملوحة مياه بعض العيون الألفي جزء (عين الخالدية في منطقة هيت) . وبعض المياه المتقطعة القريبة من سطح الارض تحتوي على نسب كبيرة جداً من الاملاح . ففي نموذج من المياه المتقطعة عثرنا عليه سنة ١٩٥٤ تحت طبقة من ترسبات كاس الفرات المنخفض النفاذ في موقع يبعد (٨٠) كيلو متراً الى الغرب من مدينة الرمادي وجدنا ان نسبة الاملاح بلغت (٩١٠٠) تسعة آلاف ومئة جزء في مئة الف جزء من الماء كان جلها من الكلوريد (ما يقابل ٧٩٠٠ سبعة آلاف وتسعمئة جزء من كلوريد الصوديوم — ملح الطعام) .

أملاح السباخ الرئيسة :

لقد كانت محصلة العوامل التصريفية التي اتصف بها الوادي والتي أشرنا إليها فيما تقدم ان احتفظ الوادي بالشطر الأعظم من الأملاح التي كانت فيه منذ تكوينه أو التي نشأت من الترسبات التي تغطيها تربته وإن أدت عوامل فيزيائية على مر العصور الى تصنيف أو تركيز أو تخفيف أو انتشار تلك الأملاح .

إن الأملاح الرئيسة التي تتألف منها سباخ الوادي هي لغرض بحثنا هذا كلوريد الصوديوم

وهو ملح الطعام وكبريتات الـكالسيوم المائية وهي الجبس وأملاح المغنيسيوم .

تصريف الأملاح من الوادي :

إن منفذي التصريف الرئيسين هما دجلة والفرات . ولقد تبين من بحث في تصريف ملحية الوادي أجرى في مختبرات البحوث العلميـة والصناعية أن تصريف الأملاح عن طريق دجـلة والفرات تصريف بطيء . ففي نقطة من دجلة تقع قرب الجسر الشمالي من مدينة بغداد كانت ملحية مياه دجلة (٣٦) ستة وثلاثين جزءاً من الأملاح في مئة الف جزء من الماء (١٩٥١/٨/١) فارتفعت الى (٦٨) ثمانية وستين جزءاً من الأملاح في مئة الف جزء من الماء (١٩٥١/٨/١٥) في نقطة تقع قرب أبي روبه على بعد (٥٢) اثنين وخمسين كيلو متراً الى الجنوب من مدينة العمارة . فتكون الملحية قد ارتفعت (٣٢) اثنين وثلاثين جزءاً خلال جريان المياه مسافة (٣٦٠) ثلثمئة وستين كيلو متراً من الوادي . وموقع أبي روبة يعتبر أقصى نقطة في مجرى دجلة لا يتأثر قياس الملحية فيه بمؤثرات مجرى دجلة الأســـفل ومؤثرات المد . إن المدن التي يمر فيها النهر تغذيه بالأملاح . ومياه البزل تحتوي على نسبة صغيرة من الأملاح منشؤها مياه الري لا ملحية الحوض . لذلك فان تطور ملحية دجلة في مجراه الطويل تدل على بطء تصريف الأملاح من الوادي . ويبدو ذلك أكثر وضوحاً إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ملحية الوادي العالية . فقد كانت نسبة الأملاح في نموذج من مياه القاعدة المائية لتربة زراعية خصبة في منطقة أبي غريب لحص خـــلال نحر أجرى في سنة ١٩٤٢ — كانت النسبة (٨٠٠) ثمنمئة جزء من الأملاح في مئة الف جزء من ماء القاعدة المائية .

أما تصريف الأملاح عن طريق الفرات فانه في الظاهر يربو على التصريف في دجلة . فقد كانت الملحية في مياه الفرات في الفلوجة (٤٩) تسعة وأربعين جزءاً من الأملاح في مئة الف جزء من الماء (١٩٥١/٨/١) وارتفعت إلى (١٢٤) مئة وأربعة وعشرين جزءاً من الأملاح في مئة الف جزء من الماء في الناصرية (١٩٥١/٨/١٧) وعلى بعد (٣٥٠) ثلثمئة وخمسين كيلو متراً في الوادي . والمياه المالحة في غرب الفرات (أكثر من مئتي جزء في مئة الف جزء) كمياه

عين التمر ومياه عين الخالدية ومياه كاس الفرات في صفية وكذلك لشدة هبوط كمية مياه الفرات في الصيهود وسرعة هبوطها — ان لهذه العوامل أثرها في الملحية الظاهرة لمياه الفرات في الناصرية في موسم الصيهود (١٩٥١/٨/٩٧) .

إن التصريف الواضح للأملاح نجده في نهر ديالى . فلحية مياهه قرب المصب ترتفع إلى (٦٠٠) ستمئة جزء في موسم الصيهود وهي لا تتعدى في موسم الفيضان ملحية نهر دجلة . على إن كمية مياه ديالى التي تصب في دجلة في موسم الصيهود صغيرة جداً . ولا يخفى ان حوض ديالى يرتفع عن مستوى النهر ارتفاعاً وافياً وخاصة في منطقة المصب مما يجعل النهر منفذاً جيداً للتصريف .

ظهور الأملاح على سطح التربة :

قلنا ان مياه القاعدة المائية مالحة . فاذا تسربت الى سطح التربة فتبخرت تركت الاملاح على السطح على شكل بلورات صغيرة الحجم . وتتسرب المياه المالحة من القاعدة المائية الى سطح التربة عن طريق ما يعرف بالفعل الشعري ذلك بأن تصعد في أنابيب أو اقنية دقيقة شعرية توجد في التربة فتوصل بين أطرافها وبين طبقات التربة السفلى وسطحها . وتتكون هذه الأنابيب الشعرية من اتصال الفجوات الواقعة بين دقائق التربة . وتختلف سعة الأنابيب باختلاف دقائق التربة حجماً . ويختلف تبعاً لذلك مدى فعلها الشعري . وإذا وصلت مياه القاعدة المائية المالحة الصاعدة بالفعل الشعري طبقة من التربة خاضعة للتبخر بفعل الحرارة وحركة الهواء تبخرت تاركة الأملاح على سطح التربة .

وللفعل الشعري مدى معين يتوقف على عوامل منها سعة الانبوب الشعري والشد السطحي للمحلول والحرارة . كما أن لفعل التنافذ صلة بانتقال الاملاح في الأنابيب الشعرية .

إن الفعل الشعري يتوقف إذا جفت التربة . فاذا كانت الطبقات العليا من التربة جافة فان المحلول الملحي في الطبقات السفلى منها لا يصعد الى الطبقة العليا . أما إذا كانت طبقات التربة العليا مرواة وبلغت مياه الري في نزولها في التربة منطقة القاعدة المائية فنشأت صلة بين

القاعدة المائية وسطح التربة صعدت عن طريقها بالأنابيب الشعرية مياه القاعدة المائية المالحة ويستمر صعودها ما دامت محاليل التربة العليا في تبخر والا يجف سطح التربة فيوقف الجفاف الفعل الشعري . وخلال الصلة الشعرية تصعد الأملاح بالتنافذ كذلك ما دام في سطح التربة محلول أقل ملحية من محلول القاعدة المائية .

ومحصلة ذلك انتقال الأملاح الى سطح التربة بالمحلول الصاعد وبالتنافذ . وتتركز الأملاح في سطح التربة وتظهر بلوراتها على السطح بعد تبخر المحلول .

إلا ان مياه الري إذا لم تصل في نزولها في التربة الى منطقة القاعدة المائية فان الصلة لا تنشأ وان أملاح القاعدة المائية لا تصعد الى سطح التربة . لذلك فان ظهور الأملاح على سطح التربة مرتبط بكثرة الري وباستخدام كميات من الماء فيه تزيد على حاجة أجهزة النبات في التربة واستيعاب طبقات التربة العليا للماء . وان شدة انتقال الأملاح الى سطح التربة تتناسب ومدة استمرار الري الشديد واستمرار الصلة الشعرية التي أوجدتها مياه الري الفائضة بين طبقة التربة العليا التي تمتد فيها الجذور والطبقات السفلى التي تكون فيها مياه القاعدة المائيـــــة .

هبوط الأملاح الى القاعدة المائية :

إذا تركت الأرض وانقطعت مياه الري عنها فان فعلاً بطيئاً متقطعاً يأخذ مجراه في حركة الأملاح يؤدي الى انخفاض نسبة الأملاح في سطح التربة وانتقالها الى القاعدة المائية . وإذا استمر هذا الفعل أحقاباً مديدة ولم تحل عوامل موضعية دون استمراره كتشكيل التربة وتخطيطها فان نسبة الأملاح في سطح التربة وفي الطبقة الجذرية منها تنخفض وتصبح الأرض صالحة للزراعة . ذلك أن الأمطار اذا تساقطت بغزارة أذابت الأملاح من سطح التربة ومن المنطقة الجذرية ونزلت بها الى القاعدة المائية وذلك بتفاوت يتجه من أكثرها ذوباناً الى أقلها ذوباناً . ونهاية هذا الفعل أن تستقر الأملاح في القاعدة المائية . ويساعد في هذا الفعل أن

يجف سطح التربة جفافاً سريعاً بعد نزول المحلول فى التربة فينقطع العمل الشعري وهو ما يتوقع فى حالات فصلية معينة فى وادينا شبه الصحراوي . وتكون محصلة ذلك على مر العصور انخفاض نسبة الأملاح فى سطح التربة ورجوعها الى القاعدة المائية فى الطبقات السفلى من التربة .

ولقد وجدنا فى سياق بحوث تناولت نماذج مقطعية لعدد من الترب من جنوب الوادى أجريناها قبل ست سنوات أن نسبة الأملاح كثيرة الذوبان في الطبقات السفلى من بعض تلك الترب كانت أعلى منها في الطبقات العليا وهو على خلاف المتوقع فى صعود الأملاح من القاعدة المائية الى السطح . انه مما يدل على غسل طبقات التربة العليا بمياه عذبية تنزل الى طبقات التربة السفلى مذيبة الأكثر ذوباناً من الأملاح ثم الأقل ذوباناً .

كيف عولجت السباخ :

إن الطريقة التى تتضح من بعض المصادر التأريخية فى معالجة السباخ هي أن تنزع القشرة الملحية التي تغطي الأرض المالحة . وعرفت هذه الطريقة بالكسح . وورد ذكر هذه الطريقة فى المصادر التاريخية لما بعد الفتح الاسلامي . ويخال لنا أنها كانت الطريقة الوحيدة التى يعالج بها السبخ منذ أقدم الأزمنة . وهي طريقة أولية . وسوف نتداول الناحية الفنية من كسح السباخ فى فقرة تالية . ويكفي أن ننوه هنا أن طبيعة الوادي وانعدام التصريف الطبيعي فيه لم تكن لتساعد أهل الوادي على تتابع المدنيات فيه على التوصل الى طريقة أجدى فى معالجة السباخ .

وإن الطريقة القياسية فى تخليص التربة المالحة من أملاحها هي تصريف محاليل التربة المالحة بأقنية مفتوحة تشق الى أعماق معينة أو بأنابيب تطمر فى الأرض . وفى ترب وادينا لا بد من تصريف القاعدة المائية وأن تكون الأقنية والأنابيب على عمق يفي بهذا الغرض . فلا بد من تخليص التربة من الأملاح التى ظلت فيها منذ ظهورها من البحر . وانبساط الوادي وعدم إمكان توجيه مياه التصريف المالحة بالميل الطبيعي الى البحر أو إلى المنخفضات يحتم استخدام الضخ على نطاق واسع فى أغلب جهات الوادي . ولا يخفى أن استخدام الضخ يزيد بالتكاليف .

والمناهج التي وضعت أو التي توضع لهذا الغرض تقوم على هذه الطريقة القياسية .

نبذة تأريخية عن السباخ من مصادر ما قبل الفتح الاسلامي :

ورد ذكر السباخ وانتشار الاملاح مرتين في المصادر التأريخية القديمة أولاهما في كرسو على شط الغراف في حوالي سنة ٢٤٠٠ قبل الميلاد وثانيتهما في شمال بابل في حوالي سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد وكانت الاولى أشد وطأة من الثانية وأدت الى ضرر بالغ بالانتاج .

نبذة تاريخية عن السباخ من مصادر ما بعد الفتح الاسلامي :

كانت السباخ معروفة بانتشارها في جنوب الوادي وفي الحديث انه قال لانس وذكر البصرة ان مررت بها ودخلتها فاياك وسباخها . وكانت طريقة استصلاحها ان تزال القشرة المالحة التي تغطي سطح التربة وهي طريقة أولية لا يتيسر أحسن منها في طرق الزراعة الابتدائية . ولا شك انها طريقة انتقلت من أقدم الأزمنة . ومن الواضح ان طرقاً أوفى بالغرض منها لم تتيسر الا في عصرنا الحاضر . وكانت ازالة القشرة المالحة تعرف بكسح السباخ ويستخدم في الكسح ألوف الأيدي كان جلها من العبيد . ويرد ذكر السباخ وذكر الكسح كثيراً في أخبار الزنج وأخبار صاحب الزنج . على ان ذكر السباخ كان يقتصر على الوقائع وعلاقتها بحركات صاحب الزنج وعلى اشارات نادرة الى بعض التصرف بالسباخ . ولم نعثر على معالجة لموضوع السباخ في ناحيته العامة على الرغم من أن السبخ كان أحد عوامل الانتاج الرئيسة وانه كان من المشاكل الأولى التي تأثرت بها مدنيات هذا الوادي على تتابعها . ومن الاشارات النادرة الى التصرف بالسباخ ما ورد في الطبري ان علياً بن محمد نزل البصرة « وأظهر أنه وكيل لولد الواثق في بيع السباخ وأمر أصحابه أن يحملوه ذلك فأقام هنالك »[1] مما يشير الى ان السباخ كانت تابعة على صورة ما للدولة وان بيعها والتصرف بها كانا منوطين بها . ولا يغرب عن بالنا في إيراد ذلك قلة النصوص وندرة ما يمكن إيراده في معالجة ذلك .

إن ذكر السباخ في وقائع حرب الزنج كان كما قلنا مقتصراً على الوقائع التي يمر بها أو ينزل

(١) الطبري ص ١٧٤ .

فيها صاحب الزنج . ويمكننا مع ذلك ان نستنتج شيئاً ما من ذلك . وأهم ما نود ان نذكره هنا ما ورد في الطبري ان صاحب الزنج « نزل السبخة المعروفة ببرد الخيار ثم غدا في وقت المد قاصداً الى سبخة القندل وأكتنف اصحابه حافتي النهر [1] » وانه « انتهى الى قصر يعرف بالجوهري على السبخة المعروفة بالبرامكة فأقام فيه ليلته تلك ثم سار حيث أصبح حتى وافى السبخة التي تشرع على النهر المعروف بالديناري ومؤخرها يفضي الى النهر المعروف بالمحدث [2] » ويرد « قال شبل هي سبخة أبي قرة وقعها بين النهرين نهر أبي قرة والنهر المعروف بالحاجز فأقام هنالك وأمر أصحابه باتخاذ الأكواخ . وهذه السبخة متوسطة النخل والقرى والعمارات [3] » ولا تخرج النصوص الأخرى التي يرد ذكر السباخ فيها من هذا المآل .

ما نستقريه مصادر ما بعد الفتح الاسلامي

اننا نجد أن ذكر السباخ يرتبط بالأنهار وان السباخ تقع على الأنهار . ويمكننا لذلك أن نرجح ان كسح السباخ كان يرتبط بشق الانهار وان النهر يشق في السبخة ثم تستصلح . ويتفق ذلك وطبيعة السباخ والناحية الفنية من الموضوع فكل كسح لاينتهي الى مجرى مائي تنفذ اليه الاملاح بعد استخلاصها فتذهب الى البحر — كل كسح لاينتهي الى هذا لايعطي إلا نتيجة وقتية . ذلك ان الاملاح تعود فتنتشر الى الأرض المحيطة وتعود السبخة الى ما كانت عليه ان لم يكن حيث كسحت الأملاح تخبث السباخ المجاورة . ولا تخرج المنطقة بكاملها كوحدة مساحية عن نطاق حالة السبخ . وقد تنتهي المياه التي تحمل الأملاح الى منخفض بعيد منقطع جغرافياً وتخطيطياً . ولدينا أمثلة منها في منخفض الثرثار وما تجمع فيه من أملاح وفي هور أبي دبس . واذا كسحت الأملاح من أرض بعيدة عن النهر فان التربة المالحة تنقل الى حيث النهر ، وهنالك ما يشير الى ان التربة المالحة كانت تنقل على البغال لذلك فان استصلاح الأرض كان خاضعاً للمسافة ولامكان النقل .

كذلك نجد في تلك النصوص ما يشير الى ان في مواقع السباخ قصوراً ونخلاً وقرى وعمارات

(١) الطبري ، ص ١٨٢ . (٢) الطبري ، ص ١٨٧ . (٣) الطبري ، ص ١٩١ .

كان صاحب الزنج ينزل فيها . ويدل ذلك على ان تسمية تلك المواقع بالسباخ تشير الى حالتها قبل ان تستصلح لا إلى ما آلت اليه بعد استصلاحها .

لابد من الاشارة هنا بعد أن رجحنا ما تقدم بيانه الى حقيقة علمية هي في الأساس من موضوعنا هذا ذلك ان كسح الأرض أو ازالة القشرة الملحية منها لا يصلح الأرض بحد ذاته . وما يصلحها هو شق الأنهار فيها وفتح منافذ لتصريف محلول التربة المالح . فالكسح اذا أريد به أن يصلح الأرض فتعمر وتقام فيها القصور والعمارات دون أن يكون في الأرض منافذ للتصريف فانه يجب ان يتكرر على سنين طويلة جداً . فالأملاح تستمر بالصعود الى سطح الأرض ولا بد من الاستمرار في كسحها . ان نسبتها في مجموع التربة لاشك تنخفض بتكرار الكسوح إلا ان الانخفاض يقل مداه سنة بعد أخرى ولا تصل نسبة الاملاح الى حدود تجعل الأرض صالحة للزراعة بكسح او كسحين إذا كانت الأرض من الملحية بحيث تكسو سطحها قشرات من الأملاح . لذلك نرى أن كسح الارض لم يكن الا المبادرة الأولى الى استصلاحها وان تخليص الارض من الاملاح الى نسبة تجعلها صالحة للزراعة سببه المباشر شق الأنهار فيها وفتح مجال التصريف . ونجد ان ارتباط السباخ بالأنهار على صورة ملازمة كما ورد في الطبري يجيء مؤيداً هذا الترجيح .

الارض السبخة ليست أرضاً نترية :

وهنالك ناحية علمية أخرى عرضت لنا في سياق بحثنا . تلك هي ما ورد في بعض المراجع مما تناول تركيب السبخ . فقد ذكر البروفسور «ماسينون» في دائرة المعارف الاسلامية ص ١٢١٣ ان عمل الزنج كان كسح السبخ لجعل الأرض « النترية » صالحة للزراعة مستنداً في ذلك الى ما كان يعرف به الزنج من اسم الشورجية المشتق من كلمة الشورة الفارسية وهي النتر . ومستنداً الى معجم الطبري« لدي كويا » . واعتبر الأرض السبخة أرضاً نترية . ان لنا ملاحظة في هذا . فالنتر هو ملح البارود ويعرف كيميائياً بنترات البوتاسيوم . والسبخ ليس كذلك فهو يتكون

كيميائياً كما بينا فيما تقدم من أملاح هي كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) وكبريتات الكالسيوم المائية (الجبس) وأملاح المغنيسيوم وغيرها من الأملاح . وليس في مادة السبخ مركب نترات البوتاسيوم . وقد ثبت ذلك كيميائياً .

ولكن كيف التبس الأمر . اننا نرى أن الالتباس جاء على الشكل الآتي :—

إن في بلادنا وفي بلاد فارس وفي الهند وفي بلاد كثيرة أخرى نوعاً من الملح يعرف بالفارسية باسم الشورة . ويعرف في بلادنا بهذا الاسم نفسه . وهو نترات البوتاسيوم حقاً أو ملح البارود . ويظهر على سطح الأرض على شكل قشرة من الملح . وهو ينشأ من تحول المركبات العضوية النتروجينية في مواقع محددة أثرية أو مواقع كانت مأهولة في الماضي من الأزمان . ذلك ان المواد العضوية تتحلل بمرور الزمن وتتحول وتتأكسد ويأخذ النتروجين فيها تركيب النترات ، ثم تصعد مع مياه التربة الى سطح الأرض وتتبخر المياه وتترك بلورات النترات وغيرها من الأملاح فوق سطح التربة . وهي توجد في نقاط محددة لا تتعدى المواقع الأثرية ومواقع السكنى القديمة .

كنا قد أجرينا بحثاً قبل احدى وعشرين سنة في موضوع الشورة في البلاد تناول في أحد جوانبه مسحاً كيميائياً لمواقع الشورة ونسبها (تقريرا دائرة المباحث الصناعية للسنتين ١٩٣٧ — ١٩٣٨ و ١٩٣٨ — ١٩٣٩) تبين منه أن مصادر الشورة توجد في الدورة وسلمان باك في لواء بغداد وفي تلعفر والشورة والمزوري وتلكيف وتلسقف وقرهقوش في لواء الموصل وفي قره تبه وتازه خورماتو وبشير في لواء كركوك وفي خيكان الشرقي وخيكان الغربي وعلاك والخشخشية في لواء الحلة وفي خورمال في لواء السليمانية وفي مواقع أقل أهمية في لواء أربيل .

وتوجد نترات البوتاسيوم هذه في إيران حيث توجد هناك كذلك في المواقع الأثرية ومواقع السكنى القديمة وتعرف بالشورة كما تعرف في بلادنا كما قلنا . إلا إن كلمة الشورة تطلق كذلك في بلادنا على ما يظهر على سطح الأرض من ملح بصورة عامة لذلك يسمى السبخ غالباً بالشورة وعرف قديماً بالشورج . ومن هنا كانت تسمية غلمان الكسح بالشورجية والشورجيين .

وقد رجعنا الى «دي كويا» ـ معجم الطبري Glossaire de Tabari ـ الذي استند إليه «ماسينيون» في وصف الأرض السبخة « بالنترية » فوجدنا أن « دي كويا » عرف الكسح ـ السباخ ـ بأنه إزالة القشرة « النترية » للأرض . ولم يرد في النص الذي اثبته «دي كويا» عن « كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق » غير القول « وكان أهل البصرة في ذلك الوقت يشترون الزنوج ويخرجونهم إلى السباخ فيكسحونها حتى يصلوا الى التربة الطيبة فيعمرونها وكسوح الزنج بالبصرة معروفة يشاهد منها تلال كالجبال وكان في أنهار البصرة منهم عشرات ألوف يمذبون بهذه الخدمة ويجري عليهم أوقاتهم من الدقيق والتمر » ولم نجد ذكراً للنتر في هذا النص ولا عجب فان « النتر » مادة عرف وجودها في التربة بعد هذا التاريخ بقرون عديدة ومؤلف كتاب العيون من أهل القرن الخامس أو السادس الهجري على ترجيح بروكلمن .

ثم رجعنا الى المراجع والمعاجم التي سبقت معجم الطبري (١٩٠١) فلم نجد أن تعريفها السبخ تضمن إشارة الى « النتر » .

لذلك يخال لنا أن ترجمة السبخ « بالنتر » ظهرت لأول مرة في معجم الطبري « لدي كويا » المطبوع في ليدن سنة ١٩٠١ ، وان منشأ الالتباس الترجمة الحرفية للشورج أو الشورة في أوائل هذا القرن بكلمة « النتر » .

والسبخ ليس « بنتر » ولا تدخل النترات في تركيبه والأرض السبخة ليست أرضاً نترية .

نتائج البحث :

نجمل فيما يلي النتائج التي نتوصل اليها في هذا البحث بشقيه أولها بحوث الملحية التي أجريت في مختبرات البحوث العلمية والصناعية على فترات متتابعة منذ سنة ١٩٤٠ وثانيها المراجع التأريخية وعلى الأخص مصادر ما بعد الفتح الاسلامي .

أولاً — إن المصدر الرئيس لأملاح الوادي مياه البحر التي تكون الوادي تحتها وان أملاح مياه الري مصدر ثانوي .

ثانياً — إن الأملاح بقيت في الوادي على مر العصور والاحقاب لأن الوادي منبسط والميل الطبيعي فيه نحو البحر أو المنخفضات صغير والتصريف بطيء . وتركزت الأملاح في القاعدة المائية في الطبقات السفلى من التربة على شكل محلول ملحي مركز أو تبلورت على سطح الأرض على شكل قشرة ملحية .

ثالثاً — تتركز الأملاح في سطح الأرض إذا زرعت الأرض وكان ريها شديداً فيهبط انتاج الأرض ثم تصبح غير صالحة للزراعة .

رابعاً — عند ما تترك الأرض عصوراً مديدة تأخذ الأملاح بالرجوع الى القاعدة المائية في الطبقات السفلى من التربة بفعل الأمطار المدينة الغاسلة التي يليها جفاف سريع يوقف الفعل الشعري وفعل التنافذ ولا تقر الأملاح في مجموع التربة بل تنتقل من السطح الى القاعدة المائية ويصبح سطح التربة والمنطقة الجذرية فيها صالحان للزراعة .

خامساً — إن تتابع المدنيات في أرجاء الوادي كان خاضعاً فيما خضع له لتتابع ظهور الملحية في طبقات التربة العليا ورجوعها الى القاعدة المائية . فمن ارتفاع ووفرة في الانتاج العام في عصر مدنية زاهرة الى هبوط في الانتاج وشح متناهيين في عصر ضعف وتحول بسبب ظهور الملحية . ثم تصلح الأرض اذا تركت احقاباً فاذا كان آز [1] من اواز التأريخ ظهرت مدنية جديدة . إن بعض محاصيل الوادي التي لا تخشى الملحية على انتاجها كالشعير والنخيل كانت صلة الوصل بين المدنيات المتتابعة ولو لا تلك الحاصلات القليلة لكان البون بين كل اوج وكل حضيض في انتاج الوادي وفي تتابع المدنيات فيه أشد بعداً .

سادساً — إن ما قد يؤدي اليه نمو بعض أنواع النبات عميقة الجذور من انخفاض في مستوى القاعدة المائية وبالتالي إبعاد الأملاح من سطح التربة وعن المنطقة الجذرية فيها ليس بعامل هام في صلاح الأرض . والانخفاض هو الى ذلك موسمي وموضعي .

(١) وضع المجمع العلمي العراقي مصطلح آز لمصطلح Catalyst .

ومياه القاعدة المائية جسم واحد متصل الأرجاء . لذلك فان نمو « الشوك » و « العاكول » في سنة تترك فيها الأرض وهو ما اعتبره البروفسور « رسل » مفيداً في إبعاد الأملاح عن سطح التربة — إن هذا النمو لا يؤدي الى انخفاض القاعدة المائية الى درجة محسوسة وإيجاد طبقة جافة في الأرض تحول دون الفعل الشعري .

سابعاً — السبخ ليس « النتر » ولا يوجد مركب النتر في تركيبه وقد ثبت ذلك كيمياوياً . واعتبار الأرض السبخة أرضاً « نترية » خطأ نشأ من ترجمة كلة الشورة الفارسية في السنين المتأخرة بكلمة « النتر » ترجمة حرفية . وكان ان أطلقت كلة الشورة أو الشورج على السبخ لتشابه ظهور السبخ كقشرة ملحية وظهور الشورة في المواقع الأثرية ومواقع السكنى القديمة كقشرة ملحية مماثلة . وكذلك إطلاق غلمان الشورجين على العبيد الذين يعملون في كسح السباخ .

شيث نعمان

مخطوطات المكتبة القادرية ببغداد

— ١ —

تعريف بالمكتبة القادرية

لقد مرت على المكتبة القادرية أدوار من المصائب ، ونزلت بها نكبات عديدة ، وامتدت إليها أيد أثيمة في تاريخها الطويل ، وهي ما زالت محافظة على وجودها تقاوم الأيام ، فهي المكتبة الوحيدة في بغداد التي مرّ عليها زمن يقرب من تسع مئة سنة . ففي القرن الخامس الهجري (القرن الحادي عشر للميلاد) شيّد الحافظ قاضي القضاة ببغداد أبو سعيد المبارك المخرّمي مدرسة علمية بباب الأزج شرقي بغداد ، تخرج فيها فيما بعد السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني المتوفى سنة ٥٦١ هـ (سنة ١١٦٥ م) . وقد نظم الشيخ خزانة كتب في هذه المدرسة ، جمع فيها مؤلفاته ، وكتباً كثيرة من أنفس الكتب ونوادر المخطوطات . وقد وجدت في إحدى مكتبات مصر مخطوطة لكتاب تاريخ الخطيب البغدادي كتب على ظهرها ما نصه : « تملكته بالشراء الشرعي ببغداد ، وأنا الفقير إليه عزّ شأنه عبد القادر الكيلاني سنة ٥٢٥ هـ » (سنة ١١٥٧ م) . وبعد وفاة الشيخ عبد القادر الكيلاني تولى المكتبة ابنه الشيخ عبد الوهاب ، وأضاف إليها الكثير مما خطه بيده ، إذ كان حسن الخط ، فضلاً عن مؤلفاته الكثيرة . والمطلع على تاريخ المكتبة بالتفصيل يرى الأجيال المتعاقبة في الأسرة الكيلانية تضيف إليها الكتب ، وتستنسخها سنة بعد أخرى . غير أن المكتبة ذهبت ضحية التمزيق لأول مرة سنة ٦١٨ هـ (١٢٢١ م) من قبل وزارة ابن يونس كما روى ذلك المؤرخون كالحافظ الذهبي وابن العماد الحنبلي وغيرهما ، إلا أنها ظهرت بعد ذلك بخمس

عشرة سنة ، وردّ إليها ما تبقى في حيازة أفراد الأسرة الكيلانية هنا وهناك ، واستمرت في الاتساع حتى زمن سقوط بغداد في يد التتار سنة ٦٥٦ هـ (سنة ١٢٥٨ م) ، وعندهـا وقعت فريسة للنهب والتخريب اللذين امتدا أيضاً إلى المدرسة نفسها ، كما امتدا الى رباط الشيخ والجامع الذي كان قد شيده أولاده والذي كان يدعى (ذا القباب السبع المذهبة) . وبعد مرور زمن طويل ، أعيدت المكتبة مرة أخرى بجهود ذرية الشيخ عبد القادر الكيلاني ، وهم الذين تولوا إدارة الوقف القادري والمدرسة والمكتبة ، وأزدحمت المكتبة بالطالبين والوراقين والنساخين . غير أنها أطاحت بها النيران زمن الشاه إسماعيل الصفوي سنة ٩١٣ هـ (١٥٣٤ م) . ثم عادت فدمرت بعد ذلك بحوالي مئة سنة على أيدي الصفويين أيضاً . ولكن ما كاد السلطان الفاتح مراد الرابع يسترجع منهم بغداد لآخر مرة سنة ١٠٤٨ هـ (سنة ١٦٣٨ م) حتى ظهرت المكتبة الوجود ، وبقيت محفوظة منذ ذلك اليوم يتعهدها نقباء بغداد .

ومن الممتع أن من بين الذين ساهموا في الإشراف على المكتبة وتوسيعها سيدة أشتهرت بحبها للعلم منذ زهاء مئة وخمسين سنة ، هي عاتكة خاتون بنت السيد علي الكبير نقيب الأشراف الأسبق المتوفى سنة ١١٩١ هـ (سنة ١٧٧٧ م) . فقد شيدت مدرسة بأسم (مدرسة عاتكة خاتون) مقابل الجامع الكيلاني ، ووقفت عليها كتباً كثيرة كتب على ظهر كل مجلدة منها : (وقف المدرسة الخاتونية سنة ١٢١٥ هـ) ، وتحته ختم (عاتكة) . غير أن هذه المدرسة أندثرت بسبب الطاعون والغرق سنة ١٢٤٦ هـ ، فنقلت كتبها إلى المكتبة القادرية . ومن آخر من عني بهذه المكتبة العلامة السيد عبد الرحمن المحض الكيلاني نقيب الأشراف المتوفى سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) . فقد كان له ولع عجيب بجمع الكتب : حديثها وقديمها ، مخطوطها ومطبوعها ، ينفق عليها الكثير من ماله . وكان أحياناً يراسل الخطاطين في مصر وسورية والمغرب واستنبول ، لينسخوا الكتب التي يريدها ، كما أنه كان يستحضر كميات كبيرة من ورق الترمة وغيره من الصين والهند ، لتسد حاجة الناسخين في بيته ، فجمع مكتبة

خاصة بقي الآن منها ما يربي على ثماني مئة مجلد مخطوط وأربعة آلاف مجلد مطبوع ، جعلها وقفاً على المكتبة القادرية . وقد نسقت أخيراً في غرف جميلة فتحت للطالبين والزائرين . وفي هذه المكتبة تحف نادرة من المخطوطات . وقد يتمثل فيها الفن الاسلامي على أحسنه من حيث الخط وجودته والتنميق والزخرفة واستعمال الذهب والمينا اللازوردية والتجليد ، ومن هذه المخطوطات القديمة النادرة ما يعود تاريخه الى سبع مئة سنة ، وبعض المخطوطات محلى بالذهب الخالص والمينا اللازوردية .

وهكذا نرى في المكتبة القادرية استمراراً لذلك التراث العلمي العربي الذي ما انفك نوره يشتد ويخبو ، بالرغم من عوادي الزمن التي حلت بمدينة بغداد .

وها أناذا أبدأ بنشر فهرس لأهم الكتب المخطوطة في هذه المكتبة .

— ٢ —

نوادر مخطوطات المكتبة القادرية

أ ـ المصاحف

إذا أردت أن ترى نسخة من أجل نسخ القرآن الكريم ، وأروعها خطاً وزخرفة ، وأكبرها حجماً ، تجدها في هذه الخزانة .

هي نسخة في مجلدين . طولها نحو المتر ، وعرضها ٦٠ س ، رقمها في المكتبة ١ و ٢ . وإذا فتحت أحدهما ، وجدت الصفحات محلاة بالذهب الخالص والمينا اللازوردية ، والآيات قد خطت بالمداد الأسود ، وأسماء السور بالذهب الخالص والمداد الأحمر والأزرق ، وحول الآيات في كل صفحة إطارات أو هوامش متتالية ، كل منها تفسير للقرآن الكريم بالعربية ، وأحدها تفسير بالفارسية . وقد خط بعض التفاسير على شكل مزهريات وأوراد مذهبة منمقة . وعدد صفحات هذا المصحف ١٨٠٠ ص . أما ورقه فحرير ناعم يعرف (بالترمة) حمي اللون ،

وهو ورق كان يستورد من الصين لكتابة المخطوطات القيّمة . وقد كانت هذه النسخة الرائعة من القرآن الكريم هدية قدمها حاكم مقاطعة كشمير السردار عبد الله خان الدراني الكوزئي سنة ١٢١١ هـ (١٧٩٦ م) .

— منه ثلاث نسخ أخرى لخطاطين آخرين .

ب – التفسير

من كتب التفسير :

حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي البيضاوي

مؤلف الحاشية : السيد صبغة الله بن إبراهيم الحيدري ، المتوفى في طاعون بغداد سنة ١١٨٦ هـ ، أولها : « الحمد لله الذي أنار من محض الفضل والجود ، حواشي عالم الإمكان بنور الوجود الخ » .

خطت بقلم النسخ الرفيع بالمداد الأسود ، وأسماء السور بالمداد الأحمر . حسنة الخط على قاعدة نس تعليق . بخط العلامة السيد عبد الرحمن فيض الله القادري نقيب الأشراف المتوفى سنة ١٢١٧ هـ . فرغ منها يوم الخميس ١٥ ذي القعدة سنة ١١٨٤ .

رقم الحاشية ٢٥ ، قياسها ٢٨ × ١٧ س ، عدد سطور الصفحة ٢١ س ، مجموع الصفحات ٣٧٠ ص ، ورقها من نوع الترمة .

وكتب على ظهر المخطوط ما نصه : « هذه الحاشية من كتب والدنا الحاج صفيان سنة ١٢٩٦ هـ » .

توفي المؤلف ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي بتبريز سنة ٦٨٥ هـ وكان قاضياً بشيراز .

— منها أربع نسخ أخرى لمؤلفين آخرين .

كتاب التمييز

في الرد على الزمخشري فيما ذهب اليه من الاعتزاليات

مؤلفه عمر بن خليل السكوني المغربي المتوفى سنة ٧١٧ هـ . أوله : « الحمد لله رب

العالمين . أما بعد ، فأن هذا الكتاب هو مختصر في أصول الدين ، جعله مقدمة لكتابه المسمى بالتمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في تفسيره للكتاب العزيز .. » خط بقلم الثلث ، خط شامي حسن ، ورقه سميك ، مداده أسود مركب من ماء الورد . وكتب في آخره : « كمل كتاب التمييز ، ووافق الفراغ منه يوم الأحد أول رجب سنة ١١٤١ هـ » . وكتب على ظهره بالعامية : « هذا الكتاب مال بيت الراوي سنة ١١٤٧ هـ » .

رقم الكتاب ١٦ ، قياسه ١٩ × ١٤ س ، عدد السطور ٢٥ س ، مجموع الصفحات ٣٥٠ ص .

كتاب التبيان في آداب القرآن

للشيخ محي الدين يحيى بن شرف النواوي المتوفى سنة ٦٧٠ هـ . ناقص الأول ، يقول مؤلفه في الصفحة الثانية منه ما نصه : « من نعمه التي لا تحصى خصوصاً على نعمة الايمان ، وأسأله المنة علي وعلى جميع أحبائي وسائر المسلمين بالرضوان ، فقد رأيت أهل بلدنا دمشق مكثرين من الاعتناء بتلاوة القرآن تعلماً وتعليماً ، وعرضاً ، ودراسة ، جماعات وفرادى . وقد ابتدأت بتصنيف هذا الكتاب يوم الخميس ١٢ ربيع الأول سنة ٦٦٦ هـ » . وقد رتبه مصنفه عشرة أبواب . هذه النسخة نفيسة جداً . بقطع الربع . خط شامي حسن الخط . خطت بمداد أسود مركب من ماء الورد ، والأبواب بالأحمر . ورقها من نوع المشمر السميك . وكتب في آخرها : « تم نسخه على يد الفقير قاسم بن أحمد بن علي في ١٦ ذي الحجة سنة ٧٠٠ هـ » . وكتب على ظهر المخطوط ما نصه : « سمع جميع ما في التبيان الفقير الى الله محمد بن عبد اللطيف ابن بكر بن محمد الليحي ، وقريء على مولانا شيخ الاسلام يحيى زكريا الأنصاري ، بقراءة الشيخ عبد الباسط بن أحمد الهيتمي الأزهري في مجالس ، آخرها يوم الاثنين المبارك ١٧ رجب سنة ٩٢٢ هـ . وأجاز سيدنا للقاريء واني مقر اجازة ذلك وما تجوز له عنه روايته الحمد لله بذلك التاريخ أعلاه . شيخ مشايخ الاسلام أبو يحيى زكريا الأنصاري حامداً ومصلياً » .

رقم الكتاب (١٠) ، قياسه ١٧ × ١٢ س ، سطور الصفحة ١٨ س ، المجموع ٢٩٠ ص .

كتاب الحقائق في التفسير

الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن الحسين السلمي النيسابوري المتوفى سنة ٤١٢ هـ . أوله : « الحمد لله الذي خصّ أهل الحقائق بخواص أسراره وجعلهم أهل الفهم لخطابه ، والعالمين بلطائف ودائعه في كتابه المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فأخبروا عن معاني خطابه الخ » . خطّ بخط مغربي ، ورقه شـــــامي سميك حمصي اللون ، واضح القراءة ، متوسط الخط . وقد جمله مؤلفه على لسان أهل التصوف ، وطعن فيه ابن الجوزي . وكتب في آخره : « فرغت من دروه وتنميقه لنفسي وأنا الفقير المعين بن محمود صدر الحسيني الأردكاني » . وكتب على ظهر المخطوط ما نصه : هذا التفسير للامام السلمي على مذهب الصوفية . وهو من كتب خليـل الله بن محمد بن أحمد بن يحيى . وتملكه عبـد الله بن شمس الدين بن نجم الدين الأردكاني . ثم صـار ملـكاً للفقير محمد بن أحمد . ثم صار ملكاً للسيد عبـد الرحمن النقيب القادري سنة ١٣١٧ .

رقم الكتاب ١١ قياسه ، ١٩ × ١٣ س ، ســــطور الصفحة ٢٣٠ س ، المجموع ٢٧٠ ص .

كتاب تبصرة المبتدى وتذكرة المنتهى

للشيخ ابراهيم الوصلي . أوله : « الحمد لله الذي أنزل على عبده الفرقان وبصره الخ » . خط بقلم النسخ على قاعدة خطوط بغـداد . ورقـه مقطوع . متوسط الخط . وكتب في آخره : « وكان الفراغ من نسخه في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٢٣٥ هـ على يد ناسخه الفقير أحمد » .

الرقم ٣٩ قياسه ١٤ × ١٠ س : ص ١٣ المجموع ١٧٠ ص

ج – الحديث

ومن كتب الحديث :

كتاب الجامع الصحيح

مؤلفه الإمام البخاري ، أوله : « قال الشيخ الإمام الحافظ : باب كيف كان بدء الوحي » خط بقلم النسخ الرفيع على قاعدة نسخ تعليق ، حسن الخط ، ورقه من نوع الترمه ، وفي أول الكتاب طغراء علاة بالذهب الخالص والمينا اللازوردية . خط بمداد أسود ، والأبواب والكتب بالمداد الأحمر ، ومجدول بالأحمر والأزرق والذهب . وكتب في آخره : وقع الفراغ من نسخه يوم الخميس لعشر بقين من جمادى الأولى سنة ١١٨٦ هـ بخط الخطاط اسماعيل الشيخ صالح البصري استكتبه الى السيد علي نقيب الاشراف ، وان السيد علي الوما اليه وقفه على المكتبة القادرية بموجب وقفية محررة على ظهر المخطوط ، وفي ذيلها ختم الواقف وحكم القاضي بصحة الوقف .

رقم الكتاب ٥٥ ، قياسه ٣٣ × ١٦ س ٢٥ س الصفحة ، المجموع ٥٨٠ ص .

— منه نسخة أخرى بغير هذا الخط .

كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد

مؤلفه الإمام الحافظ عمر بن عبد البر القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ . ناقص الأول . خط شامي ، حسن الخط ، ورقه شامي حمصي اللون سميك ، ومداده أسود ، وأسماء الرجال بالمداد الأحمر . وقد رتبه مصنفه على أسماء شيوخ الإمام مالك بن أنس على حروف الهجاء . وهو كتاب نفيس ، لم يتقدمه مثله . وهو سبعون جزءاً ، جيد التصنيف ، من أجود الكتب وأندرها . وقد دخل في ملك كثيرين في أزمنة مختلفة . وكتب في آخره : « كمل كتاب التمهيد في الموطأ من المعاني والأسانيد في عشية يوم الجمعة ، وهو يوم عرفة ٩ ذي الحجة سنة ٧٣٩ هـ على يد الفقير محمد بن محمد بن يونس التونسي الخطيب بمسجد عذرى ظاهر دمشق المحروسة » .

منه نسخة في مكتبة ميرخواجه بجامع الوالدة العتيق في أسكدار استانبول .

رقمه ٧٢ ، قياسه ٢٥ × ١٦ س ، ٢٣ س الصفحة ، المجموع ٤٢٠ ص .

كتاب جامع التحصيل في أحكام المراسيل

للشيخ صلاح الدين أبي سعيد خليل بن كيكلدى العلائي الشافعي الحافظ ، المتوفى سنة ٧٦١ هـ . أوله : « الحمد لله القديم الذي لم يزل قبل كل شيء أولاً » . وقد رتبه على ستة أبواب لخصه من تهذيب الكمال ومختصره . خط بقلم ريحاني ، خط شامي ، ورقه شــــامي سميك ، حمصي اللون ، حسن الخط . نسخة نفيسة جداً . كتب في آخره : « قال مصنفه فرغت منه يوم الأحد خامس شوال سنة ٧٤٦ هـ بالقدس الشريف » ، وكتب بذيله : « بلغ مقابلة من أوله الى هنا على أصل المؤلف ماسكاً أصله ، وأنا أقرأ عليه بصحن الصخرة ، وبعضه بالصلاحية ، كلاهما بالقدس الشريف عمره الله وصانه وسائر بلاد المسلمين ، وأنا الفقير ملا عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشامي هكذا أخبرني به خطيبها » .

وكتب على ظهر المخطوط الإجازة التالية :

« الحمد لله وسلامه على عباده الذين اصطفى . قرأ علي جميع هذا الكتاب الشيخ الفقيه الإمام العالم المحدث الحافظ المتقن البارع سراج الدين شرف الفقهاء والمحدثين وفخر الفضلاء أبو حفص عمر ، بن الشيخ الإمام الأوحد الأستاذ أبي الحسن علي بن أبي العباس ؛ وقابل نسخته هذه معي حالة القراءة ، وأنا ممسك الأصل الذي بخطي . وسمع أول الكتاب الى حرف الحاء من معجم الرواة فيه الشيخ الإمام العابد الأوحد عماد الدين أبو الفداء اسمعيل بن سيدنا الشيخ الإمام العلامة بركة المسلمين وقدوة العاملين شهاب الدين أبي أسحاق ابراهيم ، بن عبد الرحمن ، بن الساعد الكناني . وكانت القراءة في مجالس متعددة بالمســـــجد الأقصى والمدرسة الصلاحية من القدس الشريف ، آخرها يوم السبت الرابع عشر من المحرم الحرام سنة ٧٥٠ هـ ، وأجزت المذكور بجميع ما يجوز لي وعني روايته من منقول ومعقول بشرط الدعاء » .

وكتب في ظهر المخطوط اشارات من تملكه في أزمنة مختلفة ، منهم الشـــــيخ محمد أمين السويدي ، ثم انتقل إرثاً الى ابنته نائلة السويدي ، ثم انتقل الى السيد عبد الرحمن النقيب .

رقم الكتاب ٥٣ ، قياسه ٢٥ × ١٧ ، س ٢٥ س الصفحة ، المجموع ٣٥٢ ص .

مسند الإمام أحمد بن حنبل

نسخة نفيسة جداً ، بخط الملا محمد بن علي بن ملا أحمد سبته إمام مسجد الدسابيل ، بقطع النصف ، ورقها خيسي أبيض ، بمداد أسود ، والعناوين بالأحمر ، حسنة الخط . كل نسخها في سنة ١٢٩٦ هـ . وقد أشرف على تصحيحها ومقابلتها العلامة محمد أبو الخير خطيب الجامع الأموي ، وكتب بخط يده بالمداد الأحمر بذيلها :

« قابلت الجزء الأول من مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وقد سهل الله تعالى لي المقابلة أيضاً من مسند سيدنا أبي سعيد الخدري على أصل قوبل على نسخة سيدنا عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل ، قد تداولها اعلام ، وجهابذة فخام ، كابن عساكر وأمثاله من رجال الحديث . غير أن النسخة المقابل عليها مهملة ، وعلى رسم الخط القديم الذي يقرب من الكتابة الكوفية ، وأمضت جهدي في المقابلة على حسب طاقتي ، فقد وجدتها ناقصة ورقة واحدة ، فلم أجد نسخة أخرى أقابل عليها تلك الورقة . وقد كتبت على طرف الهامش بالقلم الأحمر بأنه ناقص الأصل ورقة ولله الحمد . كتبه الفقير محمد أبو الخير خطيب الجامع الأموي بدمشق سنة ١٣٠٣ هـ » .

رقم المسند ٩٣ ، قياسه ٣١ × ٢٢ س ، عدد سطور الصفحة ٣٥ س ، مجموع الصفحات ٥٩٦ ص . أما الجزء الثاني فهو بدون القياس وصفحاته ٦٧٠ ص .

— نسخة ثانية بخط خطاط آخر .

مسند الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى ١٥٠ هـ

مؤلفه الشيخ محمد بن محمد بن أحمد الحمارى ، أوله : « أخبرنا الشيخ أبو سعيد بن إبراهيم بن ولدك السقمي قراءة عليه ، وأنا أسمع في سنة خمس وخمسين وخمس مئة بدمشق . قيل له أخبرك الشيخ الإمام أبو عبدالله الحسين بن محمد بن خسرو البلخي بقراءتك عليه سنة ٥٢٥ هـ ، قال : الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الخ » . وقد رتبه على الحروف الهجائية في ترجمة كل شخص .

خط بقلم النسخ ، خط شامي ، ورقه شامي سميك ، حسن الخط ، مداده أسود مركب من ماء الورد . نسخة نفيسة جداً . وكتب في آخره : « تم نسخه على يد الفقير محمد بن أبي بكر بن أحمد بن يحيى الحنفي الإسكندري بلداً ومنشأً بدمشق في الجامع الأموي في ٨ ذي القعدة سنة ٨٧٢ هـ » . وكتب في ذيله : تم نسخه على يد مؤلفه محمد بن محمد بن أحمد البخاري في سلخ جمادى الآخرة سنة ٧٤٦ هـ . هكذا كان مكتوباً بخط مؤلفه : فرغ من كتابة عيون المذاهب محمد بن أبي بكر بن يحيى الاسكندري بلداً في مدينة القدس الشريف من نسخة نسخت بخط المؤلف كما ذكر أعلاه ، وهو الشيخ قوام الدين الكاكي بعد صلاة الظهر الثالث من شهر ذي الحجة الحرام سنة ٨٧٢ هـ . وتاريخ النسخة التي نسخت منها فرغ من نسخها بعد صلاة الظهر في ٣ رجب ٨٠١ هـ في المدرسة الصرغتمشية » .

رقم الكتاب ٩٧ ، قياسه ١٨ × ١٤ س ، ٢٥ س الصفحة ، مجموع الصفحات ١٥٠ ص .

كتاب شرح معالم السنن

مؤلفه محمد بن محمد الخطابي الشافعي المتوفى سنة ٣٨٠ هـ أوله : « الحمد لله الذي هدانا لدينه ، وأكرمنا بسنة نبيه ، وجعلنا من العاملين بها والتابعين لها والمتفقهين فيهما .. » . وقد رتبه على أبواب ، وأجاب فيه السائل من تفسير وشرح كتاب السنن لأبي داوود سليمان بن الأشعث ، وأوضح ما يشكل من متون ألفاظه ، وبدأ بكتاب الطهارة ، وأنتهى بباب الأمر بالمعروف . خط بقلم النسخ الرفيع ، حسن الخط ، ورقه ترمة . وكتب في آخره : « تم نسخ هذا الكتاب لست مضين من جمادى الآخرة سنة ١٣٠٤ هـ على يد ملا محمد بن علي بن أحمد سبته إمام جامع القسابيل » . وكتب بذيله العلامة السيد محمود شكري الآلوسي : « قد قابلت هذا الكتاب الحري أن يكتب بالتبر الذائب على النسخة المنقول منها المؤرخة سنة ٥٧١ هـ ، ولم آل جهداً في التصحيح ، ولا في التحرير والتنقيح ، وذلك بأمر عليّ الهمم ، كثير اللطف

والكرم ، الحائز للرياستين العلمية والعملية ، والجامع للسعادتين الأخروية والدنيوية ، ناصر السنة ، ومبيد أهل البدع والفتنة ، عمدة الأنجاب ، أعني به الفرد الذي ثنيت له الوسادة فلم يثن الاجماع ، والجامع لمتفرقات الفضائل حتى نال كمال الارتفاع ، سيدي وسندي ذي النور الساري ، صاحب السماحة نقيب زاده السيد عبد الرحمن القادري ، وأنا الفقير اليه عز شأنه السيد محمود شكري الآلوسي الحسيني مدرس المدرسة الداوودية إحدى مدارس بغداد ، صينت عن الأكدار والأنكاد ، يوم الثلاثاء ٢٢ ربيع الأول سنة ١٣٠٦ هـ » .

رقم الكتاب ٨٥ ، قياسه ٣١ X ٢٠ س ، ٣٥ س الصفحة ، المجموع ١١٢٠ ص .

كتاب شرح الجامع الصغير

للشيخ حسام الدين عمر بن عبد العزيز البخاري المتوفى شهيداً سنة ٥٣٦ هـ . أوله : « الحمد لله رب العالمين » . وقد رتبه على أبواب الخ . خط بقلم النسخ الرفيع بمداد أسود ، والأبواب بالأحمر . ورقه من نوع المقطوع حمصي اللون ، حسن الخط . وكتب في آخره : « تم نسخه في بلدة أقسرا في المدرسة التاجية ، على يد الفقير سليمان بن يوسف الطرسوي ، في شهر شعبان سنة ٧٤٩ هـ » . وعليه حواشي بعين الخط . وكتب على ظهره ما نصه : « تملكه السيد عبد الواحد بن مصطفى الحلبي الحنبلي سنة ١١٥٣ هـ ، وتملكه أحمد الحاج خليل » .

ومؤلف الجامع الصغير هو محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٧ هـ .

رقم الكتاب ٧٧ ، قياسه ٢٤ X ١٦ س ، ٢٣ س الصفحة ، المجموع ٤٢٠ ص .

— نسخة أخرى من شرح الجامع الصغير للشيخ محمد بن عبد الرؤوف المناوي . أوله : « الحمد لله الذي علمنا من تأويل الأحاديث الخ » .

اللباب في الجمع بين السنة والكتاب

للشيخ علي بن زكريا بن مسعود المنبجي المتوفى سنة ٦٨٦ هـ ، أوله : « الحمد لله على آلائه الخ » . وقد رتبه على ترتيب أبواب الفقه . خطه مغربي ، أكثره مهمل ، ورقه شامي سميك

حمصي اللون ، حسن الخط ، مجهول ناسخه وتاريخ نساخته . وهو خط قديم . نسخته في غاية النفاسة .

رقم الكتاب ٩٠ ، قياسه ٢٦×١٧ س ، ٢٣ س الصفحة ، المجموع ٤٥٠ ص بقطع النصف .

المفاتيح في شرح مل المصابيح

مؤلف المصابيح الحسين بن مسعود الفراء المتوفى سنة ٥١٦ هـ ، والشارح مظهر الدين الحسين بن محمود بن الحسن الزيداني المتوفى سنة ٧٢٧ هـ . أوله : « الحمد لله الذي ملأ السموات وملأ الارض وملأ ما يشاء بعد هذه الأشياء الخ » . وقد رتبه على مقدمة وأبواب . خط بقلم النسخ الرفيع ، سقيم الخط ، الا أنه يقرأ بوضوح ، ورقه خميسي . وقد أورد مؤلفه أصطلاحات أصحاب الحديث وأنواع علومه .

وكتب في آخره : « تم نسخه يوم الأثنين سنة ٨٦٠ هـ » مجهول ناسخه .

رقم الكتاب ٨٤ ، قياسه ٢٥ × ١٥ س ، ٢٥ س الصفحة ، المجموع ٥٠٢ ص .

وكتب على ظهر المخطوطة : « تملكه بالشراء الشرعي السيد عبد الرحمن المحض القادري نقيب الأشراف ومتولي أوقاف جده السيد الشيخ عبد القادر الجيلاني سنة ١٣١٨ هـ » .

ر ـ العقائد

ومن كتب العقائد :

كتاب السيف اللماع على المفتي المفتون بالابتداع

مؤلفه أبو الحسن الشيخ برهان الدين البقاعي الشافعي . أوله : « الحمد لله الذي لا حدّ لعظيم عظمته ، والله أكبر . » رد به مصنفه على سؤالين أجاب عنهما مفتي زمنه . خط بقلم النسخ الرفيع ، حسن الخط ، بقطع الربع ، ورقه من نوع الخيمي ، حمصي اللون ، خط بمداد أسود ، والمعول بالمداد الأحمر ، أكثره مهمل ، وكتب في آخره : « فرغ من تأليفه في شهور ربيع

الأول سنة ٨٨٢ هـ . » والظاهر أنه بخط مؤلفه حيث يقول : « فرغت من نسخه في نصف شعبان سنة ٨٨٢ هـ » .

رقم الكتاب ١٢١ ، قياسه ٢١ × ١٥ ، س ٢١ الصفحة ، المجموع ٩٥ ص .

كتاب الصارم الحديد في عنق صاحب سلاسل الحديد

مؤلفه أبو الفوز محمد أمين السويدي ، أوله : « الحمد لله الذي رضي الإســـلام لنا ديناً ، ونصب لنا الدلالة على صحته برهاناً مبيناً ، فهو دينه الذي ارتضاه لنفســه ، ولأنبيائه ورسله وملائكة قدسه .

وقد خط هذا الكتاب بقلم النسخ الرفيع بقطع النصف بمجلدين ضخمين ، حسن الخط ، ورقه من نوع الترمة ، مداده أسود براق ، والفصول والأبواب بالمداد الأحمر . وكتب في آخر المجلدة الأولى : « تم الكتاب يوم الثلاثاء ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٠٨ هـ بقلم الملا محمد بن علي بن أحمد سبته إمام المسابيل » ، وكذلك كتب في آخر المجلدة الثانية .

رقم المجلدة الأولى ١٦٥ ، ورقم المجلدة الثانية ١٦٦ قياسه ٣١ × ١٧ س ٣١ س الصفحة ، مجموع صفحات المجلدة الأولى ٩٠٠ صفحة ، وصفحات المجلدة الثانيــة ٩٠٠ صفحة .

الكواكب الساطعة في بيان المقاصد النافعة

لأبي الفوز محمد أمين بن الشيخ علي السويدي البغدادي . أوله : « الحمد لله الواحد في ربوبيته ، المتفرد في صمديته وألوهيته ، الذي خلق الخلق بقدرته الخ » ثم أوضح المصنف فقال : « إن رسالة محيي الدين النووي الشافعي المسماة بـ (المقاصد النافعة والأنوار اللامعة) تحتاج الى شرح ؛ فقد شرحتها وسميتها (الكواكب الساطعة) ، وأرويها إجازة عن جدي وشيخي محمد سعيد السويدي ، عن أبيه الشيخ عبد الله السويدي ، عن العلامة السيد عمر السقاف باعلوي المكي ، عن الشيخ سالم البصري ، عن أبيه عبد الله بن سالم البصري عن الشيخ محمد البابلي ، عن نور الدين علي بن يحيى الزيادي ، عن الجمال يوسف بن عبد الله الأرموني ، عن

الحافظ جلال السيوطي ، عن صالح بن عمر البلقيني ، عن والده السراج عمر بن رسلان ، عن أبي الحجاج يوسف بن عبدالرحمن المزي ، عن مؤلفها يحيى بن شرف النواوي » .

نسخة نفيسة جداً . خطت بقلم النسخ بمداد أسود ، والأبواب بالأحمر ، ورقها من نوع الترمة ، حسن خطها . كتب في آخرها ما نصه : « وكان الفراغ من تسويدها في ١٩ رمضان سنة ١٢٣٩ وقت الضحى » .

ناسخها مجهول . وكتب على ظهر المخطوطة ما نصه : « دخل هذا الكتاب في نوبة الفقير محمد الجديد خادم الفقراء في التكية الخالدية في شوال سنة ١٢٤٦ هـ » . وكتب السيد محمود الآلوسي مفتي بغداد بخطه في ذيل ذلك :

« تأملته مجتهداً — وليس يخلو من غلط
فقل لمن يلومني : — من ذا الذي ما ساء قط ؟

الفقير اليه السيد محمود الآلوسي المفتي ببغداد سنة ١٢٥٢ هـ » .

كتاب شرح العقد الثمين في مسائل الدين

لأبي الفوز محمد أمين بن الشيخ علي السويدي . أوله : « الحمد لله المذكور بكل لسان ، المعبود بكل مكان ، الواجب وجوده بدلالة البرهان الخ » خطه بقلم النسخ حسن الخط . ورقه من نوع الترمة . كتب في آخره : « تم الكتاب يوم الأربعاء الضحى ٢٨ صفر سنة ١٢٩٩ هـ على يد الملا محمد إمام جامع الدسابيل . استكتبه الحاج محمد رشيد أفندي عمر زاده » .

وكتب في ظهره : « تملكه السيد عبد الرحمن المحض القادري سنة ١٢٩٢ هـ » .

الرقم ٣٦٣ ، قياسه ٢١ × ١٤ س ، ٢١ س الصفحة ، مجموعه ٨٩٠ ص .

كتاب حديقة الجاني من جنى قصيدة الشيباني

للشيخ عبد الرحمن المتوفى سنة ١٢٠٠ هـ بن الشيخ عبد الله السويدي . أوله : « الحمد لله الذي ألهمنا دقائق الكلام ، وخصنا بالإنعام والإكرام ، الواجب وجوده لذاته ، المنزه في أسمائه

وصفاته . لما كانت القصيدة الشيبانية الخ » .

خط بقلم النسخ الرفيع ، وكتب في آخره : « فرغ مؤلفه منه يوم الثلاثاء ٧ جمادى الأولى سنة ١١٥٨ هـ ثم كتب أيضاً ما نصه : « فرغ من نسخه ليلة الأربعاء ٥ ربيع الأول سنة ١٢٣٥ هـ على يد كاظم بن الحاج عبيد الله » .

وكتب على ظهر المخطوط ما نصه : « دخل هذا الكتاب في ملك الحاج محمد بن الحاج أحمد كنبار القرچي القريه » .

رقم ١٦٢ ، قياسه ، ٢٣×١٧ س ، ٢٣ س الصفحة ، المجموع ٥٠ ص .

ناظم القصيدة هو شهاب الدين عبد الرحمن بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي ، المعروف بابن أبي شامة ، المتوفى سنة ٦٦٥ هـ .

كتاب القلائد في شرح العقائد

مؤلف العقائد هو الامام أحمد بن جعفر الطحاوي المتوفى سنة ٣٢١ هـ ، والشارح جمال الدين محمود بن أحمد بن مسعود القنوي الحنفي المتوفى سنة ٧٧٠ هـ . أوله : « حمداً لله المتوحد بكمال صمديته ، المتفرد بجلال أحديته ، على عظمة جلاله ، وشكراً على جزيل نواله الخ »

خط بقلم النسخ حسن الخط على قاعدة نس تعليق ، ورقه من نوع الترمة . كتب في آخره : « تم تحريره في دمشق المحروسة في مستهل ذي القعدة سنة ٧٥٥ هـ » . وكتب بذيله أيضاً : « تم نسخه في شهر صفر سنة ١١٢٢ هـ بقلم الفقير محمد بن حسن » . وكتب على ظهر المخطوط : تملكه إبراهيم سنة ١١٥٢ ، وتملكه الفقير محمد سالم قاضي مدينة بغداد سنة ١٢١٢ هـ ، وتملكه السيد عبد الرحمن المحض نقيب زاده سنة ١٢٩٧ هـ .

الرقم ١٦٠ ، قياسه ٢٢×١٥ س ، ٢٥ س الصفحة ، ١٨٠ ص .

هـ ـ الفقه

ومن كتب الفقه :

كتاب الاختيار شرح المختار

لأبي الفضل مجد الدين عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي المتوفى سنة ٦٨٣ هـ . أوله كتاب النكاح ، خط بقلم الثلث ، خط شامي ، ورقه شامي سميك حمصي اللون ، مداده أسود مركب من ماء الورد ، والكتب والفصول بالمداد الأحمر ، وكتب في آخره : « وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب يوم الثلاثاء سلخ ذي القعدة سنة ٨٥١ هـ » .

رقم الكتاب ٢١٩ ، قياسه ٢٧ × ١٩ س ، ٢٧ س الصفحة ، المجموع ٢١١ ورقة .

وكتب على ظهر المخطوط : تملكه الحاج محمد بن أحمد الغربي سنة ١٢٠٨ هـ ، ثم تملكه أكمل بن فليح ، ثم تملكه علي بن مراد .

— نسخة ثانية رقمها ٣٣١ .

كتاب التبيين في شرح المنتخب

للشيخ الحافظ ابن عميد قوام الدين أمير كاتب بن أمير عمر العميد الإتقاني ، أوله : « لله الحيّ القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يتريه شك ولا وهم الخ » . خط بقلم النسخ بمداد أسود ، والفصول بالأحمر . ورقه من نوع الخيسي حمصي اللون ، بقطع النصف ، مشكول ، وعليه حواشي ، حسن الخط . وكتب في آخره : « وقع الفراغ منه على يد محمد بن أحمد بن عيسى بن أبي الحسن الفقيه المعروف بابن البُلَيل الحجازي ثم الفيومي يوم الأحد ١٢ رجب سنة ٧٨٧ هـ بالقدس الشريف » . وكتب على ظاهر المخطوط ما نصه : « في الأصول للاخسيكثي هو الامام محمد بن محمد بن عثمان الأخسيكثي صاحب المختصر الامام حسام الدين ، مات سنة ٦٤٤ هـ ، ودفن بمقبرة القضاة بالقرب من قاضيخان » .

الرقم ٢٠١ ، قياسه ٢٦ × ١٨ س ٢٧ س الصفحة ، المجموع ٣٧٠ ص بقطع الثلث .

الرقم ٢٢٥ قياسه ٢٠×١٣ ، ٢١ س . ٢٥ س ، الصفحة ، ١٧٢ ص بمجموعـة نسخة نفيسة في الخط .

خلاصة الفتوى

للشيخ طاهر بن أحمد بن عبد الرشيد البخاري المتوفى سنة ٥٤٢ هـ . أولها : « الحمد لله خالق الأرواح والأجسام الخ » . ثم ذكر المؤلف أنه كتب في هـذا الفن : خزانة الواقعات ، وكتاب النصاب ، والخلاصة جامعة للرواية خالية عن الزوائد . نسخة نفيسة فريدة . خطت بقلم النسخ الرفيع ، حسن خطها من خطوط استانبول . وكتب في آخرها : قد وقع الفراغ من كتابة الخلاصة في ١٦ ربيع الأول سنة ٩٧٧ هـ » . وكتب على ظهرها : « تملكها السيد أحمد ابن مصلح الدين المفتي » . ثم تملـكها عيسى بن الحاج التونوي سنة ٩٩٦ هـ . ثم انتقلت إلى الفقير السيد عبد الله الأمين في ذي القعدة سنة ١١٤٥ هـ .

الرقم ٢٤٧ ، قياسـها ، ٢٦×١٧ س ، ٢٧ س الصفحة ، المجموع ، ٦١٢ ص بقطع الربع .

رقم الـكتاب ٢٠٤ ، قياسه ٢٣×١٤ س ٢٨ س الصفحة ، مجموع صفحاته ٤٩٢ ص .

— نسخة ثانية رقمها ٢٠٣ .

كتاب تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام

للقاضي بدر الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبـد العزيز بن جماعة الـكناني الحموي المتوفى سنة ٨١٩ هـ . أوله : « الحمد لله على نعمه الباطنة الزاهرة الخ » . رتبه مصنفه على سبعة عشر باباً . خط بقلم النسخ الرفيع . حسن الخط على قاعـدة نسخ تعليق . بقطع الربع . بجدول بالأحمر . وكتب في آخره ما نصه :

« تم الـكتاب في ١٣ صفر سنة ١١٨٥ هـ » . وكتب على ظهر المخطوط : « تملكه محمد

محمد صالح بن رمضان الماردینی سنة ۱۲۵۲ ﻫ وتملكه السيد عبد الرحمن النقيب القادري سنة ۱۳۱۰ ﻫ » .

و ــ أصول الفقه

ومن كتب أصول الفقه :

كتاب التوضيح في حل غوامض التنقيح

للشيخ عبيد الله بن مسعود بن تاج الشريعة المتوفى سنة ٧٤٧ ﻫ . أوله : « حامداً لله تعالى أولاً وثانيا ، ولسان الثناء اليه ثانيا ، وعلى أفضل رسله وآله مصلياً » . خط بقلم النسخ الرفيع ، حسن الخط ، ورقه من نوع الترمة ، حمصي اللون ، في صفحته الأولى طغراء محلاة بالذهب الخالص والميناء اللازوردية ، مجدول بالذهب والمداد الأحمر والأزرق ، بقطع الثلث ، وعليه حواشي بديعــــة الخط والصنعة رائعة الفن ، وفي أوله فهرست مربع الشكل بخطوط ذهبية . وكتب في آخره : « وقع الفراغ من نسخ هذا الكتاب بيد اسماعيل بن الشيخ صالح البصري يوم الأحد ٢٠ رجب سنة ١١٨٣ ﻫ » .

رقم الكتاب ٢٠٤ ، قياسه ٢٣ × ١٤ س ٢٧ الصفحة ، مجموع صفحاته ٤٩٢ ص .

ـــ نسخة ثانية رقمها ٢٠٣ .

ز ــ العلوم الروحية والعقلية والتصوف

ومن كتب العلوم الروحيه والعقلية والتصوف :

كتاب الأزهار النضرة في تلخيص التبصرة

للشيخ أبي بكر الأحســائي الحنفي . أوله : « الحمد لله الذي فتح بالمواعظ أبصار بصائر الخائفين ... وبعد ، فان كتاب التبصرة الذي ألفه أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي أحسن كتاب ألف في المواعظ ، فأحببت اختصاره ، ورتبته على مجالس . »

خط بقلم النسخ الرفيع ، حسن الخط ، ورقه خيدي حمصي اللون ، مداده أسود ، والكتب والفصول بالمداد الأحمر ، وكتب في آخره : « انتهى آخر التبصرة » . مجهول ناسخه . كتب على ظهر المخطوط : « تملك هذا الكتاب عبدالعزيز بن صالح بن عفالق سنة ١٢٩٢ هـ ، ثم تملكه بالشراء الشرعي محمد صاحب اللواء سنة ١٢٩٣ هـ . ثم تملكه السيد عبد الرحمن النقيب .

رقم الكتاب ٣٦٩ . قياسه ٢٢×١٥ س . ٢٥ س الصفحة . المجموع ٨٣٠ ص .

كتاب السير والسلوك الى ملك الملوك

للشيخ قاسم . أوله : « الحمد لله الذي أهبط بحكمته أسرار ذاته من سماء المعالي الى أرض الطبيعة الكلية الخ » خط بقلم النسخ الرفيع بمداد أسود ، ورقه من نوع الخيبسي ، حسن الخط . وكتب في آخره : « تم في شعبان سنة ١٠٧٦ هـ » . وقد رتبه مصنفه على أبواب وخاتمة ، وكتب على ظهر المخطوط ما نصـــه : تملكه الشيخ أحمد خادم جامع الكريم بحلب . ثم تملكه الحاج عبد الله الشهابي سنة ١١٥١ هـ . ثم تملكه السيد عبد الرحمن المحض القادري سنة ١٢٨٩ هـ .

الرقم ٤١١ ، قياسه ١٩ × ١٤ س ، ٢١ س الصفحة ، المجموع ١٣٠ ص بقطع الربع .

كتاب سر الأسرار في التصوف

للشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفى سنة ٦٦١ هـ . أوله : « الحمد لله القادر الملهم ، الناظر الملهم الخ » . خط بقلم النسخ الرفيع خط بمداد أسود . ورقه من نوع الخيبسي . حسن الخط . بقطع الربع . كتب في آخره : « تم الكتاب في سنة ١١١٨ هـ » . ناسخه مجهول .

الرقم ٤٠٦ ، قياسه ٢٢ × ١٧ س ، ١٩ س الصفحة ، مجموعه ١٨٠ ص .

رسالة في التصوف

للشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفى سنة ٥٦١ هـ . أولها : « الحمد لله الذي دعا الخلق إلى

نفسه بالآيات البيّنات الخ » . خط بقلم النسخ الرفيع حسن الخط ، بمداد أسود . ورقها من نوع الترمة ، مجدول بالأحمر والذهب الخالص . كتب في آخرها : « تم نسخها بقلم الفقير محمد نوري ابن الشيخ حسن الأستانبولي الحنفي القادري برتبة قضاء استانبول المعاون لمكتوبي مقام المشيخة الاسلامية في زاوية المرحومة عائشة خاتون بدار الخلافة القسطنطينية سنة ١٣٢٢ » هـ . وكتب على ظهرها : « تملكه السيد عبد الرحمن المحض القادري سنة ١٣٢٩ » هـ .

الرقم ٤٠٨ ، قياسها ٢٢ × ١٥ س ، ١٩ س الصفحة ، مجموعها ١٨ ص بقطع النصف .

كتاب منتهى المدارك ومشتهى كل كامل وعارف وسالك

للشيخ سعيد الدين سعد بن أحمد بن محمد الفرغاني . أوله : « الحمد لله القديم الذي تعزّز بجلال وحدانيته . أما بعد ، فإنه لما كانت الأحكام السابقة تبتني عليها الأقسام اللاحقة ، فقد رتب كتابه على أصول ، فذكر الأصل الأول في ذكر رتب الذات وتعيين الأسماء والصفات . والأصل الثاني في ذكر مرتبة الأرواح . والأصل الثالث في ذكر تعيين عالم المثال . والأصل الرابع في ذكر نشأة الانسان الخ » . خط بقلم النسخ الرفيع بمداد أسود ، والفصول بالمداد الأحمر ، ورقه تخيمي عصمي اللون ، بقطع متوسط ، حسن الخط . نسخة ممتازة جداً . كتب في آخرها : « تمّ نسخه على يد مصطفى بن عثمان بن علي ببلد بروسا في أواسط شعبان سنة ٩٥٠ هـ » .

وكتب على ظهرها ما نصه : من كتب الفقير الدرويش حسين الشعاري ، وكتب بذيل ذلك : تملكه الفقير من الشام المحروسة السيد علي القادري خادم السجادة القادرية سنة ١١٩٠ هـ . ثم تملكته السيدة عائشة خاتون ، ثم حررت بخط يدها : وقف المدرسة الخاتونية في ٢١ محرم سنة ١٢١٥ .

رقم الكتاب ، ٤٧٠ ، قياسه ٢٥ × ١٥ س ، ٢٩ س الصفحة ، مجموع الصفحات ٧٢٠ ص

هـ - في الخلاف

كتاب نور النيرين في ذكر اختلاف المذهبين

أوله : « الحمد لله الذي رفع أعلام الشريعة ، ومهد قواعد الملة النبوية . وبعد ، فقد سألني أن أجمع كتاباً بالفقه من المفتى به من مذهب الإمام الأعظم والإمام محمد بن إدريس الشافعي فيما اختلفا واتفقا » . خط بقلم نصف الثلث ، حسن الخط . ورقة من نوع الشامي حمصي اللون ، كتب في آخره : « وكان الفراغ من كتابته يوم الخميس ١١ صفر سنة ١١٧٧ هـ بمحلة الإمام الجيلي على يد عثمان بن أصلان » .

الرقم ٣٥٧ ، قياسه ٢٢×١٦ ، س ١٥ س الصفحة ، مجموعه ٣٠٠ ص بقطع الثلث . مؤلفه مجهول .

حاشية مير أبي الفتح في الأدب على الرسالة الحنفية

لأبي الثناء شهاب الدين السيد محمود الآلوسي مفتي بغداد المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ . أولها : « لك الحمد : بجعل الله مخاطباً » بخط المؤلف ، حسن الخط ، قوي جداً ، بقلم النسخ الرفيع ، ورقها نخودي حمصي اللون . وكتب في آخرها : « تمت على يد أفقر العباد محمود بن الحاج عبد الله الآلوسي ، وكان الفراغ من كتابتها يوم الخميس العاشر من شهر ربيع الأول سنة ١٢٢٩ هـ » .

وكتب على ظهر المخطوطة : « تملكتها بالشراء الشرعي من السيد عبد الباقي الآلوسي وأنا الفقير السيد عبد الرحمن بن السيد علي القادري سنة ١٢٨٥ هـ . »

وفي هذه المجلدة رسالة أخرى ، أولها : « الحمد لله على إفهام الخطاب الخ » . وكتب في آخرها : « تمت بخط السيد عبد الله بهاء الدين الآلوسي سنة ١٢٦٩ . » .

رقم الحاشية ٣٨٧ ، قياسها ٢٠×١٤ س ، ١٩ س الصفحة ، المجموع بقطع الربع .

كتاب الجواب المختصر

لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني . أوله : « سئل شيخ الإسلام أن يشرح العقيدة الأصفهانية التي رتبها الشيخ شمس الدين الأصفهاني » خط بقلم الثلث ، حسن الخط ، ورقه من نوع الخيبسي حمصي اللون . كتب في آخره : « تم الكتاب » . مجهول ناسخه وتاريخ نسخه ، بقطع النصف .

رقم الكتاب ٤٦٧ ، قياسه ٣١×١٨ س ، ٣٩ الصفحة ، المجموع ١٧٠ ص .

كتاب موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول

المجلد الأول

لشيخ الاسلام الإمام أحمد بن تيميـة الحراني . أوله : « الحمد لله نستعينه ونستغفره » . وقد رتبه على فصول ، فذكر في الفصل الأول قول القائل : « إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية أو السمع والعقل أو النقل والعقل أو الظواهر النقليـة والقواطع العقلية الخ » . خط بقلم الثلث ، ورقه خيبسي ، نسخة نفيسة جداً . وكتب في آخر الكتاب : « هـذا آخر الجزء الأول من الكتاب ، نقل من نسخة صحيحة منقولة من خط تلميـذ المصنف ، وتم نسخها بقلم علي بن عبد الله بن عيسى في اليوم الثالث عشر من شهر رمضان سنة ١٣٠٥ هـ . »

وكتب على ظهر المخطوط : « تملكه السيد عبد الرحمن المحض القادري سنة ١٣٠٥ هـ » .

رقم الكتاب ٤٧٢ ، قياسه ٢٥×١٧ س ، ٢٥ س الصفحة ، مجموع الصفحات ٥٣٠ ص .

— طبع بهامش منهاج السنة للمؤلف نفسه .

المجلد الثاني

ناقص الأول ، خطه عادي ، ورقه من نوع الخيبسي . كتب في آخره : « نجز الجزء الثاني نقلاً من نسخة بخط بعض تلامذة المؤلف » . مجهول ناسخه وتاريخ نساخته .

رقم الكتاب ٤٣٤ ، قياسه ٢٥×١٧ س ، ٢٥ س الصفحة ، مجموعه ٣٧٠ ص .

رسالة في الرد على القزلباشية

للشيخ حسين بن عبد الله الشيرواني . أولها : « الحمد لله الذي جعل سلطاننا صاحب القرانات » . ناقصة الآخر . خطها بقلم النسخ بمداد أسود على قاعدة نسق تعليق ، حسن خطها ، ورقها من نوع القطاوع . وكتب في ظهرها : « تملكها محمد أمين السويدي . ثم انتقلت الى صالح السويدي » . مجهول ناسخها وتاريخ نساختها .

الرقم ٨٣٨ ، قياسها ١٩ × ١٤ س ، ١٩ س الصفحة ، مجموع صفحاتها ١٢٠ ص بقطع الربع .

ط ــ اللغة

ومن كتب اللغة :

كتاب تهذيب اللغة ــ الجزء الثالث

كتاب تهذيب اللغة ــ الجزء الثالث : لأبي منصور محمد بن أحمد بن طلحة الأزهري اللغوي المتوفى سنة ٣٧٠ هـ . أوله : باب القاف والجيم . صفحته الأولى مخرمة ، خطه قديم بقلم الثلث ، خط شامي ، ورقه سميك ، حمصي اللون ، حسن الخط . وكتب في آخره : « كتاب الكاف . ويتلوه الجزء الرابع عشر » . ناسخه وتاريخ نساخته مجهولان . والظاهر أنه من مخطوطات القرن السادس الهجري . وكتب على ظهره : « من كتب عبد الله الأمين مفتي العسكر زمن والي بغداد حسن باشا . ثم تملكه يعقوب بن محمد الوصلي . ثم تملكه الحاج محمد الشهير بالقارشوبغه في سنة ١١٣٥ هـ » . وكتب في هامش الصفحة الأخيرة منه : « الخزانة العالية المالكية المحروسة البدرية بيدرا ملك نائب السلطانة » .

رقم الكتاب ٤٨٠ ، قياسه ٢٤ × ١٦ س ٢٣ س الصفحة ، مجموع صفحاته ٤١٥ ص .

ـ نسخة أخرى منه :

ناقصة الأول والآخر ، خطها عين خط الجزء الثالث ، تبدأ من باب الطاء واللام ، وتنتهي بباب اللفيف من حرف التاء . مجموع صفحاتها ٤٠٠ ص .

ـ ومن هذا الكتاب نسخة مصورة في مكتبة الآثار العراقية ببغداد .

كتاب خصائص اللغة

لأبي الفتح عثمان بن جنّي المتوفى سنة ٣٩٢ أوله : الحمد لله الواحد العدل الخ . خط بقلم النسخ بمداد أسود مركب من ماء الورد ، خط قديم ، حسن الخط قويّ ، ورقه سميك حمصي اللون . كتب في آخره : هذا آخر كتاب الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني .

الرقم ٤٨١ ، قياسه ٢٧ X ١٦ ص ٢١ س الصفحة ، المجموع ١٢٠٠ ص بقطع الثلث .

وكتب في ظهر المخطوط : « اشتريته بالشراء الشرعي وأنا الفقير اليه السيد عبد الرحمن الحمض القادري سنة ١٢٩٢ هـ » .

كتاب نظام الغريب

للشيخ عيسى بن ابراهيم الربعي المتوفى سنة ٤٨٠ هـ ، أوله : الحمد لله مخرج الأشياء من العدم الى الوجود . وقد رتبه مصنفه على أبواب ، فذكر في الباب الأول ما جاء من الغريب في خلق الانسان الخ . خط بقلم الثلث ، ورقه من نوع الخيسي بقطع الثلث . وكتب في آخره : تم وكمل ما وجد منه والمتمم له عبد الملك المقتدر ابن الشيخ حسين بدر .

وكتب في ظهره : تملكه السيد علي القادري نقيب الأشراف سنة ١٣١٩ هـ .

الرقم ٤٨٩ ، قياسه ٢٠ X ١٤ ص ، ٢٠ س الصفحة ، مجموع صفحاته ١٢٠ .

كتاب المفردات

لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني .

ناقص الأول والآخر . يبدأ بلفظ أجّ ماء أجاج ، وآخره باب الياء . مجهول ناسخه وتاريخ نسخه . والظاهر أنه من مخطوطات القرن الخامس الهجري . خطه قديم جداً . وهو بقطع الربع ، سقيم الخط ، وصعب القراءة . ورقه خيمي حصي اللون ، مشرف على التلف . مداده أسود مركب من ماء الورد . قاعدته تشبه خطوط بغداد . وأكبر الظن أنه بخط مؤلفه حيث انه يكتب البحث فيشطبه بخطوط سود ثم يكتب غيره في نفس الصفحة ويصحح بعض العبارات في هامش المخطوط . وهذه النسخة نفيسة في بابها لقدمها .

وقد وجدتُ مكتوباً على ظهره ما نصه : تملكه الحاج درويش علي سنة ١١٠٥ هـ . ثم تملكه صالح . ووجدتُ أيضاً في بطن الجلد الثاني من الكتاب العبارة التالية : لقد انتشلت هذا الكتاب من نهر دجلة بعد ما رماه التتار لعنهم الله وذلك سنة ٦٥٦ هـ ، وأنا الفقير اليه تعالى عبد الله بن محمد بن عبد القادر المكي . ولم يوجد في آخر هذه الكتابة تاريخ كتابتها .

رقم الكتاب ٤٨٩ ، قياسه ١٨×١١ س ، ٢١ أسطر الصفحة ، مجموع الصفحات ٧٠٠ ص .

وقد طبع هذا الكتاب بالمطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٢٤ هـ وأوله : الحمد لله رب العالمين الخ ومن تصفح هذا الكتاب علم ما للمؤلف من الرسوخ في التحقيق وسعة الاطلاع وكمال القدرة في التحقيق .

كتاب درة الغواص

لأبي محمد القاسم بن علي بن عثمان الحريري البصري المتوفى سنة ٥١٦ هـ أوله : « أما بعد حمد الله الذي عم عباده بوظائف العوارف الخ » . خط بقلم الريحاني ، متوسط الخط ، ورقه من نوع الخيسي . كتب في آخره : « تم الكتاب » . ناسخه وتاريخ نسخه مجهولان .

. ويذيل هذه النسخة شرح الشيخ علوان الحموي . أوله : « الحمد لله الذي أسس قواعد العقائد بمعرفة أوصافه » . وكتب في آخره : « تم في سنة ١٢٥٢ هـ » .

وكتب في ظهر المخطوط : « تملكه السيد عبد الرحمن المحض القادري سنة ١٢٩٧ هـ » .

الرقم ٤٨٢ ، قياسه ٣٠ × ١٤ س ، ٢٣ س الصفحة ، مجموعه ٨٢ ص بقطع النصف .

كتاب لسان العرب مطبوع

للشيخ جمال الدين أبي الفضل عبد الله محمد بن المكرم بن أبي الحسن بن أحمد الأنصاري الخزرجي الافريقي ابن منظور المتوفى سنة ٧١١ هـ . أوله : « الحمد لله رب العالمين تبركاً بفاتحة الكتاب » جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح وحواشيه والجوهرة والنهاية ، ورتبه ترتيب الصحاح الخ خط بقلم النسخ الرفيع ، ورقه من النوع الخيسي بقطع النصف . خطه متوسط ، مجدول بالأحمر . كتب في آخره : « تم الجزء الأول من لسان العرب ويتلوه الجزء الثاني على يد الفقير عمر بن أحمد الحامضي سنة ١١٢٩ هـ » . وكتب على ظهره : « تملكه السيد عبد الرحمن المحض القادري » .

الرقم ٤٨٨ ، قياسه ٢١ × ١٥ س ، ٢٣ س ، مجموعه ٤٥٠ ص .

ي ـ النحو والصرف

ومن كتب النحو والصرف :

كتاب شرح السور لابن خالويه مطبوع

لأبي عبد الله الحسين بن خالويه ، ذكر فيه إعراب ثلاثين سورة من المفصل ، وشرح أصول كل حرف ، ولخص فروعه ، وذكر غريب ما أشكل منه وتثنيته وجمعه ، ليكون معونة على جميع ما يرد على الانسان من إعراب القرآن وغيره الخ . خط بقلم النسخ على قاعدة نس تعليق ، بقطع الربع ، ورقه من نوع المقطوع حمصي اللون ، حسن الخط . نسخة نفيسة جداً .

وكتب في آخره ما نصه : « تم الكتاب في سنة ٩٥٤ هـ » . مجهول ناسخه . وكتب على ظهر المخطوط ما نصه : « من عوادي الزمان دخل في نوبة أقل الخليقة ابن سرافراز مقصود علي الدماوندي » . ثم تملكه الفقير السيد عبد الرحمن القادري نقيب الأشراف سنه ١٣١٨ هـ .

رقم الكتاب ٤٩١ ، قياسه ١٨×١٢ س ١٩ س الصفحة ، مجموع الصفحات ١٤٠ .

كتاب شرح المغني

مؤلف المغني هو جمال الدين عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام المتوفى سنة ٧٦٢ هـ . وهذا الشرح للشيخ أحمد بن محمد بن علي بن أحمد الشهير بابن الملاّ المتوفى في حدود سنة ٩٩٠ هـ . أول الشرح : حمداً لمن شرح صدورنا لفهم أسرار العربية بأفصح لسان الخ .

خط بقلم النسخ الرفيع بقطع النصف ، ورقه من نوع الجيسي حمصي اللون ، متوسط الخط على قاعدة نس تعليق . وكتب في آخره : تم بخط الفقير لاهور بن غلام قادر بموجب فرموزة خادمان فيض نيشان قدس سنة ١٢٧٦ هـ .

رقم الكتاب ٥١٩ ، قياسه ٣٠×٢٠ س ٣٧٠ ، أسطر الصفحة المجموع ٧٨٠ .

وكتب العلامة الحاج علي الآلوسي قاضي بغداد المتوفى سنة ١٣٤٠ هـ في هامش هذا الكتاب بخط يده :

« ولعمري إن هذا الشرح مما تنشرح به الصدور ، وتلتذ له النفوس ، وتهتز طرباً عند تلاوته — وأيم الله — الرؤوس ، حيث حوى من التحقيقات أغربها ، ومن التدقيقات أعجبها وأطيبها . ولقد طالعت جله ، بل لولا أني أخشى الكذب قلت كله ، فما رأيت مثله ، فهو كتاب في بابه فريد ، ويكفي من القلادة ما أحاط بالجيد . سنة ١٣١٨ هـ . »

وكتب في ظهره : « تملكه السيد عبد الرحمن النقيب سنه ١٣٢٢ هـ . »

اللباب في صنعة الإعراب

للشيخ تاج الدين محمد بن محمد بن أحمد بن السيف المعروف بالفاضل الاسفرائيني المتوفى

سنة ٦٨٤ هـ مع شرحه للشيخ محمد بن محمود بن أبي الفتح السيراني الغالي ، أوله : « الحمد لله الذي هدانا الى معرفة اعجاز القرآن الخ » .

خط بقلم النسخ بمداد أسود ، ورقه من نوع المشر ، حمصي اللون ، حسن الخط . وكتب في آخره : « فرغ من كتابته في أواخر سنة ٨٢٩ هـ بقلم الفقير الحسن بن أبي يزيد بن الحسن ابن عبد الرحمن الحافظ الأصفهاني » . وكتب في ظهره : « من كتب السيد عبد القادر بن محمد أمين مفتي الشافعية ببغداد » . وتملكه السيد عبد الرحمن المحض القادري سنة ١٢٨٨ هـ .

الرقم ٥٥٦ ، قياسه ٢١ × ١٤ س ، ١٩ س الصفحة ، مجموعه ٥٤٠ صفحة بقطع النصف ، نسخة جيدة .

كتاب شرح التصريف

للشيخ علي بن شهاب الدين الكيلاني ، أوله : « قال الشيخ أبو الحسن علي بن شهاب الدين الكيلاني الشافعي : إعلم أن التعريف الخ » خط بقلم النسخ بمداد أسود ، والمتن بالأحمر . ورقه من نوع المشر . حسن الخط . نسخة نفيسة جداً .

وكتب في آخره : « تم تسويد هذا الكتاب في أواخر رجب سنة ٩٧٣ هـ على يد الفقير محمد بن شيخ الحلوقي .

وكتب على ظهره : تملكه الفقير السيد عبد الرحمن نقيب الأشراف سنة ١٣١٩ هـ .

رقم الكتاب ٥٢٦ ، قياسه ٢٠ × ١٤ س ، ٢٧ س الصفحة ، المجموع ١٧٠ ص .

ك – البلاغة

ومن كتب البلاغة :

كتاب دلائل الإعجاز

للشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني . أوله : « الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين ، نحمده على عظيم نعمائه » . وقد رتبه على فصول ، ويتضمن علم البلاغة والمعاني

والبيان بأجلى وضوح .

خط بقلم النسخ . ورقه غيبي حمصي اللون بقطع الثلث . نسخة ممتازة جداً .

وكتب في آخره : « فرغ من نسخه بيده لنفسه أحمد بن عبدالحميد بن أحمد بن سلطان ابن عبد الله بن شاوي العبيدي الحميري في غرة شوال سنة ١٣٠٧ هـ » .

رقم الكتاب ٥٨٧ ، قياسه ٢٦ × ١٤ س ، ٢٩ س الصفحة ، المجموع ٣٢٠ ص . كتب في ظهره : « تملكه السيد عبد الرحمن النقيب سنة ١٣٢٦ هـ » .

ل ـ الأدب والشعر

ومن كتب الأدب والشعر :

كتاب نُهزة المرتاد وبهجة المقامات

شرح مقامات الحريري

للحافظ تاج الدين أبي سعيد محمد بن الشيخ الإمام أبي السعادات عبد الرحمن بن محمد بن أبي الحسن مسعود المسعودي الفنجديهي . أوله : « الحمد لله الذي غمر ساجع الكلم في ضمائر الفصحاء ، وفجّر ينابيع الحكم من بصائر العلماء الخ » .

خط بقلم النسخ الرفيع خط مغربي ، بعض الصفحات مشكولة . حسن الخط . ورقه من نوع ورق الشامي السميك . كتب في آخره : « تجز تفاسير الألفاظ المغلقة المشكلة من المقامات في شهر ربيع الأول سنة ٦٠٢ هـ » . نسخة نفيسة جداً .

رقم الكتاب ٦٢٣ ، قياسه ٢٦ × ١٨ س ، ٢٤ س الصفحة ، المجموع ٩٨٠ ص .

وكتب على ظهر المخطوط ما نصـــه : « تملكه السيد علي القادري نسباً وطريقة وخادم السجادة القادرية بمدينة السلام سنة ١١٨٣ . ثم انتقل إلى نوبة أقل الورى أحمد الحافظ الشهير بقباقجي زاده سنة ١٢٦٩ هـ » . ثم تملكه السيد عبد الرحمن النقيب سنة ١٢٧٩ .

وبذيل هذا الكتاب وجد محرراً ما نصه : « تقريض (؟) قاسم بن حسين الخوارزمي على

شرح المطرزي للمقامات كتبه نصرت عبد الحليم بن التمال » .

شرح البديعية

للشيخ تقي الدين بن حجة الحموي المتوفى سنة ٨٣٧ هـ أولها : « الحمد لله البديع الرفيع الخ » . في أول صفحتها الأولى طغراء محلاة بالذهب الخالص والبينا اللازوردية ، وطغراء ثانية على ظهر المخطوط . خط بقلم الثلث حسن الخط . نسخة نفيسة جداً ، ورقها شامي سميك حمصي اللون . وهو مجموع أدبي قل أن يوجد في غيره ، وفيه جودة الشواهد لكل نوع من الأنواع مع ما امتاز به من الاستكثار من إيراد نوادر المصريين . وأول البديعية :

بطيبة انزل ويمم سيد الأمم وأنثر له المدح وأنشر طيب الكلم

ناقصة الآخر ، رقمها ٦٤٧ ، قياسها ٢٦ × ١٦ س ، ٢٧ س الصفحة ، المجموع ٢٢٢ ص .

وكتب على ظهر المخطوطة : « تملكها بالشراء الشرعي السيد عبد الرحمن نقيب الأشراف ببغداد سنة ١٣١٩ هـ » .

كتاب زهر الآداب مجلد

للأديب الشاعر أبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري المتوفى سنة ٤٥٦ هـ . أوله : « الحمد لله الذي خص الانسان بفضيلة البيان الخ » خط بقلم النسخ بمداد أسود ، والأبواب والفصول بالأحمر ، حسن الخط . ورقه من نوع الخيسي حمصي اللون . وكتب في آخره : « تم نسخه بقلم ملا محمد بن علي بن أحمد سبته إمام جامع الدسايل في محلة باب الشيخ سنة ١٢٨٦ هـ » .

وكتب على ظهر المخطوط : « استكتبت هذا الكتاب الموسوم بزهر الآداب وثمر الألباب وأنا الفقير السيد عبد الرحمن المحض القادري سنة ١٢٨٧ هـ » .

الرقم ٦١٣ ، قياسه ٢٦ × ١٣ س ، ٣٣ س الصفحة ، مجموعه ٩٧٠ ص بقطع النصف . نسخة رائعة الحسن .

العقد الفريد للملك السعيد مجموع

للشيخ محمد بن طلحة . أوله : « الحمد لله حامي حوزة بلاده بملوك اجتباهم لحراسة عباده كالمقام الكريم الخ » . وقد رتبه على أربع قواعد ، فذكر القاعدة الأولى في مهمات الأخلاق والصفات ، والقاعدة الثانية في السلطنة والولايات ، والقاعدة الثالثة في الشريعة والديات ، والقاعدة الرابعة في تكملة المطلوب بأنواع من الزيادات . ثم ذكر أن القاعدة الأولى تشتمل على عشرة أبواب .

خط بقلم النسخ بمداد أسود مركب بماء الورد . ورقه شامي سميك حمصي اللون . حسن الخط . بقطع النصف . وكتب في آخره : « نجز الكتاب ثاني عشر جمادى الآخرة سنة ٧٦٦ هـ . كتبه لنفسه علي بن قبرص بن عبدالله المؤيدي الحموي القدسي » . وكتب على ظهره : تملكه السيد عبد الرحمن المحض القادري في سنة ١٢٨٩ هـ .

الرقم ٦٢٩ ، قياسه ٢٥ × ١٦ س ، ١٧ س الصفحة ، مجموعه ٤٢٠ ص بقطع الربع . نسخة نفيسة .

منهل الظرفاء

للشيخ برهان الدين أبي اسحق إبراهيم الباعوني الشافعي . أوله : « الحمد لله الذي راض لأهل الأدب جماح صعابه ، وأوضح لهم مماله فسلكوا ما أرادوا من شعابه الخ » .

خط بقلم النسخ على قاعدة نس تعليق . ورقه من نوع الجبسي . حسن الخط . ناسخه وتاريخ نسخه مجهولان . وكتب على ظهره : استصحبه العبد الفقير أبو الفضل محمود الشهير بقره جلبي زاده . ثم تملكه محمد سعيد . ثم تملكه السيد محمد أمين . ثم تملكه السيد عبد الرحمن المحض القادري سنة ١٣١٠ هـ .

الرقم ٦٣٧ ، قياسه ٢٦ × ١٦ س ، ٢٣ س الصفحة ، المجموع ١٧٢ ص بقطع الربع .

نسخة رائعة الخط والجودة .

الدر الثمين في مدائح الهاشميين

للشيخ عباس الزيوري البغدادي . مجموع قصائد في مدح السيد علي النقيب والسيد سلمان النقيب والسيد عبد الرحمن النقيب والسيد داوود النقيب . أوله : « الحمد لله الذي رفع الملوك ، وشرّف بها الشعراء الخ » . خط بقلم النسخ ، حسن الخط ، بقطع الربع ، ورقه مقطوع . مكتب في آخره : « تم نسخه سنة ١٣١٠ هـ » .

الرقم ٦٤٤ ، قياسه ١٧ × ١١ س ، الصفحة ، مجموعه ٣٥ ص بقطع الربع .

نزهة الدنيا في الوزير يحيى

للشيخ عبدالباقي العمري الشاعر المشهور المتوفى سنة ١٢٧٨ هـ . يشتمل على ترجمة قسم من شعراء الموصل . خط بقلم النسخ الرفيع ، حسن الخط ، ورقه فندق حمصي اللون ، ناقص الآخر .

الرقم ٦٤٥ ، قياسها ٢٣ × ١٨ س ، ٢٥ س الصفحة ، المجموع ٢٢٠ ص .

ك ـ التاريخ والتراجم والأنساب

ومن كتب التاريخ والتراجم والأنساب :

الجزء الثالث من تاريخ الذهبي

مؤلفه الحافظ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي . أوله : ترجمة أحمد بن اسحاق ابن يوسف أبي بكر الرقي . خط بقلم الثلث على قاعدة خط ابن البواب . بقطع النصف . ورقه من نوع الترمة . وينتهي بترجمة يوسف بن يعقوب ، ناسخه مجهول . وكتب في آخره : « تم المجلد الثالث من تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام . وتم نسخه يوم الجمعة ٢٢ رمضان سنة ١٣٠٠ هـ » .

الرقم ٦٥٤ ، قياسه ٢١ × ١٤ س ، ٢١ س الصفحة ، المجموع ٢٣٠ ص .

جزء من كتاب شذرات الذهب

مؤلفه عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ . أوله : « الحمد لله الذي خلق ما في الأرض جميعاً الخ » . خط بقلم النسخ ، حسن الخط ، ورقه من نوع الخيسي حمصي اللون . وكتب في آخره : « تم الكتاب » . ناسخه وتاريخ نسخه مجهولان .

الرقم ٦٦٢ ، قياسه ٣٠ × ٢٠ س ، ٣٣ س الصفحة ، المجموع ٢٣٠ ص .

كتاب مرآة الجنان في وقائع الزمان

مؤلفه عبد القادر بن جار الله بن أمير . اختصره من التاريخ الكبير لليافعي المتوفى سنة ٧٦٨ هـ . أوله : « سنة ١٣٤ للهجرة فيها تحول الخليفة السفاح عن الكوفة فنزل الأنبار الخ » . خطه شامي نفيس جداً ، والنسخة رائعة ، بقطع الربع . ورق الكتاب مشرمصقول سميك حمصي اللون . كتب في آخره : « هذا ما أردت تلخيصه من كتاب مرآة الجنان في حوادث الزمان . وقد تم نسخه بقلم إبراهيم المكي بن الشيرازي عبد الرحمن يوم الأحد ١٩ ربيع الأول سنة ١٠١٧ هـ » .

الرقم ٦٦٦ ، قياسه ٢٠ × ١٣ س ، ٢٣ س الصفحة ، المجموع ٣٥٩ ص .

الجزء السابع من حلية الأولياء

للحافظ أبي نعيم . ناقص الأول . وفي الصفحة الثانية منه ذكر من روى عن شعبة . خط شامي بقلم الثلث ، ورقه سميك حمصي اللون ، مداده أسود مركب من ماء الورد . حسن الخط . كتب في آخره : « تم هذا المجلد يوم السبت ٢ ربيع الأول سنة ٦٢١ هـ » ، ويتلوه المجلد الثامن . مجهول ناسخه .

الرقم ٦٧٩ ، قياسه ٢٤ × ١٦ س ، ٢١ س الصفحة ، مجموعه ٧٢٠ ص . وكتب على ظهر المخطوط : « تملكه السيد فرج الله القادري سنة ١١٠٧ هـ » .

كتاب ذكر رجال الصحيحين

لأبي نصر أحمد بن الحسين الكلاباذي . أوله : « الحمد لله على كل حال وأمام كل حاجة الخ » . خط بقلم الثلث على قاعدة مغربية . ورقه سميك حمصي اللون ، مداده أسود ، وأسماء الرجال بالأحمر . كتب في آخره : « تمّ تأليفه سنة ٣٩٨ هـ » . مجهول ناسخه . كتب على ظهره : « تملكه محمد بن إبراهيم الشهير بابن الدكدكجي ، ثم استصحبه عبدالله بن عثمان المعروف بمسجد زاده ، ثم تملكه الحاج أحمد التوكه‌جي سنة ١٢٥٠ هـ ، ثم تملكه السيد عبد الرحمن المحض القادري سنة ١٢٩٧ هـ » .

الرقم ٦٨٢ ، قياسه ٢٤ × ١٦ س ، ١٨ س الصفحة ، المجموع ٥١٠ ص بقطع الثلث .

كتاب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار

للشيخ محمود بن سليمان الشهير بالكفوي . أوله : « الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، وأنزل عليه الكتاب فبلغ ما أنزل اليه وحقق الخ » . وقد ترجم فيه من نبغ من علماء الأمة على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان ، وجعلهم كتائب ، ثم طبقات . جمع فيه أخبار فقهاء الأمصار ، من ذوي الفتيا وقضاة الأمصار ، من لدن نبينا صلى الله عليه وسلم الى مشايخ زمنه ، وهو القرن العاشر ، فقد ذكرهم بأسانيدهم وعنعناتهم بحسب أعصارهم وطبقاتهم ، مع إرداف المسائل الغريبة المنقولة عنهم في مشاهير كتب الفتاوى ، وتذييل الحكايات العجيبة المسموعة في حقهم عن جماهير العلماء ، ومشايخ زمانه وذكريات المؤرخين . ثم ذكر المصنف أنه سمى كتابه أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار : كأبي يوسف المقدم في الأخبار واللسان ، ومحمد المقدم في الفقه والإعراب والبيان ، وزفر بن هذيل الفقيه النبيه في القياس ،

وحسن بن زياد المسلم له في السؤال والتفريع بين الناس ، وعبد الله بن المبارك الصائب في رأيه في كل المسالك ، ووكيع بن الجراح المفسر الزاهد النصاح ، وحفص بن غياث بن طلق القطان الذكي في القضايا بين الخلق ، ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة في جمع الحديث وضبط الفروع فائدة ، وأسعد بن عمرو القاضي ، ونوح بن مريم الجامع ، وأبي مطيع البلخي ، ويوسف بن خالد السمتي ، وغيرهم . ثم ذكر طبقاتهم فتناول الطبقة الأولى ، وذكر أنه ألف كتابه هذا زمن السلطان مراد خان بن السلطان سليم خان بن سليمان أحمد سلاطين آل عثمان الخ .

خط هذا الكتاب بقلم النسخ بمداد أسود ، وأسماء الرجال والفصول والأبواب بالمداد الأحمر ، وفي صفحته الأولى طغراء محلاة بالذهب الخالص . مجدول بالأحمر . ورقه من نوع الترمة حمصي اللون . وهو من مخطوط استانبول . وفي أول الكتاب فهرس خط على قاعدة نسي تعليق . وهذه النسخة فريدة في بابها ونفيسة غاية النفاسة . كتب في آخرها : « تم الكتاب بقلم الفقير عبد الحق الحقير يوم السبت عاشر جمادى الآخرة سنة ١١٠٩ هـ » .

وكتب على ظهر المخطوط : « استصحبه الفقير كواكبي زاده محمد عطاء الله قاضي بغداد سنة ١٢٩٢ هـ . ثم استصحبه الفقير عبد الفتاح رسول أغا زاده . ثم انتقل بالإرث الشرعي من والدي السيد محمد سعيد مفتي زاده وأنا الفقير أحمد شريف الطبقجلي سنة ١٣٠٤ هـ . ثم انتقل إلي بالشراء الشرعي وأنا الفقير السيد عبد الرحمن المحض القادري سنة ١٣١٨ هـ » .

رقم الكتاب ٦٧٣ ، قياسه ٢٨ × ١٧ س ، ٣٣ س الصفحة ، المجموع ٨٥٠ ص .

كتاب جامع الأنوار أو كتاب أولياء بغداد

مؤلف هذا الكتاب مرتضى نظمي ، باللغة التركية . وقد ترجمه إلى العربية الشيخ عيسى البندنيجي المتوفى سنة ١٢٨٣ هـ ، وزاد عليه . أوله : « الحمد لله الذي تجلى بذاته لذاته في منصة الأحدية » . ذكر فيه جميع من دفن ببغداد من الصحابة الكرام والأولياء المشهورين

مع بيان تاريخ الوفيات ومحل الدفن الخ .

وكتب في آخره : « تم نسخ هذا الكتاب على يد الفقير عبد الفتاح بن الحاج سعيد المنتمي الى الشواف سنة ١٢٦٢ ﻫ » . وكتب على ظهر المخطوط ما نصه :

« تملكه أفقر الورى السيد علي القادري نقيب الأشراف سنة ١٢٧٢ ﻫ . ثم تملكه الفقير اليه عز شأنه السيد عبد الرحمن المحض القادري سنة ١٢٩٢ ﻫ » .

الرقم ٦٧٨ ، قياسه ٢٠ × ١٤ ، ٢٣ س الصفحة ، المجموع ٤٢٠ ص .

كتاب الدرر الكامنة

لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي الشهير بابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ ﻫ . أوله : « الحمد لله الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار » . رتبه على الحروف . وقد فرغ من تأليفه سنة ٨٣٠ ﻫ . خط بقلم النسخ ، خط مغربي ، حسن واضح ، ورقه من نوع العشر حمصي اللون سميك ، ومداده أسود ، وأسماء الأبواب والرجال بالمداد الأحمر . وكتب في آخره : « وافق الفراغ من نسخه في ٢٢ رمضان سنة ٩٧٧ على يد إبراهيم بن أسد المصري » . وكتب على ظهر المخطوط : « نظرت فيه وأنا الفقير يحيي بن مزهر سنة ٩٩٠ ﻫ » . وتملكه محمد بن عجلان الحسيني ، ثم تملكه الحاج حسن سنة ١٢٢٣ ﻫ .

الرقم ٦٨١ ، قياسه ٢٦×١٨ س ٢٩ س الصفحة ، المجموع ٢٤٠ ص .

سيرة ابن هشام

لأبي عبد الله محمد بن هشام النحوي . أولها : « ذكر نسب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الخ » خطت بقلم النسخ الرفيع بمداد أسود ، ورقها من نوع الترمة ، وعليها حواشي . وكتب في آخرها : « تم نسخ سيرة ابن هشام بقلم الفقير عمر بن رمضان بن محمد بن علي بن درويش الهيتي يوم الأربعاء الآخرة من جمادى الأولى من شهور سنة ١٢٤٨ ﻫ » .

وكتب على ظهر هذه المخطوطة ما نصه : « كتبتها لنفسي : رمضان بن محمد بن درويش الهيتي سنة ١٢٤٨ﻫ » (؟) ، وكتب تحت ذلك ما نصه : « آلت الى نوبة السيد محمود الآلوسي المفتي

ببغداد سنة ١٢٥٢ هـ » . ثم تملكها السيد عبد الباقي مفتي زاده من التركة سنة ١٢٧٥ هـ ، ثم تملكها بالشراء الشرعي الفقير الى الله السيد عبد الرحمن الحمض . وكتب بذيل جميع ذلك صورة إجازة من السيد محمود الآلوسي للسيد رمضان المذكور بقراءة السيرة المذكورة ، وهذا أولها : « أحمدك يا من رفع من وضع سلسلة العبودية في عنقه ، ووصل من قطع حبال آماله بغيره وهداه أنهج طرقه ... سنة ١٢٥٠ هـ » .

رقم السيرة ٦٨٥ ، قياسها ٢٠×١٢ ، ٢٨ س الصفحة . المجموع ٦٢٤ ص .

الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات

لأبي البركات محمد بن أحمد بن محمد الخطيب الشهير بابن الكيال الذهبي الشافعي المتوفى سنة ٩٢٩ هـ . أوله : « الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين . أما بعد ، فهذا كتاب مظهر لتراجم خفيت على كثير من الطالبين » .

وقد رتبه على حروف المعجم . خط بقلم النسخ . خط شامي . بقطع الربع . والظاهر أنه بخط المؤلف حيث أنه يكتب العبارة ثم يضع عليها خطاً ويكتب غيرها ، وكتب في آخره : « فرغت من هذا المؤلف في ٤ جمادى الأولى سنة ٨٨٩ هـ » . وكتب على ظهره ما نصه : « تملكته صافية زوجة الملا حسين . ثم تملكه إبراهيم بن محمد الشافعي » .

وقد ترجم مؤلف هذا الكتاب عبد الحي بن العماد الحنبلي في الجزء الثامن من شذرات الذهب ص ١٦٤ فيمن توفي سنة ٩٢٩ .

وذكره أيضاً إسماعيل صبري باشا البغدادي في إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (٣٩١/٢) .

رقم الكتاب ٧٢٢ ، قياسه ٢١×١٢ س ، ١٨ س الصفحة ، مجموع صفحاته ١٣٠ .

الاستيعاب في أسماء الصحابة الأنجاب

لابن عبد البر . نسخة نفيسة جداً ، خطت بقلم الثلث حسن الخط ، ورقها سميك حمصي

اللون ، خطها بمداد أسود مركب من ماء الورد ، وكتب في آخرها : كمل استنساخها في ٢١ ربيع الأول سنة ١٣٠٤ هـ » .

وكتب على ظهر المخطوطة : « استكتبته وأنا الفقير السيد عبد الرحمن المحض القادري سنة ١٣٠٤ هـ » .

الرقم ٧٦٢ ، قياسها ٣٠×٢٠ س ، ٢٩ س الصفحة ، المجموع ١١٠٠ ص بقطع النصف .

كتاب بحر الأنساب

مجهول جامعه وناسخه ، ناقص الأول والآخر . رتبه جامعه على طريقة المشجر . خط بقلم الثلث ، حسن الخط جداً على طريقة ابن البواب . خط بمداد أسود وأحمر . ورقه من نوع الترمة الأبيض سميك بقطع النصف . نسخة فريدة في بابها من وجه التنسيق والخط والجودة .

الرقم ٦٦١ ، قياسه ٣٥ × ٢٤ س ، ٣ س الصفحة ، المجموع ٢٢٠ ص .

كتاب الخميس في أحوال نفيس

للشيخ حسين بن محمد بن حسين الديار بكري الحنفي المتوفى سنة ٩٦٦ هـ أو سنة ٩٨٢ هـ . أوله : « الحمد لله الذي خلق نور نبيه قبل كل الأوائل الخ » ثم يقول المؤلف : « هذه مجموعة في سيرة سيد المرسلين وشمائل خاتم النبيين ، اخترتها من التفسير الكبير ، وحاشية الشريف الجرجاني ، والكشف ، والوسيط ، ومعالم التنزيل ، وأنوار التنزيل ، ومدارك التنزيل ، وتفسير القشيري ، وبحر العلوم ، والنهر ، ولب التأويل ، وصحيحي البخاري ومسلم . ثم رتبتها على مقدمة وثلاثة أركان . والمقدمة تشتمل على ثلاثة ملائم الخ » . خط بقلم النسخ بمداد أسود . ورقه من نوع الخيسي حمصي اللون . حسن الخط . نسخة نفيسة جداً . كتب في آخره : تم نسخه في ١٦ ربيع الأول سنة ١٠١٠ هـ . مجهول ناسخه .

الرقم ٩٥٥ ، قياسه ٢٩×١٨ س ، ٣١ س الصفحة ، المجموع ٣٨٠ ص بقطع النصف .

كتاب تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب الأئمة الأطهار

للشيخ ضامن بن شدقم بن علي بن حسن النقيب المدني . أوله: « الحمد لله المحسن المتفضل الكريم الوهاب الخ » . رتبه مصنفه على فصول تتضمن أنساب السادة الأشراف . خط بقلم النسخ بمداد أسود ، والفصول بالأحمر ، حسن الخط ، ورقه من نوع الترمة . وكتب في آخره : « قد وصل للعبد الفقير عبد الجليل سنة ١٢٣٠ هـ » ، مجهول ناسخه وتاريخ نسخه ، وكتب على ظهر المخطوط : تملكه أبو طالب الحسني في سلطنة أصفهان سنة ١١٨٧ هـ ، ثم تملكه السيد علي النقيب سنة ١٢٧٦ هـ ، ثم تملكه ولده السيد عبد الرحمن المحض القادري سنة ١٢٩٧ هـ .

الرقم ٦٥٧ ، قياسه ٢٠×١٣ س ، ٢١ س الصفحة ، مجموع الصفحات ٢١٠ ص بقطع الربع .

ل ــ العلوم العامة

ومن كتب العلوم العامة :

كتاب شرح مراد بن سعد على خلاصة الحساب

لأبي الثناء السيد محمود الآلوسي مفتي بغداد المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ . أوله : « الحمد لله الواحد العظيم الخ » . خط بقلم النسخ الرفيع ، حسن الخط ، ورقه من نوع الجيسي بقطع الربع . وكتب في آخره : « تم بخط مؤلفه السيد محمود الآلوسي المدرس بالامام الأعظم سنة ١٢٣٧ هـ ، وقد كتب كل يوم ٥ أوراق ، وبلغ مقابلة وتصحيحاً على يد تلميذه وولده القلبي الذكي الاوذعي عبد السلام أفندي شواف زاده مدرس القادرية سنة ١٢٦٢ هـ » .

الرقم ٧١٠ ، قياسه ٢٠×١٤ س ، ٢١ س الصفحة ، المجموع ٢٣٠ ص .

كتاب زبدة العلوم

يشتمل على كتابين : الأول (كتاب اللباب في الحساب) لأبن الفضل الأبهري ، والثاني

(المجسطي) . خطّها بقلم النسخ الرفيع ، جيد الخط على قاعدة شامية ، خطها قديم جداً ، مجهول تاريخ نسخها وكذا الناسخ .

الرقم ٧٠٥ ، قياسه ٢٠ × ١٥ س ، ١٩ س الصفحة .

رسالة في الربع المجيب على رسالة المارديني

للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن الحاج أحمد التاجوري . أولها : « الحمد لله الذي جل وعلا » . خطت بقلم النسخ بمداد أسود ، وورقها خيمي حمصي اللون . وكتب في آخرها : « تم نسخها سنة ١٠٨٣ هـ بقلم محمد بن رجب بن علي بن محمد بن مسلم » . وكتب على ظهرها : « تملكها محمد أمين دفتري بغداد سنة ١١٨٠ هـ ، ثم تملكها السيد عبدالرحمن المحض القادري نقيب زاده في سنة ١٢٩٧ هـ » .

الرقم ٧١١ ، قياسها ١٥ × ٨ س ، ١٧ س الصفحة ، المجموع ١١٢ ص بقطع الربع . نسخة نفيسة . وفيها جداول متعددة .

رسالة في الطب

ناقصة الأول والآخر . خطت بقلم الثلث ، متوسطة الخط . ورقها خيمي حمصي اللون . مجهولة المؤلف والناسخ وتاريخ نسخها .

الرقم ٧٥٢ ، قياسها ١٩ × ١٣ س ، ١٩ س الصفحة ، مجموعها ٨٩ ص بقطع الثمن .

كتاب زهرة الفنون وزهرة العيون

للشيخ محمد أمين بن خيري العمري . أوله : « أحمدك اللهم حمداً ألم به شمث أحوالي ، وأوشي به مطارف آمالي ، وأطرز به صحائف أعمالي الخ » . وقد رتبه على فنون العلوم ، وكتب في آخره : « وقد فرغت من جمعه وتأليفه ليلة الأربعاء الثالث والعشرين من شهر رجب المبارك سنة ١١٧٦ هـ ، وكان الابتداء في جمعه في أوائل شوال سنة ١١٧٥ » .

وكتب على ظهر المخطوط : « تملكته بالاستكتاب وأنا الفقير السيد عبد الرحمن المحض القادري سنة ١٢٧٩ هـ » .

الرقم ٧٠٧ ، قياسه ٣٠ × ١٩ س ، ٣١ س الصفحة ، مجموع الصفحات ١٤٠٠ ص بقطع النصف .

م – المجاميع

ومن المجاميع :

مجموعة رقم ٧٣١ ، فيها :

١ — كتاب الارشاد في التصوف للشيخ عمر السهروردي . أوله : « الحمد لله الذي هدانا الى هذا الخ » . رتب على أبواب في بيان أبواب الطارق والفناء والبقاء والتوبة والمجاهدة والعزلة والتقوى .

٢ — رقم ٧٣٢ ، فيها رسالة في قول القائلين بأن الواجب موجب بالذات ، مؤلفها ابن كمال باشا أولها : « الحمد لله الذي أوجد العالم بالقدرة والاختيار » .

٣ — رسالة في الولاء رداً على الرسالة المصرية ، مؤلفها المولى الكوراني ، أولها : « الحمد لله لمن أنطقنا بحمده » . رقمها ٧٣٣ .

وكتب في آخر هذه المجموعة : « تم في أوائل شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٠٠ هـ بقصبة ويترخج » مجهول ناسخ هذه المجموعة . خطها حسن الجلة . ورقها من نوع الخميسي حمصي اللون .

قياسها ٢١ × ١٤ س .

مجموع رقم ٧٤٠

فيه حواشي بخط السيد عبد الرحمن فيض الله القادري نقيب الأشراف ، تحتوي على :

١ — رسالة في الآداب وحاشيتها .

٢ – تعليقات على قول أحمد للشيخ عبد الله بن حيدر الكردي ، بخط السيد عبد الفتاح الشهير بالشواف سنة ١٢٥٨ هـ .

* * *

هذا ما اخترته من كتابي فهرس مخطوطات المكتبة القادرية عن كنوزنا العلمية والأدبية ، والله ولي التوفيق .

إبراهيم الدروبي

دراسة المعجمات اللغوية

١ — المصباح المنير

في دراسة معجمات اللغة الأصيلة متعة فائقة ، وفائدة علمية لغوية عظيمة وبحث مفيد جداً عن تطور اللغة والتعبير ، وأعني بالمعجمات الأصيلة المعجمات التي تحتوي على أصالة في البحث اللغوي كصحاح الجوهري أو أصالة في الجمع والشرح كأساس البلاغة لجار الله محمود الزمخشري والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرى ، أو أصالة في الاختصار كمختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي . وغير الأصيلة هي المعجمات التي يغلب عليها التقليد والنقل البليد .

وهذه الدراسة وقفتني ، فيما وقفتني عليه من أحوال مؤلفي تلكم المعجمات ، على أنّهم كالنحويين يستعملون أحياناً ما يخالف القياس المجمع عليه بين العلماء ، ويعبرون أحياناً بعبارات مولدة لم يشيروا إلى توليدها ، ويشرحون آونة بكلمات لم تحتو معجماتهم على شرحها مع أن أظهر صفات المعجم اللغوي أن لا يحتاج في شرح عباراته إلى معجم آخر فضلاً عن شرح مادته اللغوية، ويستعملون تارات ما أهملوا جواز استعماله في مادته ، دالين عليه وجهاً آخر أو غافلين عن ذلك أصلاً . ومن المعاجيم الأصيلة المحتوية على ما ذكرته آنفاً من الملامح والفوائد والمآخذ « المصباح المنير » الذي مثلت به وبغيره في البيان عن الأصالة في التأليف اللغوي .

وقد ذكر ابن حجر في الدرر مؤلف المصباح المنير ونقل قوله السيوطي في البغية قال : « أحمد بن محمد الفيومي ثم الحموي ، قال في الدرر : اشتغل ومهر وتميّز في العربية عند أبي حيان ثم قطن حماة ، وخطب بجامع الدهشة ، وكان فاضلاً عارفاً بالفقه واللغة ، صنف المصباح

المنير في غريب الشرح الكبير . توفي سنة نيف وسبعين وسبعمائة »[1] .

ونقل محمد باقر الخونساري ما في بغية السيوطي وزاد عليها ، قال : أحمد بن محمد بن علي الفيومي المصري ثم الحموي ، نقل صاحب البغية عن أبي الفضل بن الحجر (كذا) أنه قال في حق هذا الرجل في كتابه الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة : اشتغل ومهر وتميّز في العربية عند أبي حيان ثم قطن حماة وخطب بجامع الدهشة وكان فاضلاً ، عارفاً بالفقه واللغة صنف كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير . توفي سنة نيف وسبعين وسبعمائة (انتهى) . والوجه في هذه النسبة ، كما ذكر بعضهم ، أن مقصوده الأصلي من وضعه إنما كان هو البيان والتفسير لغرائب لغات كتاب (العزيز في شرح الوجيز) للامام الرافعي القزويني ، وهو أكبر شرحيه على أصغر كتب الغزالي في فقه الشافعي المعروفة [أي كتب الغزالي] بالبسيط والوسيط والوجيز على حذو ثلاثة الامام الواحدي بهذا الوجه في تفسير القرآن العزيز . وفي الرياض أنه [أي العزيز] كتاب ضخم جداً وشرحه ممزوج بالمتن ، وقد رأيت نسخة عتيقة منه بأصبهان وهو أفيد كتب الشافعية في جميع مذاهب العامة بأجمعها ، وعلى سوقه مشى العلامة في كتاب التذكرة وإن لم يمهله الأجل لتتميمه . هذا وقد فرغ الفيومي من تأليف كتاب المصباح في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، ويظهر منه أنه مختصر كتاب كبير آخر له في اللغة[2] ... » .

ويظهر من مادة « غزل » من المصباح المنير أن أحمد الفيومي دخل بغداد قال : « وغزالة : قرية من قرى طوس وإليها ينسب الإمام أبو حامد الغزالي ، أخبرني بذلك الشيخ مجد الدين محمد بن محمد بن محي الدين محمد بن أبي طاهر شروان شاه بن أبي الفضائل فخر اور بن عبيد الله بن ست النساء بنت أبي حامد الغزالي سنة عشر وسبعمائة » . وقال يوسف أليان سركيس : « رأيت له ديوان خطب غير مطبوع كتب فيه اسمه كما يأتي : شهاب الدين فخر العلماء العاملين ، خطيب خطباء المسلمين أبو العباس أحمد ابن الشيخ الامام كمال الدين محمد ابن

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ١٧٠ .

(٢) روضات الجنات ، ص ٩١ .

الشيخ الامام أبي الحسن الفيومي الشافعي . وقال في مقدمة الديوان المذكور : إن السلطان الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماة لما أنشأ الجامع بظاهر حماة في شعبان سنة ٧٢٧ ندبني الى خطابته ، ولم أكن يومئذ مستعداً لها ، ففارقت باب المولى الكريم (١) ... » .

وقال حاجي خليفة : « المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، للشيخ الامام أحمد بن محمد بن علي الفيومي ... فرغ من تأليفه في شعبان سنة ٧٣٤ أربع وثلاثين وسبعمائة وتوفي سنة (٧٧٠) سبعين وسبعمائة فصار ترتيبه كترتيب المغرب للحنفية (٢) » .

وقال الفيومي في أول المصباح : « الحمد لله رب العالمين ... وبعد فاني كنت جمعت كتاباً في غريب شرح الوجيز للامام الرافعي وأوسعت فيه من تصاريف الكلمة وأضفت اليه زيادات من لغة غيره ومن الألفاظ المتشابهات ومن المماثلات ، ومن إعراب الشواهد وبيان معانيها وغير ذلك مما تدعو إليه حاجة الأديب الماهر ، وقسمت كل حرف منه باعتبار اللفظ إلى أسماء متنوعة الى مكسور الأول ومضموم الأول ومفتوح الأول ، والى أفعال بحسب أوزانها ، فحاز من الضبط الأصل الوفي ، ونال من الايجاز الفرع العلي ، غير انه افترقت بالمادة الواحدة أبوابه ، فوعرت على السالك شعابه ، وانقدحت (٣) بين يدي الشادي رحابه ، فكان جديراً بأن تنبهر دون غايته ركابه ، يجر إلى ملل ، ينطوي على خلل ، فأحببت اختصاره على النهج المعروف ، والسبيل المألوف ، ليسهل تناوله بضم منتشره ، ويقصر تطاوله بنظم منتثره ، وقيدت ما يحتاج إلى تقييده بألفاظ مشهورة البناء ... واعلم أني لم ألتزم ذكر ما وقع في الشرح واضحاً ومفسراً وربما ذكرته تنبيهاً على زيادة قيد ونحوه ، وسميته بالمصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، والله

(١) معجم المطبوعات العربية والمعربة « ١٤٧٦ » .

(٢) كشف الظنون في الميم .

(٣) في نسخة المطبعة الأميرية بمصر المطبوعة بنظارة المعارف العمومية سنة ١٩١٢ وتصحيح الأستاذ الشيخ حمزة فتح الله الشهير « امتدحت » وهو تصحيف .

تعالى اسأل أن ينفع به إنه خير مأمول [1] » .

ومن محاسن المصباح المنير أن مؤلفه ختمه بخاتمة جليلة في الصرف وتعداد أكثر المراجع التي رجع إليهـا في التأليف قال : « وقد اقتصرت في هـذا الفرع أيضاً على ما يتعلق بألفاظ الفقهاء وسلكت في كثير منه مسالك التعليم للمبتدئ والتقريب على المتوسط ليكون لـكل خط حتى في كتابتـه . وهذا ما وقع عليه الاختيار من اختصار المطوّل ، وكنت جمعت أصله من نحو سبعين مصنفاً ما بين مطول ومختصر ، فمن ذلك :

١ — التهـذيب للأزهري وحيث أقول : وفي نسخة من التهذيب فهي نسخة عليهـا خط الخطيب أبي زكريا التبريزي .

٢ — وكتابه على مختصر المزني .

٣ — والمجمل لابن فارس .

٤ — وكتاب متخير الالفاظ له .

٥ — وإصلاح المنطق لابن السكيت .

٦ — وكتاب الألفاظ

٧ — وكتاب متخير الالفاظ له

٨ — وكتاب المذكر والمؤنث

٩ — وكتاب التوسعة له .

١٠ — وكتاب المقصور والممدود لأبي بكر ابن الأنباري .

١١ — وكتاب المذكر والمؤنث له .

١٢ — وكتاب المصادر لأبي زيد سعيد بن أوس الانصاري .

١٣ — وكتاب النوادر له .

١٤ — وأدب الكاتب لابن قتيبة .

١٥ — وديوان الأدب للفارابي

١٦ — والصحاح للجوهري

١٧ — والفصيح لثعلب

١٨ — وكتاب المقصور والممدود لأبي إسحاق الزجاج

١٩ — وكتاب الأفعال لابن القوطية

٢٠ — وكتاب الأفعال للسرقسطي

٢١ — وأفعال ابن القطاع

٢٢ — وأساس البلاغة للزمخشري

(١) المصباح المنير ، الطبعة المتقدم ذكرها ، ص ٣ ، ٤ .

٢٣ — والمغرب للمطرزي

٢٤ — والمعرّبات لابن الجواليقي

٢٥ — وكتاب ما يلحن فيه العامة له

٢٦ — وسفير الافادة لعلم الدين السخاوي

ومن كتب سوى ذلك فمنه راجعت كثيراً منه لما أطلبه نحو :

٢٧ — غريب الحديث لابن قتيبة

٢٨ — والنهاية لابن الأثير

٢٩ — وكتاب البارع لأبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي المعروف بالقالي

٣٠ — وغريب اللغة لأبي عبيد القاسم بن سلام

٣١ — وكتاب مختصر العين لأبي بكر محمد الزبيدي

٣٢ — وكتاب المجرد لأبي الحسن علي بن الحسن بن الحسين الهنائي

٣٣ — وكتاب الوحوش لأبي حاتم السجستاني

٣٤ — وكتاب النخلة له

وما التقطت منه قليلاً من المسائل :

٣٥ — كالجمهرة [لابن دريد]

٣٦ — والمحكم [لابن سيده]

٣٧ — ومعالم التنزيل للخطابي

٣٨ — وكتاب لأبي عبيدة معمر بن المثنى

٣٩ — والغريبين لأبي عبيد أحمد بن محمد ابن محمد الهروي

٤٠ — وبعض أجزاء من مصنفات الحسن ابن محمد الصغاني من العباب وغيره

٤١ — والروض الأنف للسهيلي

وغير ذلك مما تراه في مواضعه ، ومن كتب التفسير والنحو ودواوين الأشعار عن الأئمة المشهورين المأخوذ بأقوالهم ، الموثوق عند نصوصهم وآرائهم مثل ابن الأعرابي وابن جني وغيرهما ، وسميته غالباً في مواضعه حيث يُبنى عليه حكم ، ونستغفر الله العظيم مما طغى به القلم أو زل به الفكر ، على أنه قد قيل : ليس من المدخل أن يطغى قلم الانسان ، فانه لا يكاد يسلم منه أحد ولا سيما من أطنب ...

ونسأل الله حسن العاقبة في الدنيا والآخرة ، وأن ينفع به طالبه والناظر

فيه ، وأن يعاملنا بما هو أهله بمحمد وآله الأطهار ، وأصحابه الأبرار .

وكان الفراغ من تعليقه على يد مؤلفه في العشر الأواخر من شعبان المبارك سنة أربع وثلاثين وسبعمائة هجرية [1] » .

٤٢ — وقد ذكر هو كتاب المدخل لأبي عمر الزاهد في « جمع » من مصباحه

٤٣ — ديوان عدي بن زيد العبادي وشرحه ، ذكره في « أم م » من المصباح .

٤٤ — مشكلات معاني القرآن لابن قتيبة ، ذكره في « بعض »

٤٥ — معاني الشعر لابن السراج ، ذكره في « بعض »

٤٥ — معاني الشعر لابن السراج ، ذكره في « بعض » كذلك

٤٦ — كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكاتب لأبي عبد الله محمد بن السيد البطليوسي ، ذكره في «أول»

٤٧ — إعراب القرآن لأبي محمد مكي ، ذكره في « غير » من المصباح

٤٨ — الانصاف في الخلاف بين البصريين والكوفيين لكمال الدين بن الأنباري ، ذكره في « ثول »

٤٩ — شرح المفتاح لقطب الدين الشيرازي في « فضل »

٥٠ — المنهاج لابن البيطار ، ذكره في « أعد »

٥١ — كتاب المساحة للسموءل ، ذكره في « جرب »

٥٢ — تفسير القرآن لأبي الفرج بن الجوزي ، جاء ذكره في « ذكا »

٥٣ — شرح الحماسة للمرزوقي ، ورد ذكره في « إن » و « غير »

٥٤ — كفاية المتحفظ لابن الأجدابي في « بعر » و « ثفر »

٥٥ — مشكلات الوسيط في « جفل [2] »

وقد قرأت المصباح المنير من أوله إلى آخره قبل ثمان وعشرين سنة فألفيته جم الفوائد ، فيه نقول لغوية تجري مجرى الفرائد ، غير أنه لم يسلم من العيب الذي أشرت إليه ، وأمثاله في

(١) المصباح المنير « ص ١١٠٠ — ١١٠٢ » .

(٢) سنذكر البقية في آخر المقالة .

الجمع لا في علم صاحبه ، فانه كان عالماً بالصرف لا عالماً به ، ألا تراه يقول في مادة « ندل » :

« المنديل : مذكر ، قال ابن الأنباري وجماعة ، ولا يجوز التأنيث لعدم العلامـــة في التصغير والجمع فانه لا يقال مُنيديلة ولا منديلات ، ولا يوصف بالمؤنث فلا يقـال منديل حسنة فان ذلك كله يدل على تأنيث الاسم ، فاذا فقدت علامة التأنيث مع كونها طارئة على الاسم تعين التذكير الذي هو الأصل » .

وفي قوله هذا نظر فان علامة التأنيث التي هي التـاء التي تقلب الى هاء لا تظهر في المصغّر إلا إذا كان الاسم ثلاثياً مجرداً منها مثل « نار نويرة » وشذّ من القاعدة « قدام » و « وراء » . قال هو نفسه ناقلاً في « صغر » من مصباحه : « وصغرت الاسم تصغيراً ، فان كان ثلاثياً أو رباعياً أو جمع قلة سلم على بنائه أيضاً نحو ثوب وثويب ودرهم ودريهم وأفلُس وأفيلس وأجمال وأُجيمال . وفي الثلاثي المؤنث إن كان اسماً ردت الهاء وقلت قديرة وعيينة ، وإن كان صفة لم تلحقه فيقال ملحفة خُلَيْق ، فرقاً بينهما ... » . ثم قال في « قدم » من مصباحه : « وقُدام خلافه وراء وهي مؤنثة ، يقـال هي قدام ، وتصغّر بالهـاء فيقال قديديمة . قالوا : ولا يصغر رباعي بالهاء إلا قدام ووراء » .

وأما علامة التأنيث في الجمع فليست دائمـاً دليلاً على تأنيث المفرد قال هو في « بخر » من من كتابه المذكور : « والبُخار : معروف والجمع أبخرة وبخـارات » فالبخارات مؤنثة في الجمع مذكرة في المفرد ، ولا تدل البخارات على أن المفرد « بخارة » ، وإن كان التقدير يوجب أن تظنّ كذلك من أجـل الجمع فقط ، وقال هو في « ربط » من المصبـاح : « والرباط الذي يبنى للفقراء مولد ويجمع في القياس ربط بضمتين ورباطات » . ولم يشترط التأنيث للجمع بالألف والتاء بل جعله قياساً عاماً . والحمام يجمع على حمامات سواء أعد مؤنثـاً أم مذكراً ، ولا أحسب تأنيث من أنث الحمام إلا من الأوهام وذلك لالتباسـه بالحمام الطائرة فان هذا الاسم يجوز تأنيثه

وتذكيره ، وإلا فالحمّام على وزن « فَعّال » وهو من أوزان المذكّر [1] . وقد ذكر الفيومي قاعدة الجمع المتقدم ذكره بقوله في « بدر » : « قال ابن الأنباري : اعلم أن جمع غير الناس بمنزلة جمع المرأة من الناس تقول فيه منزل ومنزلات ، ومصلى ومصليات » .

وإذ كان المصباح المنير على الصفة التي ذكرناها من الاصالة والاحتواء على الفوائد اللغوية ، والعيوب غير القليلة ، وددنا أن نذكر شيئاً من تلك العيوب ، فقد قال مؤلفه في مقدمته :

١ — « وانتدحت بين يدي الشادي رحابه » أي اتسعت ، ولم يذكر هذا الفعل الخماسيّ في مادة « ندح » .

٢ — وقال فيها : « وإلى أفعال بحسب أوزانها » ولم يذكر استعمال « بحسب » في « حسب » وإنما اكتفى بقوله : « يجزى المرء على حسب عمله » . وكرر الاستعمال الأول في مادة « جرب » و « غلط » و « قال » و « كل » . ولعله ذكره في غير هذه المواضع .

٣ — وقال فيها : « فكان جديراً بأن تنبهر دون غايته ركابه » . ولم يذكر « انبهر » في مادة « بهر » ولا اشترط إغفال وزن المطاوعة المزعومة في مقدمة كتابه .

٤ — وقال فيها يذكر الهمزة : « لأنها تسهّل الى الألف » و « إنما تكتب بما تسهّل إليه » . يريد « تليّن وتُحال » ، ولكنه لم يذكر في « سهل » : سهل الشيء إلى كذا أي لينه وأماله اليه .

---

(١) قال المبرد : « وقال رجل من مزينة :

خليلي بالبوباة عوجا فلا أرى ✻ بها منزلا إلا جديب المقيد
نذق برد نجد بعدما لعبت بنا ✻ تهامة في حمامها المتوقد

« الكامل ج ١ ص ١٣٧ طبعة الدلجوني الأزهري » . وقال حنين الحيري المغني المشهور « فقيل لي : عليك بالحمامات فانهم يجتمعون بها إذا أصبحوا فجئت إلى أحدها فدخلته فاذا فيه جماعة منهم » . « الأغاني ٢ : ٣٤٦ ، ٣٤٧ طبعة دار الكتب المصرية » ، وقال بعضهم كما في الأغاني « ٥ : ١٠٧ » « دخلت المدينة حاجاً فدخلت الحمام ، فبينا أنا فيه إذ دخل صاحب الحمام فغسله ونظفه » . وقال أبو ريحانة لرجل : « يا ابن أخي ، ان الشعر الحسن من المغني الحسن ذي الصوت المطرب أحسنا فمغرور من حمام غمي » . « الأغاني ٦ : ١٥٤ » .

٥ — وقال في « بره » يعني الحيوان : واستسخر للانسان تشريفاً له عليه وإكراماً له كما استسخر النبات للحيوان » . وكرّر « الاستسخار » في مادة « جرى » غير أنه لم يذكره في « سخر » .

٦ — وقال في مادة « بضع » : « وتستأمر النساء في أبضاعهن » أي يطلب أمرهن ويؤامرن ، ولم يذكر « استأمر » في مادة « أمر » لكي يعلم معناه من لا علم له به .

٧ — وقال في مادة « بلح » . « تلوّن الى كذا » مُحِرباً : ضرب لونه إليه ، ولم يذكر تلوّن إليه في « لون » .

٨ — وقال في « بهم » : « واستبهم الخبر واستغلق واستعجم بمعنى » ولم يذكر « استغلق » في « غلق » .

٩ — وقال في « بوب » : « إذا نسبت الى المتضايفين » . ولم يذكر في « ضيف » أنه يقال « تضايف الاسمان » .

١٠ — وقال في « ندي » : « ناديته منادأة ونداءاً » ، ولم يذكر « نادى به » مع أنه استعمله في « بوس » قال : « وإذا نادى بنا المنادي » ولا يجوز له أن يحتج بزيادة الباء فانه ذكرها في مادة « بعض » وتكلّم على زيادتها ، قال : « لأن الأصل عدم الزيادة ، ولا يلزم من الزيادة في موضع ثبوتها في كل موضع ، بل لا يجوز القول به إلا بدليل ، فدعوى الاصالة دعوى تأسيس وهو الحقيقة ، ودعوى الزيادة دعوى مجاز ، ومعلوم أن الحقيقة أولى » .

١١ — وقال في « بوك » : « فكانت خالية من البؤس » وفي دعا « خال من التأويل » وكرره كثيراً ولم يذكر « خلا عنه » في مادته بل « خلا منه » .

١٢ — وقال في « بله » ناقلاً : « ومن كلام العرب : خير أولادنا الأبله الغفول [1] »

---

(١) سيأتي أن الصواب « العقول » وأنه تصحف على مصحح المصباح الشيخ حمزة فتح الله — رحمه الله — .

على وزن صبور ، وهو مبالغة من الغافل ، ولم يثبت « الغفول » في مادة « غفل » مع أنه من كلام العرب المشهور ، على حسبان أن « الغفول » خال من التصحيف ، وجاء في « بله » من أساس البلاغة للزمخشري : « خير أولادنا الأبله العقول » على وزن صبور من العقل « عقل » أي فهم وأدرك . وأيد الزمخشري وجود « العقول » بقوله في عقل : « إن المرفه لتنفع عند الكلب العقور فكيف عند الرجل العقول » . وعلى اعتبار أنه « العقول » لم يذكره الفيومي في « عقل » من المصباح .

١٣ — وقال في الكلام على « الباء » أحد حروف الجر : اشتريت الثوب بدرهم واتّهبته منه بدرهم » ولم يذكر في « وهب » هذا المعنى في هذا التعبير واقتصر على « اتّهبتُ الهبة : قبلتها » ومعلوم أن الشراء غير الهبة عند الفقهاء وغيرهم .

١٤ — وذكر في « بيض » الأذون بمعنى ذا الأذن ، قال : « ويحكى عن الجاحظ أنه صنف كتاباً فيما يبيض ويلد (١) من الحيوانات فأوسع في ذلك . فقال له عربي : يجمع ذلك كلّه كلمتان : كل أذون ولود وكل صموخ بيوض . ولم يذكر « الأذون » في « أذن » من المصباح .

١٥ — وذكر « الحيوانات » جمع الحيوان في مادة « بيض » كما نقلتُ قبيل هذا السطر ، ولم يذكر هذا الجمع في مادة « حيي » فضلاً عن أنه أنكر صحته كما يفهم من كلامه ، قال : « والحيوان كل ذي روح ، ناطقاً كان أو غير ناطق ، مأخوذ من الحياة ، يستوي فيه الواحد والجمع لأنه مصدر في الأصل » .

١٦ — وذكر « الصّموخ » في « بيض » كما نقلت آنفاً ، ولم يذكره في « صمخ » .

١٧ — وقال في « تبر » يذكر التبر : « فان ضرب دنانير فهو عين » . ولم يذكر في

(١) الصواب « فيما يبيض وما يلد » بتكرار « ما » الموصولة لثبوت التغاير بين البائض والوالد والتغاير يوجب تكرار الاسم الموصول ، كقوله — تعالى — « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم » .

« ضرب » أنه يقال « ضرب الدينار ولا ضرب الذهب دنانير » .

١٨ — وقال في « غدا » : « والغد اليوم الذي يأتي بعـــد يومك على أثره » وقال في « تبع » : « وتتابعت الأخبار : جاء بعضهـا إثر بعض » ، ولم يذكر هـذين التعبيرين في « أثر » وإنما قال : « وجئت في أثره (بفتحتين) وإثره (بكسر الهمزة والسكون) » واقتصر على ذلك .

١٩ — وقال في « ابل » يذكر الإبل : « وإذا ثني أو جمع فالمراد قطيعان أو قطيعات » وقال في « غنم » : « وقد تجمع على أغنام على معنى قطعانات » . ولم يذكر الجمعين المذكورين للقطيع أي « القطيعات والقطعانات » في « قطع » بل اقتصر على « القطعان » .

٢٠ — وقال في « ابل » أيضاً : « وكذلك أسماء الجموع نحو أبقـار وأغنام » جمع البقر على « الأبقار » ولـكنه لم يذكر هذا الجمع في مادته « بقر » .

٢١ — وقال في « أبو » : « والأبوّة مصدر من الأب مثل الأمومة مصدر من الأم والأخوة والعمومة والخؤولة » . ولم يذكر معنى « المصدر » في « صدر » ولا الأخوّة في « أخو » ولا الخؤولة بذلك المعنى في « خول » وإنما قال : « وربما جمع الخال على خؤولة » .

٢٢ — وقال في « أتن » : « والأتون ، وزان رسـول ، قال الأزهري : هو الحمام والجصاصة » . وظاهر الجصاصه أنها صناعة الجصاص ، مأخوذة من الجص كالبوابة مرـ الباب ، ولم يذكر الفيومي الجصاصة في « جص » وعلى حسبان أنها قياسـية يبقى للسماع فضل على القياس .

٢٣ — وقال في « أثر » : « وأثرت فيه تأثيراً : جعلت فيه أثراً وعلامة ، فتأثر أي قبل وانفعل » . ولم يذكر « انفعل » في مادته « فعل » ، واسـتعمل الانفعال في « عجب » ناقلاً قال : وقال بعض النحاة : التعجب انفعال النفس لزيادة وصف » .

٢٤ — وقال في « أخو » : « والآخية بالمد والتشـديد : عروة تربط الى وتد مدقوق

وتشد فيها الدابة » . ولم يذكر في « ربط » أنه يقال « ربطت الشيء إلى الشيء » .

٢٥ — وقال في « أدب » : « الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان في فضيلة من الفضائل » أي يتعلم بها ويحذق ، ولم يذكر « تخرّج » بهذا المعنى في « خرج » ولا ذكره بمعنى « تأول وتوجه وكان له وجه » مع أنه قال في الكلام على « إلى » : « وعليه يتخرج قول القائل : أنت طالق إلى سنة . والتقدير عند سنة أي عند رأسها » . وآخر القول أنه لم يذكر « تخرّج » البتة .

٢٦ — وقال في الكلام على « أذربيجان » : « إقليم من بلاد العجم وقاعـــــدة بلاد تبريز » . وقال في الكلام على « مأرب » : وكانت في الزمان الأول قاعدة التبابعة » مريداً بالقاعدة « القصبة » ولكنه لم يذكر للقاعدة هذا المعنى في « قعد » بل ذكر قواعد البيت قال : « وقواعد البيت أساسه ، الواحدة قاعدة » .

٢٧ — وقال في مادة « اذن » : ويقال للرجل يتسمع القوم بطانة : هو أذن القوم » . وقال في « غش » : « غشه غشاً من باب قتل ... لم ينصحه » ، وقد عدّى « نصح » بنفسه في العبارتين ، مع أنه قال في نصح : « نصحت لزيد أنصح نُصحاً ونصيحة ، هـذه اللغة الفصيحة ، وعليه قوله تعالى : إن أردتُ أن أنصح لكم ، وفي لغـــــة يتعدى بنفسه فيقال نصحته » فلماذا ترك اللغة الفصيحة ؟ لأنه نسي فصاحتها .

٢٨ — وقال في الكلام على « إذا » : « ومعناه اختصاصها بالحال إلا إذا علقها على شيء في المســــتقبل » . ولم يذكر « علقه عليه » في « علق » بل قال : « وعلقت الشيءَ بغيره وأعلقته ، بالتشديد والألف ، فتعلق » .

٢٩ — وقال في « أرخ » : « ويعتبر التاريخ بالليالي لأن الليل عند العرب سابق على النهار ، لأنهم كانوا أميين ... » . ولم يذكر في « سبق » إلا ما يفيد أنه يتعدى بنفسه كما جاء في القرآن الكريم « سبقونا » و « يسبقونه » و « سابق النهار » .

٣٠ — وقال في « أشف » : « وليس في كلامهم إفعلى إلا الإشفى وإصبع ، في لغة ، وإيمن في قولهم عذق إيمن ، ويجوز على الثاني دون الأول لأجل ألف التأنيث » .

استعمل « لأجل » بمعنى « من أجل » ولم يذكر الوجه الأول في « أجل » بل قال : « ويقال من أجله كان كذا أي بسببه » . واقتصر عليه . وعجبت من استعماله غير الفصيح ونسيانه ما قاله ، فقد كرر ذلك في « حرف » قال : « وقوله تعالى : إلا متحرفاً لقتال ، أي إلا مائلاً لأجل القتال لا مائلاً هزيمة » . وقال في « ذو » : « ولأجل ذلك قال ابن برهان من النحاة ، قول المتكلمين : ذات الله جهل » . وقال في « رهن » : « مفتوحة لأجل هاء التأنيث » . قال ذلك وكأنه لا يعرف للتعبير الفصيح وجوداً .

٣١ — وقال في الكلام على « إلى » : « وبنو الحارث بن كعب وخثعم بل وكنانة لا يقلبون الألف » وقد والى بين « بل » و « الواو » . وهذا خطأ لأنه لا يجوز له الجمع بين هذين الحرفين على الولاء ، وخصوصاً في كونهما حرفي عطف ، فهو الذي قال في الكلام على « لا » : « وكذلك لا يجوز وقوعها أيضاً بعد حروف الاستثناء فلا يقال : قام القوم إلا زيداً ولا عمراً . وشبه ذلك ، وذلك لأنها للاخراج مما دخل فيه الأول ، والأول هنا منفي ، ولأن الواو للعطف ولا للعطف ولا يجتمع حرفان بمعنى واحد » . فقوله « بل وكنانة » اجتمع فيه حرفان بمعنى واحد سواء أكانا حرفي عطف أم حرفي استئناف ، وشذ من القاعدة التي ذكروها قولهم « ما إن فعل » في الشعر خاصة ، باجتماع « ما » و « إن » وهما للنفي .

٣٢ — وقال في « أنف » : « واستأنفت الشيء : أخذت فيه وابتدأته » . ولم يذكر « ابتدأه » في « بدأ » بل قال : « بدأت الشيء وبالشيء أبدأ بدءاً ، بمعنى الكل ، وابتدأت به » .

٣٣ — وقال في الكلام على « إنْ » : « وقد تتجرد عن معنى الشرط فتكون بمعنى لو نحو : صلِّ وإن عجزت عن القيام ... أي صل سواء قدرت على القيام أو عجزت عنه » . ولم

يذكر في « جرد » . « تجرد الشيء من الشيء » بل ذكر « تجرد منه » . قال : « وجردته من ثيابه بالتثقيل نزعتها منه ، وتجرد هو منها » .

٣٤ — وقال كما نقلنا في الفقرة الثالثة والثلاثين « صلّ سواء قدرت على القيام أو عجزت عنه » وهـــــذا موضع « أم » قال هو في « أم » : « ويجب أن يعادل ما بعدها ما قبلها في الاسمية والفعلية ، فان كان الأول إسماً أو فعلاً كان الثاني مثله نحو : أزيد قائم أم قاعد ، وأقام زيد أم قعد ، لأنها لطلب تعيين أحد الأمرين » والدليل على وهم المؤلف قوله تعالى « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم » .

٣٥ — وقال في « بتّ » : « وبتّ شهادته وأبتّها بالألف : جزم بها » . ولم يذكر في جزم أنه يقال « جزمَ به » حتى يفهم القارىء مراده بجزم بها .

٣٦ — وقال في « ألم » : « وألم دِيار كنانة ، ويبدل من الهمزة ياء فيقال يلم » . ولم يذكر في « بدل » أنـه يقال « أبدل من الشيء كذا » بل قال : « وأبدلته بـكذا إبدالاً : نحّيت الأول وجعلته مكانه » . وقال في « اتكأ » : « وسيأتي تمامه في الواو فان التاء في هذا الفعل مبدلة من واو » .

٣٧ — وقال في « تبل » : « يقال : توبلت القدر إذا أصلحته بالتابل » . مع أن القدر مؤنثة قال هو في « قدر » : « والقدر آنية (كذا أي إناء) يطبخ فيها الطعام وهي مؤنثة » . فهو مخطئ . بحكم قوله ، غير أن أبا زيد القرشي المجهول السيرة ومؤلف جمهرة أشعار العرب قال فيها – ص ١٩٢ – « والقمقم : القدر الصغير » . والظاهر أن المتأخرين جوزوا تذكير القدر وهي كذلك في اللغة العامية العراقية ، فمن المتأخرين عز الدين بن أبي الحديد ، قال : « وقيل لبعض من يخدم السلطان : لا تصحبهم فان مثلهم مثل قدر أسود كلما مسه الانسان اسودّ منه ، فقال : إن كان خارج تلك القدر أسود فداخلها أبيض [1] » .

(١) شرح نهج البلاغة « ٤ : ٢٧٠ طبعة الحلبي الأولى » .

فهو قد « ذَكَّرَ » القدر على الوجهين التذكير والتأنيث في فقرة واحدة ، وجاء في تعاليق بعض الأدباء المدمجة في الكامل في الأدب لأبي العباس المبرد ، بعد قول الشاعر :

كأن النطامط من جريها أراجيز أسلم تهجو غفارا

قول المعلق : « وقعت الرواية (من جريها) وصوابه (من غليها) لأنه يصف قدراً فيه لحم فشبه غليان القدر وارتفاع اللحم فيه بالموج الذي يرتفع [1] » .

٣٨ — وقال في « تفث » : « تفِثَ تَفَثاً فهو تَفِث مثل تعِب تَعَباً فهو تعِب : إذا ترك الادهان والاستحداد فعلاه الوسخ » . وقال في « شعث » : « والشعث أيضاً : الوسخ ، ورجل شعِث : وسخ الجلد ، شعث الرأس أيضاً ، وهو أشعث أغبر أي من غير استحداد ولا تنظف [2] » . وقال في « عون » : « وقال ابن السكيت وابن الأعرابي : استعان واستحدّ : حلق عانته » . ولم يذكر « استحد » ولا مصدره الاستحداد في « حدّ » فتأمل ذلك .

٣٩ — وقال في « تكك » : « التكة معروفة والجمع تكك مثل سدرة وسدر ، قال ابن الأنباري : وأحسبها معرّبة . واستتك بالتكة : أدخلها في السراويل » . جاء بأدخل على الأصل ، ولكنه قال في « دخل » : « دخلت الدار ونحوها دخولاً : صرت داخلها فهي حاوية لك ... ويعدى بالهمزة فيقال : أدخلت زيداً الدار مدخلاً بضم الميم » ، ولم يذكر جواز « أدخله فيه » . والصحيح فيه ما ذكره الجوهري في الصحاح قال : « دخل دخولاً ، يقال : دخلت البيت ، والصحيح فيه أن تقديره : دخلت في البيت [3] ، وحذفت حرف الجرّ ،

---

(١) الكامل « ٢ : ١٢٧ طبعة الدلجموني الأزهري » .

(٢) قال في نظف : « وتنظف : تكلف النظافة » . ويصعب تصورنا تكلف النظافة في البدن دون تكلفها في الملابس . على أنه لم يرد التكلف في قوله الأعلى .

(٣) تصحفت هذه الجملة في طبعة بلاد العجم الى « والصحيح فيه أن تريد دخلت الى البيت » . ولاخفاء في اختلاله .

فانتصب انتصاب المفعول به لأن الأمكنة على ضربين مبهم ومحدود ، [فالمبهم] نحو جهات الجسم الست : خلف وقدام ويمين وشمال وفوق وتحت ، وما جرى مجرى ذلك من أسماء هذه الجهات ، نحو أمام ووراء ، وأعلى وأسفل وعند ولدن ووسط بمعنى بين ، وقبالة ، فهذا وما أشبهه من الأمكنة يكون ظرفاً ، لأنه غير محدود ، ألا ترى أن خلفك قد يكون قداماً لغيرك . فأما المحدود الذي له خلقة وشخص وأقطار تحوزه كالجبل والوادي والسوق والمسجد والدار فلا يكون ظرفاً لأنك لا تقول : قعدت الدار ولا صليت المسجد ولا نمت الجبل ولا قمت الوادي وما جاء من ذلك فإنما هو بحذف حرف الجر نحو دخلت البيت وصعدت الجبل ونزلت الوادي » .

ونحن نعتقد أن جميع ظروف المكان كانت مجرورة بحرف الجر « في » ثم اتسعت العرب في حذفه مع الظروف المبهمة ، وحافظت عليها مع الظروف المحدودة ، لأن المحدود يستلزم التقيد بالحدود ، وتحقيق الظرفية والحلول .

٤٠ — وقال في « جدب » : « وجدبته جدباً من باب ضرب : عبته » . وقال في « جرح » : « وجرحه بلسانه جرحاً : عابه . وقال في « أثل » : « نحت أثلة فلان : إذا عابه وتنقصه » وعني بقوله عبته وعابه : أنتقصه ورماه بالعيب ، إلا أنه لم يذكر في « عيب » هذا الاستعمال بل قال : « عاب المتاع عيباً من باب سار فهو عائب ، وعابه صاحبه فهو معيب » . وقديماً قال الشاعر :

أنا الرجل الذي قد عبتموه وما فيكم لعيّاب مَعاب

وقال أسعد خليل داغر : « ويقولون : ولقد عابه بمضمون على قلة تدقيقه ، وفي كتب اللغة : عاب الشيء جعله ذا عيب ، ومنه في سورة الكهف (فأردتُ أن أعيبَها) يعني السفينة ، قال أبو الهيثم في تفسير أعيبها أي أجعلها ذات عيب . فالوجه أن يقال « عاب عليه فعله » لا « عابه على فعله » ... وأما قول الشاعر : أنا الرجل الذي قد عبتموه ... فعلى تقدير مضاف أي عبتم

فعله [1] » .

وفي كلامه نظر ، فلا جدال في صحة قولهم « عاب عليه فعله » أي نعاه عليه ، ولكنه لا مانع من قولهم « عاب فلاناً » أي تنقصه ورماه بالعيب ، كما ذكرنا آنفاً ، وقال لبيد بن ربيعة :

يتــأكلون مغــالة وخيــانــة ويُعاب قائلهم وإن لم يشغب [2]

واحتجاج أسعد داغر بأن التقدير « عبتم فعله » لا يؤيد قوله الأول ، لأن معنى عبتم فعله « نسبتم اليه العيب » مع أن نص داغر يوجب أن يكون معناه « جعلتم فيه عيباً » مع أنهم لم يجعلوه ذا عيب ، وإنما كان العيب فيه من قبل ، وكيف ينكرون أمراً هم أحدثوه ؟! ولم يجيء « عابه » الذي بمعنى رماه بالعيب في الشعر وحده ، فقد جاء في أخبار صفين قول الامام علي : « فإنما مردكم إلى الله ، قال الله تعالى لقوم عابهم : لن ينفعكم الفرار [3] ... » . وقال معاوية ابن أبي سفيان : « واعلموا أنهم أهل بيت لا يعيبهم العائب ولا يلصق بهم العار » . وقال : « فوالله ما رأيته قط جالساً عندي إلا خفتُ مقامه وعيبه لي [4] » . وقال المغيرة بن شعبة : « والله ما أعيبه في قضية يخزون ولا في حكم يميل [5] » وقال الزبير بن بكار راوياً : « فلم يترك عمرو بن العاص شيئاً يعيبه به إلا قاله [6] . والشواهد على صحة « عابه » من النثر والشعر كثيرة جداً [7] ، وإنما كان على أسعد داغر أن يقول : إن الفصيح أن يقال : « ولقد عابه بعضهم بقلة

(١) تذكرة الكاتب « ص ١٠١ » .

(٢) البيان والتبيين « ١ : ٢٦٧ » طبعة عبد السلام هارون و « ١ : ١٨٢ » طبعة السندوبي » .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد « ١ : ٤٨٣ » .

(٤) الشرح المذكور « ٢ : ١٠١ » .

(٥) هو « ص ١٠٣ » .

(٦) هو « ص ١٠٤ أيضاً » .

(٧) ومن ذلك قول معاوية لمحمد بن أبي بكر يعني عثمان : « نعبته أنت وصاحبك » . وقال له « نعب أباك بما بدا لك أودع » . (الشرح المذكور ١ : ٢٨٤ » وقال طارق بن عبد الله النهدي : « سلكه عيبه وعاب أصحاب رسول الله . ص . واستنقصهم » يعني معاوية ، وقال ابن أبي الحديد : « ومن

تدقيقه» بدلاً من «على تدقيقه» . فإن فصحاء العرب قالوا «عابه بكذا وكذا» كما ذكرنا ، أما «عابه عليه» فقد قاله عبدالله بن مصعب ، قال : «وأمير المؤمنين حدث أفتعيبونه على ذلك[2]» .

٤١ — وقال في «ثنى» : «فكان في قوله (الحسن) احتراز عن غير الحسن» معديا الاحتراز بعن ، ولم يذكر في «حرز» إلا «احترز منه» قال : «واحترز من كذا أي تحفظ» .

٤٢ — وقال في «ثنى» أيضاً : «وتقدير الواحد ثنى وزان سبب ثم عُوِّض همزة وصل» . بتعدية «عوض» إلى مفعولين بنفسه ، ولم يذكر ذلك في «عاض» بل قال : «وعوّضني بالتشديد : أعطاني العوض وهو البدل والجمع أعواض» .

٤٣ — وقال في «ثنى» أيضاً : «وإذا عاد عليه ضمير» وفي «كل» قال : «فيجوز أن يعود الضمير على اللفظ تارة» ، ولم يذكر في «عاد» جواز أن يقال «عاد عليه» بل قال : «عاد إلى كذا وعاد له أيضاً» .

٤٤ — وقال في «جبر» : «والجبر وزان فلس خلاف القدر وهو القول بأن الله يجبر عباده على فعل المعاصي ، وهو فاسد ...» . وعدّى القول بالباء بمعنى الإقرار والاعتقاد ، وكرر هذا المعنى في كتابه ولم يذكر في قال «قالَ به» أي اعتقده ودان به ، ولا فسّر معنى القول ، ونص كلامه «قال يقول قولاً ومقالاً ومقالة والقال والقيل اسمان منه لا مصدران قاله ابن السكيت ...» .

= نارق علياً حنظلة الكاتب ، خرج هو وجرير بن عبد الله البجلي من الكوفة الى قرقيسيا وقالا : لانقيم ببلدة يعاب فيها عثمان » . (الشرح ١ : ٣٦٧ ، ٣٦٨) وقال يحيى بن عروة بن الزبير : « كنت أعجب من وصفه إياه بما وصفه به ومن عيبه له » . « الشرح ١ : ٣٧١ » وقال الضحاك بن قيس : « يشتمون أئمة الهدى ويعيبون أسلافنا الصالحين » . « الشرح ١ : ١٥٦ » ، وقال الطبري « ذكروا قرابات عثمان وما سوغهم من مال المسلمين وعابوا أعمال عثمان » . « الشرح ١ : ١٦٠ » وقال معاوية : « فما عبتم فيه من شيء فهذه يدي لكم به رهناً » . « الشرح ١ : ١٦١ » .

(٢) تاريخ ابن النجار .

٤٥ — وقال في « جذر » : « الجِـذر : الأصل ... ومنه الجذر في الحساب وهو العدد الذي يضرب في نفسه ، مثاله تقول : عشرة في عشرة بمائة ، فالعشرة هي الجذر ، والمرتفع من الضرب يسمى المال » . وقال في « ضرب » : « والضرب في اصطلاح الحساب عبارة عن تحصيل جملة إذا قسمت على أحد العددين [المضروبين] خرج العدد الآخر ، أو [عبارة] عن عمل ترتفع منه جملة تكون نسبة أحد المضروبين إليه كنسبة الواحد الى المضروب الآخر » . وقد استعمل « المرتفع » بمعنى « حاصل الضرب » و « ارتفع » بمعنى « حَصَل » . ولم يذكر « ارتفع » في رفع أصلاً ولا « المرتفع » .

٤٦ — وقال في « جعر » : « والجِـعرانة : موضع بين مكة والطائف وهي على سبعة أميال من مكة ، وهي بالتخفيف ... وعن ابن المديني : العراقيون يثقلون الجعرانة والحديبية ... وليس للتثقيل ذكر في الأصول المعتمدة عن أئمة اللغة إلا ما حكاه في المحكم تقليداً له في الحديبية » . ولم يذكر في « قلد » التقليد بهذا المعنى بل قال : « قلّدت المرأة تقليداً : جعلت القلادة في عنقها ، ومنه تقليد الهدي ... وتقليد العامل توليته كأنه جعل قلادة في عنقه وتقلدت السيف ... » .

٤٧ — وقال في « سرع » : « أسرع في مشيه وغيره إسراعاً . والأصل أسرع مشيه ، وفي زائدة . وقيل : الأصل أسرع الحركة في مشيه ، وأسرع إليه أي أسرع المضيّ إليه » . ولم يذكر جواز استعمال الأصل ، أعني « أسرعه » مع أنه قال في « جفل » : « وجفلوا جفلاً من باب قتل إذا أسرعوا الهربَ » . وقال في « جهز » : « وجهزت على الجريح ... إذا أتممت عليه وأسرعت قتله » . وقال في « خب » : « وخبّ في الأمر ... أسرع الأخذ فيه » .

٤٨ — وقال في « غطا » : « غطوت الشيء أغطوه وغطّيته أغطيه من بابي علا ورمى ، والتثقيل [غطّيته] مبالغة » . ولم يذكر « غطيت عليه تغطية » باستعمال «على» بدلاً من تعديته بنفسه ، مع أنه قال ناقلاً في « جلّ » : « وجلل المطر الأرض بالتثقيل : عمّها

وطبقها فلم يدع شيئاً إلا غطى عليه ، قاله ابن فارس فى متخير الألفاظ » .

٤٩ — وقال فى « جمع » : « ويقال لمزدلفة جمع إما لأن الناس يجتمعون بهـا وإما لأن آدم اجتمع هناك بحواء » . وقال فى « صاع » : « حكي أن أبا يوسف لما حج مع الرشيد فاجتمع بمالك فى المدينة » ، ولم يذكر أنه يقال « اجتمع فلان بفلان » وإنما قال : « واجتمع القوم واستجمعوا بمعنى تجمعوا » . و « اجتمع بـه » عبارة مولدة وتمثل تطوُّر « افتعل » للاشتراك ، فقد قالت العرب قديماً « اجتمع فلان وفلان » بالعطف بالواو ، وقالت « اجتمع الرجلان والرجال » بالتثنية والعطف ، و « اجتمعا واجتمعوا » بما ينوب عن التثنية والجمع ثم قال المولدون « اجتمع فـلان مع فلان » و « اجتمع فلان مع القوم » « واجتمع معه » ثم قالوا « اجتمع به » نحو « اتصلا واتصل به واتحدا واتحد به واشتبها واشتبه والتبسا والتبس به وامتزجا وامتزج بـه واختلطا واختلط به » وفى هذه الأيام قالوا « اصطدم به » قياساً على ذلك ، مع أن الاصطدام يؤدي إلى الدفع والضرب .

٥٠ — وقال فى « جهز » وقد نقلناه آنفاً : « وأجهزتُ عليه إجهـازاً إذا أتممت عليه وأسرعت قتله » . ولم يذكر فى « تمّ » هـذا المعنى بل قال : « تمّ الشيء يتمّ بالكسر : تكمّلت أجزاؤه . ويعدّى بالهمزة والتضعيف فيقـال : أتممته وتممته » . ولم يذكر « أتمّ عليـه » الذي نقلنا استعماله إياه فى كلامه على الاجهاز .

٥١ — ونقلنا فى الفقرة الخمسين قوله « تكملت أجزاؤه » . ولم يذكر فى « كمل » هذه الصيغة ، وإنما ذكر من المزيد « تـكامل واكتمل وأكمل وكمّل واستكمل » . فتأمل ذلك .

٥٢ — وقال فى « جور » : « والجارة : الضرّة ، قيل لها جارة استكراهاً للفظ الضرة » .
وقال فى « حب » : « وكان القياس أن يجمع [الحبيب] جمع شرفاء (١) ، ولـكن استكره لاجتماع المثلين » . ولم يذكر « استكره » ولا مصدره الاستكراه فى « كره » وإنما ذكر « كرّه »

---

(١) الصواب « وكان القياس أن يجمع جمع شريف » . لأن شرفاء جمع فكيف يجمع كجمعه ؟!

كراهة ، كُرهاً وأكرهه على الأمر إكراهاً » ، فاستكرهه معناه وجده كريهاً .

٥٣ — وقال في « حجز » : « وحُجزة السراويل : مجمع شدّه » . وقد ذكر السراويل ، ولكنه قال في مادة سرول : « السراويل ... أنثى وبعضهم يذكّر فيقول : هي السراويل وهو السراويل ، وفرّق في المجرد بين صيغتي التذكير والتأنيث ، فيقال : هي السراويل وهو السروال » فهو قد استعمل الوجه الضعيف .

٥٤ — وقال في « حجم » : « وأحجمتُ عن الأمر ، بالألف : تأخرت عنه ، وحجمني زيد عنه في التعدّي ، من باب قتل ، عكس التعارف [1] » . والتعارف في هذه الجملة وفيما نقلناه من كلامه في الحاشية ، مشتق من « تعارفه الناس » ولم يذكر « تعارف » في مادة « عرف » ولا « تعارفا » بمعنى عرف أحدهما الآخر ، وإنما ذكر « عرفه وعرّفه تعريفاً واعترف » ، ولم يذكر صيغة « تفاعل » منه .

٥٥ — وقال في « أبر » : « قال أبو حاتم السجستاني في كتاب النخلة : اذا انشق الكافور قيل شقّق النخل » ولم يذكر « شقّق النخل » في « شق » بل ذكر « شقه وشق عليه ، وشاقه مشاقة وشقاقاً » .

---

(١) قال في الخاتمة المفيدة من كتابه — ١٠٦١ — : وقد جاء قسم تعدى ثلاثيه وقصر رباعيه عكس التعارف نحو أجفل الطائر وجفلته ، وأقشع الغيم وقشعته الريح ، وأنسل ريش الطائر أي سقط ونسلته وأمرت الناقة ، در لبنها ومريتها ، وأظأرت الناقة : إذا عطفت على بوها ، وظأرتها ظأراً : عطفتها ، وأعرض الشيء : إذا ظهر ، وعرضته : أظهرته ، وانقع العطش : سكن ، وقععه الماء : سكنه ، وأخاض النهر وخضته ، وأحجم زيد عن الأمر : وقف عنه وحجمته ، وأكب على وجهه وكببته ، وأصرم النخل والزرع وصرمته أي قطعته ، وأمخض اللبن ومخضته ، وأثلثوا : إذا صاروا بأنفسهم ثلاثة ، وثلثتهم : صرت ثالثهم وكذلك الى العشرة ، وأبشر الرجل بمولود : سر به وبشرته ... وأفهم كلام بعضهم أن ذلك على معنيين فقولهم : أنسل الريش وأخاض النهر ونحوه معناه ، حان له أن يكون كذلك) فلا يكون مثل أقام زيد وأقمته ، وقد نصوا في مواضع على ذلك ... » . والوجه الأخير الذي ذكره هو الصواب فالهمزة للحينونة في الأفعال التي تحتاج الى زمان وقد تأتي للدخول في المكان في غير هذه الأفعال نحو « أشأم » .

٥٦ — وقال في « إبل » : « والإبل بناء نادر ؛ قال سيبويه : لم يجيء على فِعِل بكسر الفاء والعين من الأسماء إلا حرفان : إبل وحبِر وهو القلح ... » . وهـذا القول يقتضي كسر الحاء والباء من « حِبِر » ولـكنه لم يذكر في شرح « قلح » إلا قوله « قلحت الأسنان قلحا من باب تعب تغيرت بصفرة أو خضرة ... والقلاح وزان غراب أسم منه » .

٥٧ — وقال في « إبل » أيضاً في إتمام ما نقلته في النقدة السادسة والخمسين « ... ومن الصفات إلا حرف وهي إمرأة بلِزّ وهي الضخمـة » ولم يذكر « البلز » ، ولا مادة « بلز » في كتابه .

٥٨ — وقال فيها « إلا حرف » يعني كلمة ولم يذكر في « حرف » أن الحرف يطلق على الـكلمة .

٥٩ — وقال في « أبن » : « والآبنوس بضم الباء : خشب معروف وهو معرب ويجلب من الهند واسمه بالعربية سـأسم بهمزة وزان جعفر » . ولم يذكر « الـأسم » في بابه من كتابه .

٦٠ — وقال في « أبي » : « أبي الرجل يأبي إباءاً بالكسر والمد وإباءة ... وبناؤه شـاذ لأن باب فعل يفعَل بفتحتين يكون حلقي العين أو اللام ، ولم يأت من حلقي الفاء إلا أبي يأبي وعض يعض في لغة وأث الشعر يأث إذا كثر والتف ... » ولم يذكر « أث الشعر يأث » في مادة « أثّ » من مصباحه .

٦١ — وقال في « أتي » : « وطريق ميتاء ، على مفعال ... والمعنى يأتيها الناس كثيراً ، مثل دار محلال أي يحلها الناس كثيراً » ولم يذكر « المحلال » في « حلّ » من كتابه .

٦٢ — وقال في « أجر » : « فيقال : آجرت زيداً الدار وآجرت الدار زيداً ، على القلب مثل أعطيت زيداً درهماً ، وأعطيت درهماً زيداً » . ولم يذكر وجه القلب للعبارة في « عطا » من كتابه بل قال :

« ويتعدى إلى ثان بالهمزة فيقال : أعطيته درهماً » .

٦٣ — وقال في « أجن » : « والإجانة بالتشديد إناء يغسل فيه الثياب والجمع أجاجين . والإنجانة لغة تمتنع الفصحاء من استعمالها . ثم استعير ذلك وأطلق على ما حول الغراس فقيل في المساقاة : على العامل إصلاح الأجاجين . والمراد ما يحوّط على الأشجار شبه الأحواض » ، ولم يذكر « المساقاة » ولا فعلها في « سقى » من الكتاب .

٦٤ — وقال في « أدم » : « الأديم : الجلد المدبوغ ، والجمع أَدَم بفتحتين ، وبضمتين أيضاً وهو القياس ، مثل بريد وبرد » . ثم قال في أفق : « الأَفيق : الجلد بعد دبغه والجمع أَفَق بفتحتين ، وقيل : الأفيق الأديم الذي لم يتم دبغه ، فاذا تمّ واحمر فهو أديم » . وبين القولين فرق ظاهر كان عليه أن ينبه عليه في « أدم » وهو أن الجلد الذي لم يتم دبغه يجوز أن يسمى « أديماً » . مع أنه قال في تعريفه « الجلد المدبوغ » يعني الكامل الدبغ ، وذلك أنه لا يقال له « مدبوغ » إلا بعد دبغه .

٦٥ — وقال في « أكم » : « الأكمة : تل وقيل شرفة كالرابية والجمع أكم وأكمات مثل قصبة وقصب وقصبات ، وجمع الأكم إكام مثل جبل وجبال ، وجمع الإكام أُكُم بضمتين مثل كتاب وكتب ، وجمع الأُكُم آكام مثل عنق وأعناق » . قلت : لم يصب الفيومي — رحمه — في جمع « الأُكُم » بضمتين على آكام ؛ فان الأكمة على وزن الأجمة ، وقد قال في « أجم » : « الأجمة : الشجر الملتف ، والجمع أَجَم مثل قَصبة وقَصَب ، والآجام جمع الجمع » يعني أن الأجمة جمعت جمعاً جنسياً على « أكم » بفتحتين ، وجمعت « أكم » على آكام كخشب وأخشاب ، وعلى هذا يكون « الآكام » جمع « الأكم » « بفتحتين » ويكون الأكم جمع جنس لأكمة .

٦٦ — وقال في « ألك » : « ألك بين القسوم ألكاً من باب ضرب وألوكاً أيضاً : ترسّل » . ويعني بترسّل « صار رسولاً وأحمل رسالة » . ولم يذكر « ترسّل » بهذا المعنى في « رسل » بل قال : « ترسّل في قراءته بمعنى تمهّل فيها » ونقل قول الزبيدي : إن الترسل والترسيل في القراءة هو التحقيق بلا عجلة .

٦٧ — وقال في « أمّ » : « فقيل [الأُميّ] نسبة الى الأم لأن الكتابة مكتسبة فهو على ما ولدته أمه من الجهل بالكتابة » وقد عدّى الجهل بالباء ، ولم يذكر هــــذا الوجه في « جهل » بل قال : « جهلت الشيء جهلاً وجهالة : خلاف علمته . « وجهل الحق : أضاعه » . ولم يذكر « تجاهل » مع أنه استعمله في « إنْ » .

٦٨ — وقال في « أمن » : « والموجود في مشاهير الأصول المعتمدة » : ولم يذكر الشاهير جمع المشهور في مادة « شهر » .

٦٩ — وقال في « أمن » : « وهذا لا يرتبط بما قبله فافهمــه » . ولم يذكر « ارتبط » في « ربط » ، وقال ابن كمال باشا : « الربط . قول الناس : فلان مرتبط بكذا ، على البناء للفاعل خطأ ، والصحيح (مرتبط بكذا) على بناء المجهول [1] ، لأن ارتبط متعد كربط ، كما اتفقت عليه أئمة اللغة [2] » .

٧٠ — وقال في « بثر » : « وبثُر الجلد مثل قرُب لغة ثالثة [3] ، وتبثر الجلد : تنفّط » . ولم يذكر « تنفط » في مادة « نفط » قال : « ويقال : نفطت يده نفطاً من باب تعب ونفيطاً إذا صار بين الجلد واللحم ماء » .

٧١ — وقال في « بدع » : « قوله تعالى : وما كنت بدعاً من الرسل . أي ما أنا أول من جاء بالوحي من عند الله ـ تعالى ـ وتشريع الشرائع » . ولم يذكر في « شرع » التشريع ولا فعله « شرّع » بتشديد الراء ، بل قال : « وشرع الله لنا كذا يشرعه : أظهره وأوضحه ، والشرعة بفتح الميم والراء : شريعة الماء » .

---

(١) في نسخة أخرى « على بناء المفعول » .

(٢) التنبيه على غلط الجاهل والنبيه « ص ٢٣ » .

(٣) الأولى « بثر » كقتل والثانية « بثر » كتعب .

٧٢ — وقال في « بضع »: « وبضع في العدد بالكسر ، وبعض العرب بفتح ، واستعماله من الثلاثة الى التسعة ، وعن ثعلب من الأربعة إلى التسعة ، يستوي فيه المذكر والمؤنث ، فيقال : بضع رجال وبضع نسوة ، ويستعمل أيضاً من ثلاثة عشر إلى تسعة عشر ، لكن تثبت الهاء في بضع مع المذكر وتحذف مع المؤنث كالنيّف ، ولا يستعمل فيما زاد على العشرين ، وأجازه بعض المشايخ فيقول : بضعة وعشرون رجلاً وبضع وعشرون امرأة وهكذا ، قاله أبو زيد » .

فقوله : « لكن تثبت الهاء في بضع مع المذكر وتحذف مع المؤنث كالنيف غير واضح فانّ « النيف » لا تلحقه الهاء ، وليس له قول خاص فيه فنقول بجواز ما ذهب إليه ، قال: « النيف : الزيادة ، والتثقيل أفصح ، وفي التهذيب : وتخفيف النيف عند الفصحاء لحن ، وقال أبو العباس : الذي حصلناه من أقاويل حُذاق البصريين والكوفيين أن النيف من واحد الى ثلاث ، (كذا) والبضع من أربع الى تسع ، ولا يقال (نيف) إلا بعد عقد نحو عشرة ونيف ومائة ونيف وألف ونيف » . وأهمل قولهم « نيف وعشرون رجلاً » .

وقال الجوهري في الصحاح : « وبضع في العدد بكسر الباء ، وبعض العرب يفتحها وهو ما بين الثلاث إلى التسع تقول منه : بضع سنين وبضعة عشر رجلاً وبضع عشرة إمرأة ، فاذا جاوزت لفظ العشر ذهب البضع ، لا تقول : بضع وعشرون » . وقال : « النيّف : الزيادة ، يخفف ويشدد ، وأصله من الواو ، يقال : عشرة ونيف ومائة ونيف ، وكل ما زاد على العقد فهو نيف حتى يبلغ العقد الثاني » .

وقال المطرزي في المغرب : « والبضع بالكسر ما بين الثلاثة الى العشرة وعن قتادة إلى التسع أو السبع يستوي فيه المذكر والمؤنث ، وهو من البضع أيضاً لأنها قطعة من العدد . وتقول في العدد المنيف : بضعة عشر وبضع عشرة بالهاء في المذكر وبحذفها في المؤنث ، كما تقول: ثلاثة عشر رجلاً ، وثلاث عشرة امرأة ، وكذا بضعة وعشرون رجلاً ، وبضع وعشرون امرأة » . وقال : « النيف بالتشديد ، كل ما بين عقدين ، وقد يخفف وأصله من الواو ، وعن

المبرد : النيف من واحد إلى ثلاث (كذا) وفي الحديث أنه ـ ص ـ ساق مئة بدنة ، نحر منها نيفاً وستين وأعطى علياً الباقي . وفي شرح الآثار : ... ثلاثاً وستين ، ونحر علي — رض — سبعاً وثلاثين » .

٧٣ — وقال في « بغداد » : « لأن بناء فعلال بالفتح باب المضاعف ... ولم يجيء في غير المضاعف إلا : ناقة بها خزعال وهو الظَّـلَـع ، وقسطال وهو الغبار » . ولم يذكر « الخزعال » في موضعه من المصباح المنير ، ولا ذكر « القسطال » في محله منه .

٧٤ — وقال في « بر » : « وبررت والدي أبره براً وبروراً : أحسنت الطاعـــة إليه (كذا) ورفقت به وتحريت محابّه » . ولم يذكر « المحاب » في « حب » من مصباحه . وهي ما يحبّـه من الأمور والشؤون .

٧٥ — وقال في « يرن » : « يبرين وزنه يفعيل ... وهو نادر في الأوزان ، ومثله يقطين ويعقيد وهو عسل يعقد بالنار ، ويعضيد وهو بقلة مرة لها لبن لزج وزهرتها صفراء » ، ولم يذكر « اليعقيد » في « عقد » ولا اليعضيد في « عضد » .

٧٦ — وقال في « بلغ » : « لزمه ذلك بالغاً ما بلغ ... من قولهم : من قولهم : بلغت المنزل إذا وصلته » . وقد عدّى وصل وهو فعل الوصول بنفسه ، ولم يذكر ذلك في « وصل » ، بل قال : « وصلت إليه أصِلَ وصولاً » . وكرر تعديته بنفسه في « صوب » قال : أصاب السهم إصابة : وصل الغرض » .

٧٧ — وقال في « بلي » : « وقولهم : لا أباليه ولا أبالي به أي لا أهتم به ولا أكترث له ... والأصل فيه قولهم : تبالى القوم إذا تبادروا إلى الماء القليل فاستقوا ، فمعنى لا أبالي : لا أبادر ، إهمالاً له » ، ولم يذكر في « بدر » « تبادر » بل قال : « بدر إلى الشيء بدوراً وبادر اليه مبادرة وبداراً » .

٧٨ — وقال في « أوى » : « وابن آوى ... التثنية والجمع ابنا آوى وبنات آوى » .

ولم يذكر للجمع وجهاً آخر ، ولكنه قال في « بنو » : « وأما غير الأناسي مما لا يعقل نحو ابن المخاض وابن اللبون فيقال في الجمع بنات مخاض وبنات لبون وما أشبهه ... وفي ابن عرس بنات عرس وفي ابن نعش بنات نعش . وربما قيل في ضرورة الشعر بنو نعش ، وفيه لغة محكية عن الأخفش أنه يقال : بنات عرس وبنو عرس وبنات نعش وبنو نعش » ، وعلى هذه اللغة يجوز أن يقال « بنو آوى » .

٧٩ — وقال في « بات » : « تقول : بات يرعى النجوم . ومعناه ينظر إليها . وكيف ينام من يراقب النجوم » ولم يذكر « المراقبة » بمعنى الملاحظة في « رقب » بل قال : « وراقبت الله خفت عذابه ، وأرقبت زيداً الدار إرقاباً ، والاسم الرُّقبى ، وهي من المراقبة ، لأن كل واحد يرقب موت صاحبه لتبقى له » . فهو يستعمل المراقبة بمعنى الملاحظة ولا يعترف بها فعلاً مستقل المعنى ، وقد استعمل المراقبة بمعنى الخوف والخشية في « عين » من المصباح أيضاً قال : « وفي حديث أنه ليغان على قلبي كناية عن الاشتغال عن المراقبة بالمصالح الدنيوية ، فإنها وإن كانت مهمة فهي في مقابلة الأمور الأخروية كاللهو عند أهل المراقبة » .

٨٠ — وقال في « تكأ » : « اتكأ وزنه افتعل ، ويستعمل بمعنيين أحدهما الجلوس مع التمكن والثاني (١) القعود مع تمايل معتمداً على أحد الجانبين » . ولم يذكر « التمايل » ولا

(١) الصواب « الآخر » لأن الأحد بمعنى واحد منهما أياً كان ، الأول أو الثاني ، قال هو في « وحد » من مصباحه « ويكون مرادفاً لواحد في موضعين سماعاً : أحدهما وصف اسم الباري تعالى فيقال هو الواحد وهو الأحد لاختصاصه بالأحدية فلا يشركه فيها غيره ، ولهذا لا ينعت به غير الله تعالى فلا يقال : رجل أحد ولا درهم أحد ونحو ذلك ، والموضع الثاني (كذا والصواب : الآخر) أسماء العدد للغلبة وكثرة الاستعمال فيقال أحد وعشرون وواحد وعشرون ، وفي غير هذين يقع الفرق بينهما في الاستعمال بأن الأحد لنفي ما يذكر معه فلا يستعمل إلا في الجحد لما فيه من العموم نحو ما قام أحد ، أو مضافاً نحو ما قام أحد الثلاثة ... قالوا : وإذا نفي أحد اختص بالعاقل وأطلقوا فيه القول ، وقد تقدم أن الأحد يكون بمعنى شيء ، وهو موضوع للعموم فيكون كذلك ... » . قلت : إن قصره على الجحد والاضافة معارض بقوله — تعالى — « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره » . فالشرط كالنفي .

فعله تجاهل في « مال » من كتابه .

وقال في « تلد » : « ويقال التالد والتليد والتلاد كل مال قديم ، وخلافه الطارف والطريف » . ولم يذكر « الطارف » بهذا المعنى في « طرف » ، بل قال : « الطريف : المال المستحدث وهو خلاف التليد ، والمطرف ثوب خز له أعلام ... » .

٨٢ — وقال في « تلع » : « والتلعة أيضاً ما انهبط من الأرض ... » . ولم يذكر في هبط « انهبط » .

٨٣ — وقال « توم » : « التوم وزان قفل حب يعمل من الفضة الواحدة تومة » . ولم يذكر في « حب » أنَّ الحبَّ يكون صناعياً أي مصنوعاً بل قال « والحبّ : اسم جنس للحنطة وغيرها مما يكون في السنبل والأكمام والجمع حبوب مثل فلس وفلوس ، الواحدة حبة وتجمع على حبات ، على لفظها ، وعلى حباب مثل كابة وكلاب » .

٨٤ — وقال في « ثمل » : « ثمِل ثَمَلا من باب تعب : اختلفت مناسبت أسنانه وتراكب بعضها على بعض » . ولم يذكر في ركب « تراكب » .

٨٥ — وقال في « ثمّ » : « والثمام وزان غراب : نبت يُسدُّ به خصاص البيوت ، الواحدة ثمامة » . ويعني بالخصاص كل خلل في بناء البيت تمر منه الريح أو ينفذ منه البصر ، ولم يذكره في « خصص » من كتابه .

٨٦ — وقال في « جذب » : « وتجاذبوا الشيء مجاذبةً : جذبه كل واحد إلى نفسه » . وقوله « مجاذبة » خطأ والصواب « تجاذُباً » لأنّ مصدر تفاعَل يتفاعلُ هو « التفاعل » ولو قال « جاذبه الشيء مجاذبة » لصح قوله ، والظاهر أنه استعجل في النقل وأن الأصل الذي نقل هو « وجاذبه الشيء جِذاباً ومجاذبة وتجاذُبوا الشيء تجاذباً » .

٨٧ — وقال في « جذا » : « الجُذوة : الجمرة الملتهبة ، وتضمّ الجيم وتفتح فتجمع جذىً مثل مُدىً وقرى ، وتكسر أيضاً فتكسر في الجمع مثل جزية وجزى » . فقوله «الملتهبة »

يُريديه الشديدة الاشتمال ، ولم يذكر مادة « لحب » في كتابه أصلاً .

٨٨ — وقال في « جرب » : « وفي كتاب الساحة للسموءل : اعلم أنّ مجموع عرض كل ست شعيرات معتدلات يسمى إصبعاً ، والقبضة أربع أصابع والذراع ست قبضات وكل عشرة أذرع تسمى قصبة ، وكل عشر قصبات تسمى أشلاً ، وقد سمي مضروب الأشل في نفسه جريباً ومضروب الأشل في القصبة قفيزاً ، ومضروب الأشل في الذراع عشيراً ... ونقل عن قدامة الكاتب أن الأشل ستون ذراعاً ، وضرب الأشل في نفسه يسمى جريباً » ، كرّر الأشل مرات كما رأيت ولكنه لم يذكره في كتابه في مادته .

٨٩ — وقال في « أذن » : « والأذان : اسم منه [من أذّن] والفَعال يأتي اسماً من فَعّل بالتشديد مثل ودّع وداعاً وسلّم سلاماً وكلّم كلاماً وزوّج زواجاً وجهّز جهازاً » . ثم قال في « تبر » : « ويتعدى بالتضعيف فيقال : تبره والاسم التبار ، والفعال بالفتح يأتي كثيراً من فَعّل نحو كلم كلاماً وسلم سلاماً وودّع وداعاً » . وفي خاتمة الكتاب قال : « وقوله تعالى : والله أنبتكم من الأرض نباتاً . قيل هو مصدر لمطاوع محذوف والتقدير : فنبتّم نباتاً ، وقيل وضع موضع مصدر الرباعي لقرب المعنى كما يقال : قام انتصاباً ، وقيل : هو اسم المصدر . وهذا موافق لقول الأزهري فانه قال : كل مصدر يكون لأفعل فاسم المصدر فعال نحو أذاق فواقاً وأصاب صواباً وأجاب جواباً . أقيم الاسم مقام المصدر » . وكان على المؤلف أن يجمع بين هذه الأقوال ليستفيد القارئ أنّ ما يشتق من الثلاثي من هذا الضرب ينوب عما يشتق من الرباعي من دون قصره على وزن واحد من أوزان الرباعي .

٩٠ — وقال في « جسر » : « وامرأة جسور أيضاً وقد قيل جسورة ، وناقة جسورة : مقدمة على سلوك الأوعار ، ولا يوصف الذكر بذلك » . ثم قال في « عدا » : « وقال [أبو علي القالي] في البارع : إذا كان فعول بمعنى فاعل استوى فيه الذكر والمؤنث فلا يؤنث بالهاء سوى عدو فيقال فيه عدوّة » . وكان عليه أن يلم طرفي هذين القولين فقد حدث بينهما تناقض .

٩١ — وقد ذكر « الأوعار » المنقولة آنفاً من كتابه في النقدة التسعين ولم يذكرها في « وعر » بل قال : « الوعر : الصعب وزناً ومعنى وجبل وعر ومطلب وعر . ووعر وعراً من باب وعد ، ووعر وعراً من باب تعب فهو وعير . ووعر بالضم وعورة ووعارة » . هذا كل ما ذكره في هذه المادة . والوعر الذي ذكره هو المكان الصلب ضد السهل وقد نقل من الوصفية الى الاسمية وجمع على « الأوعار » .

٩٢ — وقال في « جس » : « جسّه بيده جساً من باب قتل واجتسه ليتعرفه » ، ولم يذكر « تعرّفه » في مادة « عرف » وإنما ذكر « عرفه معرفة وعرفاناً وعرّفه بعه تعريفاً وعرف عليهم عرافة واعترفه بالشيء اعترافاً وعرّفوا تعريفاً : وقفوا بعرفات » .

٩٣ — وقال في « جف » : « والتجفاف تفعال بالكسر : شيء تلبسه الفرس عند الحرب كأنه درع والجمع تجافيف ... وقال ابن الجواليقي : التجفاف معرب ومعناه ثوب البدن . وهو الذي يسمى في عصرنا بركصطوان » ، قلت : الذي في المعرب لابن الجواليقي : « والتجفاف : فارسي معرب وأصله بالفارسية (تن باه) أي حارس البدن » . وعلمنا بهذا النص أن مؤلف المصباح لم يحسن النقل وأن العبارة المفيدة « وهو الذي يسمى في عصرنا بركصطوان » من مضافاته وبيانه ، ولكنه لم يذكر « البركصطوان » في موضعه من كتابه . والصحيح أنه عرف بهذا الاسم قبل عصر الفيومي ، وتجوز فيه ثلاث لغات « بركصطوان وبركستوان وبركشتوان (١) » وأحسب أن أصله بالفارسية « بركشتبان » أي حافظ لحم الصدر . وقد جاء ذكر « البركصطوان » في حوادث سنة « ٥٢٣ هـ » في الوقعة التي جرت بين السلطانين سنجر بن ملكشاه السلجوقي وابن أخيه محمود بن محمد بن ملكشاه بصحراء ساوة من بلاد العجم الغربية ، قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي : « ... وبقي محمود في القلب بازاء سنجر ،

(١) هكذا وجدته مشاراً اليه في دفتر من دفاتري وهو مرقوم « ج ٢ ص ٤٢ » وقد شذ عني أخيراً .

فزحف سنجر بالقبلة وعليها البركصطوانات [1] وفيها الرايا اللامعة وعليها القاتلة [1] ... » .

٩٤ — وقال في ج ل ل وقد نقلناه ولم نذكر القاعدة : « وجلّل المطر الأرضَ بالتثقيل عمّها وطبقها فلم يدع شيئاً إلا غطى عليه ، قاله ابن فارس » ولم يذكر في « غ ط ا » جواز أن يقال « غطى عليه » بمعنى غطاه تغطية وهو سائغ كأمثاله من أفعال الاستيلاء والاستعلاء مثل « ختمه وختم عليه وعلاه وعلا عليه وعضه وعض عليه وقبضه وقبض عليه وقد ورد في النثر فضلاً عن الشعر ، فمن ذلك قول المبرد في خطبته الكامل : « فان انعطفت عليه جنبتا الكلام غطتا على عواره » وقال أحد شعراء العصر الأموي :

قالت أتبصر مَن حولي فقلت لها غطّى هواكِ وما ألقى على بصري

٩٥ — وقال في « جمع » : « وحمدت الله تعالى بمجامع الحمد أي بكلمات جمعت أنواع الحمد والثناء على الله تعالى » وقال في ح ص ى : « وقوله عليه السلام : لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك » وقال في ح م د : « حمدته : أثنيت عليه » وقال في ق ر ض : « وتقارضا الثناء : أثنى كل واحد على صاحبه » . وقال في ط ر و « أطرأته : مدحته وأطريته : أثنيت عليه من الرقسطي » . وقد استعمل « أثنى والثناء » لمطلق المدح من غير قيد ولكنه قال في ث ن ى : « يُقال : أثنيت عليه خيراً وبخير وأثنيت عليه شراً وبشر ، لأنه بمعنى وصفته ، هكذا نص عليه جماعة منهم صاحب المحكم وكذلك صاحب البارع وعزاه إلى الخليل

(١) جاء في مختصر مرآة الزمان « ٨ : ٧٨ من طبعة حيدر أباد « البركصلوات » مع علامة الاستفهام ومن المشرفين على طبع هذا الكتاب الأستاذ المستشرق فريتس كرنكو ، فلم يهتد هو ولا لجنة التنقيح بعد التصحيح إلى صحة اللفظ ، وفي هذه الطبعة أوهام كثيرة مختلفة الأنواع ، كالذي ورد في الصفحة الثانية «هل أنت منقذ شكوى من بدي زوق » والصواب « شلوى » وفي الصفحة ٧ « لو عاش العيدي » والصواب « العبادي » وفي ص ١٢ « وكان قد أضمر به قبل موته » والصواب « قد أضمر قبل موته » أي عمي، وفي ص ١٤ « عميق اللمح فاحفظ فيه روحك » والصواب « عميق اللج » . وفي ص ١٥ « ولا دمعي سجال دما » والصواب « ولا دمعي استهال دما » . وفي ص ٢٦ « يا آل باشدة ، يا آل عوف » والصواب « يا آل ناشرة » وفي ص ٢٧ « فوض السلطان محمد الى معروف الخادم عمارة العراق » والصحيح « إلى بهروز الخادم » . وفي ص ٤٠ « العريف بن أبي الحسن » والصواب « ابن أبي الجن » بالجيم والنون .

ومنهم محمد بن القوطية وهو الحبر الذي ليس فى منقوله غمز ، والبحر الذي ليس فى مفقوده لمز ، وكأن الشاعر عناه بقوله :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

وقد قيل فيه : هو العالم النحرير ذو الاتقان والتحرير والحجة لمن بعده والبرهان الذي يوقف عنده . وتبعه على ذلك من عرف بالعدالة ، واشتهر بالضبط وصحة المقالة وهو السرقسطي وابن القطاع ، واقتصر جماعة على قولهم : أثنيت عليه بخير ، ولم ينفوا غيره ، ومن هذا اجترأ بعضهم فقال : لا يستعمل إلا فى الحسن ، وفيه نظر ، لأن تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفيه عما عداه ، والزيادة من الثقة المقبولة ، ولو كان الثناء لا يستعمل إلا فى الخير كان قول القائل : أثنيت على زيد ، كافياً فى المدح ، وكان قوله : وله الثناء الحسن ، لا يفيد إلا التوكيد ، والتأسيس أولى فكأن فى قوله (الحسن) احترازاً من غير الحسن فانه يستعمل فى النوعين كما قال ، والخير فى يديك والشر ليس إليك ، وفى الصحيحين : مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً . فقال عليه الصلاة والسلام : وجبت ، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً ، فقال عليه الصلاة والسلام : وجبت ، وسئل عن قوله (وجبت) فقال : هذا أثنيتم عليه خيراً ، فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شراً ، فوجبت له النار ، الحديث ، وقد نقل النوعان فى واقعتين تراخت إحداهما عن الأخرى من العدل الضابط عن العدل الضابط عن العرب الفصحاء عن أفصح العرب ، فكان أوثق من نقل أهل اللغة فانهم قد يكتفون بالنقل عن واحد ، ولا يعرف حاله فانه قد يعرض له ما يخرجه عن حيز الاعتدال من دهش وسكر وغير ذلك ، فاذا عرف حاله لم يحتج بقوله ويرجح قول من زعم أنه لا يستعمل فى الشر إلى النفي ، وكأنه قال : لم يسمع فلا يقال . والاثبات أولى ، ولله در من قال :

وإن الحق سلطان مطاع وما لخلافه أبداً سبيل

وقال بعض المتأخرين : إنما استعمل في الشر في الحديث للازدواج . وهذا كلام من لا يعرف اصطلاح أهل العلم بهذه اللفظة » .

وكان صاحب هذا الكلام المسهب فيه خليقاً أن يستعمل « أثنى والثناء » على حسب ما نقله من البيان .

٩٦ — وقال في ج م د : « فقالوا : رمضان لما أرمضت الأرض من شدة الحر » . ولم يذكر « أرمض في مادته بل قال : ورمضان اسم للشهر ، قيل سمي بذلك لأن وضعه وافق الرمض وهو شدة الحر » .

٩٧ — وقال فيهما أيضاً : « وشهر ربيع لما أربعت الأرض وأمرعت » أي ظهر فيها الربيع ، ولم يذكر هذا الفعل بهذا المعنى في « ربع » .

٩٨ — وقال فيها : « وشعبان لما أشعبوا العود » ولم يذكر « أشعب » في مادة ش ع ب .

٩٩ — وقال في ج ي ح و ن : « جيحون نهر عظيم وهو نهر بلخ ، ويخرج من شرقيها من إقليم يتاخم بلاد الترك » . ومعنى تاخمه اتصل حده بحده ، ولم يذكر هذا الفعل في « تخم » بل قال : « التخم : حد الأرض والجمع تخوم مثل فلس وفلوس وقال ابن الأعرابي وابن السكيت : الواحد تخوم والجمع تُخم مثل رسول ورسل ... » . ولم يتكلم على اشتقاق فعل منه بل انتقل الى « التخمة على وزن رطبة » وتكلم على أصلها .

« له صلة »

مصطفى جواد

مصادر اللغة العربية وتاريخها

١ — في العهود العباسية

اللغة لسان الأمة الناطق والعناية بها ضرورية ، تستدعي بذل الجهد اللازم في سبيل تنظيمها وترتيبها بعرضها على الأنظار . والأخذ بها للاستفادة ولا تزال الأمم المتحضرة بالغة الذروة في إتقان التدوين وحسن العرض وادخال التجديد المتوالي بلا هوادة ولا تأخر بحيث اكتسبت وضعاً يكاد يكون ثابتاً ، وإن كانت لا تعرف هوادة ولا وقوفاً في طريق الاصلاح . وهذا هو الشأن العظيم في العناية .

وتعدّ من أهم فروع (الأدب العربي) ، ولها صفحة وافية من التاريخ لا يصح إغفالها بوجه . ولعل في تاريخها عبرة لمعرفة التطوّر ، والاتصال بعمل الأزمنة لتكاملها فقد بلغت في المعاجم الاهتمام العظيم ، والمؤلفات الخالدة الأخرى ، فكانت من أكبر الأدلة على هذه المكانة وقيمتها العلمية والأدبية بل إن إهمال ذلك جهل (بالمجرى التاريخي) وتضييع لعمل الأمة في عصور عديدة مما يفيدنا كثيراً ، وإضاعة للاصلاح بتحقيق المطالب التي أشغلت الأفكار مدة وأنتجت ثروة لغوية لا تقدر قيمتها فكان جمعها وعرضها للاستفادة ، وبأكمل وجه ومراعاة ما هي بحاجة اليه ... ضرورة لازمة قطعاً .

وليس لنا من المراجع المعروفة مما يسمى بـ (تاريخ اللغة العربية) فالموجود لا يسمن ولا يغني من جوع . فما هي مراجعنا أو مصادر بحثنا ؟ وهل حرمنا هذه الآثار لتكون من القلة بهذه المكانة ؟ أو هل ان الأمة لم تعمل عما يخلّد الثقافة اللغوية من آثار لترجع إليها ؟ وتستقي منها ؟

ذلك ما يدعو الإلتفات والأخذ به . ولعل غالب من بحث لم يأت من طريق التاريخ ، فهو المرجع المهم جداً الى هذه المعرفة ، والوسيلة للاتصال باللغة . وإذا كنا لم نستطع أن نمدّ تاريخاً أو تواريخ بهذا الاسم ، فقد رأينا مؤلفات عديدة صالحة أن تكون مراجع مهمة ، ومصادر قويمة للأخذ بهذا التاريخ وتدوينه . وبوسعنا أن نمد جملة منها ، بل مقداراً وافراً . والأدب العربي واللغة العربية لا يتوضح أمرهما إلا من هذه الطريقة . ولا تزال الأمم ماشية عليها .

وهذه ليست في موضوع واحد ليتيسر سرد مصادرها أو الاتيان بها جملة وإنما نرى مطالب عديدة استوعبت هذه المصادر ، فمنها ما يتعرض للغويين القائمين ومنها ما يتعرض للمؤلفات الخاصة باللغة ، ومنها ما يتناول مادة اللغة وتوالي ظهور الآثار فيها ، ولا شك ان المهم لنا أن نعين ما هو أكثر أهمية ، وأجلى في المطالب العامة . ولا ننقل ان اللغة تشترك هي ومصادر الأدب في بعض وتفترق في البعض الآخر .

اللغويون ومصادر تاريخهم :

هؤلاء تكلم فيهم جماعة في (كتب الطبقات) . وغالب هؤلاء نحويون ، أو أدباء فلم يفصلوا بين الواحد والآخر ، ولا أفردوا اللغة بموضوع خاص للتعريف برجالها ، وكان العرب في العهود العباسية تناولوا مطالب فيهم :

١) نزهة الألبا في طبقات الأدبا . لابن الأنباري . ولم يقصر في هذا الكتاب الكلام على الأدباء ، وإنما نرى فيه لغويين عديدين . والملازمة دعت للبحث ، وأكدت العلاقة ، والعرب لم يفرقوا بين النحوي ، واللغوي ، والأديب من جراء الاتصال المشهود ، وربما شمل (الأديب) الكل على خلاف ما نرى اليوم من أن الأدباء يفصلون اللغويين عن الأدباء ، ويقصرون الأدب على (المنظوم والمنثور) . والبحث في استخلاص اللغة من المنظوم والمنثور ، أو النحو منها لا يعدّ عملاً أدبياً . ومفهوم البليغ الذي يبصر بضروب البيان وهذا لا يعتبرونه أديباً .

٢) معجم الأدباء . لياقوت الحموي . وهو مشهور معروف . وفي أيام الحموي وابن الأنباري ومن قبلها ظهرت آثار عديدة جاء ذكرها في تواريخ لا تحصى . وكتاب المعجم هذا لم يقتصر على عصر بعينه ، بل ذكر المشاهير الى أيامه ، وأوضح عنهم كثيراً . ويصح أن يستخلص منه جماعة .

٣) بغية الوعاة . للسيوطي . ولا يخلو من التعرض للغويين لما يخص العهود العباسية بل لم يترك المشاهير من هذا العهد ، ولم يقتصر على من في العراق ، فكان عاماً ، وصالحاً أن يكون من أجلّ المصادر التاريخية لما يهم موضوعنا .

وهناك مؤلفات أخرى دخلت في عداد هذه لم تبق حاجة إلى إيرادها ومن المصادر ما يتناول نفس (كتب اللغة) ، وتاريخ ظهورها بالتوالي . وهذه ذات علاقة بكتب الطبقات فلا تهمل صلتها ، ولا تنكر مكانتها . وكثرة المؤلفات تحتاج الى ترتيب وتتكون منها مواضيع عديدة ، تمدّ من مباحث (التاريخ الأدبي) تارة إلا أنها في الوقت نفسه من أجل مصادر المباحث في اللغة وتاريخها .

وبين هذه ما يتناول (المعاجم) ، أو (الرسائل التعليمية) ، أو (المؤلفات العامة) في خصائص اللغة وفي مطالب خاصة . جاءت كلها مجموعة تعين تاريخ اللغة . وهكذا لا يهمل أمرها ، بل من المهم جداً البحث في كل مطلب منها بخصوصه ، وأن نراعي تاريخ ذلك . ومن ثم تتكون لنا المباحث وتطورها حتى تأتي بها الى آخرها .

ومراجع أخرى تتعلق :

١ — بغريب القرآن الكريم .

٢ — بغريب الحديث الشريف .

٣ — بغريب اللغة بوجه عام .

٤ — شروح الدواوين . وهذه كثيرة وتوضح النقد اللغوي .

٥ — الأمالي والمجاميع الأدبية .

٦ — كتب التفسير .

٧ — شروح كتب الحديث .

وكل هذه تهم اللغة وتاريخها ، وصلاتها بنا ، وما الى ذلك مما أدى الى اشتغال صحيح ، ومن ثم نرامي الآثار فننظر كيف تكاثرت وكيف أمكن تنظيمها لتتيسر لنا منها مجموعات عظيمة . ومثل هذه المراجع لا تهمل بوجه . ولا يصح أن نترك وشأنها . والبحث في ترتيبها وهذا يتبين منه تاريخ اللغة .

وهكذا يقال في المصادر مما يتعلق :

١ — بالمعربات .

٢ — بالمصطلحات اللغوية والأدبية .

وهذه تشمل مباحث يهم أمرها كثيراً ، وتدعو للإلتفات . ولا يصح اهمالها بوجه . ولا شك أن الاشتغال في هذه والتعرف لتاريخها يؤدي الى سد ثغرة في اللغة لا يصح التغافل عنها ، أو عدم المبالاة بها بل ان ذكرها يجلو صفحة عظيمة من تاريخ لغتنا ، ويبين مجاري الاشتغال بها في موضوع لا تزال مجامعنا العلمية تكدح فيه ، وربما قصرت موضوعها عليه ، فاهتمت به الاهتمام كله .

وعلى كل حال نرى (تاريخ اللغة) في المدونات بدأ في أول الدولة العباسية ، وتوالت الآثار وهذه في تدقيقها ، وفي مراجعة طبقات اللغويين ، وتطورات اللغة كما تلهمه تلك الآثار ، تؤدي الغرض المطلوب من (تاريخ اللغة) .

أوضح هذا فأقول : ان المعاجم تطورت كثيراً في مادتها من قلة وكثرة ، وفي الترتيب ، وفي النقد اللغوي ، واستدراك ما فات ... كل هذه تستدعي البحث وتتطلب المعرفة في التكامل والتجدد . فاذا أخذنا صحاح الجوهري وجدناه إصلاحاً لما تقدمه فنال رغبة كبيرة ، وحصلت في أوهام آخذه العلماء بها وجرت مادته الى مباحث علمية ، فظهرت بعدة

معاجم ، وجل ما عرفنا (كتب الصاغاني) ، والتغيير والتكميل ، ومن أجلها (تكملة الصحاح) فانتهى العهد العباسي بعصوره ، ورأينا التحول كبيراً . وكان الصاغاني من أكابر رجال آخر العهد العباسي .

وهكذا يقال في (غريب القرآن الكريم) ، ومثله (غريب الحديث) ، وهكذا (غريب اللغة) في آثار تناولها العلماء بالبحث ، والتعديل والاصلاح فتكاملت حتى دخلت معاجم اللغة وتكونت منها مادتها أو أضيفت الى ماهو معروف . فكل هذه تحتاج الى أن يتألف منها ومن غيرها (تاريخ اللغة) ، وحوادث إعادة النظر في مدوناتها . فجاءت هذه التواريخ مهمة في تطور اللغة ...

ونرى غير هذا مباحث (المعربات) تناولها كثيرون ، وذكروا مفرداتها ، وعينوا ان هذا اللفظ غير عربي ، أو انه معرب لما كان قبل الاسلام وبعده ، فكانت المباحث كثيرة الا ان الجواليقي جاء باحصاء نوعاً في كتابه (المعرب) ، ورتب الكلمات على التوالي ، ولكننا نعلم ان الجواليقي وقف الى حدود تاريخ تأليفه . وربما فاته الكثير لما قبل أيامه ، ولعهده أيضاً ، فلم يدقق ثانياً وان تماد التجربة ، وان اللغة دخلتها بعد ذلك ألفاظ أخرى حتى أواخر العهود العباسية . فهذه لم يتعرض لها العلماء بذكر . جاءت بعده فضلاً عما أغفله ، أو لم يحط به علماً . فكانت هذه في ضرورة ماسة الى التدوين والترتيب تكملة أو تتمة لما ذكر ، وتستدعي التمحيص ، وتوالي المباحث ...

وهذه سواء كتب فيها أو لم يكتب ، فانها تحتاج الى هذا التحقيق ، وبيان ما تحتاج فيه الى استدراك ما فات ، وزيادة ما أهمل ، فنرى الضرورة داعية الى المعرفة . فاذا كان وجد تأليف فيها ذكرناه ، والا رجعنا إلى مصادرنا في جمع ما هنالك وعرضه لأنظار علمائنا .

يضاف الى هذا ان الجواليقي في معرباته لم يتعرض للكثير من المادة التي تدخل في موضوعه ومن أهمها الأعلام من أشخاص ، ومواطن وما ماثل في حين ان كتب اللغة مشحونة بما

عندنا من أمكنة وبقاع ، ومن أعلام أشخاص وضبطها ، فإهمال هذه بالرغم من استعمالها وذكرها لا يرتضيه تاريخ اللغة وما دخله من ألفاظ من نوعها . والنقص واضح في مثل هذه الأمور للتتبع التاريخي وما يجب مراعاته فيه من تدوين نفس اللغة سواء من جهة النقص في مفردات اللغة ، أو تعيين ما دخل من ألفاظ ، وتعيين تاريخ دخولها .

— ومعاودة اللغة أمر ضروري لا يصح التهاون به بوجه ، والوقوف على كتاب بعينه جمود ، والعودة أو إعادة التجربة من الأمور الضرورية لمعرفة التاريخ ولمعرفة التكامل المنشود في هذه الأمور .

وهناك (التصحيف والتحريف) في تاريخ اللغة وهذا تهمنا معرفته كثيراً ، ولا يصح التساهل فيه ، والأغلاط اللغوية في الألفاظ مما نعبر عنه بالتصحيف والتحريف أو الغلط والوهم ، مما حدثت في المفردات وفي التراكيب والاستعمالات من نوع (درة الغواص) وشروحها وما استدرك عليها من تكملة . وكل هذه موضوعها واسع الأطراف ، ويفيدنا في المعرفة للنقد اللغوي ، وفي ما يحقق رغبات المتتبع ، ولا يصح السكوت عليه دون بحث ، وهو في الوقت نفسه يعين تتبعاتنا في مختلف الأزمان ، ومثله مباحث (المثلثات) وغيرها .

وهذا أيضاً صفحة مهمة وعظيمة الفائدة في (تاريخ اللغة) ، تدعو للالتفات وتجعلنا في يقظة مما طرأ على اللغة ، فلم يقبل من كل لذوي ما قال ، ولم تهمل أعماله من كل وجه . وإنما المتابعة للحق الجدير بالأخذ وهو شأن العلم الذي لا اعتبار فيه للشخصيات ، وإنما هو قبول الحقائق الراهنة .

وأما المصطلحات اللغوية فهذه جرى استعمالها في أيام الدولة العباسية ، من حين استعمال الألفاظ الخاصة باللغة كلها ، وبالنحو ، والشعر والبيان وسائر العلوم العربية ولم تستعن بغيرها ، وكلها عربية ، ولم تدع مجالاً لقبول اللفظ الأجنبي ، وإنما استعملت ألفاظاً عربية ، وتوسعت في معانيها من طريقين مراعاة (المعنى القريب) ، أو (ارتجال اللفظ العربي) للمعنى المطلوب .

ومن مصادر اللغة (النقد الأدبي) . وهو غير (النقد اللغوي) الخاص ألا أنه متصل باللغة وان النقد الأدبي يتناول استعمال الألفاظ واشتقاقها ، وعلى استعمالها فهو يتعلق بالعلوم العربية واللغة معاً ، لاسيما البلاغة . وفي هذا ما يعين استعمال الأدباء لهذه اللغة وما يتطرق اليهم من خلل في هذا الاستعمال . ومن ثم نعلم درجة علاقتهم بهذه اللغة .

ومن مصادر اللغة (كتب الوضع) ، وتدخل في صميم اللغة ، وهي نظرة عامة في مدلول ألفاظها ، أو علاقة اللفظ بالمعنى من حيث العموم والخصوص الا ان هذا لم يتوضح في العصور العباسية . بل ان مباحثه استقرت في كتب خاصة لمؤلفين تالين لهذا العهد ، واللغة تدقق تدقيقاً علمياً من هذه الناحية فلا تهمل بوجه .

ولا نريد أن نتوغل في كل المراجع في تعيين تاريخ اللغة بحذافيرها وكفى أن نرجع الى ما ذكر . وهذه ليست بالقليلة . وليس الآن محل توسعها . وانما نرى لكل موضوع بحثه الخاص .

ومن كان جامداً على كتاب بعينه لا يستطيع أن يلتفت إلى شذرات الأمة ويحصل على فكرة منها ويتناول مباحثها بشمول لمثل هذه الأمور ، ولا يقدر أن يفكر في الاصلاح اللغوي ، وقد فقد القوة ، وحرم المعرفة .

وجل ما نرى (النقد للكتاب) من جراء مخالفته لقواعد اللغة ، أو مفرداتها ، أو تراكيبها ، فهؤلاء ليسوا أكثر من أناس ابتدائيين يصححون موضوعاً بالرجوع الى مادة اللغة ، أو قواعدها ، فلم يبدعوا في اللغة ، ولم يلتفتوا الى مفيد نافع ، ولا وجهوا توجيهاً حقاً . فهل بينوا ما فات التدوين في مفردات اللغة للعهود العباسية ، أو ما فات من معربات ، أو ما أغفله القدماء في العصور العباسية من أغلاط أو تصحيحات ، أو ما أهمل من مصطلحات الى آخر ما هنالك .

وانما نحاول أن ندوّن في الموضوع ما يلفت الأنظار من تقصيرات لعلنا نبصر بما غاب عنا به ، فلا يتكرر ...

هذا وان المعاجم وكتب الطبقات ومادة اللغة كل هذه لا تكفي للتعريف باللغويين وانما

تحتاج الى ادراك تاريخ هؤلاء من أصحاب الآثار اللغوية . وصرحنا الأخير فيها (كتب التاريخ) . فلا ريب انها الوسيلة الأخيرة لمعرفة هؤلاء . وأزمانهم لادراك التطور .

وموضوع الطبقات تاريخي . كما أن الاتصال بالتاريخ نفسه للمعرفة لا يخص موضوعنا .

أما مادة اللغة ، ومعاجمها وسائر آثارها وكتب (النقد اللغوي) كل هذه تدعو للاهتمام ، وتستحق النظر وموضوعها داخل ضمن الباحث ، وعند الكلام عليها تحقق أمر علاقتها بالآثار التاريخية على اختلاف أنواعها مما له صلة به .

ومصادر اللغة لما بعد العهود العباسية تدعو الى التبصر أكثر ، ومنها يعرف تطور العصر ، وله أهمية في تاريخ اللغة .

٢ — في عهد المغول والتركمان

فاذا تعينت المصادر اللغوية أو المهم منها أيام الدولة العباسية . فلا يكفي هذا أو يعنينا أن نلتمس غيره دون أن نراعي توالي العصور ؟ أو أن اللغة جمدت فيها ، فهل وقفنا عند العهود العباسية ؟

هذا ما لا أقوله ، بل اللغة العربية كائن حي ، وهي في حياتها مستمرة ، والأمة العربية تمتاز في احتفاظها بلغتها ، فلم تبدل كل يوم لغة ، أو تعدل تعديلاً متوالياً حتى تدوّن ما جرى فيها من التعديل المتوالي بحيث أخرجها ذلك عن أصلها كما نشاهد في لغات الأمم اللاتينية أو الجرمنية أو غيرها . من تركية وفارسية ! ويهمنا أن نتناول هذا الموضوع فتعين مصادر اللغة فيه لما بعد العهود العباسية حتى العهد العثماني أي من سنة ٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م الى سنة ٩٤١ هـ — ١٥٣٤ م ومصادر لغتنا :

١ — ما كانت عليه اللغة العربية في سابق عهودها ، والمصادر التي عيناها والمباحث التي تصلح أن تكون موضوع البحث ، ولا فرق بين العهدين الا في أن هذا الأخير تالٍ للعهد السابق وان نمضي في طريق ذلك .

٢ — كتب الطبقات والتاريخ . وهذا المهد تهمنا فيه كثيراً هذه المصادر وأن نتعرف رجال الأمــة فيها وما قاموا به من عمل . وطريقتنا أن ننظر في هذا الى عين ما كنا أوردناه وحققناه للعصور السابقة بأن نذكر في هذا المهد (كتب الطبقات) . وهذه تشمل ما يخص الموضوع مثل (البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة) للفيروز آبادي ، و (نزهة الألبا) لابن جماعة ، و (بغية الوعاة في اللغويين والنحاة) للسيوطي ، وهذه من أجلّ ما هنالك من مصادر والأخير منها لم يبين العصور مفردة ، ولا الأدوار التاريخية ، فجاء ترتيبه على حروف المعجم يفيد المراجعة لا للتعريف بالعصور .. الا أنه عظيم الفائدة . سار سيرة علمية ، راعى فيها جميع الأقطار ، الأمر الذي دعا أن يلخص ويحذف فلم يتوسع في كل قطر ومع هذا يصعب استخلاص ما يخصنا منه ... أو أن نتناول المعاصرين من رجال الأقطار الأخرى . ونحن في عملنا لا نريد إلا ما يعود لقطرنا وهو الصق بنا .

وبعض التواريخ في الرجال يهم كثيراً ، وهي العامة مثل (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) لابن حجر العسقلاني و (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) ، أو في غيرها مثل منتخب المختار[1] في علماء بغداد تأليف أبي المعالي محمد بن رافع السلامي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ — ١٣٧٢ م . أو مثل (غاية النهاية) وهذه الأخيرة وإن كانت خاصة بالقراء فهي تترجم الكثيرين من (علماء اللغة) ومثلها تاريخ القراء الذهبي ويذكر من عرفوا بالقراءة أو أخذت عنهم من علماء اللغة . وكتاب البدر الطالع للشوكاني ... وكل هذه المؤلفات لا تفيدنا الا من ناحية المراجعة . ويقال فيها ما قيل في كتب الطبقات .

وأما (كتب التاريخ) فانها بصرت بكثيرين في التعرف لهم ، والوقوف على تاريخ وفياتهم وملخص تراجمهم . وهذه كثيرة لانعدم طائفة منها . فالاستعانة بها مفيدة جداً ، ولا تخلو من اتصال بالمعرفة من طريقها ولا يصح أن تذكر كمصادر للغة . والصعوبة في مباحث اللغة نفسها الا أن توالي الاشتغال يؤدي الى هذه المعرفة ويسوق الى التدوين فيها .

(١) طبع في مطبعة الاهالي — بغداد سنة ١٩٣٨ م .

وأمر آخر وهو أن نلاحظ (كتب اللغة) نفسها ، وما ولّدته من أثر جديد في أصل اللغة وفي (اللغة التعليمية) ، وفي (المعاجم) و (المؤلفات العامة) . وهكذا ما يتعلق بـ (التعريب) من لغة الكتاب ، ولغة الحديث ، وغريب اللغة بوجه عام ومثل ذلك (المعربات) وما دخل اللغة من ألفاظ (دخيلة) ، و (المصطلحات) اللغوية وما ظهر منها أوجدّ ... وتكون مباحثنا في مادة اللغة بصورة كاملة ؛ ومن جراء ما توجه على اللغويين من تصحيف وتحريف ، أو أوهام .. وهكذا يظهر (النقد اللغوي) وهو الذي نتطلبه فيه من علاقة باللغة .

كل هذه ليست الا تكراراً لما سبق بيانه من حيث النهج ، ولكننا اذا راعينا عين الطريقة فاننا نلتمس بها ما حدث من تجدد أو تطور وتحول . وأمثلتنا من كتب أخرى غير ما حدث في عصر سبق ، وان الموضوع واحد الا انه اختلف تلقيه ، وتباين وضعه ؛ فهو تعديل في الفكرة ، وقدرة في اللغة ، وتوالٍ في الفكرة وزيادة في الثقافة واضافة لما هو المعروف .

واللغة عندنا لم تكن مصادرها (كتب اللغة) خاصة ، بل الآثار الأدبية تصلح دوماً للاخذ بل أنها الوسيلة الوحيدة لاعادة النظر في المطالب اللغوية ، واتخاذها أصلاً للبحث والمناقشة ، وبسببها يحصل التعديل في اللغة ، وتوهيم السابقين أو تصويبهم فيما ذهبوا اليه ، أو دونوا فيه ؛ فأمكن مناقشتهم الحساب ، ومراعاة ما عندهم ، أو الحكم لما اختلفوا فيه ببيان الراجح من المرجوح ...

فتكون مصادر هذا العهد أصل الآثار الأدبية ، والمخلفات للعصر السابق ، والتحقيق في وجهات النظر ، فظهرت مؤلفات العصر وآثاره ، وبرزت للعيان واضحة .

ومن ثم نرى معاودة النظر في المادة السابقة ومباحثها ، وهكذا ما جرى من ترتيب ، وما زاد فيها من مادة كما هو الشأن في العهود الماضية ، وأمر آخر وهو الجمع بين المواطن والأمكنة ، وغريب الكتاب الكريم وغريب الحديث وما جاء في الرسائل التعليمية والعامة ، فتكون منه موضوع اللغة الجديد ، فأدخلت هذه المطالب في لغتنا ، وزادت فيها ، بل يصح أن تزاد ...

وبحسب توضيح كل ما جرى عليه العصر من مادة غزيرة ومن ترتيب وأصول تعليمي في

اللغة بل ان اراده من موضوع أصل المباحث لامن موضوع المصادر وحدها بل أن موضوع (تاريخ لغتنا) بتفصيله المطلوب، وحالته المشهودة .

ولا نعدم بعض الأمثلة بل نشاهدها بارزة في بعض المؤلفات . فهذا (الفيروز آبادي) كان معيداً في بغداد مدة طويلة، في المدرسة النظامية اكتسب في خلالها خبرة، وتوصل الى معرفة كبيرة، ورأى كتب اللغة عديدة، والمعاجم لا تحصى كثرة، وان من أجلّها (كتب الصاغاني) الا أنها صعبة القتني والتداول، فرأى أن يلخص كل (كتب اللغة) مما وصلت يده اليها، ويظهرها في معجمه (محيطه) ليغني عن تلك المجلدات الضخمة والعديدة التي لا تكفيها أحمال . وكان لهذه الصلة والاختلاط أثرها الكبير في نشوء الفكرة وتحقيقها ...

أظهر أثره الخالد، وفيه وهّم الصحاح مع اعترافه بفضله، ولا ينكر أنه مال الى ما عند الصاغاني فاتخذه مادته ... وهكذا مضى في طريقه، وحاول أن يحيط بكل مادة اللغة من معربات ومصطلحات علمية وكان عليه ان لا يدخلها لانها ليست من اللغة وأدخل أمكنة وبقاعاً ... وهو في الوقت نفسه لم يخل من نقد وتمحيص . فمثل هذه ليست مما حدث في عهود المغول والتركمان بل هناك مباحث لغوية أخرى .

وجل أملنا أن نظهر ما حدث من تجدد، وما جدّ من مطالب . ولم نر من لغويينا من أظهر شيئاً من ذلك وقسد طال انتظارنا، وصعب أمرنا، ولم يبق الا أن نتناول الموضوع بأنفسنا .

ومصادر عهدنا كما قلت (الآثار اللغوية) . وعلاقتها بالعهود السابقة مشهودة، وهذه تعين مقدار العمل اللغوي كما في القاموس المحيط، وكتب (التهذيب التعليمية) . وفي هذا العهد ظهرت أوضح، وأن مؤلفات هذا العهد صارت متممة العصور، فخدمت المادة التعليمية مثل نظم (كفاية التحفظ في اللغة) للاجدابي، فجاء استظهارها سهلاً وحفظها يسيراً . وهكذا (الأسدية في اللغة) نظمت أسماء الأسد ...

ولو عددنا ما هنالك من آثار . لطال الأمر وعلمنا أنها تجديد في العهد السابق ولكن المطلوب بيان أن مصادرنا في هذا العهد أكثر ما تعوّل عليه (الآثار اللغوية) ومن تدقيقها يظهر التحول والتجدد الذي أحدثته والأمل أن تظهر كل آثار العصر ليكون التدقيق أوسع نطاقاً ، وأجل معرفة .

ومن هذه الأمثلة يظهر أن مادة العصر غزيرة . ولكن رجال لغتنا يريدون أن تمشي هذه الآثار من أمامهم ، وتأتيهم الى محل مطالعتهم ، وتقرر لهم ما يكتبون ليقوموا حينئذ بالمهمة .

اننا في هذه الحالة نريد أن نعلم (مخلفات العصر) . وكيف نعلمها ولم نعمل لاحيائها وكيف تكون المعرفة وهي بعيدة عنا ، ولم نبذل أي جهد في جلبها من الخزائن الأخرى التي أمالتها الرغبة العلمية الى الأقطار ؟

وبهذا حرمنا من رجال أدبنا ، وأصحاب التوجيه فينا وذلك لأمرين :

١ — جلب الآثار البعيدة عنا وهي من مخلفاتنا . وكيف يستطيع معرفتها من كان جاهلاً بها ، وبتاريخ الأدب ، وهل نتطلب من مثل هؤلاء العمل لنيل هذه النعمة الكبيرة في توسيع نطاق المعرفة اللغوية ؟

٢ — احياء الآثار اللغوية . وهذه نحن صفر اليدين منها ، فلم يستطع من يتبجح بالتوجيه أن يحيي أثراً واحداً ليقال إنه خدم اللغة في توجيهه . وهذا مطلب عسير على من لم تتمكن له المعرفة التاريخية بالأدب ومجاريه واللغة وأوضاعها .

والأمة تريد أن يظهر نتاج العمل . ولا تنظر الى الأقوال الفارغة . وأدب الأمة تابع للمعرفة . فالجهل بذلك ، والعجز عن القيام يدعو إلى حرمان الأمة مع أنهـــا راغبة في هذه المعرفة ، متطلبة لها .

والعمل للثقافة اللغوية وغيرها لا يحتاج الى أدلة ، وأن تاريخ المعرفة يعمر بالمعرفة الحقة وما يتطلبه التجدد الأممي ، فلا نغفل عن هذا ولا ذاك .

والعمل جل ما نتطلبــــه «كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون». قالوا كثيراً، وسمعنا أمداً ونحن فى حاجة اليوم أن ننطق بالصواب لخير الأمة وان نعمل. وإلا فالسكوت خير بل يجب أن نسكت من لم ينطق بالصواب ولم يعمل لصالح الأمة، وقد قال الكتاب الكريم فى حق كثيرين: (وان يقولوا تسمع لقولهم) بل نريد أن لا نسمع لقولهم.

عباس العزاوي المحامي

الفعل والنظام الفعلي في العربية

عد الأقدمون الفعل عنصراً جوهرياً في العبارة أو الجملة ، وهو كذلك عند المحدثين من اللغويين عامل مهم في بناء الجملة .

وقد اختلفت الأمم في أشكال الفعل ، فهو في العربية لا يتعدى الماضي والمضارع [1] ، في حين أنه يحتوي على صور مختلفة متعددة في اللغات الهندية — الأوربية Indo-Europeanne .
وليست العربية بدعاً بين أخواتها الساميات في هذا الباب ، فالباحثون في هذه الأسرة اللغوية يذهبون الى قلة صور الفعل Forme فيها .

وقد اهتم النحاة العرب في الفعل وبحثوا فيه بحوثاً طويلة ، وأعطوه من الأحكام مـا هو معروف ، مقيد في الأسانيد ، وسيأتي الى الكلام عنه . ولقد خلف السلف في هذا الباب كتباً كثيرة ، قصرها أصحابها على الفعل وأوزانه ومعانيه . ولعل طائفة منها كانت أشبه بالمعجمات اللغوية ، فكتاب الأفعال لابن القوطية [2] يظهر مدى اهتمام الأقدمين بالفعل ومعانيه وصوره . وقد أعاد أحد العلماء ترتيب هذا الكتاب ، وأضاف اليه شيئاً آخر ، وبوبه تبويباً خالف فيه الأصل ، وهو ابن القطاع من علماء القرن السادس الهجري [3] . وأنت إذا نظرت الى أحد هذين الكتابين تبينت غنى العربية في هذا الباب واهتمام اللغويين في هذه المادة ، حتى

---

(١) أما الأمر فليس لنا إلا أن نلحقه بالمضارع فهو صورة منه يؤدي معنى خاصاً . والى هذا ذهب النحاة الكوفيون . أنظر الانصاف لابن الأنباري مسألة ٧٢ ، وشرح الرضي على الكافية ٢ : ٢٦٨ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم بن عيسى بن مزاحم ، المعروف بابن القوطية الاندلسي الاشبيلي الأصل المتوفى سنة ٣٦٧ للهجرة .

(٣) هو أبو القاسم علي بن جعفر السعدي اللغوي المعروف بابن القطاع الصقلي المصري المتوفى سنة ٥١٠ للهجرة .

أنهم توسعوا فيها ، فاشتقوا الأفعال من أصول جامدة ، ليس فيها معنى الحدث . وسنأتي الى الكلام من هذا الموضوع .

على اننا لا بد أن نستدرك فنقول : إن الأقدمين على اهتمامهم الزائد بالفعل ومعانيه وصوره لم يبحثوا في زمان الفعل وتحديداته ، فالماضي هو الحدث الذي مضى « Accompli » ولكن هذا الذي مضى لا نعرف في أي زمان من الماضي ، فهو يصدق على حدث مضى قبل لحظات ، وعلى آخر مضى عليه زمان طويل ، وهذا التوسع أو قل التساهل مبعثه قلة ضبط الأزمنة في النحو العربي . فلا يستطيع المستقرىء لكلام العرب أن يحدد الزمن تحديداً كالذي نعرفه في غير اللغات السامية ، وهو ان استطاع ذلك ، فبالقرينة والاشارات الأخرى التي يحتوي عليها النص . ولعل حيرتهم وقلة بحثهم في هذه الناحية ، تبدوان فيما أسموه بالمضارع ، فالتسمية لا تشير إلى زمن معين محدد معروف ، وانما تشير الى شبه هذا بالاسم ، فهو مضارع للاسم ، وتأتي مضارعته للاسم من ناحية حركة آخره [1] . ثم أنهم حين أرادوا أن يدلوا على زمن هذه الصيغة أشاروا الى الحال والاستقبال . وأمر الحال والاستقبال في هذه الصيغة متروك للنص ، تحدده القرائن والاشارات .

وليس لنا أن نتبين في العربية ضوابط واضحة تشير الى اتفاق الأزمنة أو ما يسمى بـ « Concordance de temps » . فليس صحيحاً أن تدل صيغة على زمنين مختلفين ، لم يحدد كلاً منها ضابط متميز بالنسبة للآخر . ولا ندري ما المراد بالحال وكم هو طول هذه الفسحة الزمنية ، ثم إذا انطلقنا من هذا الى المستقبل ، لا نهتدي الى أين نصل بالمستقبل ، فهو فسحة زمنية طويلة .

ووقوفهم في البحث عند هذا الحد من حيث الناحية الزمنية ، دليل على أن الباحثين الأقدمين في النحو لم يتأثروا في الامور الجوهرية بالفكر اليوناني ، ونحن اذا أردنا أن نجد آثار المنطق

(1) أنظر Marcel Cohen. Systeme verbal Semitique. P. 10.

في النحو لا نجده إلا في التقسيمات وفي الأحكام العامة المطلقة ، كالسبب والمسبب ، والعلة والمعلول .

ولكن القائلين بتأثر المسلمين بالفكر اليوناني لا يقتصرون على هذا الحد ، فعندهم أن الفكرة الزمنية والبحث فيها كان نتيجة لتأثر هؤلاء بالنحو اليوناني ، وقد قال بهذا المستشرقون [1] وغير المستشرقين من المشارقة الذين تأثروا بهم ولزموا أقوالهم [2] . فقد قالوا : إن القياس النحوي متأثر بالقياس المنطقي الأرسطي ، والرد على هذا الزعم ميسور سهل ، ليس هذا مجال البحث فيه .

وأعود فأقول : لو كان واضع النحو متأثراً في الأمور الجوهرية بالنحو اليوناني ، لنحا في تحديد الزمن منحى الإغريق ، ولبحث في قضية الزمن وتحديده كما بحثوا ، ولوقفنا اليوم في عصرنا الحديث على جلية الأمر ، وصرنا لا نحار في قوله تعالى « فلم تقتلون أنبياء الله مما قبل إن كنتم مؤمنين » [3] فالفعل « تقتلون » مضارع ولكن النص لا يشير الى الحال أو الاستقبال وإنما يشير الى الزمن الماضي .

ولا نستطيع أن نهتدي الى الماضي المستمر « durable » في العربيـة بصورة واضحة دقيقة . ونحن إذا وجدنا قولهم « كان يباشر مشيخة قريش [4] » وهو متضمن لفكرة الاستمرارية . ومثل هذا كثير في كلام العرب ، فالاستمرارية حاصلة ولكننا لا نستطيع تحديد

---

(١) أنظر M. G. Demombynes et Blachere. Grammaire P. 36.

(٢) أنظر مقالة الدكتور ابراهيم مدكور في مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربيـة ١٩٤٨ — ١٩٤٩ وموضوعها منطق ارسطو والنحو العربي . وأنظر تعليق المستشرق الفرنسي L. Massignon عليـه . وأنظر تعليق Gibb على الموضوع وذهابه الى أن النحو العربي والنحو السرياني نشآ في وقت واحد . والى هذا ذهب E. Littmann في محاضراته .

ثم أنظر (De Boer) تاريخ الفلسفة في الاسلام ص ٣٩ .

(٣) البقرة ٩١ .

(٤) الأغاني دار الكتب الجزء السادس ص ٩٦ .

الفسحة الزمنية فيها ، أو قل إن الصيغة لم تشر الى زمن محدود مقيد [1] . فقد جاء في ابن هشام ما نصه : « والله إنه ليضع رحل رسول الله (ص) إذا أتاه سهم غَرْب فأصابه وقتل » .

ومن إهتمام العربية بالفعل غلبة الجملة الفعلية [2] على كلام العرب ، ذلك اننا لو نظرنا الى كتاب من كتبهم فاحصين على طريقة الاحصاء في أيامنا ، لاهتدينا الى صدق هذه الدعوى . ولا نريد أن نعلل هذه الظاهرة الكلامية ، لأن التعليل ربما أخرجنا عن هذا البحث اللغوي . وقد فعل هذا الأستاذ علي الجارم في مقالة له فزعم « إن العقلية العربية تقتضي أن تكون الجملة الفعلية الأصل والغالب الكثير في التعبير ، لأن العربي جرت سليقته ، ودفعته فطرته إلى الاهتمام بالحدث في الأحوال العادية الكثيرة . وهي التي لا يريد فيها أن ينبه السامع إلى الاهتمام بمن وقع منه الحديث أو التي لا يهتم هو فيها بمن وقع منه الحديث ، فالأساس عنده في الإخبار أن يبدأ بالفعل ، عدا الفرس وعاد المسافر ... [3]

وقد يلتجىء العربي الى الجملة الاسمية اذا كان القصد الى الفاعل والى الاسراع بإزالة الشك فيمن صدر منه الفعل ، فيبدأ بذكره أولاً قبل أن يذكر الفعل لكي يخصصه ، أو لكي يبعد الشبهة عن السامع وعنه أن يظن به الغلط أو التزيد » [4] .

---

(١) Th. Noldeke, Zur Grammatik des classischen Arabisch, P. 68.

(٢) حين أنص على الجملة الفعلية في هذه المقالة أريد منها ما كان فيها الفعل طرفاً في الاسناد فهو مسند أبداً ، وعلى هذا نقولنا : « جاء محمد » جملة فعلية مؤلفة من مسند ومسند اليه . ثم إذا قلنا : « محمد جاء » لم نبدل شيئاً في حقيقة الاسناد . فطرفا الاسناد هما كما كانا في الجملة الأولى ، وهي بهذا جملة فعلية أيضاً مؤلفة من مسند ومسند إليه ، والمسند اليه هو الفاعل في كلتا الجملتين . والى هذا ذهب نحاة الكوفة ، فقد أخلوا الفعل من قولهم : « محمد جاء » من الضمير الذي عده البصريون فاعلا .

ولا أريد أن أقول في الفرق بين قولهم محمد جاء وجاء محمد ، ان الأول يفيد التجدد ، والثاني يفيد الحدوث ، كما ذهب اليه البلاغيون ، أنظر السكاكي ، مفتاح العلوم ٢١٣ .

(٣) علي الجارم ، مجمع اللغة العربية الجزء السابع ص ٣١٧ لسنة ١٩٥٣ .

(٤) يشترط الجارم أن تصدر الجملة باسم وهو مسند اليه ولو كان للمسند فعلا وهذا مذهب كثير من =

ولا أريد أن أعلق على مقالة الجارم فهي تمليلات فكرية فلسفية ، ولا يهم الباحث اللغوي غير بحث الصيغ والأساليب . وربما كان سلوك هذا المذهب ابتعاداً عن الحقيقة اللغوية التي هي موضوع البحث .

ولقد اهتم النحويون كافة في مسألة الإعراب ، فذهب الأقدمون إلى أن الإعراب أثر يجلبه العامل . ومن هنا كان بحثهم في العامل ، فالبصريون يرون أن الفعل صاحب العمل سواء تقدم أم تأخر وسواء ذلك كان مذكوراً أم مقدراً .

وكثر حديثهم عن العوامل فقد ألف أبو علي الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ كتاب العوامل ومختصره ؛ وألف الشيخ عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ . كتاب « العوامل المائة » . ولم يكن البصريون وحدهم مهتمين بمسألة العامل فقد بحث فيه غير البصريين من نحاة الكوفة . وظل منهج القوم على هذه الحال الى أن تصدى ابن مضاء القرطبي لهؤلاء يفسد عليهم نظريتهم في العامل في كتابه « الرد على النحاة »[١] . وهو يكرر رأي ابن جني في الخصائص عند كلامه عن العوامل اللفظية والعوامل المعنوية ، ومذهبه الى ان العمل الإعرابي في الحقيقة للمتكلم ونسبته لغيره للابسه خاصة[٢] . ثم بحث الموضوع الاستاذ ابراهيم مصطفى من المحدثين ، هذا القول بتوسع وتصرف . وانتهى الى ان الحركات بعضهـــا علم على معنى اعرابي ، فالضمة علم الاسناد ، والكسرة علم الاضافة ، اما الفتحة فحركة لا تدل على شيء[٣] .

= النحويين .

وما تجب الاشارة إليه أن هذه الجملة المصدرة بالاسم مسنداً اليه أو قل — فاعلا — متلواً بمسند هو الفعل ، قد كثرت في عربيتنا الحديثة . وسبب ذلك يرجع الى أن هؤلاء الكاتبين متأثرون بالأســاليب المترجمة ، ويتبين صدق هذا في الأخبار التي تذيعها وكالات الأنباء وفي الأقاصيص المترجمة ، ثم سرت هــذه الظاهرة الى كتابات أخرى .

(١) ابن مضاء ، الرد على النحاة ٨٥ ، ٨٦ .

(٢) ابن جني ، الخصائص ١ : ١٩٠ .

(٣) ابراهيم مصطفى ، احياء النحو ص ٥٠ . ولا بد أن نشير الى رأي احد النحويين الاقدمين وهو =

والبحث في دلالة الحركات جاء متأخراً ، فلم يشر اليه رءوس الطبقة الأولى من النحويين ، فقد جاء عن الخليل أنه قال « ان الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهن يلحقن الحرف ليوصل الى التكلم به ، والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه » [1] . والى هذا ذهب ابراهيم أنيس من المحدثين في كتاب من اسرار اللغة [2] .

ولعل العلة في ذهاب الأقدمين هـذا المذهب في التعلق بالعامل هو تأثرهم بالمنهج الفلسفي الذي يقول بالعلة والمعلول ، والسبب والمسبب ، ولا يصح جرياً على هذا أن يكون حدث من غير محدث . وقد تعلق البصريون أكثر من غيرهم بهذه الدعوى وأرادوا ان يفيدوا منها في البحوث النحوية واللغوية ، فآل الامر الى خلط وتعقيد وابتداع أبواب ليس من الصعب أن تبعد من دائرة النحو واللغة .

وقد أشار الأقدمون الى هذا ، وقالوا بضعف العلل النحوية وابتعادها عن اللغة وحقيقتها ، ومن هؤلاء ابن جني فقد ذكر في باب « علل العربية أكلامية أم فقهية » ما نصـه « اعلم ان علل النحويين — واعني بذلك حذاقهـم المتقنين ، لا الفـافهم المستضعفين — أقرب الى علل المتكلمين ، منها الى علل المتفقهين » [3] .

والى هذا أشار ابن فارس في قوله :

مرت بنا هيفاء مجدولة ترـكـيـة تنمي لتركي
ترنو بطرف فاتر فاتن اضعف من حجة نحوي [4]

=أبو علي محمد بن المستنير تلميذ سيبويه والمعروف بقطرب ، وقد ذكر السيوطي في الأشباه والنظائر ج ١ : ٧٩ ما نصه « انما أعربت العرب كلامهـا لان الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف فلو جعلوا وصله بالسكون ايضاً لكان يلزمه الاسكان في الوقف والوصل فكانوا يبطئون عند الادراج ، فلما وصلوا وامكنهم التحريك جعلوا التحريك معاقباً للاسكان ليعتدل الكلام » .

(١) سيبويه ، الكتاب ج ٢ ص ٣١٥ .

(٢) ابراهيم أنيس ، من اسرار اللغة ١٤٢ .

(٣) ابن جني الخصائص ١ : ٤٨ .

(٤) انظر ابن خلكان ترجمة ابن فارس ج ١ ص ٣٦ .

ولم يسلم حتى هؤلاء القداى من هذا الخلط ، فلم ينصرفوا في بحوثهم اللغويـة الى المذهب اللغوي الصحيح ، ولم يستطيعوا أن يجنبـوا بحوثهم هـذا الدخيل الذي لا يمت للبحث اللغوي بصـلة . ومن يتعقب كتاب الخصائص لابن جنى يجده يتخبط في مسائل لا علاقة لها بالبحث اللغوي ، وانما هي من تأثير المنهج الكلامي الذي أشرنا اليه . ولم يدفع ابن مضاء مسألة العامل وينكرها تمسكاً بالبحث اللغوي الصحيح ، فهو ظاهري المذهب والعقيدة ، وهو من أجل هذا يريد أن يسود حكم الظاهر على المسائل اللغوية والنحوية أيضاً .

وتمسك البصريين بالعامل هـذا التمسك الذي يرجع الى أصل فلسفي ، أوقعهم في مآزق أحالت النحو العربي الى تخليط أبعد ما يكون عن البحث اللغوي السليم . فقد وقفوا عند قوله تعالى « وإن أحد من المشركين استجارك »[1] فقالوا بفاعلية أحد ولكنهم قالوا لفعل محذوف يفسره المذكور ، ومن هنـا نشأ عندهم ما اسموه بالجملة المفسرة التي لا محل لها من الإعراب . ومبعث كل هذا انهم لايخلون الفعل من ضمير الاسم السابق ، مدفوعين بالنظر الفلسفي .

وموقف الكوفيين من هذا انهم اجازوا أن يخلي الفعل من الضمير وهم يوردون شاهدهم المعروف ، وهو قول الزباء :

ما للجمال مشيُها وئيدا   أجندلاً يحملن أم حديدا[2]

ومن هنـا يظهر أن النحويين بصريين وكوفيـين متفقون في قولهم بالعامل ، غير أنهـم يختلفون في مقدار أخذهم به . فالفعل عند كثير من نحاة الكوفة لا يعمل في الفاعل ، فالعامل في الفاعل عند الكسائي ليس لفظ الفعل وانما كونه داخلاً في الوصف اي كونه متلبساً بالفعل[3] .

ولعل عـدم جواز خلو الفعل من الفاعل عنـد البصريين ، أوقعهم في مأزق آخر في باب

---

(١) التوبة ٦ .

(٢) السيوطي ، الهمع ١ : ١٥٩ ، شرح الاشموني على الألفية ٢ : ٤٣ عن مدرسة الكوفة .

(٣) السيوطي ، الهمع ١ : ١٥٩ .

التنازع ، وهو أن يتقدم عاملان أو أكثر ويتأخر عنهما أو عنها معمول يصلح ان يكون معمولاً لكل واحد مما تقدم ، كقولهم مثلاً : « قام وقعد أخوك » فقد قال البصريون باعمال الثاني لقربه ، واختار الكوفيون اعمال الأول لسبقه ، غير أن الفراء قد ذهب الى انه اذا اتفق العاملان في طلب المرفوع فالفعل لهما جميعاً (١) .

ومن اهتمام النحويين بالفعل الحقوا به في الاعمال أسماء الافعال ، واسماء الفاعلين وأسماء المفعولين والصفات المشبهة ، وافعل التفضيل وأمثلة المبالغة .

وأسماء الفاعلين عند الكوفيين أفعال دائمة .

ومن اهتمام العربية بالفعل أنها تأخذه من الأسماء ، اقول من الاسماء التي تبثت أصالتها في الأسمية . فكلمة « اسم » لم تخرج من السمو أو الوسم على الخلاف بين البصريين والكوفيين (٢) ، وانما هي كلة قديمة وجدت في سائر اللغات السامية فأفادت منهـا العربية فصاغت منها فعلاً هو « سمّى » . ولم يلتفت النحويون الى هذا ، وانما شغلوا انفسهم في الكلام عن همزة الاسم (٣) .

والباحث في الافعال ثلاثية أم غير ثلاثية يجد أن طائفة منها ذات أصول جامدة فالفعل « رأس » مأخوذ من الرأس والرأس كلة وجدت في اللغات السامية كافة وهكذا في « كبده » أي أصاب كبده ، وصبع به وله وعليه مأخوذ من غير شك من الاصبع . وهناك أفعال مأخوذة من أعضاء الجسم كقولهم « نابه » « ينيبه » وهو من الناب . و « ورك » من الورك ، وتورك بالمكان اقام به ، ولعل الفعل « ترك » بناء على افتعل الفعل « ورك » .

ومن هذا الباب « فخذه » أي أصاب فخذه . وربما كان هناك علاقة بين « ضرع » وهو اسم وبين « رَضَع » وهو فعل (٤) .

(١) الرضي ، شرح كافية ابن الحاجب ج ١ ص ٧٩ .

(٢) ابن الانباري ، الانصاف المسألة الاولى .

(٣) يرى الخليل أن همزة الاسم زيدت للتوصل الى النطق بالساكن ؛ الكتاب ج ٢ ص ٦٦ .

(٤) انظر محاضرات بول كراوس على طلبة كلية الآداب في القاهرة ١٩٤٣ .

واذا أردنا أن نستوفي هذا الباب وجدنا حشداً كبيراً من الافعال لا ترجع الا الى اسم جامد صريح ، فالتامر واللابن مأخوذ من التمر واللبن ، وتمره أطعمه التمر . واهل « بات » ترجع الى البيت .

وابتنى صار له بنون .

ولقد انقطعت الصلة في كثير من الاحيان بين المادة الفعلية وبين الاصل الاسمي . فكلمة الجن وهي كلمة قلبها البحث اللغوي فردها الى أصول غير سامية هي التي ولدت لنا « جن » بمعانيها المختلفة بحيث صار الباحث لايقرب بين هذه الاسم والفعل . وقل مثل ذلك في كلمة « الإنس » وهو اسم ، والفعل « أنس » وليس من شك ان الفعل خارج من الاسم . أما المصدر « أنس » فلا نرى الا انه محمول على الفعل .

ومن اهتمامهم بالفعلية أنهم حسبوا كثيراً من الأدوات أفعالاً ، فاداة النفي « ليس » فعل جامد عندهم ، ولم يقولوا بتركيبها ، ويفصلوا القول فيه . وهكذا قل في بئس ونعم وعسى ، وربما اعتبروا « لات » فعلاً معتمدين على قوله تعالى « وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئاً »[١] .

ولقد اعطت كلمة « إل » ابنية فعلية ، وكلمة « إل » كلمة سامية وتعني الإله . وكان ابن يعمر[٢] يقرأ « جبر إلّ » بتشديد اللام ، وقال بعض المفسرين الإلّ هو الله واحتج بقوله تعالى « وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة »[٣] . وقال أبو عبيدة الإل العهد[٤] .

وخلاصة القول إن الفعل يحتل في العربية مكانة عظيمة لما تحظ بالدراسة اللازمة .

---

(١) الحجرات ١٤ .

(٢) يحيى بن يعمر نحوي مشهور انظر نزهة الالبا لابن الانباري .

(٣) التوبة ٩ .

(٤) القاسم بن بشار الانباري ، الاضداد ٣٤٦ .

ابراهيم السامرائي

التركيب والبناء في العربية

دفعني الى الكتابة في هذا الموضوع ما ذكره المستشرق الألماني Brochelmann في دراسته المطولة المقارنة في اللغات السامية ، وهو : أنْ ليس في اللغات السامية ادغام للكلمات [1] . ولا يريد بالادغام في مقالته ما أراده النحويون في هذا المصطلح الذي أفردوا له بحثاً طويلاً مسهباً في كتبهم . وانما يريد به وصل كلمة بأخرى بحيث يتكون منهما كلمة واحدة ذات معنى مؤلف من معنى الكلمتين المستقلتين .

ولعله أصاب لو استعمل « التركيب » مصطلحاً لغوياً لما أسماه بالادغام . وكأنه أحسَّ أن في العربية شيئاً كثيراً من المركبات ، وهذا الشيء الكثير يفسد عليه رأيه ، فاستدرك أن التركيب غير قديم في اللغات السامية ، وأن هذه اللغات كانت خالية مما أسماه « بالادغام » في عصورها القديمة ، وليس من حجة علمية تأريخية تثبت صحة هذه الدعوى .

والذي ثبت في التحقيق العلمي أن في العربية تراكيب كثيرة ، وأنها استفادت من التركيب لتكثير المباني والمعاني . وقد اعتمد « البناء » في العربية على التركيب بصوره المختلفة ؛ ولعل من المفيد أن أنبه أني لم أرد « بالبناء » المصطلح النحوي الذي يقابل الإعراب ، وانما أردت به بنية الكلمة Structure .

ويدخل التركيب في بنية كل من الاسم والفعل والحرف ، ولعل التركيب في الحروف يشير الى قدم هذه الوسيلة في العربية ، وسنعرض للادوات التي أفادت من التركيب على مر العصور وكر الدهور ، فلزمت صورتها المعروفة والتي ورثتها العربية واستعملتها وكأنها كلمات مستقلة . ولو نظر الباحث في هذه الكلمات لوجدها مركبات استفادت من التركيب ، ولا سيما في صورتها

(1) Brockelmann, Grundriss I, S. 5

النحوتة ، والنحت لون من ألوان التركيب في العربية خضعت له الحروف والاسماء . وكان مذهب الخليل بن أحمد : ان الكلمتين اذا ركبتا ، ولكل منهما معنى وحكم ، أصبح لها بالتركيب حكم جديد »[1] . وتبع الخليل في مقالته جمهور الكوفيين ، ومنهم الكسائي (والفرّاء) ، وليس كما أراد الاستاذ طه الراوي من : أن الخليل قد شذ عن جمهرة النحاة في رأيه في الأدوات المنحوتة[2] .

ولنا أن نعرض الأدوات التي دخلها التركيب على طريقة النحت فلزمت صورتها المعروفة الموروثة :

١ – لن

وهي مركبة عند الكسائي من الكوفيين وحده ، وعنده أنها مركبة من « لا » و « أن » وحذفت الهمزة تخفيفاً ، والألف لساكنين[3] .

وقول الكسائي في « لن » هو قول الخليل وهو صاحب الرأي فيه ، جاء في كتاب سيبويه :

فأما الخليل فزعم أنها « لا أن » ولكنهم حذفوا لكثرته في كلامهم ، كما قالوا : ويلمه ، يريدون وي لامه وكما قالوا يومئذ ، وجعلت بمنزلة حرف واحد »[4] .

وعن الأزهري : انه « حكى هشام عن الكسائي مثل هذا القول الشاذ عن الخليل »[5] .

على أن جمهور البصريين يرد هذه المقالة ويقول بعدم تركيب « لن » وإنها : حرف بسيط برأسه وهو مذهب سيبويه لأن الأصل في الحروف عدم التصرف »[6] وليس أصله « لا »

(١) ابن جني : سر صناعة الإعراب – حرف الكاف – .

(٢) طه الراوي : تاريخ علوم اللغة العربية ، ص ٢٨ .

(٣) الأشموني ، الشرح ج ٣ ص ٢٨٣ ؛ ابن هشام ، المغني حرف اللام .

(٤) سيبويه ، الكتاب ج ١ ص ٤٠٧ .

(٥) ابن منظور ، لسان العرب – مادة لن .

(٦) الزبيدي ، تاج العروس – مادة لن .

فأبدلت الألف نوناً كما ذهب جماعة من اللغويين [1] . فذهب الفراء مثلاً الى أن أصل « لن » و « لم » لا فأبدلت الألف نوناً في أحدهما وميماً في الآخر [2] .

وما دام القدامى قد قرّبوا بين « لن » و « لم » فلا بد لنا من النظر فيها والقول بتركيبها وإن لم ينص عليه متقدم من اللغويين والنحويين وقد قال بهـذا المستشرق الألماني « برجشتراسر» فزعم : أن أصل النفي في العربية أن يكون بلا وما ، وأن العربية قد اشتقت من « لا » أدوات منها : ليس ، ولن ، ولم ، وقال : « لن: مركبة من « لا » و« أن » ولم » ربما كانت مركبة من « لا » و « ما » الزائدة [3] .

وقال في مكان آخر حين عرض لحروف العطف : « ثم » خاصة بالعربية ويظهر أنها مشتقة من « ثَم » المقابلة لـ Sam العبرية و tamman الآرامية ، و (او) سامية الأصل ، و (أم) حديثة عربية ، وأصلها : أما ، كما ان (لم) اصلها la-ma وكم أصلها « Kama » [4] . والذي رأيته أن النحويين المتقدمين لم يقولوا بالتركيب وردوا هذا الرأي الى الخليل والكسائي ، أما المتأخرون فقد قالوا بالتركيب ولا سيما اللغويين منهم ومن هؤلاء ابن جني في سر صناعة الاعراب .

٢ — كأن

وهي مركبة من الكاف و « أن » ، فأصل قولهم كأن زيداً عمرو ، إنما هو إن زيد كعمرو ، فالكاف هنا تشبيه صريح وهي متعلقة بمحذوف . ثم إنهم أرادوا الاهتمام بالتشبيه الذي عليه عقدوا الجملة ، فأزالوا الكاف من وسطها ، وقدموها إلى أولها لافراط عنايتهم بالتشبيه ولاجل

(١) المصدر السابق .

(٢) الرضي ، شرح الكافية ج ٢ ص ٢٣٥ .

(٣) برجشتراسر ، التطور النحوي لغة العربية ، ص ١١١ .

(٤) المصدر السابق ص ١١٩ .

تقديم الكاف فتحوا همزة « إن » [1].

ويلتزم ابن جني قاعـدة التركيب ويرفض ما عداها ، فهو يذكر رأي الخليل في « لن » وتركيبها ويقول به ويعقب عليـه بقوله : « فهذا يدلك أن الشيئين إذا خلطا حدث لها حكم ومعنىً لم يكن لها قبل أن يمتزجا ألا ترى أن لولا مركبة من «لو» و « لا » ومعنى «لو» امتناع الشيء لامتنـاع غيره ، ومعنى « لا » النفي أو النهي . فلما ركبا معاً حـدث معنىً آخر وهو امتناع الشيء لوقوع غيره . فهذا في « لن » بمنزلة قولنا كأنّ ومصحح له ومؤنس بـه ورادّ على سيبويه ما ألزمه الخليل » [2].

٣ — لـكن

اختلف فيها النحويون فهي بسيطة عنـد البصريين [3] . وهي مركبة عند الفراء من الكوفيين من « لكنْ » و « أنْ » فطرحت الهمزة للتخفيف ونون لكن للساكنين كقوله :

« ولاك اسقني إن كان ماؤك ذا فضل » [4].

وهذا علة نصبها الاسم عنده [5].

ويرى غير الفراء من أهل الكوفة أنها مركبة من « لا » و « أن » و « الكاف الزائدة لا التشبيهية وحذفت الهمزة تخفيفاً » [6].

ولعل السبب في اختـلاف رأيهم في هذه المواد يرجع الى أنهم لم يستكملوا أدوات البحث

(١) ابن جني (سر صناعة الاعراب ص ٣٠٥ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الزبيدي ، تاج العروس ، مادة لـكن .

(٤) ابن هشام ، المغني ج ١ ص ٢٢٦ .

(٥) الزبيدي ، تاج العروس .

(٦) ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٨ ص ٧٩ ؛ ابن هشام ، المغني ج ١ ص ٢٢٦ .

اللغوي في اللغة العربية وذلك يقتضيهم النظر في اللغات السامية الأخرى ليستطيعوا أن يقطعوا برأي علمي أسبل . ذلك ان النظر في العبرية يهدي الباحث الى القول بتركيب هـذه المادة من « لا » و « كن » ، و « Ken » في العبرية تعني « هكذا » . وبهذا قال « برجشتراسر » في محاضراته الموسومة بالتطور النحوي للغة العربية [1] .

وقول بعض الكوفيين بتركيبها من « لا » والأحرف الزائدة الاخرى أقرب الى الصواب وأهدى الى الطريق الصحيح الذي توصل اليه بالفطنة والنظر السديد .

٤ — ليس

يرى الخليل انها مركبة من « لا ايس فطرحت الهمزة وألزقت اللام بالياء » [2] . وهو قول الفراء أيضاً والدليل على ذلك قول العرب : « ائتني به من حيث ايس وليس أي من حيث هو ولا هو » [3] .

أما غير الخليل من البصريين فقالوا بخلافه . فهي عند ابن السراج حرف بمنزلة « ما » والى ذلك ذهب أبو علي الفارسي وابن شقير وغيرهم [4] .

والقول بفعليتهـا وحرفيتهـا كثير ، قال ابن سـيدة : « ليس كلمة نفي وهي فعل ماض وأصلها لَيِس بكسر الياء » [5] .

وذهب ابن هشام الى انها فعل لايتصرف ، وزنه فعِل بالكسر ، ثم التزم تخفيفه ولم نقدره فعَل بالفتح لأنه لا يخفف ولا فعُل بالضم ، لانه لم يوجد في يائي العين » [6] .

(١) برجشتراسر ، التطور النحوي ، ص ١١١ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ليس .

(٣) الزبيدي تاج العروس ، مادة ليس .

(٤) ابن هشام ، المغني حرف اللام ج ١ ص ٢٢٧ .

(٥) ابن منظور لسان العرب مادة ليس .

(٦) ابن هشام ، المغني ج ١ ص ٢٢٧ .

وقول العرب « ائتني به من حيث أيس وليس » مفيد في هذا الباب ، ذلك أن أيس يعني الوجود و « ليس » يعني عدم الوجود .

والنظر في اللغات السامية يدل على هذا فالمادة « يش » في العبرية تفيد الوجود والمادة ايت في الآرامية تفيد الوجود وقد ركبت « لا » مع هذه المادة التي تفيد الوجود . وإلى هذا ذهب برجشتراسر في بحثه [1] .

ولو رجعنا الى العربية وقصرنا عليها البحث دون النظر في اللغات السامية لوجدنا فيها ما يؤيد القول بتركيب « ليس » من « لا » و « ايس » فقولهم « ايس » الدلالة على الوجود يقابله في العربية مادة « شيء » وهي مقلوب لكلمة « أيش » السامية ، والتي وجدت في العبرية مؤدية هذا المعنى ، والتي تحجرت في العربية في جمل محدودة مقيدة في معجمات اللغة في قولهم « ايس » . فكأن « ليس » « لا ايس » أي أنهما من « لا أيش » ومعناها « لا شيء » ثم قوي التركيب على طريقة النحت فصارت ليس .

٥ — لات

ولا بد للباحث في « ليس » أن يعرض لـ « لات » وهي أداة من أدوات النفي ألحقت بليس وعملت عملها وقيدت بشروط .

وقد علل النحويون التاء في هذه الأداة فقال جماعة إنها للتأنيث ، وقال آخرون إنها للتأنيث ، وقال آخرون إنها للمبالغة [2] وفاتهم أنها مركبة ولم يفطنوا إلى تركيبها . وهي لا تختلف عن ليس . وربما كانت « لا أيت » فصارت في العربية « لا ايت » ثم استفادت من النحت فصارت « لات » [3] .

(١) برجشتراسر ، التطور النحوي ص ١١١ .

(٢) ابن عقيل ، شرح ألفية ابن مالك .

(٣) جاء في ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ص ٤٠٣ ما ننقله لما فيه من فائدة في هذا الباب : « وقال بعض البغداديين : التاء تزاد في أول حين ، وفي أول أوان وفي أول الآن وإنما هي « لا » ثم تبتدىء =

٦ – لهنك

ذهب الفراء الى أنها منحوتة وأن أصلها : « والله إنك كما روى عن أبي أدهم الكلابي : له ربى لأقول ذلك . بقصر اللام ثم حذف حرف الجر كما يقال : الله لافعلن ، وحذفت لام التعريف أيضاً كما يقال : لاه أبوك أى لله أبوك . ثم حذف الف « فعال » كما يحذف من الممدود اذا قصر كما يقال : الحصاد والحصد قال :

ألا لا بارك الله في سهيل إذا ما الله بارك في الرجال

ثم حذفت همزة إنك » [1] .

ولم يقل سيبويه بتركيبها . وقد ذهب إلى أنها كلمة تتكلم بها العرب في حال اليمين ، وليس كل العرب تتكلم بها .

تقول العرب:لهنك لرجل صدق ، يريدون . « إن » ولكنهم أبدلوا الهاء مكان الألف[2] .

وقد قال الفراء بتركيب كثير من الأدوات « فمنذ » مركبة عنده من « من » و « ذو » وحذفوا الواو تخفيفاً [3] ، و « هلم » عنده مركبة من « هل ام » أي أقصد فحذفت الهمزة بأن ألقيت حركتها على اللام وحذفت فصارت : هلم [4] .

٧ – مهما

هي مركبة عند الكوفيين من « مه اسم فعل بمعنى أكفف زيد عليها « ما » فحدث

═ فتقول : نعين وتلان . » وربما كان في هذا مفتاح الأمر في تركيب « لات » حيث ان من شرط إعمالها أن اسمها وخبرها اسمى زمان وأن يحذف الاسم غالباً ولم تجره « لات » إلا في قولهم :

لاته حين مناص أو ما حمل على الحين مما يرادفه .

(١) الرضى ، شرح الكافية جـ ٢ ص ٣٠٧ .

(٢) سيبويه ، الكتاب جـ ٢ ص ٤٧٤ .

(٣) ابن يعيش ، شرح المفصل جـ ٤ ص ٩٥ .

(٤) ابن يعيش ، شرح المفصل جـ ٤ ص ٤٢ .

بالتركيب معنى لم يكن » [1] .

وهي عند البصريين مركبة من « ما » الشرطية زيد عليها « ما » فثقل اجتماعها فأبدلت الأولى هاء [2] .

٨ — مهمن

هي أداة كوفية أضافها الكوفيون الى أدوات الجزم [3] واحتجوا لها بقول الشاعر

أما ويّ مهمن يستمع في صديقه أقاويل هذا الناس ما ويّ يندم [4]

وهي مؤلفة من (مه) و (من) وتركيبها كتركيب « مهما » ولم يقل بها البصريون [5] .

ودخل التركيب في الأسماء ، والمركبات من الأسماء معروفة في كل زمان، وقد أفادت منها العربية في تكثير المعاني . وفي العربية قدرة على الاستفادة من هذا النوع ، وهي دائمة الاستفادة منه . وربما وجدنا في اللهجات الدارجة الشيء الكثير من هذه المركبات . وللمجاورة والاتباع في العربية أثر في هذا .

والمركبات على ضربين : ضرب يقتضي تركيبه أن يبني الاسمان معاً ، وضرب لا يقتضي تركيبه الا بناء الاول . فمن الضرب الأول نحو العشرة مع ما نيّف عليها ، الا اثني عشر ، ونحو قولهم وقعوا في « حيصَ بيصَ » ولقيته « كفةَ كفةَ » ، و « صحراً بحرةً » ، وهو جاري « بيتَ بيتَ » ، ووقع « بينَ بينَ » وآتيك « صباحَ مساءَ » و « يومَ يومَ » ، وتفرقوا « شغرَ بغرَ » و « شذرَ مذرَ » و « خذعِ مذعِ » وتركوا البلاد « حيثَ بيثَ » و « حاثِ

(١) الاشموني ، الشرح جـ ٤ ص ١١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المخزومي ، مدرسة الكوفة ص ٢٦٦ .

(٤) الرضي شرح الكافية جـ ٢ ص ٢٣٥ .

(٥) ربما كانت هذه الاداة من استخدام التنوين في « مهما » كما استخدم التنوين في « ما » فصار « من » .

ومنه « الخازِ بازِ » .

والضرب الثاني نحو قولهم أنمل هذا بادى بدي وذهبوا أيدى سبا ، ونحو معدى يكرب وبعلبك وقالى قلا [1] .

والذي يلاحظ في هذا الباب أن العربية حين بنت جزءى التركيب اختارت الفتح التماساً للخفة ، والخفة متطلبة في هذا الباب ذلك أن المركب كلمة طويلة ثقيلة . ومع هذا فقد جوز الفراء اعراب العدد المركب [2] .

ولقد جد في العربية مركبات منحوتة اقتضاها الدين الاسلامي الحنيف ، وهذه المنحوتات أبنية تحت كل منها من كلمتين أو أكثر ، كالبسملة ، والحمد له ، والحوقلة ، أوالحوقلة ، والهيللة ، والحسبلة ، والحيعلة ، والسمعلة ، فإنها منحوتة من : بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إلـه إلا الله ، حسبي الله ، حي على الصلاة ، سمع الله لمن حمده . وقد اشتق من هذه المنحوتات أفعال رباعية فقيل بسمل وحمدل وحسبل ...

وذهب ابن فارس الى أن أكثر الابنية التي تزيد أصولهـا من ثلاثة منحوتة من كلمتين ، مثل قول العرب للرجل الشديد : ضبطر ، من ضبط وضبر وفي قولهم صهصلق ، مرن صهل وصلق ، وفي الصلدم أنه من الصلد والصدم [3] .

وربما كان في الصلدم قول غير هذا فهو صلد ذُيّل بالميم خدمة للتمييم مقابلةً للتنوين .

ومن المركبات المنحوتة قولهم « أيش » يريدون به أي شيء [4] ، فقد نص عليـــه ابن السيد في شرح أدب الكاتب وصرحوا بأنه سمع من العرب . وقد وقع في شعر قديم :

من آل قحطان وآل ايش

(١) الزمخشري ، المفصل ص ١٧٦ .

(٢) السيوطي ، همع الهوامع ، باب العدد .

(٣) ابن فارس الصاحبي ص ٢٢٧ .

(٤) الخفاجي ، شفاء الغليل ص ١٥ .

وقد استخدمت النون في بناء الرباعي من الأسماء فقيل ضيفن ، وهيشن وشدقن ورعشن كما استفيد من الميم فقيل خضرم وسلدم .

وقد دخل النحت في الأفعال غير الثلاثية فالرباعي دحرج [1] مؤلف من « دحر » و « درج » وقد ذهب هذا المذهب ابن فارس كما أشرنا الى ذلك . وقد ذهب الزمخشري في الكشاف الى أن قرضب آتٍ من « قرض » و « قضب » [2] .

وبناء الرباعي في العربية جاء بطرق عدة منها :

١ — اضافة ميم ذيلاً أو كسعاً Suffixe كقولنا : جرجم .

٢ — الاستفادة من التنوين كما في ضامن وتضامن والأصل هو تضامٌ .

٣ — الاستفادة من فك الادغام في المضعف والتعويض من الحرف الأول المضعف حرفاً آخر هو النون مثلاً كقولهم :

جندل وهو من جدّل

قنطر وهو من قطّر

وفك الادغام والتعويض بالنون شهير في العربية فضمير المخاطب المنفصل أنتَ وأخواته هو « اتّ » في سائر اللغات السامية .

وقد ورد الادغام وفك الادغام في ألفاظ كثيرة مثل قـبّرة قنبرة .

وكقولهم حنجرة وسنبلة ، ودنبلة .

وأصل فك الادغام هو الذي جاء بالفعل « انطى » وهو من أتى بمعنى اعطى .

(١) يرى بعض الباحثين الى أن الفعل دحرج آتٍ من درج ثم أبدل من الراء الأول حاء .

(٢) يلوح أن الاصل في قرضب هو قضب والراء تعويض من الضاد الأولى . والتعويض بالراء ظاهرة سامية معروفة فالكلمة الآرامية « ترتين » تقابل اثنين في العربية والراء فيها عوض من النون ، وكذلك « بر » و « برتا » الآراميتين تقابلان « ابن » و « بنت » . ولا وجه للرباعي « قرقم » إلا هذا السبيل فهو من قثم .

جاء في الآية الكريمة : « وآتى المال على حبه » ثم حدث ابدال بين التاء والطاء ، ولهذا نقول القدامى « باستنطاء بكر » لا أساس له ، فهو من هذا الباب . وليس الاستنطاء مقيداً ببكر دون غيرهم ، والدليل وجود الكلمة حية في سائر أقطار العربية .

وقد يعوض بالهاء : « جُمرٌ » تصبح « جمهر » وهو من « جمٌ » .

٤ — الاستفادة من الميم صدراً في الفعل «Préfixe» كقولهم : مَسخَر ومشدق .

٥ — الاستفادة من الشين كسماً في الفعل كقولهم في اللسان الدارج « حركش » وهو لم يصبح فصيحاً بعد . والشين التي تذيل الأفعال ، مقتطعة من « شيء » فقول العامي « دكّش » يريد به دقّ شيئاً . وكقولهم « لا شي » و « تلاشي » وهو مركب منحوت من « لا » « شيء » .

٦ — وربما خرج العامي من الشين الى الجيم لفائدة معنوية ، فقوله « صخرج » اثبات لما فيه قوة الصخر وطبيعته ، ومنه « صفرج » اثبات لما فيه شيء من الخضرة .

ابراهيم السامرائي

المجد الفيروزآبادى والقاموس المحيط

اللغة العربية قديمة وقوية اشتغل بها علماء عديدون فاتقنوا أمرها ودونوا فيها مؤلفات خالدة وغاية ما فعلوه الجمع للمادة في المتون ، والرسائل في مطالب خاصة وفي المعاجم وشروح الدواوين وما ماثل بما فيها من نوادر وقد تفننوا في الأساليب حتى استقرت ، واكتسبت حالة مشهودة ورسماً معروفاً ، وبقيت هذه الآثار خالدة في إبداعها وترتيبها وتكوينها ...

وهذه لم تكن بالمرة الا من ناحية التسهيل بعد أن دونت الآثار الأدبية من منظوم ومنثور ، فانها تحوي مادة اللغة واللغويون أضافوا اليها المسموع من اللغات المتيرة مما وضع ما عندنا .

والملحوظ أن اللغة لا تتجدد كل يوم وقد ظهر في العراق الخليل بن أحمد وأبو منصور الأزهري وإسماعيل بن حماد الجوهري وأحمد بن فارس وحسن بن محمد الصاغاني (الصغاني) وهم فخر اللغة العربية بما أسدوا لها من آثار جليلة ، وليس من التيسر أن يظهر كل يوم لغوي بل لا يتحصل إلا في عصور . واللغة لا يحيط امرء بمفرداتها نظراً لتوسع الناطقين بها وانتشارهم في الأقطار .

حياته :

مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي اللغوي الشافعي من أكابر علماء اللغة نال مكانة لم ينلها إلا صاحب الصحاح ، غلبت شهرته على غيره ويرتقي نسبه الى الشيخ أبي إسحق الشيرازي ، قال ابن حجر : لم أزل أسمع أن أبا إسحق لم يعقب . ولد المترجم سنة ٧٢٧ هـ — ١٣٢٧ م بكازرون ومات ليلة ٢٠ شوال سنة ٨١٧ هـ — ١٤١٤ م في مدينة زبيد من بلدان اليمن وكان قاضياً فيها وذكر ابن حجر تجولاته ، ولم يتعرض لتدريسه ببغداد معيداً في المدرسة

النظامية ، ولا ذكر أساتذته فيها ، وفصّل السخاوي في الضوء اللامع [1] ترجمته أكثر وربما كانت أوسع من غيرها كما ترجمه علماء كثيرون ، ومنهم من أفرد له ترجمة خاصة وعندي مخطوطة في حياته لم يعرف مؤلفها . جاء إلى بغداد سنة ٧٤٥ هـ وبقي الى سنة ٧٥٥ هـ ، وفي خلال هذه المدة قرأ على أساتذة عراقيين منهم :

١ — الشهاب أحمد بن علي الديواني في واسط .

٢ — التاج بن محمد السباك .

٣ — الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر بن علي القزويني [2] ولد سنة ٦٨٣ هـ — ١٢٨٤ م وتوفي سنة ٧٥٠ هـ — ١٣٤٨ م من أصحاب الرشيد بن أبي القاسم وهو صاحب الجامع والمحلة المعروفين باسمه في جانب الرصافة من بغداد .

٤ — محيي الدين محمد بن عبد الله الواسطي الأصل البغدادي المعروف بابن الناقولي ولد سنة ٧٠٤ هـ — ١٣٠٤ م وتوفي في شهر رمضان سنة ٧٦٨ هـ — ١٣٦٦ م .

٥ — الشرف عبد الله بن بكتاش (قاضي بغداد) ومدرس (النظامية) وكان المترجم له عنده معيداً .

٦ — نصر الله بن محمد الكتبي .

ولا نزال نجهل تراجم بعض هؤلاء المشاهير ممن استكمل المدة للتأليف وآثاره اللغوية تنبيء بذلك وتمكّن درجة علمه بها .

ولم يقف عند بغداد والاتصال بعلمائها للمدة الطويلة وإنما تجول في أقطار عديدة كانت كلها مراكز ثقافة وغنية بالمؤلفات المفيدة لا سيما اللغوية منها ، دخل الشام فسمع بها من ابن الخباز وابن القيم والتقي السبكي والقرشي وابن نباتة وارتحل الى القدس وأخذ من الصلاح

---

(١) الضوء اللامع ج ١٠ ص ٧٩ — ٨٦ وأنباء الغمر في أبناء العمر ومعجم المطبوعات مادة فيروز آبادي والشذرات ج ٧ ص ١٢٦ — ١٣١ .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢ ص ٦٠ و ١٦٥ و ١٦٦ .

خليل بن أيبك الصفدي وأثنى عليه مع العلم أنه توفي في ١٠ شوال سنة ٧٦٤ هـ — ١٣٦٣ م . وسافر الى الهند ... فظهرت مواهبه وذاع صيته وانتشر علمه وتوسعت معرفته ولم يدخل بلداً إلا أكرمه متولوه وبالغوا في تعظيمه مثل شاه منصور ابن شاه شجاع من (آل مظفر) وأويس سلطان بغداد والأشرف صاحب مصر وتيمورلنك الفاتح المشهور المتوفى سنة ٨٠٧ هـ - ١٤٠٤م اكرمه بنحو مائة الف درهم(أكثر من خمسة آلاف دينار)وذلك بعد نيف وتسعين وسبعمائة ودخل بلادالروم واتصل بخدمة السلطان مرادخان ونال عنده مرتبة وجاهاً وأعطاه مالاً جزيلاً ، وغيرهم من ملوك الأقطار وفي شهر رمضان سنة ٧٩٦ هـ — ١٣٩٤ م دخل مدينة زبيد فتلقاه الأشرف اسماعيل وبالغ في إكرامه وصرف له ألف دينار فأودع اليه قضاء اليمن كله في ذي الحجة سنة ٧٩٧ هـ — ١٣٩٥ م ، وبقي فيهما نحو عشرين سنة . وذهب إلى مكة مراراً وجاور بها وأقام بالمدينة المنورة وبالطائف .

وكان مولعاً في اقتناء الكتب حتى نقل عنه أنه قال : اشتريت بخمسين الف مثقال ذهباً كتباً وكان لا يسافر الا وفي صحبته منها احمال ، يخرجها في كل منزل وينظر فيها لكنه كان كثير التبذير ، فاذا أملق باع منها ، وإذا أيسر اشترى غيرها .

تلاميذه :

وأخذ عن المترجم كثير من علماء مصر والشام واليمن والحجاز وأشهرهم :

١ — الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني .

٢ — تقي الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبد العزيز أبو الفضل المصري المعروف بابن فهد ، المولود سنة ٧٨٧ هـ — ١٣٨٥ م والمتوفى سنة ٨٧١ هـ [1] — ١٤٦٦ م .

٣ — أخوه ولي الدين أبو الفتح عطية .

٤ — ولداه فخر الدين أبو بكر والحافظ نجم الدين عمر .

(١) هدية العارفين ج ٢ ص ٢٠٥ وفيها بيان مؤلفاته .

٥ — شرف الدين اسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله الزبيدي المعروف بابن المقري، توفي في زبيد اليمن سنة ٨٣٧ هـ[١] — ١٤٣٣ م .

٦ — الفخر أبو بكر بن محمد بن ابراهيم الرشدي .

٧ — أمين الدين سالم بن ضياء الدين محمد القرشي المكي .

٨ — علم الدين شاكر بن عبد الغني بن الجيعان .

٩ — المحب محمد بن علي المعروف بـ (ابن الألواحي) .

١٠ — رضي الدين أبو حامد محمد بن محمد بن ظهيرة .

١١ — المسند محمد بن مقبل الحلبي .

١٢ — زين الدين أبو العباس أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الحنفي الزبيدي .

كل هؤلاء أخذوا عنه بين سماع واجازة ومناولة واخذ من هؤلاء كلاً أو بعضاً شيخ الاسلام زكريا الأنصاري وشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي وشرف الدين أبو القاسم بن عبد العليم القريتي الحنفي الزبيدي[٢] .. وهكذا توالوا على طبقاتهم . والملحوظ أن صلة اللغة بعلماء العراق قد تمثلت في مؤلفات الفيروز آبادي وهذا اتصاله مشهود بعلماء آخرين .

مؤلفاته :

وأشهر ما عرف من مؤلفاته في اللغة وما يتعلق بها :

١ — أنواء الغيث في أسماء الليث .

٢ — البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة .

٣ — تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين طبع في المطبعة الثعالبية في الجزائر سنة ١٣٢٧ هـ وفي المطبعة الأهلية ببيروت سنة ١٣٣٠ هـ .

٤ — جليس الأنيس في تحريم الخندريس . في مجلد قال في أوله : هذا كتاب وضعته

(١) هدية العارفين ج ١ ص ٢١٦ وفيها بيان مؤلفاته .

(٢) مقدمة تاج العروس .

لتعظيم الأمر في تحريم الخمر ، وبيان أسمائها وعدد أوصافها ورتب اسماءها على حروف المعجم وأهداه الى السلطان شعبان ابن السلطان حسين ابن الملك الناصر محمد . مخطوط بخط قديم سنة ٧٧٧ هـ مكتوب عليه أنه برسم خزانة السلطان الملك الأشرف شعبان خلد الله سلطانه وهذه النسخة في دار الكتب المصرية [١] .

٥ — الروض المسلوف فيما له اسمان الى ألوف .

٦ — الدرر المبثثة في الغرر المثلثة . منه عدة نسخ في دار الكتب المصرية [٢] .

٧ — اللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب . قدر تمامه في مائة مجلد يقرب كل مجلد منه صحاح الجوهري كتب منه خمسة مجلدات .

٨ — المثلث الكبير في اللغة في خمسة مجلدات .

٩ — المثلث الصغير في اللغة أملاها على مثال مثلثات قطرب وجعل لها شواهد من اللغة العربية . منه نسخة في خزانة الأزهر [٣] .

١٠ — القاموس المحيط والقابوس الوسيط :

وهذا من أهم مؤلفاته قال في آخره : يسر الله تعالى اتمامه بمنزلي على الصفا المشرفة تجاه الكعبة المعظمة ... سنة ٨١٣ هـ والنسخة التي قرئت عليه أخيراً اشتملت على زيادات في التراجم على سائر النسخ الموجودة حتى على النسخة التي بالقاهرة بخطه في أربعة مجلدات بالمدرسة الباسطية وهي عمدة الناس بمصر الآن [٤] .

اشتهر بين ظهرانينا ، بل اشتهر شرقاً وغرباً ، في مختلف الأقطار وكثرت ومرنت قيمته العلمية ، ونال عناية من أدباء كثيرين وعلماء عديدين بحثنا ما يهمهم ، ونود الاطلاع على آرائهم في اللغة ، ومباحثهم في المناقشة والاستدراك وكان صنف كتابه (اللامع المعلم) وهو من الكتب

(١) فهرس دار الكتب المصرية ج ٢ ص ١١ .

(٢) فهرس دار الكتب المصرية ج ٢ ص ١٣ .

(٣) فهرس خزانة الأزهر ج ٤ ص ٢٠ .

(٤) كشف الظنون بتلخيص .

الجليلة في اللغة فرأى أنه لا يستطيع احد اقتناءه وان كان من أجل ما كتب في اللغة ومن أهم ما ألف في موضوعها فاختصره ولخص مباحثه فاظهرها في (القاموس المحيط) . فكان لاتصاله ببغداد الأثر الكبير في بروزه بحلة متقنة ، ووضع عظيم . وكأن كتابه كتب في بغداد خاصة فنرى فيه المعرفة التامة بالعراق .

فالقاموس لم يزل مكانته كتاب في اللغة اشتهر كثيراً كما اشتهر قبله صحاح الجوهري ، فحل محله ، حوى مادة وافرة تزيدعلى الصحاح بالثلث ، وعدة موادها تبلغ ثمانين الف كلمة ، ولم يزد عليها الا (لسان العرب) فانه بلغ مائة الف كلمة أو مادة كما هو الصواب .

والمؤلف أشار بمداد أحمر على ما نقله من الجوهري ، وابقى ما زاده على حاله ويؤسف لعدم الالتفات الى هذه الجهة من النساخ والطابعين وجمنا الى مخطوطات منه كثيرة ، وعندي نسخ عديدة منه ، فلم أعثر على ما فرق به المؤلف بين ما اخذه من الصحاح وبين ما زاده ومن المهم ذكره ان هذا المؤلف جمع روح المادة في الصحاح والمحكم والعباب وكتب اللغة الأخرى وفيها الشيء الكثير كما انـه ادخل مادة جديدة في الأمكنة والبقاع ، وفي الأعلام العربية وضبطها وفي الألفاظ المصطلحة من طبية وتصوفية وغيرهما وهكذا في المعربات وسائر ماتمكن من ادخاله واللغة في تطور مستمر ...

نعم سهل للأستاذ مجد الدين الاطلاع على الآثار الخالدة في بغداد وغيرها وكانت تجولاته عاملاً مهماً في تكامل المعرفة من جراء توسع الناطقين باللغة ، وتنوع مفرداتها بالنظر للاقطار .

ويهمنا في هذه الحالة ان لا نكرر ما قيل في القاموس ومكانته بين مخلدات اللغة ولا نعيّن أوصاف صاحب القاموس ونعوته أو أن نكيل له بالمدح ، وجل ما نريد ان ننبه أرباب الغفلة عمن يدعون معرفة اللغة ، وانهم من حماتها . انهم في جمود كبير فلم يلتفتوا الى المهمات فيها ، واتخاذ طريق الاصلاح ، ومراعاة الواجب المفروض ولا ذنب لهم الا انهم حرموا الابداع لاعتقادهم انه ليس في الامكان ابدع مما كان ، أو أنهم حرموا المعرفة لحصرهم في المعروف ولم يروا الا تكرار ما قيل وتطبيقه على ما جاء في نصوص اللغة ، بل لم يعلموا الا المهمة التعليمية التقليدية .

أقول هذا : وليس من شأني التعرض لشخص بعينه ، وانما أود ان أقول : إننا اليوم ندعو الى (اصلاح اللغة) ، ونحن بعيدون عنه كل البعد لم نبرز لغة خالصة ،وحدة لما جاء في مختلف المعاجم ولا وافية بالحاجة كما فعل المترجم ، ولم نستدرك ما فاتنا ، ولا رعينا ما عندنا خير رعاية ولم ننظر الى مخلفاتنا ولا احكمنا الصنع في العرض والتسهيل للأخذ بها .

وأمر آخر هو أن العلماء استدركوا عليه وعلقوا ، ونقدوا فهل التفتنا الى ذلك وعلقنا على مادته ما علقوا ، واستدركنا ما استدركوا واستفدنا مادة جديدة ، وهل رأينا غير ما ذكروا من المادة الجديدة مما فات الشكل ؟

والحق ان غفلة عصرنا مما توجب الاستياء والأسف فلم يجابه العلماء بالغرض ويبينوا الاصلاح من الطريق التاريخي وتجاربه ، وتراكم الانتاج العلمي والاستفادة منه ، فلم ينظر هؤلاء الى معاجم الأمم ودرجة العناية بها ، وتسهيلها لطالبيها مع الاستعانة بما خلّف علماء لغتنا ولكنهم اعتادوا الطريق الوعر ولم يستطيعوا ان يمشوا مشية مستقيمة في طريق معبّد . وانما اختاروا ما اعتادوه .

ترتيبه :

زاد في هذه الايام التحامل على ترتيب القاموس المحيط والمعاجم العربية ، وكل من عثر على لفظة ، ووجد فيها نقصاً تمادى في ذم المعاجم وصار يعد ذلك من المعايب .. وَعَيْبٌ ان صاحب المعجم غلط ، فلا مانع من التنبيه ، وكان أولئك يظنون انهم في نجوة من الغلط ، أو بمعزل من الخطأ .

ولا نرى وجهاً لأمثال هؤلاء في بيان المعايب ، ولا في التحامل . والعرب لم يقفوا عند ترتيب واحد ، ولا نهج بعينه الأمر الذي يعسّر في طرق اللغة وتعلمها وتفهيمها حتى تطورت المعاجم في الترتيب ، وزادت المطالب وتنوعت الا ان بعض المتأخرين مقلدون للأجانب ومساعون لترتيب معاجمهم ومالت دراستهم اليها في حين أننا لو رأينا ضروب الترتيب في معاجمنا

لرأينا ما يوافق ترتيب الأجانب فالزمخشري في اساس البلاغة والمعاجم في البلدان والاشخاص سارت هذه السيرة الا ان ترتيب الجوهري قديم وممتاد وكذا الفيروز آبادي في قاموسه وان الاعتياد اكتسب حالة بحيث لا نرى كلفة في هذا الترتيب ، وان الأجانب لم يعيّنوا تاريخ ترتيب معاجمهم بشكلها الحالي .

إن من درس تاريخ تطوّر معاجمنا علم انها كانت على الأصوات مثل كتاب العين رتب باعتبار حروف الحلق وتابعه الكاشغري صاحب ديوان لغات الترك ثم مضى الجوهري على ترتيب حروف الهجاء باعتبار الأول والآخر وهذه الطريقة شاعت كثيراً بشيوع آثارها والأزهري راعى ترتيباً آخر للحروف وجاء الزمخشري فرتب على أول حرف وثانيه من الكلمة وهو الترتيب المألوف عند الأجانب وهذه التحولات تبصّر بالحاجة والتعديل الذي جرى على المعاجم .

وسبب غلط المتأخرين أنهم لا يريدون أن يدرسوا الاشتقاق والتصريف وضوابطه فيدخلوا في اللغة رأساً مع أنه من مقدمات اللغة وهم في جهل منها . يوضح هذا :

إن لفظ (الترّية) أصلها تفعلة يعلمها كل من درس الصرف وعرف أصول الكلمة وَهَبْ ان القارىء لا يعلمها ، فهي من اللغات الغريبة ، ويجب أن يلتمسها في مواطن أصولها المعروفة .. وكلمة (تترى) أصلها وراء أو ورى ، وترى ، فلا شك ان موطنها كموطن ورث ، وتراث ، وارث .. وكلمة (ساتيدما) ومثلها هيولى ، ألفاظ أجنبية ، فالمعرّبات كثيرة وتلتمس من مظانّها كالمعرّب للجواليقي وشفاء الغليل للخفاجي و (شيات) من الوشي ، وكتب الصرف واللغة توضحها ، فلا معنى للتعرض الى تتبعات الأشخاص ، وأغلاطهم في حين انها مدونة .. والظاهر أن الاستدلال في أن بعضهم قد ذكرها في غير مادّتها محاولة من الكاتب أن يجعلها مادة أخرى يعترض بها على الأسلوب والمعاجم ذكرتها .. فلم يتمكن من ايراد لفظة أخرى ، ويحاول أن نبدّل ترتيب معاجمنا لكلمات معدودة .. فصعوبة البحث لا تتجلى في هذه وحدها .

والأولى لمثل هؤلاء أن يدرسوا الصرف ، ويلاحظوا الاتقان ثم يتعرضوا خصوصاً أن السهويات لا تجابه من هذه الناحية بل من القصور على أصله واوي أو يائي . وهكذا تسهيل الهمزة ولفظها بالياء أو الواو مع أن أصلها الهمزة مما يشكل أمره ويصعب ، ومثلها الثلاثي والرباعي .. وكذا المستدركات على كتب اللغة الموجودة .. في حين أن الواجب يدعوهم للتنبيه وتسهيل الأخذ ، لا بالهدم والتخريب .. والعلة في نقص المعرفة لا في عيوب الترتيب ، ويهمنا كثيراً ملاحظة :

١ — أصول النقط .

٢ — الاملاء . وهو المسمى برسم الخط .

٣ — توحيد ما في الأقطار من أشكال الخطوط ، وأوضاع الاملاء .

وعلى كل حال التنبيه صحيح ، واللائمة لا محل لها ، والأمر تابع لقبول النقد الحق .. ولم يقصر علماء اللغة في التنبيه والاستدراك ، والترتيب ليس بالأمر المهم في الدرجة الأولى وإنما الأصل تحقيق المادة وضبطها .

نسخ الخطية :

ونسخه الخطية في أغلب خزائن الكتب ومنه في الموصل نسخ عديدة منها نسخة في الخزانة الأحمدية كتبت سنة ٩٦٦ هـ وفي خزانة جامع الباشا نسخة كتبت سنة ٨١٦ هـ في زمن المؤلف نسخها محمد بن ترقاس [١] ومنه نسخ عديدة في خزانة الأوقاف العامة في بغداد أقدمها كتبت سنة ٩٥٨ هـ [٢] . وفي خزانة المتحف العراقي نسخ عديدة منه أقدمها النسخ المؤرخة سنة ٩٥١ هـ و ١٠٠٨ هـ و ١٠١٠ هـ و ١٠٨٠ هـ وفي دار الكتب المصرية نسخ عديدة أقدمها نسخة وقع الفراغ منها بمصر في ٣ ربيع الثاني سنة ٨٩٩ هـ ونقلت من خط المؤلف وقوبلت على نسخة قرئت عليه وعليها خطه ونسخة أخرى كتبت سنة ٩٢١ هـ برسم خزانة المقر الكريمي

(١) مخطوطات الموصل ص ٣٩ و ١٢ .

(٢) الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف في بغداد نشره الدكتور محمد أسعد اطلس ص ١٧٤ .

أحمد باشا الظافري كافل المملكة الحلبية [1] . ومنه في خزانة الأزهر نسخ مستنسخة أقدمها النسخة المؤرخة سنة ٩٤١ هـ وهي مجدولة بالذهب والمداد الأحمر والأسود وفي الصفحة الأولى زخرفة [2] . ومنه عدة نسخ في خزانة المشهد الرضوي منها نسخة نفيسة من حيث التذهيب والخط وقفها فرهاد ميرزة معتمد الدولة وأخرى كتبت سنة ٩٤١ هـ وثالثة كتبت سنة ٩٧٢ هـ [3] ، ومنه نسخة في خزانة مؤسسة (هرتفورد) كتبت لخزانة الشاه عباس الصفوي [4] ومنه نسخة يرجع تاريخها القرن التاسع الهجري في خزانة المستشرق (كلفرلي) في (هرتفرد [5]) .

طبعاته :

ومن المؤسف ان القاموس لم يطبع لحد الآن طبعة مستكملة الشروط بأن يشار الى التعليقات والمراجعات معه في هامش القاموس أثناء طبعه ، أو يدون الرد عليه وكان من السهل الاستفادة منها بتعليقها على نفس الكتاب ، وكذا أغفل ما استدرك عليه وفي تاج العروس استدراكات كثيرة فاته اقتضى اضافتها الى مادتها ، فكل هذه أهملت مع أن لها مكانة وهناك ما هو أهم من كل ذلك وهو مراعاة الرغبة في قلب ترتيبه الى ما هو معهود اليوم بذكر الحرف الأول ، فالثاني من الكلمة دون اعتبار الآخر أصلاً مع ملاحظة ما هنالك من تعليقات واستدراكات ولم تقابل نسخه الموجودة ولا لوحظت النسخ القديمة الثمينة في مختلف الأقطار لتتضاعف الاستفادة منه فيتنبه على التصحيح ، بل ان المطبوع لم يتخذ له تدبير بسبب اهمال مكانة الكتب اللغوية وخدمتها لترجيه النفع العلمي والأدبي وان صار يراعى فيها الأمر التجاري والمنفعة العاجلة دون اهتمام

(١) فهرس دار الكتب المصرية ج ٢ ص ٢٣ و ٢٤ .

(٢) فهرس خزانة الأزهر ج ٤ ص ٢٠ — ٢٣ .

(٣) فهرس خزانة المشهد الرضوي ج ٢ ص ٢٩٣ و ٢٩٤ .

(٤) جولة في دور الكتب الأمريكية بقلم الأستاذ كوركيس عواد . طبع في مطبعة الرابطة — بغداد سنة ١٩٥١ م .

(٥) المخطوطات العربية في دور الكتب الأمريكية ص ٤٢ . مطبعة الرابطة سنة ١٩٥١ . للأستاذ كوركيس عواد .

وسيطرة علمية من رجال العلم . طبع لأول مرة في (اشقودرة) سنة ١٢٣٠ هـ . وطبع في كلكتا وتم سنة ١٢٣٣ هـ وبأوله مقدمة باللغة الانكليزية وترجمة المؤلف بالعربية وطبع على الحجر في بومبي سنة ١٢٧٢ هـ — ١٨٨٤ م وفي تبريز سنة ١٢٧٧ هـ وفي بولاق طبع سنة ١٢٧٢ هـ وطبع ثانية سنة ١٢٨٩ هـ وتكرر في سنة ١٣٠١ هـ ونرى في طبعة سنة ١٩٣٣ م الصفحة ٢٩٦ و ٣٩٦ من المجلد الثالث جاءت الواحدة مكان الأخرى كما شاهدتها وربما كان يوجد غيرها فلم استقص . فالواجب عند الطبع عدم الاهمال والتسيب ... وهذه عيوب كنا نود أن لا نوصم بها فنترك الاصلاح ظهرياً . والمأمول أن تحصل نهضة علمية توجه اللغة توجيهاً صحيحاً .

ترجمته :

(١) ترجمه الى التركية شهاب الدين أحمد بن مركز المتوفى سنة ٩٦٣ هـ — ١٥٥٦ م وسماه اليابوس .

(٢) ترجمه الى التركية أبو الكمال أحمد عاصم العينتابي المؤرخ التركي المتوفى في صفر سنة ١٢٣٥ هـ — ١٨١٩ م وسماه (الأقيانوس البسيط في ترجمة القاموس المحيط) بتوسع واضافات طبع في استنبول عدة مرات آخرها سنة ١٣٠٥ هـ وطبع في بولاق سنة ١٢٥٠ هـ .

(٣) ترجمه الى الفارسية محمد بن الحسن الشيرواني المتوفى سنة ١٠٩٨ هـ — ١٦٨٦ م وطبع على الحجر .

عناية العلماء به :

وقد عني العلماء بهذا الكتاب عناية زائدة وتناولوه بالتعليق والتصحيح والنقد :

١ — مجدالدين الفيروز آبادي في كتابه ابتهاج النفوس بذكر ما فات القاموس منه نسخة في دار الكتب المصرية [1] ومنهم من ينسبه لغيره .

٢ — جلال الدين عبد الرحمن السيوطي . المولود في مستهل رجب سنة ٨٤٩ هـ — ١٤٤٥ م

---

(١) فهرس دار الكتب المصرية ج ٢ ص ١ .

والمتوفى بمصر في ١٩ جمادى الأولى سنة ٩١١ هـ — ١٥٠٥ م بكتابه الافصاح بزوائد القاموس على الصحاح وأشار اليه في كتابه المزهر في علوم اللغة قائلاً : مع كثرة ما في القاموس من الجمع للنوادر والشوارد فقد فاتته أشياء ظفرت بها في أثناء مطالعتي لكتب اللغة حتى هممت أن أجمعها في جزء مذيلاً عليه [1] ولم أجد له ذكراً بين كتبه ..

٣ — الشيخ عبد الباسط بن خليل بن شـــاهين الشهير بابن الوزير الملطي . ولد سنة ٨٤٤ هـ — ١٤٤٠ م وتوفي سـنة ٩٢٠ هـ — ١٥١٤ م بكتـابه القول المأنوس في حاشـــية القاموس .

٤ — المولى العلامة جمال العلماء شيخ الاسلام محمد سعد الله بن عيسى المفتي باستنبول الملقب بـ (سعدي چلبي) الرومي المتوفى سنة ٩٤٥ هـ — ١٥٣٨ م . كان قد كتب على هوامش القاموس تعليقات جمعها تلميذه عبدالرحمن بن سيدي علي الأماسي ، فصار (حاشية على القاموس) مفردة وهي :

القول المأنوس في صفات القاموس : جمع فيه خمساً وثلاثين صفة تكلم فيها على ترجمة صاحب القاموس المحيط ، والكلام على كتابه ، وشرح اسمه وتعدد لغاته وبيان مأخذه من اللغات ، والتفضيل بينه وبين الصحاح للجوهري وغير ذلك وتوفي الجامع سـنة ٩٨٣ هـ — ١٥٧٥ م . وطبع كتابه بالمطبعة الحسينية ببلدة (رام فور) بالهند .

٥ — الشيخ برهان الدين ابراهيم بن محمد الحلبي : المتوفى سنة ٩٥٥ هـ — ١٥٤٨ م وجاء في هدية العـارفين [2] : انه توفي في السنة التي بعدها وفي تاج العروس انه توفي سنة ٩٠٠ هـ وجاء في فهرس دار الكتب المصرية [3] ان له مختصر في اللغة كتبه سنة ٧٤٦ هـ وهذا خطأ واضح .. وله كتاب تلخيص القاموس .

(١) كشف الظنون ج ٢ ص ١٣٠٨ .

(٢) هدية العارفين ج ١ ص ٢٣ .

(٣) فهرس دار الكتب المصرية ج ٢ ص ٣٦ .

٦ — السيد العلامة فخر الاسلام عبد الله ابن الامام شرف الدين يحيى الحسني ملك اليمن المتوفى سنة ٩٧٣ هـ — ١٥٦٥ م . وله مؤلفات في اللغة مهمة ونافعة :

(١) شرح نظام الغريب في اللغة . ونظام الغريب تأليف الامام اللغوي أبي علي عيسى بن محمد الربعي المتوفى سنة ٤٨٠ هـ — ١٠٨٧ م طبع في مجلد في مطبعة هندية بالقاهرة سنة ١٩٢٢ م .

(٢) كسر الناموس في شرح القاموس المحيط [١] .

٧ — نور الدين علي بن محمد المعروف بابن غانم المقدسي نزيل القاهرة المولود سنة ٩٢٠ هـ — ١٥١٤ م والمتوفى سنة ١٠٠٤ هـ — ١٥٩٥ م في كتابه القول المأنوس بشرح مغلق القاموس جمع فيه بين حاشية عبد الباسط سعدي جلبي وزاد عليها . ومن مؤلفاته بغية المرتاد لتصحيح الضاد .

٨ — العلامة محمد بن يحيى بن عمر المصري الملقب بدر الدين القرافي ولد سنة ٩٤٩ هـ — ١٥٤٣ م وتوفي سنة ١٠٠٨ هـ — ١٥٩٩ م . وله من الآثار اللغوية :

(١) بهجة النفوس في المحاكمة بين الصحاح والقاموس : جمعها من خطوط عبد الباسط البلقيني ، وسعدي افندي ، والامام أبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي .

(٢) القول المأنوس بشرح مغلق القاموس . شرح على خطبة القاموس ، ابتدأه بمقدمة في ترجمة صاحب القاموس وبيان مؤلفاته وما قيل فيه من المدح نظماً ونثراً . منه نسخة مخطوطة سنة ١٠٥٨ هـ في دار الكتب المصرية [٢] .

(٣) القول المأنوس بتحرير ما في القاموس : حاشية على القاموس المحيط فرغ من جمعها في ١١ ذي القعدة سنة ٩٧٠ هـ . منها نسخة بخط المؤلف في دار الكتب المصرية وأخرى بقلم

---

(١) تاج العروس ج ١ ص ٣ .

(٢) فهرس دار الكتب المصرية ج ٢ ص ٢٦ .

مغربي بخزانة الأزهر [١] .

٩ — العلامة ملا علي نور الدين القاري بن سلطان الهروي المولود بهرات والمتوفى بمكة سنة ١٠١٤ هـ — ١٦٠٥ م .

ومن مؤلفاته اللغوية :

(١) الناموس في شرح القاموس : قال صاحب التاج : وقد تكفل شيخنا بالرد عليه في الغالب كما سنوضحه في اثناء تحرير المطالب . ويريد بشيخه الامام اللغوي أبا عبد الله محمد بن الطيب ابن محمد الفاسي المغربي شارح القاموس (يأتي الكلام عليه) .

(٢) الرسالة العطائية في الفرق بين مادة سعد وأسعد ووعد وأوعد وما ماثلها [٢] .

١٠ — المولى محمد بن مصطفى الصديقي الرومي الشهير بداود زادة المولود سنة ٩٧٠ هـ — ١٥٦٢ م والمتوفى سنة ١٠١٧ هـ — ١٦٠٨ م . وله في اللغة :

(١) الدر اللقيط في اغلاط القاموس المحيط : جمع الغلطات التي عزاها الى الجوهري مع اضافة شيء من سوانح فكره . أوله : سبحان من تنزه جلال ذاته من شوائب السهو والغلط والنسيان ...

(٢) نهاية التيقظ في شرح كفاية التحفظ .

١١ — الامام العلامة تاج الدين محمد بن عبد الرؤوف بن علي زين الدين المناوي القاهري وكان عالماً باللغة وتوفي سنة ١٠٣١ هـ — ١٦٢٩ م . ومؤلفاته :

(١) شــــرح خطبة القاموس : أوله : « الحمد لله الذي جعل القاموس ... ومن أعظم ما صنف في اللغة كتاب القاموس المحيط الذي ظهر في الاشتهار وكنت صرفت نبذة في تتبع نصوصه فألهمت ان أقيد تلك الفوائد المحررة فشرحته وكتبت المتن بالشرح ... واستمر بشرحه الى حرف الهاء والنسخة الموجودة في دار الكتب المصرية عبارة عن شرح خطبة

(١) فهرس دار الكتب المصرية ج ٢ ص ٢٦ وفهرس خزانة الازهر ج ٤ ص ٢٣ .

(٢) منها نسخة في دار الكتب المصرية ج ٢ ص ١٤ .

القاموس (١) .

(٢) القول المأنوس بشرح مغلق القاموس : جمع فيه بين حاشية عبد الباسط سبط سراج الدين البلقيني وبين حاشية سعدي جلبي الرومي ولم يكتف بجمع الحاشيتين وانما أضاف مواضع يسيرة جعلت الكاف علامة عليها . وقال الزبيدي : وصل فيه الى حرف السين المهملة كما أخبره شيوخه بذلك ثم اختصره . منه نسخة خطية في خزانة الأوقاف العامة في بغداد كتبت سنة ١١٥٢ هـ والجزء الأول ضمن مجموعة في خزانة الأزهر (٢) .

١٢ — الشيخ علي بن أحمد الهيتي : كان حياً سنة ١٠٢٥ هـ . وله : مختصر القاموس عندي مخطوطته .

١٣ — المولى القاضي أويس بن محمد : ولد سنة ٩٦٩ هـ — ١٥٦١ م وتوفي في اسكوب سنة ١٠٣٧ هـ — ١٦٢٧ م ، وله : مرج البحرين اجوبة عن اعتراضات صاحب القاموس على الجوهري .

١٤ — الامام اللغوي عبد الله بن المهدي بن ابراهيم بن محمد بن مسعود الحوالي الحميري الملقب بالبحر اليمني من علماء اليمن ، المتوفى ببلدة حوث سنة ١٠٦١ هـ — ١٦٥٠ م في كتابه شرح القاموس استدرك عليه وعلى الجوهري في مجلد قال صاحب تاج العروس : وأدركه بعض شيوخ مشايخنا فاقتبس من ضوء مشكاته .

١٥ — القاضي أبو الروح عيسى بن عبد الرحيم الكجراتي : في كتابه تعليق على ديباجة القاموس المحيط ذكرها في تاج العروس .

١٦ — العلامة علي رضا بن حسين الشيرازي: المتوفى سنة ١٠٨٥ هـ — ١٦٧٤ م . وله : شرح خطبة القاموس المحيط .

١٧ — محمد أمين بن فضل الله بن محب الله المعروف بالمحبي صاحب خلاصة الأثر . ولد

(١) فهرس دار الكتب المصرية ج ٢ ص ١٨ .

(٢) الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف ص ١٧٤ وفهرس خزانة الأزهر ج ٤ ص ١٧ .

بدمشق سنة ١٠٦٠ هـ — ١٦٥٠ م وتوفي سنة ١١١١ هـ — ١٦٩٩ م وله في اللغة :

(١) قصد السبيل فيما في لغة العرب من الدخيل .

(٢) الناموس في حاشية القاموس [١] .

١٨ — العلامة محمد بن يوسف الدمياطي الحنفي من علماء القرن الحادي عشر . وله : الزهر اليانع على قول صاحب القاموس في الديباجة (ولا مانع) منه نسخة في دار الكتب المصرية [٢] .

١٩ — محمد بن رسول البرزنجي الكردي : نزيل المدينة المنورة المتوفي سنة ١١٣٠ هـ — ١٧١٧ م . وله : رجل الطاووس على القاموس وهو كالمستدرك لما فات والمعترض عليه بالتعرض لما لم يأت .

٢٠ — العلامة الامام اللغوي أبو عبد الله محمد بن الطيب بن محمد الفاسي المغربي المولود بفاس سنة ١١١٠ هـ — ١٦٩٨ م نزيل المدينة المنورة والمتوفى بها سنة ١١٧٠ هـ — ١٧٥٦م . وهو أستاذ السيد محمد مرتضى الزبيدي . ومؤلفاته في اللغة :

(١) اضاءة الراموس وافاضة الناموس على اضاءة القاموس : منه نسخة في ثلاثة مجلدات في خزانة الأزهر ونسخة في دار الكتب المصرية [٣] وقال الزبيدي : وكان اجمع ما كتب على القاموس مما سمعت ورأيت وهذا تلميذه قرأ عليه سنة ١١٦٤ هـ وأشار ان في هذا الكتاب معارضات كثيرة لملا علي القاري .

(٢) موطئة الفصيح لموطأة الفصيح شرح نظم فصيح ثعلب : في ثلاثة مجلدات والأصل هو نظم الامام البارع الأديب أبي الحكم مالك بن عبد الرحمن الأنصاري منه نسخة

(١) هدية العارفين ج ٢ ص ٣٠٧ .

(٢) فهرس دار الكتب المصرية ج ٢ ص ١٦ .

(٣) فهرس خزانة الأزهر ج ٤ ص ٣ وفهرس دار الكتب المصرية ج ٢ ص ٣ .

بدار الكتب المصرية [1].

(٣) تجريد الرواية في شرح الكفاية : أعني كفاية المتحفظ ونهاية التلفظ .

٢١ — الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي المغربي . ولد بسجلماسة وتوفي بها في ١٢ ربيع الأول سنة ١١٧٥—١٧٦١ م .

في كتابيه :

(١) اضاءة الأدموس ورياضة النفوس من اصطلاح صاحب القاموس : وهو شرح القاموس المحيط منه نسخة ضمن مجموعة في دار الكتب المصرية [2] . ونظمه الكردودي قاضي طنجة المتوفى سنة ١٢٦٨ هـ في كتابه المسمى حلية العروس نظم اضاءة الأدموس .

(٢) فتح القدوس في شرح خطبة القاموس : جعله مقدمة لكتابه السابق منه نسخة بقلم مغربي بدار الكتب المصرية [3] .

٢٢ — الشيخ عبد الله بن عمر بن خليل التميمي المتوفى سنة ١١٩٦ هـ — ١٧٨١ م وله : منظومة في قواعد القاموس [4] .

٢٣ — العلامة الشيخ أحمد بن شهاب الدين أحمد بن محمد السجاعي المصري الأزهري الشافعي المتوفى سنة ١١٩٧ هـ — ١٧٨٢ م ، ومؤلفاته في اللغة لا تختلف عن الشروح والحواشي ، منها :

(١) فتح المنان بشرح ما يذكر ويؤنث من أعضاء الانسان .

(٢) منظومة في معنى العين مطلعها :

---

(١) فهرس دار الكتب المصرية ج ٢ ص ٤٢ .

(٢) فهرس دار الكتب المصرية ج ٢ ص ٣ .

(٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٢ .

(٤) هدية العارفين ج ١ ص ٤٨٥ .

أيا ظبي الفلاة كحيل عيني ويا نور الدجى وضياء عيني

تتبع القاموس واستخرج منه لفظ العين ٢٦ معنى وجمعها في هذه المنظومة . منها نسخة في دار الكتب المصرية [1] .

٢٤ — العلامة أبو زيد عبد الرحمن بن عبد العزيز التادلي المغربي : في كتابه الوشاح وتثقيف الرماح في رد توهيم المجد الصحاح ، طبع ببولاق سنة ١٢٨١ هـ و ١٢٩٢ هـ .

٢٥ — العلامة اللغوي أبو الفيض السيد محمد بن محمد الزبيدي الشهير بالمرتضى : ولد باليمن سنة ١١٤٥ هـ ــ ١٧٣٢ م ونشأ بها وارتحل في طلب العلم وسافر الى مصر سنة ١١٦٧ هـ وتوفي بالقاهرة في ٢٧ شعبان سنة ١٢٠٥ هـ ــ ١٧٩١ م .

ومن أساتذته :

(١) الامام اللغوي أبو عبد الله محمد بن الطيب المغربي .

(٢) العلامة الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد السجاعي ، وقد مرت الاشارة اليها .

(٣) الامام الفقيه اللغوي رضي الدين عبد الخالق بن أبي بكر الزين علي بن محمد النميري المزجاجي الزبيدي فرغ من تأليف أحد مؤلفاته سنة ١١٩٥ هـ .

والمترجم له مؤلفات عديدة منها :

في اللغة :

(١) تاج العروس في شرح جواهر القاموس : لبث في تأليفه نيفاً وأربعة عشر عاماً وفرغ منه في ٢ رجب سنة ١١٨٨ هـ واعتمد في تأليفه على لسان العرب لابن منظور وعلى اضافة القاموس وأمالي ابن بري في ثلاثين مجلدا هي مادة الشرح في غالب المواضع وفي مقدمة كتابه بيّن اشتغال العلماء باللغة وبالقاموس المحيط والجهود المبذولة في سبيله وعدّد من شرح وعلق عليه ومؤلفه هذا اكتسب شهرة فائقة ونال مكانة عظيمة وهو من أجل الآثار . منه نسخة

(١) فهرس دار الكتب المصرية ج ٢ ص ٤٢ .

كاملة ما عدا المجلد الخامس في دار الكتب المصرية [1] مخطوطة بخطوط مختلفة عليها خطوط لبعض العلماء وتصحيحات بخط المؤلف طبع منه الأجزاء من الأول الى الخامس في المطبعة الوهبية بالقاهرة سنة ١٢٨٧ هـ ثم طبع كاملاً في عشرة مجلدات بالمطبعة الخيرية بالقاهرة سنة ١٣٠٧ .

(٢) التفتيش في لفظ سعى درويش .

(٣) تكملة القاموس المحيط .

(٤) القول المثبوت في تحقيق لفظ التابوت : أتمه في ١٤ ذي الحجة سنة ١١٩١ هـ ، منه نسخة في دار الكتب المصرية [2] .

(٥) شرح كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ : منه نسخة في دار الكتب المصرية [3] .

٢٦ — محمد أمين ابن العلامة الشيخ علي السويدي ، ولد في أواخر المائة الثانية عشرة للهجرة وتوفي سنة ١٢٤٦ هـ — ١٨٣٠ م في بلدة بريدة في طريق الحج . وله : شرح عبارة من القاموس . عندي مخطوطتها .

٢٧ — بدر الدين محمد بن أحمد المدني . له حاشية على شرح الحلبي لقاموس المحيط .

٢٨ — علي علاء الدين الموصلي : هو استاذ أبي الثناء محمود شهاب الدين الألوسي ، توفي سنة ١٢٤٦ هـ — ١٨٣٠ م ورسالته (بحث في عبارة من القاموس) وجدتها في مجموعة للأستاذ محمود شهاب الدين الآلوسي تدل على انه ضليع في اللغة قانى في أمرها .

٢٩ — الشيخ حسن ابن الشيخ علي ابن الشيخ المعروف بابن القطان . توفي سنة ١٢٧٧ هـ — ١٨٦٠ م ، وله رسائل جردها من القاموس ، وهي :

(١) امثال القاموس .

---

(١) فهرس دار الكتب المصرية ج ٢ ص ٥ .

(٢) فهرس دار الكتب المصرية ج ٢ ص ٢٦ .

(٣) « « « « ج ٢ ص ١٩ .

(٢) الأضداد في القاموس .

(٣) مثلثات القاموس .

(٤) طب القاموس : تناول فيه الألفاظ الطبية الواردة في القاموس وغالبها مصطلحات وباقيها عربية ذات مساس بالطب . عندي نسخة من هذه المؤلفات بخط مصنفها وهو خط جميل .

(٥) تعليقات على المصباح المنير .

٣٠ — العلامة أحمد فارس الشدياق : ولد سنة ١٨٠٤ م وتوفي سنة ١٨٨٧ م في كتابه الجاسوس على القاموس لاستدراك ما فات المجد في قاموسه . طبع في مطبعة الجوائب سنة ١٢٩٩ هـ .

٣١ — العلامة عبد الهادي نجا الأبياري : المتوفى سنة ١٣٠٥ هـ — ١٨٨٧ م في كتاب تفريج الذموس في تجريد هوامش حاشية القاموس ، وجرده من شرح أبي عبد الله محمد بن الطيّب المغربي المسمى (اضاءة الراموس وافاضة الناموس على اضاءة القاموس) منه نسخة في خزانة الأزهر [1] .

٣٢ — العلامة محمد محمود الشنقيطي المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ — ١٩٠٤ م في كتابه : هداية الناموس الى جني نفائس القاموس [2] .

٣٣ — المرحوم الأستاذ العلامة احمد تيمور باشا : صاحب التصانيف العديدة والمكتبة النفيسة التي أهداها لدار الكتب المصرية ، ولد بالقاهرة في ٢٢ شعبان سنة ١٢٨٨ هـ ـ ١٨٧١م وتوفي بها في ٢٣ شوال سنة ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٣٠ م .

ومن مؤلفاته في اللغة :

(١) تصحيح القاموس : على النسخة المطبوعة ببولاق سنة ١٣٠٣ هـ . وراعى ترتيب

(١) فهرس خزانة الأزهر ج ٤ ص ١٠ .
(٢) ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ج ٢ ص ٧٣٤ .

القاموس . طبع في المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٣ هـ .

(٢) تصحيح لسان العرب : القسم الأول طبع في المطبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٣٤ هـ .

والحاصل أن الاهتمام باللغة ضروري من جهات كثيرة . ومن أهمها القاموس المحيط وقد نال من العناية ما يستحق . ولقد أكثر العلماء من البحث فيه وتدقيق نصوصه فمن واجبنا أن نلحظ هذه الجهود ونستفيد منها الفائدة المطلوبة .

عباس العزاوي

المجامع العلمية

أريد « بالمجمع العلمي » ما يقابل « Academy » في اللغة الانكليزية ، مع علمي بعدم ملاءمة هذا المصطلح العربي للتعبير عن ذلك المصطلح ؛ وذلك لعدم وجود مصطلح آخر في اللغة العربية شائع بين العلماء والمثقفين يقابله .

وقد استعمل هذا الاصطلاح في سورية حينما أسسوا مجمعهم وسموه « المجمع العلمي العربي » ، وقصدوا بـ « المجمع العلمي » لفظة « Academy » . واقتفى العراقيون السوريين ، فأطلقوا على مجمعهم اسم « المجمع العلمي العراقي » . أما في مصر ، فقد عبروا عن المصطلح الانكليزي بلفظة واحدة فقط هي « المجمع » ، وتعبيرهم هذا هو أقرب الى المعنى العلمي وأدنى الى فهم المعنى المراد من المصطلح السوري العراقي .

وسبب ذلك هو أن تعبير « المجمع العلمي » يصرف الذهن الى المجمع العلمي البحت المعرف بالمعنى المفهوم من لفظة « العلم » في المصطلح الحديث ، أي ما يقابل لفظة « Science » في الانكليزية وفي كثير من اللغات الأوربية المأخوذة من أصل « لاتيني » هو « Scientia » ولفظة « Wissenschaft » في الألمانية ، و « ناووك Nauk » في اللغة الروسية . على حين لايراد من لفظة « Academy » هذا المعنى الاختصاصي ، بل يراد بها شيء آخر أعم من هذا المعنى وأشمل .

وهذه الترجمة المغلوطة للفظة « Academy » أوقعت الكثير من الناس ، وفي طليعتهم جمع من حملة الشهادات العليـــا في أخطاء ، فظنوا أن المجمع العلمي العراقي هو مجمع علمي بحت ، وبالمعنى الاصطلاحي المفهوم من لفظة « علم » ، فانتقدوا المجمع ، لأنه لم يعمل واجبه الأول معالجة الموضوعات العلمية مثل الطبيعيات والرياضيات والهندسيات والطب وأمثال ذلك ، ولم

يجهل غالبية أعضائه من المتخصصين بهذه الفروع ، مع أنهم لو كانوا أنفسهم قليلاً من المراجعة وقرؤوا نظام المجمع وأهدافه وغاياته ، لوجدوا أن المجمع ليس على ما ذهبوا اليه ، وإنما هو مجمع أسس لخدمة العربية وتاريخها وتاريخ العراق والمسلمين ، وأن أدخال ما يتعلق بالعلم هو من ناحية تنشيط اللغة العربية وإحيائها ، وذلك بتطعيمها بالمصطلحات العلمية وبالألفاظ الاختصاصية التي تخلقها طبيعة العصر .

وكلمة « Academy » هي من أصل يوناني هو : «Academus» «Achademya» « Academia » « Akademos » [1] ، اسم الموضع الذي كان يجلس فيه « أفلاطون » وتلامذته للمذاكرة والبحث في كل الموضوعات التي كانت تخطر في بال ذلك الفيلسوف وفي بال تلامذته من فلسفية وعلمية وأدبية وسياسية ودينية ، واجتماعية وكل شيء يخطر في فكر الإنسان ، ويريد التوصل الى معرفته وادراك كنهه ، وذلك على الطريقة القديمة المعروفة التي يجد فيها الإنسان نفسه كفوءاً للبحث في كل شيء ، ولايجاد سبب وعلة لكل مشكل وبحث . ولما توفي « افلاطون » ، لازمت هذه التسمية أشياعه وأتباعه الذين انقسموا فيا بعد الى خمسة مذاهب ، يدعي كل مذهب منها أنه يمثل فلسفة الأستاذ الرئيس [2] .

ثم تخصصت هذه اللفظة اليونانية وصار لها معنى خاص ، هو اجتماع نفر من الباحثين المتخصصين للتوسع في الموضوعات التي تخصصوا فيها ، وللمداولة في التعمق بها والبحث فيها وبهذا المعنى الحديث تستعمل اليوم [3] . ومعنى هذا أن لفظة الـ « Academy » لا تختص بنوع معين من مجامع المتخصصين العلماء ، بل تشمل كل أنواع المجامع ، علمية أو أدبية أو فنية . ولهذا لا تصح ترجمتها بمجمع علمي ، بل بلفظة « مجمع » فقط ، ولهذا السبب أيضاً فضلت بعض اللغات استعمالها بنصها اليوناني للتعبير عن هذا المعنى الاصطلاحي الحديث .

(١) The Oxford English Dictionary, Vol., I, P. 48, Art: Academy.

(٢) Heinrich Schmidt, Philosophisches Wörterbuch, S. 10, Ency. Britanica, Vol., I, P. 87, art: Academy.

(٣) Ency. Brita., Vol. P. 80, Schmidt, S. 10.

ويوجد فى الزمان الحاضر نوعان من المجامع : مجامع عامة ومجامع خاصة ، وأقصد بالمجامع العامة المجامع التي تتكون من جملة أقسام أو لجان أو فروع ، فيها مثلاً لجان للعلوم ولجان للعلوم الإنسانية أو الآداب ولجان للفنون فى بعض الأحيان ، فهي إذن مجامع تتناول كل أنواع المعرفة أو معظم فروعها المهمة . وتتألف كل لجنة من كبار أصحاب العلم والاختصاص ومن المعروفين بالشهرة وأصالة الرأي فى الموضوع الذي يدخل فى عمل تلك اللجنة . أما المجامع الخاصة ، فإنها مجامع اختصاصية ، عُنيت بفرع واحد من فروع المعرفة الإنسانية ، أو بجملة من الموضوعات يحشرها العلماء عادة فى أسرة واحدة تحمل أسماً من أسماء الاختصاص ، ومن هذا القبيل المجامع اللغوية والمجامع الأدبية والمجامع الطبية والمجامع الفنية ومجامع الطبيعيات ومجامع الرياضيات ومجامع الكيمياء وأمثال ذلك من مجامع الاختصاص .

وقد يوجد النوعان من المجامع فى الدولة الواحدة . والغالب أن يكون للنوعين طابع رسمي أو شبه رسمي . وأقصد بذلك أن تكون هذه المجامع حكومية أو شبه مؤسسات حكومية ، كأن تتقاضى من الحكومة مساعدات مادية أو معنوية . وهناك مجامع أهلية ، أنشأها جماعة من المتخصصين العلماء ، فتعيش من أموالهم ومن اشتراكات الأعضاء ومن الأوقاف المحبوسة عليها والهبات التي تقدمها اليها بعض المؤسسات والشركات .

وفى الغالب ترعى وزارات المعارف أو وزارات التربية والتعليم كما تسمى فى بعض الحكومات المجامع العلمية ، فتقدم اليها المساعدات إن كانت أهلية أو شبه رسمية ، وتدخل ميزانيتها فى ميزانية تلك الوزارة ان كان المجمع حكومياً . وربطت بعض الحكومات المجامع برئيس الوزراء مباشرة ، بأن جعلت رئيس المجمع رجلاً مسؤولاً عن المجمع أمام رئيس مجلس الوزراء ، كما رأت بعض الحكومات فك الصفة الرسمية عن المجامع ، ومنحها صفة الشخصية المعنوية المستقلة ، وذلك بجعلها ذات صفة شبه رسمية ، بأن تجعل ميزانية المجمع هبة من الحكومة ، ويجعل نظام المجمع على وفق برامة خاصة ، وذلك تقديراً لأهمية المجامع فى العصر الحديث ، وتمكيناً لها من العمل بحرية تامة بعيدة عن أصول العمل الحكومي

وشكلياته مما يؤثر في عملها وسيرها ويعرقل بحوثها ، وابعاداً لها عن المتنفذين في وزارات المعارف الذين يحاولون التأثير على المجمع لانتخاب أشخاص معينين أو شل حركته لقضايا شخصية ، بالتصرف في ميزانيته وبتقليصها مثلاً تقليصاً يعرقل سير المجمع ، وشله أو بإثارة أمور « روتينية » تتعلق بالنواحي الادارية أو المالية على الطريقة المعروفة . ولاتصال المسؤولين في وزارة المعارف عادة بالوزير ، وتأثيرهم عليه بحكم قربهم منه دائماً ينجح هؤلاء في الغالب في التأثير على المجمع أو بشل حركته وإظهاره بمظهر القصر العاجز ، مما يجعله عرضة النقد والنيل منه ، وليس للمجمع يد في ذلك ولا دخل .

ولدى المجمع العلمي العراقي شواهد وأمثلة عديدة على هذا النوع من محاولة التأثير عليه ، ولا سيما في أيام بعض الوزراء الذين ظنوا أن اظهار الهيبة والشخصية يكون بالتدخل في كل شيء وبالتدخل في عمل كل مؤسسة من مؤسسات وزارة المعارف . ومن وزراء شماف هزل كانوا ألعوبة في أيدي بعض المتنفذين في الوزارة ، فكان أن قلصت ميزانيته وعرقلت مساعيه مع نص نظام المجمع على أنه شخصية حكمية وأنه مستقل عن الوزارة في شؤونه ، وأنه مرتبط بالوزير رأساً ، وان له ميزانية خاصة يضعها هو ويقدمها الى وزير المعارف لتدمج في ميزانية الوزارة .

والذي يحدث بصورة عملية أن رؤساء الأقسام في الوزارة يجتمعون ثم يقررون هم أنفسهم ميزانية المجمع فيخفضونها الى النصف أو الثلث من تقديرات المجمع ، ثم يرسل تقديرهم هذا مع الميزانية العامة الى وزارة المالية لإبرامها ، وهناك يصيبها رشاش التخفيض في الغالب ، وتعود الى المجمع وهي منقوصة مبتورة ، لتكون ميزانية استهلاك لا ميزانية عمل وانتاج . يجري كل ذلك دون علم المجمع ودون طلب حضور شخص منه لأخذ رأيه في هذا التخفيض . ولعل ما يقال عن هذا المجمع يقال عن مجمع الشام ومجمع القاهرة كذلك ، كما أخبرني بذلك رجال من المجمعين في معرض البيان عن عدم تمكن المجمعين من القيام بعملها على ما يلزم ويرام .

ومن المجامع الحكومية التي تعرفت عليها حديثاً ووقفت على أنظمتها ونشاطها ، مجمع اتحاد المجامع العلمية للاتحاد السوفيتي والمجامع العلمية المحلية للجمهوريات في الاتحاد السوفيتي. وقد رأيت أن أتحدث عنهما باختصار ليقف القارئ على شؤونها وأعمالها ، بعد أن سبق لمجمعنا أن نشر في مجلته هذه نظام المجمع العلمي البريطاني والبراءة الملكية الصادرة بإنشائه [1].

ويسير مجمع اتحاد المجامع في الاتحاد السوفيتي بموجب دستور يتضمن (٦٩) مادة مبوبة في فصول وأقسام ، تبين أغراض هذا المجمع وواجباته وأعماله والفروع التي يتكون منها ، وأعمال كل فرع من هذه الفروع ، وكيفية انتخاب الأعضاء ، وواجبات العضو ، وواجبات ديوان الرئاسة ، وكيفية تنظيم الميزانية ، وملاك المجمع والمؤسسات التي يديرها ، وأمثال ذلك من أمور . ويطلق على ذلك « دستور الأكاديمية العلمية لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي » .

ويرتبط مجمع اتحاد المجامع العلمية في الاتحاد السوفيتي برئيس وزراء الاتحاد مباشرة . أما المجامع المحلية ، فترتبط برؤساء وزارات الجمهوريات المحلية التي يتكون منها الاتحاد السوفيتي ، وذلك بأن يقدم رئيس مجلس اتحاد المجامع ورئيس كل مجمع محلي تقريرين الى رئيس الوزراء المختص ، يتناول أحدهما أعمال المجمع في السنة الماضية ما أنجز منها وما لم ينجز ، والعراقيل والمشكلات التي تعرض لها . ويتناول التقرير الآخر الأعمال المقترحة للسنة المقبلة والمنهج الذي اتفق عليه المجمع في اجتماعه العام ثم الميزانية المقترحة . ويعرض رئيس الوزراء على رئيس المجمع ما يهم الحكومة من مشروعات علمية وأدبية وفنية وصناعية سرّية وغير سرّية ، ليقوم المجمع بدراستها وحلّها وتحقيقها ، وتقديمها على غيرها واقرارها وذلك في الاجتماع المجمعي السنوي العام . وبعد المداولة والاتفاق على المنهج العام وعلى الميزانية وموافقة رئيس مجلس الوزراء عليها ترسل الى ديوان الرئاسة لتوزيع العمل بحسب الاختصاص .

ومهمة المجامع العلمية في الاتحاد السوفيتي ، مهمة ضخمة كبيرة . فلمجمع الاتحاد تبع

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي .

حكومة الاتحاد حل المشكلات العلمية ، وإيجاد الاختراعات ، والاشتغال في المسائل السرّية من علمية وفنية وصناعية ، وتطوير العلم والصناعة والفن والتقدم بها . وما الأقمار والصواريخ والبحوث الذرية والهايدروجينية وأنواع الوقود اللازمة للصواريخ إلا جزء من الأعمال التي يقوم بها مجمع الاتحاد مستقلاً بواسطة مؤسساته ورجاله العلماء الأعضاء وبالتعاون مع المجامع المحلية الأخرى . وقد أخبرني نائب الرئيس الأول لمجمع اتحاد المجامع العلمية السيد « توبيجيف » الأستاذ المتخصص بالنفط وبكيمياء الوقود ، وذلك يوم زيارتي له عصر يوم ٨ ـ ٩ ـ ١٩٥٩ أن المجمع مَعْنيّ الآن بأربعة آلاف بحث ، وأن علماء المجمع والمنتسبين اليه يشتغلون جميعاً متعاونين في إيجاد حلول لها .

ويعد مجمع اتحاد المجامع العلمية أعلى مؤسسة علمية في الاتحاد السوفيتي ، ولأعضائه شهرة في تلك البلاد . ولا ينتخب عضواً فيه إلا من كان بارزاً متخصصاً وعالماً بالفرع الذي انتخب منه . وهو الذي يقوم عملياً بتطوير العلم وتقدمه في الاتحاد . وبفضل مهارة رجاله صار للاتحاد السوفيتي شأن في البحوث الذرية والهايدروجينية والصواريخ والأقمار . وللمقالات التي يكتبها الأعضاء المجمعيون في ميادين اختصاصهم شأن كبير في الداخل والخارج ، لما لآرائهم من أثر في الاتحاد .

أما المجامع المحلية ، فتقوم بحل المشكلات والبحوث التي يطلب رئيس مجلس وزراء الجمهورية المحلية منها حلها والبحث فيها ، فضلاً عن الأعمال والبحوث التي يقترحها الأعضاء ويوافق المجمع عليها في اجتماعه العام ، ويقرها رئيس مجلس وزراء الجمهورية . فإصلاح التربة أو وضع مشروعات التصرف بالمياه والمشكلات الفنية أو العلمية التي تواجه الجمهورية المحلية ، وكل المشكلات الأخرى تودع في العادة الى المجمع لإيجاد حلول لها وتقديم المشورة في كيفية التغلب عليها الى رئيس الحكومة المشرف الأعلى على المجمع .

ولأهمية التعاون بين المجامع العلمية في الاتحاد السوفيتي ، ولضرورة تنسيق العمل ، فقد

اتفق على ايجاد تعاون بين هذه المجامع ، وذلك بعقد اجتماعات خاصة تعقد لتوحيد العمل والمناهج يقوم فيها كل مجمع بابلاغ المجامع الأخرى بما يقوم به من أعمال . وهنالك هيأة تتولى تنسيق هذه الأعمال وتوحيدها ومهمة الاتصال بين هذه المجامع ، تسمى هيأة القيادة المشتركة . رئيسها رئيس مجمع اتحاد المجامع العلمية في الاتحاد السوفيتي . أما أعضاؤها فانهم رؤساء المجامع المحلية . ومن واجب هذه الهيأة وضع منهج القيادة المشتركة ، أي إرسال المنهج المنسق المتفق عليه الى المجامع الأخرى للسير عليه ، والتعاون في تحقيق ما اتفق عليه .

ويختلف مفهوم المجمع « الأكاديمي » في الاتحاد السوفيتي عن مفهومه الشائع المعروف في الدول الغربية . فالمجمع في العرف الغربي ، هو موضع يجتمع فيه الأعضاء في أوقات معينة يومية أو أسبوعية أو شهرية أو سنوية للمداولة في موضوع من الموضوعات أو إلقاء بحث أو محاضرة أو تقرير منهج سنوي حرّ أو نشر كتاب أو اقرار موضوع أو تشجيع البحث فيه وما شابه ذلك . وهو في عرف الاتحاد السوفيتي كذلك وزيادة كبيرة عليه في كونه يوكل اليه أمر إمداد الحكومة بالعلماء وبالمتخصصين في كلّ أنواع المعرفة الانسانية ، وذلك بأن يشرف على تكوين العلماء والمتخصصين وتقديمهم وتأهيلهم وتجهيز الاتحاد السوفيتي بهم ، وذلك بتبني النابغين وأصحاب القابليات من متخرجي الجامعات ومعاهد الاختصاص من حملة شهادة الدكتوراه أو من غير حملتها ، وادخالهم في معاهدها ومختبراتها ومستشفياتها وتقديم النصح والارشاد اليهم في كيفية البحث والتوصل الى نتائج . تقبل في معاهدها تلك من ترى فيهم الاستعداد والنبوغ والميل الطبيعي الى البحث والتتبع من الطلاب الناضجين .

ولهذه المجامع معاهد وأقسام على نمط معاهد الجامعات الغربية وأقسامها . وعلى رأس كل معهد عضو مجمعي « أكاديمي » معروف في موضوعه مشهور فيه ، يساعده في ادارة المعهد وفي ارشاد المنتمين اليه جماعة من المتخصصين البارزين فيهم جماعة من المجمعيين ، وذلك بتوجيه المنتمين الى المعهد ، وبتثقيفهم الثقافة الاختصاصية ، وبارشادهم الى المصادر والموارد ، وبالاشراف على البحوث التي يقومون بها والتعاون معهم في حلّ المشكلات التي يتعرضون لها ، ويمساعدة

أساتذة المعهد في القيام بالأعمال التي يطلبون منهم القيام بها . وما دام الطالب في هذه المعاهد جاداً في عمله منهمكاً في بحثه ، فإن له الحق في البقاء فيه . فليس لهذه المعاهد اذن وقت محدود وأمد ثابت معين . والوقت هنا هو رهن بانتهاء الطالب من بحثه ومن العمل الذي كلف نفسه به أو كلفه المعهد انجازه .

وتمنح هـذه المعاهد درجة « دكتوراه » ، وتعد هذه الدرجة عندهم أسمى منزلة من درجـة « الدكتوراه » التي تمنحها الجامعات ، بسبب ما حصل عليه صاحبها خلال التحاقه بالمعهد من خبرة عملية ومن مران علمي ومن ثقافة اختصاصية باتصاله بالأساتذة المجمعيين أو غيرهم من الاساتذة المتازين الذين لا يعينون في هذه المعاهد إلا لكفاياتهم .

والأساتذة في هذه المعاهد المجمعية لا يلقون فيها دروساً ، إذ هي ليست بمعاهد تدريس ، وإنمـا هي معاهد تمرين وإرشاد وتوجيه ، وواجب الاسـتاذ فيها القيام ببحوث جـديدة أصيلة والاشتغال بالتأليف وبارشاد المنتمين الى المعهد . ولكل أستاذ متخصص طلاب يراجعونه لإرشادهم الى الموارد ، وتوجيههم في البحوث التي ينصرفون اليها ، أو للعمل مع الاستاذ في المشكل العلمي أو الفني أو الأدبي أو الحرفي الذي يشتغل الاستاذ المجتهد فيه ، يلازمه ويتمرن عليه حتى يثبت مقدرة فائقة تؤهله للحصول على الاجازة ، إجازة « الدكتوراه » .

ولأهمية هذه المجامع ولعظم المهمات والواجبات الملقاة على عاتقها ، لا تمنح العضوية فيها إلا للعلماء البارزين من ذوي الأصالة في الرأي وممن وصل الى درجة الاجتهاد في المادة التي تخصص فيها . وتعد عضوية المجمع درجة شرف ذات منزلة عظيمة عند القوم . وعند ما يقـدم العضو أو يشار اليه يقال عنه إنه : عضو مجمعي « Academician » ، أو عضو المجمع الفلاني . وهذه الإشارة هي أعظم تقـدير لذلك الشخص . وحين كان المرشدون المرافقون لنـا في جولتنا في « موسكو » وفي « لنينغراد » و « طشقند » يذهبون بنـا الى المجامع في هذه المدن ، كانوا يقولون سنقابل العالم الفلاني ، وهو عضو في « الاكادمي » . ومعنى هذا أن هـذا الرجل قد

وصل الى درجة الاجتهاد في فرعه ، وأنه حجة ، وهو لذلك لا يحتاج عندهم الى تقديم أو تعريف .

وإذا عرفت منزلة العضو المجمعي عند القوم ، فبإمكانك تقدير منزلة « رئيس المجمع » ومنزلة نوّاب الرئيس الذين ينتخبهم المجمع لرئاسته لمدة خمس سنوات يجوز تجديدها أو تجديد عضوية بعض النواب لدورة جديدة أو عدة دورات ان وجد المجمع في الرئيس وفي نوّابه نشاطاً وادارة فائقة حسنة . أما اذا وجد فيهم أو في بعضهم فتوراً أو عجزاً أو خروجاً على الأنظمة أو على السمعة الطيبة ، فإن من حقه إسقاط الرئيس أو بعض نوابه قبل انتهاء مدة رئاسته أو نيابة رئاستهم وانتخاب أشخاص جدد من أعضاء المجمع العاملين ليحلّوا في محلهم على أن تشرح الأسباب وتفصل ، ويكون ذلك بقرار يتخذه المجمع في اجتماع عام .

ويكون الرئيس « هو الوجه الأول للمجمع » وهو مسؤول أمامه ، وعليه أن يقدم تقريراً عن عمله ليناقش في الاجتماع العام . ومن حقه تأسيس الأقسام وإنشاء المعاهد التي يرى أنها ضرورية ولازمة لقيام المجمع بواجبه على خير ما يرام ، وهو الذي يدعو المجمع الى الاجتماع ، ويراقب أعمال الأقسام ، وينسق اعمالها ويضع لها الخطط والتوجيهات . ويؤلف بين أعمال هذا المجمع وأعمال المجامع المحلية ، كما أن من حقه الدعوة الى عقد المؤتمرات ، والى دعوة الأجانب لزيارة الاتحاد السوفيتي على حساب المجمع وضيافته . وهو الممثل للمجمع والناطق بأسمه أمام الحكومة والناس . وهو الذي يتداول مع رئيس مجلس الوزراء في مشروعات المجمع وفي وضع ميزانيته وادارته وفي مناقشة تقاريره وفي المشروعات السرّية العلمية والصناعية والفنية التي تريد الحكومة من المجمع تحقيقها وتنفيذها .

ولكل مجمع ديوان يعرف بـ « ديوان الرئاسة » ، يتكون من الرئيس ومن نواب الرئيس ، وعددهم ثلاثة ، ومن السكرتير العلمي للمجمع ، ومن رؤساء الأقسام .

وينتخب أعضاء ديوان الرئاسة ، بإستثناء الرئيس ونوّابه ، لمدة ثلاث سنوات بالتصويت السرّي . ويمكن تجديد عضوية من تنتهي مدته في ديوان الرئاسة ، كما يمكن فصل العضو قبل

انتهاء مدة عضويته في الديوان أن قصر في واجبه أو قام بعمل شائن ، أو رأى المجمع في اجتماع عام وجوب فصله منه ، وينتخب عندئذ من يحل محله للمدة الباقية .

ورئيس مجمع اتحاد الجامع العلمية للاتحاد السوفيتي الآن عالم كيماوي ، هو الاستاذ « نسميانوف » وهو في الستين من عمره ، متخصص بالكيمياء البيولوجية . وقد نال جائزة نوبل ، وحصل على أرفع الأوسمة في الاتحاد السوفيتي ، أهمها وسام « لنين » ، وقد حصل على أربعة أوسمة منه . وهو يتولى رئاسة المجمع للمرة الثانية . وله مؤلفات عديدة في الكيمياء ، وله جملة مكتشفات . أما نائب الرئيس الأول ، فهو من علماء « النفط » والوقود يقال له « نيوجيف » ، وله أبحاث وبد في تطوير وقود ارسال الصواريخ .

وأعضاء مجمع الاتحاد ليس لهم عدد معين محدود ، وهم يقسمون الى أنواع ، منهم أعضاء مجمع أو أعضاء عاملون كما في مصطلحنا ، ويعرفون بـ « Acadamician » ، وهم أعضاء أصليون لهم حقوق العضوية الكاملة ، ومنهم أعضاء مشاركون أو أعضاء مؤازرون كما في مصطلحنا ، وآخرون أعضاء شرف وأعضاء مراسلون غرباء ينتخبون من علماء الأمم البارزين .

ويكون الانتخاب لعضوية المجمع بطريقة الترشيح ، ويجري ترشيح عضو من قبل اللجان العلمية والإدارية ، بعد تزكيته في الدائرة التي يشتغل فيها وبمعرفة أعضاء مجمعين . وتكتب هذه اللجان بترشيحها هذا كتاباً تدون فيه أعمال المرشح ومجهوداته العلمية ، وينشر ديوان الرئاسة أسماء المرشحين في الصحف قبل شهرين من موعد الانتخابات للوقوف عليها ولتكوين رأي عن العضو المرشح خلال هذه المدة . وفي يوم الانتخاب المقرر ينعقد المجمع اجتماعاً عاماً لمناقشة الموضوع ، ثم يجري انتخاب سري ، فإذا أحرز المرشح أصوات ثلثي الأعضاء الحاضرين صار عضواً فيه . وتجري الانتخابات مرة واحدة في السنة .

والواجب الرئيس الملقى على العضو هو تطوير العلم والتقدم به ، بالبحث والتنقيب والتتبع في الفرع المتخصص به والاشتغال بالمسائل العلمية والفنية والصناعية التي يطلب المجمع منه

القيام بها ، ثم تهيئة علماء من الشبان والمتدربين الذين يضمون اليه للاسترشاد به والإفادة من توجيهه ومعاونته . وعلى العضو تقديم تقرير سنوي عن عمله ونشاطه وما توصل اليه الى القسم المنتمي اليه ، ليناقشه به المجمع في اجتماعه السنوي العام .

وإذا صادف العضو مشكلة من المشكلات الاختصاصية التي يرى وجوب التعاون في حلها ، فله أن يكتب الى ديوان الرئاسة لعرضها على هيأة المجمع العامة للبحث فيها . ولما كان العضو المجمعي يعرف عمله واختصاصه وواجباته معرفة تامة ، فله حق الاستمرار في البحث ، وللمجمع تقديم المساعدات له . ونادراً ما يترك العالم البحث الذي اشتغل فيه ، لأن من يشتغل ببحث اختصاصي لا يمل منه ولا يكل ، ولا سيما من أمثال العلماء المجمعيين ، وإذا وجد المجمعي مشكلة ، فإن زملاءه على استعداد لمساعدته ومؤازرته . ثم ان المعهد الذي ينتمي اليه العضو المجمعي يقدم اليه ما يحتاجه من مال ومن مساعدين ، لينصرف الى عمله ويبلغ نتائجه ، على أنه ليس من المفروض في البحوث العلمية والإختصاصية أن توصل المختص الى نتائج ايجابية ، فقد يخفق العالم مراراً في الحصول على نتيجة ، وقد ينجح في التوصل الى نتيجة واحدة ، قد تأتي بمعرفة جديدة لها قيمة عظيمة في تطوير المعرفة الانسانية ، ويستغرق البحث والتفكير في حل المشكلات نحواً من (٣٠ بالمائة) عادة من الوقت المخصص للبحوث .

واذا لقي عضو من الأعضاء معارضة من معهده في الاستمرار على بحث من البحوث ، فإن له الحق في مراجعة ديوان الرئاسة لطلب مساعدته على الاستمرار في ذلك البحث واجبار المعهد على عدم معارضته له في ذلك .

ويعد الاجتماع العام للمجمع السلطة العليا المشرعة فيه ، ويحضر هـذا الاجتماع الأعضاء المجمعيون (Academician) والأعضاء المشاركون . وفي هذا الاجتماع تناقش كل أمور المجمع ، كالبحث في التقارير ، وفي أعمال الأقسام والفروع والمشكلات العلمية والميزانية والأمور المهمة التي يرى الأعضاء وجوب البحث فيها ، وانتخاب أعضاء جدد ، وأمثال ذلك.

وقد اشترط النظام عقد ما لا يقل عن اجتماعين اثنين في السنة الواحدة .

ونسبة الأطباء في مجمع الاتحاد قليلة ، فليس فيه الا ثلاثة أطباء ، وسبب ذلك هو وجود مجمع خاص بهم . وهؤلاء الاطباء الثلاثة هم من أبرز أطباء الاتحـاد السوفيتي ، ولذلك اختيروا لعضوية المجمع ، ولو أن ذلك لا يمنع من دخولهم أعضاء في مجمع الطب .

وقد ذكر لي نائب رئيس المجمع الأول أن نسبة تمثيل الاختصاصيين في الآداب أو اللغات وسائر العلوم الانسانية قليلة بالقياس الى نسبة تمثيل المشتغلين بالعلوم النظرية والعلوم التطبيقية ، وأنه طالما سمع تذمر أولئك الاختصاصيين من ضعف تمثيلهم في المجمع . وهو يرد على ذلك بأن تذمرهم هذا هو حقيقة واقعة ، ولكن طبيعة الحياة وسنة التطور ورغبة تقدم الاتحاد السوفيتي في النواحي العلمية النظرية منها والتطبيقية والعلوم الصناعية تستدعي الاهتمام بهذه النواحي أولاً ، ثم إن الانتاج والتفوق في هذه النواحي والبروز فيها يكون أدق وأعمق من النواحي النظرية الثانية ، ولهذا قويت نسبة تمثيل هذه الفروع .

ويتألف كل مجمع من جملة أقسام . فمجمع اتحاد المجامع العلمية للاتحاد السوفيتي مثلاً يتألف من تسعة أقسام ، هي : (١) قسم الرياضيات والفيزياء (٢) قسم الكيمياء (٣) قسم الأحياء « البايولوجي » ، (٤) قسم « الجيولوجي » طبقات الأرض والجغرافية (٥) قسم العلوم التطبيقية « التكنلوجية » الالكترونية والكهربائية و « الديناميكية » (٦) قسم التأريخ (٧) قسم الفلسفة والاقتصاد والقانون (٨) قسم الآداب واللغات . (٩) قسم « سبرية » ، وهو قسم كون حديثاً للعناية بشؤون « سبرية » المنطقة الواسعة المشهورة في الاتحـاد السوفيتي لتطويرها وللاستفادة منها ، ويتألف هذا القسم من أكثر من عشرين معهداً ، تبحث في مختلف الموضوعات والبحوث الخاصة بهذه المنطقة الباردة ، من علمية وصناعية وفنية .

ولكل قسم من هذه الأقسام فروع ومعاهد ، يشرف القسم عليها ويديرها بنفسه ، ويقدم تقريراً من أعمالها الى الرئاسة لمناقشته وبحثه في الاجتماعات العامة التي يعقدها المجمع للنظر في سيره

وفي محله ومختبراته. ولكل فرع خزانة كتب خاصة به، تتضمن الموارد التي تختص بذلك الفرع أكثرها بالروسية وباللغات المحلية، ولكنها تحتوي أيضاً على الموارد القيمة الاختصاصية المدونة باللغات الأجنبية. وتلحق بالفروع الاختصاصية الفنية والصناعية والطبية مختبرات ومستشفيات تجريبية لاجراء البحوث فيها على الأحوال المرضية النادرة أو التي يحتاجها الأطباء الى اجراء بحوثهم على المصابين بها، ولها معامل وحدائق حيوانات ونباتات ومراصد وحقلات تجارب. كل هذه تكون خاصة بهذه الفروع وتابعة لادارة المجمع.

ويعد مجمع اتحاد المجامع في الاتحاد السوفيتي بحسب نظامه المؤن الأول للاختصاصيين العلماء، ولا يكاد يخلو مجمع علمي منهم. فأكابر علماء المجامع المحلية ممن أسهموا في تطوير تلك المجامع وفي تقدمها وفي تقدم العلم وفي الاكتشاف، هم من خريجي هذا المجمع وممن تدربوا فيه. وهذا المجمع يرسل رجاله الكبار المشهورين الى المجامع المحلية للاشتغال فيها من أجل تطويرها وتدريب رجالها، وبهذه الطريقة رفع المجمع مستوى المجامع الأخرى، وأوجد فيهما جماعة من الاختصاصيين رفعوا شأن مجامعهم حتى حازت على شهرة في بعض الفروع، فصارت «الأكاديمية» الأرمنية مثلاً من أكبر المراكز في الاتحاد السوفيتي في العلوم الفيزيائية الجيولوجية، وصارت «تفليس» مركزاً شهيراً في «البايولوجي» أي علوم الأحياء.

وفي نظام مجمع اتحاد المجامع مادة تشير إلى التعاون بين هذا المجمع والمجامع الأجنبية أو المؤسسات الاختصاصية الأجنبية الأخرى. وبموجب هذه المادة يتبادل هذا المجمع المعلومات العلمية مع المجامع والمؤسسات الاختصاصية في انكلترة وفرنسة وألمانية الغربية والولايات المتحدة وغيرها من الدول الأجنبية، وله ارسال أعضائه الى المجامع الأجنبية على سبيل التعاون أو لزيارة الدول الأجنبية للوقوف على النهضة العلمية والاختصاصية فيها، وله أن يدعو الجمعيين والعلماء الأجانب على حسابه الى الاتحاد السوفيتي للاستفادة منهم أو لتعريفهم بالحياة العلمية وحالة المجامع في هذه البلاد.

وللمجمع دائرة خاصة كبيرة تتولى نشر مؤلفات المجمع ومنشوراته ، وتعد من أكابر دور النشر الاختصاصية في العالم في نشر الكتب والمجلات العلمية الاختصاصية ، أسست قبل (٢٣٠) سنة . ويعدّ رئيس المجمع « الأكاديمية » ، الرئيس الأعلى لهـــذه الدار . وتقوم في الزمن الحاضر بطبع وتوزيع زهاء تسعين مجلة اختصاصية ، وزهاء سبعة وأربعين ألف كراسة ، عدا كتب الاختصاص التي يقررها المجمع . وقد ذكر لي رئيس الدائرة أنه يضع أمام رئيسه الأعلى رئيس المجمع في كل يوم ما لا يقل عن عشرة كتب جديدة وجلة مجلات تقوم الدار بطبعها وتوزيعها في الداخل والخارج .

وهذه الدار لا تطبع إلا المؤلفات والكتب التي يقررها المجمع وتكون بقلم الأعضاء ، وبينها المؤلف والمترجم والمحقق والبحوث المركزة الخاصة بموضوع من الموضوعات الاختصاصية الدقيقة التي يطلق عليها «Papers» في اللغة الانكليزية في بعض الأحيان . وهي تمثل من هذه الناحية نشاط المجمع وعمل الأعضاء . وبقدر نجاح الأعضاء في عملهم وفي إظهار خلاصة أفكارهم واختباراتهم بصورة مدونة مكتوبة ، يكون نجاح هذه الدار .

أما المجامع الأخرى ، فلها دور نشر أخرى ، وهي تمتلك مطابع خاصة بها تطبع كتبها . وبوجود دور النشر المجمعية والمطابع التابعة لها تيسر للمجامع أداء عملها على أحسن وجه ممكن . ولو كانت تعهد طبع مطبوعاتها ونشرها الى مطابع أخرى ودور نشر مستقلة لواجهت صعوبات كبيرة وعراقيل عديدة ، وإن كانت هذه المؤسسات كلها مؤسسات حكومية . فالمؤسسات الحكومية وإن كانت خاضعة كلها للدولة ولكن كل مؤسسة منها هي دوائر مستقلة بعملها ، ولا تهتم في العادة إلا بمصالحها الخاصة ، ولا يهتم الرئيس إلا بتحقيق الشيء الذي يريده ويبتغيه . ومن هنا أقام كل مجمع دائرة نشر ، وأنشأ مطبعة خاصة به .

ولقسم النشر والطبع مجلس أعضاؤه رؤساء أقسام المجمع يجتمع مرتين أو أكثر في السنة برئاسة رئيس المجمع ، رئيس هذه المؤسسة الأعلى . ومن واجباته تنسيق الطلبات التي ترد من

أقسام المجمع ، ووضع خطة منسقة شاملة لما يراد نشره ، وللنظر في تقرير مدير دار النشر المباشر وفي مقترحاته للمستقبل وما قامت به المؤسسة من أعمال . وبعد النظر في الكشوف والتقارير التي يقدمها رؤساء الأقسام عن الكتب أو الكراسات أو المجلات التي تقرر كل قسم نشرها وطبعها ، يوحد هذا المجلس تلك الطلبات ، ويضع لها منهجاً يقدمه الى المدير المباشر لتنفيذه .

وقد ذكر لي مدير هذه الدار المباشر أن مهمة المؤسسة ليست سهلة يسيرة ، فعليها انجاز طبع ما يقرره المجلس ونشره ، وهو شيء ضخم . وفي المجمع أكثر من مئتي معهد ومؤسسة تقدم كلها كتباً وتقارير ومجلات ، وتبتغي طبعها بأسرع ما يمكن . ثم إن أمزجة الأعضاء أصحاب التآليف والتقارير متباينة مختلفة ، وعلى الدار إرضاؤهم ، وإرضاء هؤلاء العلماء مهمة ليست سهلة ، ففيهم الصعب ، وفيهم المتردد المتواني . وهذه الصفات تؤثر في منهج الطبع والنشر ولا شك .

وأقسام المجمع ومعاهده هي التي تقرر نشر آثار الأعضاء والمنتمين الى المجمع . فإذا ما طلب أحد هؤلاء نشر شيء له ، يحال أصله الكامل على القسم المختص لدراسته وتقديم خلاصة وتقرير عنه . فإذا قبله يحال الى مجلس المعهد لمناقشته ودراسته ودراسة التقرير كذلك . فاذا وافق على نشره قبل ، وأدخل في قائمة المطبوعات التي يوصي المعهد بنشرها ، وترسل القائمة العامة الى مجلس دار النشر لتتولى نشر الكتب المدونة فيها .

أما اذا اختلف أعضاء مجلس المعهد في قيمة الأثر وفي تقرير القسم المختص ، فمن الممكن حينئذ الإيصاء بإرساله الى عالم متخصص أو جملة علماء متخصصين ، لقراءته وإبداء رأيهم فيه وتقديم خلاصة عنه . فاذا قدم العالم أو العلماء رأيهم في الأثر ، ووجدوا فيه اشارة الى اصلاح أمور فيه ، كتبوا الى صاحبه بذلك ليجري الاصلاحات المطلوبة . وإذا كان الرأي في مصلحته ، قبله المعهد وأوصى بطبعه ونشره على الطريقة المألوفة .

ومن حق دار النشر الاعتراض على الكتاب ، والكتابة الى مؤلفه والى المعهد بوجوب

إعادة النظر فيه وإصلاح ما تراه فيه من نواقص ، بالرغم من الموافقة النهائية التي تمت على وفق المراحل التي تحدثت عنها ، وصدور الأمر النهائي بطبعه ، ذلك لأن في هذه الدار كما أخبرني مديرها أناساً متخصصين بكل الفروع ، ومن ضمنها التخصص الفني بكيفية التبويب والاخراج وتصحيح اللغة . وحين تحال المسودات على هذه الدار ، ترسل الى هؤلاء المتخصصين والنقدة ، وأكثرهم من الشبان البارعين الذين تخصصوا بالنقد واستعدّوا لنقد الآثار التي تحال عليهم ، ونشطوا الى ذلك لاظهار مقدرتهم وقابليتهم في العمل لتقديرهم ، ويقوم هؤلاء بدراسة تلك المسودات دراسة عينة دقيقة كلٌّ بحسب فنّه واختصاصه ، فاذا وجدوا شيئاً فيه ، أشاروا اليه وكتبوا به الى المدير لإبلاغه الى صاحب الأثر والى المعهد المنتمي اليه .

وسبب حدوث هذه الحالات ، على ما سمعت من المدير ، هو تساهل الأقسام في الغالب وعدم تدقيقهم وتعمقهم في النقد ، معتمدين في ذلك على دار النشر ، وتيقنهم أن هذه الدار ستغربل الأثر وتنقده نقداً صارماً شديداً . ثم إنهم ينظرون الى مادة الأثر في الغالب ، ولا يهتمون كثيراً بلغته أو كيفية تنسيقه وتبويبه وطريقة عرضه . وحين يكتب بذلك الى المؤلف أو الى الأستاذ الذي أبدى رأيه في قيمة الأثر أو الى الجهة الموصية بنشره ، يكون الجواب في الغالب أن التوصية كانت من الفكرة والمادة ، لا اللغة وكيفية العرض والتنسيق والتبويب .

ومثل هذه الحالات تحدث للمؤلفين أو المترجمين أو الباحثين أوالمحققين الناشئين في الغالب ، وأكثرهم من الشبان ، ومن طبيعة الشباب التسرع والعجلة والاعتداد بالنفس ، وهم من أجل ذلك يريدون الاسراع في نشر آثارهم ، رغبة في إظهار شخصيتهم ، ويدفعهم ذلك الى التساهل والتسرع في نقد الأثر ، لتشجيع بعضهم بعضاً ، ولروابط الصداقة والزمالة ، ولاعتمادهم على صرامة نقدة دار النشر . أما مؤلفات الأعضاء والأساتذة الكبار ، فإن ما يعرض لها من مثل ذلك قليل ، لأن العضو المجمعي والأستاذ المتخصص المتقدم في اختصاصه ، لا يقدم على النشر

إلا بعد أن يكون قد سيطر على نفسه وتمكن من فنه وحاز على شهرة واسعة ، فهو لذلك لا يطمع في الحصول على شهرة وقد حصل عليها ، ومع ذلك قد يحدث اعتراض النقدة على مؤلف عضو مجمعي أو أستاذ مشهور. لسهو قد يقع في أثر مكتوب لأحدهم. ومن هؤلاء - كما حدثني مدير الدار - من يثور على هذا الاعتراض عاداً إياه إهانة توجه اليه ، وهو العالم بفنه الضليع باختصاصه ، ولكنه اذا علم صوابهم وخطأه بعد نقاش وحجاج هدأت ثورته وأدرك أن العالم مهما بلغ في العلم من درجة عالية ، فإنه غير معصوم ، وأنه عرضة للوقوع في الزلل ، وأن الصغير قد يدرك أموراً قد يفوت إدراكها الكبير .

وقد ذكر لي مدير الدار ان النقد الصارم الذي يزعج الأساتذة والأقسام ، قد أفاد كثيراً وأنتج نتائج مفيدة ، جعل ديوان رئاسة المجمع يقدره ويدرك أهميته ، فأباح من أجل ذلك لدار النشر حق الاعتراض ، وأجاز لها رد أي كتاب الى مؤلفه أو الى القسم المختص لإصلاحه ، وان خالف ذلك قرار مجلس دار النشر وقرار مجالس المعاهد ، بعد أن تبين له أن الغاية من الاعتراض ومن رفض الأثر هو الإصلاح والدعوة الى الكمال ، وأن الدار لا تقصد من ذلك إلحاق الأذى أو الاهانة بأحد أو التحكم في الأمور وتجاهل قرارات المعاهد ومجلس ادارة دار النشر .

ومتى تمت التشكيلات النهائية بالنسبة الى طبع أي أثر ، يقدم عندئذ الى مطبعة المجمع لتنضيده ، فيتولى قسم التصحيح فيها تصحيحه وتدقيقه ، ثم يرسل الى صاحبه ليقف على تصحيح المصححين ولينظر في كتابه نظرة نهائية ، وعندئذ يكتب كلمة « تطبع » ، ولا يسمح لصاحب الأثر بإجراء تغيير ما في المسودات ، وكل ما له أن يفعله هو تصحيح ما فات المصححين من خطأ وقع فيه الرتبون .

والمجمع يدفع أجوراً عن الآثار التي تطبعها دار نشره ، وذلك إذا كان الأثر من الأعمال التي أنجزت وتمت خارج حدود الوظيفة ووقتها وكان من الأعمال التي ليست لها صلة بالوظيفة وبالعمل المنوط بصاحب الأثر . أما إذا كان المطبوع من أعمال الوظيفة ومن نتاج العمل الرسمي ،

فلا يمنح المجمع عليه أي أجر أو مكافأة ؛ لأن صاحب المطبوع قد تقاضى أجره عليه ، بتناوله راتبه . وقد دفع الراتب اليه مقابل إنجاز عمل ، ودفعُ أجرٍ على ذلك المطبوع ، معناه تناول المؤلف أو المحقق أو المترجم أو الباحث أجرين عن إنجاز عمل واحد ، وهذا ما لا يجوز وقوعه .

أما اذا كان الأثر من الأعمال التي تمت وأنجزت خارج حدود الوظيفة وأوقاتها ، وبغير تكليف رسمي ، فيثاب القائم به ، ويدفع له أجر . ويتوقف ارتفاع الأجر وانخفاضه على قيمة الكتاب من حيث المادة والتركيز والعمق والجهد . أما حجمه فلا شأن له في تقدير الأجر الذي يدفع الى مؤلفه .

ولما كانت الآثار التي ينشرها المجمع ذات طبيعة اختصاصية ، وكتب الاختصاص والتعمق من المطبوعات التي لا يقبل عليها إلا المتخصصون وهم قليلون ، فإن دار النشر تمنى بخسارة مادية كبيرة في نشرها وتزيد خسارتها هذه عند إقدامها على نشر الكتب التي لا يطبع منها إلا نسخ قليلة ، ولكن المجمع مجمع علمي ؛ لا يلتفت الى الخسارة ولا الى الربح ، وانما يهتم بالربح المعنوي الذي يأتي من طريق تقديم ثمار العلم والاختصاص الى الناس .

وقد أخبرني مدير الدار أنه قد وجد مورداً مهماً لسدّ هذه الخسارة ، ولإيجاد المال ، وذلك بنشر ترجمات الكتب العالمية أو أصولها بلغاتها مع التعليق عليها ، فنشرت مؤلفات اليونان واللاتين ومؤلفات مشاهير العلماء والأدباء والفلاسفة والمفكرين من مختلف أنحاء العالم . وقد جاءت هذه المؤلفات بربح عظيم لهذه الدار سدّ العجز الحاصل من الخسارة ، وجاءها بزيادة ساعدتها على الاستقلال بشؤونها المالية ، ولهذا فهي لا تعتمد على ميزانية المجمع ، وانما تمون نفسها من هذا الدخل الكبير ، وتمون الموظفين الذين يتجاوز عددهم ثلاثة آلاف موظف برواتبهم وبكل ما تحتاج اليه الدار من مصروفات .

أما مقدار ما يدفع الى صاحب المطبوع عن أتعابه من أجور ، فيكون على أساس الكراسة ، ويتراوح ذلك من ١٥٠٠ روبل الى ٣٠٠٠ روبل ، وكل ١٢ روبلاً في السعر الرسمي يساوي

ديناراً عراقياً ، فيكون ما يتقاضاه المؤلف عن الملزمة الواحدة متراوحاً من ١٢٥ ديناراً الى ٢٥٠ ديناراً ، وهو مبلغ ضخم ذكر لي مدير الدار أن الدار تعمده تشجيعاً وتقديراً للعلم والعلماء ، وأنها لو سارت على الطريقة الاميركية أو البريطانية في دفع نسب البيع على أساس الكلمات أو الصفحات أو النسخ ، لهبطت الأجور هبوطاً ملحوظاً ، وربما لا يصيب المؤلف شيء وهو الغالب لما ذكرته من أن كتب العلم والاختصاص لا تباع بكثرة ، ولا يقبل على شرائها إلا العلماء والمتخصصون ، ولذلك كانت خسارتها من الأمور المحتومة . وإذ كان المؤلف قد بذل جهداً كبيراً في التأليف يفوق جهد الكاتب أو الشاعر ، لجأت الدار الى هذا الأسلوب في دفع أجور الأتعاب .

ودار النشر هي التي تقدر عدد ما يطبع من كل أثر ، استناداً الى تقدير « لجنة بيع الكتب » . وهذه اللجنة تتفاوض عادة مع صاحب المطبوع في الموضوع ، ثم تقول كلمتها في العدد بحسب تجاربها وخبرتها وعدد المشتركين من جامعات ومؤسسات علمية خارجية وداخلية وعلماء متخصصين يقبلون على اقتناء هذه المؤلفات .

وفي دار النشر قسم خاص باخراج المجلات ، ولبعض هذه المجلات شهرة في العالم الخارجي ، ولأهميتها وقيمتها بالنسبة للمتخصصين اتفقت بعض دور النشر الأميركية على ترجمة هذه المجلات الروسية الى الانكليزية ، والتزام حق نشرها في الولايات المتحدة . وقد تعهدت في مقابل ذلك بدفع بدل التملك ، تدفعه بالدولار ، ويكون هذا الدفع دخلاً طيباً للدار . وقد فعلت انكلترة مثل ذلك . وتتولى الولايات المتحدة الآن ترجمة (١٧) مجلة علمية وطبعها على هذا الأساس .

وفي المجمع قسم خاص يعد في نظري أهم قسم فيه ، هو قسم الاستعلامات . ويقوم هذا القسم بتسجيل كل ما يطبع في الخارج والداخل من مطبوعات في العلوم النظرية والتطبيقية والاجتماعية ونشره ، ليقف العلماء المتخصصون على كل ما ينشر في موضوع اختصاصهم .

ويساعدهم ذلك بالطبع على الوقوف على كل جديد مبتكر في مادة الاختصاص .

ويتألف هذا القسم من عدد كبير من المتخصصين والمتمرنين والمتدربين في موضوع جمع المعلومات ، وقد رُتبوا وقسموا الى فصائل ومجموعات بحسب اللغات والاختصاص ، واجبهم قراءة الكتب والمجلات والنشرات ، وأخبار دور النشر والمجلات ، وتسجيل عنوان الكتاب أو المجلة أو البحث أو المقال المدون في المجلات ، وتسجيل أسماء المؤلفين والكتاب أو أصحاب البحوث باللغة الأصلية وباللغة الروسية ، مع خلاصة موجزة من البحث . يدون كل ذلك في بطاقة صغيرة ، تجمع وترتب بصورة آلية على وفق الموضوعات ، وتطبع ، وتوزع على المعنيين .

وقد زرت هذا القسم الخطير ، ووقفت على أساليب جمع هذه المعلومات . وهناك مخازن تتضمن مئات الملايين من أمثال هذه البطاقات . وتعنى هذه الدائرة عناية شديدة بالبحث من الوارد في كل مكان من أنحاء الأرض ، لتكوين بطاقات بها ، وعرضها على المتخصصين . وقد رأيت جملة مجلات عربية علمية ، أدخلها هذا القسم في تصنيفه ، وطبع بطاقات بمضامينها ، لتكون في متناول أيدي العلماء .

ويتمتع كل قسم ومعهد في المجمع باستقلاله في إدارة شؤونه وفي طريقة البحث ضمن الواجبات والأعمال التي وضعها في المنهج الذي قدمه لمناقشته في الاجتماع العام . ومن واجبه كذلك تحقيق ما طلب منه تحقيقه من مشكلات وبحوث علمية طلب رئيس الوزراء من المجمع البحث فيها ، وعلى كل قسم ومعهد تقديم تقرير شامل عام الى الرئيس في نهاية كل سنة ليناقشه أعضاء المجمع في الاجتماع العام ، وليقفوا منه على سير ذلك القسم أو المعهد .

وللمجمع في تحقيق أهدافه هذه حق إرسال البحوث العلمية الى أي مكان من أمكنة الاتحاد السوفيتي ، كما أن له الحق في إرسالها الى خارج الاتحاد ، وذلك لتبادل الزيارات أو للقيام ببحوث وتجارب علمية أو اجراء حفريات . وله حقول زراعية واسعة لإجراء التجارب فيها ، وحدائق نباتات لدراسة أنواع النباتات لمختلف أجواء العالم ، وحدائق حيوانات ومستشفيات تجريبية

ومختبرات عامة وسرّية لإجراء التجارب السرية التي لا يسمح لأي أحد في الوصول اليها . وله في سيبرية مؤسسات كثيرة لدراسة أحوال تلك الأرضين الباردة الشاسعة ، وللاستفادة منها في تقوية الإنتاج .

وموسكو هي مقر رئاسة مجمع الاتحاد . وقد كان مقره في السابق مدينة « لنينكراد » التي كانت ولا تزال المكان الأول للعلوم النظرية والتطبيقية والصناعيـــة والفنيـة في الاتحاد السوفيتي . وفيها الآن فرع لهذا المجمع ، وهو فرع كبير يعد من أكبر فروعه . ويقع في أقسام كذلك ، وتتفوق بعض أقسامه ومعاهده على بعض أقسام المركز ومعاهده في موسكو ، من حيث الأساتذة والمختبرات والتجهيزات والقدرة . وقد استقرّ كثير من الأعضاء المجمعيين البارزين في مدينة لنينكراد ، ولم يقصدوا موسكو ، لأن المدينة الأولى هي العاصمة القديمة التقليدية للعلوم والصناعة والفنون . وهي مركز ثقافي قديم ، ويتبجح أهلها بثقافتهم وبتفوقهم على أهل موسكو في كل شيء .

أما أنظمة المجامع المحلية ، فتكاد تكون نسخة طبق الأصل لنظام مجمع اتحاد المجامع . وهي لا تختلف في تكوينها العام عن هذا المجمع ، إلا في إمكانياتها وفي صغر حجمها . وهي في الواقع فرع لهذا المجمع الكبير ، ومؤسسة انبثقت منه لتقوم بمعالجة المشكلات المحلية التي لا يكون في وسع مجمع الاتحاد الانصراف الى معالجتها ، لكثرة أعماله وأشغاله ، فترك شأنها الى هذه المجامع المحلية الصغيرة ، ووكل أمرها إليها لتقوم هذه المجامع بإيجاد حلّ لها ، ولها أن تستعين به في حل المشكل الذي ليس في استطاعتها حلّه ، فيمدّها بما عنده من علم وخبرة وأعضاء .

ومن جملة هذه المجامع المحلية « مجمع أزبكستان » . وهو مجمع أنشيء في سنة ١٩٤٣ م أي في إبان الحرب العالمية الثانية ، ومقرّه في مدينة « طشقند » عاصمة الجمهورية . أنشيء بعد أن وجدت الجمهورية الأزبكية أن في استطاعتها تكوين مجمع مستقل بعدها بالعلماء وبالمتخصصين

في مختلف أنواع المعرفة النظرية والعملية ، وذلك بالاستعانة بالاختصاصيين الذين ظهروا فيها والذين بلغ عددهم عشرين ألف متخصص في مختلف نواحي المعرفة ا

وكان مجمع اتحاد الجامع قد كوّن له فرعاً في طشقند إبّان الحرب العالمية الثانية ، وقد نقل إليها الثمين من مختبراته ومعامله خوفاً من وقوعها في أيدي الألمان ، ونزول الدمار بها من القصف الجوي ، كما أنه انتقل إليها عدد من أهم المعاهد العلمية المؤسسة في موسكو وفي لينينكراد ومدن الأكرين ، وهي من أحدث وأحسن ما كان في الاتحاد السوفيتي ، وذلك خشية تعرضها للقصف أو الوقوع في أيدي الالمان ولضمان بقائها تمد الاتحاد بما يحتاج إليه عند احتلال الألمان للأقسام الأوربية من الاتحاد . وانتقل مع هذه المؤسسات العلميـــة المشتغلون بها والمسيرون لأعمالها ، وأكثرهم من الأعضاء المجمعيين . وقد استعان هؤلاء بمن وجدوا فيه من الأزبك استعداداً لمعاونتهم في مهمتهم ، وبذلك تخرج على أيديهم جماعة من العلماء المحليين كونوا مع من بقي في هذه المدينة من الروس النواة الأولى لمجمع الأزبك .

وقد حددت المادة الأولى من نظام مجمع الأزبك ، أهداف المجمع وأعماله ، والأسباب التي دعت الى إنشائه ، فذكرت أن : مجمع الأزبك هو أعلى مؤسسة علمية في الجمهورية ، وأنه يضم خيرة العلماء المعروفين المشهورين في البلاد ، وأنه مرتبط بمجلس وزراء الجمهورية المحليـة ، تحت إشراف رئيس مجلس الوزراء .

والغاية من تأسيسه وأهم واجباته وأعمـاله ، هي اعداد العلماء والمتخصصين في كل فروع المعرفة وتقديم تطوير العلم النظري والتطبيقي وجميع فروع المعرفة الأخرى ، وحل المشكلات العلمية المهمة ، واجراء البحوث فيها وكذلك في سائر مشكلات الحياة ، وذلك بالطرق العلمية المنظمة المنسقة المبنية على الدراسات والأبحاث ، وأن يعنى عناية خاصة باستخدام كل ما عنده من علم وقدرة لحلّ مشكلات الجمهورية العلمية والاقتصادية والصناعية والاجتماعية واستخدام كل امكانياته للاستفادة من الثروة الطبيعية فيه .

ويتألف مجمع الأزبك في الزمن الحاضر من أربعة أقسام ومعاهد ، هي : قسم الفيزياء والرياضيات ، وقسم العلوم التطبيقية والصناعية و « الجيولوجية » والعلوم الكيماوية ، وقسم علوم الحياة « بايولوجي » ، وقسم العلوم الاجتماعية .

ويتألف كل قسم من هذه الأقسام من جملة معاهد وفروع ، فقسم العلوم الفيزيائية والرياضية مثلاً يتألف من معهد الفيزياء الذرية ومن معهد الفيزياء الصناعية ومن معهد العلوم الرياضية والعلوم الميكانيكية ومن مرصد طشقند ، ولكل من هذه الأقسام فروع ومعاهد في مدن أخرى من مدن جمهورية الأزبك ، كسمرقند وفرغانة . أما قسم العلوم التطبيقية والصناعية والجيولوجية والعلوم الكيمياوية ، فيتألف من معهد الكيمياء ومعهد الكيمياء للمواد النباتية ، ومن معهد الجيولوجية ومعهد هندسة القوى وهندسة تحويل الصناعات والآليات الى « آلية » « Automation » ومعهد مشكلات الري والمياه و « الهندسة الهايدرولوجية » ، ومعهد الهندسة المدنية ومشكلات البناء ومعهد التعدين .

ويتألف قسم علوم الحياة من معهد الحقول والمزارع ومن معهد علوم النبات ومن معهد علم التربة ومن معهد الطب ومن معهد علوم الحيوان ومن معهد حدائق النباتات ومن متحف العلوم الطبيعية . أما قسم العلوم الاجتماعية ، فيتألف من معهد العلوم الشرقية ومن معهد التأريخ والآثار ومن معهد العلوم الاقتصادية ومن معهد اللغات والآداب ومن معهد البحوث المعقدة ومن معهد البحوث الفنية ومن معهد الفلسفة والقانون ومن متحف الآداب ومتحف التأريخ .

وهذا التقسيم لفروع الأقسام الأساسية الرئيسة لمجمع الأزبك ، مبني على نظرية مجمع الاتحاد في التقسيم ، وهي كلها مثل معاهد مجمع الاتحاد ، ليست بمعاهد تدريس على نمط معاهد الجامعات ، بل هي معاهد تمرين وتدريب . فلا يلقي الأعضاء المجمعيون المعيّنون فيها أو الأساتذة دروساً ، وإنما يقومون بأداء الأعمال الاستكشافية والبحوث التي يطلب المجمع منهم عملها ، وبتدريب الطلاب والمنتمين للمعهد على أعمال الاستكشاف والبحث العلمي والمناقشات

للتهيؤ للاختصاص ونيل درجة تخصص ودكتوراه ، ثم التأهب للوصول الى مرتبة الاجتهاد التي تخول صاحبها حق العضوية في مجمع الأزبك ، ثم عضوية مجمع الإتحاد إن أظهر استعداداً فائقاً واجتهاداً كبيراً يعترف أعضاء مجمع الاتحاد به في ذلك الفرع .

وترتبط برئاسة مجمع الأزبك معاهد مستقلة في شؤونها وأعمالها ، ولا تعد جزءاً من أجزاء اقسام المجمع ، ولكنها تتصل بديوان رئاسة المجمع من الوجهة الادارية ، وهذه المعاهد هي: فرع الجمعية الجغرافية للاتحاد السوفيتي في الجمهورية الأزبكية ، وفرع جمعية علوم التربة للاتحاد السوفيتي في جمهورية الأزبك ، وفرع جمعية علوم المعادن للاتحاد السوفيتي في الأزبك ، وفرع جمعية العلماء الفيزيائيين والصيادلة وعلماء الحياة والكيمياء للاتحاد السوفيتي فرع الازبك ، وبيت العلماء وجمعية المحافظة على الطبيعة .

أما ديوان الرئاسة ، فيشرف على أقسام المجمع المذكورة وعلى ما ذكرته عن مجمع الاتحاد ، ويشرف بالاضافة الى ذلك ، على الأقسام الآتية : مجلس دراسة القوى الفعالة المنتجة ، ومجلس بحوث القطن والآفات التي تصيبه وكيفية تنمية القطن وتحسينه ، ومجلس تنظيم المشكلات ذات الخطورة الكبيرة ومعالجتها ، ومجلس التحرير والنشر ودار الطباعة والنشر وخزانة كتب المجمع .

ويتألف ديوان الرئاسة من الرئيس ومن ثلاثة نواب رؤساء ومن أمين السر العلمي للمجمع ومن رؤساء اقسام المجمع ومعاهده . وينتخب الرئيس ونوابه الثلاثة وأمين السر العلمي بالاقتراع السري لمدة خمس سنوات . ويجوز إسقاطهم ، أو اسقاط بعضهم من عضوية ديوان الرئاسة إن وجد المجمع أنهم كلهم أو بعضهم لايستحقون البقاء في هذا الديوان بسبب تهاون أو تقصير أو عمل شائن صدر منهم أو من بعضهم ، وعندئذ ينتخب المجمع أناساً غيرهم من بين الأعضاء المجمعيين فقط من حملة درجة عضو مجمع .

ومجمع الأزبك هو مثل مجمع اتحاد المجامع ذو شخصية قانونية ، وميزانية مستقلة يقيّمها

ديوان الرئاسة بحسب حاجات الأقسام والمعاهد وطلبات رئيس الوزراء ثم يقدمها الديوان الى المجمع لمناقشتها في الاجتماع السنوي العام ، وبعد موافقته عليها ترفع الى ديوان مجلس الوزراء لإدخالها في فصل خاص من فصول الميزانية العامة للجمهورية .

ويتألف مجمع الأزبك من أعضاء مجمعيين « Academicians » ، وأعضاء شرف ، وأعضاء مؤازرين ، ويضم الرؤساء العلميين الذين يشتغلون في المجمع ويديرون الأقسام والمعاهد العلمية ويقومون بالبحوث فيه .

وينتخب الأعضاء بالاقتراع السري في اجتماع عام ، وبأغلبية الثلثين ، ولا ينتخب لعضوية المجمعية والعضوية المؤازرة في مجمع الاتحاد إلا البارز المجتهد في فرعه المعروف في فنه كما جاء في تعليمات نظام المجمع ، وذلك بترشيح من الأعضاء المجمعيين ومن الأقسام المنتمي اليها المرشح .

وتنحصر واجبات الأعضاء المجمعيين والأعضاء المؤازرين في البحث والاستكشاف على وفق منهج يضعه المجمع في نهاية كل سنة ، وفي القيام ببحوثهم الخاصة وحل المشكلات العلمية أو الفنية أو الصناعية التي رغب العضو في البحث فيها ، وعليه تقديم تقرير سنوي بذلك الى ديوان الرئاسة يشرح فيه أعماله إبان السنة ، وما توصل اليه من نتائج أو ما تعرض له من مشكل وحائل ، لإدماجه في التقرير العام الذي يقدم الى المجمع في اجتماعه العام . وعليه كذلك أن يسهم في أعمال اقسام المجمع ومجالسه وفي إرشاد الملتحقين بالمجمع وتدريبهم على الملاك العلمي الباحثين والمتخصصين ، وتعليمهم طرق البحث للاستقلال فيه وإيصالهم الى درجة الاجتهاد .

ولما كان جميع أعضاء المجمع على اختلاف درجاتهم موظفين بحكم القوانين في الاتحاد السوفيتي يتقاضون رواتب ومخصصات عن أعمالهم ، فهم مسؤولون تجاه المؤسسات التي ينتمون اليها ، وتجاه المجمع عن الأعمال والواجبات الموكولة اليهم ، وعليهم كما ذكرت تقديم تقرير سنوي الى الدوائر الرسمية التي ينتمون اليها يضمنونه أعمالهم واقتراحاتهم وآراءهم ، وهي ترفعه الى ديوان

الرئاسة لتنسيقه وادخاله ضمن التقرير العام الذي يقدمه الرئيس الى الاجتماع السنوي ليتلى فيه . وعندئذ يقف المجمع على نشاط مؤسساته وأعضائه وعلى عمل كل عضو من الأعضاء .

ولما كان من حق كل شخص في الاتحاد السوفيتي الاستمرار في عمله ، ما دام قادراً متمكناً من القيام به على الوجه المطلوب ، مهما بلغ من السن ، إلاّ إذا طلب هو احالة نفسه على التقاعد ، أو ثبت للدائرة التي يشتغل فيها عدم استطاعته من الوجهة الجسمانية أو العقلية الاستمرار في عمله صار بين أعضاء المجمع من تجاوز الثمانين من العمر ، وهو مع ذلك نشيط يشتغل في عمله القديم ويؤدي خدمات كبيرة لبلاده بحكم تجاربه التي أكسبته خبرة عملية وزادته بسطة في العلم قد تسمو على الخدمات التي يؤديها من هم في درجته من الشبان والكهول . وهم كما سمعت على صفاء وانسجام تام مع من هم دونهم في السن والدرجة ، لا يفرق العمر بينهم ولا ينافسهم الشبان أو من هم دونهم في السن للحصول على وظائفهم ومراكزهم ، لأن التقدم لا يكون إلا بالانتاج وبالابتكار ، ولا يتوقف الإنتاج على السن أو على المركز ، ولكن على المؤهلات والقابليات .

ولإتمام رسالة المجمع ، وتأدية الأعضاء واجباتهم على الوجه المطلوب ، يقدم المجمع كل ما يلزم من المساعدات المالية والمادية الى الأعضاء المجمعيين والموازرين والى مؤسساته ومعاهده ، وله أن يرسل الأعضاء والهيآت التابعة له الى أي مكان من الجمهورية أو في الاتحاد السوفيتي أو الى الخارج للقيام بالبحوث في تلك الأماكن وللاستفادة من تجارب الأجانب ومعارفهم لتطوير العلم والصناعة والفن في تلك البلاد . وله حق عقد المؤتمرات ودعوة مختلف الأشخاص والمؤسسات العلمية السوفيتية أو الخارجية لحضورها وللتعاون معه في حل ما يصادفه من مشكلات . وهو يتعاون تعاوناً وثيقاً مع مجمع الاتحاد في التشاور وفي الاستفادة من خبرته وتجاربه ومن رجاله العلماء المدربين . وله حق الاستعانة بأعضاء مجمع الاتحاد ، أو دعوتهم لقضاء مدة في معاهد مجمعهم ، لمساعدتها وتدريبها في الأمور الخطيرة التي تحتاج الى خبرة أناس غير متوفرين لدى المجمع وفي أرض الجمهورية المحلية .

ويعد اجتماع المجمع العام الذي يحضره الأعضاء من مجمعيين ومؤازرين ومخبريين السلطة العليا في المجمع ، وما يقرره يكون منهج المجمع للسنة المقبلة ، وعلى رئيس المجمع العمل به وتنفيذ كل ما قرره ، ويكون ديوان الرئاسة هو السلطة العليا الممثلة للمجمع في الفترات التي لا يجتمع المجمع فيها ، وعليه تقديم تقرير عن أعمال الديوان وشعبه الى المجمع لمناقشته في الاجتماع العام .

ويشرف الرئيس على دار النشر والطبع . وتنشر هذه الدار مطبوعات المجمع ، وما يقرر المجمع نشره من آثار الأعضاء ، وتدفع هذه الدار أجور التملك الى أصحابها إذا كان عملهم خارجاً عن نطاق وظيفتهم . أما اذا كان الأثر من الأعمال التي تمت وأنجزت في حدود الأوقات الرسمية للموظف ، فلا تدفع الدار عنه شيئاً ، لأن صاحبها قد تقاضى أجراً عليه ، وهو الراتب الشهري الذي يدفع اليه .

واللغة الرسمية المستعملة في هذا المجمع هي اللغة الأزبكية ، لغة الجمهورية . وتستعمل اللغة الروسية مع هذه اللغة كذلك . ولذلك تطبع مؤلفات المجمع بإحدى هاتين اللغتين أو بكلتيهما . وتطبع الآثار الأزبكية بالأحرف الروسية . اما في السابق ، فقد كان الأزبكيون يكتبون ويطبعون آثارهم بالحروف العربية .

ونظراً الى ما لدراسة المصطلحات من الخطورة بالنسبة الى العالم العربي ، ولأعمال المجامع العربية الثلاثة بصورة خاصة ، رأيت الاستفسار من الجهات العلمية في المجمعين ، مجمع اتحاد المجامع ومجمع الأزبك ، عن كيفية معالجة المجمعين للمصطلحات الأجنبية التي تضعها المؤسسات العلمية الغربية ولا يوجد لها مثيل في الروسية أو الأزبكية . وقد أخبرني السيد « توبجيف » نائب رئيس مجمع الاتحاد وأستاذ كيمياء « النفط » ، أن المسألة بالقياس الى الروسية سهلة بعض السهولة ، فإن الثقافة الروسية ذات صلة بالثقافة اليونانية ، وفي الروسية ألفاظ يونانية أو لاتينية كثيرة تعد جزءاً من هذه اللغة ، فتعبر عن مفاهيم ثقافية وعن مصطلحات فنية ، ولذلك تدخل المصطلحات الغربية المبنية على أصول يونانية أو لاتينية ، قديمة أو جديدة ، الى اللغة

الروسية كذلك ، مع شيء يسير من التحوير يناسب مخارج هذه اللغة . أما المصطلحات الجديدة ، فان كانت مصطلحات أصلها اسم علم ، مثل « فولتا » و « أمبير » وأمثال ذلك ، فلا يمكن والحالة هذه استعمال كلمة أخرى لها غير هذه الكلمات ، لأنها أسماء أعلام . وأما إذا كانت مصطلحات فنية لها مقابل في الروسية ، أو من المصطلحات التي يمكن التعبير عنها بألفاظ روسية ، فتحول الى مصطلحات روسية بالطبع ، ثم إن الروس أنفسهم يضعون مصطلحاتهم الخاصة للمكتشفات أو المخترعات الروسية وتجابه الغرب نفس المشكلات التي يتعرض لها الروس في وضع مصطلحات لهذه المكتشفات أو المخترعات .

أما الوضع بالقياس الى اللغة الأزبكية ، فيختلف بعض الاختلاف عن اللغة الروسية ، فاللغة الأزبكية لغة من اللغات الطورانية ، وفيها ألفاظ كثيرة عربية وفارسية ، وهي لا تمت الى اليونانية أو اللاتينية بنسب ، ولا ترتبط بها برابط . ولهذا تجابه من الصعوبات ما تجابهه اللغة العربية في موضوع وضع المصطلحات . وقد أخبرني أمين سر مجمع الأزبك العلمي ، وهو من أساتذة الكيمياء ، أن الطرق التي يتبعها المجمع في وضع المصطلحات لا تختلف عن الطرق التي تتبعها المجامع العلمية العربية في اختيار المصطلحات . فالمصطلح الذي هو اسم علم ، يقبل كما هو ، مع تغيير يسير ليتناسب مع النطق الأزبكي ، إن كان ذلك ضرورياً . وأما المصطلح الذي له مقابل في الأزبكية ، فيوضع له مقابله في هذه اللغة . وأما المصطلح الروسي الذي لا يوجد له مقابل في الأزبكية ، والذي لا يمكن التعبير عنه بهذه اللغة ، فيقبل بهذا الأصل . وأما المصطلحات العالمية ، أي التي اكتسبت صبغة عالمية ، مثل راديو وتلفزيون وتكنيك وتلفون والكتريك ، فتقبل كما هي ، لعدم وجود مقابل لها في هذه اللغة .

ويلاحظ أن في المجمع أعضاء من الروس ، يشغلون بحكم علمهم ونفوذهم واختصاصهم المراكز الحساسة والعالية في مجمع الأزبك وفي الجمهورية الأزبكية . وبحكم إقامة بعضهم في هذه الجمهورية مدة طويلة وتجنسهم بجنسية هذه الجمهورية المحلية ، واتقان بعضهم للغة الأزبكية ،

وتدريسهم في المعاهد العالية مثل جامعة « طشقند » بالروسية وبالازبكية في بعض الأحيان ، يؤثرون تأثيراً خطيراً في موضوع صنع المصطلحات وتطويرها . وسيساعد ظهور المجتهدين في العلوم والفنون والصناعات من الأزبك ، ولا شك ، كثيراً في حل هذه المشكلة التي لا تجابه الأزبك وحدهم ، بل تجابه جميع الأقليات الأخرى ، مثل التتار والتاجيك والأذربايجان والأرمن . وقد سلك كل شعب من هذه الشعوب سبيله في ايجاد المصطلحات العلمية والفنية والاختصاصية الأخرى لاستعمالها في الجامعات وفي المجامع وبين المتخصصين ، وكلها لا تختلف عما ذكرت في اتجاهها وسبلها في تكوين المصطلح .

والعضوية في المجامع الحكومية على نوعين : نوع يعين العضو فيه على ملاك المجمع ، فيتقاضى راتبه منه ، ويعمل فيه وله كما هو في مجمع اتحاد الجامع السوفيتية وفي المجامع السوفيتية المحلية . ونوع لا يكون العضو فيه على ملاك المجمع ، وإنما يتقاضى منه مخصصات شهرية أو سنوية . وهو في مثل هذه الحالة قد يكون موظفاً من موظفي الدولة ، وقد يكون غير موظف ، وفي الحالتين يتقاضى من المجمع من عضويته فيه مخصصات ومكافآت ملائمة . ومن هذا النوع الثاني عضويات المجامع في البلاد العربية .

وقد تحدثت عن كيفية الوقوف على عمل العضو المعين على ملاك المجمع فلا حاجة الى إعادة الكلام عليه . أما العضو من النوع الثاني ، أي العضو الذي يتقاضى مخصصات شهرية أو سنوية مقطوعة أو مخصصات مضروبة على أساس الجلسات التي يحضرها ، فقد حددت أنظمة المجامع عمله على الأوجه الآتية :

ارتأت بعض المجامع إعطاء المخصصات على أساس الجلسات ، جلسات العمل . فإذا حضر العضو جلسة ما استحق أجراً مقرراً عليها وإذا تخلف عنها سقط حقه في الأجر ، ولذلك اختلفت مخصصات العضو في مثل هذه الحالة باختلاف عدد الجلسات . وقد اتخذت هذه المجامع هذه الطريقة لضمان حضور الأعضاء الجلسات بصورة منتظمة . ولا يتقاضى مخصصات خلال العطل

لعدم عقد جلسات فيها . ويكون واجب العضو مقتصراً اذن على عمله في حدود الجلسة .

وارتأت بعض المجامع دفع المخصصات على أساس مخصصات شهرية أو سنوية مقطوعة دون الالتفات الى موضوع الجلسات ، وبناء على ذلك تدفع أكثر هذه المجامع مخصصات العضوية من أشهر العطلات الجمعية كذلك ، باعتبار أن المجمع في عطلة وفق نظامه أو قانونه ، ولذلك كان من حق العضو تناول المخصصات المقررة عن العطل أسوة بوظائف الدولة الأخرى كما في التدريس مثلاً .

ولما كان المفروض في العضو المجمعي أنه مقدر لعظم المسؤولية المترتبة عليه ، شاعر بواجبه ، وبالعبء الملقى عليه ، ولسمو المنزلة ، التي يتمتع بها بين النـــاس ، وبأهمية رسالة العالم ، فهو يحرص على أداء واجبه على نحو يرضي نفسه ، ويرضي غيره من الأعضاء ، ويرضي المؤسسة التي يشتغل فيها ، وهو لا يقبل بالطبع أن يظهر نفسه أمام المجمع بمظهر العاجز المخفق ، فيؤاخـذه المجمع عندئذ على كسله ، وإخفاقه إن ثبت ذلك عليه ، وقد يضطر إلى اتخاذ قرار بإخراجه من المجمع لعجزه هذا ، وإحالته على المعاش .

وقد تركت معظم أنظمة المجامع العلمية أمر تقصير العضو في أداء واجبـه ولم تشر إليـه ، وأغفلت كذلك الاشارة الى احتمال قيام أحد الأعضاء بعمل مخل بنظام المجمع ، باعتبار أن المجمع لا ينتخب عضواً إلا بعد إيقانه من صلاحه لهذا المركز العلمي الخطير ، وتركت بعض المجامع موضوع التقصير أو الاخلال بالنظام الى الأنظمة الداخلية باعتبار أنها جزئيات وتفاصيل لا يصح دخولها في صلب القوانين والأنظمـة ، وأن الاشارة اليهـا لا تليق بقانون المجمع أو نظامـه .

وموضوع التهاون بالواجب والتقصير في العمل من حيث المساهمة في نشاط المجمع ونتاجـه يخص المجامع الحكومية أو شبه الحكومية . أما المجامع الخاصـة ، أعني المجـامع التي لا دخـل للسلطات الرسمية في شؤونها من حيث ارتباط ميزانيتها بميزانية الدولة ، فلا دخل لها بهذا الموضوع . فمجامع مثل هذه هي أندية علماء في الواقع ، يدفع الأعضـــاء أنفسهم اشتراكات

بالبحوث الطبيّة ونشر الكتب والابحاث المتعلقة بها .

ولما شرع في إنشاء المجمع الفرنسي ، قسم في باديء الأمر الى أقسام ثلاثة ، هي العلوم الفيزيائية والرياضيات وعلم الأخلاق والسياسة والآداب والفنون الجميلة . ثم أعاد « نابليون » النظر في هذا التقسيم بجعله على النحو الآتي : علوم الفيزياء والرياضيات واللغة الفرنسية وآدابها والتأريخ القديم والآداب القديمة والفنون الجميلة ، ثم أدخلت على هذا التقسيم تعديلات أخرى فيما بعد .

وأشهر قسم في المجمع الفرنسي هو قسم اللغة والآداب ، واشتهرته هذه وذيوع اسمه عند الفرنسيين عرف منذ قدم بـ « Academie Francaise » من باب التعميم والتغليب . وقد افترض أن يكون أعضاؤه من أعظم أدباء فرنسة ، ومن أحسن كتابهم وشعرائهم بلاغة وبياناً وفصاحة وأصالة في الفكر والأسلوب وفي تطور فنون الكتابة والأدب . ولكن ذلك لم يحدث دائماً ، فإن كثيراً من أدباء فرنسة وشعرائها وعظمائها المفكرين لم يدخلوا هذا المجمع ، ولم ينتخبوا أعضاء فيه ، ولم يخلد في تاريخ الأدب الفرنسي من أعضائه الأربعين الذين كانوا سنة ١٩٣٤ مثلاً إلا الربع .

وقد سار سكان الولايات المتحدة على طريقة الأوربيين في تكوين المجامع ، وقد أنشأت بعضها بأوامر من « الكونكرس » . ولما كون المجمع الوطني للعلوم « The National Academy of Science » سنة « ١٨٦٣ » نص على إلزام المجمع بتلبية طلبات الدوائر الحكومية بالقيام بالبحوث العلمية وباجراء البحوث والاختبارات والتجارب وبتقديم التقارير في الموضوعات العلمية والفنية[1] » . وقد تألف المجمع الأميركي للفنون والعلوم « The American Academy of Arts and Sciences » في مدينة « بوسطن » من مواطنين مشهورين عرفوا ببحوثهم العلمية ، وذلك في سنة « ١٧٨٠ م » . وما زال يمارس أعماله . وقد

(١) راجع نظام هذا المجمع وقرار الكونكرس بانشائه .

شهرية أو سنوية الى المجمع لتمويله ولإدارة شؤونه ، ويكون أمر العضو اليه اختيارياً باعتبار أن عضويته وإن كانت عن طريق الترشيح والانتخاب ، لكنها ليست لإملاء وظيفة ؛ أو لاشغال مركز ؛ بل لعضوية اختيارية لمجمع يقوم العضو بخدمته تطوعاً واختياراً ليس غير . فما يقوم به العضو من واجب ، إنما يقوم به عن شعور أدبي شخصي ، لا عن تكليف والزام .

وعالجت بعضها موضوع تخلّف العضو عن الجلسات بالنص على وجوب حضوره جلسات المجمع حضوراً منتظماً ، وإلا عدّ مستقيلاً منه إن تخلف عن حضور عدد معين منها عن غير عذر مشروع . وقد نص بعض المجامع على اعتبار العضو مستقيلاً ان تخلف عن الجلسات المقررة بالتوالي ، ولم يتقيد بعضها بهذا القيد بل جعل العدد مطلقاً ، سواء أكانت الجلسات متوالية أم منقطعة ، وذلك لخشيتها من انقطاع العضو عدة جلسات متوالية ، فاذا بلغ الرقم الأعلى من الحد المقرر حضر الجلسة ، ثم عاد فانقطع ذلك العدد ، وهكذا . ولذلك جعلت العدد مطلقاً استدراكاً لوقوع مثل هذه الحوادث وهي لا تقع إلاّ نادراً من شخص لا يمكن أن يوصف إلا بعدم تقديره للمركز الخطير الذي يشغله .

والأقسام في المجامع ليست ثابتة مقررة ، إنما يتوقف تقسيم المجامع وتصنيفها — أول ما يتوقفُ — على الكفايات وعلى شخصيات المجمع . وقد يعاد النظر في تقسيمات مجمع ما على هذا الأساس . وقد يشتهر المجمع بقسم من أقسامه أو بعدة أقسام اطراداً مع انتاج الأعضاء وشهرتهم في الداخل وفي المحيط العالمي . ويتألف المجمع البروسي « الأكاديمية البروسية » للعلوم « The Preussische Akademie der wissenschaften » من قسمين رئيسين ومن أربعة فروع ، هي : علوم الفيزياء ، وعلوم الرياضيات ، والعلوم التي تدخل في الفلسفة ، وفروع التأريخ . ومقر هذا المجمع الرئيس مدينة « برلين » ، وقد أنشأ فروعاً له في مدن ألمانية أخرى . وقد تخصص بعض هذه الأقسام بفروع معينة من المعرفة ، فاشتهر فرع مدينة « ارفورت » « Erfurt » بالعلوم التطبيقية « Applied Sciencees » واشتهر فرع « كيسن « Giessen » ،

احتفل سنة ١٩٥٧ بانتقاله الى دار ضخمة تقع في ضواحي هذه المدينة وحكمت فيمن حضر الاحتفال . وهو يتكون من ثلاثة أقسام : قسم العلوم الفيزيائية والعلوم الرياضية ، وقسم العلوم الطبيعية والفيزيولوجية ، وقسم العلوم الأخلاقية والسياسية .

وأعضاء هذا المجمع ثلاثة أنواع : أعضاء أصليون ، وأعضاء مشاركون « Associates » ، وأعضاء أجانب مختارون من العلماء البارزين العالميين المعروفين في فروعهم واختصاصهم ، واشترط ألا يتجاوز الحد الأعلى للأعضاء فيه عن (٦٠٠) عضو .

ويقوم هذا المجمع بنشر البحوث والمفكرات العلمية ، ومساعدة الهيآت والجمعيات المعنية بالبحوث الفيزيائية والكيمياوية . وله وسام باسم « وسام رمفورد Rumford Medal » يقدمه الى كل من يقوم باكتشافات خطيرة وبتحسينات كبيرة مفيدة في موضوعات الضوء أو الحرارة في أي مكان كان من الولايات المتحدة . وله خزانة كتب عظيمة تحتوي على أثمن ما نشر وما كتب في حقول الرياضيات والكيمياء والفيزياء وما تنشره الجمعيات العلمية ، وهذا المجمع يقدم المساعدات المادية الى العلماء تمكيناً لهم من القيام بالبحوث العلمية ، وذلك بما توافر له من أموال وخيرات .

وفي كل دولة عدة مجامع أخرى تخصصت بفرع واحد من فروع المعرفة الإنسانية أو بنوع رئيس من فنون المعرفة ، مثل الفن أو الأدب أو الطب أو الرياضيات أو غير ذلك .

والحديث عن المجامع العامة أو المجامع الخاصة في أنحاء العالم ، حديث طويل يحتاج الى كتاب ضخم ، ويحسبي ما تحدثت عنه من ذلك .

وقد حدت أكثر المجامع الأدبية واللغوية واجباتها ، وخصصت أعمالها بالعناية بالأدب واللغة ، وذلك من حيث الأسلوب واختيار الألفاظ والكلمات ورفع الذوق والارشاد الى أرقى أنواع التعبير عن الرأي بأسلوب بليغ شائق ، وبالعناية بقواعد اللغة كالذي ذكرته من المجمع الفرنسي ، وكالذي نص عليه في نظام المجمع الاسباني اللغوي « Real Academia Espanola »

المؤسس في سنة « ١٧١٣ م » ، فقد نص في نظام هذا المجمع على أن واجبه هو العناية باللغة الاسبانية ، وذلك باختيار أنقى الألفاظ وأبلغ الجمل والتعابير وأحسن الأمثلة الفصيحة البليغة الواردة في آثار خيرة الكتاب والشعراء ، لنشرها بين الناس لرفع مستوى ثقافتهم الأدبية ، والسعي في طمس أساليب الكتابة الركيكة ، وإزالة الحوشي من الكلام والتعابير النابية . ونص أيضاً على أن من واجب هذا المجمع وضع معجم جامع للغة الأسبانية ، يرجع المتخصصون والعلماء اليه .

وقد اعتبرت بعض الدول ، المعجمات اللغوية ، من أهم أعمال المجامع وواجباتها ، لأنها المؤسسات الوحيدة التي تتمكن من القيام بهذا الواجب الثقيل ، بما لديها من متخصصين وعلماء أساطين متمكّنين في جميع جوانب المعرفة اللغوية ، ولأن لها من الامكانيات العلمية والمادية كما هو المفروض ما يكفيها للقيام بهذه الأعمال .

وقد سارت المجامع على اختلاف أنواعها على قاعدتين في موضوع تحديد العضوية ، فقيد بعضها العضوية بعدد معين ، وأطلق بعضها العدد فلم يقيده بعدد لا يتجاوزه أو بعدد أصغر لا ينقص . وتستوي في ذلك المجامع الحكومية والمجامع الأهلية . فاشترط المجمع الوطني الأميركي للعلوم ألا يزيد أعضاؤه على « ٢٥٠ » عضواً ، كما اشترط ألا يُنتخب في الاجتماع السنوي العام أكثر من خمسة عشر عضواً . واشترط المجمع الأميركي للفنون والآداب المؤسس بموجب قانون الاتحاد ألا يزيد أعضاؤه على الخمسين ، وأن تكون العضوية مقصورة على المنتسبين الى المعهد الوطني للفنون والآداب . واشترط المجمع الملكي البريطاني في أول أمره أن يكون عدد أعضائه أربعين عضواً ، ثم تغير هذا العدد بمرور السنين .

وليست الغاية من انشاء المجامع هو الحصول على شهرة لأجل الدعاية ، بأن يقال إن في الدولة الفلانية مجمعاً علمياً أو مجمعاً لغوياً أو مجمع أدب أو مجمع فنون ، أو أن يوجد محل يكون مجرد مأوى أو نادٍ يجتمع فيه فريق من الناس انتخبوا أو عينوا أعضاء في ذلك المجمع ، ثم

هم لا يعملون بعد ذلك شيئاً فيه ، وليست الغاية من انشاء المجامع مجرد تكريم وتقدير لفريق من الناس ، بل الغاية من انشاء المجامع شيء آخر ، هي كما قلت في مقدمة هذا البحث تطوير الفرع الذي أنشيء المجمع من أجله وسمي باسمه ، والتقدم به بالبحث وباجراء التجارب والاختبارات المنتظمة الاختصاصية الدقيقة دون كلل ولا ملل .

وقد اشترطت بعض المجامع كما رأينا مســــاهمة المجمع في اعداد العلماء والاختصاصيين وتهيئتهم لتطوير العلم النظري والعملي والفن والصناعة في قطر ما وإيصالهم الى مرتبة الاستقلال والاجتهـــاد .

وقد انتبهت مصر إلى هذه الناحية ، فكونت مجلساً دعي بـ « المجلس الأعلى للعلوم » ليقوم بحل المشكلات العلمية والصناعية والزراعية وزيادة الانتاج والدخل العام ، وذلك بحصر كل المشكلات المتعلقة بهذه الموضوعات فيه ، ووضعت تحت تصرفه ما يحتاج اليه من اختصاصيين ومن معامل متيسرة ، على أن تزيد في امكانياته في المستقبل من النواحي المادية والاختصاصية ، تاركة اليه تنسيق العمل وتوزيع البحوث بحسب الاختصاص . وقد قسم أعماله الى أقســـام ولجان ، وجعل من اختصاصه تدريب الباحثين لإيصالهم الى مراحل الاختصاص والاجتهاد ، والعمل على ايجاد طبقة من المجتهدين في جميع أنواع المعرفة العلميـة والفنية والصناعية ، لسد حاجة البلاد بهم ، وجعلت المجلس سلطة التخطيط للتنمية العلمية . وهذا المجلس كما يبدو من نظامه ومن واجباته أشبه شيء بالمجامع في الاتحاد السوفيتي . وقد كوّن وأنشيء على نمط عمله وأسلوبه .

ولهذا نجد المجامع العلمية في العادة لا تعنى إلا بالبحوث الاختصاصية العميقة العالية وباجراء التجارب والاختبارات لحل المعضلات الاختصاصية الفنيـة والعلمية والمهنية العويصة المعقدة . وهي لا تنشر إلا خلاصة عقول العلماء المتخصصين بعلمهم وفنهم وحرفتهم . ولهذا تكون لمنشوراتهم مهما تضاءل حجمها أهمية كبيرة عند العلمـاء ، وتكون وثيقة يرجع إليهـا ، لأنها

خلاصة عقل صاحب هذا البحث وتفكيره . اما اذا تساهل ، فقام بنشر بحوث ومؤلفات غير أصيلة ولا مركزة ، فإنه ينزل بذلك الى مستوى دور النشر ، ويفقد الصفة المجمعية ، ثم إنه قد يهبط عن مستوى دور النشر ، لعدم تمكنه بصورة عملية وتجريبية من اللحاق بها في سوق النشر ، لما لهذه الدور من أساليب الدعاية والوكالات والحوانيت .

ويتوقف هذا المستوى المجمعي — أول ما يتوقف — على الفكرة التي يحملها أعضاء المجامع عن المجمع وعن رسالته بين الناس ، وعلى مبلغ شعورهم بالقيمة الخطيرة المترتبة عليهم من جراء اكتسابهم هذه المنزلة المهمة في المجتمع ، فتكون منشوراتهم وبحوثهم أو بحوث الآخرين التي يتولى المجمع طبعها ونشرها ومجلتهم الخاصة بهم والتي قد تحمل اسم المجمع أو اسم القسم الذي اختصت به المرآة العاكسة لعمل المجمع ونشاطه وقابليات أعضائه في الفروع التي اختصوا بها ويمثلونها فيه .

ولهذا السبب وضعت كل المجامع شروطاً صعبة قاسية وتحفظات كثيرة في منح العضوية ، ولما كان الأعضاء المجمعيون أو الأعضاء العاملون كما تسميهم بعض المجامع ، هم أدمغة كل مجمع ، اشترطت المجامع أن يكون الرئيس وديوان الرئاسة من هذه الطبقة ، وإن خولت بعضها الأعضاء المؤازرين أو المشاركين أو المراسلين وباقي الأعضاء ، بحسب تصنيف المجامع لهم ، الاشتراك في انتخاب الرئيس وديوان الرئاسة ؛ ذلك لأن المفروض في الأعضاء المجمعيين أنهم نخبة من في البلد من متخصصين وعلماء ، وأنهم القادة والمرشدون لغيرهم من بقية صنوف العضوية المجمعية أو غير المجمعيين ، وأنهم هم المسؤولون عن سيرة المجمع وعن اعطاء ثمراته وتقديم حاصله للناس .

وعولجت قضية الضعف في بعض المجامع بأن جعلت العضوية المجمعية ، وظيفة من الوظائف ، كوظيفة الأستاذ في الجامعات الحكومية أو الجامعات الأهلية ، يتقاضى العضو أجراً شهرياً أو سنوياً مقرراً عليها مقابل انصرافه الى عمله المجمعي وتقديمه خلاصة علمه وتجاربه

الى المجمع المنتمي اليه ، فقد ثبت أن العضوية فى المجامع لا يمكن أن تأتي بالفوائد المرجوّة إن لم يمحض العضو كل جهوده ووقتـه لذلك المجمع . ولهذا قيدته بالخدمة فيه فى مقابل دفع أجور وقته الذي يستحقه عليه لو اشـتغل فى مكان آخر ، وشجعته بمنحـه أجوراً اضافية أخرى إذا انتج عملاً حرّاً أو اكتشف شيئاً أو توصل الى نتائج لم ينص عليها فى الواجب المفروض عليـه فى حدود هذه الوظيفة ، واشترطت فى مقابل ذلك تقديم تقرير عن عمله الى الدائرة المنتسب إليها الموقوف عليه ، أسوة بكل عمل أهلي أو حكومي يودع الى شخص مسـؤول .

أما إذا كانت العضوية المجمعية غير مقيدة بدوام كامل ، بل جعلت معلقة برغبة الأعضاء وبمحض اختيارهم فى الاتفاق على وقت يجتمعون فيه ، فإن العضوية فى مثل هذه الحالة لا يمكن أن تكون منتجة مثمرة ، لأن العضو لا يكون فيها مسـؤولاً عن عمله ، كما لو كان على الملاك الدائم للمجمع ، وهو يشعر أن ما هو مطلوب منه يمكن تأديته فى اجتماعات بسيطة تعرض فيها أمور شكلية ، يبت فيها ، ثم تنتهي بذلك واجباته . والمجمع فى مثل هـذه الحالة ، لا يختلف فى عمله عن أعمال بعض دور النشر البسيطة أو عمل ناد من الأندية المعروفة . ولهذا السبب نجد المجامع فى أكثر البلاد الشرقية لم تأت بالفـائدة المرجوة من تأسيس المجامع ، فلم تتمكن من وضع المعاجم المجمعية على الطريقة الحديثة ، ولم تأت بالبحوث الأصيلة المجمعية ، وإن كان عذر بعضها أنها حديثة المولد ، وأنها لم تبلغ القرن من العمر أو يزيد .

وأنا لا أريد هنا أن أحمّل المجامع الشرقية عربيـة أو غير عربية وزر التهاون فى الانتاج ، فإن ذلك حاصل الظروف السكانية المحيطة بالبلد برمته ، لا حاصل عمل جلة أعضاء يكونون مجمعاً . فالتخصص فى بلد ما وللظروف العلمية والثقافية والأحوال المادية والنفسية والمعنوية التي يعيش فيها ولغير ذلك ، دخل فى أوضاع المجامع وفى عملها ، كما سأتحدث عن ذلك فى الجزء الآتي من هذه المجلة .

للبحث صلة

جواد علي

مصطلحات فى علوم الفضاء

عملت هيئة المجمع طوال السنة ١٩٥٨ — ١٩٥٩ فى وضع مجموعة من المصطلحات فى علوم الفضاء تناولت مختلف حقولها واختصاصاتها . وتتألف هذه المجموعة وهي خامس مجموعة من المصطلحات العلميـة ينجزها المجمع وينشرها — من (١٦٥) مئـة وخمسة وستين مصطلحاً صنفت فى خمس موضوعات :

١ — الفضاوات والأجواء .

٢ — الصواريخ والقذائف والتوابع .

٣ — العلوم الفضائية .

٤ — الملاحة الفضائية .

٥ — الأدوات والأجهزة والمواد .

وقد اقتبس المجمع هذه المصطلحات من مجموعة مقررة أصدرتها جامعة الجو باللغة الانكليزية واستثنى المجمع من مجموعة الجامعة ما كان مؤلفاً من حروف أولى الكلمات عدة يتكون منهـــا المصطلح على اسلوب شائع فى اللغـات الاجنبية فى صوغ المصطلحـات العلمية والفنية ولما يجد طريقه بعد الى اللغة العربية . وكذلك استثنيت أسماء المواقع والمؤسـسات .

لقـد استنفد وضع هـذه المجموعة من المصطلحات شطراً كبيراً من وقت المجمع وجهوده خلال السنة ١٩٥٨ — ١٩٥٩ . فقد وجد المجمع ان مواد علوم الفضاء — وهي علوم استحدثت أكثر موضوعاتها خلال السنوات القليلة الماضية — قد كثر تداولها بين العلماء من الناحيـة الواحدة وبين القراء على اختلاف منـــازعهم من الناحية الثانية فتداولتها الصحف اليومية والمجلات . والتفت المجمع الى أهمية الموضوعات التي ترتبط بعلوم الفضاء وصلتها بمجتمعنا وبالعالم

أجمع . كما وجد المجمع أن هيئة علمية عربية لا تستطيع بمفردها وضع مصطلحات عربية في هذه العلوم وأن المبادرة الى وضع مصطلحات عربية فيها يسهل نقل موضوعاتها الى اللغة العربية نقلاً مستوفياً الإبانة الصحيحة والمحتوى العلمي والتخصص .

ان الكثرة من هذه المصطلحات تدل على معاني ومفاهيم مستحدثة نشأت مع نشوء هذه العلوم ونموها . وبعضها قد استخدم للدلالة على معاني ومفاهيم موسعة ما كانت لتدل عليها كلماتها قبل ان تستخدم في موضوعات هذه العلوم . والمصطلحات ان كانت حديثة الصوغ كمصطلح مرتكز الاطلاق ومصطلح سرعة الانفلات أو كانت مصطلحات قديمة اكتسبت معاني موسعة كمصطلحات الفضاء والجو والهواء — تقتصر على موضوعات قذائف الفضاء ومركبات الفضاء والقوانين الطبيعية التي تخضع لها القذائف والمركبات .

ان اتساع الألفاظ القديمة لمعاني مستحدثة واستيعابها مفاهيم جديدة أمر لابد منه في موضوعات هذه العلوم وهو الى ذلك وسيلة للتعبير محتمة لا يقتصر التوسل بها على هذه الفروع العلمية بل يشمل كل علم نام متطور . وواضح ان لامناص من ان يسري استخدام الالفاظ للتعبير عن مفاهيم موسعة — في اللغات التي نشأت فيها تلك المفاهيم — من أن يسري على النقل الى اللغة العربية أو الى اللغات الأخرى .

إذا أخذنا على سبيل المثال كلمات مألوفة ثلاثة من موضوعات هذه المصطلحات هي الفضاء والجو والهواء وتتبعنا خطوات اتساعها لمعاني علمية جديدة ومراحل استخدامها بالتوالي للتعبير عن مفاهيم ناشئة متطورة في اللغات التي نمت فيها العلوم الجديدة نرى ان مجرد وضع مصطلح لها في اللغة العربية يضفي على لفظ المصطلح معاني لم يكن اللفظ يتسع لها قبل اختيار المصطلح العربي واقراره . ونتبين كذلك طبيعة المهمة التي تقع على عاتق الهيئات التي تضطلع بالنقل وانها اذا ما استنفدت كل مجهود بدراية وسعة اطلاع لم يبق امامها سوى ان تقر النقل على هذه الصورة . وان لابد للمؤسسات التي تستخدم المصطلحات العربية والافراد الذين يتداولونها من قبول الفاظ المصطلحات بالمعاني الجديدة .

عرف الفضاء في مجموعة جامعة الجو بأنه (١) ما يمتد في كل اتجاه ولا تخوم له حيث يجعله خارجياً ولا حدود لامكان قسمته . ثم عرف بأنه (٢) قسم من هذا الامتداد مقطوع أومحدود على صورة ما كأن تحده الحدود الخارجية لجو الارض. ثم انه (٣) ما يمتد بين جو الارض أو جو الارض المؤثر وبين تخم خارجي غير محدد توضع فيه توابع أرضية في مدارات أو قذائف تسيارية تتبع مسارات مرسومة أو مركبات تحمل انساناً أو لا تحمل تتنقل بين أجرام فضائية . والفضاء تصور فراغاً وتصور وعاء فيه مادة على شكل شهب وغبار شهب ودقائق اشعاع . وتصورت امتدادات مختلفة من الفضاء كما في المصطلحات فضاء المجرات وفضاء الكواكب وفضاء النجوم وفضاء القمر وفضاء ما دون القمر وفضاء الارض .

عرف الجو بأنه (١) الجسم الهوائي الذي يحيط بالأرض ترسم حدوده الخارجية دقائق من الهواء على قلة يندر معها أن تصطدم الواحدة منها بالأخرى فلا ترتبط بدقائق طبقات الهواء التي تقع تحتها إلا بقوة الجاذبية . ثم عرف بأنه (٢) الجو المؤثر وهو ذلك القسم من الجو الذي يؤثر تأثيراً فعالاً في فعل ما يجري فيه أو حركة ما تقع فيه وتختلف حدوده الخارجية باختلاف الفعل أو الحركة الذين ينظر اليهما . مثال ذلك أن تابعاً أرضياً يدور على إرتفاع ٢٥٠ ميلا يبقى في الجو الأيوني إلا انه لا يعتبر داخل الجو المؤثر لأن دقائق الهواء على هذا الارتفاع هي على قلة لا تسبب معها احتكاكاً أو انحرافاً محسوسين .

ويعتبر الجو بالتعريف (١) عادة متكوناً من طبقات أو كرات مختلفة يمتد آخرها الى ارتفاع ألف ميل أو أكثر فوق الأرض . وهي من إحدى وجهات النظر الجو الأدنى (التروبوسفير) والجو الأعلى (الستراتوسفير) والجو الايوني . وهي من وجهة نظر أخرى الجو الأسفل والجو الوسط والجو العالي . ولكن هذه الكرات نفسها أو كرات أخرى تتصور قد تتصف بخواص تعطيها أسماء أخرى كأسماء الجو الكيميائي والجو الموحد الحرارة والجو الأوزني والجو الأقصى والجو الحيوي والجو الحراري وما بين الجوين .

وعرف الهواء بأنه (١) مزيج الغازات في الجو . ثم عرفه بأنه (٢) العنصر [1] الذي

(١) استخدم لفظ العنصر هنا بغير مقابله في علم الكيمياء .

يرفع الطائرات أو يقاوم الأجسام التي تتحرك فيه . ثم انه (٣ — أ) منطقة فوق الأرض وحولها — بما فيها الجو وما بعده الفضاء — تخضع لسيطرة المركبات الهوائيـة والمركبات الفضائية . كما وانه (٣ — ب) قسم من هذه المنطقة يشتمل على الجو الى حدوده المؤثرة العليا ولا يشتمل على الفضاء الخارجي .

وقد اتجه أخيراً نحو قصر لفظ الهواء عندما يستخدم للمعنى (٣) على المعنى (٣ — ب) . وهذا يؤدي الى غموض في مصطلحات شاع استعمالها كمصطلحات الهجوم الجوي (الهوائي) والسيطرة الجوية (الهوائية) والقوة الجوية (الهوائية) والمركبة الهوائيـة والحرب الجوية (الهوائية) والسلاح الجوي (الهوائي) . فقد كان لهذه المصطلحات مدلولات واسعة يسهل فهمها حتى ظهرت امكانيات السفر في الفضاء فأوجدت ضرورة للتفريق بين الطيران في الهواء (أي الجو) والطيران في الفضاء الخارجي . فتقلص مدى مدلول تلك المصطلحات تلقائياً . وبدا واضحـاً أن لا بد من تغيير في التعبير لكيما يتجنب الغموض . لذلك يرد في تعريف الدفاع الجوي القاري مصطلح الهجوم الجوي وقد حدد مدلوله فيقال أنه دفاع موحد (عن القسم القاري من البلاد) ضد الهجوم الجوي والهجوم القذائفي .

وقبل أن نترك مصطلح الهواء والمعاني الموسعة التي يحملها لفظ الهواء بعد نشـوء هذه الموضوعات في علوم الفضـاء نقول كم يتمنى الكاتب بهذه الموضوعات باللغة العربيـة لو أن لفظ الهواء استخدم بدلاً عن لفظ الجو في المصطلحـات : الهجوم الجوي والسيطرة الجوية والقوة الجوية والحرب الجوية والسلاح الجوي .

يتضح من التعاريف الواردة لمصطلحات الفضاء والجو والهواء ومن تتابع مراحل اتساعها لمفاهيم جديدة تبعاً لنشوء تلك المفاهيم — يتضح أن لا مناص من أن يسري استخدام الألفاظ للتعبير عن مفاهيم موسعة على النقل الى اللغة العربية واللغات الأخرى .

اننا صنفنا المصطلحات التي نعرضها أدناه والتي تتألف منها المجموعة الخامسة من مصطلحات

المجمع – في أبواب خمسة على سبيل تقريب موضوعات كل منها — وهي موضوعات مستحدثة – وتسهيل تتبع معانيها ومن ثم قبول المصطلح العربي الذي وضعه المجمع لها بعد درس وتمحيص طويلين للتعاريف الموضوعة لها وتتبع لأوجه تداولها في المراجع .

الفضاوات والأجواء

Aeropause	عماء
Aero - space	الجو فضاء
Atmosphere	الجو
Biosphere.	جو الأحياء
Celestial Sphere	الكرة السماوية
Chemosphere	الجو الكيمياوي
Cosmos	الكون
Ecosphere	الجو الحيوي
Effective Atmosphere	الجو المؤثر
Exosphere	الجو الأقصى
Gravisphere	الجو الجاذبي
Intergalactic Space	فضاء المجرات
Interplanetary Space	فضاء الكواكب
Interstellar Space	فضاء النجوم
Ionosphere	الجو الأيوني
Lunar Space	فضاء القمر
Mesosphere	ما بين الجوين

Outer Space	الفضاء الخارجي
Ozonosphere	الجو الأوزوني
Sensible Atmosphere	الجو الحس
Space	فضاء
Stratosphere	الجو الاعلى
Terrestrial Space	فضاء الأرض
Thermosphere	الجو الحراري
Translunar Space	فضاء ما بعد القمر
Troposphere	الجو الادنى
Universe	العالم

الصواريخ والقذائف والتوابع

Aircraft Rocket	صاروخ طائرة
Antimissile Missile	القذيفة المضادة
Artificial Earth Satellite	التابع الأرضي الصناعي
Ballistic Missile	القذيفة القسيارية
Biosatellite	التابع الاحيائي
Booster Rocket	صاروخ معناهر
Carrier Rocket	صاروخ وازر
Dry - fuel Rocket	الصاروخ الجاف الوقود
Earth Satellite	التابع الأرضي
Exploratory Rocket	صاروخ الاستكشاف

Guided Aircraft Missile	قذيفة موجهة طائرة
Guided Missile	القذيفة الموجهة
Intermediate Range Ballistic Missile	القذيفة التسيارية المتوسطة المدى
Liquid Rocket	صاروخ السائل
Meteor	شهاب
Meteoric Particles	دقائق الشهب
Missile	قذيفة
Missileman	قذائفي
Missile Range	ميدان القذف
Missile Unit	وحدة القذف
Moon	قمر
Moon Rocket	صاروخ قمري
Multistage Rocket	الصاروخ الراحلي
Orbital Bomber	قاصفة مدارية
Orbital Rocket	صاروخ مداري
Postsputnik	ما بعد سبوتنك
Reconnaissance Satellite	تابع استطلاعي
Research Rocket	صاروخ متبحث
Rocket	الصاروخ
Rocket Engine	جهاز صاروخي
Rocket Missile	قذيفة صاروخية
Rocket Motor	محرك صاروخي

Satellite	تابع
Single - stage Rocket	صاروخ مرحلة
Solid Rocket	صاروخ الصلب
Sounding Rocket	صاروخ سابر
Space Rocket	صاروخ فضاء
Space Vehicle	مركبة فضائية
Space Weapon	سلاح فضائي
Sputnik	سبوتنك

العلوم الفضائية

Astrionics	الالكترونية الفلكية (الكهروبية الفلكية)
Astrobiology	علم الاحياء الفلكي
Astronaut	الملاح الفلكي
Astronautics	الملاحة الفلكية
Ballistics	التسيارية
Bioastronautics	الملاحة الفلكية الاحيائية
Biodynamics	الدينامكا الاحيائية (علم الحول الاحيائي)
Celestial Mechanics	الميكانيك السماوي
Human Engineering	الهندسة البشرية
Missilry	علم القذائف
Planetology	علم الكواكب
Space Biology	علم الأحياء الفضائي

Space Law	قانون الفضاء
Space Medicine	الطب الفضائي
Space Warfare	الحرب الفضائية
Telemetry	قياس البعيد

الملاحة الفضائية

Absolute Zero	الصفر المطلق
Aeroembolism	انسداد هوائي
Anoxia	اللا اكسية
Ballistic Condition	الحالة التسيارية
Ballistic Trajectory	المسار التسياري
Burnout	الانطفاء
Burnout Velocity	السرعة الانطفائية
Center of Mass	مركز الكتلة
Central Control	السيطرة المركزية
Cislunar	ما دون القمر
Coasting Flight	طيران انسيابي
Constant of Gravitation	ثابت الثقل
Coriolis Force	قوة كوريولس
Cosmic Rays	الأشعة الكونية
Count-down	العد النازل
Ebullism	تفقع

Eccentric	المنحرف عن الدائرة
Eccentricity	الانحراف عن الدائرة
Escape Velocity	سرعة الافلات
Exhaust Velocity	سرعة النفاد
Free Flight Trajectory	مسار الطيران الطليق
Geophysical Constant	الثابت الجيوفيزيائي
Heliocentric	شمسي المركز
Hypersonic	فرط صوتية (تركيب مزجي)
Hypoxia	الدون اكسية
Inertial Guidance	الهدي الاستمراري
Inertial Force	قوة الاستمرارية
Isothermal Region	منطقة متساوية الحرارة
Light Year	السنة الضوئية
Mach	ماخ
Mechanical Border	حد الآلية
Orbit	مدار
Orbital Velocity	السرعة المدارية
Reaction Time	وقت التفاعل
Reentry	كرور
Reentry Trajectory	مسار الكرور
Selenocentric	قمري المركز
Separation Velocity	سرعة الانفصال

Sloshing	التخضخض
Sonic Speed	السرعة الصوتية
Supersonic	فوق صوتية
Takeoff Weight	وزن الانطلاق
Thrust	الزبن
Thrust Cutoff	هدم الزبن
Vertical Launch	إطلاق عمودي
Weightlesseness	انعدام الوزانة
Zerogravity	الثقل الصفر

الأدوات والاجهزة والمواد

Acquisition and Tracking Radar	الرادار (الكاشوف) المعقب
Air Frame	هيكل الصاروخ
Analogue Computer	الحاسبة بالقياس
Control System	جهاز السيطرة
Digital Computer	الحاسبة بالعد
Doppler Radar	رادور (كاشوف) دوبلر
Exotic Fuel	وقود خارق
Gravirecepter	قابلة ثقل
Guidance System	جهاز الهدي
Hydrazine	الهايدرازين

Hydrazone	الهايدرازون
Ion	أيون
Ion Engine	عفاز أيوني
Ionize	أين
Launch Pad	مرتكز الاطلاق
Launch Point	نقطة الاطلاق
Liquid Oxygen	الاوكسجين السائل
Liquid Propellant	داسر سائل
Monopropellant	داسر موحد
Nose Cone	قمع
Orb	جرم سماوي
Oxidizer	مؤكسد
Radar	رادار (كاشوف)
Reaction Engine	عفاز تفاعل
Reaction Motor	محراك تفاعل
Remaining Mass	الجذمور
Rocket Propellant	داسر صاروخي
Solid Propellant	داسر صلب
Solid Rocket Fuel	وقود صاروخ الصلب
Space Cabin	غرفة فضائية
Space Laboratory	مختبر فضائي

Telemeter	مقياس البعيد
Test Sphere	كرة اختبار
Test Vehicle	مركبة اختبار
Vernier Engine	محفاز فرنير
Warhead	الرأس الحربي

شيث نعمان

في كتاب مؤرخ العراق ابن الفوطي

تعقيب وتصحيح

نجز أخيراً طبع القسم الأول من الجزء الثاني من كتاب « مؤرخ العراق ابن الفوطي » لمؤلفه محرر هذه المجلة مذيلاً بفهارس آخرها فهرس بتصحيح الأغلاط المطبعية وقد فاتنا في الواقع تصحيح أغلاط أخرى من هذا القبيل لم يتضمنها الفهرس المذكور ، والقصد من كلمتنا هذه التنبيه على بعض ما فاتنا من ذلك مع الاشارة الى الوجه الصحيح وذلك على الصورة الآتية :

١ — الفتح بن خاقان وأبو الغوث ابن البحتري

في مستهل المائة الرابعة ، وفي خلافة المكتفي العباسي قدم الى العراق من الشام أحد أبناء البحتري ، ويدعى أبا الغوث يحيى وذلك بعد مرور سنين غير قليلة خلت على وفاة أبيه اذ أن أبا عبادة البحتري توفي — في أصح الأقوال — سنة ٢٨٤ ، هذا وقد ورد في الكتاب اسم الفتح ابن خاقان وزير المتوكل ، وكذلك اسم كلٍّ من المبرد صاحب الكامل وابن المعتز صاحب الطبقات في جملة من تحدث اليهم أبو الغوث ابن البحتري وذلك في مقدمة هذا الى سامراء وبغداد ، والصحيح ان الفتح بن خاقان قُتل مع المتوكل قبل ذلك التاريخ بكثير أي انهما قتلا معاً سنة ٢٤٧ أما المبرد فانه مات سنة ٢٨٥ أو قبل هذا التاريخ بسنةٍ واحدة ، ولا يخفى ان ابن المعتز قتل سنة ٢٩٥ قتله المقتدر ، والخلاصة اقحمت اسماء هذه الطبقة سهواً في هذا الموضع من الكتاب [1] .

(١) مؤرخ العراق ابن الفوطي ٢ : ٢٦٠ .

٢ — الناصر العباسي وولده

الظاهر

لا يخفى أن الظاهر العباسي المتوفى سنة ٦٢٣ هو من أولاد الناصر لدين الله ، ومن الأغلاط المطبعية في الكتاب [1] وضع اسم « المستنصر » مكان « الناصر » والصحيح ما جاء في آخر البحث نفسه من أن الناصر لا المستنصر هو والد الخليفة المذكور .

٣ — مؤلف كتاب لطائف المعاني

هذا الكتاب أعني « لطائف المعاني لشعراء زماني » من مآخذ ابن الفوطي في مصنفاته خصوصاً معجمه المسمى « تلخيص مجمع الآداب » وقد نسب كتاب اللطائف سهواً لجمال الدين أحمد بن مُهنا الحلي العبيدلي [2] وقد ظهر لنا بعد التحقيق ان الكتاب من مصنفات شيخ آخر من شيوخ ابن الفوطي لقبه « تاج الدين » والغالب انه تاج الدين علي بن انجب المعروف بابن الساعي مؤرخ العراق وان لم يرد لكتاب اللطائف ذكر في قائمة مصنفات ابن الساعي المعروفة في كتب المؤرخين وقد اعتاد ابن الفوطي ان يقول كلما أراد الاقتباس من كتاب اللطائف ما هذا لفظه .

« قال شيخنا تاج الدين في كتاب لطائف المعاني [3] » هذا وقد نشأ هذا الاشتباه في نسبة الكتاب الى جمال الدين ابن مهنا من وجود كتاب له — أي لابن مُهنا — اختار له اسماً شبيهاً باسم كتاب ابن الساعي وهو « الطارف الحسان من فضلاء الآن » [4] وكتاب

---

(١) مؤرخ العراق ابن الفوطي ٢ : ١٦٢

(٢) المصدر نفسه .

(٣) تلخيص مجمع الآداب ط لاهور ١٢٣ ، ٧١٤ .

(٤) المصدر نفسه ٢١٨ .

الطرف كمنوه ككتاب الطائف من مآخذ ابن الفوطي وما أكثر مآخذه الطريفة النادرة ، ويلاحظ ضياع كل من هذين الكتابين فلا أثر لهما هذا اليوم ولا يخفى ان ابن نُمنا كابن الساعي من شيوخ مؤرخنا المذكور .

٤ - سهو في تأريخ واقعة

ورد اسم « المستعصم » سهواً في تاريخ واقعة وقعت بين الجيش العباسي والجيش المغولي سنة ٦٣٥ (١) ، ولا يخفى ان المستعصم آخر خليفة عباسي بويع سنة ٦٤٠ أي بعد تاريخ تلك الواقعة بخمس سنوات ، والصواب أن يوضع اسم « المستنصر في المورد المذكور » .

بقيت أغلاط مطبعية أخرى تركنا التنبيه عليها اعتماداً على فطنة القراء .

محمد رضا الشبيبي

١٤ جمادي الأولى سنة ١٣٧٩
١٩٥٩/١١/١٤

(١) مؤرخ العراق ابن الفوطي ٢ : ٦٣ وراجع الصفحات التالية ٨١ ، ٨٦ ، ١٠٣ .

باب الكتب

مؤرخ العراق ابن الفوطي

بحث في أدوار التاريخ العراقي ، من مستهل العصر العباسيّ إلى أواخر العصر المغولي ، تأليف الأستاذ العلامة الجليل محمد رضا الشبيبي .

الجزء الثاني في ٣١٦ صفحة من الورق الأبيض من قياس ١٧ – ٢٤ سم وهو من مطبوعات المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ ، وقد طبع في مطبعة المجمع .

وكان مؤلفه الأستاذ الجليل قد أخرج الجزء الأول سنة (١٣٧٠ هـ = ١٩٥٠ م) مطبوعاً بمطبعة التفيض الأهلية ، ثم تهيأ له طبع الجزء الثاني في هذه السنة ، وقد احتوى على فوائد كثيرة ومادة غزيرة ، من التاريخ والأدب فضلاً عن عدة فهارس سهلت فوائده وقيدت شوارده وأوابده ، وهي في الأعلام والقبائل والفرق والجماعات والبلدان والأمكنة والبقاع والكتب والمراجع والمستدركات ، وفي صدره فهرس محتويات الكتاب الشامل لجميع الأبواب ، ومنها الكلام على الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب [1] ، وخصائص النسخة ، وتدقيق المؤلف ابن الفوطي وتحقيقه ، وأسلوب تحرّيه للألقاب والتشويش الطارئ على نسخة الجزء الرابع والجزء الخامس ، وأسلوب مؤلفه في كتابة التاريخ ، وبيان الأقدار المشتركة بين ابن الفوطي وابن خلدون ، والتصوّف عند هذا المؤرخ المؤلف ، ووراقته وأسلوبه الخاص ، ومهنة التعليم

(١) هذه تسمية مختصرة دالة ، واسمه الكامل « تلخيص مجمع الآداب المرتب على معجم الأسماء في معجم الألقاب » كما جاء في آخر الجزء الرابع بخط المؤلف كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني البغدادي المعروف عند المؤرخين بابن الفوطي .

والنسخ عنده ، والعلم بالمخطوطات والخطوط ، والعناية بتسجيل التاريخ الخاص بالأدب والثقافة ، ويلي ذلك الكلام على تشويش النسخة المشار اليه آنفاً والاعتذار من وقوع الأستاذ الجليل في أوهام عند النقل والاقتباس منها ، قبل زمن غير قليل ، وذلك للدلالة على السلامة من الوهم ومن الغلط في الاقتباس هذه المرة ، ثم الاشارة إلى مثال آخر من الفساد والتحريف ، والكلام على ابتذال الألقاب ، وطرائفها ، وعلى كتب المؤرخين التي استمدت من معجم ابن الفوطي هذا ، وقد استغرق هذا البحث « ٥١ » صفحة من الكتاب — أعني هذا الجزء — .

وتكلم المؤلف الفاضل في الصفحة ٥٩ وما يليها على كتاب الأخبار والحوادث التاريخية الضائع اسم مؤلفه ، الذي كان قد سمي ، « الحوادث الجامعة » استرجاحاً ، فأبديت أنا ذلك الاسترجاح ، وقت على طبعه سنة ١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م باسم « الحوادث الجامعة » . ثم تبين لي أنه ليس الحوادث الجامعة ولا يمكن أن يكونه أبداً ولو على ظن ضعيف ، وذلك لاختلاف النمطين وتباين الاسلوبين ، واختلاف مناحي الكتابين في ذكر التراجم ، وخفاء ذاتية مؤلف الحوادث ، وظهور ذاتيـــة ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب ، ولكون « الحوادث الجامعة » مؤلفاً في الوفيات كما جاء في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب [1] وكشف الظنون لحاجي خليفة ، ولأن مؤرخاً من المؤرخين الذين عاصروه أو الذين جاؤوا بعده لم ينقل منه ولا ذكره في غير ترجمة المؤلف أي ابن الفوطي ، حتى شمس الدين الذهبي وقد كان أعلم المؤرخين بما ألفه ابن الفوطي وأنقلهم منها ، وأوقفهم عليها . وفي ذلك برهان على ضآلة شأنه فلا يصح

(١) قال ابن رجب نقـــلا عن الذهبي : « وله — يعني ابن الفوطي — كتاب التاريخ على الحوادث وكتاب حوادث المئة السابعة والى أن مات ... وذكر غيره أنه جمع الوفيات من سنة ستمائة سماه الحوادث الجامعة والتجارب النافعـــة الواقعة في المائة السابعة ، وهذا هو الذي أشار اليه الذهبي » . (ذيل طبقات الحنابلة ٢ : ٣٧٥) . وقال حاجي خليفة في كشف الظنون : « تاريخ ابن الفوطي متعدد كالذيل على الجامع المختصر لشيخه ابن الساعي (والحوادث الجامعة في الوفيات) ومجمع الآداب » . ١ : ١٠ العمود ٢٧٩ طبعة وكالة المعارف التركية » . ويجوز كون حاجي خليفة ناقلا من ذيل طبقات الحنابلة المذكور لتأخر عصره عن عصر ابن رجب .

أن يقال : لم يؤلف كتاب الحوادث الجامعة ليكون معجماً ...

وأما الذي يرى من التقارب القليل أو الكثير بين ما في كتاب الحوادث وما في غيره من كتاب ابن الفوطي ، وكتب التاريخ الأخرى فسببه أن ابن الفوطي ومؤلفي تلك الكتب ينقلون جميعاً من تواريخ تاج الدين علي بن أنجب المعروف بابن الساعي إلى سنة ٦٧٤ هـ وهي سنة وفاة ابن الساعي (١) ، أو تواريخ من نقل من كتبه . ومن البديهيات عند علماء التاريخ أن المؤرخين القدماء قد ينقل بعضهم من كتب بعض ويأثرون المنقول أحياناً بالنص ، فلو كان التشابه دليلاً على اتحاد المؤلفين لوجب أن يكون مؤلفو التواريخ المتشابهة مؤلفاً واحداً ، مع ثبوت اختلافهم في الذاتيات والعصور ثبوتاً لا يتطرق الشك عليه . قال صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي في ذكر التواريخ الجامعة : « وتاريخ الاسلام لشيخنا شمس الدين الذهبي ، وهو كتاب علم نافع جداً ، قرأت عليه المغازي التي له وسيرة النبي — ص — وإلى آخر أيام الحسن — رضي — وحوادثه إلى آخر سنة سبعمائة ولم انتفع بشيء مثله (وعليه العمدة في هذا الكتاب ، وهو القطب لهذه الدائرة ، والاس لهذه الجملة السائرة) (٢) » وقال شهاب الدين ابن حجر العسقلاني في مقدمة كتابه الإنباء : « وغالب ما أورد فيه ما شاهدته وتلقفته ممن أرجع اليه ووجدته بخط من أثق به من مشايخي ورفقتي كالتاريخ الكبير للشيخ ناصر الدين ابن الفرات ... ولصارم الدين ابن دقماق وقد اجتمعت به كثيراً وغالب ما أنقله من خطه ومن خط ابن الفرات عنه ، وللحافظ العلامة شهاب الدين أحمد بن علاء الدين بن حجي الدمشقي ... والفاضل البارع المفنن تقي الدين أحمد المقريزي والحافظ العالم شيخ الحرم تقي الدين محمد بن

---

(١) قال عماد الدين بن كثير الدمشقي في كتابه البداية والنهاية يذكر وفاة ابن الساعي سنة ٦٧٤ : « ابن الساعي المؤرخ ... سمع الحديث واعتنى بالتاريخ وجمع وصنف ولم يكن بالحافظ ولا بالضابط المتقن — يعني في الحديث — وله تاريخ كبير عندي أكثره ، ومصنفات أخر مفيدة ... » ، وقد محا تاريخه من تاريخ ابن الساعي المذكور .

(٢) الوافي بالوفيات ٥ ، ١ : ٥٠ ، ١٥ .

أحمد بن علي الفاسي القاضي المالكي بمكة ، والحافظ المكثر صلاح الدين خليل بن محمد بن محمد الأقفهسي وغيرهم . وطالعت عليه تاريخ القاضي بدر الدين محمود العيني[1] ... » . وقال عماد الدين ابن كثير في حوادث سنة ٧٣٧ من البداية والنهاية : « قلت : هذا آخر ما أرّخ شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي في كتابه الذيل ، ذيّل به على تاريخ الشيخ شهاب الدين أبي شامة ... وقد ذيلت على تاريخه — رح — الى زماننا هذا ، وكان فراغي من الانتقاء من تاريخه في يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وسبعمائة أحسن الله خاتمتها » .

وبذلك علمنا أنه قد ينقل من كتب لم يرها اعتماداً منه على علم الدين البرزالي .

وقد استخلص الأستاذ الشبيبي من كتاب الحوادث المقدم ذكره ، فوائد جليلة ، في سيرة الشعب العراقي الاجتماعية ، وفي أمور سياسية قليلة ، وزيّنها بالأشباه والنظائر من تواريخ أخرى فجاءت كبحث اجتماعي نفيس ، ووازن في أثناء ذلك بين كتاب الحوادث ، هذا المجهول المؤلف على تحقيقنا ، وبين[2] ما قدّر هو أن يكونه الحوادث الجامعة ، وخلص من ذلك الى التسوية بينهما ، فاستوعب ذلك أكثر هذا الجزء ، وشبك آخر البحث بالكلام على التنجيم والأحكام لمناسبة بينهما ، ثم تكلم على خزانة كتب الرضي ابن طاوس ، وخزانة علي بن المنجم ، وعلى بني المنجم الرواة الأدباء الثقات[3] ، وانجرّ به البحث إلى موازنات أدبية ، وتكلم من التراجم تروق قراءتها ، لظرافة كاتبها وطرافة محتوياتها ، وبها ختم الكتاب المستطاب ، الذي هو متعة لذوي الألباب ، وحديقة أدب فيها كل غرس بهيج .

وقد رأيت فيه ما تَرْكُ التنبيه عليه يعدّ إخلالاً بالواجب العلمي في النقد ، فأقول معلقاً

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر « نسخة المكتبة الأهلية بباريس ١٦٠١ الورقة ٢ » ونسخة مكتبة الأوقاف ببغداد .

(٢) كررنا « بين » بعد الأسين الظاهرين خشية الالتباس مع ضعف التكرار في مثل هذا الوضع .

(٣) وردت كلمة « الثقات » في الصفحة ٦٥ بصورة « الثقاة » ولم تكن من غلط الطابع فقد كررت في الصفحة ٢١٢ ، وغيرها وهي غلط في الرسم والصواب « الثقات » لأنها جمع « الثقة » كالهبة والهبات .

بحسب ترتيب الصفحات :

(١) — ذكر الاستاذ الجليل في الصفحة الثامنة من الكتاب أنّ أول نسخة الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب ، هو ترجمة « عزالدين الحسن بن يوسف البغدادي الفقيه » . وكان قد نشر ثلاث صفحات مصورة من أصل هذا الجزء ، وذلك في الجزء الأول من كتابه هذا « مؤرخ العراق ابن الفوطي » وعلق على الصفحة الأولى والثانية منهن ما هذا نصه « أول الجزء الرابع من معجم ابن الفوطي » . وفي أول الصفحة الأولى ترجمة « عز الدين الحسن بن يوسف » المذكور ، وليس ذلك بصواب ، فان أول المشور عليه من هذا الجزء[1] هو ترجمة « عزالدين بن الحداد » وقد وقعت الترجمة في الورقة « ١٢٠ » من النسخة المصورة ، تليها ترجمة رجل مجهول الاســـم دون اللقب ، تليها ترجمة « عز الدين أبي الفتح أحمد بن اسماعيل الشيرازي » وتأتي بعدها ترجمة رجل مجهول الاسم ، يليه « عزالدين البطائحي » فرجل مجهول الاسم ، وتعقبه ترجمة « عزالدين أبي بكر أحمد بن أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن علي بن موسى القنائي الأصل الكاتب » فترجمة لرجل مجهول ، وتأتي بعدها ترجمة « عز الدين أبي العباس أحمد بن سلطان بن أبي بكر المستعمل المعروف بابن الاصفر الحريمي »[2]، وهي آخر تراجم الصفحة المذكورة . ومن الواضح البين أن الاسم « أحمد بن اسماعيل » والاسم « أحمد بن سلطان » يأتيان في ترتيب حروف المعجم قبل « الحسن بن يوسف » الذي ذكره الأستاذ الجليل ، وبذلك تثبت صحة قولي ، ويؤيده أنّ الأستاذ محمد بن عبدالقدوس القاسمي أحد الأساتذة في جامعة بشاور

(١) الجزء ناقص الأول ، وكان واجباً التنبيه على ذلك .

(٢) راجع المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي ١ : ١٨٢ ، ومما ضاع من هذا الجزء أي الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب وقدرناه « عزالدين ابراهيم بن الحسن والي القاهرة » و « عز الدين ابراهيم ابن عبد الله المقدسي الزاهد » و « عزالدين إبراهيم بن علي بن عبد السلام الموصلي » و « عز الدين إبراهيم ابن أبي علي الشيرازي » و « عزالدين إبراهيم بن محمد السويدي الطبيب » و « عزالدين ابراهيم بن محمد بن عبـد الملك بن المقدم » و « عزالدين ابراهيم بن محمد بن ذرغان الخطيب » و « عزالدين أحمد بن أبراهيم الفاروثي » و « عزالدين أحمد بن جعفر البعمري » .

بالباكستان وهو ناشر الجزء الخامس من تلخيص معجم الألقاب ، وقد شرع في نشر العالم من الجزء الرابع وأخرج منه ثلاث ضميمات في « ٤٩٨ ترجمة » تنبّه الى أن الصفحة الأولى من المعثور عليه من الجزء الرابع هي الصفحة التي ذكرتها ، تقدمها في النشر على جميع الموجود من الجزء ، على أنه مع فضله وأدبه لم يعثر على اسم عز الدين أحمد بن الحسين الفنائي ولا على اسم عز الدين أحمد بن سليمان ابن الأصفر المستعمل ، وأنا قد عثرت عليها بوساطة ما بقي من تراجمها ، ولذلك ذكرت أسماءها .

(٢) — وقال الأستاذ الجليل في الصفحة المذكورة أعني الثامنة : « وعلى هذا يتراوح عدد الأجزاء التي يتألف منها الكتاب — يعني تلخيص معجم الألقاب — بين الستة إلى الثمانية على أقل تقدير أكثرها مفقود » . ثم قال في الصفحة ٤٤ : « يتراوح عدد أجزاء هذا المعجم بين الستة والسبعة جلُّها ضائع مفقود » . فبأي القولين يأخذ القارىء ؟ أما أنا فأقدره بسبعة أجزاء .

(٣) — وقال في الصفحة التي تليها أي التاسعة : « وتوجد صورة أخرى لنسب ابن الفوطيّ على نسخة من تاريخ ابن الأثير نسخها ابن الفوطي بنفسه في بغداد سنة ٦٩١ تشتمل على حوادث سنة ٣٤٩—٣٦٢ وهي من أنفس مخطوطات المكتبة الأهلية بباريس » وقال في الحاشية : « ووصف مؤلف فهرست المخطوطات العربية الموجودة في المكتبة الأهلية بباريس نسخة من الكامل لابن الأثير تبتدئ من سنة ٣٣٩ وتنتهي في سنة ٦٢٠ فقال ... » ، وهذا التعليق يشعر القارىء بأن هذه النسخة المذكورة في الحاشية هي غير النسخة المذكورة في المتن ، والصحيح أن المجلد واحد وأنه يبتدئ بحوادث سنة ٣٤٩ لا سنة ٣٣٩ كما جاء في الحاشية وأنه ينتهي بسنة ٦٢١ لا بسنة ٣٦١ كما جاء في المتن ولا بسنة ٦٢٠ كما جاء في الحاشية ، وما ينبئك مثل خبير رأى ذلك المجلد وقرأ فيه ونقل منه ، فأرقامه في دار الكتب الوطنية المذكورة هي « ١٤٩٩ » جاء في الصفحة الأولى منه « المجلد الثاني من الكتاب [الموسوم] بالكامل في

التاريخ ، بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين . ثم دخلت سنة تسع وأربعين وثلاثمائة . ذكر ظهور المستجير بالله ... » . وجاء في آخر المجلد في الورقة ٢٨٨ : ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وستمائة ، ذكر استيلاء غياث الدين على شيراز وصلحه مع صاحبها : في هذه السنة استولى غياث الدين بن خوارزمشاه على مدينة شيراز وبعض بلاد فارس وكان قد سار إليها ، أواخر سنة عشرين وستمائة . آخر الكتاب الموسوم بالكامل في التاريخ والحمد لله حق حمده وصلواته كتبه المحتاج[1] إلى رحمة الله وعفوه عبد الرزاق بن محمد (كذا) بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن عمر بن أبي المعالي الشيباني المعروف بالفوطي — عفا الله عنه — [سنة[2]] إحدى وتسعين وستمئة بمحروسة مدينة السلام — حماها الله مع سائر بلاد الاسلام — وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

(٤) — وجاء في الصفحتين ١٠ ، ١١ قول المؤلف الفاضل : « وإذا ما قارنا بين ما وصل إلينا من المخطوطات التي دوّنها ابن الفوطي في مصنفاته وغيرها — ولدينا منها جزء من تاريخ الكامل لابن الأثير وكتاب الأحكام لأبي سعيد والجزءان الرابع والخامس من تلخيص مجمع الآداب ظهر لنا فرق واضح في خطه على عهد شبابه فإنه خط غير بالغ الجودة كما نراه في كتاب الأحكام ، فإن ابن الفوطي فرغ من نسخ هذا الكتاب سنة ٦٦٨ في محلة الخاتونية الخارجة من محال بغداد ، وقد عاش بعد ذلك أكثر من خمسين سنة[3] اكتسب فيهما خطه جودةً عظيمة كما نراه في نسخ الأصل الباقية من معجمه في التاريخ » .

قلت : الصحيح أنه فرغ من نسخها سنة (٦٨٠) وقد رأيتُ هذه النسخة عند كوني في طهران قبل سنوات قلائل وقد جاء في آخرها ما نصه « تم الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه ،

(١) هذه الجملة قد انمحت من المخطوط ، وينبغي أن يكون تقديرها كذلك .

(٢) هذه الكلمة قد نصل حبرها .

(٣) لأنه توفي في سنة ٧٢٣ فعلى هذه القراءة الخاطئة لتاريخ النسخة يكون قد عاش بعده لسخها ٥٥ « ٥٥ » سنة .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه ، علّقه لخزانة كتب سيدنا ومولانا المخدوم الصاحب المعظم صدر الحق والدين نصير الاسلام والمسلمين أبي الحسن بن علي بن مولانا المعظم نصير الدين أبي جعفر محمد بن محمد الطوسي — أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره . عبده وخادمه وغرس أياديه وأنشأه عبد الرزاق بن أحمد بن محمد البغدادي بمنزله بالخاتونية الخارجة من شرقي مدينة السلام ، في يوم الخميس العاشر من شوال سنة ثمانين وستمئة هجرية ، والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله وسلامه » .

وفي الهامش « نقل من نسخة سقيمة كثيرة التصحيف وصحح بقدر الامكان » ، « وبلغت مقابلة بنسخة سقيمة وبقي فيها أشياء ينبغي أن تُعاود » .

ومما قدمنا نعلم أن ابن الفوطيّ كتبها وعمره ثمان وثلاثون سنة ، وقد جرت السادة أن يستحكم خط الكاتب والناسخ والمتعلم قبل هذه السنّ ، ويستكمل الجودة إن كانت ممكنة له ، أما أن خط ابن الفوطي لم يبلغ الجودة في هذا الكتاب فلأن النسخة كانت سقيمة ، كما نقلنا آنفاً لا تترك ميلاً فنياً للكاتب ، وهذا أمر نفساني ، ولأن قطّة القلم تختلف عن غيرها في نسخ مثل هذا الكتاب النحوي فتكونُ دقيقة ، ولأن ابن الفوطي قد أسرع نسخَها ، وكان مشهوراً بسرعة النسخ في أمثال هذا الكتاب ، ومن حسن حظنا أن الأستاذ الجليل قد نشر في كتابه صورة تلك الصفحة الأخيرة ، بازاء الصفحة ٢٠٨ من كتابه هذا وتاريخها سنة (٦٨٠) كما ذكرتُ لا سنة ٦٦٨ كما قال الأستاذ في البحث ، على أنه قد جاء خط الخاتمة قوياً ذا جودة ظاهرة وحبر غليظ السواد لأنه كتبها متأنياً بقطة قلمية أخرى فليتأمل ذلك المتأملون ، وعندي صورة واضحة أعطانيها الدكتور حسين محفوظ .

(٥) — وقال الشيخ الجليـل في الصفحة ١٣ : « جاء في باب المعين لقب (عصفور الشوك) وهو محمد بن داود الأصفهاني المحدث صاحب كتاب الزهرة ، علّق [ابن الفوطي] على الترجمة بخطه هذه العبارة ، (ليس من شرط هذا الكتاب) ، هذا كل ما علّق به على

هذه الترجمة ولم يزد على ذلك ، ولا نعرف لماذا يخرج مصنف كتاب الزهرة عن شرط كتابه مع أنه من مشاهير الأدباء المصنفين في الشعر والأدب ، وهو مصنف كتاب الزهرة ؟ والأرجح أن محمد بن داود الأصفهاني لم يكن معروفاً باللقب المذكور » .

قلت : ذكر ابن الفوطي قبل هــذا الرجل « عصفور الجنة أبا محمد بن قيس الحضرمي المحدث » نقلاً من كتاب (كشف النقاب عن الأسماء والألقاب) للعلامة أبي الفرج ابن الجوزي ، ولم يقل فيه إنه خارج عن شرط الكتاب ، فأنا أستدرجح أن يكون سبب خروج « عصفور الشوك » عن شرط الكتاب إشماره بحقارة الملقّب أو حطٍ من قدره كما هو واضح من قولهم عصفور الشوك ، وإلا فان ابن داود الظاهري كان معروفاً بعصفور الشوك ، قال الخطيب البغدادي في تاريخه « ٥ : ٢٥٦ » بسنده عن رويم بن محمد قال : « كنا عند داود بن علي الاصبهاني إذ دخل عليه ابنه محمد وهو يبكي ، فضمّه إليه وقال : ما يُبكيك ؟ قال : الصبيان يلقبونّي . قال : فبأي أيش حتى أنهاهم ؟ قال : يقولون لي شيئاً . قال : قل لي ما هو حتى أنهاهم عن الذين ؟ قال يقولون لي : ياعصفورالشوك . قال: فضحك داود فقال له ابنه : أنت أشد علي من الصبيان ، مم تضحك ؟! فقال داود : لا إلــه إلا الله ، ما الألقاب إلا من السماء ، ما أنت يا بني إلا عصفور الشوك » .

وقال الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات « ٣ : ٥٨ » : « كانـ يُلقّبُ بعصفور الشوك لنحافته وصفرة لونه » . وقال ابن حجر العسقلاني في « نزهة الألباب » في الألقاب « عصفور الشوك هو محمد بن دواد الظاهري [1] » . إذن كان معروفاً بعصفور الشوك .

(٦) — وجاء في الصفحة المذكورة « خرّج — يعني ابن الفوطيّ — على عنوان معين الدين علي بن محمد بن علوان بن مُهاجر الوزير بـنجار ترجمة ضافية لا أثر لها في المتن والظاهر أنه عثر على الترجمة المذكورة بعد الفراغ من الكتاب » وقال في الحاشية . « جاء في الترجمة

(١) أصول التاريخ والأدب ، من مجموعات الكتاب الخطية ج ٤٣ ص ٢١٦ .

السعدركة أن معين الدين من أهل تكريت ثم من الوصل ، وزر بسنجار ، بنى بالموصل في سكة بني أنجيح (كذا والصواب بني تيجبيح) داراً للحديث وقف عليها الوقوف الحسنة ، انظر أيضاً ٥/٦٧٩ وفي هامش هذه الصفحة من الجزء الخامس ملاحظة عن والد معين الدين المذكور وهو على الأرجح الملقب كمال الدين بن مهـــاجر المترجم في حرف الكاف من هذا الجزء ٢٦٤ » .

قلت : جاء في الجزء الخامس في الرقم ٥٧٢ من ألقاب الكاف : « كمال الدين أبو المكرم محمد بن علي بن مُهاجر الموصلي الصدر الرئيس ، كان رئيساً جليل القدر ، نبيه الذكر ، كان مرشحاً للوزارة ، وله أخلاق حسنة وله وقوف على دار الحديث بالموصل قال تاج الدين [علي بن أنجب] ابن الساعي في تاريخه : وفي شهر [1] رمضان سنة سبع وعشرين وستمائة [1] وصل كمال الدين أبو المكرم رسولاً من الملك الأشرف وتلقاه موكب الديوان ، وكان المسيب ... » .

ولم يذكر ابن الفوطي إلا ما قاله ابن الساعي في هذه المناسبة ، وعجز عن ذكر تاريخ وفاة الرجل ، قال الصلاح الصفدي بعد ذكر ترجمته : « وكانت وفاته في سنة أربع وثلاثين وستمائة [2] » . وقال قبله سبط ابن الجوزي في وفيات سنة ٦٣٤ : « وفيها توفي الكمال بن مُهاجر ، كان كثير المال والصدقات ، مات بدمشق في جمـــادى الأولى فجأة ودفن بقاسيون وأخذ الأشرف جميع ما وُجد له بدمشق [و] تبلغ قيمته ثلاثمائة ألف دينار ، أراني الأشرف من ذلك سبحة فيها مائة حبة مثل بيض الحمام ، والحمد لله [3] » .

فبهذا قد علمنا أن وفاته وقعت سنة ٦٣٤ فكيف نجعله أباً لمعين الدين علي بن محمد بن علوان ابن مُهاجر، على الارجح ، ونحن لا نعرف تاريخه ؟ إن والد معين الدين أبي محمد بن علوان هو

---

(١) لم يذكر هذا الخبر مؤلف كتاب « الحوادث » الذي سميناه خطأ « الحوادث الجامعة » وأنت عالم بما يدل عليه ذلك ، من اختلاف المؤلفين أحدهما من الآخر .

(٢) الوافي بالوفيات « ٤ : ٢٣ » .

(٣) مختصر مرآة الزمان « ٨ : ٧٠٣ طبعة حيدر آباد » .

شرف الدين أبو المظفر محمد بن علوان بن مُهاجر الفقيه الشافعي وذلك بدلالة الاسم قبل غيرها قال عز الدين بن الأثير في وفيات سنة ٦١٥ : « وفيها [1] في المحرم توفي شرف الدين محمد بن علوان بن مهاجر الفقيه الشافعي وكان مدرساً في عدة مدارس بالموصل وكان صالحاً كثير الخير والدين سليم القلب — رحمه الله — [2] » .

وترجمه ابن الدبيثي ، قال كما في المختصر : « محمد بن علوان بن مهاجر أبو المظفر الفقيه الشافعي الموصلي ، قدم بغداد في صباه للتفقه وأقام بالنظامية ومدرسها يومئذ يوسف بن بندار الدمشقي وحصل المذهب ودرس ، ثم بنى مدرسة ، وكتبتُ عنه بالموصل وقال لي : ولدت سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، وتوفي في المحرم سنة خمس عشرة وستمائة [3] » .

فالعكس إذن هو الجائز أي أن يكون أبو المكرم محمد بن علي بن مُهاجر ولداً لا والداً لمعين الدين أبي القاسم علي بن محمد ، على حسب ظاهر الاسم ، ولا يجوز القطع بالبداهة ، فربما كانا من أسرة واحدة ولأحدهما قرابة مع الآخر ، غير الأبوة والبنوة ، على أنه لا فائدة في التعرض لما لم يوفَّ حقه من التحقيق كمثل هذا الترجيح بلا مرجح .

(٧) — وذكر في الصفحة ٢٠ مقتل الأمير آقباش بن عبد الله الناصري بمكة سنة ٦١٧ وقال : « ومن الطريف أن سبط ابن الجوزي غمز الخليفة [الناصر لدين الله] ودار الخلافة على الاكتفاء — يعني الاجتزاء — بالحزن المجرد في هذه الحادثة التي قتل فيها أمير الركب العراقي

---

(١) لم يذكر ابن الأثير هذه الوفاة في النسخة التي بخط ابن الفوطي وهي النسخة الأولى القائمة مقام النشرة الأولى يومئذ .

(٢) « الكامل » ج ١٢ ص ١٣٦ طبعة محمد أفندي مصطفى بالقاهرة » .

( ) المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي لبغداد « ١ : ١٠٥ » وقد أحالت لي الحاشية هناك على تاريخ الاسلام للذهبي وطبقات الشافعية الكبرى « ٥ : ٣٢ » لتاج الدين السبكي ففيهما ترجمته .

(٣) وتم قبل ذلك ما كان تجنبه واجباً ، فقد قتل العراقيون ، وأسيرهم يومئذ مجير الدين طاشتكين ، أمير الحاج الذي أرسله صلاح الدين الأيوبي وجماعة ممن كانوا معه ، وكان ذلك في سنة ٥٨٣ « الكامل ١٢ : ٢١٢ » فتأثر الناصر من تكرار مثل ذلك .

والحجاج العراقيون فقال : لم يخرج الركب لقاء الحاج وأدخل الكوس والعلم في الليل ولم تنتطح فيه عنزان وقد كان أولى أن تتناطح الكباش ، انظر مرآة الزمان ط حيدر آباد ٨ : ٦١٠ ، ٦١١ » .

وليسمح لي الأستاذ الجليل بأن أقول إني لا أرى ذلك ظريفاً من سبط ابن الجوزي بل ضرباً من الغفلة إن لم يكن غير ذلك ، أفيجوز أن يرسل أمير المؤمنين يومئذ جيشاً لمحاربة المكيين وإخافة حرم الله الآمن ، وسفك الدم في ذلك الموضع المقدس ؟! أراد سبط ابن الجوزي أن تنتطح الكباش في جوار بيت الله الحرام ، على أن الأمر لم يكن كما قال سبط ابن الجوزي فانه كان مجازفاً في ذكر الحوادث والأخبار كما قال شمس الدين الذهبي ، قال ابن الأثير في سرد هذه الحادثة وارتكاب أمير مكة الحسن بن قتادة بن ادريس العلوي الحسني هذا الحدث : « وأحاط أصحاب حسن بالحاج لينهبوهم فأرسل اليهم حسن عمامته أماناً للحجاج ، فعاد أصحابه ولم ينهبوا منهم شيئاً ، وسكن الناس وأذن لهم حسن في دخول مكة وفعل ما يريدون من الحج والبيع وغير ذلك ، وأقاموا بمكة عشرة أيام وعادوا فوصلوا الى العراق سالمين ، وعظم الأمر على الخليفة ، فوصلت رسل حسن [الى بغداد] يعتذرون ويطلبون العفو فأجيب إلى ذلك [١] » .

هذا وقد ذكر ابن كثير الدمشقي في حوادث سنة ٦١٧ من البداية والنهاية أن قتل آقباش كان خطأ لا عمداً وغلطاً لا قصداً .

(٨) — وجاء في حاشية الصفحة ٢٣ : « وقال — يعني ابن الفوطي — في ترجمة أحمد أصراء البطائح : رأيت للبطائح تاريخاً حسناً صنفه القاضي المذاري (٤ — ١٩٩) وهي جملة معترضة تدل على ولعه بالتاريخ وشدة طلبه للكتب المصنفة » .

قلت : إن اسم مؤلف تاريخ البطائح قد تصحف على الأستاذ الجليل لاعلى ابن الفوطي فانه كان أعرف بالكتب ، فهو « المنداني » لا « المذاري » قال ابن الفوطي كما في نسختي التي

---

(١) الكامل في حوادث سنة ٦١٨هـ ج ١٢ ص ١٥٥ » .

انتسختها لنفسي من الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب : « قطب الدين أبو هلال بدر ابن المظفر بن سعاد بن أبي الجبر الليثي البطائحي الأمير ، صاحب البطائح ، من بيت الامارة والرئاسة ، وكانت البطائح في أيامهم حرماً آمناً ، وهم من قبيلة جليلة ، لم تزل تلك مواطنهم إلى هذه الغاية ، ورأيت للبطائح تاريخاً حسناً قد سنده القاضي المندائي[1] » .

وهذا المندائي هو أبو العباس أحمد بن بختيار الواسطي ، قال أبو الفرج بن الجوزي في وفيات سنة ٥٥٢ من المنتظم « ١٠ : ١٧٧ » : « أحمد بن بختيار بن علي بن محمد أبو العباس الماندائي الواسطي ، ولي القضاء بها مدة ، وكان فقيهاً فاضلاً ، له معرفة تامة بالأدب واللغة وبد باسطة في كتب السجلات والكتب الحكمية ، سمع أبا القاسم بن بيان وأبا علي بن نبهان وغيرهما ، وكان يسمع معنا على شيخنا ابن ناصر وصنف كتاب القضاة (وتاريخ البطائح) وغير ذلك وكان ثقة صدوقاً ، توفي في جمادى الآخرة من هذه السنة وصلي عليه في النظامية ودفن بمقبرة باب أبرز » ، وأخذ هذه الترجمة وزاد عليها ياقوت الحموي في معجم الأدباء « ١ : ٣٧٩ » واقتبس منها مؤلف البغية « ص ١٢٩ » .

وذكره تاج الاسلام أبو سعد بن السمعاني في تاريخ بغداد ، ولم يذكر وفاته قال : « أحمد ابن بختيار بن علي بن محمد الماندائي أبو العباس ، من أهل واسط ، ولي القضاء بها مدة . فقيه فاضل له معرفة كاملة باللغة والأدب وبد باسطة في كتب السجلات والكتب الحكمية ، سمع ببغداد ... كتبت منه ببغداد وكان ثقة صدوقاً ، متفنناً وقرأت عليه المقامات التي أنشأها الامام أبو محمد القاسم بن علي الحريري وسألته عن مولده فقال : يوم الأحد الثاني عشر من ذي الحجة

---

(١) التلخيص « ٤ : ٣٠٨ من نسختي » . قال ابن خلكان في ترجمة الحريري من الوفيات : « والمندائي : بفتح الميم وسكون النون وفتح الدال المهملة ومد الهمزة » ، وقد يمد ثانيه فيقال « الماندائي » . وهو منسوب الى المندائيين أصحاب الديانة المندائية المعروفين أيضاً بالصابئة والمغتسلة ، وقد ألف المكاتب عبد الحميد عبادة — ر ح — كتاباً في ديانتهم سماه « كتاب مندايي أو الصابئة الأقدمين » نشره سنة ١٩٢٧ وهؤلاء المندائيون قد أسلموا وتشفعوا وبقي عليهم اسمهم القديم وكانوا يتهربون منه .

سنة ست وسبعين وأربعمائة [1] » .

وقال ابن الدبيثي في ترجمة أبي العلاء محمد بن الحسن بن الحسين الشيرازي : « ذكر القاضي أبو العباس أحمد بن بختيار بن المندائي الواسطي في تاريخه الذي جمعه وذكر أخبار البطيحة قال : وفي يوم الثلاثاء ثالث عشري ذي القعدة سنة خمسمائة توفي الوزير أبو العلاء بواسط [2] » ، ولأبي العباس المندائي ترجمة في غير هذه الكتب ، لا أود الاطالة بذكرها ، وهذا واضح كسابقه بحمد الله تعالى .

(٩) — وتكلم الأستاذ الجليل في حاشية الصفحة ٢٨ على نهر معلى ودرب الآجر بالجعفرية وسوق السلطان وكرّر أكثر النصوص في حاشية الصفحة القابلة لها ، والجواب من ذلك ذكرناه في كتاب « دليل خارطة بغداد ص ٣٠٠ » . وقد تصحف عليه في الصفحتين المذكورتين « باب بيبرز » إلى « باب مرو » . وباب أبرز أو باب بيبرز هو محلة الفضل والسيد عبدالله اليوم من شرقي بغداد ، ولم يكن ببغداد « باب مرو » يوماً من الأيام .

(١٠) — وقال في الصفحة (٣٠) : « المدرسة الخاتونية والمرجح أنه اسم ثان المدرسة التاززانية » . وهذا ترجيح بلا مرجح ، فالمدرسة الخاتونية منسوبة إلى الخاتون السلجوقية زوجة الخليفة المستظهر بالله وكانت حنفية كسائر السلجوقيين والسلجوقيات ، قال أبو الفرج ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٢٢ : « وفي جمادى الآخرة رُتب [الحسن بن سلامة] الشبيعيّ في مدرسة خاتون المستظهرية ، رتبه موفق الخادم [3] » ، وتسمى أحياناً المدرسة الموفقية أو مدرسة موفق [4] لأن موفقاً هذا كان يتولى أمرها إذ ذاك وكان مملوكاً للخاتون . فإن كان عند

(١) تاريخ بغداد للفتح بن علي البنداري المقتبس من تاريخ الخطيب البغدادي وتاريخ ابن السمعاني وتاريخ ابن الدبيثي » نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٦١٥٢ الورقة ١٥ » .

(٢) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢١ الورقة ٣٣ » .

(٣) المنتظم « ١٠ : ٩ » .

(٤) المرجع المذكور « ص ١٣٢ » .

الاستاذ الجليل دليل على ما قال فإنه ردناه لنشكره شكراً جزيلاً .

(١١) — وقال في الصفحة « ص ٤٤٨ عند ذكره أسماء المؤرخين الذين اقتبسوا من معجم الألقاب لابن الفوطي كما حسبه وظنه هو : « ابن أبي رافع . السلامي » ثم قال في الصفحة « ٥٠ » : « رابعاً ابن أبي رافع السلامي » . وكذلك قال في الفهرست « ص ٣٢٣ » .
والصواب « ابن رافع السلامي » قال ابن حجر : « محمد بن رافع بن أبي محمد هجرس بن محمد ... تقي الدين أبو المعالي بن رافع [1] ... » .

وقال ابن تغري بردي في وفيات سنة ٧٧٤ : « وتوفي الشيخ الحافظ تقي الدين محمد بن جمال الدين رافع بن هجرس بن محمد بن شافع بن السلامي المصري الشافعي بدمشق عن ستين سنة ... وذيل على تاريخ البخاري [2] » .

(١٢) — وقال في الصفحة ٣٩ بعد أن ذكر تشويش أوراق الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب : « أوقعنا هذا العبث أو التلفيق كما أوقع غيرنا في أوهام لم نفطن إليها إلا بعد مضي زمن غير قليل ، ومن تلك الأوهام ما وقع في اللباب وهي رسالة لخصناها من هذا المعجم وسيأتي وصفها عن قريب ومنها ما وقع في رسالة أخرى لنا عن ابن الفوطي ومنها ما وقع في كلمة نجدها في مقدمة الحوادث الجامعة أو الكتاب المنحل الذي أطلق عليه الاسم المذكور » .

ولم يذكر الاستاذ الجليل كيف اهتدى إلى معرفة الأوهام التي لم يفطن إليها إلا بعد زمن طويل [3] ، على أنَّ هذا يعني أنه — حفظه الله — قد سلم من أمثال تلك الأوهام هذه المرة ، وحذرها كل الحذر ، وتنزه عن الوقوع في أشباهها ، وليس الأمر على ما ذكر ، فقد وقع في

---

(١) الدرر الكامنة « ٣ : ٣٩ » .

(٢) هكذا جاء في طبعة دار الكتب المصرية « ١١ : ١٢٤ » وهو خطأ والصواب « تاريخ ابن النجار » .

(٣) ذكرت في ترجمة عز الدين المهلبي في تكملة إكمال الاكمال « ص ٣١٢ » أن ترجمته نسبت الى غيره في رسالة (مؤرخ العراق ابن الفوطي ، ص ٧) وقد طبع كتاب التكملة سنة ١٩٥٧ .

مثل تلك الأوهام ، وأعطى « فخر الدين محمود بن الحسن بن عبد الوهاب القهستاني الكاتب » غير ترجمته « ص ١٤٦ » وادّعى أن « عفيف الدين أبا عبد الله يوسف بن علي بن أحمد المعروف بابن البقال البغدادي سقطت ترجمته من نسخة الجزء الرابع المعثور عليها ، مع أنهما لم يسقط منها حرف واحد فضلاً عن سقوطها كلها ؛ فأما فخر الدين محمود بن الحسن القهستاني فلا صلة له بالترجمة التي حمّله إياها على ظهره بعد مرور تلك العصور [1] ، وإنما هو « فخر الدين محمود ابن الحسن بن عبد الوهاب القهستاني الكاتب : من بيت الرئاسة والوزارة والكتابة المعروف ببني المحتشم ، ولهم نسب متصل بمالك بن الحارث الأشتر » . هذا ما قاله ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب ، وقد ذكر ابن الفوطي في الجزء الخامس من هؤلاء بني المحتشم « كافي الدين مظفر بن عبد الملك القهستاني الكاتب الحاسب وابنه كريم الدين أبا محمد عبد الصمد بن مظفر الحاسب ، ولم يذكر لهما صلة بالعراق ولا قرابة بحاكم من حكام العراق كما فعل الأستاذ الجليل « آنفاً ص ١٤٦ » ، على أن هذا لا يتخذ دليلاً على أن الترجمة التي نقلها في الحاشية ليست ترجمة القهستاني المذكور ، فلي أدلة على نفيها عنه أنا مُدلٍ بها وهي :

أ — أن من المعلوم أن كل صفحة على يمين القارىء في تلخيص معجم الألقاب تحتوي على أكثر من عشرة أسماء من الأعيان ذوي الألقاب ، ولا تتجاوز خمسة عشر اسماً إن كانت فيها زيادة ، وأنّ كل صفحة على يسار القارىء تحتوي على أكثر من عشر تراجم ، وفي حال الزيادة لا تبلغ بل لا تتجاوز خمس عشرة ترجمة . والصفحة التي فيهــــا « فخر الدين محمود بن الحسن

(١) قال في ترجمته : « قدم العراق كاتباً على أموالها ومتصدراً عن أحوالها ، وعزل سعيد الدولة بن الدباس سنة ٧٢١ ولما توجــه المخدوم شمس الدين محمد بن الحسن الذي لعمارة بلاد العراق فوض إليه أمر غربي بغداد ، وكان البلد قد خرب معظمه وكثر العيث والفساد به ، فقام واجتهد ودبر البلاد وفعل من أبواب السياسة ما لم يهتد إليه الخلفاء والملوك من البويهية والسلجوقية ، وتقدم أن لا تماق ذكاكينهم وأمرهم أن لا يقربوها ، ويبيتوا في بيوتهم ولم ينقص شيء منه من متاعهم ، وأخرج من الحبوس وكثرت الأدعية له ولمخدومه » . وقال : « هذا ما أورده المؤلف في معجمه من سيرة الحاكم القهستاني — وهو — أعني ابن الفوطي — كما لا يخفى معاصر للحاكم المذكور » . والقهستاني بريء من هذه الترجمة .

القهستاني » القدم ذكره فيها أيضاً اسم « جار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري العلامة » ملقباً بلقب « فخر خوارزم » فينبغي أن تكون له ترجمة مقابلة له ، صغيرة كانت أو كبيرة ، وهو من أشهر العلماء المسلمين ، والأعيان الذائعي الصيت ، ومعالم سيرته واضحة لكل معنيّ بالسير والتراجم الاسلامية ، والحقيقة أن الصفحة المقابلة لاسمه خالية من كل ذكر له فضلاً عن أن يكون له فيها ترجمة ، فأين ذهبت الترجمة ؟

والدليل الثاني أن في صفحة اسم « القهستاني » المذكور آنفاً اسماً لرجل هذه صورته « فخر الدين أبو علي محمود بن كمال الملك علي ابن أحمد السميرمي الصدر » ، وليس في الصفحة التي نقل منها الشيخ الجليل ترجمة القهستاني ترجمة لهذا الرجل ولا ذكر ، وإنما جاءت ترجمته في صفحة أخرى هي الصفحة التي نقلنا منها ترجمة القهستاني على وجه الصحة والتحقيق ، ونصّ ترجمته — أعني فخر الدين أبا علي محمود ابن كمال الملك — هو « من أولاد الصدور الأكابر بأصبهان ، وسميرم المنسوب اليها من نواحي أصبهان ، قرأت بخطه :

عاتبتني وجال ماء الحيـاء في	وجنتيها فزاد [1] حراً ووقدا
ثم ألقته في ناره أسود الخا	ل فكانت له سلاماً وبردا

قال العماد الاصفهاني : كان لكمال الملك ولدان : عضد الدين محمد وفخر الدين محمود ، فالعضد تزهّد ، وأما فخر الدين فتولى المناصب الفاخرة [2] » .

فهل يستطيع قائل أن يقول إن هذه الترجمة ليست ترجمة فخر الدين محمود ابن كمال الملك علي السميرميّ ؟ لا يستطيع البتة ، فهي واضحة مبينة ثابتة مؤكدة بجميع ما يمكن من التواكيد .

والدليل الثالث أن الصفحة التي نقل منها الشيخ الجليل ترجمة « فخر الدين محمود القهستاني » فيها ترجمة « فخر الملوك رضوان ابن السلطان تتش بن ملكشاه السلجوقي » . وإذ كانت

(١) أعاد الفعل الى الخد المفرد .

(٢) التلخيص « ٤ : ٢٧٣ من نسختي بخطي » .

ترجمة رضوان هي الرابعة بين التراجم ، فهي بين الدال والذال معاً من جهة والسين من جهة أخرى ، وهي بعيدة من الميم الذي منه « محمود القهستاني » وقد أحصيت ما بينها وبين الميم فاذا هو « ٣٤٠ » ترجمة ، فكيف يصح أن يقفز ابن الفوطي « ٣٤٠ » ترجمة إلى قدام ليترجم محموداً القهستاني مع « رضوان » السلجوقي ؟!

والدليل الرابع هو أن آخر ترجمة من الصفحة التي نقل منها الأستاذ الجليل ترجمة « محمود القهستاني » المزعومة هي ترجمة « فخر الجيوش أبي الهيجاج سراهنك بن خواجة الديلمي » قال ابن الفوطي فيها : « ذكره أبو الحسين بن الصابي في تاريخه وقال : وفي سنة ست وعشرين وأربعمائة أنفذ فخر الجيوش أبو الهيجاج سراهنك بن خواجة الديلمي من الديلم والأتراك الذين بفارس إلى الديلم الذين بواسط ومدينة السلام ، وكان فخر الجيوش حربياً عارفاً بأمور الحرب ... » . فسراهنك من ألقاب السين فكيف يسبقه « محمود » وهو من الميم ؟ فلا بد أن تكون ترجمة محمود مع غير أصحاب السين والراء وما قبلهما من الحروف .

والدليل الخامس اطراد تراجم الصفحة التي عثرت عليها فوجدتُ فيها ترجمة « فخر الدين محمودالقهستاني » أعني اطرادها مع الأسماء السابقة لها ، واختلاف تراجم الصفحة التي نقل منها الأستاذ الكريم ترجمة القهستاني المزعومة مع الأسماء المقابلة لها عند الاستاذ وفي نسخته ، فلا تلاؤم بينهما ولا وئام .

وقبل أن أنتقل إلى ضرب ثان من ضروب الوهم أقول إن الأستاذ الجليل لم يحسن حق الاحسان قراءة ترجمة القهستاني المزعومة التي هي لرجل مجهول ، فقد سقط منها قول ابن الفوطي في سياسة المترجم المجهول : « فسار فيها السيرة العمرية وساسها بالسياسة الكسروية » وسقطت « مَن » الموصولة في قوله « وأخرج من في الحبوس » فصارت الجملة « وأخرج من الحبوس » حتى اضطر هو أن يقول « كذا في الأصل » وأنا أقول : ليس هكذا الأصل ، وسقطت جملة « وصار الناس يدخلونها » يعني الحبوس أي يدخلونها للتفرج كما هو عادة الناس

في التفرج فيا كان ممنوعاً محرماً دخوله أو السير فيه ، وسقط منها قوله « أهل السوق » من الاصل الذي نصه « وتقدم أن لا يلتى أهل السوق دكاكينهم » فنقصت الجملة عنده ، هـذا ما استبنته في هذه الترجمة وحدها .

(١٣) — وقال الاستاذ الكريم في الصفحة ٥٤ : « وجاء في أخبار سنة ٦٦٦ من كتاب الحوادث الجامعة ما يأتي : « وفيها توفي الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال : شيخ رباط المرزبانية . هذا ما جاء في الكتاب ويلي ذلك ترجمة لطيفة لهذا الشيخ ، والترجمة منقولة في كتاب حسن المحاضرة ولكن من تاريخ ابن كثير[1] لا عن هذا الكتاب ، ويمكن أن يتخذ هذا الاقتباس شـاهداً على اطلاع ابن كثير على كتاب الحوادث [الجامعة] وتعويله عليه بالاضافة إلى ما مرّ[1] ، ومثل ابن كثير السيوطي في النقل عن الكتب المذكورة . هذا وقد ترجم ابن الفوطيّ للشيخ المذكور في معجمه — يعني معجم الألقاب — بعنوان : عفيف الدين أبو عبد الله يوسف بن علي بن أحمد يعرف بابن البقال البغدادي المقري ولكن الترجمة سقطت من النسخة ولم يبق منها إلا العنوان المذكور » .

قلت : إن الترجمة لم تسقط من النسخة ، في الحقيقة بل بقيت بكمالها سالمة ظاهرة وهي في مقابل الورقة « ٥٤ » من الجزء الرابع ، أعني الموجود من الجزء الرابع من تلخيص معجم الالقاب المذكور آنفاً غير مرة ، قال ابن الفوطي في الورقة ٥٤ من الموجود من الجزء الرابع من

(١) نقلنا سابقاً ان ابن كثير اعترف في تاريخه بأنه نقل جملة من الأخبار والوفيات من تاريخ المؤرخ المشهور علم الدين البرزالي ، ثم إن ابن كثير صرح بالنقل من كتب ابن الساعي في وفاة الناصر لدين الله سنة ٦٢٢ ووفاة جبريل ابن زطينا سنة ٦٢٦ ووفاة ابن عنين الدمشقي الشاعر سنة (٦٣٠) وترجمة ياقوت بن عبد الله الرومي البدري سنة ٦٣٨ وغيرهن ولم يذكر نقلا من كتب ابن الفوطي ولو مرة واحدة .

ذلك الكتاب وفي مقابلتها : « عفيف الدين أبو عبد الله يوسف[1] بن علي بن أحمد يعرف بابن البقال ، البغدادي المقرئ ، كان من محاسن الصوفية وأعيانهم ، سمع وكتب ، وجمع وألف ، وكان على قاعدة السلف الصالح ، من محاسبة للنفس ، وحفظ الأوقات . كان قد سافر إلى الديار المصرية ، ورجع بعد الوقعة — يعني وقعة هولاكو ببغداد — ورتب شيخاً برباط المرزبانية على شاطئ نهر عيسى ، وكان شيخنا العدل رشيد الدين محمد بن أبي القاسم كثير الاجتماع به ، حسن الثناء عليه ، وقال : أنشدني شيخنا عفيف الدين :

تأبى قلوبٌ قلوبَ قوم ... وما لها عندها ذنوبُ
وتصطفي أنفسٌ نفوساً ... وما لها عندها نصيبُ
ما ذاك إلا لمضمرات ... أحكمها مَن له الغيوبُ

وكانت وفاته في المحرم سنة ست وستين وستمائة . ولما أخذت بغداد كان بمصر [قال] :

(١) المقابلة بين أسلوب ابن الفوطي الواضح الذاتية في هذه الترجمة وأسلوب مؤلف كتاب « الحوادث » ننقل ما قاله مؤلف الحوادث ، قال في وفيات سنة ٦٦٦ — ص٣٦٠ — « وفيها توفي الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال ، شيخ رباط المرزبانية . كان شيخاً صالحاً ، ورعاً زاهداً ، حكى عن نفسه قال : كنت بمصر واتصل بي ما جرى ببغداد في الواقعة من القتل والنهب والفتك والأسر فأنكرته بقلبي وقلت يارب : كيف هذا وفيهم الأطفال ومن لاذنب له ؟! فرأيت تلك الليلة في المنام رجلا في يده كتاب فأخذته منه فاذا فيه :

دع الاعتراض فما الأمر لك ... ولا الحكم في حركات الفلك
ولا تسأل الله عن فعله ... فمن خاض لجة بحر هلك

فاستغفرت الله تعالى وأمسكت » .

فلينظر أهل التمييز هل يشبه اقتصاص مؤلف كتاب الحوادث الترجمة اقتصاص ابن الفوطي لها ، وهل من تشابه بين أخبارهما سوى البيتين من الشعر ، ولو استطاع مؤلف الحوادث التغيير منهما لغير ولكن الشعر هو الشعر ، تجب المحافظة على نصه ما وجد الى ذلك سبيل .

هذا وقد ترجم ابن البقال أيضاً في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب « ٢ : ٢٨٠ طبعة مطبعة السنة بالقاهرة » قال ابن رجب : « له تصانيف في السلوك منها كتاب سلوك الخواص » وذكر أن وفاته كانت سنة ٦٩٨ في رواية أو سنة ٦٦٦ في رواية أخرى .

فحصل لي الفكر في ذلك فأخذت كتاباً وفتحته وتفاءلت فرأيت في أول الصفحة :

دع الاعتراض فما الأمر لكْ ... ولا الحكم في حركات الفلكْ

ولا تسأل الله عن فعله ... فمن خاض لجة بحر هلكْ

فأمسكت عما خطر ببالي واستغفرت الله العظيم » .

هذا ما ورد في ترجمة عفيف الدين يوسف بن علي ابن البقال في موضعها من الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب ، والأخبار فيها مطردة واضحة ، مستتبة السطور ، بينة البقعة .

(١٤) — وأشار الأستاذ الجليل في الصفحة ٣٥ إلى مثال آخر من الفساد والتحريف في تلك النسخة وقال في الحاشية : « راجع ترجمة رشيد الدين الطبيب في نسخة الأصل من الجزء الرابع من المعجم ، تراجع من ذلك ترجمة عضد الدين الايجي (٤ / مادة عضد الدين) » .

وقد أحال في الشطر الاول من طلبه — حفظه الله — على أمر متعسر ، فقد قال في الصفحة الثامنة — ونقلنا بعض قوله — : « تقع النسخة في مائتين وخمسين ورقة ... أولها ترجمة عز الدين حسن بن يوسف البغدادي الفقيه ، وآخرها ترجمة القيل وائل بن حجر الحضرمي » . فكيف نراجع ترجمة رشيد الدين فضل الله الوزير وهي من باب الراء وبينها وبين النسخة هذه ما بين الراء والعين من الحروف ؟! أجل ذكر ابن الفوطي رشيدالدين في هذا الجزء استطراداً غير مرة .

(١٥) — وقال الشيخ الجليل في الصفحة ٥٥ وهو يذكر الذين اعتمدوا في كتبهم من تواريخ ابن الفوطي — على حسبانه — « الثاني عشر هندوشاه بن سنجر القاضي[1] المتوفى

(١) هكذا ورد والصواب « الصاحبي » . وقد ترجمه ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٢٨٠ من نسختي بخطي » ، قال : « أبو الفضل هندو بن سنجر الصاحبي الحكيم النجم الأديب ، من العلماء الأفاضل ، ممن تربى في خدمة الصاحب السعيد (علاء الدين الجويني) وتأدب بآدابه واشتغل وحصل ، وكتب وحسب ، واهتم بمعرفة النجوم وعلم الرياضي وأنواع الحكمة وفنون الأدب ، وكان مع ذلك جميل الأخلاق ، ظاهر البشر ، كريم الصحبة . رأيته بالمدرسة النظامية سنة تسع وسبعين وستمائة ولم أكتب عنه ولم شعر جيد بالفارسية وسمعت أنه نظم بالعربية ولم يصلني » .

سنة ٧٢٤ في كتابه (تجارب السلف) وهو معاصر لابن الفوطي ، وقد ألف كتابه المذكور بالفارسية ... وقد اعتمد هندوشاه على كتاب سماه معجم أهل الأدب ، ومن رأي بعض الباحثين أنه (معجم الألقاب) لابن الفوطي ... » .

وقد استمازالأستاذالجليل هنابرأي هذا البعض من الباحثين لتأييد رأيه الذي أشرتُ اليه .
وهذا البعض هو الأستاذ عباس إقبال الآشتياني الايراني المؤرخ الناشر المتوفى قبل مدة سنين ، فهو الذي نشر كتاب « تجارب السلف » في تاريخ الخلفاء والوزراء ، بدأه مؤلفه بالسيرة النبوية الشريفة وأنهاه بخلافة المستعصم بالله وسقوط الدولة العباسية ، وهو من أجلّ التواريخ كما ظهر لي من خلال ما ترجمه لي صديقي المرحوم الأستاذ المؤرخ محمد عبد الوهاب القزويني أيام كينونتي في باريس ، غير أن الاستاذ عباس إقبال لم يصب في رأيه الذي اعتمد به الأستاذ الشبيبي ، فان « معجم أهل الأدب » هو معجم الأدباء لياقوت الحموي وهو أيضاً إرشاد الاريب الى معرفة الأديب ، وسماه الصلاح الصفدي « تحفة الألباء في أخبار الأدباء »[1] وسماه هندوشاه « معجم أهل الأدب » كما مرّ ، والبرهان القوي على أن مراده معجم الأدباء وأنه لايمكن أن يكون غيره ، هو أنه — أعني هندوشاه — ذكر معجم أهل الأدب في معرض ذكره المشهورين الأعيان من ذرية الخليفة الراشد الأول أبي بكر [2] وأفاد أن الفخر البكري الرازي قد ذكره مؤلف معجم أهل الأدب — يعني ياقوتاً الحموي — . وقد ذكره حقاً في معجمه المذكور قال ابن الفوطي ناقلاً من المعجم :

« فخرالدين أبوعبدالله محمد ابن خطيب الري عمر بن الحسين المكي الأصل البكري

(١) الوافي بالوفيات « ١ : ٥٥ » .

(٢) ذكر منهم شهاب الدين عمر السهروردي ، والملك إمام الدين القزويني ، وابنه انتصار الدين القزويني ، ورضي الدين البابا ، وفخر الدين محمد بن عمر الرازي « تجارب السلف ص١٦ » . وكان منهم بنو الجوزي العلماء الأعيان ، وعزالدين أبو عبد الله الحسين بن احمد بن علي البكري المشهدي المعروف بابن الامام المجاور لمشهد الامام علي بن أبي طالب ، ترجمه ابن الفوطي في بابه « عزالدين » من الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب .

الرازي الطبرستاني ، نزيل هراة ، الفقيه الاصولي الحكيم الواعظ المفسّر ، ذكره الفاضل ياقوت في معجم الأدباء وقال : سألت ولده ضياء الدين علي (كذا) فقلت له : على مَن قرأ والدك العلوم ؟ فقال : ليس له شيخ مشهور إلا أنه رحل الى أذربيجان وكان بها رجل يقال له مجد الدين الجيلي ، فقرأ عليه ثم فتح الله عليه فتحاً كبيراً وأخذ من الكتب ورحل الى خوارزم ثم إلى ما وراء النهر ورجع الى خراسان ومنها إلى باميان وحصل له الجاه والمال بمجاورة ابن سام فلما انتزع منه بلاده خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش ثم (كذا) فوض اليه صدارة هراة واستوطنها وله تصانيف كثيرة في الحكمة والأصول ... وشعر حسن وكانت وفاته بهراة يوم الاثنين يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة » (1) .

وليس لهذه الترجمة وجود فيما طبع من معجم الأدباء لأنها من تراجم الجزء السابع من الأصل ، والمطبوع من هذا الجزء اختيار واختصار (2) ، حذفت من أصله ترجمة فخر الدين محمد ابن عمر الرازي المذكور الثابتة في الأصل ، بشهادة ابن الفوطي ونقله وتصريحه ، وحُذف منها أيضاً عدة تراجم منها ترجمة محمد بن الحسن بن حمدون ، ومحمد بن داود الاصفهاني ، ومحمد بن خامسة ، ومحمد بن سعد الرازي ، ومحمد بن سهل المرزبان ، ومحمد بن العباس الخوارزمي ، ومحمد ابن عبد الغفار الخزامي ، ومحمد بن عبد الله الوراق ، ومحمد بن عبد الله بن حمدان الدلفي ، ومحمد ابن عبدوس الجهشياري ، ومحمد بن عبيد الله السبّحي ، ومحمد بن علي بن خلف الهمذاني ، ومحمد بن علي بن مقلة ، ومحمد بن الفرج بن الوليد ، والمهلب بن الحسن بن بركات ، وموسى بن سلمة ، ونصر بن عبد الرحمن الاسكندري ، ويحيى بن أبي علي حميد بن ظافر الحلبي ، والوزير يحيى ابن محمد ابن هبيرة .

١٦ — وقال الشيخ الجليل في الصفحة ٩٣ « وقد انفرد مؤلف الحوادث الجامعــــة

(1) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٢٦٧ من نسختي بخطي » .

(2) تراجم مقالتي « الضائع من معجم الأدباء » في هذه المجلة « مج ٦ ص ١٠٤ » .

وصف واقعة بغداد وانحلال الدولة العباسية وما جرى في العراق بعد استيلاء المغول وصفاً شاملاً لا يجاري فيه ... حتى إنه عني بترجمة من قتل في هذه الواقعة من أعيان البغداديين وعلمائهم وحكامهم ... كما سمّى في معجمه من كان يتولى إخراج أولئك العلماء والأعيان الى ظاهر بغداد ليقتلوا في مخيم هولاكو ، ولا بدع فقد كان المؤلف من شهود العيان في تلك الواقعة » . وأحال في الحاشية على « اللباب أو مختارات من تلخيص مجمع الآداب للمؤلف ، (٥٥ ، ٥٦) » وقال: « وقد تولى فخرالدين عبد الله بن عبد الجليل القاضي المحدث وعزالدين الزنجاني إخراج الفقهاء البغادوة ليقتلوا في مخيم هولاكو وتجد في أخبار سنة ٦٥٦ من كتاب الحوادث الجامعة أسماء من قتل أو أسر (كذا) في الواقعة من العباسيين نساء (كذا) ورجالاً (كذا) وأسماء من قتل من الأمراء وقادة الجيش والأعيان » ، يعني « من العباسيين ونسائهم » والحالة لاتجوز والتمييز ممتنع لتميّز الأصل .

وقد عزا الأستاذ الجليل ، ناقلاً آثراً ، الى عزالدين أحمد بن محمود الزنجاني الشافعي القاضي فعلاً منكراً من أكبر الكبائر وأقطع الفظائع ، مع أن المتهم به هو والده شهاب الدين محمود الزنجاني القاضي ، قال ابن الفوطي في ترجمة الفخر الطهراني القاضي : « فخرالدين[1] أبو بكر عبد الله بن عبد الجليل بن عبد الرحمن الطهراني الرازي القاضي المدرس المحتسب . قدم بغداد وتولّى بها القضاء والتدريس والحسبة . استنابه القاضي أقضى القضاة نظام الدين عبد المنعم البندنيجي ، وكان شديد الوطأة ، على أهل العناد والفساد ، وتولى تدريس المدرسة البشيرية ، وكان عالماً بالفقه وأيام الناس وهو ممن كان يخرج الفقهاء إلى باب السور الى مخيم السلطان هولاكو مع شهاب الدين الزنجاني ليقتلوا ، وتوفي في رجب سنة سبع وستين وستمائة ودفن بالخيزرانية » .

(١) قال مؤلف كتاب الحوادث المجهول الاسم في حوادث سنة ٦٦٧ — ص ٣٦٨ — : « وفيها توفي القاضي فخرالدين عبدالله بن عبد الجليل الطهراني الرازي الحنفي ، استنابه أقضى القضاة نظام الدين البندنيجي في القضاء وتوفي اليه أمر الحسبة ببغداد . ابتلي بالمرض في وجهه حتى تأكل أنفه ولقي مشاق عظيمة حتى توفي » . وهذه فرصة أخرى للمقابلة بين أسلوبي المؤلفين ومناحي الكاتبين . إنهما مختلفان .

ثم إن مؤلف الحوادث لم ينفرد بوصف واقعة بغـداد ولا كانت عنايته بترجمة من قتل في في هذه الوقعة ، من أعيان البغداديين وعلمائهم وحكامهم ، أكثر من عناية غيره ، ولا كان قد بلغ من العمر ما يستطيع به أن يتثبت في ذكر الحوادث أو يراها رؤية فاحص مميز ، لأن عمره كان إذ ذاك « ١٤ » سنة ولا كانت حاله وهو أسير تسمح بذلك .

أما تفصيل واقعة بغداد فقد جاء في « البداية والنهاية » لابن كثير الدمشقي في حوادث سنة ٦٥٦ لأنه كما قلنا في إحدى الحواشي السابقة كان عنده تاريخ ابن الساعي [1] الكبير وهو العمدة في هذا الأمر ، قال ابن كثير : « وكان الجماعة من الناس يجتمعون في الخانات ويغلقون عليهم الأبواب ، فيفتحها التتار إما كسراً وإما حريقاً ، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى الأسطحة فيقتلونهم حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وكذلك كانوا يفعلون بهم في المساجد والجوامع والربط » . فهل ذكر مؤلف الحوادث مثل هذا الخبر الفظيع ؟ قال : « وكان التتار يفسقون بأهل الرجل وبناته في حضرته وهو ينظر ولا يقـدر يتكلم » . فهل ذكر مؤلف الحوادث شبيها لهذا النبأ الشنيع ؟!

وقد فصّل مقتل الأعيان والعلماء والحكام والخليفة والأمراء أبو الحسن الخزرجي نقلاً من تاريخ ابن الساعي القدم ذكره ، على الراجح ، تفصيلاً لم يأت مؤلف الحوادث بمثله قال : « فكان ممن قتل صبراً من بيت الخلافة الامام المستعصم بالله أمير المؤمنين أبو أحمد عبد الله ابن الامام السعيد المستنصر بالله ... وكذلك ولداه السيدان : أبو العباس أحمد — وكان مولده في إحدى وثلاثين [وستمائة] — وأبو الفضائل عبدالرحمن — وكان مولده سنة ثلاث وثلاثين [وستمائة]

(١) كان تاج الدين الساعي ممن سلم من القتل أيام استيلاء هولاكو على بغداد كما مرت الاشارة اليه . ولم أقف على كيفية سلامته والظاهر أنه التجأ الى دار من الدور التي حماها المغول أنفسهم كدار فخر الدين أحمد ابن الدامغاني ودار مؤيد الدين محمد بن العلقمي ودار تاج الدين علي بن الدوامي .

وكان من أجل من رأته العيون [1] خلقاً وخُلقاً . ثم أعمام المستنصر [2] بالله وهم السادة الأمراء أبو هاشم يوسف وأبو الفتوح حبيب وأبو القاسم علي (كذا وكان قد ذكر وفاته في سنة ٦٥٣) وأبو منصور الحسن وأبو الفتح سليمان أولاد الامام الظاهر [بأمر الله] وإخوة المستنصر ، وكان الأمير أبو هاشم يوسف أجلهم صورة [1] ، وأحسنهم سيرة وسريرة ، وأكملهم ديناً وعقلاً وأحسنهم أدباً وفضلاً ، وكان غزير العلم وافر الفضل عفيفاً صيّناً ، ونوراً مهيباً ، مرشحاً للخلافة له أشعار رائقة ، وكان مولده في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة [3] . ثم الأميران المؤيد أبو عبد الله الحسين والموفق أبو علي يحيى ولدا الأمير السعيد أبي الحسن علي ابن الامام الناصر لدين الله وهما من أعمام المستعصم بالله (كذا) ، فهؤلاء الأعيان من أعمام الخليفة وأولاد عمه ، وكان كل واحد منهم مرشحاً للخلافة وصالحاً لها ، والله أعلم . وممن قتل صبراً من أعيان الأمراء وأكابر الزعماء مجاهداً لدين الله أبو اليامن أيبك الدويدار الصغير ... »

« ثم أمير الحاج فلك الدين محمد ابن الأمير الطبرس الظاهري [4] ، وكان شاباً (جبلاً [1]) سرياً نجيباً ، تقدم بعد وفاة والده ، وألحق بأكابر الزعماء أرباب المشادّ والعمائم والسكرسات والأعلام ، وتقلد إمارة الحاج فحج بالناس ثلاث سنين ، فحمدت سيرته وشكرت طريقته وكان عمره يوم قتل نيفاً وعشرين سنة [5] » .

---

(١) قابل هذا القول وما يشبهه بما ذكره الأستاذ الفاضل في كتابه « ص ١٢ » من إضفائه على ابن الفوطي الغاية الفائقة بالجمال البشري مع أنه من أساليب المؤرخين الأقدمين منذ القديم .

(٢) المراد : أعمام المستعصم بالله فأخطأ الناسخ .

(٣) لم يذكر مؤلف الحوادث كلمة من هذا الخبر وهذه السيرة .

(٤) قال مؤلف الحوادث في قتلى سنة ٦٥٦ — ص ٣٢٨ — : « وأمير الحاج فلك الدين محمد بن علاء الدين الطبرس الدويدار الكبير » ، فقابل بين مناحي التاريخين لتعرف اختصار كتاب الحوادث للحوادث والأخبار .

(٥) وله في معجم الألقاب « ٤ : ٢٩٣ من نسختي بخطي » . ترجمة حسنة ولم يذكر أنه قتل صبراً كما قال مؤلف الحوادث بل قتل حرباً على ما ذكره .

« ثم الأمير شهاب الدين سليمان بن محمود بن برجم ملك الإيوا (1) [ئية] وكان شيخاً مهيباً عاقلاً حازماً ذكياً ، ذا فطنة وتجربة في الحروب ، وكان حسن التدبير ، له نظر في العلوم وعناية بالتواريخ والسير والنجوم ، وله قريحة في نظم الشعر بالفارسي ، وكان شريباً للخمر وموسوساً في الطهارة ثم إنه قطع شرب الخمر وتاب ، وأقلع وأناب . قتل وقد جاوز الثمانين سنة (2) » .

« ثم الأمير فلك الدين محمد بن الأمير قيران الظاهري ، وكان عاقلاً خيراً ووصل به من الديوان العزيز الى ملك الروم [السلجوقي] وكان قتله في هذه السنة المذكورة وقد جاوز ستين سنة (3) » .

« ثم الأمير قطب الدين سنجر البكلكي ، كان أولاً للأمير بكلك الناصري وقد قدمه للامام الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر ثم انتقل الى ملك الامام المستنصر بالله ، وولي شحنة بغداد مدة ، ثم ولي إمارة الحج ثم أعمال الجبل ، وحمدت سيرته . قتل وهو في عدّان الكهولة (4) » .

---

(1) أي التركمان الايوائية أو الايوائية على لغة أخرى .

(2) قال مؤلف الحوادث : « شهاب الدين سليمان بن برجم » ولم يزد على ذلك فتسائل بين مناحي الكتابين ومقادير السيرتين ليتأكد لك البون الشاسع بينهما .

(3) قال مؤلف الحوادث : « وفلك الدين محمد بن قيران الظاهري » فتأمل الفرق بين التساريخين . وقال ابن الفوطي في معجم الألقاب : « فلك الدين محمد بن شمس الدين قيران بن عبد الله الظاهري المستعصمي الأمير ، قال شيخنا تاج الدين في تاريخه : لما توفي والده شمس الدين قيران استدعي أولاده الى دار الوزارة ليشرفوا وهم فلك الدين محمد وعلاء الدين أبو بكر وسيف الدين علي وذلك في غرة جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين (وستمائة) وفي ثانيه استدعي فلك الدين فخلع عليه وخوطب بالامارة ورتم بين يديه غاشية وكان عاقلا ساكناً وسل به الى ملك الروم مع السيد شرف الدين محمد بن الصدر العلوي الراغي في سنة تسع وأربعين ورجعا في شهر ربيع الآخر » . ولم يستعلم ابن الفوطي ذكر سنة وفاته كما رأيت .

(4) قال ابن الفوطي : « قطب الدين أبو المظفر سنجر بن عبدالله ، يعرف بزريق ، البكلكي المستنصري التركي أمير الحاج ، ذكره شيخنا تاج الدين في تاريخه وقال : ينتسب الى الأمير جمال الدين بكلك فلما توفي أضيف الى مماليك البدرية . قال : « في شهر رمضان سنة إحدى وأربعين وستمائة ألحق بالزعماء وجعلت =

« ثم الأمير عز الدين ألب قرا الظاهري ، وكان يومئذ شحنة بغداد أي سنة ٦٥٦ » .

« ثم الأمير بلبان المستنصري ، صهر قيران الظاهري ، وكان شاباً موصوفاً بالفروسية والشجاعة ، قتل وله نحو من أربعين سنة » .

« فهؤلاء المشهورون ممن قتل صبراً من الزعماء ، والله أعلم » .

« وممن قتل صبراً من الأكابر والعلماء وذوي المناصب أستاذ الدار محيي الدين أبو محمد يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي ... ثم ولده جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن يوسف ابن الجوزي ... ثم أخوه شرف الدين أبو الفضل عبد الله بن يوسف ... ثم أخوه تاج الدين أبو الكرم عبد الكريم بن يوسف ، وكان شاباً ذكياً ، حصل طرفاً من علم النحو والفقه وقال الشعر ، ودرس بالمدرسة المنسوبة اليهم ، وولي الحسبة أيضاً . قتل أيضاً وعمره نيف وعشرون سنة » .

« ثم الشيخ شهاب الدين أبو المناقب [1] محمود بن أحمد بن محمود الزنجاني ، وكان قد قدم

معيشته ألف دينار وعدته خمسون فارساً ، ثم رتب شحنة بخزانة بالسلاح ثم رتب شحنة بالحلة ثم ناظراً بالصعف وعقد عليه ضمان البندنيجين وجعلت معيشته خمسة آلاف دينار ، وعين عليه في إمارة الحاج سنة خمسين وستمائة واستشهد في الواقعة سنة ست وخمسين وستمائة » .

(١) بهذا القول يسقط قول ابن الفوطي إنه كان مع فخر الدين الطوراني ممن يخرجون الفقهاء من بغداد الى مخيم هولاكو ليقتلوا ، وجاء في كتاب الحوادث في ذكر من توفي بعد استيلاء هولاكو على بغداد — ص ٣٣٧ — قوله : « وتوفي شهاب الدين محمود بن أحمد الزنجاني ، كان قاضي القضاة ببغداد ... » . وقال تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى — ٥ : ١٥٤ — : « محمود بن أحمد محمود أبو المناقب الزنجاني ، استوطن بغداد . قال ابن النجار : وبرع في المذهب والخلاف والأصول ودرس بالنظامية وعزل ودرس بالمستنصرية وصنف تفسير القرآن وحدث عن الامام الناصر لدين الله بالاجازة ، قال شيخنا الذهبي : استشهد في كائنة بغداد سنة ست وخمسين وستمائة » وهذا يؤيد نفي التهمة عنه ، وقال رشيد الدين الوزير الهمذاني في جامع التواريخ : « بعث أهل بغداد شرف الدين المراغي وشهاب الدين الزنجاني وملك دلراست يطلبون الأمان » . (ص ٣٠١) . وقال إبراهيم بن دقماق في وفيات سنة ٦٥٦ . « وفيها مات الشيخ الفقيه أبو المناقب محمود بن أحمد الشافعي شهيداً ببغداد في وقعة التتار ، كان أحد الفقهاء المدرسين والعلماء المتقنين وكان رئيس الشافعية ببغداد » . « نزهة الأنام في تاريخ الاسلام ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٩٧ الورقة ١١٦ » .

ببغداد شاباً وسكن مدرسة ثقة الدولة [علي بن محمد الدُريني المعروف بابن الإبري] وأعاد الدرس بها لكمال الدين عبد الودود ثم استنابه القاضي شرف الدين أبو الفتوح عبد اللطيف بن البخاري ثم استقل بالقضاء ببغداد وفوضت اليه الأوقاف على المدارس والأربطة والمساجد ثم عزل ثم ولي القضاء في أيام المستنصر بالله ثم ولي التدريس بالنظامية ثم ولي تدريس الطائفة الشافعية بالمدرسة المستنصرية ، وكان فاضلاً شهماً ذكياً مقداماً جريئاً في المناظرة ، مقتدراً على قهر الخصوم ، وصنف الكثير في فنون العلم وجمع تفسيراً للقرآن الكريم ، ووصل به الملوك ، وكان فصيحاً قوي الجنان ، وضيء الوجه ، مليح الشيبة . قتل وقد بلغ الثمانين أو جاوزها والله أعلم » .

« والسيد شرف الدين بن الصدر العلوي ، وكان كبير القدر ، عظيم الشأن ، كثير الاحسان (جميل المحيا) ، ظاهر الحياء ، رحيب الصدر ، وسيع النفس ، كريم الأخلاق ، تظهر ... من تواضعه وتشاهد أنوار النبوة على وجهه ، وقد روسل به الملوك من جانب الديوان . قتل وقد جاوز ستين سنة (١) » .

« ثم نقيب العباسيين شمس الدين (١) أبو الحسن علي بن النسابة ، وكان شاباً (جميل الصورة) مليح الوجه ، كامل الخلقة ، وكان خطيب جامع القصر وناظراً في وقوف التُرب بالرصافة ثم قلد نقابة العباسيين . قتل وعمره نحو من ثلاثين سنة » .

« ثم شيخ الشيوخ صدر الدين أبو المظفر علي بن محمد بن النيار ، وكان عاقلاً فاضلاً ، سكن مدرسة الأصحاب بالجانب الغربي متفقهاً بها على أحسن طريقة ثم ندب إلى إسماع قوله وقبول شهادته فأجاب ، ورتب مشرفاً على خزانة الكتب بالمدرسة النظامية ثم عين لتأديب المستعصم بالله وأخيه أبي القاسم عبد العزيز ... قتل وقد بلغ سبعين سنة أوقاربها » .

« ثم ابنه عبد الرحمن (١) ثم ابن أخته شرف الدين عبد الله بن علي بن سكينة ، وكان

(١) لم يذكره مؤلف الحوادث في « الشهداء » .

شيخاً صالحاً ديناً ناسكاً ذا وسواس في الطهارة ... قتل وعمره خمس وقيل سبع وسبعون سنة».

« ثم العدل عبد الوهاب[1] بن عبد الرحيم بن عبد الوهاب بن سكينة شيخ رباط السكانية [شهدة] ، وكان شاباً طرياً ، قتل وعمره ... وعشرون سنة » .

« ثم القاضيان : البرهان القزويني الشافعي[1] وإبراهيم النهرفضلي الشافعي[1] » .

« ثم الصدر أبو معشر[1] الهمذاني مدرس في مدرسة بين الدربين وكان شيخاً خيراً ، فاضلاً متواضعاً ، قتل وقد بلغ من العمر ثمانين سنة » .

« ثم الشمس علي بن[1] يوسف الكاتب ، كان متوحداً في الكتابة . قتل وقد جاوز ستين سنة » .

« ثم النقيب الطاهر علي ابن النقيب الطاهر الحسن بن المختار ، وكان شاباً طرياً ذكياً سرياً ، ينظم شعراً جيداً ، قتل وقد نيف على عشرين سنة » .

« ثم التقي[1] بن الوسوي نقيب مشهد موسى بن جعفر — ع — قتل وقد جاوز ثلاثين سنة » .

« ثم عمر[1] بن الجلال عبد الله بن المختار العلوي حاجب باب المراتب ، قتل وعمره نحو من عشرين سنة » .

« ثم شرف الدين أبو الفضل محمد بن طاوس العلوي » .

« ثم عبد الله[1] بن خنفر الأديب الكاتب ، وكان أديباً فاضلاً ، وكان شاعراً ونحوياً حاسباً وفروضياً كاتباً ، رتبه الوزير أحمد بن الناقد كاتباً عنه في ديوان الانشاء إلى آخر أيامه ، وكان غزير الفضل ، مليح النظم ، بديع النثر ، عزيز النفس ، قتل وقد جاوز الأربعين سنة » .

« ثم العدل أحمد[1] بن القزويني الهاشمي ، شيخ رباط الدرجة ، وكان شيخاً عاقلاً كيساً ، قُتل وقد جاوز خمسين سنة » .

---

(١) لم يذكره مؤلف الحوادث في الشهداء .

« وممن قتل صبراً بعد استخدامه في الدولة الجنكزخانية الهلاوونية السراج علي بن البجلي ، وكان كاتباً حاسباً ، شاعراً ، فاضلاً ذكياً ، تقلبت به الأحوال في الخدم ... قتل وقد جاوز خمسين سنة ... » .

« وكذلك مظفر الدين محمد [1] بن الأمير جمال الدين قشتمر الناصري ، قتل أيضاً وعمره نيف وعشرون سنة » .

« ثم الموفق عبد القاهر [2] بن محمد بن الفوطي ، وكان أديباً فاضلاً حافظاً للقرآن قائماً بعلم النحو والنجوم؛ مقتدراً على الانشاء ، نظماً ونثراً كتب من رسالة تتضمن ... إلى بعض إخوانه

---

(١) لم يذكره مؤلف الحوادث وترجمه ابن الفوطي في معجمه قال : « مظفرالدين أبو الفضل محمد بن جمال الدين قشتمر بن عبد الله التركي الحلي المولد ، الأمير ، ذكره شيخنا تاج الدين أبو طالب (ابن الساعي) في تاريخه وقال : كان مولده سنة عشرين وستمائة ، وبالغ والده في تربيته وتأديبه (وكان مليح الصورة) لطيف الأخلاق ... واستدعي إلى دار الوزير وأمر وجعل عدته مائة فارس ، ولما توفي والده الملك جمال الدين قشتمر في ذي القعدة سنة سبع وثلاثين (وستمائة) استدعي الى دار الوزارة وقلد سيفاً محلى بالذهب ، وزيد في معيشته وأجناده عميدة مبلغها خمسة آلاف دينار ووفر عليه مماليك أبيه . واستشهد في الوقعة في الجانب الغربي في المحرم سنة ست وخمسين وستمائة » .

(٢) لم يذكره مؤلف الحوادث في الشهداء بل ذكر له قصيدة يهجو بها شيخه المنصوري « الحوادث ص ٣٨ » لتوليه النقابة ، وترجمه ابن الفوطي في معجمه قال : « موفق الدين أبو محمد عبد القاهر بن محمد بن علي بن عبد العزيز يعرف بابن الفوطي البغدادي الكاتب ، كان من الأدباء الأعيان والفضلاء والبلغاء أرباب البيان الفصحاء ، حفظ القرآن الكريم على والده وقرأ الأدب على محب الدين أبي البقاء العكبري وكتب على تاج الدين البرفطي وسمع الحديث على شيخ الشيوخ ضياء الدين أبي أحمد بن سكينة ، وسافر الى الموصل وقرأ كتاب المثل السائر على مصنفه ضياء الدين بن الأثير ، وله رسائل مدونة وأشعار مستحسنة وهو الذي أشغلني في الأدب ورباني وكان خال والدي ، وحفظني المقامات الحريرية وأسمعني بقراءته جامع الترمذي وغيره ، وكان مولده في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة . واستشهد في الوقعة سنة ست وخمسين وستمائة » .

في ثلاث كراريس تشتمل على نيف وسبعين مثلاً من أمثال العرب ، وكان ثقة إلا أنه لم يخدم قط في خدمة إلا عادى رفيقه ، وكان فقيراً ذا عيال ، قتل وقد بلغ ستين سنة » .

« ثم علي بن الزبيدي [1] ، نشأ بين الصوفية ، وتأدب بآدابهم وكان عاقلاً متديناً نزهاً تام الامانة ، لم يتزوج قط ، ولا تسرى مع عفة ، وكان يعظم نفسه ولا يغشى أحداً من الولاة ولا من أبناء الدنيا ، لافي عزاء ولا في هناء . قتل وقد بلغ ستين سنة » .

« ثم التقي عبد الرحمن بن حمزة ابن الطبال وكيل الخليفة ، وكان آية في الذكاء والفطانة وكتبة الشروط ، وصار له في ذلك قوة وملكة ، وتفرد بديوان الوكالة ، وكان يواصل بالعطايا والهدايا والكسوات ، فأثرت حاله ، وكثر ماله ، قتل وقد جاوز أربعين سنة وقد اكتسب من المال أكثر من ثلاثمائة ألف دينار » [2] .

وذكر ابن الفوطي في معجمه للألقاب جماعة من شهداء الوقعة ، نقلنا سيرة جماعة منهم ولم نجد موضعاً لنقل سيرة آخرين كعز الدين أبي الفوارس ألب قرا بن عبدالله التركي الظاهري شحنة بغداد أي حاكمها العسكري .

ومنهم عفيف الدين أبو عبد الله محمد [3] بن أحمد بن جعفر التكريتي الفقيه المجلد المعروف بابن البديع [4] قال : كان من فقهاء المستنصرية من الطائفة الحنفية وسمع المشايخ وقرأ عليهم واستفاد منهم ، وكان أوحد في صناعة التجليد ولذلك السبب كان لايفارق دار الخلافة ... ورأيته كثيراً وكأنه كتب لي في الاجازة [5] ، وقتل في الوقعة سنة ست وخمسين [وستمائة] .

---

(١) لم يذكره مؤلف الحوادث في الشهداء .

(٢) راجع في شأن جميع هؤلاء الشهداء « العسجد المسبوك لأبي الحسن علي الخزرجي » « النسخة المصورة في المجمع العلمي ، الورقة ١٩١ — ١٩٤ » .

(٣) لم يذكره مؤلف كتاب الحوادث في الشهداء .

(٤) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٦٦ من النسخة بخطي » .

(٥) كان ابن الفوطي قلما يذكر ما قبل وقعة بغداد من الأمور التي مرت عليه والتي مر بها ، وسيأتي

وعفيف الدين أبو العز[١] يوسف بن عبد الكريم بن الحسن البغدادي الفقيه المعروف بابن القصاب ، قال : «كان من فقهاء المدرسة المستنصرية في الطائفة الأحمدية ، سمع الحديث من الصاحب محيي الدين يوسف بن الجوزي ، وكان يتأدب ، وله تصانيف وشعر ، أنشدني في غرض له :

جزى الله عني الخير كل مُبخَّلٍ ... تجنبتُه في غُدوةٍ ورواح

وقى منكبي ثقلاً من الذل مَسُّه ... وأخرجني من تحت رقِّ سماح

وقتل في الوقعة سنة ست وخمسين وستمائة[١] » .

« وعماد الدين أبو نصر آيتغدي بن عبدالله الناصري التستري التركي الأمير ». قال ابن الفوطي : « ذكره شيخنا تاج الدين في تاريخه وقال : أهداه الأمير مظفر الدين وجه السبع من خوزستان فكان يعرف بالتستري ، وكان عارفاً بفن الرماية . قال : وجعل أميراً سنة تسع وأربعين وستمائة ، وجعلت عدته خمسين فارساً ، ومعيشته ألف دينار ، وكان كثير الخروج للصيد والقنص وله معرفة تامة برمي البندق واستشهد في الوقعة سنة ست وخمسين وستمائة[٢] » .

وعماد الدين أبو الفوارس طغرل بن عبدالله المستعصمي الأمير المعروف بالبقجة دار ، قال ابن الفوطي : «كان أميراً شجاعاً ، وتقدم المستعصم بالله أن يرتب أميراً أسوة بالزعماء فاستدعي الى دار الوزير مؤيد الدين [ابن] العلقمي وخلع عليه وجعل له خمسون فارساً ورسم له من المعيشة ألف دينار في كل سنة ، وكان قد قرأ الفقه على نجم الدين [بكبرس بن يلنقليج الحنفي الناصري] شيخ الزعاد وكتب [خطاً] مليحاً وكانت وفاته (كذا) واستشهد في الواقعة

= قوله في ترجمة كمال الدين علي بن عسكر الحربي الشهيد في هذه الواقعة قوله : « حضرت مجلسه في خدمة والدي تاج الدين في جماعة كانوا يسمعون عليه معجم الأدباء بروايته عن مصنفه ياقوت مولاهم ، ثبتني في ذلك شيخنا جلال الدين ... » . لقد كان محتاجاً الى التثبيت لنسيانه .

(١) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٧٣ » ولم يذكره مؤلف كتاب الحوادث في الشهداء .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ١ : ٩٧ » ولم يذكره مؤلف الحوادث في الشهداء .

سنة ست وخمسين وستمائة [1] » .

ومنهم عماد الدين أبو الحسن علي بن عبد الملك بن أبي الغنائم بن جعلا البندنيجي الكاتب الفقيه قال ابن الفوطي : « ذكره شيخنا عز الدين عمر بن دهجان البصري في فوائده وقال : كان أحد معيدي المدرسة النظامية وأحد الوكلاء بديوان ... وكان أديباً عالماً عارفاً باللغة له تواليف حسنة ، سمعت منه جزءاً ترجمه بالاشارة الى الملائمة بين عدد السجلات والبطاقة ، سنة اثنتين وخمسين وستمائة وسمعت عليه من لفظه أرجوزة سماها بغية المستعجل في نسب النبي — ص — وتواريخ الخلفاء ، وله شعر كثير ، واستشهد في الواقعة سنة ست وخمسين وستمائة » [2] .

وعماد الدين أبو الظافر محمد بن أبي فراس حسام الدين بن جعفر بن أبي فراس النخعي الحلي الأمير ، قال ابن الفوطي : من بيت الامارة [3] والولاية ، ذكره شيخنا تاج الدين ابن الساعي في تاريخه وقال : في شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وستمائة ألحق عماد الدين محمد بن أبي فراس بالأمراء ورتب شحنة بالحلة السيفية ، ثم ظهرت منه أمور أوجبت عزله فعزل سنة ثلاث وأربعين ... ثم رتب شحنة الكوفة ... ثم عزل لمقارنته القمار وإهماله الأمور واستشهد

---

(1) التلخيص « ٤ : ١٠٠ » ولم يذكره مؤلف الحوادث في الشهداء .

(2) التلخيص « ٤ : ١١٣ » ولم يذكره مؤلف الحوادث في الشهداء .

(3) دافع الأستاذ الشبيبي عن نسب هؤلاء الأكراد الجاوانيين ، الذين ادعى بعض المتأخرين منهم النسب الى مالك بن الأشتر النخعي وتعرض لقول قلته أنا في هذه المجلة في بحثي عن تاريخ الجاوانيين ، وكان حقي بعض الباحثين كعادته — حفظه الله — في ذكر من يقتبس منهم ومن ينتقد عليهم « ص ١٨٨ من كتابه هذا » . ولقد قال في الاحتجاج : « وقد كان الشيخ ورام من الزاهدين الصالحين في الواقع وليس من الزهد في شيء انتحال الأنساب ، ويرجح أن احدى أمهات هؤلاء الأمراء كانت من أكراد الحلة المذكورين ومنها جاءهم هذا النسب الى الكردية ... » . قلت : أنا لا أدعي أن وراماً كان يدعي النسب الى قبيلة النخع وهو يعلم أنها باطلة ، فلعله تلقى ذلك من أبيه ، وقد يكون أحد أجدادهم المتأخرين كان اسمه مالك ثم توهموا أنه مالك الأشتر ، ثم ان البحث التاريخي الجديد لا يأبه لمثل هذه الدعوى . ولماذا استبعد الأستاذ ذلك ولم يستبعد المواطأة بالكذب على سيد علوي جليل عالم فقيه كما جاء في « ص ٢٥ » من كتابه .

في الواقعة سنة ست وخمسين وستمائة [1] » .

ومنهم على رواية ابن الفوطي أيضاً « فتح الدين أبو المظفر الحسن بن محمد بن كُر بن محمد ابن موسك بن أبي الهيجاء الشيباني الكردي [2] الملك » قال : « كان من الأمراء الأكابر بل الملوك الأكارم ، قال شيخنا تاج الدين في تاريخه : وفي رجب سنة ثلاث وأربعين وستمائة خلع على الأمير فتح الدين في دار الوزير مؤيد الدين بن العلقمي : القباء الأسود والعمامة الكحلية المذهبة وهي خلع السلطنة وأنعم عليه بمركوب خاص وأذن له في ضرب النوبة الملكية ، وزيد في معيشته ألفا دينار فصار له في كل سنة أربعة عشر ألف دينار إمامية ، وعهدي بداره في كل جمعة يفرق فيها من الأدوية والأشربة والمعاجين ما لا يكون في بيمارستان وكان لا يرد سائلاً كائناً من كان ، واستشهد في الوقعة في الجانب الغربي في الحرم [3] » .

وقال أبو الحسن الخزرجي في حوادث سنة ٦٤٣ : « وفي يوم التاسع والعشرين من شهر رجب خلع على الأمير فتح الدين حسن بن كر الكردي الاربلي في دار الوزير ، وقلد سيفاً كبيراً محلى بالذهب وأعطي تسعة أحمال كوسات وما يناسبها من الأعلام والرايات والطبول والبوقات ، وزيد في معيشته ألف دينار وسلم اليه إقطاع بهذه المعيشة [4] » .

ثم ذكر خروج موكب عيد الفطر في يوم الأربعاء غرة شوال سنة ٦٤٥ وكان مؤلفاً من عدة مواكب يتقدمها موكب الأمير مجاهد الدين أيبك المستنصري ثم موكب الأمير شجاع الدين الطبرس الظاهري (كذا) ودونه موكب الأمير حسن بن كر ثم عسكر شرف الدين إقبال

(١) التلخيص « ٤ : ١١٨ » ولم يذكره مؤلف الحوادث في الشهداء .

(٢) تأمل قوله « الشيباني الكردي » وهو نسابة !! راجع ما يأتي بعده .

(٣) التلخيص « ٤ : ٢١١ ، ٢١٢ » ولم يذكره مؤلف الحوادث في الشهداء ، وفي هذه السيرة موضع للمقابلة والموازنة ، فلو كان مؤلف الحوادث ابن الفوطي ما أغفل شهادة هذا الأمير الكبير الذي ذكره في تلخيصه أحسن ذكر وأعظمه .

(٤) العسجد المسبوك « نسخة المجمع العلمي العراقي » الورقة ١٦٦ » .

الشرابي ثم الأمراء الصغار ثم موكب الخليفة ثم موكب الديوان [1] » .

وقال مؤلف الحوادث في حوادث سنة ٦٥٦ وانحدار المغول من ناحية دجيل نحو غربي بغداد وخروج مجاهد الدين أيبك الدويدار المستنصري لقتالهم : « وما زال يتبعهم بقية نهاره فأشار عليه الأمير فتح الدين بن كر بأن يثبت مكانه ولا يتبعهم ، فلم يصغ اليه ، فأدركه الليل وقد تجاوز نهر بشير بنزّ دجيل ، فباتوا هناك . فلما أصبحوا حملت عليهم عساكر المغول وقاتلوهم قتالاً شديداً ، فلم تثبت عساكر الدويدار فانكسروا [2] ... » . وذكر قصة الكارثة التي نزلت على الجيش العباسي . وقد ذكر الوزير رشيد الدين هذا الامير فتح الدين بن كر الكردي قال : « وفي اليوم الحادي عشر من شهر جكشبات من سنة ،وكان الوافق لتاسع من المحرم من سنة ٦٥٦ سار بايجو نُوّين وبوقا تيمور نحو دجيل في الوقت المعين لهما وعبرا دجلة ثم عسكرا على نهر عيسى ... وكان مجاهد الدين ايبك الدواتدار يقود جيش الخليفة ومعه ابن كرّ ... وفي العاشر من المحرم وقت طلوع الشمس هجم بايجونُويّن وبوقاتيمور على الدواتدار وابن كرّ وكسروا جيشهما وقتل فتح الدين بن كرّ وقراسنقر في الوقعة وقتل من عسكر الخليفة اثنا عشر ألفاً ما عدا المتورطين في الأوحال والغرقى [3] » .

ومنهم فخر الدين أبو العباس أحمد بن الحسين الرازي القاضي قال ابن الفوطي : « ذكره شيخنا تاج الدين في تاريخه وقال : كان أحد معيدي المدرســـة النظامية وله أشعار في مدح المستعصم بالله ومدح الوزير مؤيد الدين [ابن العلقمي] ومن شعره :

أيّ من خليلي خيــال طرَقْ   بطيب تُرى المسك منه عبَقْ
وفاح أريج نســيم الصّبــا   سُحَيراً والذيل منـه اعتَبقْ

(١) المرجع المذكور « الورقة ١٧١ » .

(٢) كتاب الحوادث « ص ٣٣٢ » .

(٣) جامع التواريخ « ٢٨١ » من الترجمة الفرنســية المطبوعة مع الأصل الفارسي بتحقيق وترجمــة المستشرق كاترمير الفرنسي .

نشقت رياها ناشقاً ولم أدر أي نسيم أرق

ومنها في المدح :

غياث الأنام أبو أحمد به تمّ دين الهدى واتّسق

وكان استشهد في الواقعة سنة ست وخمسين وستمائة [1] » .

ومنهم فخر الدين أبو جعفر أحمد بن عبيد الله بن الحسين بن أحمد بن جعفر الآمدي الصوفي ، قال ابن الفوطي « ذكره شيخنا تاج الدين أبو طالب في تاريخه وقال : رتب مدرساً للنحو بمدرسة سعادة [2] ثم رتب معيداً بالمدرسة المستنصرية وله أشعار حسنة ، مدح الامام المستعصم بالله ، وكان يحضر مجلس الوزير مؤيد الدين أبي طالب بن العلقمي وقد كتبتُ شعره في شعراء العصر [نظم الدرر الناصعة في شعراء المائة السابعة] . واستشهد في الواقعة سنة ست وخمسين وستمائة [3] » .

وفخر الدين أبو منصور ألطن آبه بن عبد الله المستنصري الأمير المعروف بالكرازدار ، قال ابن الفوطي : ذكره شيخنا تاج الدين بن الساعي في تاريخه وقال : أُمّر في جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وستمائة وجعلت معيشته ألفي دينار وعدته خمسون فارساً ، وقتل في الوقعة الكبرى بالجانب الغربي في المحرم سنة ست وخمسين وستمائة [4] » .

ومنهم فخر الدين أبو علي محمد بن عبد الرحمن بن أبي البقاء عبد الله العكبري الكاتب ، من فضلاء الزمان . سمع جده أبا البقاء وتأدب ونظم الأشعار الرائقة . أنشد له شيخنا تاج الدين [ابن الساعي] في المدائح الوزيرية يهنئه بالوزارة :

زهت بك في إيالتك الشهورُ وفاخر فيك دهرك ذا الدهورُ

(١) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٢١٩ » ولم يذكره مؤلف الحوادث مع الشهداء .

(٢) الأمير عز الدين سعادة له ترجمة في المعجم ومدرسته مشهورة في التاريخ .

(٣) التلخيص « ٤ : ٢٢٢ » ولم يذكره مؤلف الحوادث مع الشهداء .

(٤) التلخيص « ٤ : ٢٢٦ ب » ولم يذكره مؤلف الحوادث في الشهداء .

فكان بك الفخار له عليهـا | كما فخرت على الشهب البدورُ
عميد معاقل الاســـلام حتى | لقـد أمنت مخاوفهـا الثغورُ
وأشرقت الوزارة حين أضحت | وأنت بدسـت منصبهـا وزير

واستشهد في الواقعة سنة ست وخمسين [وستمائة] ومولده سنة ستمائة تقريباً [1] » .

وفلك الدين أبو الفضل منكورس بن عبد الله التركي المستنصري الأمير ، قال ابن الفوطي : « كان أميراً كبيراً ، ولي رئاسة الأتراك الزهاد بعد الشيخ نجم الدين يكبرس بن بلنقليج ، وكان كريم النفس ، ورعاً يصوم الاثنين والخميس ، وله على الأتراك والجماعة الإمرة المطاعة ، وقتل في الوقعة سنة ست وخمسين وستمائة [2] » .

وكمال الدين أبو الحسن علي بن علي عسكر [3] بن أبي نصر بن إبراهيم ، نزيل بغداد ، الحموي ثم البغدادي العارض ، قال ابن الفوطي : « كان صدراً كاملاً ورئيساً فاضلاً ، وكان من جيراننا في المحلة الخاتونية الخارجة وحضرتُ مجلسه في خدمة والدي تاج الدين في جماعة كانوا يسمعون عليه معجم الأدباء بروايته عن مصنفه ياقوت مولاهم ، ثبتني في ذلك شيخنا جلال الدين بن عكبر وكان ممن يحضر المجلس . قال شيخنا تاج الدين في تاريخه : رتب كمال الدين ناظر المدرسة المستنصرية سنة إحدى وأربعين وستمائة ثم رتب مشرف البلاد الحلية ورتب عارض الجيوش سنة خمسين وستمائة ولم يزل على ذلك إلى أن استشهد في الوقيعة سنة ست وخمسين ، وكان ياقوت عتيق والده ، أعتقه يوم ولد له كمال الدين [4] » .

فهؤلاء فريق من الشهداء الذين قتلهم المغول القساة الفلاظ الأكباد الجناة العتاة في واقعة

...

(١) التلخيص ج ٤ : ٢٦٣ ، ولم يذكره مؤلف الحوادث في الشهداء .

(٢) التلخيص ج ٤ : ٢٩٥ ، ولم يذكره مؤلف الحوادث في الشهداء .

(٣) ذكر ابن الساعي وفاته في سنة ٦٠٦ في الجامع المختصر ج ٩ : ٢٩٤ ، وكان ثرياً ذا تجمل ظاهر .

(٤) التلخيص ج ٥ : الترجمة ٤٥٦ من الكاف ، .

بغداد التي تغشت الأكباد (١) ، ذكرهم أبو الحسن الخزرجي وابن الفوطي ، ولم يذكرهم مؤلف الحوادث ، فهو مقتصر في هذا الأمر مختصر مقتصر ، إلا أن اقتصاصه ما جرى في العراق بعد استيلاء المغول عليه هو أحسن اقتصاص وأوسعه ، كما ذكر الأستاذ الشبيبي ـ حفظه الله ـ وسيبقى متفرداً بذلك خاصة إلى أن يعثر على تاريخ ابن الساعي وتاريخ الكازروني وأضرابها كابن الفوطي في كتابه « التاريخ على الحوادث » المفقود ، الذي يحيل عليه كثيراً في تلخيص معجم الألقاب وممن قتله المغول ببغداد يحيى الصرصري الشاعر المشهور الأخبار والأشعار .

١٧ ــ وقال الشيخ الجليل في أثناء كلامه على ثياب العزاء في الدولة العباسية « ص ٤٧٠ » : « كانوا يتخذون للعزاء ثياباً خاصة ، وورد ذكرها كثيراً في تاريخ هذه الحقبة ولكنها لم توصف وصفاً واضحاً ولم يعين لون تلك الثياب ، ونرجح أنه السواد لأن العادة المتبعة عند العراقيين اليوم في حالة الحزن لبس الثياب السود ، هذا وقد عقد صاحب الحوادث فصلاً عنوانه (تغيير ثياب العزاء والهناء ــ ص ١٩٥ ــ) ضمنه وصول ركن الدين اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ... لتعزية المستعصم بوفاة المستنصر ... ودخل وعليه ثياب الحزن ... هذا ما ورد في الكتاب ، فكانت للحزن والعزاء إذن ثياب مخصوصة ولكن المؤرخين سكتوا عن وصفها وتعيين ألوانها والمرجح كما قلنا أنه السواد وقد جرت العادة أن يظهر رجال الدولة بهذه الثياب ولا يستثنى من ذلك الوزراء في العصر المذكور فقد ظهر الوزراء والأعيان ومشايخ الربط والمدرسون بهذه الثياب بعد وفاة المستنصر سنة ٦٤٠ ودخلوا الى دار الوزارة بهذه الازياء ، الحوادث ١٤٠ ، ٣٥ ، ١٩٩ » اهـ .

قلت : لم يسكت المؤرخون عن لون ثياب العزاء لأهل الدولة ومن جرى بجرائهم ، ولكنهم كانوا يعدون ذلك من بابة ذكر البديهيات ، فالدولة العباسية كان شعارها السواد منذ أسست

(١) وقال السيوطي في ذيل طبقات الحفاظ ناقلا من تاريخ الصفدي في ترجمة سعيد الدهلي المتوفى سنة ٧٤٩ . « له تواليف منها تغتيت الأكباد في واقعة بغداد » ، ولعل كتاب الحوادث المذكور مراراً وتكراراً من جمعه أو تأليف ابن أسينا الواسطي المؤرخ .

إلى أن قرضت وأزيلت ، وكان شعار حزنها « البياض » منذ أنشئت إلى أن قضي عليها ، فركن الدين إسماعيل والوزراء والأعيان ومشايخ الربط والمدرسون كانوا يلبسون «ثياباً بيضاً» في أيام العزاء المذكور ، قال أبو الفرج بن الجوزي في وفاة الخليفة القائم بأمر الله ومبايعة حفيده المقتدي بأمر الله بالخلافة يوم الجمعة ثالث عشر شعبان من سنة ٤٦٧ : « ولقب بالمقتدي بأمر الله وجلس في دار الشجرة بقميص أبيض وعمامة لطيفة بيضاء وطرحة قصب كُدّرية ودخل الوزير فخر الدولة و (ابنه) عميد الدولة واستُدعي مؤيد الملك بن النظام والنقيبان طراد والعلوي (١) وقاضي القضـــاة الدامغاني وكُديس وأبو طالب الزينبي وابن رضوان وابن جردة ، ووجوه الأشراف والمتقدمون وبايعوه ... (٢) » .

وقال ابن واضح في وفاة الامام علي بن موسى الرضا : « لما ســار المأمون الى طوس توفي الرضا علي بن موسى بن جعفر بن محمد ـــ ع ـــ بقرية النوقان ولم تكن علته غير ثلاثة أيام ، فقيل إن علي بن هشام أطعمه رماناً فيه سم ، وأظهر المأمون عليه جزعاً شديداً، فحدثني أبو الحسن ابن أبي عباد قال : رأيت المأمون يمشي في جنازة الرضا حاسراً في مُبَطَّنة (بيضاء) وهو بين قائمتي النعش يقول : إلى من أروح بعدك يا أبا الحسن ؟ وأقام عند قبره ثلاثة أيام يُؤتى في كل يوم برغيف وملح فيأكله ثم انصرف في اليوم الرابع (٣) » .

وقال جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد الواسطي المعروف بابن الدبيثي في ترجمة أبي داود سليمان بن أرسلان المعروف بابن شاووش : « ولما أفضت الخلافة الى سـيدنا ومولانـا الامام، المفترض الطاعة على كافة الأنام ، أبي العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين ـــ خلد الله ملكه ـــ شرّفه بتولية النيابة بديوان المجلس لخيره وسمته ومعرفته وذلك في يوم الجمعة

(١) في المنتظم المطبوع « ٨ : ٢٩٢ » طراد العلوي وهو خطأ من حيث التركيب والتاريخ .
(٢) المرجع المذكور .
(٣) تاريخ اليعقوبي « ٣ : ١٨٠ ، ١٨١ طبعة النجف » .

السادس من ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وخلع عليه بالتاج الشريف جُبّة إبريسم (بيضاء ومصمت وبقيار قصب أبيض لا أجل العزاء) بالإمام المستضيء بأمر الله - رضي -[1] » .

وقال الصلاح الصفدي في ترجمة السيدة سلجوقي خاتون بنت قليج أرسلان السلجوقية زوج الناصر لدين الله : « تعرف بالخلاطية ... قدمت للحج فوصفت للناصر وأخبر بجمالها[2] الزائد وكانت متزوجة بصاحب حصن كيفا ، فحجت وعادت إلى بلدها ، فتوفي زوجها ، فخطبها الخليفة من أبيها فزوّجها منه ... وكان يحبها ... وشغف بها وبنت لنفسها رباطاً وتربة بالجانب الغربي[3] ، فتوفيت سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، قبل فراغ العمارة ، ودخل على الخليفة من الحزن ما لا يوصف وحضر جنازتها كافة أرباب الدولة ورفعت الغرز والطرحات (ولبسوا الأبيض) ورفعت البسملة ووضعت على رؤوس الخدم ، وارتفع البكاء من الجواري والخدم وعمل لها العزاء والختمات[4] » .

وقال مؤلف جواهر السلوك في الخلفاء والملوك : « ذكر خلافة الظاهر بأمر الله ... كان أبيض اللون (جميل الوجه) ... قال ابن الساعي : حضرت مبايعة الخليفة الظاهر وكان جالساً في شباك القبة وعليه (ثياب بيض) وعلى رأسه الطرحة من فوق عمامته وعلى كتفه البردة وبيده القضيب ، والوزير قائم بين يديه على منبر ، وهو يأخذ له البيعة من الناس من الخاص والعام على قدر مراتبهم حتى انتهى ذلك اليوم[5] » .

---

(1) ذيل تاريخ بغداد ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ٦٩ » .

(2) في تجارب السلف قصة خيالية لكيفية رؤية الناصر لها « ص ٣٢١ » نقلها المؤلف عن أحد أبناء الدولة ببغداد وقال « والعهدة عليه فيما رواه » بنص الجملة العربي مع أن الكتاب بالفارسية كما تقدم .

(3) كانت التربة والرباط على شاطئ دجلة في أعلى محلة المشرعة الباب وفي التربة أقيمت تكية البكتاشية بعد ذلك ، وقد جرف النهر الكل ولم يبق لها أثر .

(4) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٤ الورقة ١٥٣ » .

(5) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٦٦١٦ الورقة ١٢٢ .

وذكر أبو الحسن الخزرجي في وفيات سنة ٦٤٣ وفاة السيدة عائشة بنت المستعصم بالله وذكر أن الناس حضروا على اختلاف طبقاتهم الى دار الوزير مؤيد الدين بن العلقمي وركبوا بين يديه في الثياب البيض [1] .

وذكر مؤلف كتاب الحوادث في سنة ٦٤٢ تولية الخليفة المستعصم بالله أستاذه أبا المظفر علي بن النيار مشيخة الشيوخ بعد مبايعته — أي مبايعة المستعصم بالخلافة — وذكر الخلعة التي خلعت عليه باسم هذا المنصب قال : « وخلع عليه في دار الوزارة (قميص مصمت أبيض وبقيار قصب أبيض مسكّن) وخوطب بشيخ الشيوخ [2] » .

والسبب في هذا التبييض هو أنهم كانوا في أيام عزاء الخليفة المستنصر والد المستعصم بالله .

وفي نقل جسد المستنصر بالله من مدفنه بدار الخلافة إلى ترب العباسيين بالرصافة لبس أرباب الدولة البياض أيضاً ، قال مؤلف الحوادث في أخبار سنة (٦٤٠) : « ... وبركب الزعماء (بالأقبية البيض ، وأرباب الدولة كل واحد منهم بقميص أبيض وبقيار أبيض مسكّن) وغاشية [3] ... » .

فالأمر على ما ذكرت من أن المصرّح بأنّ شعار الحزن للدولة العباسية هو البياض إنّما كان يصرّح للتنبيه على جنس اللباس لا لبيان اللون ، والأخبار في ذلك وافرة .

وكان الأصل في اتخاذ العباسيين السواد حزنهم على الشهداء الهاشميين الذين قتلهم بنو أمية والذين صلبوهم ، وكان الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب شيخ بني هاشم وعالمهم وشاعرهم أول من لبس السواد على زيد بن علي بن الحسين ورثاه بقصيدة طويلة وُصفت

(١) « العسجد المسبوك » نسخة المجمع العلمي العراقي ، الورقة ١٦٧ » ، وقال في وفاة السيدة ست العرب بنت الأمير عبد العزيز بن المستنصر بالله سنة ٦٤٤ : « فركب الوزير وكافة أرباب الدولة بالثياب البيض بغير طرز » . « الورقة ١٦٩ » .

(٢) الحوادث « ص ١٨٥ » .

(٣) المرجع المذكور « ص ١٧٢ » .

بأنها كانت حسنة[1] . وقال أمين الدولة محمد العلوي الأفطسي في مجموعه النفيف : خرج يحيى ابن زيد بن علي — رض — على الوليد بن يزيد بن عبد الملك — وكان هرب أيام هشام إلى خراسان فلم يزل يتنقل في كورها ... فخرج على والي خراسان نصر بن سَيّار فوَجّه إليه سلم بن أحوز المازني من بني تميم ، فقاتله دون هراة ، فقتله سودة بن عوير الكندي وصلبه بالجوزجان في طاق ، وصلب بإزائه رجلاً من العرب يقال له مطرف بن مطرف أو مطرف بن مطر ، في طاق آخر ، بينهما مدرجة للناس ، فلم يزل [يحيى] مصلوباً حتى خرج أبو مسلم [الخراساني] فأمر به فأنزل وواراه وتولى الصلاة عليه والدفن ، وأخذ أبو مسلم كل من كان خرج لقتاله ، وذلك أنه تصفح الديوان فنظر الى كلّ من كان في بعثه فقتله إلا من أعجزه ، فسوّد[2] أهل خراسان ثيابهم عليه ، فصار لهم زيّاً[3] » .

وذكر الخطيب البغدادي في ترجمة عبد الله بن المبارك الزاهد المشهور أنه قال عن نفسه : « ذاكرني عبد الله بن إدريس السنّ ، فقال : إبن كم أنت ؟ فقلت : إن العجم لا يكادون يحفظون ذلك ولكن أذكر أني لبستُ السواد وأنا صغير عندما خرج أبو مسلم . فقال لي : أو قد ابتليتَ بلبس السواد ؟ قلت : إني كنت أصغر من ذلك ، كان أبو مسلم أخذ الناس كلهم بلبس السواد الصغار والكبار[4] » .

وذكر أبو جعفر الطبري بسنده أن أبا الحسن الحذاء قال : أخذ أبو جعفر الناس بالسواد فكانت أراهم يصبغون ثيابهم بالمداد وحدثني علي بن الجعد قال : رأيت أهل الكوفة أيام شدة

(١) معجم الشعراء للمرزباني مع المؤتلف والمختلف للآمدي » ص ٣١٠ » .

(٢) سود تسويداً أي لبس الملابس السود وبذلك سمي العباسيون والثائرون معهم « المسودة » بكسر الواو المشددة .

(٣) المجموع النفيف » مخطوط مصور في خزانة كتبي ، الورقة ١٩٦ » .

(٤) تاريخ بغداد » ١٠ : ١٥٤ » .

حضورك حضور من يريد الوصول [الى الخليفة] . فقال له : كأنك أنكرت البياض ؟! قال : نعم . قال : هذا زيي وزي آبائي . قال : ما الأمر على هذا ولا رأيت أحداً من أسلافك دخل هذه الدار إلا بالسواد ، ولقد حضر عمر بن يحيى أبوك عندنا في أيام المطيع لله — رحمة الله عليه — لتقرير أمر الحاج ومن يخرج معه وهو بسواد أسود . فقال : ما معنى بسواد أسود ؟ قال : سواد مصبوغ ، وإني لأذكره وقد عرق ، والسواد يجري على جبينه وهو يمسحه بشستجة في يده . قال له محمد بن عمر : فما الذي تريده أيها الحاجب ؟ قال : أريد تغيير هذه الهيئة وتفعل ما جرت به العادة . قال : أو أنصرف . قال : الاختيار اليك . وقام محمد بن عمر ونزل إلى زبزبه وانصرف الى داره ، وعجبت الجماعة مما جرى وتجبت منه [1] .

وقال الخطيب البغدادي في ترجمة أبي علي محمد بن عيسى بن محمد الهاشمي العباسي المعروف بالبياضي : « سمعت القاضي أبا القاسم التنوخي يسأل بعض ولد البياضي عن سبب هذه التسمية فقال : إن جدّي حضر مع جماعة من العباسيين يوماً مجلس الخليفة ، وكانوا كلهم قد لبسوا السواد غير جدي فان لباسه كان بياضاً ، فلما رآه الخليفة قال : من ذلك البياضي ؟ فثبت ذلك الاسم عليه ، فلم يُعرف بعدُ إلا به [2] » . وقال أبو الفرج بن الجوزي : « وليس بمنسوب إلى بني بياضة فان أولئك من الأنصار وإنما سمي البياضي لأنه حضر يوماً مجلس الخليفة وكان أهل المجلس عليهم السواد ، وكان لباسه أبيض ، فقال الخليفة : من ذلك البياضي ؟ فثبت الاسم عليه [3] » .

وذكر ابن السمعاني في « البياضي » من الانسـاب ما ذكره الخطيب البغدادي في

---

(١) مختصر رسوم دار الخلافة بانتساري في « أصول التاريخ والأدب ٢ : ٢١٤ » والصفحة (١٠١ — ١٠٣) من رسوم دار الخلافة ، نسخة مكتبة الآثار القديمة العامة . وراجع في العقوبة على ترك السواد أيضاً « البيان والتبيين ٣ : ٢٧٢ طبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر .

(٢) تاريخ بغداد « ٢ : ٤٠١ » وذكر أن القرامطة قتلوه سنة ٢٩٤ .

(٣) المنتظم « ٦ : ٦٢ » .

تاريخه [1] ، وذكر ابن خلكان بياضياً آخر هو الشريف أبو جعفر مسعود بن عبد العزيز بن المحسن بن الحسن بن عبد الرزاق البياضي البغدادي الشاعر المتوفى سنة ٤٦٨ قال : « وإنما قيل له البياضي لأن أحد أجداده كان في مجلس بعض الخلفاء مع جماعة من العباسيين وكانوا قد لبسوا سواداً ما عداه فانه كان قد لبس بياضاً ، فقال الخليفة : من ذلك البياضي فثبت ؟ ذلك الاسم عليه واشتهر به ، وذكر ابن الجوزي في كتاب الألقاب أن صاحب هذه الوقعة هو محمد بن عيسى بن محمد ... وهو الذي يقال له البياضي . ورأيت بخط أسامة بن منقذ المقدم ذكره أن الذي لقبه بهذا اللقب هو الخليفة الراضي بالله والله تعالى أعلم [2] » . وعلى هذا ينبغي أن يكون البياضي الشاعر منسوباً إلى « البياض » الذي هو الثياب القطن التي تكون بالري ويقال لها النصافية ... » .

وقد جاء في كتاب الذخيرة لابن بسام الأندلسي أن أبا الحسن علي بن عبد الغني القيرواني المعروف بالحصري قال في لباس أهل الأندلس البياض عند الحزن على الميت :

إذا كان البياض لباس حزن ... بأندلس وذاك من الصواب

ألم ترني لبست بياض شيبي ... لأني قد حزنت على شبابي »

قال : « ويقال إنهم استحسنوا ذلك من عهد الأمويين قصداً لمخالفة لبني العباس في السواد [3] » . قلت : ولم يتم أمرهم إن صح هذا القال ، فقد ذكرنا أن العباسيين اتخذوا اللون الأبيض شعاراً لحزنهم وكآبتهم ، وأما الشعب فيصعب علينا أن ندعي أنه كان يقلد العباسيين في لباس العزاء ، وأما لباسه فكان يختار ما شاء من الألوان إلا في صلاة الجمعة في مقاصير جامع

(1) مختصر أنساب السمعاني بخط كاتب النقد « ٢٤٥ » وقد تصحف في الأنساب اسم « القرامطة » الى البرامكة .

(2) الوفيات « ٢ : ٢١٠ ، ٢١١ » .

(3) أنساب السمعاني في « البياضي » .

(4) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة « ٢ : ٣٧ » ونقل الخبر ابن خلكان في ترجمة الحصري .

المعمور وغيره فقد لبسُوا السواد قديماً ثم تُرك ، قال ابن الجوزي : « كان القاضي أبو تمام الزينبي يصلي في أيام الجمع على باب داره الراكبة لدجلة بباب خراسان والصفوف مادة من المسجد الى ذلك المكان . وعلى أبواب المعمورة بوّابون بثياب سود يمنعون من دخول أحد فيها إلا من كان من الخواص المتميزين بالأقبية السود ، وكان ذلك رسماً في سائر مقاصير الجوامع ، وقد بطل حتى صار لا يلبسه إلا الخطيب والمؤذنون [1] » .

١٨ — وجاء في حاشية الصفحة ٧٦ « بتل الزينبية أو الزبيبية » . قلت : إن الوارد في كتاب الحوادث المطبوع هو « الزبيبية » فلماذا يجوز كونها « الزينبية ؟ » جاء في معجم البلدان : « الزبيبية : منسوب إلى الزبيب الذي من العنب ، محلة ببغداد يقال لها تل الزبيبية » ، وفي المراصد : « الزبيبية : منسوب الى زبيب العنب ، محلة ببغداد إلى جانبها تل يقال له تل الزبيبية » وفي غاية الاختصار — ص٦٦ — « ظهر ببغداد سنة خمس وسبعين وستمائة بتل الزبيبية (كذا) وهي محلة من محال مدينة السلام قبر ... » فقول الشيخ الفاضل « أو الزينبية » لا وجه له على الاطلاق ، لأنه من المواضع المعلومة المسكونة أيامئذ [2] .

١٩ — وقال الأستاذ الفاضل في الصفحة ٨٠ : « وورد في أخبار سنة ٦٢٩ من الكتاب من فتح الأمير شرف الدين إقبال الشرابي لأربل ومناجزة المغول وابتهاج البغداديين بذلك ما يأتي : ضربت الطبول على باب النوبي وأفرج عن جميع المتقلين في الحبوس وحضر الشعراء في الديوان وأوردوا قصائد ... » قلت : الصحيح أن فتح شرف الدين إقبال الحبشي الشرابي لمدينة إربل « أي أربيل » كان سنة (٦٣٠) لا سنة ٦٢٩ وأن الصفحة التي أشار إليها الشيخ

---

(١) مختصر مناقب بغداد « ص ٢٢ » .

(٢) قال أبو عبد الله بن الدبيثي في سيرة عبد الغني بن أبي بكر الفقير المعروف بابن نقطة الحنبلي المتوفى سنة ٥٨٣ « كان منقطعاً في مسجد قريب من تل الزبيبية وعنده جماعة من الفقراء يخدمهم بما يفتح الله عليه ... » . (ذيل تاريخ بغداد ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ١٧٩ » .

الجليل هي من حوادث سنة (٦٣٠) .

٢٠ — وقال في الصفحة ٨٩ في اجتباء الخليفة منصور بن محمد الملقب « المستنصر بالله » إقبالاً الشرابي تفاؤلاً باسمه « إقبال » ، نقلاً من كتاب (الحوادث) : « هـذا ما جاء في الكتاب من استدلال المستنصر وتفاؤله بذلك الاسم الحسن ، ولكن المؤلف — سامحه الله — حاول أن يؤكد صحة ذلك الفأل والاستدلال ولم يحجم عن إدخال أنفه في السياسة قائلاً : كان حال الملك منتظماً بصائب رأيه — يعني رأي الأمير إقبال الشـــرابي — فلما توفي اختلت الأحوال ، أجل كان حال الملك في خلافة المستنصر منتظماً بالنسبة إلى عصر المستعصم ولكن لا دخل في ذلك للفأل » . وفي الحق أن المؤرخ لم يماش ذلك على الفأل حتى يقال هذا المقال .

هذا وقد أراد بالمؤلف « ابن الفوطي » وقد أشرنا إلى أن الأستاذ أرصد أكثر كتابه لدراسة كتاب الحوادث ، وبهذا القول نقض الأستاذ ما قاله في الجزء الأول — ص ٩١ — قال : « من رأينا بعد المقارنة بينه وبين عدد من المؤرخين أن ابن الفوطي موهوب يعتبر التاريخ فناً من الفنون الرفيعة لا يخلط بينه وبين السياسة ... » ، فكيف إذن أدخل أنفه في السياسة ؟ ومن روح فنه أنه لا يخلط بينه وبين السياسة ؟! إذن لابد أن يكون مؤلف « الحوادث » غير ابن الفوطي ، أو أن يعترف الأستاذ بما أشرت اليه من تناقض قوليه وتدافع رأييه .

٢١ — وقال الشيخ الجليل في الصفحة ٨٩ أيضاً : « جاء في أخبار سنة ٦٤٣ من كتاب الحوادث الجامعة عن إقبال الشرابي ، ما يأتي : كان أولاً لعزالدين نجاح الشرابي ... » . وأحال على الصفحتين ٣٠٨ ، ٣٠٩ من كتاب الحوادث المطبوع ، والصحيح أن ذلك جاء في سنة ٦٥٣ وربما كان الصواب سنة ٦٥٤ .

٢٢ — وقال في الصفحة ٨٦ يذكر من حوادث سنة ٦٤١ : « قال صاحب الحوادث الجامعة في أخبار سنة ٦٤١ ما نصه : وفيها تقدم الخليفة إلى جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي المحتسب بمنع الناس من قراءة المقتل [الحسيني] في سائر المحال بجانبي بغداد ومشهد موسى بن

جعفر عليه السلام » ؛ وأحال بذلك على الصفحة ١٨٣ من كتاب الحوادث ، وقد أقام النكير على هذا النص ، وهو محق في استنكاره إياه ، إلا أنه لم ينقل الخبر على وجهه الصحيح فنصه « وفيها تقدم الخليفة إلى جمال الدين ... المحتسب بمنع الناس من قراءة المقتل في يوم عاشوراء والانشاد في سائر المحال بجانبي بغداد ، سوى مشهد موسى بن جعفر — عليهما السلام — » . إذن كان مشهد الامام موسى بن جعفر مستثنى من المنع ، مع أن الشيخ الشبيبي أدخله في الممنوع منها بسكوته عن استثنائه ، فتغير الحكم ، وتبدل مجال النقد والحساب ، لأن الفرق بين الأمرين أصبح كالفرق بين منع الصلاة في جميع المساجد ، وقصرها على مسجد واحد .

٢٣ — وقال في الصفحة ٩١ : « وجاء في أخبار سنة ٦٤٣ من كتاب الحوادث ما يأتي : فيها قصد الخليفة [المستنصر] مشهد موسى بن جعفر — ع — في ثالث رجب فلما عاد أبرز (كذا)[1] ثلاثة آلاف دينار الى أبي عبد الله الحسين الاقساسي[2] نقيب الطالبيين وأمره أن يصرفها[3] على القيمين في مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومشهد الحسين وموسى ابن جعفر عليهم السلام » . وقد أحال بذلك على الصفحة ١٠٤ من كتاب الحوادث .

قلت : الصحيح أنها أخبار سنة ٦٣٤ لا سنة ٦٤٣ وأن الصفحة المحال عليها من الحوادث هي الصفحة ٩٥ ولعل ذلك من غلط الطبع .

٢٤ — وقال في الصفحة ٩٢ : « ومن أقدم حوادث النقل ما ورد في معجم ابن الفوطي عن شخص لقبه [ابن الفوطي] (الكامل) في معجمه ، أقام عند أحمد بن مروان بميافارقين الى أن مات في شهر رمضان سنة ٤٩٨ وحمل إلى مشهد علي — عليه السلام — » .. وقال في الحاشية : « المعجم ٥ : ١٤٠ وقد سقط أول الترجمة من النسخة » ، يعني « راجع الجزء الخامس من تلخيص معجم الألقاب وقد سقط منه أول الترجمة » .

---

(١) هذه من وضعه ، للدلالة على استغرابه استعمال « أبرز » .

(٢) في الحوادث « ابن الأقساسي » .

(٣) في الأصل « يفرقها » .

قلت : لم يسقط أول الترجمة — والحمد لله — ففي النسخة التي نسختها أنا بيدي ، مصححة ، من الجزء الخامس المطبوع من تلخيص معجم الألقاب ما هذا نصه : « الكامل أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين ابن المغربي ، الوزير ، مصري الأصل ، ذكره الحافظ ابن الجوزي في كتابه المنتظم [1] وقال : ولد جده ببغداد وتقلد الأعمال بها ثم انتقل الى مصر ، وقلده الحاكم ديوان الإنشاء والمجلس ، ولما قتل الحاكم أباه وعمه هرب الى العراق ، [ووزر] لشرف الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة ، بغير خلع ولا مفارقة الدراعة ؛ وكان يلقي الدرس في مجلسه ويتردد أهل الأدب اليه ، يقرؤون كتاب سيبويه عليه ، وله رسائل وأشعار مدونة ، وقصد أحمد بن مروان بن كك وأقام عنده بميافارقين إلى أن مات في شهر رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمائة وحمل الى مشهد علي — عليه السلام — [2] » .

وهو مشهور السيرة ترجمه ابن الأثير في الكامل وابن خلكان في الوفيات والنجاشي في رجال الشيعة وغيرهم، ولم يسقط أول ترجمته في المطبوع من تلخيص معجم الألقاب ، نقول ذلك للتأكيد والتأييد فقد نقلناه .

٧٥ — وجاء في الصفحة ٩٤ في ذكر فخر الدولة قول الأستاذ الجليل : « وفي أخبار ٦٤٧ من الكتاب — يعني كتاب الحوادث — :

---

(١) المنتظم « ٨ : ٣٢ » قال ابن الجوزي في وفيات سنة ٤١٨ : « الحسين بن علي بن الحسين أبو القاسم المغربي الوزير : ولد بمصر في ذي الحجة سنة سبعين وثلاثمائة وهرب منها حين قتل صاحبها أباه وعمه وقصد مكة ثم الشام ثم بغداد فوزر لشرف الدولة بعد أبي علي الرخجي ، وكان كاتباً عالماً يقول الشعر الحسن ، ثم وزر لابن مروان بديار بكر ومات عنده ... ولما أحس بالموت كتب كتاباً الى من يصل اليه من الأمراء والرؤساء الذين من ديار بكر والكوفة يعرفهم أن حظية لهم توفيت وأن تابوتها يجتاز بهم الى مشهد أمير المؤمنين علي — ع — وخاطبهم في المراعاة لمن يصحبه ويخفره وكان امسده أن لا يتعرض أحد لتابوته وأن ينطوي خبره فتم له ذلك . وتوفي في رمضان بميافارقين عن ست وأربعين سنة ، وحمل الى مشهد أمير المؤمنين علي — ع — فدفن هناك » .

(٢) ج ٥ الترجمة ٦٨ و ص ١٦ من نسختي بخطي .

نقل فخر الدولة الحسن بن عبد المطلب (كذا) من مدفنه بالإيوان الذي كان فيه على شاطئ دجلة حيث وقع حائطه، إلى مشهد موسى بن جعفر». وقال في الحاشية محيلاً: «كتاب الحوادث: ٢٤٤ ولفخر الدولة هذا ذكر كثير في هذه الفترة من تاريخ الدولة العباسية يستفاد منها (كذا) أنه كان من كبار رجالها معنياً بأعمال البر وإنشاء الجوامع والربط الكبيرة المشهورة في الجانب الغربي مثل جامع ابن المطلب وخانقاه ابن المطلب وله أحباس جمة على وجوه الخير أو المبرات».

قلت: هو «الحسن ابن المطلب» لا ابن عبد المطلب، من بيت بني المطلب وهو من كبار البيوت التي خدمت الدولة العباسية في أواخر عهودها منهم الحسن بن محمد بن هبة الله بن المطلب، وعلي بن محمد بن هبة الله بن المطلب، وعلي بن هبة الله بن محمد بن علي بن المطلب، ومحمد بن علي بن المطلب، وجعفر بن المطلب، ومحمد بن محمد بن المطلب، ومحمد بن هبة الله بن المطلب، وهبة الله بن محمد بن علي بن المطلب، وفخر الدولة هذا.

ولم يكن فخر الدولة من رجال الدولة وإن لقب بها، وإنما كان أبوه هبة الله بن محمد بن علي ابن المطلب وزيراً للخليفة المستظهر بالله. ألم يقرأ الشيخ الشبيبي الجليل ترجمته في تلخيص معجم الألقاب؟ فإن لم يتذكرها وهو الظاهر لنا فهي هذه، قال ابن الفوطي:

«فخر الدولة أبو المظفر الحسن بن هبة الله بن المطلب الكرماني ثم البغدادي الوزير[1] (كذا) الصوفي. ذكره تاج الإسلام أبو سعد السمعاني وقال: كان من بيت الوزارة فأعرض

(١) سيأتي أنه لم يكن وزيراً كما قال ابن الفوطي، قال القاضي شهاب الدين إبراهيم بن أبي الدم الحموي في التاريخ المظفري في حوادث سنة ٥٧٥: «وفيها استدعى الامام الناصر لدين الله فخر الدولة بن المطلب وطلب منه أن يستوزره لعلمه وورعه وكان للمستنجد والمستضيء طلباه للوزارة فامتنع، فلما حضر بين يدي السدة الشريفة قبل الأرض وخدم وقال: يا أمير المؤمنين، المملوك رجل شيخ ما يجوز له أن يفتح دكاناً بعد العصر. فقال له بهاء الدين صندل: أجب أمير المؤمنين. فقال له فخر الدولة: ليس لك في إجابتي مصلحة لأني لو قبلت بهذه الولاية ما كنت أتركك على ما بيدك من الاقطاع والولايات بل كنت أجريك على قاعدة بلال الحبشي وأزيل عنك هذه الثيابه وأمنعك من الركوب وبين يديك سيوف مشهورة. فضحك الامام الناصر وأعفاه». «نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية، الورقة ٢٠٩».

منها ، وجعل داره رباطاً للصوفية [ومال] إلى التصوف ، وكان حسن السيرة ، كثير الخير . سمع أبا الحسن علي بن محمد بن العلاف ، وعمر المدرسة الفخرية بعقد المصطنع في المأمونية ، وجعل بها خزانة كتب جامعة لأنواع العلوم ، وعمر داره رباطاً ، وأوقف عليها الوقوف الجليلة وحج وجاور ، وإليــه ينسب الجامع بقصر ابن المأمون بالجانب الغربي الذي جدده الوزير سعد الدين محمد بن علي الساوي . وتوفي في شوال سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ودفن الى جانب الجامع [1] . ومولده سنة أحدى وتسعين وأربعمائة [2] » .

وترجمه أبو عبد الله بن الدبيثي في ذيل تاريخ بغداد وقال : « زاهد تارك للدخول في أمور الدنيا ولتولي الولايات ، مشهور بالتقدم والرئاسة ، أحب طريقة الصوفية والتشبه بهم في ملبسه وأخلاقه ، كثير الحج والمجاورة بمكة ، له آثار حسنة منها مدرسة للفقهاء الشافعية بشرقي بغداد مجاورة لعقد المصطنع ، ورباط للصوفية مصاقبها ، ومسجد متصل بذلك ، وجامع يصلى فيه الجمعة على دجلة بالجانب الغربي ورباط للنساء بقراح ابن رزين وغير ذلك من مواضع الخير ووقف على ذلك من أملاكه ما يصرف في عمارته ومؤونة من يكون فيه . سمع الحديث في صباه من أبي الحســن علي بن محمد بن العلاف ، وقرأ الأدب على أبي بكر بن جوامرد القطان ، وامتنع في كبره من الرواية فلم يسمع منه أحد إلا بجهد . فسمع منه تاج الاسلام أبو سعد بن السمعاني بعد سنة ثلاثين وخمسمائة بيسير وذكره في تاريخه ، وذكرناه لأن وفاته تأخرت عن وفاته ... ورأيته ولم أقصد السماع منه . توفي في ليلة الأربعاء العشرين من شوال سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وصلى عليه الخلق الكثير بجامع القصر [3] ، وتقدم في الصلاة عليه الخطيب أبو جعفر بن

(١) ثم نقل الى مشهد الامام موسى بن جعفر سنة ٦٢٧ كما ذكر مؤلف كتــاب الحوادث ، فلو كان مؤلفه ابن الفوطي ما غفل عن ذلك في معجمه كما رأيت .

(٢) تلخيص معجم الألقاب ، نسختي بخطي ٤ : ٣٢٤ ، .

(٣) هو جامع الخليفة الذي بني على قطعة من أرضه مسجد عرف عند العامة بجامع سوق الغزل ثم هدمت أرضه في الشارع الجديد .

المقتدي ، ودفن بالجانب الغربي بالجامع [1] الذي بناه على دجلة [2] » .

ومما تقلت يعلم أن فخر الدولة لم ينشئ من الجوامع إلا واحداً ولا من المساجد إلا واحداً ولا من الربط إلا اثنين ولا من المدارس إلا واحدة وأن المدرسة والمسجد والخانقاهين أي الرباطين كانت في الجانب الشرقي ، وان الجامع وحده كان في الجانب الغربي ، فليس من الصواب جعل الكل في الجانب الغربي لئلا يكون القول مزلة للقارئين والناقلين .

٢٦ — وجاء في الصفحة ٩٦ « قال المؤرخ المذكور في وفيات ٦٩٥ : فيها مات الأمير سيف الدين بن أخي خوارزمشاه ... وكان قد شرف بالتشريفات اللائقة ... وأذن له في العودة إلى عمه فمات بخانقين في أواخر المحرم سنة ٥٩٦ ... » . يعني بالمؤرخ تاج الدين ابن الساعي ، فقد نقله من جزء من تاريخه الجامع المختصر — أعني الجزء التاسع الذي شاركت في تحقيقه — والصحيح أن يقال « في وفيات سنة ٥٩٥ » . ولعل الغلط من سبق القلم ، وعدم المراجعة للمنقول ، أو من غلط الطابع .

٢٧ — وقال في الصفحة ٩٧ : « هذا وقد ظهرت ... مشاهد أخرى وذلك في هذه الحقبة من تاريخ بغداد والعراق ، وفيما قبل أيضاً ، بعضها غير معروف هذا اليوم وبعضها ظاهر معروف ومن القسم الأول مشهد عون ومعين ببغداد ، ومشهد عبيد الله الباهر ، ومن القسم الثاني مشهد الرفاعي في أم عبيدة » . وأحال في ذكر مشهد عون ومعين على الجزء التاسع من الجامع المختصر أيضاً « ٩ : ١٨٩ ، ٢١٣ ، ٢٥٩ ، ٢٩٥ » [3] .

---

(١) ذكرنا أنه نقل منه بعد أن هدمت دجلة جانباً منه سنة ٦٤٩ ، وكان نقله بعد آخر نشرة من ابن الدبيثي أي بعد سنة ٦٢١ فلذلك لم يذكر النقل .

(٢) ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣٣ الورقة ١٧٨ » .

(٣) ثلاثة أرقام ورد فيها ذكر « مشهد عون ومعين » وواحد ذكر فيه مشهد عبيد الله . ومشهد عون ومعين قد ذكره ابن جبير في رحلته قال : — ص ٢٢٩ — : « وفي الطريق إلى باب البصرة مشهد حفيل البنيان داخله قبر متسع السنام عليه مكتوب هذا قبر عون ومعين من أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب =

وقد رجعت إلى هذا الجزء الذي كنت قد طبعته كما ذكرت قبل هذا وذلك لشك شككته في الذي نسبه إليه الأستاذ الفاضل من أن فيه « عبيد الله الباهر » . فاذا الخبر كما في الصفحة ٢١٣ من وفيات ٦٠٣ « أبو الفرج بن الحداد ناظر الحلة ، توفي في شعبان من هذه السنة ودفن في مشهد عبيد الله ظاهر البلد » . فليس مع قول المؤرخ عبيد الله لقب « الباهر » فكيف استجاز الشيخ الجليل أن يضيف لقب « الباهر » من عنده ؟! يظهر لي أنه أراد أن يضيف شيئاً من لدنه للإيضاح ، وظن أن عبيدالله هو عبدالله العلوي الملقب بالباهر مع أن كلاً منهما كان إنساناً معروف الذاتية والسيرة والزمان ، فعبيد الله الذي هو صاحب القبر المعروف في الخطط والتاريخ بقبر النذور ومشهد النذور مشهد عبيد الله ، هو (عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب) أو (عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب) [1] لا عبيد الله ابن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، كما ذكر الأستاذ الشبيبي في حاشية الصفحة ٩٧ . وجاء في مناقب بغداد « وقريب من جامع الرصافة قبر فيه بعض أولاد علي ـ ع ـ يتبرك به ، يقال إنه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين [2] » . وذكره ياقوت الحموي في مادة « قبر النذور » من معجم البلدان وقال : « مشهد بظاهر بغداد على نصف ميل من السور [3] يزار » . ونقل الحكاية التي ذكرها الخطيب البغدادي في تاريخه وقد ذُكر فيها أنه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وجاء في مراصد الاطلاع

= رضي الله عنه » ، وكان هذا المشهد قرب تربة السيدة سلجوقي خاتون المعروفة بالخلاطية ابنة السلطان قليج أرسلان الثاني السلجوقي ورباطها ، وكانت شمالي الموضع المعروف اليوم بالخضر الياس وقد جرفت السكك دجلة ، وعورت كثيرا من العمارات معها .

(١) تاريخ بغداد للخطيب « ١ : ١٢٢ » .

(٢) مختصر مناقب بغداد « ص ٣٠ » .

(٣) أعلى السور هو الحائط الأعلى لقلعة بغداد الداخلية التي أقيمت فيها وزارة الدفاع والسور أطلال تظاهر في الحديقة المجاورة لوزارة الدفاع من الشمال .

أن القبر « كان أولاً بين دروب بغداد ، وخرب ما حوله وصار في البرية وبينه وبين سور بغداد قريب من نصف فرسخ » . وقد دفنت عنده سنة ٦٨٥ السيدة (رابعة بنت أحمد بن المستعصم بالله) في تربة والدتها[1] ، وتوفيت قبلها والدتها شاه لُبنى الأيوبية وكان ذلك سنة ٦٧٨ : ودفنت في التربة التي أنشأتها بجوار مدرستها المعروفة بالمستنصرية ظاهر بغداد عند مشهد عبيد الله[2] . ويعرف قبرها اليوم بقبر أم رابعة في شرقي الأعظمية ، وقد صار بين الدور والدروب كما كان مشهد عبيد الله المجاور له مجاورةً تجعل التمييز بينهما متعذراً في هذه الأيام ، مضافاً إلى أن القبر القائم اليوم نسب إلى بعض الزهاد تدليساً على الناس .

وأما عبد الله الباهر لا عبيد الله ، فقد ذكر قبره الجديد ونسبه مؤلف « غاية الاختصار » الذي هو من مراجع الأستاذ الجليل الشبيبي ، ففي الصفحة ٩٦ منه وما قبلها وما بعدها ذكر عبد الله الباهر وآل الباهر العلويين ، وفي آخر ذلك قال المؤلف « قصة طريفة : ظهر ببغداد سنة خمس وسبعين وستمائة بتل الزبيبة[3] (كذا) — وهي محلة من محال مدينة السلام — قبر زعم جماعة أنه قبر عبد الله الباهر[4] هذا ، وبنوا عليه الأبنية الجليلة ووضعوا عليه ضريحاً مقضضاً وعلقوا فيه قناديل من الصفر وزاروه وعظموه ونذروا له النذور وها هو اليوم من المشاهد المعتبرة ، يتناول حاصله النقباء ، وبه الخدم والقوام ، وليس بصحيح ما زعموه فإن عبد الله الباهر مات بالمدينة ودفن بها والله أعلم » .

---

(١) كتاب الحوادث « ص ٤٤٩ » .

(٢) المرجع المذكور « ص ٤١٠ » .

(٣) هو تل قريب من الزبيبية ، وقد نقلت أول الخبر في الكلام على « الزبيبية » آنفاً .

(٤) جاء في حوادث سنة ٦٧١ من كتاب الحوادث — ص ٣٧٣ — « فيها رأى رجل ببغداد أن بعض أولاد الحسن بن علي — ع — في موضع بقراح أبي الشحم ، فأعلم الناس بذلك ، فنبشوا الموضع فرأوا فيه قبراً ، فتبرع بعض الموسرين وأخرج شيئاً من ماله ، وشرع في عمارته وشاع ذلك ببغداد ، فحضر خلق كثير للزيارة ونذروا له نذوراً صح أكثرها ، فاجتمع من ذلك شيء كثير ، فعمر بالآجر والجص عبد الله الباهر » .

٢٨ — وقال الأستاذ الشبيبي الكريم في الصفحة ٩٩ : « ولا بد لنا من القول إن المأمون عاش مع بوارن ثمانية عشرة [1] سنة فقط غير أن بوران بقيت بعده أكثر من أربعين سنة ... » .

قلت : لقد كان للأستاذ مندوحة من القول المذكور ، وذلك بأن يقول إن المأمون تزوجها سنة ٢٠٢ ودخل بها سنة ٢١٠ لأن بوران عاشت مع المأمون ثماني سنوات فقط ثم توفي عنها ، قال أبو جعفر الطبري في حوادث سنة (٢١٠) :

« وفي هذه السنة بنى المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل في شهر رمضان منها » [2] ثم قال في حوادث سنة ٢١٨ : « وفي هذه السنة توفي المأمون [3] » .

٢٩ — وجاء في الصفحة ١٠٩ قول الأستاذ نقلاً من كتاب الحوادث لسنة ٦٣٤ — ص ٨٩ — : « وفي رابع [4] عشره عملت دعوة بالمدرسة المستنصرية وحضر (الأمير نور الدين أرسلان شاه) إليها وجلس على طرف إيوانها الصغير ، وفرقت الربعات وقرئت [5] الختمات وذكر المدرسون بها الدروس، ثم قال : هذا وقد استعملت في العراق بعد ذلك «الربعة» بمعنى « الختمة » وتجمع على ربعات والربعة في الأصل جونة العطار » . وقال في الحاشية : « راجع عن أصل كلمة الربعة والختمة (أصول ألفاظ اللهجة العراقية) للمؤلف ٥٣ — ٥٥ » ، يعني رسالته المعروفة النافعة .

---

(١) كذا ورد والصواب « ثماني عشرة » وعلى ضعف « ثمان عشرة » ، فالمذكور في المتن خطأ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك « ١٠ : ٢٧٦ طبعة المطبعة الحسينية بالقاهرة » .

(٣) المرجع المذكور « ص ٢٩٣ » . وترجمة بوران في الوفيات « ١ : ١٠٠ » وغيره .

(٤) في الأصل « وفي رابع عشريه » وهو الصواب أي الرابع والعشرين ، والمتأخرون يضيفون العقود ويحذفون النون للاضافة .

(٥) نقل الفعل وجعله مبنياً للمعلوم بلا وجه محتمل فالصواب بناؤه للمجهول .

وقد رجعت إلى الكتاب المذكور فوجدته قد نقل من كتاب (فرحة الغري) شاهدين يدلان على أن « الختمة » استعملت بمعنى الربعة ، إلا أنه ذكر في تلك الشواهد ما نقلناه آنفاً من خبر نور الدين أرسلان شاه ، وليس فيه شهادة فقد قال المؤرخ : « فرقت الربعات وقرئت الختمات » . فلو أراد ان الختمة هي الربعة لاكتفى بأن يقول « وفرقت الختمات وقرئت » أو « وفرقت وقرئت الختمات » ، فالعطف هناك يفيد التغاير ، وبهذا التغاير يحصل مُراد القائل ، لأن معنى العبارة « وفرقت أجزاء القرآن وقرئت الختمات بها » .

٣٠ — وتكلم في الصفحة ١١١ على كتاب « الحوادث » قال : « تمود حوادث القسم المفقود إلى شطر من خلافة المستنصر العباسي [١] وفي أيامه تم تعزيز الصلات بين دار الخلافة ومظفر الدين كوكبري صاحب إربل ، يدلنا على ذلك الحفاوة البالغة التي قوبل بها صاحب إربل لما زار بغداد سنة ٦٢٨ ... » . والصحيح أنّ تعزيز العلاقات تمّ على عهد الخليفة الناصر لدين الله الذي كانت ملوك الأطراف وأمراؤها تتوخى أنواع الذرائع لخدمته والتقرب اليه ، فقد ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٦١٢ تجهيز الخليفة الناصر لدين الله الجيوش لمحاربة الأمير منكلي العاصي في بلاد الجبل وما حولها . قال ابن الأثير : « وأرسل الناصر إلى مظفر الدين كوكبري بن زين الدين علي كوجك — وهو إذ ذاك صاحب إربل وشهرزور وأعمالها — يأمره أن يحضر بعساكره وليكون مقدم العساكر جميعها وإليه المرجع في الحرب ، فحضر وحضر معه عسكر الموصل وديار الجزيرة وعسكر حلب فاجتمعت عساكر كثيرة [٢] » .

(١) بل تتجاوزها إلى قسم من خلافة الناصر لدين الله فقد قال مؤلف الحوادث في ترجمة الأمير ياتكين الرومي المتوفى سنة (٦٤٠) — ١٨٢ — : « وله نظم حسن منه ما قاله حين قتل بنو معروف بتل القير في بطائح واسط وكان حاضراً الوقعة وقد تقدم ذكرها » والحادثة كانت سنة ٦١٦ كما في الكامل لعز الدين بن الأثير . هذا وأكثر ما يتناول الشطر المفقود .

(٢) الكامل » ج ١٢ ص ١١٨ سنة ٦١٢ » .

ولا يخفى على السياسي معنى قول ابن الأثير « بأمره » مع أنه — أعني ابن الأثير — كان من المنحرفين عن الخليفة الناصر لدين الله ، وقد ذكر مضمون هذا الخبر ابن تغري بردي [1] ، ثم ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٦١٧ أنه « وصلت كتب الخليفة [الناصر] ورسله الى الموصل والى مظفر الدين بأمر الجميع بالاجتماع مع عساكره بمدينة دقوقا ليمنعوا التتر فانهم ربما عدلوا من جبال إربل لصعوبتها إلى هذه الناحية ويطرقون العراق ، فسار مظفر الدين من إربل في صفر وسار إليهم جمع من عسكر الموصل وتبعهم من المتطوعة كثير [2] ... » ، فهذا يدل على الانضواء التام إلى كنف الخلافة العباسية ، أما الجفاوة البالغة المشار إليها فردها إلى ذلك الانضواء القديم ووعد مظفر الدين بتسليم بلاده الى الخليفة المستنصر إذا مات ، كما يدل عليه مجرى الحوادث والماجريات .

٣٩ — وقال في الصفحة ١١٢ في حاشيتها يعني كتاب الحوادث : « وأدخلت في أخبار سنة ٦٥٣ وفاة جلال الدين بن السلطان الملك الصالح أيوب والصحيح ما جاء في تاريخ أبي الفداء من أنه توفي سنة ٦٤٢ راجع التاريخ المذكور ٣ : ١٧٣ » . وليس ذلك بصحيح فقد تنبهت الى هذا الغلط في أثناء طبعي لكتاب الحوادث ، وفي الصفحة ٢٧٩ منه كتبت ما هذا نصه « تتمة أخبار سنة ٦٤٣ » على أن الصحيح هو أنها تتمة أخبار سنة ٦٤٢ ، وقد جاء تابعاً لحوادث سنة ٦٤٣ قول مؤلف الكتاب في الصفحة ٢٩٣ : « وفي هذه السنة توفي جلال الدين عمر ابن السلطان الملك الصالح أيوب [3] ... » .

---

(١) النجوم الزاهرة « ٦ : ٢١٢ » .

(٢) الكامل « ١٢ : ١٤٦ » .

(٣) وفي الصفحة التي تلي هذه الصفحة أضفت ما هذا نصه « تتمة حوادث سنة ٦٥٣ » والصواب سنة ٦٥٤ ، على أن الأستاذ الذهبي قال في الحاشية أيضاً : « أنظر ١٩٦ وقارن بينها وبين الأخبار في ٢٧٩ وما يليها من الصفحات إلى صفحة ٢٩١ ففي هذه الصفحات حوادث ٦٤١ (كذا والصحيح ٦٤٣) وقد وضعت في حوادث سنة ٦٩٣ (كذا والصواب ٦٥٣) ... » . فقد نبه على أشياء كنت قد نبهت عليها في نسختي المطبوعة بمشارقي قبل سبع وعشرين سنة !! ولو قد كان نبه على ما في النسخة المخطوطة من من التشويش قبل الطبع لاختص بالتنبيه .

٣٢ — وقال في الصفحة ١٢١ بعد إشارته الى أمين الدين ياقوت الملكي الكاتب : « هذا ومن الكتب التي خلط مؤلفوها فيها بين ياقوت المستعصمي وياقوت الملكي ، وكلاهما من الخطاطين المشاركين بالاسم ، منتخب علماء بغداد للسلامي (٢٢٣) وشذرات الذهب لابن العماد » . وقال في الحاشية : « ونجد لأمين الدين ياقوت الملكي هذا ذكراً في المنتظم لابن الجوزي ٨ : ١٠ وفي معجم الأدباء للحموي ... » .

قلت : لم يخلط مؤلف منتخب علماء بغداد ابن رافع السلامي[1] بين ياقوت الملكي وياقوت المستعصمي ، وإنما تغير لقب ياقوت المستعصمي جمال الدين إلى « كمال الدين » على أيدي النُساخ كما فعلوا بلقب كمال الدين لابن الفوطي فصيروه « جمال الدين » أحياناً ، على أن المؤرخ المذكور لم يلقبه « أمين الدين » حتى تصح نسبة الخلط إليه ، قال — ٢٣٣ — : « ياقوت ابن عبدالله الرومي المستعصمي أبوالدر الملقب كمال الدين الكاتب ، كان بارعاً في علم الأدب ، مليح الشعر والخط ، كتب عليه خلق من أولاد الأكابر وكان محترماً معظماً ، كتب عنه أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن شامة ببغداد قطعة من شعره ، منه :

صدّقتمُ فيّ الوشاةَ وقد مضى ... في حُبِّكم عُمري وفي تكذيبها
وزعمتمُ أني مَللتُ حديثكم ... من ذا يملُّ من الحياة وطيبها ؟ !

تقدّم عندي بهذين البيتين في ترجمة سنجر[2] مولى ياقوت هذا . ومن شعره :

وعدتَ أن تزور ليلاً فألوَتْ ... وأتيت في النهار تسحب ذيلا

---

(١) إنما اعتددناه مؤلفه لأنه مؤلف الأصل وأما تقي الدين الفاسي فانتخبه منه .

(٢) هذا من كلام ابن رافع ، غير أن التقي الفاسي لم ينتخب ترجمة « سنجر مولى ياقوت المستعصمي » في منتخبه ، قال ابن حبيب الحلبي في وفيات سنة ٧٢١ : « وفيها توفي الشيخ علم الدين سنجر بن عبد الله الرومي ، كاتب مجود ... كتب على مولاه ياقوت المستعصمي ... ومن إنشاده لمولاه المذكور : صدقتم في الوشاة وقد مضى ... » . « درة الأسلاك في دولة الأتراك ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٧١٩ الورقة ١٦٥ » .

قلت هلا صدقت في الوصف قالت　　　كيف صدّقت أن ترى الشمس ليلا».

وأما قول الأستاذ : «ونجد لأمين الدين ياقوت الملكي هذا ذكراً في المنتظم لابن المنتظم لابن الجوزي ٨ : ١٠» فليس بصواب لأن المذكور في تلك الصفحة من المنتظم هو أبو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب الكبير ، وبينه وبين ياقوت من الزمان (مائتا سنة فقط). وقد أتى الأستاذ مثل هذا السهو من قبل ، فقد قال في رسالته « أصول الوحة العراقية — ص ١٠٠ — في التعليق على مزيد الخشكري الشاعر : « ونجد للشاعر المذكور ترجمة في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي » . وليس في فوات الوفيات لمزيد الخشكري ترجمة قط .

٣٣ — وقال في الصفحة ١٢٥ محاولاً أن يثبت أنّ كتاب الحوادث هو (الحوادث الجامعة) : « يبدو لنا من تصفح كتاب الحوادث أنه من المؤلفات التي تم وضعها كلاً أو بعضاً في أذربيجان أو تبريز ويستفاد من بعض مواضع هذا الكتاب أن مؤلفه عاش أيضاً في تبريز فانه يروي أخبار تبريز ووقائعها رواية النزيل المقيم في الحاضرة المذكورة[1] . ومن ذلك ما جاء في أخبار سنة ٦٨٨ وهذا نصه : وفيها وجد في الخزانة المحمولة في بغداد الى الأوردو المعظم كيس فلوس ، فتقدم بالفحص عن ذلك ، فظهر أن بعض حراس الديوان فعل ذلك فأمر بصلبه فصلب » .

قال الأستاذ ذلك ليتدرج الى أن الرجل الذي كان في تبريز وهو يسجل مثل هذا الحدث هو ابن الفوطي ، فأنا أورد للاستاذ الجليل أن ابن الفوطي كان في أيام حدوث هذا الحدث

(١) أشار بذلك على كتاب الحوادث (ص ٤٦٠) ولعله أراد الصفحة « ٤٧٢ » ففيها خبر إحداث الأوراق المالية بتبريز سنة ٦٩٢ قال : وفيها وضع صدر الدين صاحب ديوان الممالك بتبريز الجاو وهو كاغد عليه تمغة السلطان عوض السكة على الدنانير والدراهم وأمر الناس أن يتعاملوا به . وليس في هذا الكلام ولا فيما بعده ما يدل على مراد الأستاذ الجليل ، فالمؤرخ لم يقل « رأيت » ولا « عاملت » ولا « أعطيت » ولا « أخذت » ولا « أيام كوني بتبريز » ولا ما جرى هذا المجرى .

ببغداد فقد جاء في الورقة (١٢٠) من النسخة المصورة في مديرية الآثار من تلخيص معجم الألقاب في ترجمة أحمد الأعيان : « سيد كبير ، وشيخ خطير ، قدم علينا حاجاً في سنة ثمان وثمانين وستمائة ونزل عندنا بمحلة الخاتونية ، واجتمع اليه الفقراء والغرباء من أهل شيراز واصبهان ويزد وغيرها من بلاد العجم » ، فان صح قول الاستاذ الجليل وهو غير صحيح استحال معه أن يكون ابن الفوطي مؤلف كتاب الحوادث المذكور .

وكان ابن الفوطي سنة ٦٨٧ في بغداد أيضاً قال في ترجمة كمال الدين أحمد بن هبة الله الخالنجباني : « قدم بغداد سنة سبع وثمانين وستمائة وأخذ من خزانة الكتب بالمدرسة المستنصرية كتاب المصابيح لمحيي السنة ... » .

فالتسرع في الأحكام والاعتماد على مثل تلك الظواهر الخادعة لا يؤدي الى التأكيد ولا الى الصواب ، والعبرة في مثل هذا أن يستدل بأدلة واضحة موضحة ، لا بأمور عامة لا خصوص فيها ولا تعيين مما يجوز فيه للمؤرخ أن ينقله عن غيره .

٣٤ — وتطرّق — حفظه الله — في الصفحة ١٣١ إلى ذكر سيرة موفق الدين عبدالقاهر ابن الفوطي الأديب الشاعر ، وقصيدته البائية في التوبيخ والتعريض على شيخه العدل مجدالدين أبي القاسم هبة الله بن المنصوري العباسي الصوفي الخطيب حين وُلّي نقابة نقباء العباسيين سنة (٦٣٠) على عهد الخليفة المستنصر بالله ، وأشار الى أن لقصيدته دلالة بالغة على وجود ضرب من النقد السياسي اللاذع ببغداد ، والحقيقة أننا في مثل هذه الحال ينبغي لنا أن ننظر إلى القائل والمقول فيه ، والهاجي والمهجو ، وإلى أسباب القول والهجو ، إن المهجو شيخ زاهد صوفي عباسيّ دُعي الى منصب ديني رفيع استحق الى مثله قديماً الشريفان المرتضى والرضي وغيرهما من أعلام الامة ، فأي بأس في توليه إياه والقضاء بين طائفة من الامة ؟ وأما الهاجي[1] فقد ذكرنا ترجمته من تاريخ أبي الحسن الخزرجي الذي ينقل فيه من تاريخ ابن الساعي في مثل هذا الشأن ، وقد جاء في ترجمته أنه « لم يخدم قط في خدمة الاعادي رفيقه » وقد خالف موفق الدين بذلك

(١) قدمنا ذكره في الصفحة « ٤٠١ » .

الحديث النبوي الشريف « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه » . وقد تولى هو كتابة « ديوان عرض الجيش » فلماذا قبل الخدمة وهو يعيب من دخل فيها وسعى إليها ؟! ومع توليه ذلك المنصب أنشأ قصيدة لم يترك أحداً من كبار رجال الدولة إلا هجاه بها حتى الشيخ صدر الدين علي بن النيار شيخ الخليفة المستعصم بالله ، وفيها يقول :

يا سائلي ولمحض الخير يرتاد ... أصخ فعندي نشدان وإنشاد [1]

وهجا الوزير ابن العلقمي قال :

أما الوزير فمشغول بمنصبه ... والصارمان فنسّاج ومدّادُ
وحاجب الباب طوراً شارب ثمل ... وتارة هو جنكيّ وعوّادُ
ومشرف الدست مغرى بالهواط له ... في كل زاوية علق وقواد [2]

وقال في صدر الدين النيار شيخ الشيوخ الذي رفض الوزارة تنسكاً منه بتصوفه وزهادته :

وشيخ الاسلام صدر الدين همته ... مقصورة لحطام السحت تصطاد
غثته في اللؤم آباء سواسية ... ما سودوا في الورى يوماً ولا سادوا

وقال في منصور بن عباس العجيلي من كبار أرباب الدولة أيضاً :

وابن عباس مغرىً بالهواط له ... في كل ناحيـة علق وقواد

الى أن يقول فيها :

أين المنيـة مني كي تساورني ... فللمنيـة إصـدار وإيرادُ [3]

وقد ساورته المنية بعد سنة من نظمه هذه القصيدة فقتل صبراً كما مرّ ، لأنه كان من رجال

(١) نسب مؤلف الحوادث هذه القصيدة الى مجد الدين اسماعيل النشابي وذلك من أوهامه « الحوادث ص ٣٢٩ » وهذا يدل على نقله من عدة تواريخ .

(٢) سيأتي أن هذا البيت في هجو منصور بن عباس العجيلي .

(٣) العسجد المسبوك « نسخة المجمع العلمي العراقي المصورة ، الورقة ١٨٩ » .

الدولة الذين صدر عليهم الحكم بالاعدام : إعدام الروح . فهذه هي القصيدة السياسية في الحقيقة ولكن قائلها كان مقذعاً . وقد جاء في الحديث كما في الفائق ١ : ٣٢٣ « من قال في الاسلام شعراً مقذعاً فلسانه هدر » .

٣٥ — وقال في الصفحة ١٣٧ : « اشتهر في أواخر أيام الدولة العباسية دواداران أولها الدوادار الكبير وهو علاء الدين الطبرس الظاهري [1] ، كان دوادار الخليفة الظاهر ، معظماً عنده ، فلما استخلف المستنصر بعد الظاهر ثابر على تقديمه وتقريبه وزوّجه ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل كما تزوج أختها ابنه الدوادار الصغير مجاهد الدين في خلافة المستنصر » .

قلت : الصحيح أن الدويدار الصغير مجاهد الدين أبا اليامين أيبك المستنصري لم يكن ابن الدوادار الكبير ، ولم يقل هذا أحد سوى الأستاذ الشبيبي ، وقد أكد سهوه في الصفحة التالية لتلك بقوله : « وقد مات علاء الدين الدوادار الكبير عن ولدين أشهرهما مجاهد الدين الدوادار الصغير » . والظاهر أنه رأى في عقب ترجمة علاء الدين الطبرس هذا قول المؤرخ : « وتقدم بتأمير ولده شرف الدين وولد مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير وخلع عليهما [2] » . فحسب أن في الطبع غلطاً وأن الاصل « وتقدم بتأمير ولده شرف الدين وولده مجاهد الدين أيبك ... » ، وفيما أنا ناقله من الأخبار فيما يأتي بيان لما أسلفت ، جاء في أخبار سنة (٦٥٠) ما هذا بعضه « وفي شهر [3] ربيع الآخر كان ختان الأمير الصغير أبي المناقب المبارك [4] بن

(١) له ترجمة في الحوادث « ص ٢٦٤ » مع أخبار ، وكذلك في كتاب المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي والعسجد المسبوك لأبي الحسن الخزرجي .

(٢) الحوادث « ص ٢٦٦ » .

(٣) لم يعثر مؤلف الحوادث على هذا الخبر النفيس ولذلك خلا منه كتابه .

(٤) قال ابن تغري بردي في المنهل الصافي : « مبارك بن عبد الله بن منصور الأمير أبو المناقب ابن أمير المؤمنين المستعصم بالله العباسي آخر خلفاء بغداد ، روى عن أبيه وروى عنه ابن الفوطي وغيره ، ولما مات احتفل لعزائه أهل بغداد ورثاه الشعراء ، وكانت وفاته سنة سبع وسبعين وستمائة — ر ح — » . « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٧٢ الورقة ٦١ » .

الامام المستعصم بالله ، واستدعي الجماعة الذين خُتنوا معه وهم الأمير أبو جعفر منصور ابن الأمير السيد أبي القاسم عبد العزيز ابن الامام المستنصر بالله و [جلال الدين] كشلوخان ابن الدويدار الصغير أيبك المستنصري ، والأميران عبدالله واسحاق ابنا الدويدار الكبير الطبرس الظاهري ، وزنكي ابن الأمير محمد بن قيران إلى دار أبيه ونفذ مع ابن أخي الخليفة صندوق به من فاخر الثياب والزركش ما قيمته ثلاثة آلاف دينار وسبعة أكياس فيها سبعة آلاف دينار ونفذ مع ولد الدويدار الصغير صندوق فيه ستة آلاف دينار وما قيمته ألف دينار ثم مع ولدي الدويدار الكبير كذلك ثم مع ولد ابن قيران صندوق فيه ألف دينار وثياب تناسب ذلك ثم خلع على الطبيب وعلى بوابب دار التشريفات وعلى وكيل الخدمة وتحت الخلع والمبارّ خلقاً كثيراً ثم عُرضت التهاني والمدائح وهي كثيرة [1]... » .

هذا وقد كان في قدرة الأستاذ الجليل أن يتحقق هذا الأمر برجوعه الى ترجمة مجاهدالدين الدويدار الصغير في تلخيص معجم الألقاب ، فقد ذكر ابن الفوطي أنّ أباه « عبد الله » وهو اسم عام لوالد كل مجهول الأب من المماليك السلجقيين المتأخرين ، وكلٌّ منهم لا يريد ذكر اسم أبيه منهم ، قال ابن الفوطي : « مجاهدالدين [2] حسام الدين (كذا) أبو اليامن أيبك بن

---

(١) العسجد المسبوك « نسخة المجمع المصورة ، الورقة ١٧٩ » .

(٢) قال الخزرجي : « وممن قتل صبراً من أعيان الأمراء وأكابر الزعماء مجاهد الدين أبو اليامن أيبك الدويدار المستنصري ، وكان ممن رزق السعادة في دنياه . ولما رغب بدر الدين لؤلؤ زعيم الموصل اليه في الوصلة عظم شأنه وارتفع مكانه ، وملك جزيل الأمور من الدين والرقيق والدواب والعقار والبساتين والضياع مما يتعذر ضبطه على الحساب ، وفي ليلة بنائه بزوجته نفذ الى داره من أواني الذهب والفضة والثياب والجواهر ما يزيد على ثلاثمائة الف دينار ، وأنعم عليه في صبيحة تلك الليلة التي دخل فيها بزوجته ثلاثمائة الف دينار عيناً الى غير ذلك مما يطول ذكره ويتعذر وصفه . وبلغ من الجاه العريض والحرمة الوافرة حتى إنه كان يترفع على وزير الدولة الذي هو نائب الخلافة وعلى شرف الدين إقبال الشرابي الذي كان مقدم العسكر ، ولم يركب الى أحد سوى الخليفة ، وكان جماعة من أكابر الزعماء وأرباب المهام وأصحاب الكوسات والاعلام يقصدونه في داره خدمة وتقرباً اليه وكان يصل اليه من إقطاعاته وأملاكه ومزارعاته زيادة على خمسمائة الف دينار ، وقتل وقد جاوز عمره ثمانين (كذا) سنة » . « العسجد المسبوك ، الورقة ١٩١ » .

عبدالله الجركمي المستنصري الدواتي، أمير الأمراء . كان دواتي الأمير (كذا) المستنصر بالله وأخص خواصه، بلغ من التقدم ما لم يبلغه أحد من أبناء جنسه، فانه لم يزل منذ أشير له (كذا) الى أن مات مولاه في رفعة ومنعة وزيادة ومنعة ، وكان متيقظاً ملازماً لسدّته . وزوّجه بابنة السلطان بدرالدين لؤلؤ سنة اثنتين وثلاثين [وستمائة] وسلطنه وخلع عليه من مفاخر ملابسه (كذا) وقلده بسيف بحلية الذهب والجوهر النفيس ، ورفع خلفه من السلاح المجوهر والألوية والأعلام ، ورتب أمير الحاج في أيام المستعصم بالله لما حجت والدته سنة إحدى وأربعين [وستمائة] ... وفي سنة ست وخمسين [وستمائة] لما نزل هولاكو على بغداد أخذ الأموال والجواهر وأراد أن ينحدر في سفينة فاستولى المغول عليها . وكان قد عبر الى الجانب الغربي مع الأمراء وكسر المغول وأشار عليه أهل المعرفة بالرجوع الى بغداد فلم يلتفت وكانت الكسرة عليهم . وقتل مجاهد الدين وأنفذ رأسه الى الموصل ، وإليه تنسب المدرسة المجاهدية ببغداد[1] » .

وقال ابن تغري بردي : « أي بك بن عبدالله الدوادار الملك المجاهد سيف الدين (كذا)، مقدم جيوش العراق ، كان خصيصاً عند الخليفة المستعصم بالله العباسي وكان يقول : لو مكنني الخليفة لقهرت هولاكو . وكان أي بك المذكور مغرماً بالكيمياء ، كان في داره عدة رجال يعملون هذه الصنعة ولا صحت معه أبداً (كذا) وأتلف على هذا المعنى جملة مستكثرة ، قدر ما كان يحصل له لو صحت معه . ودام الملك المجاهد أي بك هذا في عزه الى أن مات مقتولاً بيد التتار صبراً في سنة ست وخمسين وستمائة ، وكان بطلاً شجاعاً مقداماً جواداً موصوفاً بالكرم والرأي الجيد والتدبير[2] ... » .

ثم قال هذا المؤرخ الذي مع بُعد بلاده فصّل هذا الضرب من أخبار بغداد والعراق أحسن من مؤلف الحوادث : « وفي يوم الأحد سادس شهر ربيع الآخر [من سنة ٦٥٠] استدعي

(١) تلخيص معجم الألقاب « الترجمة ١٢٠ من الميم من الجزء الخامس » .

(٢) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي « النسخة المذكورة ٢٠٦٩ الورقة ٢٨ » .

الجلال [1] كشلوخان ابن الأمير مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير إلى دار الوزير [مؤيد الدين ابن العلقمي] وشرف بالامارة وخلع عليه قباء أطلس بقطن ، وسر بوش كبير شاهي وأعطي [2] فرساً بمركب ذهب وغاشية حمراء وركاوته (كذا) ورفع وراءه سيفان أحضرا من المخزن سوى ما أحضر له من دار أبيه من السيوف والدرباشات ، وتوجه الى دراهم في جمع عظيم ، ونثر عليه ذهب في عدة مواضع وكان عمره يومئذ تسع سنين . وفي يوم الثلاثاء الخامس عشر استدعي ولدا الأمير علاء الدين الطبرس الظاهري الى دار الوزير وهما الركن عبد الله والشرف إسحاق وخلع عليهما خلعة الامارة وألحقا بالزعماء ، وأعطيا فرسين وعدتين كاملتين ورفع وراءهما أسلحة وكانا جميلين في غاية من الحسن [3] » .

وكان للأمير الطبرس ابن ثالث هو فلك الدين محمد وقد ذكرنا أن هولاكو قتله صبراً بعد استيلائه على بغداد سنة ٦٥٦ ونقلنا من كتاب الحوادث أنه قتل في الحرب .

وفي هذا ما يكفي في إثبات أن الأمير أيبك الدويدار الصغير [4] . لا قرابة له مع الطبرس الدويدار الكبير ، وإنما وصف كل منهما بما وصف به ، من أجل اختلاف أسنانهما ، وفي إثبات أن للأمير الدويدار الكبير ثلاثة أبناء هم ركن الدين عبدالله وفلك الدين محمد وشرف الدين إسحاق ، وكان هذا التصحيح من أوجب التصحيحات لما في بقاء الخطأ على حاله من إيهام للمراجعين والمقتبسين ، ومثل هذا الوهم أو قريب منه ما ذكره الأستاذ الجليل في رسالة ابن

(١) يعني « جلال الدين » وسيأتي الركن بمعنى ركن الدين والشرف بمعنى شرف الدين ، وهو من الاختصارات الاصطلاحية لاقامة أل في الظاهر المعروف مقام المضاف اليه .

(٢) يجوز « وأعطي » أي أركب إلا أن ما يأتي في الخبر الثاني يحتم ذلك .

(٣) العسجد المسبوك « الورقة ١٨٠ » . وتأمل قوله « وكانا جميلان ... » .

(٤) نقلنا قول ابن تغري بردي في ترجمة أيبك الدويدار الصغير : « أيبك بن عبدالله الدوادار الملك المجاهد ... مقدم جيوش العراق وكان خصيصاً عند الخليفة المستعصم بالله العباسي » . « نسخة باريس ، الورقة ٢٨ » . ولم يقل أيبك بن علاء الدين الطبرس وعبد الله عندهم هو اسم الأب لمن لم يعرف اسم أبيه أو من ترك اسم أبيه من المماليك كما ذكرنا قبلا .

الفوطي المعروفة المطبوعة بمطبعة الجزيرة سنة ١٣٥٩ = ١٩٤٠ فقد جاء في المقدمة الرابعة منها قول الاستاذ : « وفتك أرغون بآل الجويني واستأصلهم لكونهم من حزب أخيه السلطان أحمد » ، ولم يكن السلطان أحمد تكدار أخا أرغون بل عمه ، فهو أحمد تكدار بن هولاكو ابن تولي بن جنكيزخان ، وذاك أرغون بن أباقا بن هولاكو . وجاء في الصفحة المذكورة بعينها قوله : « هذه هي الروايات التي شاهدها ابن الفوطي ... وقد شاهد مثلها في العصر الثاني ما بين أيام غازان الى أيام حفيده أبي سعيد » . ولم يكن أبو سعيد بهادرخان حفيداً لغازان بن أرغون بن أباقا بل كان ابن أخيه محمد أولجايتو المعروف بخربنده ، فهو أبو سعيد بن خربنده بن أرغون ابن أباقا بن هولاكو .

٣٦ — وقال الأستاذ الجليل في الصفحة ١٣٩ : « وهكذا وقد بقي مؤرخنا ابن الفوطي معنياً على عادته بتاريخ هذه الأسرة [أسرة الدوادار] طبقة بعد طبقة فانه أشار الى اتصال وجيه تركي باحدى حفيدات الدوادار الكبير وشقيقات مجاهد الدين وهي من بنات فلك الدين محمد بن الدوادار الكبير » .

قلت : ذكر الشيخ الجليل آنفاً أن الدوادار الصغير مجاهد الدين هو أخو الدوادار الكبير — وقد بينا غلط هذا القول — فان كانت هذه السيدة بنت فلك الدين محمد بن الدوادار الكبير الذي هو ابن أخي مجاهد الدين الدوادار الصغير (عند الأستاذ الشبيبي ورأيه) فكيف تكون شقيقة لعم أبيها !! وقد صحح الأستاذ هذا القول (ص ٣٥٩) بأن جعل كلمة « قريبات » مكان « شقيقات » فبقي على الخطأ الأول ، لأنها لم تكن قط من قريباته ، وقد كرر خطأ النسب هذا في « ص ١٨٢ » .

٣٧ — وقال في الصفحتين ١٤٠ ، ١٤١ : « وأعقب ذلك [أعقب هرب جلال الدين كشلوخان ابن مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير من العراق الى الشام] محاولة جديدة حاولها خصوم علاء الدين الجويني صاحب الديوان لأخذه واعتقاله وحمله الى أذربيجان وعرض أمره

على السلطان [هولاكو] بتهمة مواطأته مع جلال الدين ، وكان التحقيق الذي أشرف عليه السلطان بنفسه أسفر عن براءته ، وكان لأخيه الصاحب شمس الدين وهو بأذربيجان مسعى محمود في خلاص أخيه ، فأعيد علاء الدين الى قاعدته في بغداد ، لايخامرنا أدنى شك في أن التهمة التي نسبت الى الجويني في هذه الحادثة هي الاتصال بملوك مصر والشام ، وفي سيرة الصاحب علاء الدين الجويني كل ما يدل على التنكر لوثنيين الطغاة من حكام المغول وإعادة الامم الاسلامية المغلوبة على أمرها في الشرق الى العيش في ظل راية إسلامية ... وعُزل شحنة بغداد الذي قبض على الجويني ناسباً إليه تلك التهم الخطيرة ... » .

قلت : هذا ركام من التاريخ ينبغي لي بناؤه ونفي الغث عنه ، وتحرير ذلك أنه في سنة ٦٥٨ اتفق علي بهادر شحنة بغداد وعماد الدين عمر القزويني ونجم الدين أحمد بن عمران الباجسري وأتباعهم، وهم من حكام العراق وصدوره ، على قصد السلطان هولاكو ، وهو إذ ذاك في بلاد الشام ، ورفعوا على صاحب ديوان العراق علاء الدين عطا ملك الجويني أشياء اعتمدها ، وكتبوا في رقيعتهم (أي تقريرهم) المبالغ التي استوعبها من أموال العراق ، وحُمل علاء الدين الى السلطان هولاكو فأمر باعادته معهم للتحقيق في التهم المسندة إليه في المدينة التي قالوا إنه ارتكبها فيها وهي بغداد ، فقوبل على ذلك وحوكم ، فثبت عليه ما نسب اليه ، فأنهوا صحة التهمة إلى هولاكو فأمر بقتله ، فسئل العفو عنه فأمر بالاجتزاء بحلق لحيته — يوم كان حلق اللحية دون الاعدام — فحلقت لحيته وأعيد الى منصبه فكان يجلس في الديوان ويستر وجهه [1] » .

وليس في نص هذا الخبر المنقول في كتاب الحوادث ما يدل على اتهام علاء الدين الجويني بالاتصال بملوك مصر والشام ، وها هنا لايجوز أن يقال : هذا استنباط لأن المؤرخ لم يصرح . فليست هذه أول تهمة يتهم بها علاء الدين في احتجان الأموال أو المخامرة ، ففي سنة ٦٦٢ قبض قرابوغا شحنة بغداد والعراق على علاء الدين الجويني واعتقله ونسب إليه أشياء قد عزم على أن يعتمدها ، فأرسل الى أخيه الصاحب شمس الدين وهو بأذربيجان ، يعرّفه ذلك ، فعرض أمره

(١) يراجع في معرفة أصل الخبر كتاب الحوادث « ص ٣٤٣ » .

على السلطان فأمر بحمله الى بين يديه ، على اختياره ، ومعه كل من قال منه ونسب [إليه] وسعى به إلى قرابوقا ، تحت الاستظهار ، فلما وصلوا وعمل له اليارغو ، وهو المحاكمة التترية ، لم يثبت على علاء الدين ما نسب اليه ، فأمر هولاكو بقتل من سعى به وعزل قرابوقا عن العراق ، وأعيد علاء الدين على قاعدته في الحكم الى بغداد [1] . فعزل الشحنة كان في التهمة الثانية .

والاتهام الثالث كان في عهد السلطان أباقا بن هولاكو سنة ٦٧٧ فقد طلب علاء الدين إلى الأردو أي معسكر السلطان للمقابلة على ما نسب إليه من مكاتبة سلطان مصر والشام فحمل إلى هناك ، وقوبل على ما نسب إليه فظهر كذب القائل عنه ، فأمر السلطان أباقا بقتله فقتل وحملت أطرافه الى البلاد ، وكتب علاء الدين كتاباً فيه بشرى لأهل العراق ببراءته من التهمة والتزوير والاختلاق عليه [2] .

والاتهام الرابع كان في السنة المذكورة بعينها وقد برئ منه أيضاً [3] ، هذا وإن ربط الأستاذ الجليل اتهام صاحب الديوان علاء الدين الجويني بقضية جلال الدين كشلوخان بن الدويدار الصغير لم يحل فيه على كتاب فالظاهر أنه استنباط كاستنباطاته الأخرى ، وقد راجعتُ الكتاب الذي استمد أكثر هذا الجزء منه وهو كتاب « الحوادث » — ٣٥٠ — الذي أشرت إلى طبعي إياه ، فلم أجد في قصة جلال الدين بن الدويدار الصغير فيه ما يشير إلى ذلك ولا ما يشعر به ويفيده ولا ما يرمز إليه ، ورجعتُ إلى ما ذكره غيره في شأنه كابن فضل الله العمري الأديب العلامة فلم أجده ، قال : « ثم لما جرى على بغداد ما أجرى العيون دماً ، وأسال النفوس أسفاً استأثر هولاكو بجلال الدين ابن الدوادار الخليفتي [4] المستعصمي واتخذه هولاكو

---

(١) كتاب الحوادث « ص ٣٥٢ » .

(٢) الحوادث (ص ٣٩٨ — ٤٠١ » .

(٣) المرجع المذكور « ص ٤٠١ — ٤٠٣ » .

(٤) اصطلح المؤرخون المتأخرون على النسبة الى ذي تاء التأنيث من غير حذفهـا ، كقولهم « الجيش الخليفتي » و « الفرقة اللامتية » ، و « المدرسة التتنبية » و « المدرسة العصمتية » .

موضع رأيه ، ومكان سرّه ، فلما كسر هولاكو وتضعضعت أركان جيشه ، كما ذكرنا ، شكا إلى جلال الدين بن الدواداار ما أصابه من الكسرة وفناء جنوده ، فقال جلال الدين : عندي عسكر جيد خير من هؤلاء . قال هولاكو : مَن هم ؟ قال : عسكر الخليفة فان ابن العلقمي قطعهم [1] ، وإلا فهم أحياء موجودون وأنا أجيئهم (كذا) إليك . فأعجب هولاكو كلامه ووقع منه موقعاً حسناً ، وكتب له برالبيغ [2] مضمونها : (إنا قد جهّزنا جلال الدين بن الدوادار في شغل مهم ورسمنا له بما يفعل ، ومرسومنا أن تمتثل جميع الخواتين والأمراء والنواب والقراولات وكافة الناس أمر جلال الدين المذكور وأنه مهما شاء فعل ، يقتل من يريد ، ويُخلي من يريد ، وأن لا يعارض في أمر من الأمور ولا يعترض عليه بسبب من الأسباب) ومن هذا ومثله . فتوجه جلال الدين وحط يده في كل مَن بقي بعده من أمراء المغل (المغول) وأكابرهم والقريبين عند هولاكو ، فعل فيهم ما أراد ، وفتك فيهم أنواع الفتك حتى وصل الى بغداد واستعد فيها لما يريد أن يعمله ، وأخذ منها ما أراد ومن أراد ودخل البرية هارباً من هولاكو على عزم الوصول إلى مملكة مصر ، فأدركه أجله قبل الوصول إليها . وبلغ هولاكو ما فعله جلال الدين بالمغل من الفتك والقتل والتنكيل ثم ما أخذه من بعده وخروج هارباً منه ، فانفطرت كبده ومات غبناً منه » .

فهذا الخبر ، مع ما فيه من التهويل والمبالغة ، مؤرخه شامي مشهور ، فلو كان لعلاء الدين الجويني صلة بقضية جلال الدين لصرّح بها وعدّها من فضائل الصاحب علاء الدين ، والمؤرخون الشاميون لا يغفلون عن ذلك وأمثاله ، وهم أعرف الناس به ، لاتصال في الأسفار ،

---

(١) الصحيح أن شرف الدين اقبالا الحبشي الشرابي هو الذي شتتهم ، راجع « واقعة الأتراك في الحوادث ص ٦٦٨ » ، ثم قال مؤلف الحوادث : « وكان الخليفة قد أهمل حال الجند ومنعهم أرزاقهم وأسقط أكثرهم من دساتير ديوان العرض ، فآلت أحوالهم الى سؤال الناس وبذل وجوههم في الطلب في الأسواق والجوامع » . « ص ٣٢٠ ، ٣٢١ » .

(٢) سيأتي أن البرليغ هو المرسوم والجمع البرالبغ ، ويجوز برليغات على القياس .

وأمان من الأخطار ، فليس من حقنا في التاريخ أن نعزو أمراً الى رجل كانت يتبرأ منه تبرؤ المسلم المؤمن من الكفر ، ويسطر المناشير وينشرها على الشعب بتنزهه عن ذلك .

٣٨ — واستمر الشيخ الجليل على الكلام على العداوة بين علاء الدين الجويني وعماد الدين القزويني فقال : « ومن ذلك الحين شرع [يعني علاء الدين] بأخذ خطوط الولاة والأكابر بما ارتكبه عماد الدين القزويني من جمع الأموال والثروات وعسف الناس ، وعرض ذلك على السلطان ... » .

قلت : الصواب أن الذي فعل ذلك هو أخوه شمس الدين محمد بن محمد بن الجويني ، قال مؤلف الحوادث سنة ٦٥٩ : « وفيها وصل صاحب الديوان شمس الدين [الجويني] إلى بغداد ومعه يرليغ يتضمن براءة أخيه علاء الدين مما نُسب اليه وبولايته العراق وبسط يده[1] ... » . ثم قال : « فلما كان الصاحب شمس الدين بالعراق أخذ خطوط الولاة والأكابر بما صار إليه من الأموال وعرض ذلك على السلطان [هولاكو] فأمر بالفحص عنه فثبت عليه أكثره فأمر بقتله[2] » . فالظاهر أن شمس الدين الجويني كان أكثر ولوغاً في الدماء من أخيه[3] .

---

(١) الحوادث « ص ٣٢٥ » .

(٢) المرجع المذكور « ٣٢٨ » .

(٣) ذكر ابن عنبة في قضية اغتيال وقتل علاء الدين هذا للسيد تاج الدين علي بن محمد بن رمضان ابن الطاطقي ، والد المؤرخ الكبير محمد بن الطقطقي مؤلف الفخري وغيره ، أن تاج الدين تقرب الى السلطان أباقا ابن هولاكو ، وتوسل إليه في أن يوليه العراق ويعزل علاء الدين ، وكتب الى السلطان كتاباً يعده فيه بأموال جزيلة ويشيد بكفايات غريبة ، فوقع كتابه الى شمس الدين الجويني أخي علاء الدين وهو يومئذ صاحب ديوان الممالك جماء ، فأرسل إلى أخيه علاء الدين يقول :

كم لي أنبه منك مقلة نائم ... يبدي صباناً كلما نبهته

فكأنك الطفل الصغير بمهده ... يزداد نوماً كلما حركته

فاستعد علاء الدين وتقرر أمره عنده على أن أمر جماعة بالقبض به ليلا فتمسكوا به وهربوا الى موضع ظنوه مأمناً أمرهم هو بالمصير اليه ، فخرج علاء الدين من ساعته الى ذلك الموضع فقبض عليهم وأمر بقتلهم فقتلوا ... » « عمدة الطالب ص ١٦٠ » . وفي هذا دليل على أنه كان فاتكا ماكرا .

٣٩ — وقال الأستاذ الجليل في الصفحة ١٨٧ مُحشياً : « يروى فريق من مؤرخي هذه الفترة أن شمس الدين الجويني شقيق علاء الدين كان له الفضل الأكبر في العفو عن أخيه واكتفى حكام بغداد بحلق لحيته فحلقت ، وكان يجلس في الديوان ويستر وجهه بيده . ولم ينس علاء الدين هذه الاهانة لما عاد إلى الحكم وأطلق كلة عبّر بها عن حقده الكامن وتصميمه على أخذ ثأره فقال لشحنة بغداد علي بهادر من الجماعة التآمرين عليه [1] : إن الشعر إذا حلق نبت والرأس إذا حُلق لم ينبت . ويا لها من كلة تشعر بالتشفي والتصميم على الانتقام » .

قلت : إن الأستاذ الجليل ذكر سعي شمس الدين في تخليص أخيه في الصفحة ١٤٩ ، فكرّر ذلك ها هنا وما أكثرما كرّرا! ولا بأس بالتأكيدالمفيد ، وقد ذكرت قصة شمس الدين في هذا الشأن آنفًا ، قبيل هذا ، فأما القائل لتلك القول فهو شمس الدين محمد الجويني لا أخوه علاء الدين ، قال المؤرخ المذكور في عام الخبر : « فلما قرىء البرليغ [2] في الديوان قال الصاحب شمس الدين لعلي بهادر شحنة بغداد : الشعر [3] إذا حلق نبت والرأس إذا حُلق لم ينبت . ودبّر في قتله وقتل عماد الدين القزويني ، على ما نذكره [4] » . وفي الكتاب أشباه لهذا السهو وقد ذكرنا سابقاً ما يخص القاضي محموداً الزنجاني ونسبته إياه إلى ابنه .

ثم إنّ حكام بغداد لم يكن لهم الأمر بحلق لحيته ، كما قال الأستاذ الجليل ، وإنما كان الآمر به السلطان هولاكو ، وقد نقلنا قول المؤرخ : « فلما قوبل وثبت ما نسب إليه أنهوا ذلك إلى السلطان [هولاكو] فأمر بقتله ، فسئل العفو عنه فأمر بحلق لحيته فحلقت [5] ... » .

---

(١) كذا ورد والصواب « المتآمرين به » أو « التآمرين على قتله » .

(٢) يعني المرسوم السلطاني ببراءة أخيه علاء الدين .

(٣) الذي نقله الشيخ الجليل « إن الشعر إذا حلق » ولا داعي الى التأكيد في أول الكلام .

(٤) الحوادث « ص ٣٤٦ » .

(٥) الحوادث « ص ٣٤٣ » .

٣٨ — وذكر في الصفحة ١٤٩ حاشية في الكلام على إسلام السلطان أحمد تكدار بن هولاكو وإرساله رسلاً إلى سلطان مصر والشام ، أيامئذ ، الملك المنصور قلاوون التركي الألفي ، يدعوه الى المسالمة وفتح طرق التجارة بين البلادين ، وكان رئيس الرسل شيخ السلطان عبد الرحمن ؛ وكانت المراسلة سنة (٦٨٢) قال الشيخ الجليل : « هذا ما ورد في تاريخ ابن الفرات من استقبال الوفد التتري برياسة الشيخ عبد الرحمن » ويلاحظ من هذا الاستظهار وتلك الطريقة في استجواب الوفد مرة بعد أخرى واستدعائهم أن قلاوون تغيرت نيته بعد سقوط مرسلهم أو مفدهم اليه ، وأضمر التضييق على الرسل وأخذهم بالشدة تقرباً إلى السلطان الجديد أرغون [بن أباقا بن هولاكو] لأنه أصبح صاحب السلطنة القائمة في مملكة التتر فلا مناص من الأخذ بسياسة الأمر الواقع في هذه الحالة ، ولو كان ملك المغول الجديد وثنياً خلف ملكاً مسلماً على المملكة[1] » . ثم استدل على صحة استنتاجه بتفصيل خبر التضييق على الرسل المذكورين .

قلت : أيقابل الأستاذ بين قوله هــذا وقوله في الصفحة ١٤١ وقد نقلت بعضه آنفاً : « لا يخامرنا أدنى شك في أن التهمة التي نسبت الى الجويني في هذه الحادثة هي الاتصال بملوك مصر والشام ، وفي سيرة الصاحب علاء الدين الجويني كل ما يدل على التذمر والتنديد الطغاة من حكام المغول وإعادة الأمم الاسلامية المغلوبة على أمرها في الشرق إلى العيش في ظل راية إسلامية ، ولو كان هؤلاء المسلمون أنفسهم من الشعوب المغولية ، وهكذا استمر الصراع في هذه الفترة من تاريخ المغول الايلخانيين بين الوثنية والاسلام الى أن تم النصر للمسلمين ... ومن هذه الحوادث وما إليها نلاحظ نمو الوعي عند العراقيين ومحاولة التخلص من سلطان الوثنية مستنجدين بملوك

(١) ثم قال في آخر الصفحــة (١٥٠) : « نرى ماذا كانت معاملة السلطان قلاوون للقوم لو بقي مرسلهم السلطان أحمد على قيد الحياة ؟ لا شك بأنهــا ستكون معاملة من نوع آخر فان العلائق بين تكدار وبين قلاوون كانت وثيقة جداً قبل ذلك كما يظهر من الرسائل المتبادلة بين هذين السلطانين المسلمين » وهــذا الضرب من النفاق السياسي كان مألوفاً في تلك العصور ، وليست هذه أول مرة يعلن هؤلاء السلاطين المماليك غدرهم على هذه الصورة » .

المسلمين الذين عجز هولاكو وأبناؤه من بعده عن التغلب عليهم في الديار المصرية » اهـ .

فهؤلاء المماليك كانوا إذن هنا ملجأ الإسلام ومنجاة المسلمين في رأي الأستاذ الجليل ، وهم هناك من النادرين المصريين على غدرهم أولي النفاق السياسي ، فأي رأيي الأستاذ هو الصحيح عنده ؟ أو يرى الأستاذ أن علاء الدين الجويني المتكبر ، في رأيه الوثنيين الطغاة من حكام المغول يرى النجاة والفوز في الملوك النادرين من المماليك المشار اليهم ؟! في الحق أن في قوله الثاني ، الذي نقلته ، شطراً من الصواب أعني نصف الصواب ، فان قسماً من العراقيين كانوا يرون النجاة والسلامة والعزة والكرامة في الالتحاق بركب السلاطين المسلمين من المماليك بمصر والشام ، وقد قتل منهم من قتل بسبب مكاتبة ملوك الشام كالعدل نجم الدين يحيى بن عبدالعزيز الناسخ ، قال مؤلف الحوادث في أخبار سنة ٦٦٩ من سلطنة أباقا بن هولاكو : « وفيها قتل العدل نجم الدين يحيى بن عبدالعزيز [1] الناسخ ، وسبب ذلك أنه نسب اليه مكاتبة ملوك الشام ، فحبس وقرر ، فاعترف بذلك فأمر بقتله ، وكان فاضلاً ورعاً تقياً ـ نعوذ بالله من سوء التوفيق [2] ـ » .

فهذا رجل بغدادي حنبلي المذهب قتل على مكاتبته ملوك الشام في ولاية علاء الدين الجويني على بغداد ، ولم يستطع علاء الدين أن يفعل شيئاً لانقاذه ، وبجرد قتله في ولايته عوناً يُنعى عليه أبد الدهر ، ويحاسب عليه سجيس الليالي ، والظاهر أن الحنابلة كان لهم الجهد المشكور وأن منهم الضحايا الكريمة في ذلك المنحى السياسي الخطير . ومجرى التاريخ العام يدل على أن دولة المماليك

(١) ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة « ٢ : ٢٤٧ طبعة مصر » وذكر أنه ولد سنة ٥٩٩ أو ٥٠٢ وقرأ القرآن بالروايات فبرع فيها وسمع الحديث فأتقن علمه وعني بالخط وكتب كتباً كثيرة لنفسه وتوريقاً للناس ، وولي النظر في خزانة الكتب بمسجد الشريف الزيدي بدرب دينار وخزانة تربة سلجوقي خاتون زوج الناصر لدين الله ثم في خزانة المدرسة المستنصرية ، وأجاز له الناصر رواية مسند الامام أحمد بن حنبل عنه ، ثم ولاه الظاهر بأمر الله ديوان التركات الحشرية ثم انقطع للعبادة برباط الحريم الطاهري الذي أنشأه الناصر لدين الله ، وأقام فيه الى حين وفاته سنة ٦٣٧ وقد ترجمه ابن الفوطي في « عفيف الدين » من معجمه وترجمه مؤلف الحوادث « ص ١٢٤ » وابن الدبيثي في ذيل تاريخ بغداد وابن الجزري في غاية النهاية « ١ : ٣٦٣ » . وشذرات الذهب « ٥ : ١٨٤ » فهذا والد القتيل الشهيد .

(٢) الحوادث « ص ٣٦٨ » .

بمصر والشام كانت متضادة ومقاومة ومنازعة للدولة الايلخانية في العراق وبلاد الروم ، والحروب والكروب ، والسلوب والنهوب المستدامة بينهما تؤيد ذلك منذ وقعة عين الجالوت حتى استيلاء غازان بن أرغون بن هولاكو على بلاد الشام ثم عودها إلى حكم المماليك ، وقد استمر النزاع السياسي حتى سنة ٧٢٢ فاصطلح السلطانان سلطان المغول أبو سعيد بهادرخان بن خربنده وسلطان المماليك المعظم الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وبسط السلام جناحيه على الدولتين ، تحت ظل الاسلام . قال ابن فضل الله العمري : « وملوك هذا البيت وإن كانوا أعداء ملوكنا من قديم الزمان وبينهم ما يكون بين الملوك من الشنآن .. فانهم أهل هم تذل لها الجبال [1] » .

وحجة المماليك النيّرة في الدفاع والقراع، والخاصة في النزاع، أن الملوك الايلخانيين هم الذين قرضوا الدولة الاسلامية الكبرى ، وأسقطوا الامامة العباسية وقتلوا الملوك المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وأفنوا ألوف ألوف من المسلمين في مختلف البلاد التي استولوا عليها وهدموا المدن والحصون ، والدور والقصور والمشاهد والمعابد والمساجد والمعاهد والمكاتب والمدارس ، وأسروا ألوف الشبان المسلمين والفتيات المسلمات وسخّروا من استحيوهم من المسلمين حتى الشيوخ ، وأسالوا سيول الدماء في البلاد الاسلامية ونشروا الرعب والأهوال ، ونهبوا الأموال وسلبوا كل نفيس ، وأصابوا دنيا الاسلام بأشد من الزلزال ، وهم مع ذلك في رأيهم كفار أغمار وأشرار غدّار ، ذوو أطماع في بلاد المسلمين التي لم يفتحوها وهي مملكة الشام ومصر ، ومن أجل ذلك آوى المماليكُ الخلافةَ العباسية الاسمية وأمدوها بالجنود والآلات ، ليملكوا العراق وغيره باسمها ، وتحيفوا أطراف المملكة الايلخانية بالغارات ، واستعملوا الباطنية في الاغتيالات ، وسلكوا جميع سبل الجهاد للحفاظ على مملكتهم والاسلام ، لأنهم صاروا قادته وزادته ، وحماته ورماته ، ولم يخف على المؤرخين ما عزم عليه الملك الأشرف خليل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون المقدم ذكره فقد أرسل جماعة من الباطنية الى بغداد لاغتيال وقتل (قفاجو) أمير مسلحة العراق ، فوثب أحدهم عليه على رأس الجسر العضدي سنة ٦٩٢ وضربه بخنجر عدة ضربات فقتله واشتد هاربا ، فمدّ له رجل إصفهاني رجله على الجسر فسقط فقبض عليه فجعل يقول : فداء الملك الأشرف ، فداء الملك الأشرف . ثم مُثِّل به حيا وقتل ، وأمد الملك الأشرف سلاسلَ وحبالاً

(١) مسالك الأبصار « الورقة ١٠٠ » من نسخة باريس .

من القنب الجسر ، وتهيأ المسير الى العراق ثم برز الى الصالحية في آخر سنة ٦٩٢ المذكورة [١] ، وكان قد أرسل الى فخر الدين المظفر بن الطراح أحـد حكام العراق في ذلك العصر بتوقيع بالولاية وخاتم وعلم من أعلام السلطنة ، واستقر الأمر بينهما أنه إذا دخل الملك الأشرف العراق محتلاً له ينضم اليه فخر الدين في الحال [٢] ، فلم تسمح الأقدار بذلك ، وقتل الملك الأشرف بأيدي أمرائه قرب الصالحية في خرجته التي خرجها للتوجه الى العراق [٣].

وكان السلطان أحمد تكدار بن هولاكو قد أسلم ورغب في مسالمة سلطان المماليك الملك المنصور قلاوون كما ذكر آنفاً ، إلا أن السلطان كان ينظر اليه كأنه لايزال كافراً كأجداده طامعاً مثلهم ، وانما أظهر الاسلام سياسة وخداعاً ، غير أنه مع ذلك لم يستطع أن يرفض عرضه مسالمة الدولة الايلخانية لدولته المماليكية ولا أن يأبى فتح طرق التجارة التي يرتفق بسلوكها المسلمون من رعايا الدولتين ، فقبل الرسالة على مضض ، مراعاةً للشعب الذي ينظر الى الظاهر الظاهر أولاً ، ولذلك لما علم بقتل السلطان أحمد تكدار وزوال هذا الكابوس من فوق صدره (ذلك الكابوس الذي أجبره ناموس الاسلام على احتماله) وعلم أيضاً بتولي ملك ايلخاني كافر هو أرغون بن أباقا بن هولاكو ثاب الى تشدده وصلابته وعاد الى مبدئه السياسي الأول من العنف والمقاومة والنزاع والامتناع ، فهو إذن قد أمن من اللوم والنكير ، والتثريب والتأنيب لأن خصمه ملك كافر قد قتل ملكاً مسلماً في الظاهر ، فمن يقدم على تأنيبه والانكار عليه إذا تشدد على ذلك الملك الكافر وتوعد وتهدد وأهان رسله ؟

هذا هو السبب في تشدد الملك المنصور على رسل السلطان أحمد تكدار بعيد أن علم بقتله ، ولا أريد أن أطيل الكلام أكثر مما فعلت فمن لايوقن بما ذكرت فلن أرجو منه إيقاناً بعد ذلك، ولا تصديقاً بما هنالك .

---

(١) الحوادث « ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ » .

(٢) الدرر الكامنة « ٢ : ٣٤ » .

(٣) الحوادث « ٤٧٤ ، ٤٧٨ » .

٤٠ — وذكر الأستاذ في الصفحة ١٥١ عماد الدين عمر بن محمد القزويني أحد حكام بلاد الشام والعراق في أوائل حكم هولاكو وفتوحه ، وقد قدمنا ذكره آنفاً ، ونقل من تلخيص معجم الألقاب قول ابن الفوطي : « مجد الملك أبو المكارم هبة الله بن صفي الملك محمد بن هبة الله اليزدي ، مشرف الممالك ، كان قد قدم بغداد في أيام صدر الدين القضوي القزويني فلما تسلق صدرالدين أقام ببلاد العجم .. » . وعلق الأستاذ الجليل على « صدرالدين » بقوله : « لقبه في الحوادث الجامعة — يعني كتاب الحوادث المجهول المؤلف — وفي الجزء الرابع من المعجم (عماد الدين) لاصدر الدين » .

قلت : صدر الدين لقب والده محمد ، قال ابن الفوطيّ نفسه في الجزء الرابع من تلخيصه : « عماد الدين أبو المعالي عمر بن صدر الدين محمد بن أبي العز القضوي القزويني المتولي على العراق [1] ... » . وقد التبس على ابن الفوطي لقب أبيه بلقبه ولعل ذلك يوهي كون كتابه أعني تلخيص معجم الألقاب « مثالاً من الدقة [2] والتحقيق » كما قال الأستاذ في أول كتابه « ص ١١ » . والصحيح عندي أن هذا المؤرخ الفاضل يقع أحياناً في أوهام ، وخصوصاً حين يعالج سير الذين بعدوا عن زمانه ولو بعض البعد .

٤١ — وقال في الصفحة (١٦٠) في الكلام على حال أهل الذمّة والعناية بأمرهم : « وعني بحمايتهم بعض أمراء السلاجقة كما نرى ذلك [3] واضحاً فيما سجله مؤرخو هذه الفترة وفي مقدمتهم ابن الفوطي في معجمه عن فخر الدين عبد الرحمن السلجوقيّ شحنة بغداد » . ونسبَ هذا الأمير « سلجوقياً » نقلاً من كلام ابن الفوطي ، ولم يكن من السلاجقة بل من

---

(١) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ١١٦ » .

(٢) يريد « التدقيق » وهو مصدر عنده يناسب « التحقيق » ، فالمؤرخ يدقق تدقيقاً ويحقق تحقيقاً ، ولا يدق دقة فان الدقة عيب ، قال النجاشي الشاعر :

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة ... فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل

(٣) كذا ورد والصالح لا يكون ظاهراً بل يكون ضميراً فالصواب « كما نراه واضحاً » .

أصولهم واعتداد ابن الفوطي إياه من السلجوقيين هو من أوهامه ، وقد تولى عبد الرحمن بن طغايرك هذا حجابة السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي وكان مستبداً ، فخاف منه السلطان فأمر بقتله ، على أن عبد الرحمن بن طغايرك كان ممن وضع الغيار على اليهود وهو من أشد ما كانوا يخشونه في سيرتهم الاجتماعية ، وبالغ في حمايتهم في مقابل ذلك ، هذا ولم يذكر ابن الفوطي في ترجمة عبد الرحمن بن طغايرك ، إلا مرجعاً تاريخياً واحداً هو تاريخ يمين الدين قثم بن طلحة الزينبي العباسي الأديب الحاكم المشهور ، وقد فاته ذكر كامل ابن الأثير في سنة ٥٣٦ وسنة (٥٤٠) وتاريخ الدولة السلجوقية « زبدة النصرة ونخبة الفطرة » ص١٧٥، ١٨١، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٤ » وتاريخ السلجوقيين لصدر الدين الحسيني « ص ١١٣ — ١١٨ » .

٤٧ — وقال في الصفحة ١٦١ وهو يتكلم على أحوال أهل الذمة أيضاً وذكر رجلاً سماه « ابن فضلان » : « ومن أبلغ الوقائع في الدلالة على المكانة التي كان أهل الذمّة يتمتعون بهما في خلافة الناصر لدين الله ومن بعده الظاهر رسالة ابن فضلان لما عهد إليه بمنصب النظر في ديوان الجوالي ... وفي هذه الرسالة يقترح ابن فضلان على الخليفة الظاهر أن تفرض الجزية متفاوتة حسب تفاوت طبقات أهل الذمة في ثروتهم ومكانتهم ... » وقال في الحاشية : « نجد لابن فضلان ترجمة في طبقات الشافعية وفي الحوادث الجامعة » . ولم يزد شيئاً على ما ذكرته من المراجع في حاشية الترجمة في كتاب الحوادث المعروف .

قلت : إن التاريخ الذي نقل منه مُدّعي الرسالة هو كتاب الحوادث كما ذكر هو في الحاشية ، ومؤلفه يقول : إن أبا عبد الله محمد بن يحيى بن فضلان كتب الرسالة أو الرقعة كما سماها إلى الخليفة الناصر لدين الله لا إلى الظاهر ، إلا أنّ مجرى سيرته لا يؤيد ذلك ، لأن المؤرخ يقول : « حكي عنه أنه كتب للخليفة الناصر لدين الله لما كان يتولى ديوان الجوالي رقعة طويلة يقول فيها ... » . على حين قال من قبل : « فلما بويع الظاهر بأمر الله عزله فلزم منزله ... ثم استدعي وولي نظارة البيمارستان العضدي فكان على ذلك شهوراً ثم عزل نفسه ولزم بيته إلى أن

المستعصمي وولي النظر بديوان الجوالي واستيفاء ثروات أهل الذمة ثم ولي تدريس مدرسة الأصحاب (١) فتردد إليها مدة ثم تركها وتوفّر على ديوان الجوالي ... » . وهذا يعني أنه تولى ديوان الجوالي في خلافة المستنصر الله لا في خلافة الناصر لدين الله ولا في خلافة الظاهر بأمر الله ، إلا أنه يذكر في رسالته « ابن زطينا » النعماني النصراني من ذرية النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وأنه كان كاتب المخزن يوم الارسال بالرسالة الى الخليفة ، وابن زطينا إنما كان كاتب المخزن في خلافة الناصر لدين الله ، قال سبط ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٧٨ : « وفي ذي الحجة أمر الخليفة [الناصر لدين الله] أن لا يستخدم في الديوان يهودي ولا نصراني ولا يستعان بهم في عمل من الأعمال . فأنهي أنّ ابن زطينا ليس له نظير في الكتابة . فكتب على الطالبة : إن مات ابن زطينا فأيش نعمل ؟ أنبطل الديوان ؟ فأسلم ابن زطينا يومئذ واستعمل (٢) » . وقال ابن الساعي في حوادث سنة ٦٠١ ووفياتها : « أبو غالب بن زطينا المسلم ، كاتب ضابط فاضل ، كان نصرانياً وهو كاتب صلة الديوان العزيز ، فتقدم الامام الناصر لدين الله — رضي — أن لا يستخدم في الديوان أحد من أهل الذمة فأسلم جماعة وأسلم أبو غالب هذا في الجملة . كانت وفاته في سنة إحدى وستمائة (٣) » . وقد جاء ذكر رجل آخر من بني

(١) كنت أحسب مدرسة الأصحاب « المدرسة الثقتية » التي بناها أبو الحسن علي بن محمد الدريني الشافعي الملقب ثقة الدولة ببابه الأزج بالجانب الشرقي من بغداد ، لأنها بنيت لأصحاب الشافعي ، فوجدت في العسجد المسبوك لأبي الحسن الخزرجي أنها في الجانب الغربي « الورقة ١٩٢ » ، ثم علمت من تلخيص معجم الألقاب أنها مدرسة السيدة زمرد خاتون صاحبة التربة القائمة بجوار مقبرة الشيخ معروف الكرخي المعروفة بالست زبيدة ، قال ابن الفوطي في ترجمة كمال الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد البرجوني : ذكره شيخنا تاج الدين أبو طالب (ابن الساعي) في تاريخه وقال : كان شيخاً حسن السمت ، تفقه على جمال الدين يحيى بن فضلان ورضي الدين علي بن علي الفارقي ودرس بمدرسة الأصحاب المجاورة لتربة أم الناصر في المحرم سنة أربع وستمائة ... » .

(٢) مرآة الزمان « مختصر ج ٨ ص ٣٧٨ » .

(٣) الجامع المختصر « ٩ : ١٦١ ، ١٦٢ » .

زطينا في أول ترجمة من الموجود من الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب وهي ترجمة « عز الدين بن الحداد قال ابن الفوطي : « ذكره شيخنا تاج الدين في تاريخه وقال : كان [مخرج الأموال] بالديوان وهو أن يكون عارفاً بأحوال من تقدّمه من حواشي الديوان من أرباب الشاهرات وأصحاب المعاملات [1] ، ولما مات عز الدولة هبة الله بن زطينا قام عز الدين بن الحداد مقامه [2] ... » . وكرّر المؤلف ذكره في ترجمة عز الدين الحسين بن عبدوس البغدادي ، قال : « ثم رتب مخرج الأحوال بالديوان فكان على ذلك الى أن عزل بابن زطينا الكاتب » .

ومن بني زطينا الأديب الأريب الكاتب جبريل المتوفى سنة ٦٢٦ ، قال مؤلف الحوادث في وفيات سنة ٦٢٦ : وفيها توفي أبو الفضل جبريل بن زطينا كاتب الديوان ، كان نصرانياً وأسلم في أيام الخليفة الناصر لدين الله ، وكان ذا فضل وأدب وله نظم ونثر وأشياء مستحسنة ومن شعره :

إن سهرت عينك في طاعة ... فذاك خير لك من نوم

أمسك قد فات بعلاته ... فاستدرك الفائت في اليوم

وإنْ قسا القلبُ لأكداره ... فصقلُه بالذكر والصوم[3] ... »

وذكره ابن كثير الدمشقي في وفيات سنة ٦٢٦ من تاريخه قال : « أبو الفضل جبريل بن منصور بن هبة الله بن جبريل بن الحسن بن غالب بن يحيى بن موسى بن يحيى بن الحسن ابن غالب بن عمرو بن الحسن بن النعمان بن المنذر المعروف بابن زطينا البغدادي ، كاتب الديوان وكان نصرانياً فحسن إسلامه ، وكان من أفصح الناس وأبلغهم موعظة ... وقد أورد

(١) المعاملات جمع المعاملة وهي بمثابة المكورة في التقسيم القديم والوحدة الادارية الثالية وكالمتصرفية في أيامنا .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٧ أ من نسختي بخطي » .

(٣) الحوادث « ص ١٦ » .

له ابن الساعي شعراً حسناً فمنه قوله : « إن سهرت [1] عينك في طاعة [2] ... » . وبيت زطينا عريق أيضاً في خدمة النصرانية ، فقد ذكر الشيخ ماري بن سليمان منهم شماسين : أبا بشر ابن زطينا وأبا الفتح بن زطينا ، وكان في أيام جثالقة الجاثليق ماري صوما المتوفى سنة (٥٣٠) هـ [3] .

أما إطلاق « ابن فضلان » على محيي الدين أبي عبد الله بن فضلان في أول الحديث عنه فليس بمناسب ، لأنه كان يشارك في هذه التسمية أباه يحيى المسمى من قبل ذلك « واثقاً » ، وقد ذكرتُ في حاشية سابقة والده المذكور جمال الدين يحيى بن فضلان الفقيه الشافعي ، وإلى الأب تنصرف التسمية عند الإطلاق ، قال الشيخ عبد اللطيف بن يوسف العلامة البغدادي المشهور : « وطالعت الكتب المبسوطة والمختصرات وواظبت على المقتضب للمبرد وكتاب ابن درستويه ، وفي أثناء ذلك لا أغفل سماع الحديث والتفقه على شيخنا ابن فضلان بدار الذهب وهي مدرسة معلّقة بناها فخر الدولة بن المطلب [4] ... » . ومع اشتهاره بهذه التسمية كان من الذاكرين له من يذكره بالتمييز ، قال مؤلف عيون الأنباء في ترجمة أبي البركات هبة الله بن ملكا نقلاً من ابن الدهان المنجم المؤرخ المشهور ، برواية عبد اللطيف البغدادي المذكور قال : « كان الشيخ أبو البركات قد عمي في آخر عمره وكان يُملي على الشيخ جمال الدين بن فضلان وعلى ابن الدهان المنجم [5] ... » .

وقال ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٥٧ : « جرت لابن فضلان الفقيه قصة عجيبة [6] ... » .

---

(١) هذا وأمثاله يؤكد لك أن مؤلف الحوادث وابن الساعي يتفقان على جملة من الأمور التاريخية ، وإذ كان مؤلف الحوادث متأخر العصر عن ابن الساعي يكون جائزاً التباسه من كتب ابن الساعي وهو ما ذكرناه من قبل .

(٢) البداية والنهاية « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥١٦ الورقة ٧٨ » وهذه النسخة أصح من المطبوعة .

(٣) أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل « ص ١٥٥ » .

(٤) عيون الأنباء في طبقات الأطباء « ٢ : ٢٠٣ » .

(٥) المرجع المذكور « ١ : ٢٨٥ » .

(٦) المنتظم « ١٠ : ٢٠٣ » .

ولأبي عبد الله محمد بن فضلان ترجمة في تلخيص معجم الألقاب لم ينتبه لها الأستاذ الجليل[1] ، وإذ كانت ولادته سنة (٥٦٠)[2] يستبعد منه أن يكتب الى الخليفة الناصر لدين الله تلك الرقعة الفريدة وعمره « سبع عشرة سنة » ، ويدخل في حدود الامكان أن تنسب الى والده « جمال الدين أبي القاسم يحيى بن فضلان » المذكور ، وأياً كان الأمر لا يصح أبداً أن تكون الرسالة مرسلاً بها الى الخليفة الظاهر بأمر الله ولا الى المستنصر بالله لأن ابن زطينا كان قد أسلم قبل استخلافهما بكثير ، اللهم إلا إذا كان محيي الدين بن فضلان قد ذكر للخليفة حادثة قديمة وقعت قبل كتابته الرقعة بسنين ، فيجوز بذلك أن تكون من عهد المستنصر بالله دون عهد الظاهر بأمر الله ، وإن أكده الأستاذ الجليل في الصفحة ١٦٢ بلا دليل .

٤٣ — وقال في الصفحة ١٨٧ : « يعرف دير المدائن بدير قنّى ولم يبق له من أثر الآن ومن رأي بعض الباحثين أنه لا يبعد كثيراً من موقع الطاق الى الجنوب وهناك عدة تلال ربما تم أحدها على أنقاض الدير المذكور » .

قلت : الصحيح أن دير قنّى غير دير المدائن ، قال الشابشتي في دير قنى : « هذا الدير على ستة عشر فرسخاً من بغداد ، منحدراً في الجانب الشرقي ، بينه وبين دجلة ميل ونصف ، وبينه وبين دير العاقول بريد . وهو دير حسن نزه عامر وفيه مائة قلاية لرهبانه والمتبتلين فيه ، لكل راهب قلاية[3] ... » .

ثم إن المصدر الذي صدر عنه الأستاذ الجليل لا يعترف باتحـــاد دير قنى ودير المدائن لاستحالة ذلك ، فمؤلفه عمرو بن متى يقول في ترجمة (ياب الاها الثالث) الجاثليق : « ووصل الى

---

(١) باسم « محيي الدين أبي عبد الله محمد بن يحيى بن الفضل بن هبة الله المعروف بابن فضلان البغدادي قاضي القضاة » . « التلخيص ج ٥ الترجمة ٨٦١ من الميم » .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي « ٥ : ٤٤ » .

(٣) الديارات « ص ١٧٩ » ، قال ياقوت : « وأما الآن فلم يبق من هذا الدير غير سوره وفيه رهبان صعاليك ، وكأنه قرب بخراب النهروان » . (معجم البلدان) .

بغداد بالاكرام والتبجيل وتجهزوا انحدر الى دير المدائن وكان وصوله يوماً مشهوداً [1] ... » .

ويقول في الصفحة ١٠٤ : « وانحدر الى دور قنى وتقبل فيه [2] . »

وقال في الصفحة ١٠٣ في ترجمة الجاثليق إيليا الثاني : « ثم انحدروا إلى دور قنى وخرج الكهنة والاسكولانيون من دير ماري السليح واستقبلوه بالصليب والانجيل والشموع ... ثم قصدوا دير مارجبرائيل المعروف بدير الكرسي ، وتقبل فيه وعاد بالجوع صاعداً إلى بغداد » وكان انحدارهم بعد أن نصبوه فطركاً بالمدائن كما ذكر المؤلف ، وكان ذلك سنة ٤٠٥ هـ ، وكل أخبار الكتاب وغيره تدل على أن دير قنى هو غير دير المدائن الذي عنده البيعة العظمى .

فقولنا : إن دير المدائن يعرف بدير قنى هو كقولنا مثلاً إن المارة الحالية تعرف بالكوت الحالية .

٤٤ — وجاء في الصفحة ١٧٥ « الجاثليق بابالاها » بالباء المتواليتين وجاء كذلك مكرراً في البحث ، والذي حفظناه هو « يبالاها » أو يابالاها بالياء المثناة من تحت تليها الباء الموحدة أو الألف ، ثم إنه « يبالاها » الثالث دون غيره [3] ، وجاء في الصفحة ١٧٣ « مليخا » والصواب « مكيخا » بالكاف كما جاء في كتاب عمرو بن متى « ١١٩ » وهو مكيخا الثاني ، وأما مكيخا الأول فكان في خلافة المقتدي بأمر الله في القرن الخامس للهجرة تراجع « ص١٠٢ » منه و « ص١٣٧ » من كتاب البطاركة لماري بن سليمان . وأما ما جاء في كتاب الحوادث فسببه أن مؤلفه لا يلصق الكاف مماسها فظننتها لاماً إذ ذاك ، ولا بد لنا من التصحيح والأخذ بالصحيح .

٤٥ — وجاء في الصفحة ١٨١ قوله : « والمرجح أن نتائج التزام المتول للنصارى على هذه الصورة في بغداد والموصل وبعض أقطار الشرق تمـــدت إلى مصر فتنكر الملك الظاهر

---

(١) فطاركة كرسي المشرق « عمرو بن متى ص ١٢١ » ، وقد سماها « بيعة المدائن » كما في الصفحة ١٢ . وذكر ماري بن سليمان أنها البيعة الكبيرة وأنها غير دير قنى « البطاركة ص ٤ » .

(٢) المرجع المذكور « ص ١٠٤ » .

(٣) أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لعمرو بن متى « ص ١٢٢ — ١٢٥ » .

المعروف بالبندقدار لهم في مسيره إلى بلاد الروم وظفره بالمغول في واقعــــة وقعت هناك بين الفريقين ومع أن سيرة البندقدار كانت حسنة جداً في بلاد الروم في هــذه الرحلة ... إلا أنه نهب النصارى وأخذ أموالهم وسبي ذراريهم عند عودته ... » .

قلت : إنه « البندقداري » لا « البندقدار » فهو منسُوب إلى هذا الاسم ، وصاحبه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار مملوك الملك الصالح نجم الدين أيوب الأيوبي ، وكان سيد بيبرس المذكور ، فقيل لبيبرس البندقداري [1] . والظاهر أن الأستاذ الجليل اخــذ هذه التسمية من كتاب الحوادث « ص ٣٤٤ ، ٣٥٥ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ » وتاريخ مختصر الدول فانه سمّى بيبرس « البندقدار الصغير » ، قال في حوادث سنة ٦٥٨ : « ولما وصل [قوتوز] قريباً من غزّة نهض عليه بيبرس المعروف بالبندقدار الكبير وقتله [2] ... » والمعتمـــدة في ذلك التواريخ الشامية [3] والتواريخ المصرية ، ولعل الأستاذ رجح إحدى التسميتين على الأخرى ، إلا أنه لم يذكر الثانية « البندقداري » ولا نبه على جوازها ، وأنا كنت قد نبهت على ذلك في حواشي كتاب « الحوادث » إلا أن نهان الأعظمي المنفق على طبع الكتــاب حــذف ذلك مع كثير من الحواشي حتى جدول الخطأ والصواب والاستدراك وذلك بشبهة الاقتصــاد في النفقات .

وأما القول إن تسامح التزام المغول على تلك الصورة في بغـداد والموصل وبعض أقطار الشرق وتمدت الى مصر والشـام فتنكر الملك الظاهر البندقداري لهم في مسيره الى بلاد الروم ، فمن الانتجاع البعيد في التاريخ ، لأن النصارى في دمشق كانوا قد استطالوا على المسلمين بعد احتلال هولاكو للمدينة وأدخلوا الخمر في الجامع ؟ فأحقدوا المسلمين وغاظوهم ، قال أبو الفداء في حوادث سنة ٦٥٨ : « وفي خامس عشر شعبان من هذه السنة أخرج التتر من الاعتقـال نقيب قلعـة دمشق وواليها وضربوا أعناقهما بداريا . واشتهر عند أهل دمشق خروج العســاكر من مصر

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك ١ : ٦٣٢ » .

(٢) تاريخ مختصر الدول » ص ٤٩٢ » .

(٣) قال أبو الفداء مثلا : « وبيبرس قماز ركن الدين البندقداري » ، « المختصر ٣ : ٢١٤ » .

لقتال التتر ، فأوقعوا بالنصارى ، وكانوا قد استطالوا على المسلمين بدق النواقيس وادخال الخمر الى الجامع ، فنهبهم المسلمون في سابع عشري رمضان من هذه السنة وأخربوا كنيسة مريم وكانت كنيسة عظيمة[1] » . جرى ذلك في دمشق ولم يجر مثله من نصارى بغداد ولا جرى نهب عليهم ، فالأسباب بلدية محلية كما يقولون . وأراد الملك الظاهر أن ينتقم لرعاياه ودينه ، مضافاً إلى أن النصارى الذين نهبت أموالهم كانوا من أعوان التتر ومواطئيهم على العدوان .

٤٦ — وقال في الصفحة ١٨٩ وهو يذكر ظفر الأمير أبي فراس بن أبي فراس بالعرب الأجاودة المتعرضين — كانوا — لأذية الحاج سنة : « هذا ما ورد في كتاب الحوادث عن ظفر هذا الأمير بعرب الأجاودة[2] من المنتفك في ذلك العصر » أراد بالمنتفك المنتفق، والذي حققناه أن « الأجاودة » من قبيلة « غزيّة » لا من المنتفق وغزية من جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن وأن المنتفق من عامر بن عقيل بن كعب ربيعة بن عامر بن صعصعة من هوازن ، قال القلقشندي في بني عامر بن صعصعة هم إخوة بني المنتفق[3] » فهم قد تشعبوا وانعزل بعضهم عن بعض .

وقال ابن فضل الله العمري : « عرب غزية قال الحمداني [بدرالدين أبو المحاسن يوسف بن أبي المعالي] : هم بطون وأفخاذ ولهم مشايخ ... مياههم ... مياه الأجود لينة والثعلبية » ثم قال : « بطن الأجود بن غزيّة : آل منيع وآل سنيد وآل سند وآل مناف وآل أبي الحزم وآل علي وآل عقيل وآل مسافر ، هؤلاء المشهورون ، من بطون غزية[4] . قلت : وذكر لي نصر بن ترجم المشرقي زيادة أولاد الكافرة وساعدة وبني جميل وآل أبي مالك » وكان قد قال: « وأما سرة ... وبأثيهم من عرب البريّة من نذكره ، في غزية: غالب وآل أجود والبطاين

---

(١) المختصر « ٣ : ٢١٢ » .

(٢) قال مؤلف الحوادث « العرب الأجاودة » وهو الصواب ، وقال الشيخ الجليل « عرب الأجاودة » وليس بصحيح لأن قولنا « عرب الأجاودة » يفيد أن فيهم من غير العرب .

(٣) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب « بنو عامر » و « بنو المنتفق » ، و « بنو الأجود » .

(٤) ذكر قبلهم « آل دهيج وآل روق وآل رنيم وآل سرية وآل مسعود وآل تيم وآل شردل» .

وصاعدة [1] » .

وخلاصة القول أن « الأجاودة » ليسوا من فرع المنتفق بل من غزية التي عناها الشاعر بقوله :

وهل أنا إلا من غزية إن غوت ... غويت وإن ترشد غزية أرشد

ومن بني الأجود دهمش بن سعد بن أجود الذي ذكره الأمير علي بن مقرّب العيوني الشاعر في قوله :

منا الذي ضربت حمر القباب له ... بالمشهدين وأعطى الأمن وانتقما
لولا عياذ بني الجراح منه به ... لصاحبت دهمشاً أو ألفت دَرِما[2]

قال شارح ديوانه : يعني بالمشهدين مشهد علي – رضي – ومشهد ابنه الحسين – رضي – ، وبنو الجراح هم الأمراء المعروفون ببني ربيعة رهط سعد بن فضل ومانع بن حديثة ومسعود ابن بريك بن الصميط . ودهمش هو دهمش بن سعد بن أجود سيد غزية . والذي ضربت له القباب بالمشهدين هو الأمير محمد بن أبي الحسين أحمد بن أبي الفضل بن عبد الله العيوني ، وكان من حديثه أن سعيد بن فضل ومانع بن حديثة ومسعود بن بريك أمراء بني ربيعة جمعوا قبائل طيء وزُبيد والخلط وجميع عرب الشام ، واجتمعت اليهم قوم دهمش بن سعد بن أجود وساروا يريدون أرض بني عقيل وهم عامر وعائذ وخفاجة ومن خالطهم من قبائل قيس وربيعة وغيرها . وكان الأمير محمد بن أبي الحسين يومئذ قد رأس على قبائل العرب وهو إذ ذاك في الأحساء ، فسمعت بنو خفاجة وعبادة ومن معهم بتجهيز تلك السرايا ، فبعثوا الى الامير محمد بن أبي

(1) مسالك الأبصار « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٨٦٨ الورقة ١٠٥ ، ١٢٣ » .

(2) قال في القاموس « كـكتف شيباني قتل ولم يدرك بثأره فضرب به المثل أو نقد كما نقد القارظ العنزي » . وقال شارح الديوان : « درم رجل من العرب قتل فلم يطلب بثأره فقيل : أودى من درم . أي أهلك منه ، فصار يضرب به المثل لمن يقتل ولا يؤخذ له بثأر ويذهب هدراً » . « ص ٦٦١ » .

الحسين من يخبره بالخبر وهم [1] على خوف مما فعلوا بطريق مكة من غصب الحاج على ما أرادوه ، فشكا الحاج الى الخليفة الناصر لدين الله ، وقد بعث الخليفة رسولاً إلى الأمير محمد [2] بن أبي الحسين يخبره بذلك ويحثه على النهوض إلى دهمش وقومه والتنكيل بهم والنكاية فيهم على ما فعلوا بالحاج ، بحسب ما يقدر عليه فيهم ، واستنهض الأمير جميع عرب البحرين وجمع جنوده حتى لحق بالعراق ، وانضمت اليه عربها من (المنتفق) وعبادة وخفاجة حتى استكملت جيوشه ، وسار حتى لقي جموع الأمراء من بني ربيعة وطيء وزبيد وعرب الشام ، وكان ذلك بظاهر الكوفة ، فالتقوا واقتتلوا ، فحمل عليهم الأمير محمد وحملت عليهم أولاده بجملته وجميع جيوشه فانهزمت جيوش طيء ومن معها حتى بلغوا رحالهم ، ثم إن الأمراء من بني ربيعة أرسلوا إلى الأمير محمد يناشدونه بالنسب والقرابة ويذكرونه الحمية ، لأنهم يقولون إن أمراء بني ربيعة من نزار ، فرقّ لهم ، وعطف عليهم ، فأجارهم وأجار أهلهم وأموالهم ، ولم يجر دهمشاً ، فدخل دهمش مشهد علي ـ ع ـ وتحرّم به وأقام مستجيراً بقبره ، فأقام الأمير محمد بن أبي الحسين على دهمش الحرّاس بباب المشهد يحفظونه لئلا يهرب ، وبعث الى الخليفة الناصر لدين الله رسولاً يخبره بذلك ليرى الخليفة فيه رأيه ، فأرسل الخليفة الى دهمش رجالاً ليقبضوا عليه ، فقبضوه ووردوا به مع غلمان الأمير محمد بن أبي الفضل الى بغداد ، فاستتابه الناصر لدين الله من الفساد في الطرق ،

(1) يعني المتجمهرين ، قال ابن الدبيثي في ترجمة سنجر بن عبد الله التركي الناصري أبي الحارث : « أحد مماليك الخدمة الشريفة الامامية الناصرية — خلد الله مالكها — تولى إمارة الحاج في سنة ٥٨٩ وأعطي الحويزة وأضيف اليه خمسمائة فارس ، فحج بالناس هذه السنة وعاد في صفر سنة (٥٩٠) فاعترض الحاج في طريقهم رجل من غزية يعرف بدهمش وطلب منهم مالاً قرره عليهم ليجيزهم ، فألزم سنجر ومعه الحاج بذلك وجمعه له وسلمه اليه ... فأنكر الديوان على سنجر ما فعله وألزم برد ما أخذ من كل واحد ... وعزل سنجر عن إمارة الحاج خاصة ... » . « ذيل تاريخ بغداد ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ٧٤ ، ٧٥ » .

(2) قال الشارح : « كان الخليفة الناصر قد عظمه وشرفه تشريفاً جليلاً وفرض له في كل سنة من بغداد ألفاً ومائتي ثوب من عمل مصر أكثرها إبريسم ، وفرض له في البصرة كل سنة ألفاً وخمسمائة حمل حنطة وشعيراً وأرزاً وتمراً مدة حياته » . « ص ١٩٣ » .

وضرب الحاجب ، فتاب ، وخلع عليه الخليفة وخلى سبيله » . وقال الشارح بعد ذلك : « وكان الأمير محمد بن أبي الحسين الميرني قد جمع قبائل عامر وعائذ وخفاجة وعبادة (والمنتفق) وجميع من كان معه من القبائل حين واقع قبائل طيء ومن كان معهم ممن قدمنا ، وكان لما أحضرت الغنائم أمر غلمانه بأن يركزوا رمحين وقال : لا يجوز أحد منهم إلا من بين الرمحين غادياً ورائحاً ، ووقف على فرسه ، وصار كل من مرّ به أخذ بما حصله من الغنم ، فاذا استحسن شيئاً أمر غلمانه بضمه اليه فيضمونه عندهم حتى جازت تلك القبائل كلها من بين الرمحين ، ومن لا يجوز من بين الرمحين أخذه أصلاً ، فجمع من الخيل والابل والخدم والأمتعة ما لا يحصى عدده ، وقسّم من أراد وخيّب من أراد لأنه صار يأخذ من كسب هذا ويعطيه هذا فلا يقدر أحد على إنكاره[1] » .

ففي هذه الحرب كانت المنتفق محاربة لبني الأجود ، فكيف تكون الأجود من المنتفق ؟!

ومما يدل بوضوح على أن غزيّة كانت منفصلة عن المنتفق يومئذ عشيرياً وسياسياً ما ذكره المؤلف ابن الجوزي في حوادث سنة ٥١٧ قال : « ثم وصل الخبر بأن[2] دبيساً حين هرب مضى إلى غزية فأضافوه وسألهم أن يحالفوه فقالوا : ما يمكننا معاداة الملوك ونحن بطريق مكة وأنت بعيد النسب منا ، وبنو المنتفق أقرب اليك نسباً ، فمضى إليهم وحالفوهم[3] ... » .

٤٧ — وجاء في حاشية الصفحة (١٩٠) : « اختزل ابن الفوطي كلمة الايلخانية بكلمة (الايليّة) وهو يستعملها في معجمه بمعنى الدولة الايلخانية مثل قوله : كان لا يدخل الى السلاطين الايلية إلا من يعرفه[4] ، انظر المعجم ٥ : ٢٣٣ » .

---

(١) شرح ديوان ابن مقرب المبوق « ص ٤٦١ — ٤٦٤ » .

(٢) هو أبو الأغر دبيس بن صدقة الأسدي صاحب الحلة وقد انتبه بالملك التائه ، وترجمته معروفة في كتب التراجم والتواريخ كالوفيات والمنتظم ومرآة الزمان وكامل التواريخ والتاريخ الأتابكي ، وتاريخ حلب ، قتله السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه والسلجوقي سنة ٥٢٩ .

(٣) المنتظم « ٩ : ٢١٥ » .

(٤) ثم قال في الصفحة ١٦٥ : « حيث قامت لهم (المغول) دولة معروفة تسمى الايلخانية وقد تسمى الايلية اختزالا وأول من أطلق عليها هذا الاسم المختزل مؤرخ العراق ابن الفوطي ، فعل ذلك أكثر من مرة في معجمه » .

قلت : الصحيح أن ابن الفوطي لم يكن أول من اختزل كلمة « الايلخانية » بل اختزلها قبله والد العلامة الحلي الحسن بن يوسف بن المطهر وهو سديد الدين يوسف فقد قال العلامة في كتابه « كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين » في باب إخباره بالمغيبات : « من ذلك إخباره بعمارة بغداد وملك بني العباس وذكر أحوالهم وأخذ المغول الملك منهم . رواه والدي - رضي - وكان ذلك سبب سلامة أهل الكوفة والحلة والمشهدين الشريفين من القتل ، لأنه لما وصل السلطان هولاكو الى بغداد قبل أن يفتحها هرب أكثر [أهل] الحلة الى البطائح إلا القليل فكان من جملة القليل والدي - رضي - والسيد مجد الدين بن طاوس والفقيه ابن أبي العز ، فأجمع رأيهم على مكاتبة السلطان بأنهم مطيعون داخلون تحت (الايلية) [1] » . فالايلية قد استعملت منذ سنة ٦٥٦ وعمر ابن الفوطي أيامئذ ١٤ سنة .

٤٨ — وذكر في الصفحة ١٩٩ ترجمة السيد جمال الدين أحمد بن علي الحسيني العبيدلي الحلي المعروف بابن مهنا ، وذكر أنه من أعلام أواخر المائة السابعة في العراق ومن أجل مشايخ ابن الفوطي وأن ابن الفوطي نقل عنه ومن مصنفاته كثيراً في كتابه تلخيص مجمع الآداب ولقبه بالعلامة ، ونقل الأستاذ الجليل أسماء كتبه من تلخيص المعجم ، وقد فات ابن الفوطي اسم كتاب مهم من كتب أستاذه ابن مهنا لم يذكره فيما وجد من كتابه التلخيص ولعله ذكره في موضع آخر منه ، قال صلاح الدين الصفدي في ذكر التواريخ الجامعة : « ترجمان الزمان لجمال الدين بن مهنا العلوي [2] » .

هذا ولم يذكر الشيخ الجليل إلا الجانب الممدوح من سيرة السيد ابن مهنا وهذا يجعل الكتاب كتاب تقريظ وإطراء ، ولم يذكر سنة وفاته ، قال مؤلف غاية الاختصار وهو من معاصري الأستاذ الجليل في أسرة ابن مهنا : « ومنهم أحمد أبو الفضل بن محمد بن مهنا ، كان

---

(١) روضات الجنات « ج ٢ ص ٢٣٣ » .

(٢) الوافي بالوفيات « ١ : ٥٠ » .

سيداً فاضلاً نسابة مشجراً قليل التحقيق ، رأيت بخطه مشجراً فلما تتبعته وجدت فيه من الأغاليط شيئاً كثيراً ، حدثني بهاء الدين علي بن عيسى الإربلي الكاتب – رح – قال : حكى لي أن النجم الذي سيّر مولد أحمد بن مهنا قال في جملة ما حكم له به : ويقول شعراً غير جيد[1] » .

وقال العلامة شمس الدين الذهبي في وفيات سنة ٦٨٢ : « أحمد بن مهنا العلامة جمال الدين الحسيني العبيدلي ، قال الفوطي : عارف بالأنساب وفنون الآداب ، أوحد في علمه ، صنف كتاب وزراء الزوراء وكتبه مني وكتبت منه ، مات ببغداد في صفر[2] » ، وقال ابن عنبة في ذكر بني مهنا السادة : « فمنهم الشيخ العالم النسابة المصنف جمال الدين أحمد بن محمد بن مهنا بن الحسن بن محمد بن المسلم بن المهنا المذكور ، صاحب كتاب وزراء[3] الزوراء ، له عقب[4] » .

٤٩ – وذكر الأستاذ الجليل في الصفحة المذكورة أن ابن الفوطي سمّى لجمال الدين بن مهنا المقدم ذكره كتاب « لطائف المعاني في شعراء زماني » وغيره من مؤلفاته ، وليس ذلك بمستقيم ، فان ابن الفوطي عدّ هذا الكتاب في تآليف شيخه تاج الدين علي بن أنجب المعروف بابن الساعي ، قال مثلاً في ترجمة عميد الدين أبي الظفر منصور بن أحمد الدجيلي المقدم ذكره : « ذكره شيخنا تاج الدين أبو طالب في تاريخه وفي كتاب لطائف المعاني في شعراء زماني[5] ... » . وذكره له كاتب جلبي في كشف الظنون « م ١٥٥٤ » .

والظاهر أن اسم هذا الكتاب التبس على الأستاذ الجليل باسم كتاب « الطرف الحسان في

(١) غاية الاختصار « ص ٩٠ ، ٩١ » .

(٢) تاريخ الاسلام « نسخة دار التحف البريطانية بلندن ١٥٤٠ الورقة ١٠ » .

(٣) في الأصل المطبوع من عمدة الطالب بالهند « وزير » وهو تصحيف لطيف .

(٤) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب « ص ٢٩٥ » طبعة بومبي سنة ١٣١٨ هـ .

(٥) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ١٤٩ من نسختي بخطي » .

أعيان الآن » لجمال الدين بن مهنا المذكور ، قال ابن الفوطي في ترجمة كمال الدين أبي علي محمد ابن يوسف بن هبة الله ابن البوقي الواسطي الحاجب الكاتب الأديب : « كان من حجاب التاطق ، ذكره شيخنا جمال الدين أبو الفضل بن مهنا في كتاب (الطرف الحسان في أعيان الآن) وأنشد له شعراً في صبي اسمه عثمان من التركمان [1] ... » .

٥٠ — وورد في الصفحة ٢٠٣ قوله : « وفي معجمه أي معجم ابن الفوطي ما يدل على أن خبرته في هذا الشأن — يعني علم اللغات — تناولت معرفة اللهجات المغولية والتركية على اختلافها وتعدُّدها (كذا) ... والأمثلة على ذلك غير قليلة في معجمه ، من ذلك ما قاله في ترجمة هزّال عراقي يتكلم المغولية وهذا نصه : جمال الدين أبو المحاسن أحمد يعرف بابن الشديدي ، له نظم حسن وكان يلبس القميص والقباء ... وكان يتكلم المغولية بدون تفخيم الألفاظ من غير معرفة بها » .

ولم يحسن الأستاذ الجليل النقل من الكتاب ، ودونك النص الصحيح : « كمال الدين أبو المحاسن منصور بن أحمد يعرف بابن الشديدي السكوني الظريف الشاعر ، كان من ظرفاء العصر ، وله نظم حسن وكان يلبس القميص والقباء ، ويحضر في مجالس الصدور الكبار ويتكلم بالمغولية بتفخيم الألفاظ من غير معرفة بها ، ويتمسخر في كلامه ، وقد ذكرته في التاريخ ، وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وستمائة وحضر في مجلس مولانا نصير الدين [2] » .

فالنقل الأول قد غيَّر من الترجمة ، فكمال الدين صار فيها فيهـــا « جمال الدين » و « منصور بن أحمد » صار فيها « أحمد » و « بتفخيم الألفاظ » صارت « بدون تفخيم الألفاظ » ، وقد سبب ذلك للأستاذ الخطأ في الحكم فقال بعد ذلك : ومعنى هذا القول أن منطق المغول يتميز بتفخيم الألفاظ » . والأمر بالعكس ، لأن ابن الفوطي قال « ويتكلم

(١) تلخيص معجم الألقاب ٥ : الترجمة ٢٧٥ من الميم ٤ .

(٢) تلخيص معجم الألقاب ٥ : الترجمة ٢٩٨ من الكاف ٤ .

ويتكلم بالمغولية بتفخيم الألفاظ من غير معرفة بها » . فهو قد كان يتكلم بتفخيم وترنيم تغطية لجهله اللغة المغولية ، فتأمل ذلك .

٥٩ — وجاء في الصفحة ٢٠٦ قوله : « تكرّر ذكر الخاتونية في مجمع الآداب وفي كتاب الحوادث » وقال في الحاشية : « كتاب الحوادث ٢٢٤ والخاتونية كما يظهر من معجم ابن الفوطي محلتان خاتونية داخلة وهي المحلة القديمة وخاتونيّة خارجة استجدت بعد ذلك ، والظاهر أن بعض محلات بغداد اتسعت في عصور المغول وأضيفت إليها أقسام جديدة » .

قلت : الأستاذ الجليل يكلف نفسه حين يتكلم شيئاً على خطط بغداد الشائكة العويصة فيستنبط أموراً لا وجود لها في الواقع الخططيّ ، فقد ذكر ابن الجوزي في استخلاف المقتدي بأمر الله ابن الذخيرة بن القائم بأمر الله سنة ٤٦٧ أنه في خلافته عُمر الجانب الشرقي من بغداد ، فعمرت البصلية والقطيعة ... والخاتونيتين ، والمقتدية [1] » . فالخاتونية الخارجية لم تستجد بعد ذلك بل عمرت منذ أواخر القرن الخامس للهجرة ، وفي سنة ٥٧٧ كانت معمورة أيضاً ، أي قبل العصر الذي أشار إليه الأستاذ الجليل ، قال القفطي في ترجمة كمال الدين بن الأنباري : « وكان مقيماً برباط له بشرقي بغداد في الخاتونية الخارجة [2] » . وكانت وفاته سنة ٥٧٧ .

وقال ابن الدبيثي المتوفى سنة ٦٣٧ في إحدى التراجم من تاريخه : « محمد بن علي بن هبة الله أبو بكر المقرىء التاسع ، من أهل واسط سكن بغداد واستوطنها إلى حين وفاته ، وكان يؤم بمسجد الخاتونية الخارجة بدرب يعرف بدرب الشيرجي ويقرئ فيه [3] ... » .

وقال في ترجمة أبي طاهر شعبان بن بدران بن أبي طاهر بن مضروب المقرئ : « من

(١) المنتظم « ٨ : ٢٩٣ » .

(٢) إنباه الرواة على أنباه النحاة « ٢ : ٢٢٠ » . وقال ابن الدبيثي في تاريخه : « أنشدني أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري من لفظه برباط بشرقي بغداد في الخاتونية الخارجة ... » . « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ١٢٥ » .

(٣) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢١ الورقة ٩٢ » .

أهل بادرايا ، سكن بغداد ونزل الخاتونية الخارجة وسمع ببغداد [1] ... » .

وكانت الخاتونية الداخلة تسمّى « دركاه خاتون أيضاً » وقد سكنت فيها خاتون سلجوقية أخرى هي السيدة فاطمة بنت السلطان محمد بن ملكشاه زوج الخليفة المقتفي لأمر الله قال ابن خلكان في نشرة وفياته الأولى [2] :

« تزوج الامام المقتفي لأمر الله فاطمة بنت السلطان محمد المذكور ، وكان الوكيل في قبول النكاح شرف الدين أبو القاسم علي بن طراد الزينبي وذلك في سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة وحضر أخوها مسعود العقد ، ودخلت فاطمة المذكورة إلى دار الخلافة لزفاف سنة أربع وثلاثين [وخمسمائة] ويقال إنها كانت تقرأ وتكتب ولها التدابير الصائب وسكنت في الموضع المعروف بدركاه خاتون ، وتوفيت في عصمته يوم السبت الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ودفنت بالرصافة — رحمها الله تعالى — [3] » . وأعاد ابن خلكان هذا القول في نشرة كتابه الجديدة [4] أي الثانية .

وقال محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار في ترجمة أبي الحسن علي ابن أنوشتكين الجوهري : « من ساكني دركاه خاتون بباب الحرم من دار الخلافة ، كان يبيع الجوهر ثم كبر وأسن فانقطع في منزله [5] ... » . وذكر أن وفاته كانت في سنة ٥٧٨ .

وظهر لي أن المؤرخ الذي يسمي الخاتونية الداخلة « دركاه خاتون » كان لا يحتاج إلى تسمية

---

(١) المرجع المذكور « ٩٦٢٢ الورقة ٢٩ » .

(٢) هذه النشرة هي النسخة الأولى للوفيات ، وتختلف عن الثانية وهي المطبوعة بمصر وإيران بعض الاختلاف ، كاحتوائها على تراجم جماعة من خلفاء بني العباس ومنهم المتوكل على الله ، انتسخ هذه النسخة ونشرها بخطه في ألمانيا المستشرق الكبير فردياد وستنفيلد الألماني سنة ١٨٣٥ م .

(٣) الوفيات « طبعة وستنفيلد » الترجمة ٣ . ٢ » .

(٤) الوفيات « ٢ . ١٠٧ : ١٠٨ طبعة بلاد العجم » .

(٥) التاريخ المجدد لمدينة السلام « نسخة المكتبة الظاهرية » الورقة ١٩١ » .

الخاتونية الأخرى بالخاتونية الخارجية ، وهو شأن ابن الساعي [1] . وإذ كانت ابن الفوطي في مصر تُسمى فيه اسم « دركاه خاتون » وجب على المؤرخ أن يذكر الخاتونية مميزة بالداخلة أو بالخارجية . في سياق التاريخ . ولما نشرت كتاب الحوادث لم أكن أعلم أن في بغداد محلة تسمى « الخاتونية » وإنما كنت أعرف « دركاه خاتون » الوارد ذكرها في الوفيات ، فلذلك ظننتها تصحيف « المأمونية » كما قلت في « ص ٢٢٤ » منه ، ثم اطلعت عليها في الجامع المختصر وذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي وتلخيص معجم الألقاب أخيراً .

٤٢ — وتكلم في الصفحة ٢١٠ على أبناء نصير الدين الطوسي الثلاثة صدرالدين علي وفخرالدين أحمد وأصيل الدين الحسن ، وأحسن الثناء عليهم وذكر أن السلطان محمود غازان قتل فخرالدين منهم في سيواس من بلاد الروم يومئذ ، سنة (٧٠٠ هـ [2]) ، ولم يذكر سنة وفاة أصيل الدين الحسن ، قال ابن تغري بردي في وفيات سنة ٧١٥ : « وتوفي الشيخ أصيل الدين الحسن ابن الامام العلامة نصيرالدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي البغدادي ، كان عالي الهمة ، كبير القدر ، في دولة غازان ، وقدم الشام ورجع معه الى بلاده ، ولما تولى خربندا الملك ووزر تاج الدين علي شاه قرّب أصيل الدين هذا إلى خربندا حتى ولاه نيابة السلطنة ببغداد ثم عُزل وصودر . وكان كريماً رئيساً عارفاً بعلم النجوم لكنه لم يبلغ فيه رتبة أبيه نصيرالدين الطوسي ، على أنه كان له نظر في الأدبيات والاشعار ، وصنف كتباً كثيرة وكان فيه خير وشرّ ، وعدل وجور ، ومات ببغداد [3] » . وقال مؤلف غاية الاختصار المجهول ، إن صحت تسمية كتابه بهذا الاسم – ص ٩ – : « ذكر الباعث الذي حداني على هذا الكتاب : أنه لما وردت الى مدينة السلام صحبة الحضرة السلطانية ورأيت المولى الوزير الأعظم الصاحب الكبير المعظم ملك أفاضل الحكماء ، قدوة أماثل العلماء ، مختار الملوك ، عضد الوزراء ، أصيل الحق والدين ، نصير الاسلام

(١) الجامع المختصر « ٩ : ٥٩ ، ١٣٢ » .

(٢) ترجمه ابن الفوطي في معجمه وذكر مؤلف الحوادث شيئاً من أخباره .

(٣) النجوم الزاهرة « ٩ : ٢٣٢ » .

والمسلمين ، الذي أنشر ميت الفواضل ، ونشر طي الفضائل ، وأقام مراسيم العلوم ، في عصر كسدت فيه سوقها ، وأنهض مقعدات المحاسن بعد ما عجزت عن حمل أجسامها سوقها ، ودبّ من الأحرار ، في زمان هم فيه أقل من القليل ، وملأ أيديهم من حبائه بأياد واختصّه العزة والتبجيل ، وحقن من وجوههم ما دونه إراقة دمائهم ، وحرص عليهم وقد شارفوا زوالها ، بقيةَ دمائهم ، وأفاء عليهم ظل رأفة لا ينقل ، وخفض لهم جناح رحمته ، فما شيء يتفضل عليهم ويتطوّل ، كلما ازداد رفعـــة وتمـكيناً ، زاد تواضعاً وليناً ، وكلما بلغ من الشرف غاية ، رفع للتواضع راية ...

يا أبن النصير وما الزمان مسالمي إلا وأنت على الزمان نصيري
سألوك في علم النجوم لو أنهم قد وُفّقوا سألوك في التدبير

العالم الذي جمع أشياخ العلم بين يديه لاقتباس الفوائد ، واقتناص الشوارد ، وشاربه ماطر ، وعذارُه ما بقل ولا اخضرّ ، فكأن القائل عناه بقوله :

بلغ العلاء بخمس عشر حجة ولداته إذ ذاك في أشغال

الذي ما ظلم لأنه أشبه أباه ، فلم يغادر من نهاه شيئاً إلا حواه ... أبو محمد الحسن ابن مولانا الامام الأعظم ، إمام العلماء ، وقدوة الفضلاء وسيد الوزراء ، فريد دهره علماً وفضلاً ، وقريع دهره جلالة ونبلاً ، نصير الحق والدين ، ملاذ الاسلام والمسلمين أبي جعفر محمد بن أبي الفضل الطوسي — قدس الله روحه ونور ضريحه ، حضرت مجلسه الأرفع الأسمى ، ومثلت بحضرته الجليلة العظمى ، فشنف مسامعي بمفاوضات أوعيت منها دُرّا ، ووعيت بياناً كالسحر إلا لم يكن سحراً ، فأدتنا شجون الحديث الى الأخبار والأنساب ، فأعربت مفاوضته عن علم جم ، وفضل باهر وفهم ، واطلاع كامل باضطلاع ، ولقد والله ردني [1] في أشياء كنت واهماً فيها من علم النسب والأخبار ، ولست أمدحه بهذا القول :

(١) الصواب « رد علي » لأن المردود هو القول أو الخبر أو الحجة ، ولا يستعمل « رده » إلا بمعنى أعاده ورجعه ، فكيف يكون هو مرجوعاً معادا ، فتقدير قوله « رد علي قولي » .

ألم تر أن السيف ينقص قدره ... إذا قيل هذا السيف أمضى من العصا

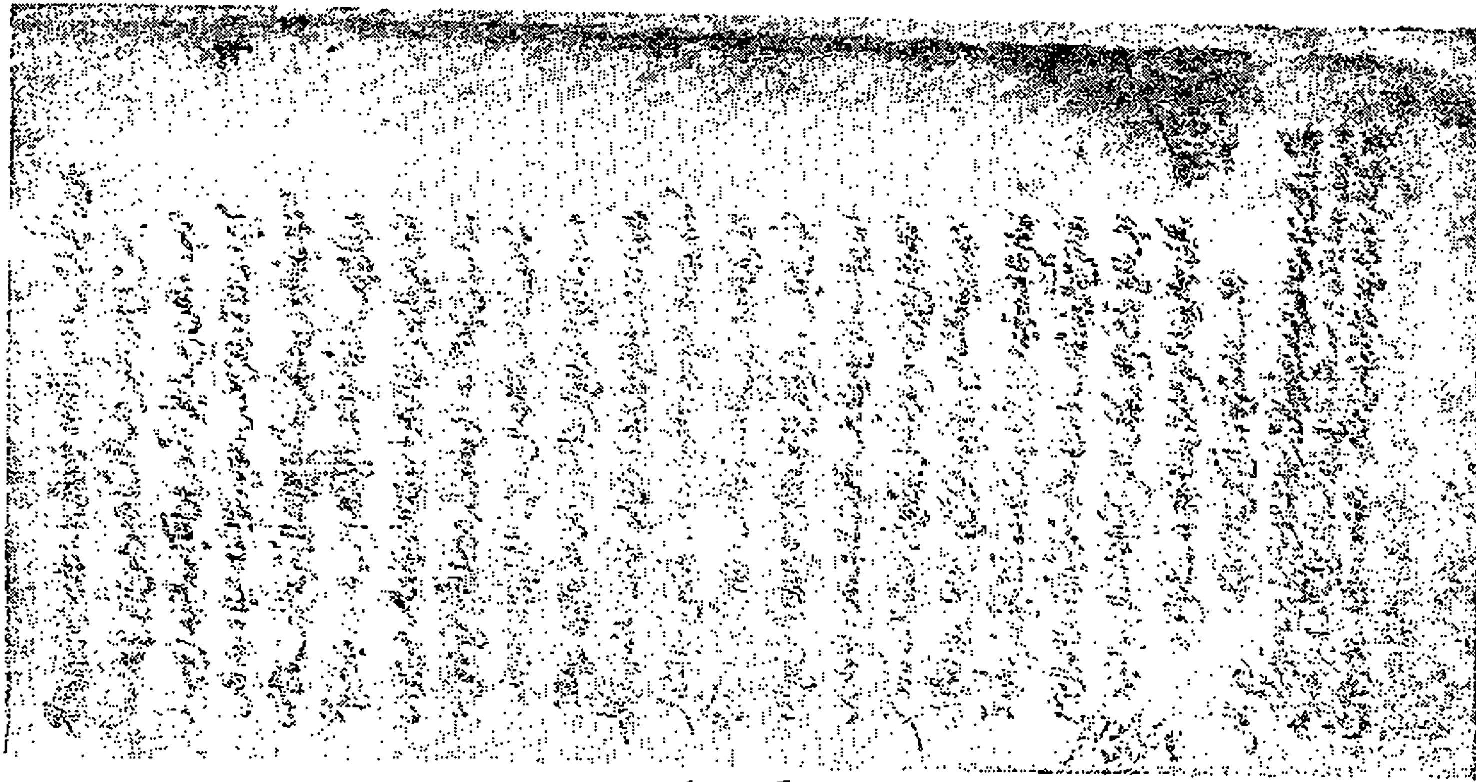
ولكني حكيت الواقع فقال : في أثناء المفاوضة : أريد أن تضع لي كتاباً في النسب العلوي، يشتمل على أنساب بني علي لأقف منه على بيوت العلويين ، فأجبته بالسمع والطاعة ... » .

٥٣ — وقال في قتل السلطان غازان لفخرالدين أحمد بن النصير الطوسي كما قدمنا وذلك في الصفحة ٢٩٠ بعينها : « هذا ومن أكبر الأدلة على أن شر الدول وعدوهم بأصحابهم ورجال دولتهم غير مأمون مقتل فخرالدين أحمد هذا وهو عميد أسرة عنيت بخدمة الدولة الإيلخانية من عصر هولاكو إلى أيام غازان » .

قلت : لم يكن فخر الدين أحمد عميد أسرة الطوسي فقد كان أصغر من أخويه صدرالدين علي وأصيل الدين الحسن ، قال ابن الفوطي في ترجمته : « فخرالدين أبو القاسم أحمد بن محمد بن محمد ابن الحسن الطوسي عتمداً الراغي مولداً الحكيم المتولي الوقوف ، كان أصغر أخويه ، جميل السيرة ، حسن الصورة ، كريم الكف ، حيي الطرف ، لطيف الأخلاق ، حلو العبارة ، اشتغل مع إخوته على مولانا رشيد الدين الرازي ، وكتب على مولانا نجم الدين أحمد بن البواب واشتغل بالعلوم الرياضية ، وقدم العراق في خدمة أرغون ابن السلطان أباقا في شعبان سنة إحدى وثمانين [وستمائة [1]] ، ولما جلس أرغون على سرير المملكة أجراهم على ما بأيديهم من الفرامين القديمة ، وورد بغداد صحبته الأمير أروق في منتصف شعبان سنة ثلاث وثمانين [وستمائة [2]] ، والناس قد قنطوا ، والأئمة من خير الوقف وخيره قد قنطوا ، فأجراهم على أحسن القواعد ، وأدرّ

(١) لم يذكر مؤلف كتاب الحوادث قدومه العراق في تلك السنة ، وهذا موضع حسن للمقابلة بين المؤلفين ، يوضح اختلافهما وتفرد كل منهما بذاتية وشخصية ووجهة .

(٢) قال مؤلف الحوادث في أخبار سنة ٦٢٨ — ص ٤٤٣ — : « ووصل بعد ذلك فخرالدين أحمد ابن خواجة نصيرالدين الطوسي وقد أعيد أمر الوقوف بالممالك جميعها إليه وحذفت الحصة الديوانية ووفرت على أربابها ، وعين على مجد الدين إسماعيل بن الياس صدراً بالوقوف ... فعين (هذا) على عزالدين محمد بن تمام نائباً عنه فيها » . فتأمل الخبرين والأسلوبين في التعبير .



الصفحة الأخيرة من كتاب الأحكام بخط ابن القوطي

أخبازهم ووظائفهم ، وعوتب على ذلك فلم يصغ الى مقالهم ، وشكرت طريقته وقصده الشعراء فأجزل صلتهم . وقتل بسيواس من بلاد الروم في يوم الأحد حادي عشري ذي الحجة سنة سبعمائة ، ونقل الى مراغة فدفن عند أخيه » .

ومما قدمت يعلم أن صدرالدين علياً كان عميد الاسرة بعد وفاة أبيه وأن أصيل الدين صار عميدها بعد وفاة صدرالدين علي ، ومات فخرالدين أحمد قبل موت صدرالدين ، فلم يبلغ أن يكون عميداً ، قال الحسن بن أحمد الاربلي الحكيم المؤرخ : « سافرت إلى مراغة وتفرجت في هذا الرصد ومتوليه صدرالدين علي بن الخواجا نصيرالدين الطوسي ، وكان شاباً فاضلاً في التنجيم والشعر بالفارسية [1] ... » . وهذا تأييد لما قلت من أن صدرالدين علياً كان أكبرهم وعميد الاسرة ، وقد ذكرنا أن ابن الفوطي نسخ له كتاب الأحكام سنة ٦٨٠ تلك السنة التي حسبها الأستاذ الجليل سنة ٦٦٨ كما مر ، وقد نعته ابن الفوطي بأعظم النعوت قال وقد ذكرنا قوله : « علقه لخزانة كتب سيدنا ومولانا المخدوم الصاحب المعظم ، صدرالحق والدين ، نصير الاسلام والمسلمين أبي الحسن علي ابن مولانا المعظم نصيرالدين أبي جعفر محمد بن محمد الطوسي – أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره – عبده وخادمه وغرس أياديه وأنعمه عبد الرزاق بن أحمد بن محمد البغدادي بمنزله بالخاتونية الخارجة من شرقي مدينة السلام ... » .

والظاهر أن فخرالدين كان فيه شيء من الطيش والتهور ، فقد ذكر ابن الفوطي قدومه بغداد في شعبان سنة ٦٨٩ في صحبة الأمير أرغون بن أباقا بن هولاكو ، وسكت من عمله في تلك القدمة ، ومن فعل أرغون ، أما صاحب كتاب الحوادث فقد ذكر أفعال أرغون المنكرة ببغداد ، قال : « وتوجه أرغون الى بغداد فدخلها في شعبان والأمير علي جكيبان [2] بين يديه ، واستنقذ صفي الدولة بن الجمل [النصراني] كاتب السلة من أصحاب علاء الدين [الجويني] صاحب الديوان وخلصهما مما كانا فيه من الصداع ثم أمر بعمل حساب العراق ، فعمل وتخلف على الضمناء شيء كثير ، فطولبوا به وضويقوا عليه ، وألزم أهل بغداد بالمساعدة ، وأحضر قاضي

(١) الوافي بالوفيات « ١ : ١٨٢ » .

(٢) ذكر في حوادث سنة (٦٨٠) أن اصحاب علاء الدين الجويني اعتقلوا الأمير علي جكيبان وصفي الدولة بن الجمل كاتب السلة « ص ٤١٧ » .

القضاة عزالدين بن الزنجاني وقرر عليه وعلى العدول عشرة آلاف دينار ، واستوفي ذلك بالعسف وكان كل من اختفى من الناس نهبت داره وبيع ما فيها ، وألزم نواب الاعمال الحلية والواسطية والبصرية وغيرهم بمثل ذلك ثم طولب أهل بغداد بأجرة أملاكهم عن ثلاثة شهور فاستوفي من أكثرهم ، ثم تقدم باعفاء الناس كافة ثم عاد أرغون الى خراسان في الربيع [1] » .

ولقد شهد فخرالدين أحمد بن النصير الطوسي هذه الأفاعيل كلها ، وكان يعد من الموافقين عليها بمجرد صحبته لذلك الأمير الطاغي الباغي المقيم على دين آبائه ، فلا عجب إذا كان فخر الدين ابن الطوسي عرضة لاساءة الثناء عليه والسعايات المهلكة في ذلك العصر المضطرب الأحوال ، الذي اختلت فيه القيم الاخلاقية ، وأطافت فيه الوحشية من مغالها ، وكانت التهمة فيه والموت سواءاً .

٥٤ — وذكر في الصفحة ٢٣٩،٢٣٨ طائفة من أسماء الكتب التي حوتها خزانة كتب آل طاوس ، ذكر منها « كتاب التذييل لصدقة بن الحسن وهو من كتب التاريخ » . قلت : والصواب « صدقة بن الحسين » قال أبو الفرج بن الجوزي في وفيات سنة ٥٧٣ : « صدقة بن الحسين بن الحسن أبو الفرج الحداد ، ولد سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وكان في صباه قد حفظ القرآن وسمع شيئاً من الفقه . وكان له فهم ... » . والمؤرخون مجمعون على أن اسم والده « الحسين [2] » .

٥٥ — وورد في الصفحة المذكورة « كتاب الوزراء ليحيى بن محمد الصولي » . والصحيح « محمد بن يحيى الصولي » وهذا مما لا يحتاج الى استشهاد لتاريخ من التواريخ

(١) الحوادث « ص ٢٤ » .

(٢) المنتظم « ١٠ : ٢٧٦ — ٢٧٨ » . وقال ابن الأثير في حوادث سنة ٥٧٣ : « وفيها في ربيع الآخر توفي صدقة بن الحسين الحداد الذي ذيل على تاريخ الزاغوني ببغداد » . وقال سبط ابن الجوزي في السنة ٥٧٣ : « وفيها توفي صدقة بن الحسين أبو الفتح الناسخ الحنبلي ويعرف بابن الحداد » . « مخ ج ٨ ص ٣٤١ » وله ترجمة في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب « ١ : ٣٣٩ » والشذرات « ٤ : ٢٤٤ » .

لاشتهاره واستفاضته .

٥٦ — وقال في الصفحة (٢٤٠) : « وكانت عند آل طاووس نسخة كاملة من معجم الأدباء لياقوت ولا يخفى أنّ هذه الأصول وكثيراً غيرها وصلت الينا ناقصة أو مبتورة أو مشوهة مغلوطة ، وعلى هذا تكون خزانة كتب رضي الدين علي بن موسى بن طاووس من أغنى خزائن الكتب العراقية في أواسط المائة السابعة الى أوائل المائة الثامنة ، أضف الى ذلك أن المؤلف [1] يتحدث في كتابه هذا عن جملة من خزائن الكتب الكبرى ... ومن أهمها حديث له عن خزانة علي بن يحيى النجم البادي (كذا) البغدادي وقد أنشأها في القفص [2] يسميها خزانة الحكمة ... » .

قلت : باسترجاعي ما ذكرت في الحاشية راجعت كتاب « فرج الهموم » لتجديد العهد به ، فوجدت مؤلفه يقول في الصفحة ١٥٧ : « فقد قال التنوخي في كتاب النشوار المذكور حدثني أبو الحسن بن أبي بكر الأزرق قال : كان في نواحي القفص ضيعة نفيسة لعلي بن يحيى النجم وقصر جليل فيه خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة ... » . فرضي الدين الطاووسي يذكر أنها أي الخزانة كانت في « نواحي القفص » والشيخ الجليل يقول « وقد أنشأها في القفص » كما ذكرت ناقلاً عنه ، والصحيح أنها كانت في ناحية من نواحي القفص ، تسمى « كركركين [3] » ، وأصل الخبر لياقوت الحموي وقد أشار الأستاذ الى ذلك في الصفحة ٢٤٢ من كتابه وإن كان الرضي بن طاووس نسخة من النشوار في خزانته ، قال ياقوت : « وحدث أبو علي

---

(١) الظاهر أن الشيخ الجليل يريد مؤلف « فرج الهموم » رضي الدين أبا القاسم علي بن موسى ابن طاووس المذكور لأن البحث بعنوان « سفر مفيد » يعني به فرج الهموم .

(٢) قال الشيخ في الحاشية : « اجتاز السمعاني في رحلته من الشرق الى العراق بالقفص (كذا) وأورد عنها في كتاب الأنساب نبذة لطيفة اشتملت على فوائد فاتت ياقوت الحموي كما فاتت مؤلف مراصد الاطلاع ... » .

(٣) تصحفت على الأستاذ مرغوليوث المستشرق المعروف الى « كركر » فصارت عنده من بلاد الشمال النائية جداً « معجم الأدباء » : ١٦٧ » .

التنوخي في نشواره [قال] حدثني أبو الحسن بن أبي بكر الأزرق قال حدثني أبي [1] قال : كان بكركين من نواحي القفص ضيعة نفيسة لعلي بن يحيى المنجم وقصر جليل فيه خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة ، يقصدها الناس من كل بلد ، فيقيمون فيها ويتعلمون منها صنوف العلم ، والكتب مبذولة في ذلك لهم والضيافة مشتملة عليهم ، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى [2] ... » . فهذا كما ترى .

٥٧ — ونقل الأستاذ الجليل الفوائد التي رآها في نسبة « القفصي » من الأنساب خاصة بالقفص وأشرت الى وقوعه عليها في الحاشية ولكنه أسقط سهواً اسم راو من رواة الخبر الأدبي فجعل السمعاني من الراوين عن عاصم بن الحسن الكرخي [3] ، قال ناقلاً من الأنساب : « وكانت أي القفص من متنزهات بغداد اجتزت بها وأنشدني عاصم بن الحسن الكرخي لنفسه : يا صاحبي بالقفص لاصاحبي ... » . والذي في الأنساب « أنشدني أبو سعد ابن الدوري إملاءً من حفظه ببغداد ، أنشدني عاصم بن الحسن الكرخي... » .

(٥٨) وقال الأستاذ الجليل في الصفحة ٢٤٦ : « وضبط السمعاني كلمة القفص بضم القاف مع أن صاحب المراصد ضبطها بالفتح ، هذا والمعول على كلام السمعاني في جميع ما يكتب عن القفص لأنه رآها ... » .

قلت : إن ما ورد في بعض نسخ المراصد من فتح القاف في « القفص » إنما هو من تصحيف النساخ ، ولذلك ترى النسخة المنشورة في القاهرة تذكر ضم القاف مشاراً فيها إلى فتحها في

---

(١) جملة « حدثني أبي » سقطت من نقل الرضي الطاووسي في كتابه المذكور .

(٢) معجم الأدباء « ٥ : ٤٦٧ » طبعة مرغليوث .

(٣) تنبهت على ذلك لأني كنت أعلم أن أبا سعد بن السمعاني لم يلق أبا الحسن عاصم بن الحسن بن محمد ابن عاصم العاصمي الكرخي الأديب الشاعر المحدث المتوفى سنة ٤٨٣ ، بل روى عنه بالواسطة « مختصر أنساب السمعاني بخطي ص ٤١٧ » . وخريدة القصر لعماد الأصفهاني « أصول التاريخ والأدب من مجموعاتي ١١٤ س ١٤ » وغيرها .

نسخة أخرى ، وكلمة « القص » تلتبس بالقتح إذا صفرت القاد وضمت الميم . وقد رأيت من ذلك التصحيف كثيراً في المخطوطات السقيمة الخط ، التي كان نساخها من الجهال .

٥٩ — وقال الشيخ في الصفحة ٢٤١ بينها : « ويستفاد من كلام هؤلاء البلدانيين أن موقع القفص فوق دجيل الحالية » . ثم قال في الصفحة ٢٤٢ التي تليها « هذا مارواه المؤلف من أخبار خزانة الحسكة وصاحبها وإذا كانت ناحية القفص — وهي تبعد مئات الأميال من بغداد — تشتمل على مثل هذه الخزانة فكم خزانة اشتملت عليها بغداد نفسها في العصر المذكور ... » .

قلت : الميل القديم هو أربعة آلاف ذراع بالذراع السوداء التي تساوي « ٥٠ » سنتيمتراً على التقريب ، فهو كيلو متران على التقريب أيضاً ، ومئات الأميال أقلها ثلاثمائة ميل ، ومضاعفها ستمائة ميل وهو عدد الكيلو مترات المساوية لبعد القفص عن بغداد ، على تقدير الشيخ الجليل ، وهذه مسافة أطول مما بين الموصل وبغداد ، مع أن القفص كانت تبعد مئات أمتار عن أهل بغداد يومئذ ، قال ابن عبد الحق في المراصد : « القفص : بالضم والسكون ... وأيضاً قرية ببغداد مشهورة فوقها قطربل » ، فتأمل قوله « ببغداد » وقوله « فوقها قطربل » . وكان قد قال : « قطربل : بالضم ثم السكون وفتح الراء وباء مشددة مضمومة ولام ، وقد روي بفتح أوله وثانيه ، قال [ياقوت] : قرية بين بغداد وعكبرا . قلت : بين بغداد والمزرفة ، لأن عكبرا [كانت] في الجانب الشرقي وهي في الغربي ، وبينها فراسخ ، وأليها ينسب الطسوج الذي هي فيه ، فيقال طسوج قطربل ، وما فوق الصراة من أسافل سقي دجيل فهو من طسوج قطربل وهي شمالي بغداد ، يضاف اليها الخمر والحانات وهي الآن [سنة ٧٣٩] خراب » . وعلى هذا أستطيع أن أقول إن « القفص » كانت قريبة من أرض الكاظمية ، ألا تراه يقول « بين بغداد والمزرفة » والمزرفة كما في معجم البلدان لياقوت « قرية كبيرة فوق بغداد على دجلة بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ » . يعني خمسة عشر كيلو متراً تقريباً ، وهي اليوم معروفة أرضها داثر عمرانها ، فإن كان ما بين بغداد والمزرفة خمسة عشر كيلو متراً ، وكانت قطربل بين بغداد والمزرفة

وكانت القفص بين بغداد وقطربل فالمسافة بين بغداد والقفص قصيرة لا تتجاوز خمسة كيلو مترات فكيف تكون المسافة مئات الأميال كما قال الشيخ الجليل أي مئات الكيلو مترات ؟!

٦٠ — وقال في الصفحة ٢٤٩ : « أشهر مشاهير بني النجم : علي بن يحيى بن أبي منصور ، يحيى بن علي بن يحيى ، هارون بن علي أبو عبد ، أحمد بن هارون ، علي بن هارون ، أسماء لمعت لمعان النجوم ، منذ منتصف المائة الثالثة الى منتصف المائة الخامسة في الدولة العباسية ... » .

قلت : إن أحدهم المذكور هو « أحمد بن علي بن هارون » لا أحمد بن هارون ، قال ياقوت في معجم الأدباء ١ : ٢٣٢ : « أحمد بن علي بن هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم أبو الفتح ، أحد من سلك سبيل آبائه في طرق الآداب ... » .

ثم قال ياقوت في ترجمة أبي الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور بن المنجم : وكان لعلي بن هارون ولد يقال له أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون المنجم ، كان أديباً فاضلاً إلا أني لم أقف له على تصنيف فلم أفرده بترجمة ، والمقصود ذكره ، وقد ذُكر هاهنا روى عنه أبو علي التنوخي في نشواره فأكثر [1] ... » .

وقد سها ياقوت عن أنه أفرده بترجمة ، فقال ما قال ، وقد أشرنا الى ترجمته ونبهنا على موضعها من معجمه . هذا وقد فات الأستاذ الجليل التنويه « بأبي الحسن أحمد بن يحيى بن علي ابن يحيى بن علي بن يحيى ابن المنجم ، قال الخطيب البغدادي : « ذكر أبو عبيد الله المرزباني أنه كان أحد متكلمي المعتزلة ، مقدماً فيهم ، وقال : توفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وقد جاوز التسعين » قال الخطيب : « وحدث المرزباني عنه عن أبيه وعميه أحمد وهارون [2] » ، وقد ذكر ابن خلكان أن أبا الحسن أحمد بن يحيى هذا تمّم كتاب « الباهر » في أخبار شعراء مخضرمي الدولتين ، وعزم على أن يضيف الى كتاب أبيه سائر الشعراء المحدثين ، فذكر

(١) معجم الأدباء « ٥ : ٤٤٥ طبعة مرغليوث » .

(٢) تاريخ بغداد للخطيب « ٥ : ٢١٥ » .

منهم أبا دلامة ووالبة بن الحباب ويحيى بن زياد ومطيع بن إياس وأبا علي البصير ، وقال ابن خلكان : وكان أبو الحسن أحمد المذكور متكلماً فقيهاً على مذهب أبي جعفر الطبري وله كتب منها كتاب أخبار أهله ونسبهم في الفرس ، وكتاب الاجماع في الفقه على مذهب أبي جعفر الطبري ، وكتاب المدخل الى مذهب الطبري ، ونصرة مذهبه ، وكتاب الأوقات وغير ذلك [1] » ، فهو إذن من أشهر مشاهيرهم .

وفات الأستاذ الجليل أيضاً ذكر « أبي العباس هبة الله بن محمد بن يوسف بن المنجم » قال أبو علي التنوخي : « حدثني أبو العباس هبة الله بن محمد بن يوسف المعروف بابن المنجم وهو أحد بني يحيى بن أبي المنصور المنجم صاحب المأمون [2] ... وعل أبي العباس في نفسه أشهر من أن يجهل في العلم والأدب وقول الشعر ، والمرنة بالجدل والفقه وغير ذلك مما يفرق به وقد نادم أبا محمد المهلبي — رحمه الله — واختص به ونفق عليه سنين كثيرة و[علماء] من بعده من الوزراء وغيرهم من الرؤساء وهو أحد بقايا أهله [3] ... » .

٦٦ — وقال الأستاذ الجليل في الصفحة ٢٥٣ وهو يتكلم أيضـــاً على آل المنجم الأدباء الفضلاء : « قال عبيد الله بن أبي طاهر : كان علي بن يحيى مشهوراً بالأدب مائلاً إلى أهله ... » ، وعلّق الأستاذ على عبيد الله [4] بن أبي طاهر في الحاشية ما هذا نصه : « معجم الأدباء لياقوت الحموي ٥ : ٤٥٩ » وفي هذا الاسم تحريف والصواب عبيدالله بن طاهر ، حفيد طاهر ابن الحسين الخزاعي أشهر قواد المأمون وأكبر أمرائه ... وكان حفيده عبيد الله بن عبدالله بن

---

(١) الوفيات ﺟ ٢ : ٣٢٩ ، طبعة بلاد العجم .

(٢) قال التنوخي : « وعل أهله وسلفه وبيته في منادمة الخلفاء والوزراء والأمراء مشهور، وموضعهم من الكلام والنجوم والعلم والأدب وقول الشعر وتصنيف الكتب في أنواع ذلك معروف ، ومكانهم من المنزلة في خدمة السلطان وعظم النعمة والمال متعالم » . « نشوار المحاضرة ١ : ٦١ » .

(٣) المرجع المذكور « ص ٦١ » ، وقد روى أبو علي التنوخي عن أبي العباس ابن المنجم هذا خبراً آخر في هذا الجزء من النشوار « ص ٦٢ » .

(٤) سيذكر قريباً أنه « عبيد الله بن عبد الله بن طاهر » وهذا من الاختصار .

طاهر شاعر الطاهريين[1] وعدّتهم في عصره ... » .

قلت : إنه قد نقل الخبر من معجم الأدباء لياقوت الحموي كما أشار إليه في الحاشية ، وقد تأملته عوداً كما تأملته قبلاً ، فلم أجد في قول ياقوت « عبيد الله بن أبي طاهر » تحريفاً ، فقد حفظتُ هذا الاسم بين أسماء الأدباء والمؤرخين ، وعبيدالله بن أبي طاهر غير عبيد الله بن عبد الله الطاهري ، قال محمد بن اسحاق النديم في الكلام على سيرة « ابن أبي طاهر » والد عبيدالله رواي الخبر المذكور : « أخبار أبي طاهر ، وهو أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ، واسم أبي طاهر : طيفور ، من أبناء خراسان من أولاد الدولة[2] ... » وذكر أخباره وتآليفه وهي كثيرة في التاريخ والأدب والشعر والسياسة والقصص وغير ذلك ، ثم قال :

« ابنه عبيدالله ـ يعني عبيدالله بن أحمد بن أبي طاهر ـ ويكنى أبا الحسين ، سلك طريقة أبيه في التصنيف والتأليف ، وروايته أقل من رواية أبيه ، فأما الدراية والتأليف فكان أحذق وأمهر ، فما لأبي الحسين من الكتب ما زاده على كتاب أبيه في (أخبار بغداد) فان أباه عمل الى آخر ايام المهدي ، وزاد أبو الحسين أخبار المعتمد وأخبار المعتضد وأخبار المكتفي وأخبار المقتدر ، ولم يتمه ، وله من الكتب كتاب السكباج وفضائلها ، كتاب المتطرفين والمتطرفات[3] » . وقال في موضع آخر من الفهرست : « قرأت بخط أبي الحسين عبيدالله بن أحمد بن أبي طاهر : الحسين ابن منصور الحلاج ، وكان رجلاً محتالاً مشعبذاً يتعاطى مذاهب الصوفية[4] ... » . وأمعن

(١) يعني شاعر أهله الطاهريين وأديبهم وعدتهم ، وهذا التعبير أوضح من ذلك .

واجع قول الأستاذ في الصفحة ٢٥٩ : « اهتز آل النجم بمدح البحتري لهم ... بل كان يروق لبعضهم ان يقول على ما في ذلك من غلو إنه شاعرهم » .

(٢) الفهرست : « ص ٢٠٩ من الطبعة المصرية » .

(٣) المرجع المذكور « ص ٢١٠ » .

(٤) المرجع المذكور « ص ٢٦٦ » . وقال ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان في ترجمة اسحاق بن محمد النخعي الأحمر : « وقال عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر في كتاب أخبار المعتضد ، حدثني أبو الحسن أحمد بن يحيى ابن علي بن يحيى (ابن المنجم) حدثني أبو بكر محمد بن خلف المعروف بوكيع ... »

في ذم الحلاج وذكر شيئاً من سيرته الاجتماعية .

وقال الصلاح الصفدي : « عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر طيفور أبو الحسين ، توفي سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ، وكان أحذق من أبيه ، ومن تصانيفه الذيل على تاريخ أبيه في أخبار بغداد ، كتاب السكباج وفضائله [1] ، كتاب المستظرفات [2] والمستظرفين [3] » . وقال ياقوت الحموي في ترجمة أبيه أحمد بن أبي طاهر طيفور : « وأنشد له ابنه عبيدالله في كتابه :
وما الشعر إلا السيف ينبو وحدُّه [4] ... »

وقال الخطيب البغدادي : « عبيد الله بن احمد بن أبي طاهر ، واسم أبي طاهر طيفور ، وكنية عبيد الله (أبو الحسين) ، مروزي الأصل ، روى عن أبيه كتابه المصنف في أخبار بغداد ، وذكر ملوكها وشرح حوادثها ، حدث عن علي بن هارون المنجم و [روى عنه] أبو عمر بن حيويه [5] ، حدثنا علي بن أبي علي قال قال انا محمد بن العباس بن حيويه : مات أبو الحسين بن أبي طاهر في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة [6] » ، وقد روى عنه المرزباني حضوراً وبالواسطة كما في الموشح « ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ » وراجع « ص ٢٦٥ » . فعبيدالله بن أبي طاهر اختصار « عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر » . وهذا واضح بحمد الله تعالى وتوفيقه ، لا يحتاج الى فضل بيان .

٦٢ — ونقل الأستاذ الجليل في الصفحة ٢٧٥ بعض ما ذكره ابن السمعاني في الأنساب

---

(١) تقدم « وفضائلها » .

(٢) تقدم « المتظرفات والمتظرفين » .

(٣) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ١٩٩ » .

(٤) معجم الأدباء « ١/١٥٥ » .

(٥) زدت ما بين المضادتين لأن أبا عمر محمد بن العباس بن حيويه المتوفى سنة ٣٨٢ هو الذي ينبغي أن يروي عنه « تاريخ بغداد ٣/١٢٢ » وقد وردت الكنية « أبو عمر » في تاريخ الخطيب مرفوعة لا مجرورة ، وفي ذلك دلالة على ذهاب شيء من الجملة ولولا ذلك لجرت .

(٦) تاريخ بغداد « ١٠ : ٣٤٨ » .

من سيرة آل المنجم قال : « وفيا كتب السمعاني عن آل المنجم فوائد لا تجدها في كتاب آخر فانه سمى فروعهم من أولاد علي بن هارون وذكر منهم أربعة ؛ وإن كان هذا الفصل لا يخلو من الاختلال والاضطراب كما جاء في نسخة الكتاب[1] من قبيل تقديم طبقة متأخرة وبالعكس وهذا نص ما قاله السمعاني في الانساب « المنجم لمن يعرف علم النجوم ، وفيهم كثرة ، ومن المحدثين أبو الفتح أحمد بن علي من أهل بغداد ، حدث عن أبيه علي بن هارون المنجم ، روى عنه القاضي أبو القاسم التنوخي ، وفي عبارة الانساب بعد ذلك اضطراب فانها تتحدث عن يحيى ابن علي بن أبي منصور منجم المأمون الذي أسلم على يده وكأنه من أولاد أحمد بن علي وهذا خلط لا نعلم منشأه بالضبط والمرجح أنه خلط من الناسخ ... »

وهذا القول صحيح فان نُسّاخ نسخة الانساب التي طبعت بخطوطهم قد شوهوا من أعلامها وعباراتها ، وسقطت منها من أيديهم ضروب من الجمل أخلّت بها إخلالاً بيناً ، وكان الأستاذ الجليل قد نقل في بعض مقالاته المتعة ما ورد مطبوعاً ناقصاً في الانساب من الكلام على آل الزينبي العباسي ، فطلبت الى الأديب ناشر المقالة أن ينبه القراء على النقصان[2] ، وذلك أني في اثناء اختصاري للانساب ، على حسب ذوقي التاريخي ، شعرت بجملة من ذلك الاخلال وأشياء من ذلك النقصان ، فتصحيح ما جاء في الانساب خاصاً بآل المنجم يكون على النحو الآتي :

« ... ومن المحدثين أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون بن يحيى بن أبي منصور المنجم . من أهل بغداد حدث عن أبيه علي بن هارون ، روى عنه القاضي أبو القاسم التنوخي ، وأما جدّ[3] أبيه : يحيى فكان منجم المأمون ونديمه وأسلم على يده ... » وكل ما أصلحنا منه

---

(١) قلت : وقع اختلال أيضاً في مادة « المنجم » من كتاب « اللباب في تهذيب الانساب » للمؤرخ الشهير عز الدين بن الأثير وهو ناقل لكلام ابن السمعاني في هذه المادة ، قال : « ويعرف به من المحدثين أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون بن يحيى بن أبي منصور المنجم ، حدث عن أبيه ... روى عنه القاضي أبو منصور منجم المنصور أمير المؤمنين وكان مجوسياً ، وأما ابنه يحيى فكان منجم المأمون ونديمه وأسلم على يده ».

(٢) راجع « سيرة المرتضى من شعره » في تصدير ديوان المرتضى ١ : ١٠٤ .

(٣) في الأصل « ابنه » وهي بقية قوله « جد أبيه » بتصحيف أبيه الى « ابنه » .

هو زيادة كلمة « جده » ووضع « أبيه » مكان « ابنه » المصحفة تصحيفاً مقبولا .

واما إصلاح ما في اللباب فيكون على النحو الآتي : « ... وعرف به من المحدثين أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون بن يحيى بن أبي منصور المنجم ، من أهل بغداد ، حدث عن أبيه علي بن هارون ، روى عنه القاضي أبو القاسم التنوخي ، وجدّ جده أبو منصور منجم المنصور أمير المؤمنين كان مجوسياً ، وأما ابنه يحيى فكان منجم المأمون ... » .

٦٣ — وقال في الصفحة ٢٨٤ عند الكلام على سيرة اسحاق بن ابراهيم الموصلي : « ... مع أن المعنيين بسيرته لم يقولوا أكثر من أنه كتب الحديث ، وهذه الجملة لا تعني أنه أصبح في عداد العلماء المتفطنين لهذه الشؤون » .

قلت : الذي ذكره أبو الفرج الاصفهاني في سيرته هو « وقد روى الحديث ولقي أهله مثل مالك بن أنس[1] » . وجاء في لسان الميزان : « قال أبو الفرج الاصبهاني في ترجمته : روى الحديث ولقي أهله . وروى عنه ابنه حماد ومحمد بن عطية[2] » فأبو الفرج الاصفهاني يذكر أنه روى الحديث ، وابن حجر العسقلاني يقول إن ابنه حماداً ومحمد بن عطية رويا عنه ، وفي كلا القولين تصريح بالرواية عنه لا يعني كتابة الحديث وحدها ولا الوقوف عند الانتساخ ، غير أن الرواية عندهم عامة ، فيجوز أن يكون إسحاق روى الاخبار والحديث معاً . ومحمد بن عطية هذا هو العطوي الشاعر ، وقد ذكر الأستاذ الجليل جملة حسنة من أخباره وأدبه ومنها مجادلته لاسحاق بن ابراهيم الموصلي في وجوب الاختصاص الكامل والتخصص التام بالعلم والفن ، لمن يريد حقه ورتبته في المجتمع ، قال الاستاذ : « ناقش العطوي اسحاق في مجلس يحيى بن أكثم وأفحمه وزيف دعواه في نظامه وتطلعه الى المنزلة الرفيعة التي يتمتع بها أئمة الفقه والحديث » . ولم يذكر الأستاذ ما قاله يحيى بن أكثم بعد هذا النقاش ، فقد قال للعطوي : « لقد وفيت الحجة وفيها ظلم قليل

(١) الأغاني ٥ : ٢٦٩ ، طبعة دار الكتب المصرية .

(٢) لسان الميزان ١ : ٣٥٠ .

لإسحاق لأنه ربما ماثل أو زاد على من فضّلته عليه وإنه ليقل في الزمان نظايره » . فهذا قول قاضي قضاة الأمة وفيه طعن في حكم المطوعي ، وقد كان إسحاق يستطيع أن يرد عليه بعض قوله إلا أنه كان بحضرة من يقوم مقام وزير العدالة في عصرنا ، فكانت اعتراضة وزير العدالة على الحكم أجدى على إسحاق وأوجه في التاريخ والمجتمع وكان المطوعي من أهل الجدل كلابياً [1] ، جاء في لسان الميزان : « محمد بن عطية أبو عبد الرحمن الشاعر وقيل هو ابن عبد الرحمن بن عطية ، بصري يعد من متكلمي المعتزلة ، وكان يذهب مذهب الحسين النجار ، اتصل بابن أبي دؤاد فحظي عنده ، وهو حسن الاشعار جيد الأوصاف قال المبرد : كان ظاهر العمامة والوسخ مقتراً عليه ، مدموماً بالنبيذ ، وله فيه وفي الصبوح أشعار كثيرة [2] » .

وقال الصلاح الصفدي : « محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية ، مولى كنانة ، بصري شاعر وهو أحد المتكلمين الحذاق ، يذهب الى مذهب حسين النجار [3] وهو معتزلي ، كان زمن المتوكل ، قال :

فمن حكّمت كأسك فيه فاحكم ... له بإقالة عند العثار

وقال :

فوحق البيان يعضده البر ... هان في مأقط ألد الخصام [4]

ما رأينا سوى الحبيبة شيئاً ... جمع الحسن كله في نظام

وهي تجري مجرى الأصالة في الرأ ... ي ومجرى الأرواح في الأجسام

(1) قال السمعاني في الانساب ونقله مؤلف اللباب : « الكلاباني : بفتح أولها واللام والباء وبعد الألف ثاء فوقها نقطتان . هذه النسبة الى معرفة الكلام والاصول واشتهر بها أبو الحسن محمد بن سفيان بن محمد بن محمود الأديب الكلاباني ، هكذا ذكره الحاكم أبو عبد الله وكان مناظراً في الفقه والكلام ... ومات بالجوزجان قبل الخمسين والثلاثمائة » .

(2) لسان الميزان « ٥ : ٢٨٥ » ، وفي نص اللسان المطبوع بالهند ، وهو الذي نقلنا منه ، تصحيف كثير في هذه الترجمة وغيرها يعد عثرات لا بعشرات .

(3) في معجم الشعراء « ص ٤٣٢ » الخباز وهو تصحيف .

(4) هذا البيت وما يليه والثالث تدل على أن ناظمهن من المتكلمين حقاً .

وقال :

لم أحاكم صروف دهري الى الأقـ . . . ـدام حتى فقدت أهل السّماح

أحمـد الله صارت الخمر تأسو دون إخواني الثقات جراحي[1]

وقال الوزير أبو عبيد البكري الأونبي : « هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية مولى بني ليث بن كنانة ، يكنى أبا عبد الرحمن ، من شعراء الدولة العباسية ، بصري المولد والنشأ » وقال أيضاً : « شاعر من شعراء الدولة الهاشمية ، وكان معتزلياً قوياً في مذهبه ، متقدماً في جدله ، وبهذا المذهب اتصل بأحمد بن أبي دؤاد وتقرّب اليه ، وكان مختصاً به[2] ... »

ثم قال : « وأنشد أبو علي [القالي] :

وليس صرير النعش ما تسمعونه ولـكنه أصلاب قوم تقصف

هـذا الشعر للعطوي أبي عبد الرحمن بن عطية الكناني مولى ًلهم بصري ، قال أبو يعقوب : توفي أحمد بن أبي دؤاد ، فقال العطوي يرثيه من قصيدة ارتجلها وأنشد البيتين[3] »

ثم قال : « ومن أحسن ما خاطب محجوب محتجباً قول العطوي :

إذا أنت لم ترسل وجئت فلم أصل ملأت بعذر منك سمع لبيب

أتيتك مشتاقاً فلم أر حاجباً ولا ناظراً إلا بوجه غضوب

كأني غريم مقتضٍ أو كأنني طلوع رقيب أو صدود حبيب

قعدت وما قلّ الحجاب مزمّتي الى شكر سبط الراحتين أريب

عليّ له الأخلاص ما ردع الهوى أصالة رأي أو وقار مشيب[4]

---

(١) الوافي بالوفيات « ٣ : ٢٢٥ ، ٢٢٦ » .

(٢) سمط اللآلي « ١ : ١٤٠ ، ٨١٥ » .

(٣) المرجع المذكور « ١ : ٣٣٩ » .

(٤) المذكور « ١ : ٤١٨ ، ٦١٣ » ، وللعطوي شعر في العمدة مكرر « ٢ : ٦٥ » وفي بديع ابن المعتز « ص : ٥ » وكتاب المرصعات « ٣٨ » وأمالي الزجاجي « ص ٥٦ » وزهر الآداب « ٣ : ٨٣ » ورسالة المنتحل لابن المدبر « ٤٠٠ » ، ذكر ذلك العلامة عبـد العزيز الراجكوتي ، وهـذا من المستدركات أيضاً على الأستاذ الجليل .

٦٤ — وقال الأستاذ الجليل في ترجمة العطوي المذكور: «ويستفاد مما قرأنا من مجموع شعر العطوي أنه كان فقيراً مملقاً وأن ذلك عهد انتقاله من البصرة الى بغداد وإقامته في كنف أحمد بن أبي دؤاد مولى المعتزلة والاعتزال، وكان ابن أبي دؤاد بالاضافة[1] الى ذلك مؤالفاً لأهل الأدب من أي بلد كانوا ...».

قلت: ثبت ذلك مما أثبت المؤرخون في سيرته، قال الخطيب، وقد أشار الاستاذ الجليل الى ترجمته في تاريخه: «وكان مقتراً عليه، ظاهر الدمامة والوسخ». هذا وقول الأستاذ: «... انتقاله من البصرة الى بغداد وإقامته في كنف أحمد بن أبي دؤاد ...» يشعر بأن انتقاله كان في ايام المعتصم بالله وأن مقامه بعد الانتقال هو بغداد، على حين ذكر الاستاذ أنه دخل بغداد أيام المأمون وحضر مجلس يحيى بن أكثم، ذكره نقلاً من معجم الأدباء، ونقل بعد ذلك ما يفيد أن إقامته برهة من عمره كانت بسامرا لا ببغداد كما أراد هو بقوله المذكور آنفاً «انتقاله من البصرة الى بغداد وإقامته في كنف أحمد بن أبي دؤاد». ومصداق ذلك قول المبرد: «كان العطوي لا ينطلق بالشعر معنا بالبصرة، ثم ورد علينا شعره لما صار بسر من رأى وكنا نتهاداه».

٦٥ — وقال في الصفحة ٢٩٣ في الكلام على المهلب وأبنائه: «وقد ظفر المهلب بن أبي صفرة أمير خراسان وأولاده من بعده في جميع الملاحم التي خاضوا غمارها في الشرق والغرب وكانوا قادة جيوش الدولتين الأموية والعباسية ...». وأكثر هذا القول صحيح، إلا أن بني المهلب ثاروا على بني أمية في آخر الأمر، فغلبهم بنو أمية في وقعة عقر بابل، وكانت هذه الوقعة

(١) الصواب «مضافاً الى ذلك» ويجوز «إضافة الى ذلك» أما «بالاضافة الى ذلك» فمعناه بالنسبة اليه، قال أبو حيان التوحيدي في الامتاع ١: ٢٠٧ «وهذه كلها غليظة بالاضافة الينا وفوق الدقيقة بالاضافة الى أعيانها»، وقال ابن رشيق في العمدة: «كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالاضافة الى من كان قبله»، «ج ١ ص ٤٦»، وقال أبو الفرج الاصفهاني في الأغاني «٦: ١٦٤» يعني سليم بن سلام السكوني: «كان يخدم الرشيد فيتفق مع ابن جامع وابراهيم وابنه اسحاق وفليح بن العوراء وحكم الوادي فيكون بالاضافة اليهم كالساقط»، والشواهد كثيرة أجتزيء منها بهذه الثلاثة. (راجع ص ٩ منه).

السبب في دمارهم وتبارهم وقتل عميدهم يزيد بن المهلب ، وأكثر أزوالهم وأبطالهم وأنجادهم وأعيانهم [1] . قال عزالدين ابن أبي الحديد : « ومن أباة الضيم يزيد بن المهلب ، كان يزيد بن عبد الملك يشنؤه قبل خلافته ، لأسباب ليس هذا موضع ذكرها ، فلما أفضت اليه الخلافة وخلعه يزيد بن المهلب ونزع يده من طاعته وعلم أنه إن ظفر به قتله وناله من الهوان ما القتل دونه فدخل البصرة وملكها ... » . وقص خبر الحرب بينه وبين مسلمة بن عبد الملك والعباس ابن الوليد بن عبدالملك ، وقتلهما إياه في عقر بابل سنة ١٠٢ ، وقد قتل معه أخواه محمد بن المهلب، وحبيب بن المهلب ثم هرب بنو المهلب من العراق خوف استئصال بني أمية لهم : حملوا عيالهم في السفن ولججوا في البحر تلجيجاً ، فبعث اليهم مسلمة بن عبد الملك بعثاً عليه قائد من قواده هو هلال بن أحوز المازني فأدركهم في قندابيل ، فتحاربوا وقاتل آل المهلب يومئذ فقتلوا عن آخرهم (كذا) وهم المفضل بن المهلب وزياد بن المهلب ومروان بن المهلب وعبد الملك بن المهلب ومعاوية بن يزيد بن المهلب والمنهال بن أبي عيينة بن المهلب وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب ، وحملت رؤوسهم الى مسلمة بن عبد الملك ، وفي أذن كل واحد منهم رقعة فيها اسمه ، واستأسر الباقون في الوقعة فحملوا الى يزيد بن عبد الملك بالشام وهم أحد رجلاً . فطلب اليه أن يعفو عنهم فلم يجب الى ذلك وأمر بقتلهم فقتلوا صبراً بين يديه ، وبقي منهم صبي صغير فقال لهم : اقتلوني فلست بصغير [2] ولا خير في العيش بعد أهلي . فأمر يزيد بن عبد الملك به فقتل ، وهؤلاء الذين قتلوا صبراً هم المبارك وعبد الله والمغيرة والمفضل والمنجاب بنو يزيد بن المهلب ودريد والحجاج وغسان وشبيب والفضل بن المفضل بن المهلب لصلبه (كذا) ، والمفضل بن قبيصة

---

(١) راجع تاريخ أبي جعفر الطبري في سنة (١٠١ — ١٠٢ هـ) ج ٨ ص ١٤٤ — ١٦٠ من الطبعة المصرية الأولى » ، ووفيات الأعيان « ٢ : ٤١٤ — ٤١٨ » وكامل المبرد « ٢ : ٢٤٨ من طبعة الدلجموني » . وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد « ١ : ٣٠٣ ، ٣٠٤ » وتاريخ ابن واضح اليعقوبي « ٣ : ٥٢ من طبعة النجف » ، ومروج الذهب « ٣ : ١٣٤ من طبعة دار الرجاء » . والكامل في حوادث سنة ١٠٢ هـ وأنساب العرب تأليف سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري « نسخة باريس ٥٠١٩ الورقة ٢٢٠ » .

(٢) حذفنا من قوله ما لا حاجة بالقارىء اليه .

ابن المهلب ، ولم يبق بعد هذه الوقعة الثانية لأهل المهلب باقية سوى أبي عيينة بن المهلب وعمرو ابن يزيد بن المهلب وعثمان بن المفضل بن المهلب فإنهم لحقوا برتبيل ثم أمنوا بعد ذلك[1] » .

إذن لا يصح أن يقـــال « إن أولاد المهلب ظفروا في جميع الملاحم التي خاضوا غمارها في الشرق والغرب » . فقد استؤصلوا في هاتين الوقعتين استئصالاً عظيماً ومثلاً شنيعاً ، ولا غرو في أن بقايا السيوف منهم انضموا إلى بني العباس ونصروهم وآزروهم ، قال أبو العباس المبرد : « وكان يقال : « ضحى بنو حرب بالدين يوم كربلا وضحى بنو مروان بالمروءة يوم العقر ، فيوم كربلاء يوم الحسين بن علي بن أبي طالب وأصحابه ، ويوم العقر يوم قتل يزيد بن المهلب وأصحابه[2] »

وقال الكلبي : « نشأت والناس يقولون : ضحى بنو أمية بالدين يوم كربلاء وبالكرم يوم العقر[3] » . ونقل ابن خلكان أيضاً في ترجمة كثير عزّة قال : « ولما قتل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وجماعة من أهل بيته بعقر بابل ... وكانوا يكثرون الاحسان الى كثير ، فلما بلغه ذلك قال : ما أجلّ الخطب !! ضحى بنو حرب بالدين يوم الطف ، وضحى بنو مروان بالكرم يوم العقر . وأسبلت عيناه بالدموع » .

٦٦ — وجاء في الصفحة ٢٩٥ قول يزيد بن محمد المهلبي[4] :

والسيف والكاب إما كنت ذا جلد وإن ضعفت والشبك

---

(١) شرح نهج البلاغة « ١ : ٣٠٣ ، ٣٠٤ » .

(٢) الكامل في الأدب « ٣ : ٢٤٨ » طبعة الدلجموني .

(٣) الوفيات « ٢ : ٤٢٩ » .

(٤) نقلا من طبقات الشعراء « ص ١٤٩ » وهي الطبعة التي ساعدت بأشرها على تصحيحها عند طبعها بصورتها الأصلية ، وقد طبعت ثانية بمصر طبعة جيدة ، وقد جاء في الصفحة ٥٩٦ من هذه الطبعة ترجمة لقول الأستاذ عباس اقبال من الفرنسية الى العربية وهو « وإني أشكر صديقي السيد محمد كاظميني (كذا أي الكاظمي) الذي ساعدني وجعلني أستفيد من مكتبته الخاصة وكذلك الدكتور مصطفى جواد أحد المؤرخين والعلماء المشهورين ببغداد ، وقد ساعدني في عدة مواضع .. » كذا قال .

وقال في التعليق على البياض العارض في هذا البيت : « في الأصل كلة محرفة غير مفهومة ».
وقد صحح الأستاذ عباس إقبال كلة « فريس » بـ « فريش » وصحح الأستاذ الآخر الحرف غير المفهوم فصار الشطر « وإن ضمنت فريشي الدبق والشبك » .

٦٧ — وقال في الصفحة ٣٠١ « وصف الزوّ ومواكب اللهو : كان المتوكل معنياً جداً بأسباب اللهو والمرح واختيار ندمائه ودعوتهم الى حفلاته بكثير من الالطاف والرعاية وقد بلغ من التأنق في ذلك مبلغاً بعيداً حتى أمر بصنع سفينة تحاكي بضخامتها قصراً أو صرحاً مشيداً أطلق عليها اسم الزوّ لتقام فيها حفلات اللهو والأنس ، وكانت تمخر عباب الماء في دجلة والقاطول ... » ، ثم قال في حاشية الصفحة ٣٠٦ : « الزوّ في أصل اللغة الزوج ضد الفرد يقال جاءا زواً . أي معاً ، وقد أطلقت كلة الزو على سفينة صنعت للمتوكل ، والغالب أنها سفينة مزدوجة أو مركبة من سفينتين ... » . ونقل قول الزبيدي في التاج وَوَهْم الجوهري في اعتداده الزوّ جبلاً ثم قال : « ونلاحظ أن حروف الزوّ هي بعينها حروف كلة الزوج ما عدا الحرف الأخير ، وربما كانت لغة قديمة أو لهجة في الزوج » .

قلت : قد قال ذلك قديماً ياقوت الحموي في معجم البلدان ونص قوله « زوّ بفتح أوله وتشديد ثانيه ، الزو : نوع من السفن عظيم ، وكان المتوكل بنى في واحدة منها قصراً منيفاً ونادم فيه البحتري وله فيه شعر في قصيدة (ألا هل أتاها بالمغيب سلامي) يقول فيه : ولا جبلاً كالزو . والزو في اللغة الزوج والتو الفرد ، والزو القدر ، والزو الذي يفحص فيه شعر الضأن والمعز منه زوء المنية بالهمزة ما يحدث من حوادث المنية » .

فقوله « وكان المتوكل بنى في واحدة منها ... » يدل على أن الزو كانت معروفة قبل المتوكل ، وأن المتوكل لم يطلق هذا الاسم على ذلك الضرب من السفن بل كان الاسم شائعاً من قبل ، فأما كون الزو معروفة من قبل فدليله ما جاء في حوادث سنة ١٨٧ هـ في تاريخ الطبري ، قال في أخبار الرشيد : « ... فحدثني العباس بن الفضل بن الربيع قال : جلس الرشيد في الزو في الفرات ...

ثم قال للعباس: اخرج وُمر برفع الشماغ المطروحة على الزو، ففعل ذلك[1] ... » . والدليل أيضاً ما ورد في حوادث سنة (٢٢٠) في خلافة المعتصم بالله قال: « ذكر ما فيها من الأحداث ، فمن ذلك ما كان من دخول عجيف بالزط بغداد وقهرهم إياه . . . وعبأهم في زواريقهم على هيآتهم في الحرب معهم البوقات حتى دخل بهم بغداد يوم عاشوراء سنة (٢٢٠) والمعتصم بالشماسية في سفينة يقال لها الزو[2] ... » . وما ورد في أخبار الحسين بن الضحاك ، يرويه أبو الفرج الاصفهاني بسنده الى إبراهيم بن الحسن بن سهل ، قال: « كنا مع الواثق بالقاطول وهو يتصيد ، فصاد صيداً حسناً وهو في الزو ، من الاوز والدراج وطير الماء وغير ذلك[3] ... » .

وأما الذهاب ولو استرجاحاً الى أن « الزوّ » مأخوذ من الزو الكلمة العربيـة بمعنى الزوج فغير وارد ، والصحيح أن الزو كلمة صينية وهي اسم لضرب من سفن الصين ، قلد صنعها في العراق ، قال ابن بطوطة : « ذكر مراكب الصين ، ومراكب الصين ثلاثة أصناف : الكبار منها تسمى الجنوك ، واحدها جنك (بجيم معقود مضموم ونون ساكن) والمتوسطة تسمى الزو (بفتح الزاي وواو) والصغار يسمى أحدها الككم (بكافين مفتوحين) ... ويتبع كل مركب منها ثلاثة : النصفي والثلثي والربعي ، ولا تصنع هذه المراكب إلا بمدينة الزيتون من الصين أو بصين كلاي وهي صين الصين[4] ... » .

٦٨ — وقال في الصفحة ٣٠٨ : « فهذا أحمد بن أبي طاهر طيفور مصنف تاريخ بغداد وهو من الأخباريين والرواة المدونين ...» . وكان الأستاذ الجليل قد فرغ من التعريف به في الصفحتين ٢٧٧ ، ٢٧٨ وقد كرّر مثل هـذا التكرار في جملة من نكت الكتـاب ، وذلك يدل على أنه ألفه في أوقات مختلفة ، قاربت أربعين سنة كما قال في « ص ٣٤ ، ٣١٣ منه » .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك « ١٠ : ٨٦ من الطبعة المصرية الأولى » .

(٢) المرجع المذكور « ص ٣٠٦ » .

(٣) الأغاني « ٧ : ١٥٨ طبعة دار الكتب المصرية » .

(٤) تحفة النظار في غرائب الأمصار « ٢ : ١١٦ طبعة مطبعة التقدم بالقاهرة سنة ١٣٢٢ » .

٦٩ — ونقل الشيخ الجليل في حاشية الصفحة ٣٠٩ خبراً أدبياً من كتاب « الموازنة » للآمدي ، يقول فيه الآمدي : « حكى أبو عبد الله محمد بن داود الجراح في كتابه ... أن ابن أبي طاهر أعلمه أنه أخرج البحتري سبائة بيت مسروق ... » . وزاد الأستاذ بعد قوله (في كتابه) ما هذا نصّه « لم يرد في هذه الحكاية اسم كتاب ابن الجراح فلعله غير كتاب الورقة لأن كتاب الورقة خال من هذه الرواية » .

قلت : إن قول الآمدي « في كتابه » يشعر بأنه لم يكن يحسب له كتاباً ثانياً ، فلا بد أن يكون مريداً له وعانيا إياه لا كتاب الشعر والشعراء ولا كتاب الأربعة من كتبه . والمطبوع من كتاب الورقة يدل على أن نسخته ناقصة وذلك لقول الناسخ — ص ٥ — : « هذا آخر ما وجد في النسخة العتيقة ... » ولقول الدكتور عبدالوهاب عزام ناشر الكتاب — ص ١٠ — : « والظاهر أن في هذه النسخة نقصاً ، يدل عليه ما نجده في كتب الأدب والتراجم من نصوص منقولة عن كتاب الورقة لا نجدها في النسخة » . وذكر من النصوص المفقودة ما ورد في ترجمة إبراهيم بن العباس الصولي في الوفيات ، وما ورد في ديوان أبي نواس من أخبار له منقولة من كتاب الورقة لا أثر لها في المطبوع منها[1] ، فهذا كما ترى .

٧٠ — وقال في الصفحة ٣٩٣ : « نشر جزآن من كتاب الأوراق للصولي أحدهما في أخبار الراضي والثاني في أخبار الشعراء ، والرجيح أن قوام الكتاب أكثر من خمسة أجزاء ... » . والصحيح أن ثلاثة أجزاء منه نشرت ، وهي الجزآن اللذان أشار إليهما الأستاذ الجليل والجزء الذي نشر بالقاهرة أيضاً سنة ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦[2] ، نشره ناشر الجزءين

(١) وجدت أنا من التراجم التي ليست في النسخة المطبوعة وهي من الأصل ترجمة « فضل الشاعرة » و « سعيد بن حميد » و « أبي الحسن علي بن ثابت الأنصاري » و « عبد الله بن العباس بن عبد المطلب » و « عبيد الله بن إسحاق السكاري » ، و « محمد بن عمر بن سعيد الحربي » ، ولعلي أجد فرصة فأنشرها من مظانها .

(٢) ذكر فيه محمد بن السفاح وسليمان بن المنصور وهبة الله بن ابراهيم بن المهدي وعلية بنت المهدي=

المذكورين الأستاذ ج هيورث المستشرق ، وفي الثلاثة أوهام وتصحيفات عدّة لعلي أنشرها قريبـــاً .

٧١ — ومن أغرب ما رأيت في هذا الكتاب المتع تصحيح الأستاذ الجليل أحياناً التركيب الصحيح بالتركيب الغلط : صحح في الصفحة ٣٢ « ثمن عشرة سنة » وهي تركيب صحيح قريب في الصحة من ثماني عشرة ، صححها بثمانية عشر ، وصحح في الصفحة ١٧٥ « خمس عشرة سنة » وهي من التركيب الصحيح بـ « خمسة عشر » .

وصحح الغلط بالغلط في الصفحة ٩٩ : صحح ثمانية عشرة سنة « بثمانية عشر » والصواب « ثماني عشرة » على الفصيح و « ثمان عشرة » على غير الفصيح ، وكان قد فعل مثل ذلك في الصفحة « ٤٤٤ » ، وكان قد قرأ ترجمة علي بن يحيى بن المنجم في معجم الأدباء ومن شعره في مدح الفتح ابن خاقان :

قريع الموالي صاد في خمس عشرة ... موالي بني العباس لم يبق واحدا (١)

هذا وقد وقع خطأ في أرقام الفهرس لا يستهان من به فضلاً من الخطأ في الأعلام ففي ص٣٢٣ طبع ابن دريدة البغدادي بدلاً من « ابن دريدة » وفي ص ٣٣٠ عبد العزيز بن الخليفة المعتز بدلاً من « عبدالعزيز بن المستنصر بالله » ، وفي ص ٣٣٦ عماد الدين القزويني القاضي بدلاً من « ... القندوي » وفي ص ٣٣٤ هبة الله الصوفي نقيب العلويين ، بدلاً من « نقيب العباسيين » .

٧٢ — وجاء في الصفحة ٢٤٧ قول الأستاذ الجليل : « قال في المعجم وهو يترجم لمجد الدين سعد بن إبراهيم المعروف بالنشاشيبي الاربلي الكاتب الشـــاعر : رتب مشرفاً بنهر الملك ، له أشعار » .

قلت الذي حفظناه أنه « أسعد » لا سعد ، وقد رجعت إلى مرجع الأستاذ الجليل وهو

= وعبدالله بن موسى الهادي ومحمد بن الرشيد وعبدالله بن الأمين وهارون بن المعتصم ومحمد بن المتوكل وعبدالله ابن المعتز وعبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس وعيسى بن موسى بن محمد بن علي وأبو العبر .

(١) معجم الأدباء ٥ : ٤٢٢ .

تلخيص معجم الألقاب فاذا هو «أسعد» ولكنه لما نقله منه تصحّف عليه ، قال ابن الفوطي : « مجد الدين أبو الفضل [و] أبو سعد أسعد بن إبراهيم بن الحسن يعرف بالنشاشبي (كذا) الإربلي الكاتب ... » . وقال ابن شاكر الكتبي : « أسعد بن إبراهيم بن حسن مجد الدين النشابي[1] ... » . وقال كمال الدين عمر بن العديم الحلبي مؤرخ حلب في كتابه بغية الطلب في تاريخ حلب : « أسعد بن إبراهيم الإربلي المعروف بالمجد النشابي ، شاعر حسن الشعر ، قدم إليها حلب واتصل بخدمة الوزير شمس الدين محمد بن عبد الباقي بن أبي يعلى[2] ... » .

وقال ابن تغري بردي : « أسعد بن إبراهيم بن حسن العلامة مجد الدين النشابي الإربلي[3] ... » .

وعامّة المؤرخين الذين ذكروه نعتوه « النشابي » إلا ابن الفوطي أو ناسخ معجمه المطبوع قد سماه « النشاشبي » وهو نسب غير معروف في القدماء دون بعض المعاصرين وهو « الأديب الفلسطيني النشاشيبي » . وقد نسب مؤلف كتاب الحوادث قصيدة موفق الدين عبد القاهر ابن الفوطي الحنبلي « الدالية التي ذكرت أبياتاً منها فيما سبق من هذه الملاحظات ، إلى المجد

(١) فوات الوفيات « ١ : ١٧ طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد بالقاهرة » وفيها أوهام كثيرة ، منها انتقال صفحة من ترجمة « أحمد البلقي » في ص ١٣٤ الى ترجمة إبراهيم بن سليمان بن حزة ص ٨ ولصحف عليه « البقي » إلى « الثقفي » . ومنها « أحمد الدوبيق » في « ص ٩٠ » والصحيح « أحمد الديقي » الأديب المشهور ، المترجم في البداية والنهاية وتلخيص معجم الألقاب والذرات والمذكور في شرح نهج البلاغة « ٣ : ٤٠ » ومنها « حلاوشاة وبنو لاي » يعني القائدين المغوليين المشهورين « ختلوشاه وبولاي » ، ونقل ترجمة الشيخ صدر الدين الوكيل الى الصفحة ١٠٩ من الجزء الأول مع الأحدين مع أن اسمه « محمد » وترجمته في الجزء الثاني . « ص ٤٤٠ » . وجعل حسام الدين بركة خان في ص١٦٦ « حسام الدين بن كرخان » وسمى « توريز » توريز فيه ص ١٢٦ ، والجواني في ص٢٠٤ سماه « الحراني » ، وتموجين في ص ٢١١ « تمرجين » ، والبسق في ص ٢١٢ « النسق » ، وابن الجباب في ص ٢٤٤ « ابن الحباب » وسداد بن إبراهيم الجزري سماه « شداد بن إبراهيم » .

(٢) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣٨ الورقة ١٩ » .

(٣) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي « نسخة الدار المذكورة ٢٠٦٨ الورقة ١٧٣ » .

الشابي" هذا[1] وهي ليست من بزّه ولا من سوقه ولا من ذوقه .

٧٣ — وقال الأستاذ الجليل في الصفحة ٣١ في الكلام على الخلل الواقع في الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب والعبث والتلفيق كما سماه هو : « أوقعنا هـذا العبث أو التلفيق كما أوقع غيرنا في أوهـام لم نفطن إليها إلا بعـد مضي زمن غير قليل ... » . وليت الأستاذ الجليل ذكر غيره فرداً أو جماعة ، لنعرف أخطاءهم ومزالقهم في النقل من هذا الكتاب ، وليته ذكر الأوهام فصححها كما حاولت أنا خدمة للتاريخ والحقيقة ، فان تصحيحها واجب أدبي مقدّس ، وتبعة السكوت عليها غليظة ، ونرجو منه رجاءاً مؤكداً بالابتهال أن يذكر في مستقبل الأيام الأوهام التي وقع فيها غيره .

٧٤ — وقال الشيخ الجليل في الصفحة ٩٢ : « علّق بخطه — يعني ابن الفوطي — على ترجمة عميد الدين عبدالمطلب بن علي بن المختار النقيب ، وهو من صدور العراق الذين اتصل بهم ، ما هذا نصُّه : « وقد ذكرته في التاريخ وتوفي وأنا يومئذ في أذربيجان سنة ٧٠٧ . ولم يسم ابن الفوطي كتاب التاريخ الذي ذكره فيه ، وترجيح أنه معجمه الكبير الذي اختصر منه هذا الكتاب » .

قلت : لا أرى وجهاً لهـذا الترجيح ، فالمعجم المفقود الذي أشار إليه لم يسمه هو باسم « التاريخ » كما لم يسمّ تلخيص ذلك المعجم بالتاريخ ، وإنما التاريخ الذي أراده هو « تاريخ الحوادث » الذي ذكره في التلخيص غير مرة ، كقوله في ترجمة عز الدين أبي محمد شرفشاه بن محمد بن عبد الرزاق الجعفري الطبرسي الصدر الصاحب : « تقلّب في الأعمال الجليلة ، وعبَرتْ على رأسه أمور عجيبة ، وقد ذكرتُ ذلك في حوادث التاريخ[2] ... » وقال في ترجمة عز الدين الحسن بن محمد ابن النيار البغدادي : « وعزلني ابن الناقد ما كان

(١) الحوادث « ٣٢١ » .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٤٩ من نسخة الأولى بخطي » .

بيدي فتركت الترداد إليهم وذلك سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ، وقد ذكرت ذلك مستوفى في التاريخ والحوادث المرتب على السنين [1] » . وقال ترجمة فلك الدين أبي نصر محمد بن عبدالله المستعصمي الكاتب : « وتوفي في رجب سنة عشر وسبعمائة وله شعر حسن ورسائل وأخبار ذكرتُ في التاريخ أكثرها » . وقال في ترجمة كمال الدين منصور بن أحمد ابن الشديدي الكوفي : « وقد ذكرته في التاريخ وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وستمائة [2] ... » وقد قدمنا ذكر هذا الرجل . وقال في ترجمة مجد الملك عبدالله بن محمد بن هبة الله اليزدي : « وجرت له أقاصيص ذكرتها في التاريخ » ، وقال في ترجمة علاء الدين أبي منصور عطا ملك بن محمد الجويني المشهور : وهو الذي أعادني إلى مدينة السلام وفوّض إلي كتابة التاريخ والحوادث ، وله رسائل وأشعار وحكم وأمثال يضيق هذا المختصر عن ذكرها [3] » . وقال في ترجمة فخرالدين أبي الفضل أحمد بن الحسن بن محمد الآملي التبريزي : « الصاحب المعظم ، من أكابر تبريز وأعيانها وأماثلها . ولما تسلم الوزير علي شاه الوقف من نواب خواجه أصيل الدين الحسن بن مولانا نصير الدين تقدم بجمع النواب ، لسمل الحساب ، وقدم بغداد ... وذكرت ذلك في التاريخ مستوفى [4] ... » .

ثم إن المؤرخين يذكرون معجم الألقاب باسمه حين يذكرونه ولم يسمه أحد بمجرد « التاريخ » بل موصوفاً موسوماً بالألقاب ، قال الشمس الذهبي في حوادث سنة ٦٨٣ : « محمد ابن محمد بن محمد الوزير الكبير شمس الدين أبو المكارم الجويني ، وزير الدولة التتارية والحاكم في المنول ، نفذت أقلامه في الأقاليم ، وله رسائل وأشعار ، وقد ذكره ابن الفوطي مستقصىً في معجم الألقاب وقال : قتل بنواحي أبهر بعد أن كتب وصيته بيده ، متمثلاً من لفظه قصائد

(١) التلخيص « ٤ : ٢ من نسختي المذكورة » .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ج ٥ في الترجمة ١٠٠ من الكاف » .

(٣) تلخيص معجم الألقاب « ٥ : ١٦٣ من نسخة بخطي .

(٤) التلخيص « ٤ : ٢١٩ » .

بتبريز ، قتل في رابع شعبان [1] » . وقال في ترجمة أخيه علاء الدين الجويني : « ولي علاء الدين نظر العراق سنة نيف وستين [وستمائة] بعد العماد القزويني فأخذ في عمارة القرى وأسقط عن الفلاحين مغارم كثيرة الى أن تضاعف دخل العراق ، وعمر سوادها ، وحفر نهراً من الفرات مبدؤه من الأنبار ومنتهاه الى مشهد علي - رضي - فأنشأ عليه مائة وخمسين قرية ، ولقد بالغ بعض الناس وقال : عمر صاحب الديوان بغداد حتى كانت أجود من أيام الخليفة ووجد أهل بغداد به راحة ... وكان الرجل الفاضل إذا صنف كتاباً ونسبه اليهما — يعني علاء الدين وأخاه شمس الدين - تكون جائزته ألف دينار ، وقد صنف شمس الدين محمد بن الصيقل الجزري خمسين مقامة وقدمهما فأعطي ألف دينار [2] ، وكان لهما إحسان إلى العلماء والصلحاء ، وفيهما إسلام ولهما نظر في العلوم الأدبية والعقلية ، وفي وقتنا هذا الامام المؤرخ العلامة أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد ابن الفوطي مؤرخ عصره ، قد أورد في تاريخه الذي على الألقاب ترجمة علاء الدين مستوفاة ... » ثم قال : نقلاً من معجم الألقاب : « كتب لي - يعني ابن الفوطي نفسه - منشوراً بولاية كتابة التاريخ بعد شيخنا تاج الدين علي بن أنجب [3] » .

ثم إن الشيخ الجليل قد كان اعترف بأن من تآليف ابن الفوطي كتاب « الحوادث والتاريخ » وأنه الكتاب الذي طبعته أنا باسم « الحوادث الجامعة » خطأً ، وبهذا الاسم أعني « كتاب الحوادث والتاريخ » عنون رأيه الذي قدم به كتاب الحوادث [4] ، ولم يذكر هناك أنّ هذا الكتاب يعنى به معجم ابن الفوطي الكبير ، أو الحوادث الجامعة ويستبعد منه بالبداهة أن يسوي بينهما ، فكيف صار الى هذا الرأي الجديد ؟!

---

(١) تاريخ الاسلام « نسخة دار التحف البريطانية ، ١٥٤٠ الورقة ٣٣ » .

(٢) لنرجع الى قول الشيخ الفاضل الذي نقلناه قبلا : « ومثلت عالياً من العلماء والأدباء ونقد المؤلفون والمصنفون والباحثون ... » .

(٣) تاريخ الاسلام « نسخة دار التحف البريطانية ١٥٤٠ الورقة ١٦٨ » .

(٤) مقدمة كتاب الحوادث « ص ١ » .

٧٥ — وقال الشيخ الجليل في الصفحة ٩٥ : « أدرك ابن الفوطي في حداثته اضمحلال الدولة العباسية واجتياح المغول للشرق وفي جملته العراق حتى أصبحت هذه البلاد جزءاً صغيراً من مملكة المغول وخلت غالباً من العلماء والأدباء وفقد المؤلفون والمصنفون والباحثون وجرى على جلة الفنون والعلوم ما جرى من التقتيل والتشريد » .

قال الأستاذ الجليل ذلك ثم ذكر في أثناء الكتاب ما يخالفه ، قال في الصفحة ١٤٦ : « فالحق أن الجويني — يعني علاء الدين — لم يكن دون القزويني إن لم يتفوق عليه في التوسل بجميع الوسائل الممكنة لبعث حركة عمرانية كبرى في العراق بأسره ، فهو الذي جدد كثيراً من المدارس العباسية ومنها المستنصرية وهو الذي أنشأ جملة من المدارس ودور الكتب وغير ذلك ، كما أنشأ جملة من الرباطات والملاجيء والمستشفيات[1] وأجرى عليها الجرايات وعني بتعمير المشاهد في الغري والحائر ومشهد الكاظمين ، وحفر الأنهار والترع وأجرى الماء من الفرات الى الكوفة فالمشهد الغروي وهو الذي شجع حركة التأليف والمؤلفين وأجزل العطاء والبذل لهم ، ومن هذه الناحية نجد جملة من (أمهات الأسفار والصحفات في شتى الموضوعات العلمية والادبية والتاريخية مهداة لخزائنه أو خزائن أهليه وذويه) ولا نظن القزويني عمال الدين[2] يستطيع مجاراته في هذه الناحية ففي الوسع أن نقول إن الجويني برّ جميع وزراء المغول في بعث حركة إنشائية كبيرة شملت العراق وفارس وأذربيجان تشهد بذلك المدارس والمكتبات والكتب

(١) لم نجد في العراق ولا في بغداد مدرسة واحدة تعرف بمدرسة علاء الدين الجويني ، أما مدرسة زوجته « العصمتية » فهي لزوجته بالبداهة ، ولم نجد ببغداد دار كتب عرفت باسم « دار كتب علاء الدين الجويني » ولا رباطا سوى رباطه بمشهد الامام علي — ع — ولا مارستاناً « مستشفى » باسم « مارستان علاء الدين الجويني » ، بل عمر دار الشفاء بخوزستان كما ذكر ابن الفوطي في سيرته . وقد عمر بركة جامع الكوفة كما ذكر ابن فضل الله العمري ناقلا ، فهل يفيدنا الشيخ الجليل تعريفاً بترجمة التاريخي ؟ .

(٢) قال في الصفحة ١٤٤ في سيرته نقلا من معجم ابن الفوطي : « عمر المساجد والمدارس ورمم الربط والمشاهد وأجرى الجرايات من وقوفها للعلماء والفقهاء والصوفية وأعاد رونق الاسلام بهيبة اسلام وحاز بهذا الفعل الجميل الذي يبقى على جبهات الزمان حسن الأجر والثناء » .

والمآخذ العلمية » . وهذا لا يحتاج إلى فضل إيضاح .

وكان واجباً أن يضاف الى منشآت علاء الدين الجويني . الخان الذي كان يستغله وينتفع به وقد بناه في أرض كان المسلمون يرتفقون بها جميعاً ، قال ابن الفوطي في ترجمة علاء الدين أحمد ابن عبيدالله الأسفهاني الأصل البغدادي العدل المحتسب : « ورامى جانب الصاحب علاء الدين وعمر له الخان الذي أسسه بباب الغربة على شـــــاطىء دجلة وظلم الناس الذين كانوا يعملون معه وأوجب له أنه هرب من العراق الى الشام ثم الى الحجــاز وتصوف وجاور الحرم الشــريف سنة إحدى وثمانين وستمائة [1] » .

٧٦ — وقال في ذكر ملكات ابن الفوطي في الصفحة ١٧ : « وكانت له خبرة عملية في الموسيقى ، ومن الأدلة على ذلك إشارته إلى قصيدة معاصره الأديب العراقي المدعو معين الدين المنطراني [2] التي مطلعها :

يا خلي البـال قـد أذ	ـرحت بالبلبـــال بال
بالنوى زلزلتني والـ	ـعقل في الزلزال زال
يا رشيق القد قد قو	ـت قدي فاستقم
في الهوى واقرع فقلـ	ـبي شاغل الأشغال غال

وقد سماها « القصيدة الرجّمة المصنوعة) أو كما يقال في مصطلحات الموسيقى هذا اليوم (القصيدة الملحنة) فهو خبير بالفن المذكور » .

ولا أرى هذا الاستدلال مستقيماً بحيث يتخذ دليلاً على معرفة ابن الفوطي الموسيقى ، ولم يذكر الأستاذ الجليل أين وجد أن معنى « الرجّمة » هو « الملحّنة » فالمصطلحات ينبغي أن يُذكر مرجعها التاريخي أو الفني ، وابن الفوطي لم يذكر في الترجمة أن القصيدة مُغنّاة فضلاً

(١) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ١٥٥ من نسختي بخطي » .

(٢) هو أبو محمد إسماعيل بن محمد بن اسماعيل المتوفي سنة ٦١٣ « تلخيص معجم الألقاب ج ٥ الترجمة ١٤٠٥ من الميم » .

من أن يذكر أنها (ملحنة) ، وقوله « مرجعة مصنوعة » يُريد أن فيها صنعة بديعية وجناساً (مردّداً) ، وأن قافيتهما (مرجعة) في آخر كل بيتين بعد الأولين ، قال رشيد الدين محمد الوطواط البلخي : « التجنيس المكرر ويسمونه أيضاً (المردّد) أو (المزدوج) ويكون بأن يجعل الكاتب أو الشاعر في نهاية الاسجاع أو أواخر الأبيات لفظين متجانسين ، ويجب أن يكون هذان اللفظان متتاليين ، ويجوز أن تكون في صدر اللفظ الأول منهما زيادة ؛ ومثاله (النبيذ بغير النغم غمّ ، وبغير الدسم سُم) ، (من طلب شيئاً وجدّ وجد) ، (من قرع باباً ولجّ ولج) ... ويقول أبو الفتح البستي :

أبا العباس لا تحسب بأني　　لشيي من حُلى الأشعار عار

فلي طبع كسلسال معين　　زلال من ذرا الأحجار جار

إذا ما أكبت الأدوارُ زنداً　　فلي زند على الأدوار وار[1] » .

هذا وقد راجعت ما عندي من كتاب مسالك الأبصار في مبحث الغناء والمغنين ، فلم أجد فيه شيئاً يؤيد قول الأستاذ الجليل ، وإنما وجدت قوله ناقلاً : « ... قال صدقة بن محمد الملحن : حضرت القاضي أبا حامد الشهرزوري وقد صنعت لحناً في أبيات البحراني : أيها البارق من وادي سلم[2] ... » ثم قال في ترجمة زين الدين بن الدهان الموصلي : « ومن أصواته ما رواه لي عنه الجمال الشرقي في الراست : يا نار أسود قلبي[3] ... » . ثم قال في ترجمة صفي الدين الأرموي : « وحدثني الجمال الشرقي عنه وذكر عدة أصوات له فيها في شعر المتنبي : اليوم موعدكم فأين الموعد[4] ... » . ثم قال « وكانت أكثر أصوات الكمال الشرقي

(١) حدائق السحر في دقائق الشعر » ص ٩٨ » .

(٢) مسالك الأبصار » نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٨٧٠ » الورقة ١٥٤ » .

(٣) المرجع المذكور » الورقة ١٥٥ » .

(٤) المذكور » الورقة ١٥٧ » .

في الأشعار المنظومة بالفارسية[1] » .

والمعروف في الغناء أن « الترجيع » هو ترديد الصوت في الحلق وهو مأخوذ من « ترجيع المؤذن » قال الفيومي في المصباح المنير : « ورجّع في أذانه بالتثقيل إذا أتى بالشهادتين مرة خفضاً ومرّة رفعاً » ومنه قول أبي حيان التوحيدي : « ولاطرب ابن غيلان على ترجيعات بلّور[1] » . فالترجيع شعبة من شعب الأصوات الاصطلاحية أي الألحان الغنائية وهو معروف في الغناء وليس هو التلحين .

٧٧ — وقال الأستاذ الجليل في الصفحة ١٨ : « وقد يبلغ شغفه — يعني ابن الفوطي — بالتصوّف والمتصوفة حد الهوس فهو يلهج بذكر الصوفية الفقراء ، وهي نزعة من نزعاته القوية التي نشأت من وجوده في ديار العجم على الأكثر في ذلك العصر ... » .

قلت : لم تكن ديار العجم مختصة بالتصوف والصوفية والمتصوفين والفقراء منهم ، حتى يقال إن نزعته الصوفية القوية نشأت من وجوده في ديار الأعاجم ، فالتصوف ألصق بالمذهب الشافعي والشافعية منه بأي مذهب آخر ، وبغداد كانت في أيام ابن الفوطي من معادن المذهب الشافعي ومراكزه ، وكان فيها من الرُبط « الخانقاهات » والزوايا ما لم يكن مثله في مدينة أخرى ، حتى لقد أخذت جماعة من الحنابلة مذهب التصوف بالمنافسة والمباراة ، لوجود الكثرة الكاثرة منهم في شافعي بغداد ، وقد أوجد الميلَ الصوفي في ابن الفوطي عوامل عدة لم يكن منها كينونته في ديار العجم خاصة ، السبب الذي قدمت ، فأولها ميل والده الى مذهب الصوفية وإيلافه إياه مجالسهم ، وتعويده زياراتهم ، قال في ترجمة محيي الدين أبي الفقراء محمد بن عبد العزيز السكران الخالصي : « الشيخ العارف الزاهـــد ، كان شيخ زمانه ورعاً وعبادة ، ومعرفة وزهادة ، والزاوية المنسوبة اليه هي طراز العراق التي اشتهر ذكرها في جميع الآفاق ، أدركت زمانه وتبركتُ برؤيته وتشرفتُ قبيل الرقة بتقبيل يده ، وكان قد استدعاه الخليفة [المستعصم]

(١) الورقة « ١٦٢ » .

(١) الامتاع والمؤانسة « ٢ : ١٦٦ » .

لأجل الدعاء مع جماعة من الفقراء[1] ... » . فهو قد رأى هذا الصوفيّ الزاهد قبل وقعة بغداد سنة ٦٥٦ أي قبل أن يكون عمره أربع عشرة سنة ، ولا شكّ في أن ميله إليه وتبركه به كان « بحث وحض » من والده تاج الدين أحمد ، قال في ترجمة عماد الدين أبي عبد الله محمد ابن غانم الاصفهاني الكاغدي الواعظ الصوفي : « قدم بغداد شاباً وصحب شيخ الشيوخ شهاب الدين [عمر بن عبد الله] السهروردي ، وانتفع به ، وتقدم على أكثر أصحابه ، ولما توفي شهاب الدين انقطع بعده في جامع المنصور[2] واشتغل بالعبادة والتلاوة ، ثم عني بالوعظ ، ففتح عليه ، وكان في مدرسة أبي النجيب [عبد القاهر السهروردي] ، وكان يتكلم على طريقة الصوفية وكان حسن الاستنباط [ط] لمعاني القرآن العزيز (وحضرت مجلسه في خدمة والدي) وله تصانيف حسان ، وكلام عال ، وشعر كثير على طريقتهم ، وتوفي يوم الأحد غرّة رجب سنة خمسين وستمائة ، ودفن بدرب الدرجة من محلة الخاتونية[3] » .

فابن الفوطي كان يألف مجالس الصوفية منذ الصبا ، ويقتدي بأبيه لأنه كان له هوى في سيرهم ، ولكننا لا نستطيع أن نقول إنه كان متصوفاً كامل التصوف ، ألا تراه يقول : « وله تصانيف حسان وكلام عال وشعر كثير على طريقتهم » . ولم يقل « على طريقتنا أرباب التصوف » . والظاهر أنه لبس خرقة التصوف من بعض الشيوخ لتمشية أمره وتسهيل معيشته ، قال في ترجمة فخر الدين أبي الفتوح محمد بن أحمد الجعفري التبريزي : « الشيخ المحقق ، قبلة المحققين وبقية المتكلمين ... ذكر أن نسبة خرقته الى والده تاج الدين أبي الفتوح (كذا) ... ونسبة الصحبة الى الخضر ـ ع ـ وكتب لنا الوصية النافعة التي ذكرناها في المشيخة وكتب لي بخطه في جمادى الأولى سنة خمس وسبعين

(١) تلخيص معجم الألقاب « ج ٥ الترجمة ٨٤٢ » .

(٢) هذا يصور لك انتشار التصوف ببغداد في المؤسسات الدينية حتى المساجد .

(٣) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٦٢٥ من نسختي بخطي » .

وستمائة (وأمرني أن ألبس الخرقة منه) وكان صادق العزم وكانت وفاته سنة ثمانين وستمائة[1] »

فتأمل قوله « وأمرني ... » فهو كالصوفي المجبر على التصوف . فالعامل الأول في ميله الى التصوف إذن هو نشأته وبيأته ، على النحو الذي ذكرت ، والعامل الثاني كونه في شبابه أسيراً فقيراً يترمق العيش في الربط « الخانقاهات » والزوايا ، والمدارس والمساجد ، ولبث كذلك حتى اعتدلت حاله بعض الاعتدال ، وكان ميله إلى التصوف سبباً في إقباله على الحديث والتاريخ والأدب دون مسالك العيش الأخرى ، فذو قرابته ورفيقه قوام الدين أبو الفضل محمد بن عبد القاهر بن محمد الفوطي الحنبلي[2] مع دراسته ألفية ابن مُعطيَ وحفظه معه مقامات الحريري وسماعه الأحاديث النبوية في عنفوان شبابه انصرف الى صنعة التجارة وتمهر فيها ، ونُسب اليه أنه كان يكاتب ملوك الشام ، وأرادوا تصديبه — على حد قول ابن الفوطي — فهرب الى دمشق (والفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين) كما قال هو أيضاً ومات بدمشق سنة سبع وثمانين وستمائة[3] » .

والعامل الثالث ولايته شيئاً من أملاك الوقوف المحبوسة على المتصوفين ، قال في ترجمة عز الدين الحسين بن علي الخواري التاجر : « نزل بغداد وأقام بها وحج الى بيت الله الحرام وهو جميل المعاشرة ، صحيح المعاملة ، مشكور الطريقة ، حصل بيني وبينه معاملة من جهة الوقف وكان يشتري ثمرة البستان الديباجي الموقوف على رباط السكانية ، ولما ولي ابن الماقولي وكنت قد بعته[4] منه واستسلفت ثمنه الزمجات التي كان أصلها تولية ركن الدين العلوي ، فأحسن هذا عز الدين التناقي — جزاه الله خيراً[5] — » .

ومن البديهي أن من الخير لمتولي وقف مؤسسة خيرية صوفية أن يتخلق بأخلاق الواقف ،

(١) التلخيص المذكور « ٤ : ٢٤٨ » وراجع « ص ٤٤٤ » من هذا الجزء .

(٢) يحسن تذكر قولي آنفاً إن الحنابلة كان لهم الفضل البين في تقدم القضايا لهذا الشأن .

(٣) التلخيص « ٤ : ٣٤٦ من نسختي بخطي » .

(٤) يعني الثمرة التي هي الثمر فكأنه رجع بالضمير الى الأصل .

(٥) التلخيص « ٤ : ٥ » . ويعني بالسكانية « ثغر النساء شهدة بنت الابري » وكان رباطها برحبة جامع الخلفاء وقد ذكرته بتفصيل في مجلة سومر « مج ١١ ج ٢ ص ١٩٠ سنة ١٩٥٥ » .

أو يميل إلى مايحبه ليكون أحرى من غيره بالولاية وأحق بنيل الرعاية ، وقديماً قال الرضي بالتخلّق:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالكرام فلاح

والعامل الرابع هو كثرة مخالطته للشافعية والشيعة الامامية ، فالمخالطة الأولى سوّغت أن يولى وقف سيدة بارة صالحة شافعية هي السيدة شهدة بنت الابري كما ذكرنا قبلاً ، مع أنه كان حنبلياً ، والمخالطة الثانية خففت حنبليته ، وذلك بعد التحاقه بنصير الدين الطوسي وأبنائه وغياث الدين عبد الكريم بن طاووس ومن جرى مجراهم من الشيعة الامامية ، قال في ترجمة فخر الدين أبي الفتح علي بن يوسف ابن البوقي الأديب الشافعي : « كتب لي بخطه أوراقاً من فوائده ، وتردد إليّ أول ما قدمت العراق وسكنت في مشهد البُرمة بالجعفرية مع شيخنا غياث الدين عبد الكريم بن طاووس وتوفي سنة سبع وسبعمائة وكنت يومئذ بالمغرة[1] » .

٧٨ — وقال الشيخ الفاضل في الصفحة ٢٩ : « ورد في بعض تراجم المعجم (ابن أبي زيادة[2] من سادات خراسان ، استوطن تبريز وجاء ابن طاووس لتصحيح نسبه وقدم بغداد سنة ٧٠٧ وكتبت له نسبه[3]) فالمؤلف – يعني ابن الفوطي – يحترف كتابة الوثائق والكتب والمؤلفات في شتى المواضيع » .

قلت : لم يكن المذكور « ابن أبي زيادة » بالياء بل « ابن زبارة » بالباء الموحدة بعد الزاي، قال ابن الفوطي: « قطب الدين أبو علي حيدر بن الحسين بن محمد العلوي، يعرف بابن زبارة ، السوكندي الصوفي من السادات الاكابر ، الاكارم ، أصلهم من خراسان وينتسب الى بيت الزبارة من نيسابور ، وسوكند قرية على باب نيسابور ، واستوطن تبريز مع أهله ، وجاء الى حضرة النقيب الطاهر رضي الدين علي بن طاوس لتصحيح نسبه ، وسأل النسابة العالم شرف الدين محمد بن عبد الحميد الحسيني ، فوعده بتحصيله ، وقدم بغداد سنة سبع وسبعمائة

---

(١) التلخيص « ٤ : ٢/٢ » .

(٢) وهكذا (أثبته الشيخ في فهرست الكتاب » ص ٣٢٣ » .

(٣) وقال الشيخ الفاضل في الحاشية « يراجع فصل الانساب » ولم ادر ماذا أراد بذلك وما أعرفه .

وكتبت له نسبة[1] » .

فتأمل الفرق بين القولين : بين « ابن أبي زيادة » و « ابن زبارة » ، وابن زبارة منسوب الى « زبارة » وهو ، على ما حققت ، بطن كبير من العلويين منهم أبو علي محمد بن أحمد ابن محمد وهو الملقب بزبارة بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب العلوي شيخ العلويين بنيسابور ، بل بخراسان ، سمع الحسين بن الفضل البجلي وروى عنه ابن أخيه أبو محمد بن أبي الحسين بن زبارة ، وتوفي سنة ستين وثلاثمائة بنيسابور[2] » ، قال : « وإنما لقب محمد زبارة لأنه كان من أهل المدينة ، وكان شجاعاً شديد الغضب ، وكان إذا غضب يقول جيرانه : قد زبر الأسد . فلقب زبارة » ، وقال ابن مهنا المعروف بابن عنبة : « وأما عبد الله المفقود بن الحسن المكفوف نقيه البيت ، ولم يأت ابني الأفطس بيت مثلهم ويقال له بنو زبارة لأن عقبه يرجع الى أبي أحمد زبارة بن محمد الأكبر[3] ... » .

٧٩ — وقال الشيخ الجليل في الصفحة ٢٢ : « ... كما يعنى — أي ابن الفوطي — بسيرة الوراقين والناسخين ، وقد ترجم لأحد فقهاء المستنصرية بأنه كاتب ناسخ قائلاً : كتب لنفسه ولغيره جملة من الكتب الدينية والأدبية من المطولات والمتوسطات والمختصرات وجمع أشعار تقي الدين المغربي . ثم أثنى على خطه وضبطه وما إلى ذلك » . وأحال بقوله هذا على المجلد الرابع من تلخيص معجم الألقاب في الورقة ٣٢ منه كما يأتي ٤/٣٢ . والظاهر أن وهماً وقع في أرقام الورقة ، ثم إن الفائدة قد قلصت حتى نقصت بوسقا الذكر المبهم وإبهام الترجيم ، والحقيقة أن الفقيه المذكور هو « قوام الدين أبو الفضل علي ابن الأمير قتلغ بن عبد الله التركي

---

(١) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٣١ من نسختي بخطي » .

(٢) أنساب السمعاني في « الزباري » واللباب في تهذيب الأنساب .

(٣) عمدة الطالب في أنساب أبي طالب « ص ٣١٣ طبعة الهند » ، وقد نقلنا من الأنساب واللباب آنفاً أن زبارة هو محمد بن عبد الله ، ومؤلف العمدة جعله ابنه أحمد بن محمد كما ترى .

المتفقه البغدادي الحنفي [١] » قال ابن الفوطي : « من فقهاء الطائفة المالكية بالمدرسة المستنصرية ، فقيه فاضل ، كاتب ناسخ ... وله أخلاق حسنة وهو مليح الخط ، صحيح الضبط ، أعتني بأشعار تقي الدين وغيره ، وكان أقضى القضاة نجم الدين الطشتي التبريزي ، مدة مقامه ببغداد سنة إحدى عشرة وسبعمائة قد استنسخه منه وكان يشكره على صحة ضبطه [٢] » .

٨٠ — وقال في بيان افتنان ابن الفوطي في الصفحة ٢٣ : « فهو الناسخ الوراق الذي يعني بالنسخ المختارة من المخطوطات وبأنسابها وتواريخها ومظان وجودها وما إلى ذلك ، والأمثلة في كتبه من هذا القبيل كثيرة » . وقال الشيخ الفاضل في الحاشية : « من هذه الأمثلة ما جاء في كلامه عن [٣] أحد المحدثين وهذا نصه : قوام الدين نصر بن موسى الواسطي المحدث ، عنده ديوان عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد بخطه ، حدث منه شيخنا بهاء الدين علي بن عيسى الإربلي ٤/١٣٩ » .

وفي نقل الشيخ الفاضل وهم مبين ، فلم يكن ديوان عبد الحميد بن أبي الحديد عند قوام الدين نصر بن موسى الواسطي المحدث بل عند ابن الفوطي نفسه ، وكان بخط قوام الدين أبي الفضل نصر ابن تاج الدين أبي نصر محمد الصاحب ابن نصر ابن الصلايا العلوي الحسيني المدائني الكاتب ، قال ابن الفوطي بعد ذكر اسمه ونسبه كما نقلناه هنا : « من البيت المعروف بالرياسة والسيادة ، وأصل بيت الصلايا من المدائن ، تقدم ذكر والده الصاحب مطلقاً تاج الدين ، المتولي على إربل وجميع الجبال المحيطة

(١) سيأتي قول ابن الفوطي « المالكي » ولعله سهو منه ، فالتركي مستبعد أن يكون مالكي المذهب ، والصواب ما ذكرته ، قال الذهبي في وفيات سنة ٦٨٤ : « علي بن عبد العزيز بن علي بن جابر الفقيه الفقيه الأديب البارع تقي الدين القرشي البغدادي الشاعر المعروف بابن المغربي . مات ببغداد شابا ورخه ابن الفوطي ... وقد اعتنى الفقيه قوام الدين الحنفي بجمع ديوانه » ، تاريخ الإسلام ، نسخة دار التحف البريطانية ١٥٤٠ الورقة ٣٨ » .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٣٤٣ » والترجمة في النسخة المصورة المحفوظة في مكتبة مديرية الآثار هي في الورقة ٤٥٢ منها .

(٣) كذا ورد ، والصواب « على أحد » ، أما « عن » فتفيد النيابة ، يقال « تكلم الوكيل عن موكله على المدعى » .

به ، وكان قوام الدين كاتباً سديداً وعندي ديوان عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد بخطه ، وحدثني شيخنا بهاء الدين علي بن عيسى [الاربلي] عنه قال : كان دمث الأخلاق ، قد تربى في النعمة وخفض العيش وكان محباً للأدب ولم يكن عنده اشتمال طائل وذكر شيئاً [1] .. » .

وأما قوام الدين نصر بن موسى الذي ذكره الشيخ الفاضل فقد قال ابن الفوطي في سيرته : « قوام الدين أبو الفتح نصر بن موسى بن منصور الواسطي المحدث . أورد في تعاليقه : قال أبو حامد بن الشرقي النيسابوري : قيل لي وأنا أكتب الحديث في بلدي : لم لا ترحل إلى العراق ؟ فقلت : وما أصنع بالعراق وعندنا من بنادرة [2] الحديث ثلاثة محمد بن يحيى الذهلي ، وأبو الأزهر أحمد بن الأزهر ، وأحمد بن يوسف السلمي ، فاستغنينا عن أهل العراق [3] » .

٨١ — وقال الشيخ الفاضل في الصفحة ٢٣ أيضاً : « من الأمثلة على ذلك — على الاشارة الى مميزات النسخ — ما جاء في ترجمة مثبتة في معجمه هذا نصُّها : قوام الدين محمد بن عزيز ابن علي القاضي الرئيس، صنف له أفضل الدين الكاشي الحكيم كتاب مدارج الكمال الى معارج الجلال » . والنصُّ في الحقيقة هو « قوام الدين أبو طالب محمد بن عزيز بن علي القاضي الرئيس ، قرأت بخط مولانا السعيد نصير الدين أبي جعفر الطوسي — طاب ثراه — على كتاب مدارج الكمال الى معارج الجلال من تصنيف الحكيم الفاضل أفضل الدين الكاشي للصدر الأجل قوام الدين المذكور :

رقيت بهاتيك المدارج في العُلا   فلله ربّي درُّها من مدارج
وقدّس ربّي روح حرٍّ أجادها   أعز فتى حيا وأكرم دارج [4] »

(١) التلخيص « ٤ : ٣٥١ » من نسختي بخطي وهي في الورقة ٦٦ من نسخة مكتبة مديرية الآثار المصورة أي مكتبة المتحف .

(٢) البنادرة جمع البندار ، قال السمعاني في الأنساب : « البنداري ... هذه النسبة الى من يكون مكثراً من شيء يشتري منه من هو أسفل منه ، أو أخف حالا وأقل مالا منه ثم يبيع ما يشتري منه من غيره وهذه لفظة عجمية » .

(٣) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٣٥٩ » .

(٤) التلخيص « ٤ : ٣٤٧ » .

فأين القاضي من « القاشي » وأين ذلك النصّ من هذا النصّ ؟

٨٢ — وقال في حاشية الصفحة ٢٣ أيضاً : « وقال — يعني ابن الفوطي — في ترجمة لأحمد معارفه ... ما هذا نصّه : كتبت له نسخة من مشيخة شيخنا كمال الدين عبد العزيز المراغي قاضي مراو ٥/٢٩٢ » . وفي هذه التسمية وهم مبين ، لأنه « كمال الدين أحمد بن العزيز يقال » ، قال ابن الفوطي : « كمال الدين أبو محمد أحمد بن عبد العزيز بن هلال بن العزيز محمد بن جامع ، نزيل مراو المراغي ، قاضي مراو [1] ... » .

فاسم الرجل كمال الدين أحمد بن عبد العزيز لا عبد العزيز ، ثم إن ابن الفوطي لم يترجمه في اسم « عبد العزيز » من باب كمال الدين ، فلا وجه لهذا الوهم سوى السهو .

٨٣ — وذكر الأستاذ الجليل في الصفحة ٢٥ الطبقات التي عني بذكرها ابن الفوطي في كتبه مضافاً إلى عنايته بالتاريخ وسير الناس ، على الطريقة المألوفة في كتب المؤرخين وأصحاب السير والطبقات ، فذكر خمس طبقات ، وفاتته طبقة « القراء والمقرئين » و « طبقة المفسرين » والشواهد على ذلك كثيرة ، لا تقتضي أكثر من تقرّي الباحث ألقاب المترجمين اسماً اسماً .

٨٤ — ونقل الأستاذ الجليل في حاشية الصفحة ٢٩ ما ورد في كتاب مراصد الاطلاع على الأمكنة والبقاع ، من الكلام على « نهر المعلى » من الأنهار التي تخترق شرقي بغداد في أيام بني العباس ومن بعدهم الى أن عفا ودثر ، قال « في مراصد الاطلاع أيضاً : نهر المعلى هو اليوم [صدر المائة الثامنة] أعظم وأشهر محلة ببغداد وفيها دار الخلافة ... قلت (والقول لصاحب المراصد) : ... » . فاتنه « الثامنة » لا تصح ، لأن القائل الأول هو ياقوت الحموي المتوفى

(١) التلخيص « ٥ : الترجمة ٢٧٥ من الكاف » ، وذكره في موضع آخر من الجزء الخامس ، قال : « كمال الدين أبو الخير أحمد بن عمر بن عبد الله المراغي الصوفي ، ذكره شيخنا كمال الدين أحمد بن العزيز المراغي قاضي مراو في مشيخته ... » . وذكره في الجزء الرابع غير مرة ، قال في ترجمة عماد الدين عبد الحميد بن محمد القزويني : ذكره شيخنا كمال الدين أحمد بن العزيز المراغي قاضي مراو ... » . وقال في ترجمة علاء الدين أبي علي مؤيد بن عبد الحميد القزويني : « وروى لنا عنه شيخنا كمال الدين أحمد بن العزيز المراغي في مشيخته ... » .

سنة ٩٧٦ ، فالصواب « المائة السابعة » أما « المائة الثامنة » فيجوز إستعمالها بعد قول مؤلف المراصد « قلت » لأنه توفي في أثناء النصف الأول من القرن الثامن للهجرة .

٨٥ — وقال في الصفحة ٧٩ « شارع السلطان » وهو يعد أسماء مواضع ببغداد وغيرها ، ولم يكن ببغداد شارع اسمه « شارع السلطان » بل كان « سوق السلطان » و « سور سوق السلطان » و « باب السلطان » وهو الباب المعروف اليوم بباب المعظم قرب وزارة الدفاع .

٨٦ — وذكر في الصفحة ٤٩ كتاب « الوافي بالوفيات » لصلاح الصفدي ، قال : « ولا تزال جل أجزاء هذا الكتاب مخطوطة وقد طبع منه جزآن في مطبعة الدولة في الاستانة ... » وهذا الخبر قديم ، فقد طبع من الوافي « أربعة أجزاء » .

٨٧ — وذكر الأستاذ الجليل في الصفحة ٥٠ ابن شاكر الكتبي مع المؤرخين الذين اطلعوا على بعض كتب ابن الفوطي في التاريخ ، قال « سادساً (كذا) ابن شاكر الكتبي في وفيات الوفيات ، ولا شك أنه اطلع على بعض مصنفات ابن الفوطي في التاريخ وعوّل عليها في كتابه المذكور » وقال في الحاشية : « لابن الفوطي ترجمة حسنة في وفيـــات الوفيات ٣٤٨/١ من طبعة بولاق » ثم قال في حاشية الصفحة ٥٨ : « ... رابعاً ابن شاكر الكتبي ، نقل عبارة مؤلف الحوادث الجامعة بعينها عن عدد قتلى واقعة بغداد وذلك في جزء من كتاب (عيون التواريخ) وتوجد نسخة الأصل منه بخط المؤلف ابن شاكر الكتبي ، هي نسخة الخزانة التيمورية في القاهرة ، وليس فيما نقله ابن شاكر إشارة الى اسم الكتاب المنقول منه » .

وعلى هذا القول يكون ابن شاكر الكتبي قد اطلع ، بحسب رأي الأستاذ ، على كتابين لابن الفوطي ، أحدهما تلخيص معجم الالقاب ، والآخر كتاب « الحوادث » المستحيلة عندي نسبته الى ابن الفوطي ، ولا يصح القول الأول فضلاً من الثاني ، لأن ابن شاكر الكتبي نقل من « الوافي بالوفيات » كما ثبت بالمقابلة والموازنة ، وكما صرّح هو به غير مرّة ، ولأنه لم يقل في موضع من كتابه الفوات أو غيره « نقلت من كتاب ابن الفوطي ولا قرأت بخطه » ، ولست أنفي ذلك حباً للنفي ، بل أنفيه من حيث الواجب التاريخي ، وأسأل الله تعالى أن يوفق الشيخ الجليل

المشور على دليل يُثبت به قوله ، فان الاثبات في مثل هذه الأمور أولى وأحب الى الباحثين من النفي لأن النفي نقصان والاثبات زيادة . ثم إني لو أردتُ التكثر بالشُبه لقلت مثلاً : فات الأستاذ الجليل من الظان « المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي » لابن تغري بردي ، فقد ذكر مثلاً في ترجمة « الحسن بن علي أبي عبد الله الشهرزوري الفقيه الشافعي » أنه « كان إماماً فقيهاً زاهداً وهو من شيوخ الفرضي ، قال ابن الفوطي : أفتى مدة سنين وكان يحفظ المهذب لأبي إسحاق [الشيرازي] وكان أمياً . توفي سنة اثنتين وثمانين وستمائة [(١)] » .

وابن تغري بردي في رأيي ، نقل من تاريخ الذهبي ، قال الذهبي في تاريخ وفيات سنة ٦٨٢ : « الحسن بن علي بن عبد الله أبو عبد الله الشهرزوري الفقيه إمام علامة زاهد ، عابد قائم على المذهب ، نزل بغداد وسمع ابن هُبيرة . توفي في القعدة ، وهو من شيوخ الفرضي ، قال الفوطي : أفتى عدة سنين وكان يحفظ المذهب لأبي إسحاق ، وكان أمياً ، وكان مدرساً بمدرسة فخر الدين بن القاضي . سألته عن مولده فقال : سنة عشر وستمائة تقريباً » .

٨٨ — وقال الأستاذ الفاضل في الصفحة ٥٧ : « فان المؤلف في كتاب الحوادث الجامعة جامع أخبار ومدوّن حوادث فوّض إليه جمعها وتدوينها بأمر علاء الدين الجويني صاحب ديوان الممالك [(٢)] فهو مؤرخ الدولة المغولية وأسلوبه الكتابي يشهد بذلك ... » وقال في الحاشية : « صرّح بذلك في ترجمة الجويني ج ٤ مادة علاء الدين » . قال الأستاذ ذلك لادحاض قول من ينفي أن يكون كتاب « الحوادث » الذي شاركت على طبعه قبل عدة سنين هو « الحوادث الجامعة » نفياً معتمداً على خفاء ذاتية مؤلف هذا الكتاب ، كما ذكرت قبلا .

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٨ الورقة ٢٦ » ، ويجوز عندي أيضاً أن ابن تغري بردي أخذ هذه الترجمة من الصفدي وهذا نقلها من تاريخ الاسلام للذهبي .

(٢) لم يكن علاء الدين الجويني « صاحب ديوان الممالك » ، بل صاحب ديوان العراق ، ثم أضيفت اليه خوزستان ، أما صاحب ديوان الممالك فهو أخوه « شمس الدين الجويني » .

قلت : لا يعقل ولا يقبل أن يكون مؤرخ الدولة المغولية ، بل مؤرخ علاء الدين نفسه أن يكون غريباً عن علاء الدين ، جافي الذكر له على النحو الذي نراه في « كتاب الحوادث » ونحن نعلم طريقة المؤلفين في المدح والتعظيم ، والاجلال والتفخيم في تأليفهم كتاباً باسم عظيم من العظماء أو والٍ من كبار الولاة مثل علاء الدين الجويني ، وفي ذكر ذوي قرابته الدنيا كأخيه شمس الدين الجويني ، فتأمل قول مؤلف الحوادث في الصفحة ٣٣٩ : « فما زالوا على ذلك الى أن ولي الصاحب علاء الدين عطا ملك الجويني العراق فأسقط ذلك عنهم » . فهو لم يقل مثلا : « الصاحب العادل » على أقل مدح ولا « فارع هضبات المجد والشرف ، الحال من المناقب والمفاخر في الرأس وكل كريم في الطرف » ولا قال « استقامت به أمور الخلائق ، وأعاد رونق الخلافة » كما قال في ترجمته في تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ١٦٣ » . وهل من الممكن أن يقول مؤرخ علاء الدين في حوادث سنة ٦٥٨ ــ ص ٣٤٣ ــ : « وفيها اتفق علي بهادر شحنة بغداد وعماد الدين القزويني وجماعة من صدور العراق وقصدوا حضرة السلطان ، حيث كان في الشام ، ورفعوا على علاء الدين صاحب الديوان أشياء اعتمدها وأثبتوا ما استوعبه من الأموال فأعاده معه الى بغداد ليقابل على ذلك ، فلما قوبل وثبت عليه ما نسب اليه ، أنهوا ذلك الى السلطان فأمر بقتله ، فسئل العفو عنه وأمر بحلق لحيته فحلقت ، وكان يجلس في الديوان ويستر وجهه » ؟

فلو أن مؤرخاً أراد يحتقر علاء الدين ويحط من قدره ويذمه باسم التاريخ لكفاه هذا القول وشفاه ، فكيف يكون هذا القائل مؤرخ علاء الدين ؟ وهل يقول في ذكر عدو من أعداء علاء الدين الذين سعوا في محاولة هلاكه وهو علي بهادر شحنة بغداد ، وقد سعى علاء الدين في قتله فقتل ــ ص ٣٥٠ ــ : « وكان علي بهادر حسن السياسة ، مظهراً للخير ، يلازم الصلوات في الجمع والتراويح وغيرها[1] » ، وبهذا نجتزئ عن ذكر غيره لئلا تؤدي الدلالة الى الملالة .

---

(١) كان هذا المؤرخ قال في الصفحة ٣٤١ من الكتاب : « فقيل لعلي بهادر شحنة بغداد : ان فرس الوزير على الباب وفي حلقها مقلدة وعليها كنبوش ابريسم فقام ومشى وشاهدها فتعجب من ذلك ... فبات قائماً على الشدة وأمر باخراج الفرس من الدركاه ... » . فتأمل أسلوب مؤلف الحوادث في ذكر الأعيان .

٨٩ — وذكر في الصفحة (٧٢) قصة « أم عنقود » الجنية الخرافية ، قال : « رواية ثانية للقصة : لقصة أم عنقود رواية ثانية ظفرنا بها في كتاب الحوادث وبينها وبين رواية ابن الأثير في الكامل (١) ضرب من الاختلاف ، فرواية مصنف الحوادث لا تخلو من نكتة وطرافة وقد تميزت بأن سندها رؤيا رأتها امرأة فصدقها الدهماء ولما شغل الناس بها وتركوا أعمالهم أعلن رجال الديوان أنهم أقاموا أم عنقود من العزاء ، وفيما يلي خلاصة لهذه الرواية : جاء في أخبار سنة ٦٤٦ من كتاب الحوادث ... » .

والصحيح أن القصتين مختلفتان باختلاف أصحابها وأزمانها وأمكنتها ، سفراً ووساعة ، فالتي ذكرها ابن الأثير استطراداً كانت بالموصل وما ولاها من البلاد الى العراق سنة (٦٠٠) والتي ذكرها مؤلف الحوادث كانت سنة ٦٤٦ ببغداد ، إلا أن الجنية واحدة وهي « أم عنقود » وهذا على اعتبار العامة أن الجنّ يُعمرون ، وليست الست والأربعون سنة بمستبعدة في طول أعمارهم، وقد ذكر القصة مؤرخ آخر في حوادث سنة ٦٤٥ هـ قال ابن دقماق : « وفيها [سنة ٦٤٥] في جمادى الآخرة عرض للناس أمراض تعقبها أمراض الحلق والخوانيق ومات بهذا من الخلائق ما لا يحصون كثرة ، وفشا بين الناس أن امرأة رأت في منامها أن امرأة خاطبتها من بئر ملاصقة السور بسوق السلطان (٢) تقول لها : أنا جنية أعرف بأم عنقود وإن ابني عنقوداً مات ولم يعزّوني فيه وأنا قد غضبتُ من ذلك وهذا أخنق الناس . فأشاعت المرأة هذه الرؤيا وعرّفت الناس البئر ، فقصدوها (كذا) خلق كثير لا سيما النساء ، ونصبوا الخيم هناك ، وصاروا ينوحون على البئر ويقولون ما صورته :

أم عنقود اعذرينا   مات عنقود وما درينا
وعنقود ما درينا   فكلنا قد جينا
لا تحردي منا فتخنقينا

(٢) ذكر الأستاذ أن ابن الأثير ذكرها في الكلام على حوادث سنة ٦٠٤ وقال إنها حدثت سنة (٦٠٠ هـ) وقد جمع بين الحكايتين لتشابههما ، وأصل الحكاية الأولى مذكور في المنتظم لابن الجوزي « ٨ : ٢٣٥ » .
(٢) سوق السلطان هو سوق الميدان الحالي على التقريب .

وما يناسب من هذه الهذيانات . وشاع ذلك وكثر ، فصعدت [illegible] في بغداد وألقوا فيها الآكل على سبيل الهدية ، والدراهم والثياب ، وعلق عندها السرج والشموع ، فتكلم العقلاء في ذلك وأهل العلم وأنكروا ذلك على فاعليه ، فتقدم الأمر من الديوان الى الشحنة بالمضي الى هنالك ومنع النساء من النياحة ، وبعد البئر وطرد من كان هناك ، نعوذ بالله من تلاعب الشيطان ، وإشاعة مثل هذا الهذيان [1] » .

والحكايتان متقاربتان إلا أن عبارة مؤلف الحوادث أحكم وأسلس ، وأدل وأنفس ، وهي من الاسلوب البارع الذي تميز به مؤلف الحوادث ، وتقصر عنه ابن الفوطي ، كما هو ظاهر لكل ناقد للأساليب الكتابية .

وفذلكة القول أن الحادثة التي ذكرها ابن الأثير من حوادث عصره هي غير الحادثة التي ذكرها مؤلف الحوادث وابن دقماق وغيرهما ، وجرت سنة ٦٤٥ أو سنة ٦٤٦ على قول مشكوك فيه أي بعد وفاة ابن الأثير بخمس عشرة سنة أو ست عشرة سنة ، وعلى ذلك لم يكن إنشاد البيتين السابقين في بغداد والموصل معاً كما ذكر الأستاذ الجليل في حاشية الصفحة ٧٣ من كتابه بل كان الانشاد في بغداد خاصة .

٩٠ — وذكر الأستاذ الجليل في حاشية الصفحة ٧٥ خلاصة سيرة شرف الدين إقبال الشرابي مقدم الجيوش العباسية وقال : « وأرخ صاحب الكتاب — يعني مؤلف الحوادث — وفاته سنة ٦٤٣ [2] ... » . والصحيح أنه أرخ وفاته بسنة ٦٥٣ .

٩١ — وفي أثناء كلامه على السحرة والشعبذين ذكر في الصفحة ٨٣ أن « أعظم سحرة هذا

---

(١) ترجمة الأنام في تاريخ الاسلام لابراهيم بن محمد بن أيدمر دقماق « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٩٣ الورقة ١٧١ » ولم يذكر ابن دقماق مرجعه التاريخي ، وقد ذكر في هذا الجزء حوادث مهمة جرت في العراق ، ووفيات عراقيين أعيان قدماء ، وقد نقلها عن بعض مؤرخي العراق ، لأنه أدرك القرن الثامن للهجرة ولأنه عاش في مصر .

(٢) أحال بذلك على الصفحتين ٣٠٨ و ٣٠٩ من الحوادث ، وهما من صفحات سنة ٦٥٣ .

العصر — يعني القرن السابع — في العراق والشرق ، هو الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعروف بقراجه » . المقدم ذكره وقال : « اشتهر بأنه شيخ السلطان أبي السلطان أحمد بن هولاكو الايلخاني ومرشده » إلى أن قال « تجد له ترجمة مفصلة في كتاب الحوادث وأخرى في تلخيص معجم الآداب لابن الفوطي ... ويستفاد من تاريخ ابن الفرات أن هذا الشيخ ذهب إلى الشام سفيراً من قبل السلطان فلم يأمنوا شره أو سحره ، ولذلك أمروا بسجنه ثم ضاع أثره ولم يوقف له على ذكر بعد ذلك ... » .

قلت : ذكر شمس الدين الذهبي ، مختصر سيرته في وفيات سنة ٦٨٣ قال : « قرأت بخط قطب الدين ابن الفقيه : حدثني عبد الله الوصلي الصوفي — وكان ممن قدم معه — أن عبد الرحمن كان من مماليك الخليفة المستعصم بالله ، وكان اسمه قراجا ، فلما أخذت بغــداد تزهد وتسمى عبد الرحمن ، واتصل بالملك أحمــد ، وعظم عنده الى الغاية ، بحيث كان [السلطان] ينزل الى زيارته وإذا شاهده ترجل ثم قبّل يده وامتثل جميع ما يشير به ، وكان جميع ما يصدر من الملك من الخير بطريقه ، فأشار عليه أن يتفق مع الملك المنصور [قلاوون] ويجتمع كلمتهم ، فندبه لذلك ، وسير في خدمته جماعة كثيرة من المغول والأعيان ، فحضر الى دمشق في ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين [وستمائــة] ، وأقام بمن معه في دار رضوان ، ورتب لهم من الاقامات ما لا مزيد عليه ، وبولغ في خدمتهم وقدم السلطان الى الشام ، فمنه وصوله بلغه قتل أحمد وتملك أرغون بعده ، فاستحضر الشيخ عبد الرحمن بقلعة دمشق وسمع رسالته ثم أخبره بقتل مرسله ، ثم عاد السلطان الى مصر ، وبقي عبدالرحمن ومن معه معتقلين بالقلعة لكن اختصر اكثر تلك الرواتب وقدّر قدر الكفاية [1] ، فلما كان في آخر رمضــان توفي عبد الرحمن ودفن بسفح قاسيون وقد نيف على الستين ، وبقي من معه على حالهم وتطاول بهم الاعتقال وأهمل جانبهم بالكلية وضاق بهم الحال في المطعم والملبس فعمل النجم يحيى شعراً بعث به إلى ملك الأمراء ... فلما سمعها أطلق

(١) راجع « ص ٤٤٢ » من هذا الجزء للمناسبة .

ويؤثلون فواصلاً نأتيه من ... لحم وفاكهة ومن حلواء
حاشاه أن يرضى بجاه معشر ... قصدوه للإحسان والنعماء [1]
نفروا من الكفار والتجؤوا إلى الإسلام واتبعوا سبيل جهاد
فيقابلون [2] بطول حبسٍ دائم ... وتحسر ومجاعة وعناء !!
أخبارهم مقطوعة فكأنهم ... موتى وهم في صورة الأحياء
إن الذي منهم تولى كبره ... ولّى وزال توهمُ الغوغاء [3]
وإذا قطعت الرأس من بشر فلا ... تحفل بما يبقى من الأعضاء
هلا مننت عليهم بسراحهم ... يجزيك رب العرش خير جزاء [4]
والله يعلم بالسرائر طالما ... أخذ البريء بتهمة الأعداء

فوقف حسام الدين على الورقة وطالع بأمرهم وأطلقهم ، وكانت وفاة عبد الرحمن في سنة ثلاث وثمانين وستمائة [5] » . وقال الصلاح الصفدي : « عبد الرحمن الشيخ ، رسول الملك أحمد بن هولاكو ، كان من مماليك الخليفة المستعصم [6] ، وكان اسمه قراجا ، فلما أخذت بغداد تزهد واتصل بالملك أحمد وعظم عنده الى أن كان ينزل الى زيارته ، وإذا شاهده ترجل وقبل يده وامتثل جميع ما يأمره به ، فأشار عليه أن يتفق مع الملك المنصور فندبه لذلك وسير معه في خدمته جماعة كثيرة ، من المغل ، فحضر الى دمشق في ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين وستمائة ، وأقام بمن معه في دار رضوان ، ورتب لهم من الاقامات ما لا مزيد عليه ، وقدم السلطان الشام فعند وصوله بلغه قتل أحمد وتملك أرغون فاستحضر الشيخ عبد الرحمن ليلاً بالقلعة وجمع

(1) لم يذكر الذهبي هذا البيت في نسخة كتابه المذكورة آنفاً .
(2) في تاريخ الاسلام « أيقابلون » .
(3) فيه بدلا منه « إن كان خيراً قد مضى أو كان شراً . قد أمنت عواقب الأسواء » .
(4) بهذا البيت انتهى اختيار الذهبي في نسخة كتابه المقدم ذكرها
(5) تالي كتاب وفيات الأعيان « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦١ الورقة ١٠٠ » .
(6) تأمل متابعة الصفدي للذهبي في الترجمة ، على نحو ما ذكرناه سابقاً .

رسالته ثم أخبره بقتل رسله ، وعاد السلطان الى مصر ، وبقي عبدالرحمن ومن معه معتقلين بالقلعة ، واختصر أكثر تلك الرواتب ، فلما كان في آخر شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وستمائة توفي الشيخ عبد الرحمن ودفن بسفح قاسيون وقد نيف على الستين ، وبقي من معه على حالهم ، وتطاول بهم الاعتقال ، وضاق بهم الحال في المطعم والملبس ، فنظم الشيخ يحيى شعراً وبعث به الى ملك الأمراء حسام الدين لاجين» . وذكر الشعر ثم قال: « فلما وقف عليها أطلق أكثرهم وبقي منهم ثلاثة ، قيل إن صاحب ماردين أشار بإبقائهم في الاعتقال ، وكانت مقاصد الشيخ عبدالرحمن جيدة ، وظاهره وباطنه منصرف الى نصرة الاسلام واجتماع الكلمة ، وله سفرات عديدة الى مصر والشام والحجاز ، ولما قدم في الرسلية كانوا يسيرون به في الليل وينزلون في النهار وقال الشيخ شمس الدين [الذهبي] : وكان يعرف السحر والسكيمياء ، ورأيت في تاريخ أنه كان روميا من فراشي السدة ، وأخذ من الدور وقت الكائنة جوهراً نفيساً وأسر فسلم الجوهر ثم صار من فراشي القان [ملك التتار] ثم تزهد وتدمس وأظهر الجوهر وصار الى الموصل واتصل بعزالدين أيبك أحد نواب القان ، وكان مهوساً بالسكيمياء فربطه وصار معه الى أبغا [1] ... » وقص خبره المشهور .

وقال المفضل بن أبي الفضائل في حوادث ٦٨٢ : « وصل الشيخ عبد الرحمن [يعني الى بلاد الشام] ومعه جمع كثير ، رسولاً من عند السلطان أحمد أغا ، وكان وصوله الى دمشق ليلة الثلاثاء ثاني عشري ذي الحجة ، فأنزلوهم بقلعة دمشق ، وأطلق له في كل يوم ألف درهم نقرة ، وكان في صحبته مائة وخمسون نفراً ، وحضر في خدمته ابن التيتي وزير صاحب ماردين . وكان هذا الشيخ عبد الرحمن عند السلطان أحمد أغا صورة كبيرة ، وكان يركب في سائر بلاد التتار بالجتر على رأسه وسيّر [رسالة] يقول : ما أدخل الى بلادكم وأمشي الا بالنهار والجتر على رأسي ، فلما وصل الى الفرات سيروا إليه من حلب آقوش الفارسي في عسكر حلب يتلقونه ، فلما عدّى

---

(١) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ١٢٦ » .

الفرات الى ناحيتهم ساروا به في الليل ، فأراد الرجوع فلم يمكنوه وأغلظوا عليه القول ولم يمكنوه من رفع الجتر[1] ، وأقام الى سنة ثلاث وثمانين [وستمائة] وسيأتي ذكره إن شاء الله[2] » .

وقال شافع بن علي الكناني في أخبار سنة ٦٨٢ وهو يمثل وجهة التاريخ السياسي : « قد سبق ذكر هذا الشيخ عبد الرحمن وأنه قدوة الملك أحمد ومشيره وأنه هو المشير عليه بالاسلام خديعة ومكراً حتى يطمئن الى هذه الجهة ويكتفي أمر السلطان ، ويتفرغ لقتال قومه وأقاربه وإخوته وولد أخيه أرغون ؛ وتحكم هذا الشيخ عبد الرحمن في البلاد وتحدث في الأوقاف جميعها في العجم وبلاد العراق والشرق والروم وجُبيت اليه ، وأظهر للمغل أشياء أخذ عقولها بها ، وهو موصلي ويقال إن أصله مملوك ، ويعرف بعبد الرحمن النجار ، وما بقي من لا أطاعه[3] ، وصار الملك أحمد ومشيره من المغل يقفون بين يديه ، ويستمدون إشارته ، وأطاعه كل من في بغداد والعراق وخرق عقولهم بأنواع من الذارنجيات (كذا أي النيرنجيات) ، واستولى على عقولهم ، وأفهم الملك أحمد أنه يُصالح مولانا السلطان ، واعتقد أن أموره تتم عند مولانا السلطان كما تمت هنالك وأنه سيحضر فتكون له صورة في البلاد وعظمة واسم ، ويجتمع اليه الناس ، وكان الأمر بخلاف ذلك ، وذلك أنه لما بلغ مولانا السلطان خروجه من الأردو وصارت أخباره تصل الى مولانا السلطان منزلة فمنزلة ومرحلة فرحلة ، فوصل الى ماردين في الرابع من شهر ربيع الآخر ، ثم وصل الى البيرة المحروسة ، وصحبته من أكابر المغل صمداغو ومعه جماعة من كتاب وفقهاء وفقراء ومغل لخدمته ، يحملون جتراً يُرفع على رأسه ، وصلاحدارية وأرباب سلاح ، وغير ذلك من غلمان وحواش وأرباب أشغال وذوي خدمة عالم كثير ، وكان مولانا السلطان قد سيّر

(١) راجع الصفحة ٤٤٤ ، ٤٤٥ من هذا الجزء لمعرفة السبب في هذه السياسة والمخاشنة .

(٢) النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٤٥٢٥ الورقة ٦٧ » .

(٣) أي من لم يطعه ، وهذا من تعابير ذلك العصر .

بإزالة هذه النواميس وإزالة زعم العجم الذي يقصدون إقامته في بلاد مولانا السلطان، فلما ركبوا من البيرة المحروسة تلقاهم الأمير جمال الدين أقش الفارسي أحد الأمراء بحلب المحروسة فنعهم من حمل الجتر والسلاح وركوب المغل خلفه، وركّبهم في الليل من غير رهج ولا إعلام أحد بأمرهم، وساق بهم مُنكّباً عن الطريق المسلوكة، فعزّ عليهم ذلك وانزعجوا، فما التفت اليهم جمال الدين أقش الفارسي ولا شال بهم رأساً، وقرر أن أحداً من المجردين معه لا يكلمهم ولا يحدثهم ولا يساوقهم ولا يعلا منهم مبيتاً ولا نظراً، ووصل بهم الى حلب في سادس عشري شوال من هذه السنة، وأخفى أمرهم حتى لم يعلم بهم أحد ولم يجسر أحد أن يكلمهم ولا يتحدث في أمرهم، ثم أخرجوا من حلب في الليل وعُدل بهم عن الطرقات المسلوكة وساروا يسوقون جملة، والمجردون بعيدون منهم بحيث لا يسمعون كلامهم، وهم ينزعجون ويحردون، ولا يلتفت أحد عليهم، حتى وصلوا الى دمشق، كما ذكرنا، فدخل بهم في الليل الى القلعة وأنزلوا في دار رضوان، وكثرت الاقامات عليهم من كل شيء من سائر الأصناف، وجرى الأمر على أن أحداً لا يكلمهم ولا يتحدث معهم بشيء، بل يسمع ما يقولون، ولا يرد عليهم جواباً، وجعل غلمانهم وحواشيهم وأرباب الخدم ناحية في أماكن محفوظة، وأقيمت لخيلهم ودوابهم غلمان يدورون بها ويخدمونها، وحفظت عددها وآلاتها، واستمر حالهم الى حيث حضور مولانا السلطان الى الشام على ما سنذكره»، ثم قال في أخبار سنة ٦٨٣: «ذكر خروج مولانا السلطان في هذه السنة الى الشام المحروس ... فلما وصل الى غزة وردت الأخبار بأن الملك أحمد مات، وقوم يقولون أسر وإن أرغون اتفق مع جماعة من المغل على إمساك أحمد وخلعه من الملك وإن فرقة تقدير أربعة آلاف فارس حضرت مقفزة من التتار طالبين الشام ... فدخل السلطان دمشق المحروسة في تاريخ يوم السبت في جمادى الآخرة ... وكان في ابتدائه احضار رسل أحمد وهم الشيخ عبدالرحمن وصمداغو، فأحضرهم، وقد صح عند مولانا السلطان موت الملك أحمد مُرسلهم هذا ولم يعلموا به ولا وصلهم خبر عنه، وبقي كل من يحضر [1]

---

(١) يعني من جهة الدولة الايلخانية الى بلاد الشام لاتمام السفارة واكمال اللوازم والحاجات.

يمسك ويُحضر إلى أبواب مولانا السلطان ، وهم لا يعلمون ، وتؤخذ الكتب وتقرأ ، وهم لا يفهمون ، وجلس مولانا السلطان في الليل وأوقدت الشموع الكثيرة ولم يبق حول مولانا غير خواص مماليكه لا غير ، وهم في أحسن زي وأكمل صورة ، ومولانا السلطان قد بهر جلاله ، وكان يأخذ العقول جماله ... فلما دخل الشيخ عبد الرحمن اعتقد أن ذلك المقام لا يهول ، وأنه يستخف عقولاً مثل تلك العقول ، فدخل بزي الفقراء ، فرُسم له بتقبيل الأرض ، فأبى كبراً منه وزهواً ، فأهوي به الى الأرض حتى كادت أعضاؤه تتفسخ عضواً عضواً ، وفُعل ذلك طرقاً عدة ، والمعين اليه من مولانا السلطان غير معتدة ، وكذلك فعل بصمداغو ، وبشمس الدين ابن الصاحب ، الواصل معهم ، ولما حضروا سمع مولانا السلطان كلامهم ، وأخذ الكتاب الوارد من الملك أحمد على يد الشيخ عبد الرحمن ، وقاموا من بين يدي مولانا السلطان ، فسير لهم الخلع الفاخرة مراراً وتفقدهم ، وأعلمهم بعد ذلك بموت السلطان أحمد ثم أحضرهم مرة أخرى ، وكان الشيخ عبد الرحمن قد أحضر هدية قبلت ، واستقروا على حالهم في الاحسانات والاقامات الواسعة والمعاملة بالجميل ، ونسخة الكتاب المسير على يد الشيخ عبد الرحمن صمداغوا : بسم الله الرحمن الرحيم ، بقوة الله تعالى وباقبال قاآن فرمان أحمد الى سلطان مصر[1] ... » .

فالأمر على ما ترى ثم إن ابن الفوطي قد ذكر في تلخيص معجم الألقاب أن الشيخ عبد الرحمن توفي بدمشق في شوال سنة ثلاث وثمانين وستمائة[2] ، فلا يلتفت إلى ابن الفرات ولا يعاج على قوله في ذلك .

---

(1) تعريف الأيام والعصور بسيرة الملك وهو كما أرى من تأليف شافع بن علي بن عباس بن اسماعيل الكناني العسقلاني « ٦٤٩ ـ ٧٣٠ » قال الصفدي : « وذكر لي تصانيفه ... وهي ديوان شعره ... وسيرة الملك المنصور قلاوون ... » . « نكت الهميان ص ١٦٤ » وقال ابن حجر في الدرر الكامنة ـ ٢ : ١٨٤ ـ : « وله من التصانيف ديوان شعره ... وسيرة الناصر وسيرة المنصور وسيرة الأشرف » « نسخة دار الكتب الأهلية بباريس وهي خلو من اسم المؤلف ١٧٠٤ الورقة ٩٧ ، ١٣٢ » .

(2) التلخيص « ج ٥ الترجمة ٤٠٧ من الكاف » .

٩٢ — وجاء في الصفحة ٩١ قول الأستاذ الجليل : « جاء في أخبار سنة ٦٤١ ما يأتي : خرجت والدة الخليفة المستعصم بالله منحدرة في شبارة الخليفة الى درزكان متوجهة الى الحج . » وقال في الحاشية يعني درزكان : « هي قرية كبيرة على دجلة تحت بغداد في الجانب الغربي ، ذكرها ياقوت في معجم البلدان » . وكرر الخبر في الصفحة ١٠٣ قال : « في رحلة الخليفة : ورد في أخبار سنة ٦٤١ ذكر خروج المستعصم لوداع والدته وهي متوجهة الى الحج منحدرة في شبارة الخليفة الى درزيجان وخروج الخليفة لوداعها ... » وقال يعني درزيجان : « قرية كبيرة كانت على دجلة تحت بغداد في الجانب الغربي ، ذكرت في معجم البلدان لياقوت » .

ولم يذكر الأستاذ الفاضل « درزكان » في فهرس أسماء البلدان ، والمعروف في الكتب العربية « درزيجان » لا درزكان ، كأنها وردت كذلك في كتاب الحوادث « ص ١٨٧ » وقال ياقوت الحموي : « درزيجان (١) بفتح أوله وسكون ثانيه وزاي مكسورة وياء مثناة من تحت وجيم وآخره نون : قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربي ، منها كان والد أبي بكر أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي ، وكان أبوه يخطب بها ، ورأيتها أنا . وقال حمزة : كانت درزيجان إحدى المدن السبع التي كانت للأكاسرة وبها سميت المدائن (المدائن) وأصلها درزيندان فعربت على درزيجان » .

فكيف انقلبت درزيجان إلى « درزكان » ؟ ولم يرجع القائل الفاضل إلى غير معجم البلدان ؟

٩٣ — وقال الشيخ الجليل في الصفحة ٩٢ في الكلام على نقل الجنائز : « وأوصى عزالدين علي بن ملجة وكان من كبار المتصرفين ، توفي سنة ٦٨٨ ، أن يدفن تحت أقدام سلمان الفارسي » . وعلق على اسم الموصي بحاشية طويلة في سير أهل « آل ملجة » الأعيان المشهورين ، أولها قوله : « يكثر ذكر آل ملجة في كتاب الحوادث وفي معجم ابن الفوطي ، وفيهم

(١) من ذلك الصفدي قوله في ترجمة « وشاح بن جواد بن أحمد بن الحسن بن جواد أبي ناهض الدرزيجاني الضرير المقرىء المتوفى سنة (٥٨٠) » : « من أهل قرية دازريجان بالدال المهملة والألف والزاي والراء والياء الموحدة والجيم والألف والنون وهي بين المدائن وبغداد » .

جماعة من أصحابه وخلطائه ... » أي أصحاب ابن الفوطي .

ولم يذكر الشبيبي مرجع خبر الرجل الذي أوصى وسماه « عز الدين بن علي بن ملجة » فإنّ ابن الفوطي ترجم عز الدين بن ملّجة ولم يذكر ما ذكره الشبيبي في قوله ، قال ابن الفوطي : « عز الدين أبو الفضائل الحسن بن مؤيد الدين محمد بن أسعد بن علّجة السامي الاصفهاني ، نزيل بغداد ، الرئيس المعظم ، له نسب في بني سامة بن لؤي بن غالب ، وكان أجداده قد انتقلوا من فارس الى أصفهان ، ومن هناك انتقلوا الى بغداد وتنقلوا في المناصب والمراتب [وعز الدين الحسن ذو] الفضائل الباهرة ، والأخلاق الطاهرة ، والمناقب الزاهرة ، غذي بلبان الرياسة والسيادة ، كان جميل الهيأة ، ظاهر الهيبة ، طيب المفاكهة ، حسن [المحاضرة] ، لم يزل والده في جد ساعده الى أن انقضت الدولة العباسية ، ولما استولى هولاكو على العراق خرج إليه فأعطاه الفرامين ، وخلصوا بأهلهم أجمعين [1] ، وسنذكر أولاده الأكابر على ترتيب الكتاب » .

وإذ لم يكن هذا الرجل هو الذي ذكره الأستاذ الجليل أيقنت أنه قد أساء قراءة الاسم ، وعلمت أنه رأى عز الدين أبا محمد علي بن محمد بن منصور بن عفيجة ، فظنه « ابن ملجة » ، واتساع الأفق في معرفة التراجم واجب في مثل هذه المباحث ، قال ابن الفوطي : « عز الدين أبو محمد علي بن محمد بن أبي البدر منصور بن عفيجة البغدادي الكاتب أمين الديوان ، من بيت معروف بالصحة والأمانة ، والكفاية والرعاية ، والرياسة والكتابة ، سمع جميع مسند عبد بن حميد الكيشي ، ولما قدمت بغداد ترددت الى خدمته ، وكتب لي الاجازة وأمرني أن أكتب عنه في إجازات طلاب العلم سنة ثمانين وستمائة ، وقد ولي الأعمال الجليلة وكتابة

(1) قال مؤلف الحوادث في خبر استيلاء هولاكو على بغداد سنة ٦٥٦ — ص ٣٢٩ — : « وكان ببغداد جماعة من التجار الذين يسافرون الى خراسان وغيرها قد تعلقوا من قبل على أمراء الدول وكتب لهم فرامين ، فلما فتحت بغداد خرجوا الى الأمراء وعادوا ومعهم من يحرس بيوتهم والتجأ اليهم جماعة من جيرانهم فسلموا » .

الديوان ، وخدم بعد الواقعة ناظراً في أوقاف الحرم الشريف وإشراف البلاد [الحلية] ... وحسنت سيرته في جميع أعماله ، وأحب الانقطاع فاستعفى من الخدمة ، وكانت وفاته ليلة الاثنين رابع عشري ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وستمائة وأوصى أن لا يُصلّى[1] ... شاطىء دجلة بباب كلواذا : فيدفن تحت قدمه[2] » .

وجاء في كتاب الحوادث في أخبار سنة ٦٨٨ : « وفيها توفي عزيز الدين علي بن عفيجة[3] ودفن تحت أقدام سلمان الفارسي وكان من أكابر المتصرفين ببغداد[4] » . وقال شمس الدين الذهبي في وفيات سنة ٦٨٨ : « علي بن محمد بن منصور بن عفيجة عز الدين البغدادي ، سمع مسند عبد بن حميد من ابن بهروز وحدث ، مات في ربيع الآخر عن ست وستين ، أجاز للبرزالي[5] » . وقال ابن رافع : « علي بن محمد بن أبي البدر منصور بن أبي منصور البغدادي أبو الحسن بن أبي عبد الله الحنبلي الملقب عز الدين المعروف بابن عفيجة[6] ، سمع من أبي بكر محمد بن مسعود بن بهروز المتطبب[7] مسند عبد ، وحدث ، سمع منه أبو عبد الله محمد بن شامة وأبو الفضل عبد الأحد بن سعد الله بن نجيح الحراني ، قال ابن الفوطي ، ومن خطه نقلت : سمع منه جماعة من الطلبة والغرباء ، وكان قد أمرني أن أكتب عنه في الاجازات ، وكان قد آثر الانقطاع ، وكان قبل ذلك من أكابر الكتاب وأعيان المتصرفين ، خدم في الأعمال الحلية . سألته عن مولده فذكر أنه سنة ٦٢٢ وقال غيره في سنة (٦٢٠) . وتوفي يوم الاثنين

(١) ذهبت من هذا الموضع مدة كلمات سيأتي ذكرها عن المنتخب .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٢٩ من نسختي بخطي » .

(٣) ورد في المطبوع « عفيجة » ولم أهتد يومئذ إلى صحته .

(٤) كتاب الحوادث « ص ٤٦٠ ، ٤٦١ » .

(٥) تاريخ الاسلام « نسخة دار التحف البريطانية ١٥٤٠ الورقة ٨٥ » .

(٦) ورد في معجم هذه الترجمة وهو منتخب المختار — ص ١٥٢ — « ابن عفيجة » ، والوجه ما ذكرناه .

(٧) في المطبوع المتجب » .

الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٨ وأوصى أن لا يصلى عليه في الجامع ، وأن يصلى عليه بباب سور كلواذا ، وأوصى أن يدفن تحت قبة سلمان الفارسي ، وأوصى أن لا يشخص قبره ، فتولى أمره ودفنه العدل مكين الدين أبو القاسم عبد الحميد بن الزجاج ولم أره في تاريخ شيخنا الذهبي [1] وأبي محمد البرزالي [2] » .

ومما قدمتُ من القول وما نقلت من السِّيَر يُعلم أن الأستاذ الشبيبي الجليل نقل الخبر من كتاب « الحوادث » المتقدم ذكره مراراً ، وأنه ظن أنّ « عز الدين علي بن عُقيجة » هو عز الدين ابن مَلّجة ، فأسند إليه مختصر سيرته فوقع في وهم وجب عليّ تصحيحه .

٩٤ — وجاء في الصفحة ٩٣ في ذكره من دفن في المشهد الغروي قوله : « وغياث الدين عبد الكريم بن طاووس المتوفى سنة ٦٧٣ وجماعة من أسرته » . قلت : الذي حفظته أنه توفي سنة ٦٩٣ وقد راجعت تلخيص معجم الألقاب ، لأن ابن الفوطي كان من خلطائه وتلامذته ، قال : « غياث الدين أبو المظفر عبد الكريم بن جمال الدين أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني الفقيه العلامة النسابة ، كان جليل القدر ، نبيل الذكر ، حافظاً لكتاب الله المجيد ، لم أر في مشايخي أحفظ منه للسير والأحاديث ، والأخبار والحكايات والأشعار ، جمع وصنف وشجّر [3] وألف ، وكان يشارك الناس في علومهم ، وكانت داره مجمع الأئمة والأشراف ، وكان الأكابر والولاة والكتاب يستضيئون بأنواره ورأيه ، وكتبتُ لخزانته كتاب (الدر النظيم في ذكر من تسمى بعبد الكريم) ؛ وسألته عن مولده ، فذكر أنه ولد في شعبان سنة ثمان وأربعين وستمائة ، وتوفي في يوم السبت سادس عشري شوال سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وحُمل إلى مشهد الامام علي — ع — ودفن عند أهله [4] » ، وجاء في حوادث سنة

(١) هذا وهم منه فقد نقلنا مختصر سيرته من تاريخ الاسلام للذهبي .

(٢) منتخب المختار « ص ١٥٢ ، ١٥٣ » .

(٣) شجر تشجيراً أي كتب الأنساب على هيأة الشجر .

(٤) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ١٩٢ من نسختي بخطي » .

٦٩٣ من كتاب « الحوادث » — ص ٤٨٠ — « وتوفي النقيب غياث الدين عبد الكريم ابن طاووس في مشهد موسى بن جعفر ، وحمل إلى جسده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب — ع — » .

٩٥ — وقال الأستاذ الفاضل في الصفحة المذكورة أعني ٩٣ : « وفي سنة ٦٧٦ توفي الملك عز الدين ابن جعفر النيسابوري ، ودفن في المشهد المذكور وعفيف الدين الفارقي الأديب المصري [1] . قال ابن الديبثي : دفن في النجف » . فساق عفيف الدين هنا على عز الدين يوهم القارىء أنه توفي في سنة وفاة عز الدين ، مع أنه توفي سنة « ٦٢٨ » كما في تلخيص معجم الألقاب ، ثم إن عز الدين النيسابوري لم تكن وفاته سنة ٦٧٦ بل كانت سنة ٦٧٢ ، قال ابن الفوطي : « عز الدين أبو المظفر عبد العزيز بن جعفر بن الحسين النيسابوري ، الملك ، صاحب البصرة له نسب في آل الأشتر النخعي ، ذكره لي شيخنا أبو الفضل بن المهنا الحسيني وكتب لي بخطه ، قال : ولد المذكور سنة ٦٢٦ وسافر حتى عُدّ من الرجال الصدور ، فتعلق ببيت الأوشادي والأمير [2] سنقر بن بتيكجي ، ولما فتحت العراق لجأ إلى الصاحبين علاء الدين وشمس الدين ، ورتب شحنة بواسط وفوضت إليه البصرة ونواحيها . وكان له الاحسان إلى العلويين ، وصنف له شيخنا كتاب (المدائح القمرية والمدائح العزيزية) . وقدم علينا مراغة ، ورأيته وتوفي في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، ولنجم الدين عبد السلام [ابن الكبوش] فيه مدائح كثيرة لما استقر ملكه بالبصرة ، ومن شعره في مدح الصاحب علاء الدين عطا [ملك] :

(١) الصواب « المقرىء » أي الذي يقرىء الناس القرآن الكريم بالقراءات المروية ، قال ابن الفوطي : « عفيف الدين أبو عبد الله محمد بن قريش بن مسلم الأسدي الفارقي المقرىء الأديب ، كان حسن السيرة ... » . « تلخيص معجم الألقاب ٤ : ٦٩ من نسختي بخطي » .

(٢) سقط الأصل غامض هنا .

عطا ملك [عطاؤك ملك ملك مصر (١)] وبعض عبيد دوانيك العزيز
تجازي كل ذي ذنب بعفو ومثلك من يجازي [أو يجيز (١)]

ورثاه شيخنا عبد السلام بقصيدة الغراء التي أولها :

[لم أبك] حتى بكى لك السكرم [والسيف يوم القراع والقلم]

وقال مؤلف الحوادث في أخبار سنة ٦٧٢ : « وفي منتصف ذي القعدة توفي الملك عزالدين عبد العزيز بن جعفر النيسابوري ببغداد ، وكان سخياً (٢) جواداً مُواصلاً لكل من يسترفده واشتهر ذكره في البلاد بالكرم . تولى شحنكية واسط والبصرة ، وكان حسن السيرة ، عظيم الناموس ، ودفن في مشهد علي — ع — ورثاه الشعراء بأشعار كثيرة منها ابن السكبوش البصري من قصيدة هذا منها :

لم أبك حتى بكى لك السكرمُ والسيف يوم القراع والقلمُ (٤) »

وذكر بيوت المرثية التي أختارها وهي اثنان وثلاثون بيتاً .

٩٦ — وذكر الأستاذ الجليل في الصفحة المذكورة « عفيف الدين الفارقي المقرىء » المذكور آنفاً ، فيمن نقلت جنازاتهم أو جثثهم الى مشهد الامام عليّ — ع — مع أن عفيف الدين الفارقي مات في النجف بعينه ، ولم ينقل جثمانه من موضع آخر إليه ، قال ابن الفوطيّ : « عفيف الدين أبو عبد الله محمد بن قريش بن مسلم الأسدي الفارقي المقرىء الأديب ، كان حسن السيرة ، ذكره الدبيثي (٥) وقال : ولد بحصن كيفا ، وتفقه ببغداد على فخر الدين النوقاني ، ودخل واسط لأجل القراءة ثم استوطن الموصل وحج ، فلما رجع مات بالنجف سنة

(١) التتمة من التاريخ الفخري « ص ١٢ من الطبعة المصرية » .

(٢) التتمة من كتاب الحوادث « ص ٣٧٨ » .

(٣) جاء في المطبوع من كتاب الحوادث — ص ٣٧٧ — « شيخاً » وهو من غلط الطبع .

(٤) كتاب الحوادث « ص ٣٧٧ — ٣٨٠ » .

(٥) لم أجده في ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢١ » والظاهر أنه ذكره في « ذيل تاريخ واسط » له أيضاً .

ثمان وعشرين وستمائة ، ودُفن بمشهد الامام علي [1] — ع — » .

٩٧ — وجاء في حاشية الصفحة ٩٤ « لفخر الدين بن المبارك المخرمي صاحب الديوان في أيام المستنصر العباسي ذكر كثير في تاريخ هذه الفترة ، قال مصنف كتاب الحوادث : هو فخر الدين أبو سعيد بن المبارك ابن عز الدين أبي زكريا يحيى بن المبارك ... » .

والصحيح أنه « المبارك » لا « ابن المبارك » و « أبو سعد » لا « أبو سعيد » هكذا ورد اسمه في كتاب الحوادث « ص ١١١ ، ١٣٩ ، ١٥١ ، ١٥٧ ، ٣٥٦ ... » وقال ابن الفوطي في ترجمته : « فخر الدين أبو سعد المبارك بن يحيى بن المبارك المخرمي البغدادي ، صاحب الديوان وشيخ رباط الحريم ، كان من أرباب البيوتات وأهل المناصب والمراتب الدينية والديوانية ، قال تاج الدين علي بن أنجب في تاريخه : وفي المحرم سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ولي فخر الدين النظر بدار التشريفات ، ووكالة باب طراد ، ونقل الى صدرية المخزن ثم إلى صدرية ديوان الزمام ثم عُزل ووكل به سنة ثلاث وأربعين ، وفي هذه الدولة عرض عليه الخدم الديوانية فأبى إلا أن يخدم في الخدم الإلهية الربانية ، وانتقل إلى رباط الحريم ، وأقام به ، وكتب بيده عدة مصاحف وربعات وقفها على المشاهد ، فكان على ذلك الى أن توفي يوم الأربعاء أول جمادى الآخرة سنة أربع وستين وستمائة ودفن بمقبرة الامام أحمد بن حنبل [2] » . فهذا هنا كما قال أبو حيان التوحيدي .

٩٨ — وأسند في الصفحة المذكورة الى مؤلف الحوادث أنه عرّف بيت المخرمي بقوله : « بيت معروف بالرزانة والأمانة والعدالة والكتابة والتصرف والولاية » ، والذي في كتاب الحوادث — ص١٣٨ — « الرواية والدراية والقضاء والعدالة والنيابة والتصرُّف والولاية » . ونقل الأستاذ من كتاب الحوادث، على حسب قراءته ، أن فخر الدين بن المخرمي « خدم الخلفاء عدة خدمات

(١) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٦٩ من نسختي بخطي » .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٢٤٧ من نسختي بخطي » .

آخرها صاحب ديوان العراق » ، أما منصب ديوان الممالك » فهو من مناصب الدولة الإيلخانية ، ولم يتولّه قط .

٩٩ — وذكر الأستاذ الجليل في الصفحة ١٠١ رسالة الملك العادل أبي بكر بن أيوب إلى الخليفة الناصر لدين الله سنة ٦٠٤ على يد أستاذ داره « الأمير دكز العادلي » وقاضي العسكر خليل المسعودي ، وذكره أيضاً في الفهرس بصورة « دكز » ، والذي في السلوك للمقريزي « ١ : ١٦٧ » وهو مرجع الأستاذ الشيبي في هذا الخبر « ألدكز » . والهمزة واللام أصليّتان ، وبهذه الصورة ورد في الجامع المختصر « ٩ : ٢٥٩ » وهو الصحيح .

١٠٠ — وقال في الصفحة ١٠٣ : « جاء في أخبار سنة ٦٣٨ من هذا الكتاب[1] ما يأتي: وصل رسول من بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ومعه (قائد[2]) وجماعة من رماة البندق ، شهدوا أن الأمير إبراهيم ولد بدر الدين رماه بالبندق و (كتب) بذلك الى الخليفة ـ يعني المستنصر ـ فقبل ، وحُلّق بباب البدرية ونثر عليه ألفا دينار وخلع على الواصلين معه » ، والصواب أنه « طائر » لا قائد ، و « انتسب الى الخليفة » لا كتب إليه ، وذلك أن نظام الفتوة لا يجيز أن يتقى الرامي أي يكون تابعاً لرئيس الفتيان إلا بعد إصابته بالبندق طائراً من الطيور المذكورة في في الحاشية ، بالشروط المقرّرة على الفتيان في الرمي ، ومعنى « تقي الرامي » هو أن يكون تابعاً لرئيس الفتيان الرماة ، وهو إذ ذاك الخليفة المستنصر بالله وهذا معنى قوله « وانتسب في في ذلك الى الخليفة فقُبل » .

وقد ألف الشيخ العالم محمد بن إسماعيل بن البقال المعروف بابن ودعة الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٥٨٨ رسالة في أحكام رمي الطير الجليل وصيده ، وقد جعلها باسم الخليفة الناصر

---

(١) عني كتاب الحوادث .

(٢) الصواب طائر كما جاء في الحوادث « ص ١٤٣ » ، وهذا الطائر ينبغي أن يكون من طير الواجب المعروف بالطير الجليل ، وهو الثم والمرزم والكركي والأوز والأنيسة والحباري والسبيطر « القلق » والنسر والعقاب والمكي « البجع » والنشار والعناز والصوغ والغرنوق .

لدين الله مجدد الفتوة ومقرر أحكام الرمي ، وسمى الرسالة « التفرج في المصطلح » وجعل مراتب الرسالة على النحو الآتي « كيفية دخول الرماية ، فيما يكمل به الرامي ، في القدمة وحكمها ، فيما يتحقق بصرعه الفضيلة ، في الشهادات ، في التحكيم ، في الراهنات ، في المقاولة ، في التحريم ، في التكذيب والاهدار » . قال ابن رهعة : « وهذا الفن وضع لتهذيب الأخلاق وتزكية النفوس ، وتكميل المروءة ، وعلى هذا حرم على الرامي أخذ العوض عن طير صرعه ، لاشعاره بالدناءة ، وإخلاله بالمروءة ، إذ لم يكن موضوعاً للاكتساب » ثم قال :

« الأمر الثاني : الرماية ، والنظر يتعلق بصيغتها ومعناها وحكمها ، أما الصيغة فهي قول الرامي عقيب سؤالهم إياه عمن اختاره استاذاً : رميت لفلان ... وأما معنى الرماية فهو الانتساب إلى من يصلح في نظره التقديم عليه كالتلميذ مع الأستاذ ، يأخذ عنه آداب فنه ، ويتعرف منه أحكامه ، والأحسن أن يكون جامعاً لصفات الكمال ليتخلق بأخلاقه ويتأدب بآدابه ، فلو هذا لو قال : انتسب فلان إلى فلان في البندق ، أو جعلته أستاذي ، وما أشبهه جاز ، وتجب تسميته إن كان غائباً ، والاشارة إليه إن كان حاضراً [1] ... » .

١٠١ — وقال في الصفحة ١١١ وهو يصف كتاب « الحوادث » الذي سماه غلطاً « الحوادث الجامعة » اتباعاً لقول الباحث المحقق يعقوب السركيسي المتوفى في آخر سنة ١٩٥٩ :

« هذا ومن شواهد سقم هذه النسخة أن الأخبار المتعلقة باستيزار مؤيد الدين بن العلقمي نقلت من محلها وهو حوادث سنة ٦٤٣ ووضعت غلطاً في حوادث سنة ٦٥٣ مؤخرة عشر سنوات ، وهو تلفيق غريب يدل على تشويش النسخة من قبل [2] مجلدها أو غيره » وكرر ذلك في الصفحة ١١٣ قال : « وقد سقط من الكتاب الفصل الذي عقده المؤلف لترجمة ابن العلقمي الوزير ولم يبق إلا العنوان غير أننا نجد وصف الاحتفال باستيزار ابن العلقمي مدرجاً في حوادث

---

(١) التفرج في المصطلح .. نسخة دار الكتب الوطنية ٤٦٣٩ الورقة ٦ — ١٤ » .

(٢) الصواب « يدل على تشويش مجلد النسخة لها » أو « إياها » ، لأن « من قبل » يستلزم النيابة ، كقولهم « كان قاضي بغداد من قبل الخليفة فلان » .

سنة ٦٥٣ بدلاً من ٦٤٣ وهو وصف شائق أو يجب أن يلحق بحوادث سنة ٦٤٣ » .

وقد كنت ذكرت في حاشية سابقة « ص ٤٢٨ » ، أني أنا الذي انبه الى هذا التشويش في هذا الكتاب ، وقد نبهت عليه في الصفحة ٢٧٩ منه ولم يقف عليه أحد قبلي ، فجاء الأستاذ الشبيبي الجليل فأشار الى ذلك ، على النحو الذي ذكرته من كتابه ، ولو قد كان وقف عليه قبلي لم أستدرك هذا الاستدراك ، والدليل على أنه اتبع تنبيهي هو أنه وقع في وهم وهمته أنا نفسي وذلك أني قدرت أن الحوادث المنقولة من موضعها هي حوادث سنة ٦٤٣ [1] والصواب أنها حوادث سنة « ٦٤٢ » . فاستيزار مؤيد الدين العلقمي « ص ٢٧٩ » كان في سنة ٦٤٢ لافي سنة ٦٤٣، وأيا كان التاريخ فقد نبهت على الخلل الواقع في الكتاب فقلت في الصفحة ٢٧٩ : « تتمة أخبار سنة ٦٤٣ » . وقال أبو الحسن الخزرجي في أخبار هذه السنة : « وفي يوم الثامن (كذا) من شهر ربيع الأول استوزر الخليفة أبا طالب مؤيد الدين محمد بن أحمد بن محمد العلقمي وركب في جمع عظيم من حاشيته وغيرهم إلى دار الوزارة ، وجلس في الايوان ، وكان قبل ذلك استاذ الدار فأقر الخليفة عوضه في أستاذية الدار محيي الدين يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي في يوم التاسع (كذا) من الشهر المذكور [2] » .

وقال ابن دقماق في حوادث سنة ٦٤٢ : « وفيها ولي وزارة العراق بعد ابن الناقد الوزير مؤيدالدين بن العلقمي الرافضي [3] ... » وقال سبط ابن الجوزي في حوادث سنة ٦٤٢ : « وفيها توفي شهاب الدين أحمد بن الناقد وزير [المستعصم بالله واعتقل] أولاده وصودروا واستؤصلوا وذهب جاههم ، وأقاموا مدة إلى أن ولي المستنصر [4] ، فاستوزر محمداً ولقبه مؤيد الدين ، وكان

---

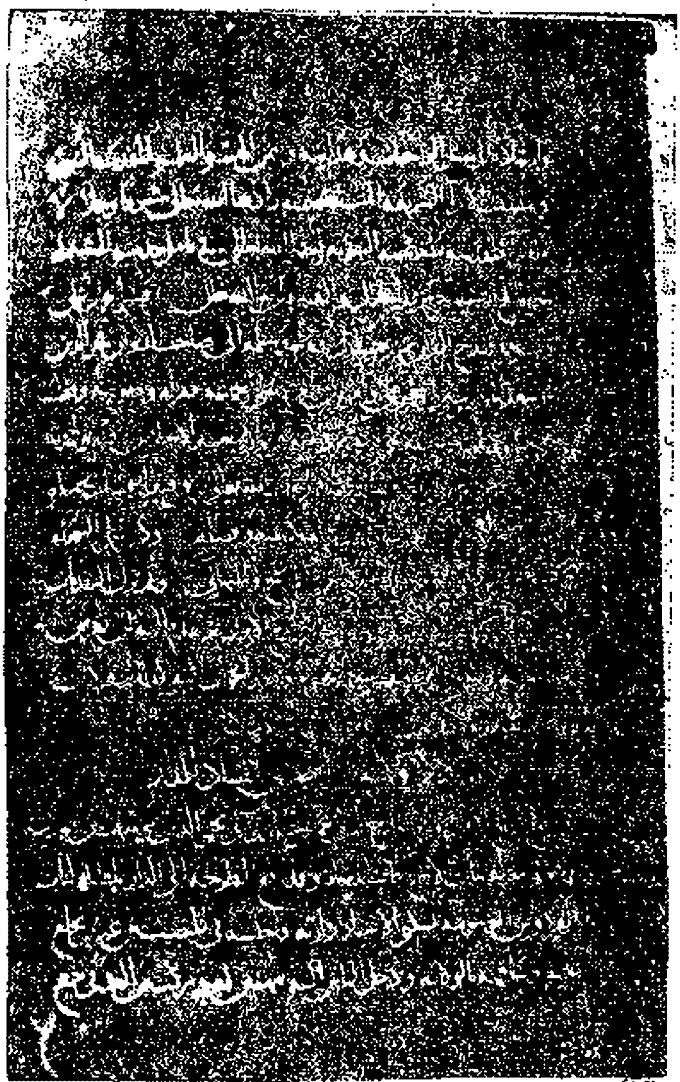
(١) اكد الشيخ هذا التاريخ في الصفحة ١٠٤ فقد قال فيها : « استيزار ابن العلقمي ، جاء في أخبار سنة ٦٤٣ .. » .

(٢) العسجد المسبوك « نسخة المجمع العلمي العراقي ، الورقة ١٦٤ » .

(٣) ترجمة الأنام في تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٩٧ الورقة ٨ » .

(٤) كذا ورد في مختصر الجزء الثامن « ٨ : ٧٤٧ طبعة الهند » وهو وهم مبين ، وفي الخبر عيث ظاهر.

رجلاً فاضلاً صالحاً عفيفاً ديناً قارئاً للقرآن (١) » . وقال ابن كثير في حوادث سنة ٦٤٢ :

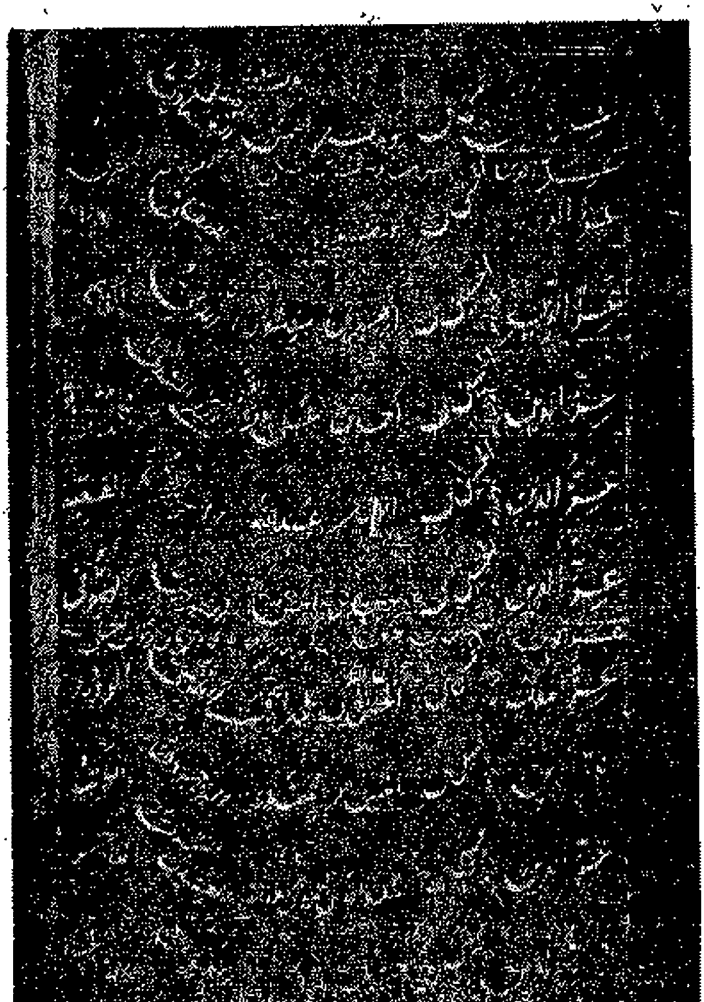


صفحة من كتاب « الحوادث » بخط مؤلفه

« وفيها استوزر الخليفة المستعصم بالله مؤيد الدين أبا طالب محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن

(١) مختصر المرآة ٨ : ٧٤٢ .

المتقي المسرف على نفسه وعلى أهل بغداد ... » نقلناه من « نسخة دار الكتب الأهلية بباريس ١٥١٦ من الورقة (٥٤) وهذه النسخة أصح من المطبوعة .



صفحة من كتاب تلخيص معجم الألقاب بخط مؤلفه ابن الفوطي

وجاء في الصفحة ٢٨٢ من كتاب الحوادث أن محيي الدين يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي المذكور آنفاً تولى أستاذية الدار سنة ٦٤٣ مع أن ولايته كانت سنة ٦٤٢ كما ذكرنا وقلنا

قبلاً ، وهكذا القول في أكثر الأخبار التي ظننتها أنا من حوادث سنة ٦٤٣ فقلدني فيها الأستاذ الشبيبي الجليل ولذلك لم يشر إلى غلطي ، بل وقف عند وقوفي ، واحتطب بحبلي في هذا الأمر ، ومما يؤيد أن الحوادث المشار إليها هي من سنة ٦٤٢ وفاة الوزير نصير الدين أبي الأزهر أحمد بن الناقد[1] مع أنه قد أدخلت سيرته في حوادث سنة ٦٤٣ « ص ٢٩١ » . قال ابن دقماق في حوادث سنة ٦٤٢ : « وفيها مات الوزير نصير الدين أبو الأزهر أحمد بن محمد بن علي بن الناقد ، أحد أولاد التجار المشاهير ، وذوي الثروة واليسار ، مولده في ليلة الجمعة حادي عشري شوال سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ، ونشأ في رياض الاشتغال بالكتابة ، ففوض إليه نظر أوقاف والدة الامام الناصر [زمرد خاتون] في سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وبقي مدة ثم صرف ثم استقر في وكالة الامام الظاهر ثم لما تولى الامام المستنصر ولاه أستاذية الدار بعد وفاة عضد الدين أبي نصر المبارك بن الضحاك في محرم سنة سبع وعشرين وستمائة ، فقام بأمور الخدمة أحسن قيام ثم ولي الوزارة في سابع عشر شوال سنة تسع وعشرين وستمائة وعرض له ألم في مفاصله بعد خمس سنين من ولايته امتنع به عن القيام والحركة ، ولم يزل مبجلاً مكرماً الى حين وفاته في ليلة الجمعة سادس ربيع الأول ، فتقدم إلى كبار الدولة وأعيان الأمراء والقضاة ومشايخ الصوفية بالحضور إلى جامع القصر ثم غسل الوزير المذكور ، وتولى غسله المدرس بالنظامية نجم الدين عبدالله البادرائي ثم حمل تابوته مغشي[2] وبين يديه القراء والحجاب والنواب والكتاب والدوادارية ثم صلى عليه أبو طالب الحسين بن المهتدي نقيب النقباء ثم حملت الجنازة وأدخلت

(١) كنت أحسب أن الصحيح في وفاته هو أنها كانت سنة ٦٤٣ كما ذكرت في حاشية الصفحة ٢٧٩ من الحوادث ، والصواب أنها وقعت سنة ٦٤٢ بإجماع المؤرخين الذين ذكروا وفاته .

(٢) كان نصير الدين الناقد وغيره من الناقديين شافعية ، وفي سنة ٦٤٦ توفي جمال الدين أبو الحسن علي ابن يحيى بن الحرمي من الحرميين الحنابلة المشهورين ، وكان قد أوصى أن يدفن في تل قريب من مشهد الحسين ـ ع ـ وأن يكون تابوته مكشوفاً ليس عليه غطاء ولا ثوب وأن لا يقرأ بين يديه قراء بالألحان والتحزين بل قراء نقراء يقرؤون بالتلاوة المعهودة وأن يسبح جماعة ويهللوا ويحمدوا الله تعالى « الحوادث ص ٢٣٧ » .

باب التربة المستجدة وجعلت في شبارة وشيعها كافة أرباب الدولة والصدور ، وأستاذ الدار مؤيد الدين العلقمي ودفن بتربته بالمشهد الكاظمي ، وكان أديباً فاضلاً ، مترسلاً ، للرعايا حافظاً ، وللعلماء رافعاً ، وكان صالحاً عفيفاً متواضعاً ، قارئاً للقرآن ـ رح ـ [1] » .

وقال الخزرجي في حوادث سنة ٦٤٢ : « وفيها توفي الوزير الكبير ملك العراقين أبو الأزهر نصير الدين أحمد بن محمد بن علي بن أحمد الناقد البغدادي ، وكان مولده في الحادي عشر من شهر شوال سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ، وهو من أولاد التجار ، نشأ في الثروة والحشمة ، وحفظ القرآن الكريم واعتنى بالخط وتجويده ، وحصل طرفاً صالحاً من الأدب ، نحواً ولغة ، وكان يقول الشعر ، واشتغل بعلم الانشاء والرسائل ، وكان مواظباً على تلاوة القرآن ، لاسيما في ليالي الجمع ، وكان له رأي صائب ، ودين وافر ، مليح الانشاء ، حسن النظم ، حفظة للاشعار والنكت والأخبار ، حسن الخط ، مهيب الشكل ، عفيف النفس ، وقوراً ورعاً ، توفي في سادس شهر ربيع الأول من السنة المذكورة ، ونُفّذ جهازه من المخزن وفيه مائة وخمسون ظرفاً من ماء الورد ، وأخرج عنه صدقة من البقر تسعون رأساً ، ومن الخبز خمسة عشر ألف رطل ، ومن التمر مائة وخمسون قوصرة ، وشيع جنازته كافة أرباب الدولة وذوو المناصب وأرباب الدولة » ثم قال : « ولما فتحت تركة الوزير نصير الدين أحمد بن الناقد وجد فيها صندوق آبنوس فيه نيف وتسعون ألف دينار ، وفيه رقعة يذكر فيها (أن ذلك من فواضل معيشته وما أنعم عليه به في الأيام المستنصرية والمستعصمية وأن ذلك حق من حقوق بيت المال للمسلمين لا تستحق ورثته منه شيئاً) فحمل إلى دار التشريفات وأنعم على ورثته وأجريت لهم جرايات على المخزن [2] » .

وقال ابن كثير في وفيات سنة ٦٤٢ : « الوزير نصير الدين أبو الأزهر أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن الناقد البغدادي وزير المستعصم وأبيه المستنصر ، كان من أبناء التجار ثم توصل الى أن صار وزيراً [3] ... » .

(١) نزهة الأنام في تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب الوطنية في باريس ١٩٥٧ الورقة ٥٩ » .

(٢) العسجد المسبوك « نسخة المجمع العلمي المصورة ، الورقة ١٦٤ » .

(٣) البداية والنهاية « نسخة دار الكتب الأهلية بباريس ١٥١٦ الورقة ٥٣ » .

وترجمه ترجمة حسنة صفي الدين ابن الطقطقي في كتابه الفخري « ص ٢٤٣ » وقال : « مات نصير الدين في سنة اثنتين وأربعين وستمائة في خلافة المستعصم » .

٤٠٢ — وتكلم الأستاذ الجليل في الصفحات ١١١ ـ ١١٣ على الوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد بن العلقمي ، ولم يتطرق الى التهمة التي ألصقها به مؤرخو مصر ومؤرخو الشام والعوام من القدماء وهي مخامرته على الدولة العباسية ومؤامرته بها « لاسقاطها ، بل أشار إلى اختلاف الآراء فيه عموماً ، وقد ظهرت أمارات تلك التهمة الباطلة ببغداد منذ اختلافه مع مجاهد الدين أيبك الجركسي مقدم الجيوش العباسية سنة ٦٥٣ ، ذلك القائد الفَشِل ، وهذه التهمة تستأهل أن يؤلف فيها كتاب ، وقد ترجم أبو الحسن الخزرجي هذا الوزير ، كما ترجمه مؤلف كتاب الحوادث وشمس الدين الذهبي في تاريخه والصفدي في الوافي وابن شاكر الكتبي في الفوات ، ومحمد باقر الخوانساري في الروضات وغيرهم ، غير أن ترجمة الخزرجي له لم تنشر قال في أخبار سنة ٦٥٦ : « وفي هذه السنة توفي الوزير مؤيد الدين محمد بن محمد (كذا) ابن العلقمي البغدادي الرافضي ، وكان عالماً فاضلاً ، أديباً ، حسن المعاشرة ، دمث الأخلاق ، كريم الطباع ، خير النفس ، كارهاً للظلم ، خبيراً بتدبير الملك ، لم يباشر قلع بيت ، ولا استئصال مال ، اشتغل بالنحو وعلم الأدب في شبيبته بالحلة[1] على عميد الرؤساء بن أيوب ثم قدم بغداد وقرأ على أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ثم انضم إلى خاله أستاذ دار الخلافة عضد الدين أبي نصر المبارك بن الضحاك [الأسدي] ، وكان شيخ الدولة ، فضلاً وعلماً ، ورياسة وتجربة ، فتخلق بأخلاقه ، وتأدب بآدابه ، واستنابه في ديوان الأبنية ، وأشغله بعلم الانشاء ، إلى أن توفي خاله ، فانقطع ولزم داره ، واستمر شمس الدين[2] أبو الأزهر أحمد بن الناقد أستاذاً

(١) كان أسدياً والحلة معدن بني أسد والأكراد الجاوانيين الذين استمروا بها منذ مئات سنين .

(٢) كان هذا قبل أن يكون ابن الناقد وزيراً ، فلما استوزره المستعصم بدل لقبه وجعله « نصير الدين » وكان تبديل اللقب عند رفع الرتبة من رسوم الدولة العباسية في أواخر أيامها . وهو مألوف في الدول المصرية أيضاً .

الدار ، فاستدعى مؤيد الدين إلى دار التشريفات وأمره بالتردد إليها في كل يوم ، ومشاركة النواب بها ، فلما نقل أستاذ الدار أحمد بن الناقد إلى الوزارة نقل مؤيد الدين إلى أستاذية الدار ، فكان على ذلك إلى أن توفي الوزير أحمد بن الناقد ، فانتقل مؤيد الدين الى الوزارة ولم يزل على ذلك إلى أن انقضت الدولة العباسية وأقر في الدولة التترية على الوزارة ، وكابد شدة وتغيرت أحواله ولم يتم له ما أراد ولم يظن أن التتر يبذلون السيف مطلقاً ، فانه راح تحت السيف الرافضة والسنة وأمم لا يحصون وذاق الهوان والذل من التتر ، وذلك — يعني موته — في أول شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة [1] » .

١٠٣ — وقال في الصفحة ١١٣ : « وقد فاتنا بسقوط هذا الفصل [2] فوائد ثمينة فلا شك أنه اشتمل على رأي المؤلف في هذا الوزير الذي تضاربت آراء المؤرخين والباحثين في سيرته ، والغالب أن مؤلف كتاب الحوادث من أحسن المؤرخين رأياً بابن العلقمي الوزير » .

قلت : نقلنا سابقاً قول الأستاذ الفاضل : « غير أننا نجد وصف الاحتفال باستيزار ابن العلقمي مدرجاً في حوادث سنة ٦٥٣ بدلاً من ٦٤٣ وهو وصف شائق ... » ، وهذا يعني أنه لم يسقط من فصله شيء ، ولا فاتت فوائد ثمينة ، أما رأي مؤلف الحوادث في ابن العلقمي فكان الأستاذ قد نقله في الصفحتين السابقتين للصفحة ١١٣ مع تمهيد وإيضاح قال : « وفي هذا الصدد نقول : أثنى مؤلف الحوادث الجامعة ثناءاً بالغاً على مؤيد الدين ابن العلقمي ونوه بذكره حياً وميتاً وعقد له فصلاً في أخبار سنة ٦٥٦ عنوانه (ذكر من توفي من الأعيان بعد الواقعة) قال فيه : توفي الوزير مؤيد الدين محمد ابن العلقمي في جمادى الآخرة ببغداد وعمره ثلاث وستون سنة ، كان عالماً فاضلاً أديباً ، يحب العلماء ويسدي اليهم المعروف » ، إذن لا سقط فصل الوزير ولا أعوزنا رأي مؤلف الحوادث في الوزير ؟

---

(١) العسجد المسبوك « نسخة المجمع العلمي المصورة ، الورقة ١٩٣ » .

(٢) يعني الفصل الذي عقده المؤلف لترجمة ابن العلقمي ولم يبق منه إلا العنوان ، كما قال — حفظه الله — .

١٠٤ — وقال الأستاذ الجليل في الصفحة ٩١٣ أيضاً : « ومما يدل على العبث بنسخة الأصل – يعني كتاب الحوادث – ما قاله المؤلف في وقائع سنة ٦٤٥ وهذا نصه : فيها أنفذ الخليفة إلى الوزير ابن العلقمي دواة فضة مذهبة في جونة ، تخلع عليه ونظم الشعراء في ذلك ، هذا نصُّ ما جاء في الكتاب ، ونجد بعد ذلك أبياتاً في الرثاء لا علاقة لها بهذه الرقعة ... » .

وقد أصاب الأستاذ الجليل في هذا القول ، فالأبيات لا صلة لها بالخبر المذكور ، والصواب أن الخبر من أخبار سنة ٦٤٦ لا سنة ٦٤٥ كما جاء في كتاب « الحوادث » المشوّش الذي طبعته قديماً ، يدل على ذلك أن أبا الحسن الخزرجي ذكر ذلك الخبر في تاريخه قال في حوادث سنة ٦٤٦ : « وفي شهر ربيع الأول أنعم على الوزير أبي طالب محمد بن العلقمي بدواة فضة مذهبة مدورة مشبكة بديعة الصنعة ، جيلة الوضع ، فقال بعض الشعراء :

زاد إمام العصر ديوانه ... زيادة فيها تقر العيون

أعطى دواة للوزير الذي ... بفضله يعترف العالمون

وإنها نون كذا قد أتى الـ ... قرآن إذ أقسم فيه بنون

وجوده يقضي بتكميلها ... بالقلم الجاري وما يسطرون

حتى يقول الناس في فضله ... « لمثل هذا يعمل العاملون »[(١)] » .

١٠٥ — وقال الأستاذ الجليل في الصفحة المذكورة : « والأرجح أن الأبيات المثبتة[(٢)] من جملة قصيدة لابن أبي الحديد في رثاء أستاذ له توفي سنة ٦٤٦ ... » . وقال في الحاشية : « والقصيدة لموفق الدين بن أبي الحديد في رثاء عضد الدين المبارك بن رئيس الرؤساء[(٣)] ، أثنى عليه صاحب الحوادث الجامعة (كذا) وله ترجمة في معجم الأدباء

---

(١) المسجد المسبوك « نسخة المجمع العلمي العراقي المصورة ، الورقة ١٧٣ » .

(٢) يعني الأبيات المثبتة في كتاب الحوادث بعد خبر إهداء الدواة الفضة المذهبة « ص ٢١٩ » .

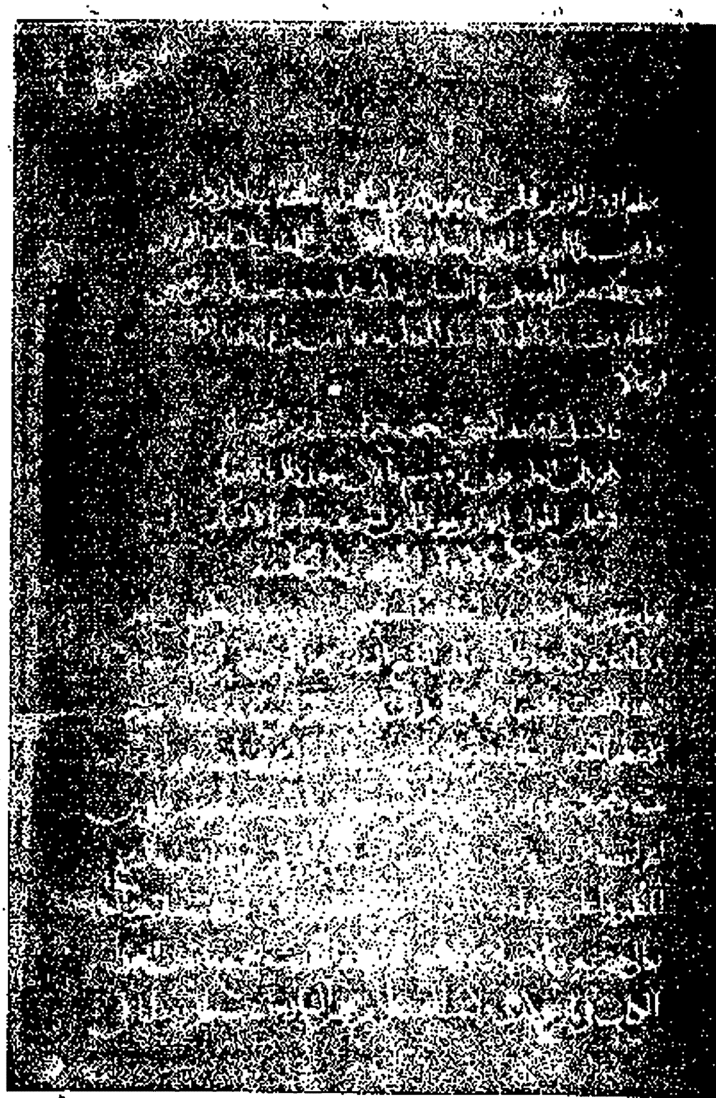
(٣) جاء في الصفحة ٢٢٧ من كتاب الحوادث « عضد الدين أبو الفتوح المبارك بن رئيس الرؤساء ابن المسلمة » وابن المسلمة . من خطأ الطبع ، والأصل « ابن المسلمة » .

٢٣٢/٦ والكامل ١٢/١١٨ » .

وقد أصاب الأستاذ الجليل شاكلة الصواب في نسبة الأبيات ولكنه أخذ حاشية لي كنت نشرتها في التعليق على اسم المتوفى المرثي المذكور ، في كتاب الحوادث « ص ٢٢٧ » ، وقد استوعب الحاشية وزاد عليها قوله : « وله ترجمة » قبل « معجم الأدباء والكامل » ، مع أنه لم ترد له ترجمة في معجم الأدباء ٦/٢٣٢ بل استطرد مؤلفه الى ذكره ، وذكره ابن الأثير في حوادث سنة ٦٠٥ . ولم أقل أنا إن ياقوتاً وابن الأثير ترجماه ، بل قلت : « في ٦/٢٣٢ من معجم الأدباء : عضد الدولة أبو الفتوح ابن الوزير عضد الدين بن رئيس الرؤساء ، وفي الكامل ١٢/١١٨ أبو الفتوح المبارك بن الوزير عضد الدين وهو الصواب » . هذا ما علقته على اسم الرجل المترجم المذكور ، أما الوارد في معجم الأدباء خاصاً به على سبيل الاستطراد فهو قول ياقوت : « وكان قد فوض إلى عضد الدولة أبي الفتوح ابن الوزير عضد الدين بن رئيس الرؤساء أمر المخزن المعمور والأعمال التي كانت مفوضة قبله الى ابن ناصر ... » . ذكر ذلك في ترجمة أبي بكر المبارك بن المبارك بن سعيد ابن الدهان فلم تكن للمبارك ابن رئيس الرؤساء ترجمة . وقد نسي الأستاذ أن لعضد الدين المبارك بن رئيس الرؤساء ترجمة في تلخيص معجم الألقاب وأنه أيضاً مذكور في الجامع المختصر « ٩ : ٢٦٤، ٢٦٥ » ، قال ابن الفوطي : « عضد الدين أبو الفتوح المبارك [1] ابن الوزير عضد الدين محمد بن عبد الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء البغدادي صاحب المخزن ، من بيت الوزارة والرئاسة والتقدم ، وكان مع اشتغاله بأمور الدنيا والتصرفات السلطانية ، له اليد الطولى في الهندسة والرياضيات ، وقد سمع في صباه من يحيى بن ثابت بن بندار وطبقته ، وتولى في أيام الناصر صدرية المخزن ثم عزل سنة ست وعشرين وستمائة (هكذا) ، ولما عزل لزم بيته مشتغلاً بنفسه ، وجعل داره المجاورة لجامع فخر الدولة بالجانب الغربي رباطاً للصوفية ، وله أشعار حسنة ورسائل مدونة ، مولده في رجب

(١) يحسن أن يقابل بين هذه الترجمة وترجمته في كتاب الحوادث فبينهما بون شاسع يدل على أن مؤلف الحوادث هو غير ابن الفوطي .

سنة ستين وخمسمائة ، توفي في ذي القعدة سنة خمس[1] وأربعين وستمائة[2] .

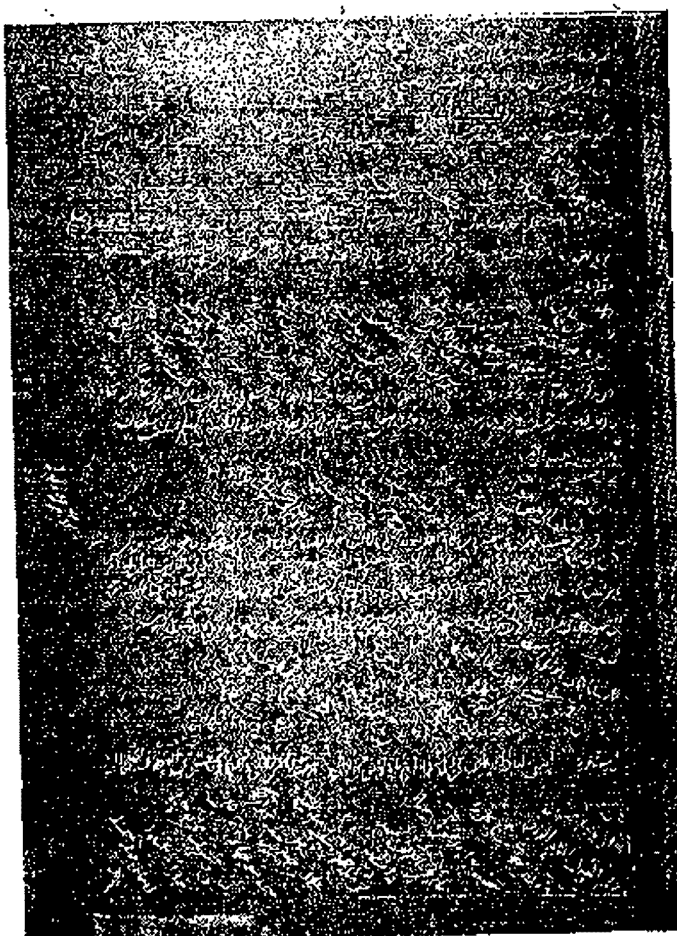


صفحة من كتاب « الحوادث » بخط مؤلفه

(١) جاء في الحوادث أنه توفي سنة ٦٤٦ والصحيح قول ابن الفوطي ، ويؤيده ما جاء تاريخ الخزرجي « العسجد المسبوك » الورقة ١٢٢ » . وهذا الاختلاف يعزو الى اختلال التبطيه في نسخة الحوادث .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٥٥ من نسختي بخطي » .

وكون وفاته في سنة ٦٤٥ كما في تلخيص معجم الألقاب، وهو الصحيح، وورودها في أخبار سنة ٦٤٦ كما في كتاب الحوادث الذي طبعته ؛ فلا بد من أن تكون هذه من أخبار سنة ٦٤٥ فقالت باختلال التجليد في كتاب الحوادث إلى سنة ٦٤٦ . ومن ذلك وفاة السيدة هاجر والدة الخليفة



صفحة من تلخيص معجم الألقاب بخط مؤلفه ابن الفوطي

المستعصم بالله ووفاة هبة الله بن الحسن ابن الدواي ، فقد كانتا في سنة ٦٤٥ كما جاء في تاريخ الخزرجي « الورقة ١٧٢ ، ١٧٣ » ، وفي التاريخ أدلة أخرى على ذلك لا يمكن أحداً إدحاضها .

١٠٦ — وقال في حاشية الصفحة ١١٥ وهو يبرهن على أن كتاب الحوادث المطبوع

هو « الحوادث الجامعة » : « وبهذا الصدد دارت مراسلة بيني وبين صاحب هذه النسخة وجاء في رسالتي اليه : تلقيت رسالتكم ... ومعها جزء منقول في التاريخ وقد استطلعتم رأيي في مؤلف هذا الكتاب أولاً ورغبتم بتعريف[1] ابن الفوطي ثانياً ، ومن رأيي ـ وقد تصفحت الكتاب ـ أنه كتاب الحوادث الجامعة لمؤلفه عبد الرزاق بن أحمد الفوطي البغدادي ... » . وأحال الأستاذ بذلك على مقدمة كتاب الحوادث المطبوع ، ومن يتأمل تلك المقدمة يجد تبايناً بين قوليه ، فقد قال في المقدمة : « ومن رأيي ـ وقد تصفحت الكتاب أنه كتاب الحوادث والتاريخ لمؤلفه العلامة عبد الرزاق بن أحمد الفوطي ... » ، ثم قال : « ومما يحز في النفس ألماً أن يمنى تاريخ العرب والاسلام وتاريخ بغداد والعراق خاصة بفقدان معظم آثار ابن الفوطي ومن جملتها أكثر أجزاء كتاب الحوادث على التاريخ ... » . وقد انقلب كتاب الحوادث والتاريخ أو الحوادث على التاريخ إلى « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة » ، وصارت الأجزاء جزءاً واحداً ، وقد قدمت الكلام على كتاب « الحوادث والتاريخ » في ملحوظة سابقة وهو غير الحوادث الجامعة بالتحقيق والتأكيد .

١٠٧ — واستدل الأستاذ الفاضل في كتابه « ص ١١٥ ـ ١٦٨ » بأدلة عامة من أقوال المؤرخين على دعواه أن كتاب الحوادث المطبوع هو كتاب « الحوادث الجامعة » ومنها أن مؤلف تلخيص معجم الألقـــاب ومؤلف كتاب الحوادث مُعنيا بذكر أصحاب الكتب ومكتباتهم ، وذكر من الأمثلة على ذلك قول مؤلف الحوادث في ترجمة القفطي ـ ص٢٣٨ ـ : « كان محباً للكتب جمع منها ما لم يجمعه أحد من أبناء جنسه لأنه غالى في أثمانها ... » ، ولو صحّ لقول الأستاذ الجليل وجه في هذا الاستدلال لكان ابن الفوطي قد ذكر القفطي في تلخيص معجم الألقاب في لقب « القاضي الأكرم » فقد قال مؤلف الحوادث في حوادث سنة ٦٤٦ : « وفيها توفي أبو الحسن علي[2] بن يوسف القفطي المعروف بالقاضي الأكرم ... »

(١) جاء في مختار الصحاح « رغب فيه : أراده وبابه طرب ورغبه أيضاً » .

(٢) قال الخزرجي في حوادث سنة ٦٤٦ : « وفي هذه السنة مات الوزير أبو الحسن علي بن يوسف بن=

ونرى في الحاشية أن لقبه « القاضي الأكرم » كان مشهوراً بين الناس ، ولقبه به ياقوت الحموي في معجم الأدباء : « ٥ : ٤٧٧ » فكيف إذن أغفل ابن الفوطي لقب هذا الرجل إن صحّ أنه ذكره في كتاب « الحوادث الجامعة » المزعوم أنه هو هذا المطبوع ؟!

مؤلف كتاب الحوادث

١٠٨ — وقال في الصفحة ١١٧ في رد احتجاج من احتج بإمكان اعتماد مؤلف « الحوادث » على تصانيف ابن الفوطي في التاريخ من قبيل معجمه المسمى « مجمع الآداب » وملخصه وغير ذلك من تصانيفه ، وكونه من المؤرخين المتأخرين قليلاً عن عصر ابن الفوطي الناقلين عنه ، على أن هذا وما ضاه من الأقوال ضرب من الظنون والاحتمالات » .

وفي هذا صواب من القول ، غير أننا نعتمد في تأييده على أن مؤلف الحوادث هو غير ابن الفوطي وأنه لم يعتمد على كتاب من كتب الفوطي كائناً ما كان ، فقد ذكر مؤلف الحوادث في كتابه أنه نقل من تاريخ تاج الدين علي بن أنجب المعروف بابن الساعي « ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ » ومن تاريخ ظهير الدين علي بن محمد الكازروني المتوفى سنة ٦٩٨ « ص ٤٩٧ » وهما مؤرخان بغداديان ، توفيا ببغداد ، ثم إن نقله من تاريخ الكازروني [1] يدل على أنه ألف كتابه بعد سنة ٦٩٧ ، وإذ كانت نهاية تاريخه سنة « ٧٠٠ هـ » علم أنه كان حياً في تلك السنة ، وأنه لم ينقل من كتب ابن الفوطي لأن ابن الفوطي توفي سنة ٧٢٣ كما هو معلوم ، فالنقل من كتبه يكون

= إبراهيم بن عبد الواحد بن موسى بن محمد بن إسحاق القفطي المعروف بالقاضي الأكرم ، وزير حلب ، وكان أحد الكتاب المشهورين ، قال الحافظ أبو عبد الله (محمد بن النجار) البغدادي : كان جم الفضائل ، عظيم القدر ، سخي الكف ، طلق الوجه ، حلو الشمائل ، مشاركاً لأرباب كل علم في علمهم في النحو واللغة والفقه والحديث وعلم القرآن والأصول والمنطق والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل وله من التصانيف ... وكان جامعاً للعلوم ، محباً للكتب جمع منها ما لم يجمعه أحد من أبناء جلدته ... » ، « العسجد المسبوك الورقة ١٧٤ من النسخة المذكورة » ومعلوم أن وفاته لم تنقل من تاريخ ابن النجار لأن وفاته كانت قبل وفاته.

(١) قال كاتب جلبي في كشف الظنون : « روضة الأريب في التاريخ أي تاريخ بغداد للشيخ ظهير الدين علي بن محمد الكازروني المتوفى سنة تسع وتسعين وستمائة وهي في سبعة وعشرين سفراً » .

ممكناً بعد هذه السنة ، كما جرت به العادة ، وبذلك يستحيل نقل مؤلف الحوادث من تواريخ ابن الفوطي ، فحجة القائل بالنقل داحضة . ومن الأدلة على كون مؤلف الحوادث ببغداد أو في العراق سنة (٧٠٠) قوله في حوادث سنة ٦٩٧ : « وفيها عزل الأمير تاوقدار شحنة بغداد ، وسبب ذلك أن نائبه رستم أســاء السيرة وتعدّى الحد في الشنقصة [١] وأنواع التأويلات ، واعتمد ما أوجب قتله ، وعزل تاوقدار ورُتّب عوضه الأمير أذينا ، فهذب العراق بحسن سيرته ، وعظم سطوته ، وشدة وزعته ، ولا تأخذه في المفسدين لومة لائم ، فالناس في أيامه آمنون على نفوسهم وأموالهم في البلاد والنواحي والطرق [٢] » .

فتأمل قوله « ولا تأخذه في المفسدين لومة لائم فالناس في أيامه آمنون ... » فانه لم يقل « كانوا آمنين » ولا « كان لا تأخذه في المفسدين لومة لائم » ، وهـذا يدل على أنه كان على الشحنكية أيام تأليف كتاب الحوادث ، قال ابن حجر : « آدينه المطري - يعني التتري - شحنة بغداد من قبل التتار ، كان عادلاً صارماً ، ولي بغداد فمهدها من المفسدين وقمع من بها المتعدين وخفف ظلماً كثيراً وحمدت سيرته الى أن مات في أوائل سنة ٧٠٩ بناحية الكوفة وكان ديناً حسن الاسلام ، يمشي الى صلاة الجمعة [٣] » .

وقال ابن الفوطي : « عز الدين أبو الفضل محمد بن علي بن محمد بن هبة الله ، يعرف بابن الوكيل البغدادي الكاتب... كتب بين يدي الأمير العادل آذينة أحمد في الانشاء وله خط حسن

(١) قال الفيروزآبادي في القاموس : « الشنقصة : الاستقصاء ، مولدة ، والشناقصة : ضرب من الجند الواحد شنقاصي بالكسر » ويراد بالشنقصة جباية المال بالاحتيال وهي استقصاء جائر ، ولعل للشناقصة من الجند صلة بالشنقصة ، وقد وردت في أخبار سنة ٤٧٣ « المنتظم ٨ : ٣٢٧ » ، ولا يصح أن يقال إنها « عراقية مولدة في عصر المغول أي أنها ليست من المولد القديم ، شاعت في لهجة المائة السابعة بمعنى الدس والمكر أو التصدي للضرر (كذا) وعمل السوء » كما جاء في رســالة « أصول ألفاظ اللهجة العراقية ص ٦٦ ، ٦٧ » ، فقد عرفت قبل المائة السادسة بسنين كثيرة وذكرت في القاموس .

(٢) كتاب الحوادث « ص ٤٩٦ » .

(٣) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة « ١ : ٤٢٧ » .

وترسل مليح ، وتصرّف جميل وينظم الشعر الجيد في المعاني ويجيد الضرب بالعود [1] » .

وكان آذينة هذا من المؤيدين لأخوال صفي الدين عبد العزيز الحلي الشاعر على خصومهم من آل أبي الفضل العلويين ، قال ابن مهنا المعروف بابن عنبة في أخبار السيد زين الدين هبة الله العلوي الحلي النقيب : « أما زين الدين هبة الله فتولى النقابة الطاهرية وصدارة البلاد الفراتية وغيرها ، وقتل بظاهر بغداد سنة إحدى وسبعمائة ، قتله بنو محاسن بدم صفي الدين بن محاسن ، وكان السيد [زين الدين] قد أمر به فرُفِس فمات . وقتلوه قتلة شنيعة ، ورخص لهم في ذلك آذينه حاكم بغداد [2] » .

ومن الأخبار التي تشعر بمعاصرة مؤلف الحوادث لقسم من الحوادث قوله في حوادث سنة ٦٩٦ : « فيها أمر السلطان غازان بقتل صدر الدين محمد بن عبد الرزاق الخالدي صاحب ديوان الممالك ، لما ظهر من سوء حركاته ، وكان غير محمود السيرة ، ظالماً ، أظهر الجور وقسر الناس على المعاملة به فأضرّ بهم وبطلت معايشهم وتعطلت أمورهم إلى أن لطف الله تعالى وألهم السلطان إبطاله [3] ... » . فقوله « إلى أن لطف الله تعالى وألهم السلطان » لا يقوله فيما أرى إلا مؤرخ معاصر له هوى في الدولة الايلخانية وسلطانها .

ومنها قوله في حوادث سنة ٦٨٨ يذكر قتل مجد الدين إسماعيل [4] بن الياس البغدادي الصاحب والد العالم الطبيب يوسف بن إسماعيل بن الياس ابن الكتبي مؤلف كتاب « ما لا

(١) التلخيص « ٤ : ٣٦ » .

(٢) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب « ص ٢٧٥ » من طبعة النجف .

(٣) الحوادث « ص ١٩٥ » .

(٤) ترجمه ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب في لقب مجد الدين « ٥ : الترجمة ٢٠٥ من الميم » . وترجمه الذهبي في تاريخ الاسلام نقلا من تاريخ ابن الفوطي وترجمه الدكتور أحمد عيسى في معجم الأطباء الذي جعله ذيل عيون الأنباء نقلا من تاريخ الذهبي وشوه ترجمته بالتصحيف . قال الذهبي في وفيات سنة ٦٨٨ : إسماعيل بن الياس الصاحب المعظم مجد الدين الكتبي . قال ابن الفوطي : قتل في جمادى الآخرة بالدار الشاطئية ، ذكر أنه كان يومئذ صائماً ، وكان من أفاضل الأعيان ، مليح الخط ، قد قرأ في الطب والهندسة والأدب ، وولي الأعمال الجليلة ، وكان جميل الجملة والتفصيل » . « نسخة دار التحف البريطانية ١٥٤٠ الورقة ٧٦ » .

يسمع الطبيب جبله (1) في الأدوية المفردة : « وقتل مجد الدين في يوم الأربعاء ثاني عشري الشهر [جمادى الآخرة] تحت الدار الشاطئية ، وسلمت جثته إلى أولاده ، وكان قتله آخر النهار وهو صائم ، فطلب ماءً ، فلما أُتي به نظر إلى الشمس وقد قرب غروبها فلم يشربه . وقال للسياف : اضرب ضربة واحدة ، فقال له : نعم . وكان رحمه الله من محاسن الزمان ، عالماً فاضلاً أديباً جواداً سخياً كريماً ، يكتب خطاً جيداً ويقول الشعر (2) ... » . فقوله : « كان من محاسن الزمان » يدل على أنه كان معاصراً له ، عائشاً في زمانه المزيّن بمحاسنه ، وإن كان ذلك الزمان على ما كان في الحقيقة ، ولو كان غير معاصر له لوجب عليه أن يقول « كان من محاسن زمانه » ، ويا عجبا من هؤلاء ذوي السير المتناقضة ، يتهالكون على المناصب وهم من المشتهرين بالعبادة ، إلى حدّ الصيام في شهر جمادى الآخرة .

ومنها قوله في حوادث سنة ٦٩٦ في أخبار السلطان غازان — ص ٤٩٢ — : « وفيها في المحرم سار السلطان غازان يريد العراق ... ثم توجه إلى بغداد بجيوش كثيرة وشمل الناس بالعدل والاحسان ، ولم يتعرض أحد من العسكر لأهل السواد بما جرت به العادة من رعي الزروع ، وغير ذلك وكانت (3) الرعية تسير بينهم ومعهم الأشياء المجلوبة للبيع ، فلا يأخذ أحد منهم شيئاً إلا ابتياعاً بالطلف واللين ، ورأى الناس من العدل ما أوجب زيادة دعائهم لدوام دولته ، فلما دخل بغداد لم يُنزل في دار إلا بأجرة وما أُزعج أحد من منزله ثم إنه دخل المدرسة المستنصرية من الدار المجاورة لها وكان يسكن بها نظام الدين محمود شيخ الشائخ ... » . ثم قال : « وتألم الناس من إلزامهم بالخراج ذهباً أحمر ، وكان جمال الدين الدستجرداني قد استوفاه منهم في السنة الماضية كذلك ... فأمر السلطان بإجرائهم على عادتهم منذ فتحت بغداد ، فتوفر عليهم

(1) منه نسخة في خزانة كتب الأوقاف ببغداد أرقامها في التسجيل الجديد « ٣٠٠٢ » كما في الكشاف عن مخطوطات خزانة كتب الأوقاف « ص ٢١٧ » وهي كاملة ، وفي خزائن الكتب في قسم من دول أوربة نسخ منه ناقصة .

(2) الحوادث « ص ٥٠٨ » .

(3) من هنا إلى قوله : ثم إنه ... أسقط من النسخة المطبوعة ، أسقطه ناسخ خبيث في أثناء النسخ .

شيء كثير من التفاوت فزادت أدمغتهم ».

ويلوح لي أن هذا الاسلوب من اقتصاص الخبر لا يأتيه إلا معاصر للسلطان غازان المذكور وذلك يتبيّن جداً في قوله : « وزيادة دعائهم لدوام دولته » وقد انتهى هذا الجزء من تاريخه في أثناء دولته ، في سنة (٧٠٠) كما ذكرنا من قبل .

ومن المعلوم أن ابن الفوطيّ رجع الى بغداد من مراغة سنة ٦٧٩ كما صرّح هو به غير مرة في تلخيص معجم الألقاب [1] ، وهذا يوجب أن يكون مطلعاً على حوادث بغداد من كثب ، وملتزماً جانب الصاحب علاء الدين الجويني ، وهو الذي أعاده إلى العراق ووكل اليه كتابة التاريخ ، كما نقلنا من قبل ، وقد جاء في الحوادث لسنة (٦٨٠) قول مؤلفه : « وقبض السلطان [أبا قاخان] على علاء الدين صاحب الديوان وأصحابه ونوابه وأتباعه وسلم الى الصاحب مجد الملك فاستوفى منه أموالا كثيرة [2] ... » فتأمل قوله كيف جرّد علاء الدين من لقب « الصاحب » الذي هو به أجدر وعليه أشهر ، وألحقه بمجد الملك عدوّه الأزرق ؟ أيجوز أن يكون هذا ابن الفوطي ؟

وجاء في حوادث سنة ٦٨٩ قول مؤلفه : « وفيها سقط بعض الفقهاء بالمدرسة المستنصرية من غرفة [3] إلى صحن المدرسة فمات من يومه [4] » . ولو كان الكاتب ابن الفوطي لذكر اسم الفقيه ، ويُراد به طالب الفقه يومئذ ، ذلك لأن ابن الفوطي كان قريباً جداً من موضع الحادثة فلا تفوته معرفة اسم الفقيه ، على أن هذا غير لازم له .

وذكر مؤلف الحوادث في السنة المذكورة أنه « فيها فُقد الشيخ الظهير أحمد بن عبدالقادر

---

(١) كقوله في ترجمة أحمد بن علي بن محمود الفارقوني الصدر : « وحصلت بيني وبينه مودة مؤكدة أيام قدمت من مراغة سنة تسع وسبعين وستمائة » . « ٤ : ٢٢٣ » وكذلك ما في ترجمة منتجب الدين عثمان .

(٢) الحوادث « ص ٤١٥ ، ٤١٦ » .

(٣) الغرفة هي بيت يكون على سطح الطبقة الأولى من البنيان فا فوقهـا ، ومن الخطأ الشائع تسمية « الحجرة » بالغرفة .

(٤) الحوادث « ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ » .

الجيلي الحنبلي من مدرسة جده ... فوجد في سنة ست وثمانين [وستمائة] في بئر داره التي في مدرسة جده وعرف بخاتم كان في يده ، حكى بعض أصحابه أنه رآه في المنام بعد فقده بثلاثة أيام فسأله عن حاله فقال له : يضرب الفشل عن يديه تحت الرحى فكيف بمن قد عمل كله تحت الرحى (١) » . وهذا المنام على حسبان أن صحته ممكنة لا يذكره مؤرخ حنبلي كابن الفوطي عن شيخ حنبلي من آل عبد القادر الجيلي هو الشيخ ظهير الدين المذكور ، ثم إنه لو كان القائل ابن الفوطي لقال « حدثني فلان من أصحابه ... » أو « حكى لي ... » ، ولو كان ابن الفوطي لكان يؤرخ السنين بالترتيب ولم ينقل في ذكر رجل فُقد سنة ٦٨١ : « فوُجد في سنة ست وثمانين وستمائة في بئر داره ... » ، فهذا يدل على أن المؤرخ كان ينقل من كتب التاريخ ويلم أطراف الأخبار والتراجم بدراية وبراعة ، ومثل هذا قوله في أخبار السنة المذكورة ٦٨١ : « وفيها أبطلت الفلوس النحاس وضرب عوضاً منها فلوس فضة وجعلت كل اثني عشر فلساً بدرهم وسميت (دناكش) ثم أبطلت في سنة ثلاث وثمانين ، وأعيدت الفلوس النحاس وتعامل الناسُ بها ، كل ثلاثين فلساً بدرهم » .

وجاء في أخبار سنة ٦٨٦ قول مؤلف الحوادث : « ووقع بنيسان برد كثير أتلف الزروع في أعمال بغداد ، قال الشيخ ظهير الدين الكازروني في تاريخه : حكى لي قاضي طريق خراسان أن جماعة شهدوا عنده أنهم رأوا في ناحية الخوزية من أعمال براز الروز برداً كباراً فيه بردة طويلة عظيمة كالرجل النائم ، والله أعلم (٢) » فلو كان المؤرخ ابن الفوطي لوصل إليه الخبر ولم يحتج الى تاريخ ظهير الدين ، ولم ينتظر وفاة ظهير الدين أي من سنة ٦٨٦ إلى سنة ٦٩٧ حتى يسجل هذا الخبر .

ومن الدلائل على أن المؤلف كان ينقل من التواريخ إلى ما بعد سنة ٦٩٤ وسنة ٦٩٨ المتقدم ذكرهما قوله في أخبار مقتل فخر الدين مظفر بن الطراح في هذه السنة : « وله أشعار كثيرة

---

(١) الحوادث « ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ » .

(٢) الحوادث « ص ٤٤٣ » .

مدح بها الصاحب علاء الدين بن الجويني وأخاه شمس الدين وآخر ما قاله وهو في السجن بدار الشابة ببغداد قبل أن يقتل بأيام ، ووُجدتْ بخطه :

القول فيما مضى من عمرنا هـدرُ فدعه واصبر لما يأتي به القدرُ[1] »

فقوله « ووُجدَت » يعني به القصيدة ، ولو كان المؤرخ ابن الفوطي لاستطاع الحصول عليها بلا واسطة يُبنى الفعل للمجهول من أجلها ، هـذا ومن العجيب أن ينتهي هذا التاريخ بسنة سبعمائة ولا نجد له خاتمة يختمه بها المؤلف ، كما جرت به عادة المؤلفين قاطبة ، أفمات فجأة ؟ أم عاقه عن التسجيل عائق قهار ؟ أم هذا جزء من تاريخه ؟ إنه كان من الحاجة بحيث أزق على أخبار من أخباره ورقات فكتب فيها غيرها كما رأيناه في نسخة الأصل المحفوظة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية بالقاهرة .

وإذ نفينا أن يكون كتاب « الحوادث » هـذا المطبوع ، من تأليف ابن الفوطي ، ينبغي لنا أن نولي الوجه شطر مُعاصريه من مؤرخي العراق ، وقد ذكر هو منهم جماعة ، يجوز نسبة كتاب الحوادث إلى غير واحد منهم فأولهم فخر الدين أبو الفضل محمد بن مجد الدين علي بن أبي اليامن بن أمسينا الواسطي الصدر الكاتب ، قال ابن الفوطي بعد ذكره لقبه واسمه على النحو الذي ذكرته : « قدم مدينة السلام وحصل لي به أنس واجتماع وهو صـدر فاضـل ، من بيت الرئاسة والتقدم وكان عارفاً بالحساب والضبط ، في الكتابة والخط ، والتقط فوائد تاريخ شيخنا تاج الدين أبي طالب [علي بن أنجب ابن الساعي] وهو عالم بالحوادث والتواريخ . سألته عن مولده فذكر أنه ولد في شوال سنة اثنتين وأربعين وستمائة[2] » .

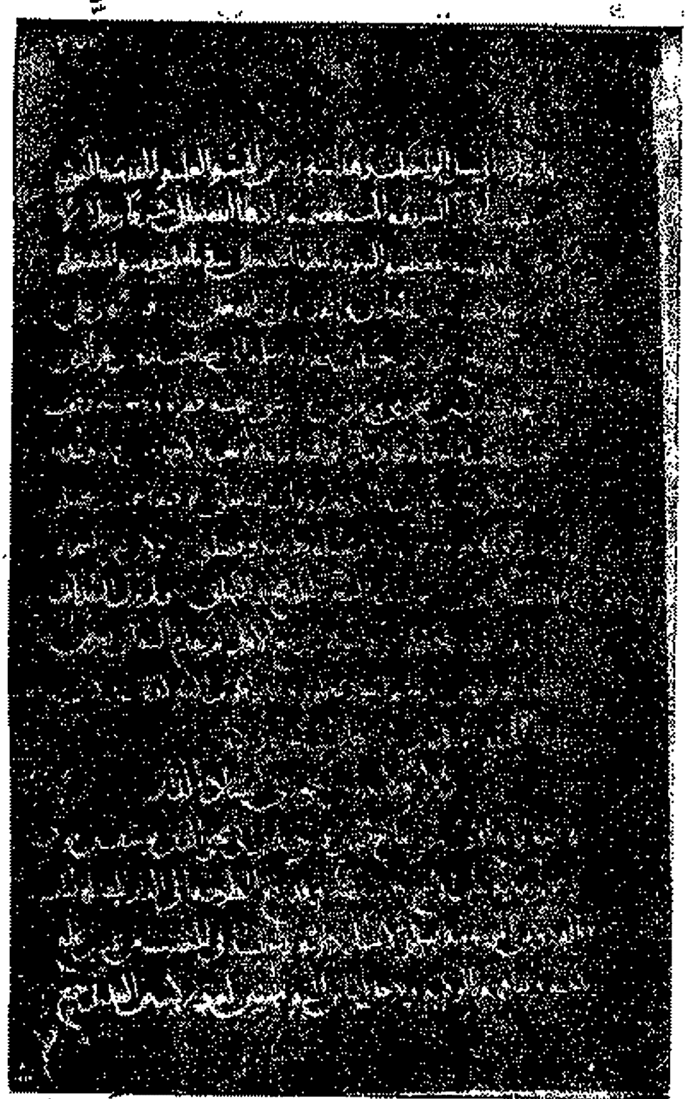
وقد ذكره ابن الفوطي أيضاً في ترجمة والده مجد الدين أبي الحسن علي بن أبي اليامن بن أمسينا الواسطي الكاتب وبعد أن ذكر ، نقلاً من تاريخ ابن الساعي ، أن والده رتب مشرفاً بدار التشريفات العباسية ثم وكيلاً بباب الحجرة العباسية ثم ناظراً في طبق الأقطار الرمضاني

---

(١) الحوادث « ص ٤٨٥ » .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٢٦٦ من نسختي بخطي » .

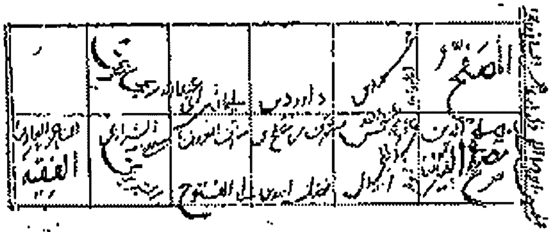
العباسي قال : ذكر لي ولده فخر الدين محمد قال : توفي والدي سنة إحدى وثمانين ببغداد[1] .



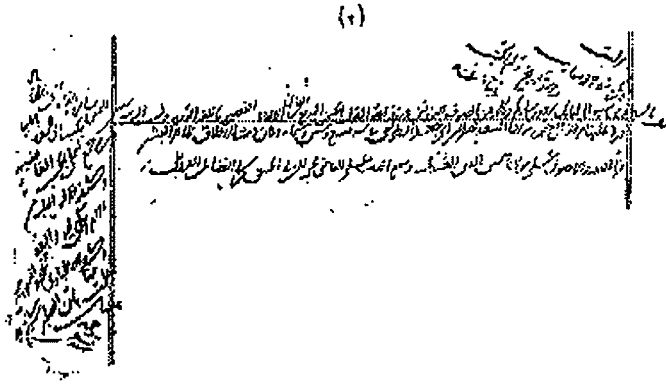
صفحة من كتاب « الحوادث » بخط مؤلفه

(١) التلخيص ٤ ، ٥ : الترجمة ٢٩٩ من الميم ٤ .

وذكره في ترجمة رجل آخر من بني أمسينا قال : « عميد الدين أبو الثناء محمود بن أحمد بن أمسينا الواسطي ، ناظر واسط ، كان من الصدور الأكابر ، ولي الولايات الجليلة ، حدثني عنه نسيبه الصدر الرئيس فخر الدين محمد بن أمسينا سنة تسعين وستمائة[1] ... » .



(٢)



(مثالان من صفحتين متقابلتين من تلخيص معجم الألقاب بخط مؤلفه ابن الفوطي)

والقائل أن يردّ عليّ قولي هذا بأنه لو كان مؤلف كتاب الحوادث فخر الدين محمد بن أمسينا

(١) التلخيص ٤ : ١٤٨ .

ما جاء ذكر والده في كتابه بغير إشارة إلى أبوة ولا الى قرابة [1]، فقد جاء في أخبار سنة ٦٣٥ من كتاب الحوادث: قوله « وفي شعبان رتب شمس الدين عبد العزيز محمد بن خليد مشرفاً بدار التشريفات نقلاً من الكتابة بها، ورتب مجد الدين علي بن أبي الياس بن أسبيذا الواسطي كاتباً بها [2] »، ولو كان هو مؤلفه لذكر وفاة والده سنة ٦٨١ مع أنه ذكر وفاة غيره ممن هم دونه شهرة ومقاماً، وبهذا الاعتراض يهون الافتراض.

ومن المؤرخين الذين يجوز أن ينسب اليهم كتاب « الحوادث » المطبوع « محب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر العلوي الكرجي ثم البغدادي المقرئ » ، قال ابن الفوطي بعد ذكر لقبه واسمه على الصورة المتقدم ذكرها: « من العلماء الثقات، والحفاظ الأثبات، قرأ القرآن الكريم على والده، وكان كثير التلاوة، عارفاً بالتفسير والقراءات... وكان كثير المطالعة عارفاً باللغة، ورتب شيخ دار القرآن المعروفة بالبشرية [3]، على ساحل دجلة بالجانب الغربي واشتغل عليه جماعة من الأعيان. سألته عن نسبه فذكر أنه ينتمي إلى الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وسألته عن مولده فذكر أنه ولد في العاشر من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وستمائة، وصنف تاريخاً على السنين، وتوفي في صفر سنة إحدى وعشرين وسبعمائة، وكان قد تسلى [فوجب [4]] ولم يعلم بموته غير زوجته ودفن بباب حرب [1] ».

وكتاب الحوادث منطبق على التاريخ الذي ألفه هذا الفاضل اللغوي المقرىء، ويكون مزوه

(١) ومن الأدلة على نفي أن يكون ابن الفوطي مؤلفاً لهذا الكتاب ذكره الموفق عبد القاهر بن الفوطي بغير إشارة إلى قرابته منه « ص٢٨ » وعدم ذكره في الشهداء الذين قتلوا صبراً بأيدي المغول، كما نقلت قبلاً.

(٢) الحوادث « ص ١٠٣ ».

(٣) جاء في حوادث سنة ٦٥٢ من كتاب الحوادث — ص ٢٧٥ — : وفي سلخ شعبان فتحت دار القرآن التي أمرت بعمارتها والدة الأمير أبي نصر محمد الخليفة المستعصم المعروفة بباب بشر التي بنت المدرسة البشرية، وهذه الدار على شاطىء دجلة بغربي بغداد »، وتفصيل تاريخها مذكور في المسجد المسبوك « الورقة ١٨٤ ». ولعلها كانت في أرض المستشفى العتيق فوق مسجد قرية العتيق المعروف بهذا الاسم الى اليوم.

(٤) استرجحت هذا الفعل، وهو من قولهم: « وجب الرجل إذا سقط ومات كما في الصحاح.

إليه راجحاً على غيره من الحزر ، وأمارات ميل المؤلف الى العلويين واضحة جداً ، ومع ذلك فالجزم في هذا الأمر غير ممكن لي ، وإنما قلت ذلك على سبيل الاسترجاح بعد نفيي أن يكون كتاب الحوادث من تأليف ابن الفوطي نفياً باتاً ، بما قدمت في هذه المقالة «ص ٣٧٢» وما أخرت فيها .

وبهذا اجتزىء من الكلام على هذا الجزء النفيس من كتاب «مؤرخ العراق ابن الفوطي» وهو بمثابة فضل الزينة للجميل ، وزيادة التوقير للجليل ، وقد اتبعت طريقة مؤلفه في الاستطراد حذر الاملال ، وأجبت عما تعرّض لي به مؤلفه العلامة النبيل ، وإن لم يصرّح باسمي ، كما جاء في الصفحات ٢٨، ٢٩، ١١٢، ١٨٨ من كتابه ، وأشكر له عنايته بدراسة كتاب الحوادث ، وتنبيهه على بعض الخلل الذي وقع في «ص ٢١٩» وإصابته للصواب في إصلاحه «ص ١١٣» ، وقد عداني إفضاله على مطبوعي الذي طبعته سنة ١٣٥١ = ١٩٣٢ على أن أفضل ، بحسب جهدي ، على مطبوعه هذا الذي طبعه سنة ١٣٧٨ = ١٩٥٨ ، وما أحسن هذا الهادي ! وما أجمل أن يستهديه البادي ! والله تعالى الموفق للصواب ، الهادي إلى الرشد والسداد .

مصطفى جواد

الأعلام

ط ثانية ١٠ أجزاء

تأليف خير الدين الزركلي

طبع هذا الكتاب في سنة ١٩٢٣ في ثلاثة أجزاء . وطبع حديثاً طبعة ثانية في عشرة أجزاء ، وهي في الواقع مؤلف جديد من حيث السعة والتبويب والإضافات ، وهو مجهود عظيم يشكر المؤلف عليه ويقدر .

وفي جملة ما أضافه المؤلف الى هذه الطبعة عدد كبير من التصاوير ، تصاوير المترجمين وتصاوير خطوطهم ، وقد يسر المؤلف بذلك للقارىء الوقوف على صور المترجمين ، وعلى صور خطوطهم وامضاءاتهم في بعض الأحيان ، فأحسن بذلك صنعاً إذ زوّد الراغبين في الوقوف على تطور الخط العربي بنماذج مفيدة جداً في تكوين رأي في تطور هذا الخط ، كما زوّدهم بنماذج من خطوط بعض المستشرقين ورسائلهم في العربية ، وهي نمط خاص في الكتابة العربية يريك مقدار تضلع أصحابها ومبلغ اجادتهم لها .

والكتاب معجم تاريخي للرجال ، وضعه المؤلف على حروف الهجاء ، وذكر فيه علماء العرب والمسلمين ، وترجم للمستشرقين أيضاً لصلتهم بالعالم العربي من حيث اشتغالهم بالعربيات ، وقد حاول المؤلف جهده الإحاطة بأكبر عدد ممكن من الأعلام وادخالهم في هذه الموسوعة في الرجال وتركيز الكلام عليهم بقدر الإمكان .

وعمل مثل هذا إنما تقوم به الجامعة في العادة في بلاد الغرب ، توزع العمل على المتخصصين فيتولى كل منهم كتابة ترجمة أو جملة ترجمات تيسيراً للعمل وإتقاناً له والإحاطة بالمادة الواحدة إحاطة تامة مع مراعاة التركيز فيها والإيجاز جهد الامكان ايجازاً مركزاً غير مخل ، لا يترك شيئاً من المادة إلا ويحصيها ويحيط بها . ثم إن هذه الجامعة ترسم الحدود وتضع الخطط ، كما

يعمل المهندس حين يقدم على إنشاء بناء ، فاذا انتهت من كل ذلك ، شرعت في شق الأسس ثم أقامت البناء .

أما في الشرق ، حيث لا تزال الفردية هي المتغلبة على كل ناحية من نواحي الحياة فيه ، حتى العلمية منها ، فإن الأعمال لذلك أكثرها من نتاج الفرد لا الجماعة ، والأعمال الفردية مضنية متعبة تنال من الفرد ، فتقلل من عمله وإنتاجه ، ولا تكون متقنة كاملة لسعة العمل لأن قدرة الفرد محدودة ، واحاطته احاطة علمية عميقة بأنواع كثيرة من أنواع المعرفة تكاد تكون مستحيلة . كما في مثل هذا المشروع الضخم الذي تناول تراجم أناس عاشوا في منطقة واسعة تشمل العالم القديم برمته ، كما عاشوا في حقب تزيد على (١٥٠٠) سنة ، وقد تعاطوا مختلف فروع المعرفة والحياة الانسانية ، وانتموا الى أديان ومذاهب متعددة متنافرة .

ومن هنا يشكر المؤلف الجامع على مجهوده في جمع مادة هذه الأجزاء العشرة ، وهو مجهود لا يقدره بالطبع إلا من كتبت له معاناة التأليف والجمع ، حيث يكون المؤلف في الغالب وحيداً ينسخ ويؤلف ويجمع ويرتب ويصحح ، ثم يقوم بأعمال الطبع والنشر من ماله الخاص أو ببعض المساعدات . ولولا الهوى الذي يدفع الانسان الى الاشتغال بمثل هذه الاشغال المضنية ، لما أقدم إنسان على عمل لا ينال صاحبه منه في الغالب إلا الضنى والخسارة المادية والوقوع تحت طائلة الديون .

وقد شرح المؤلف في مقدمة الجزء الأول الطريقة التي سار عليها في وضع هذا الكتاب ، فذكر أنه تعرض لترجمة الأعلام الأموات فقط ، أما الأحياء فقد تركهم « مخافة الوقوع فيما لا يحمد ، والانسان قد يتغير » . وأما المتأخرون الأموات ، فقد أهمل كثيراً منهم « ثقة بأن كتب المؤرخين مفعمة بأخبار هؤلاء ، وحرصاً على استيفاء ما لم يدون من سير أولئك » ، وذكر أن ميزانه في الاختيار هو « أن يكون لصاحب الترجمة علم تشهد به تصانيفه ، أو خلافة ، أو ملك ، أو إمارة ، أو منصب رفيع - كوزارة أو قضاء - كان له فيه أثر بارز ، أو رياسة مذهب ، أو فن تميز به ، أو أثر في العمران يذكر له ، أو شعر ، أو مكانة يتردد بها اسمه ،

أو رواية كثيرة ، أو أن يكون أصل نسب ، أو مضرب مثل . وضابط ذلك كله أن يكون ممن يتردد ذكرهم ويسأل عنهم »[1] .

وذكر في مقدمته للطبعة الأولى طريقته في ترتيبه فقال : « ورتبته على الحروف ، مبتدئاً بحرف الاسم الأول ، ثم بضم ما يليه اليه . فيكون آدم قبل آمنة لتقدم الدال الميم ، وآمنة قبل ابراهيم لاثنين في بدء الأول ، ومحمد قبل محمود لسبق الدال الواو .. » . أما ما كان مبدوءاً بلفظ « أب » أو « أم » أو « ابن » أو « بنت » كأبي بكر وأم سلمة وابن أبيه وابن أبي دؤاد ، فعددت الأب والأم ونظائرها لغواً ، وجعلت « أبا بكر » في حرف الباء مع الكاف وما يتلوها ، وأم سلمة في حرف السين مع اللام ... » .

وذكر أيضاً أنه راعى في ترتيب الأعلام التقيد بالاسم الأول للشخص ، أي اسم العلم الخاص فأورد ترجمة الغزالي مثلاً في حرف الميم ، لأن اسمه « محمد بن محمد[2] » ، ولم يذكرها في باب الغين مادة « الغزالي » ، بل اكتفى في هذا الباب بذكر « الغزالي = محمد بن محمد ٥٠٥ » وذكر بعد هذه الجملة جملة أخرى هذا نصها : « الغزالي = أحمد بن محمد ٥٢٠ »[3] . وسار على هذا المنوال في كل الترجمات .

ولو كانت الشهرة عند العرب أو عند غيرهم تقوم على أساس الاسم الأول ، لما كان لأحد أن يعترض على هذه الطريقة المزدوجة في ترجمات الأعلام . وإنما هي في كثير من الأحوال لا تقوم على الاسم الخاص ، بل تقوم ــ واستطيع أن أقول في الغالب ــ على اسم الأسرة أو على الكنية أو اللقب ، أو على الحرفة ، أو النسبة الى بلد ما حيث تطغى هذه الشهرة على الاسم حتى عند الاختصاصيين . فلو قلت لأحد : من هو « محمد بن محمد » المتوفى سنة « ٥٠٥ للهجرة » ؟ لما أجابك إلا اشخاص معدودون . أما إذا سألت من هو « الغزالي » ، فإن نسبة الإجابة تكون

(١) الأعلام ١/١٢ .

(٢) الأعلام ٧/٢٤٢ .

(٣) الأعلام ٥/٢١٠ .

في هذه الحالة صعبة جداً ، ثم إن جملة « محمد بن محمد » لا تكفي وحدها في ارشاد القارىء الى الشخص ، ففي الجزء الخامس الذي يجب أن نبحث فيه عن ترجمة « الغزالي » ، وهو الجزء المحتوي على حرف الميم ، فيه عدد كبير من الرجال عرفوا بـ « محمد بن محمد » ، فعليك في مثل هذه الحالة أن تورّق وتورّق حتى تصل الى الصفحة (٢٤٧) وفيها : « محمد بن محمد ابن محمد الغزالي الطوسي » المتوفى سنة (٥٠٥) للهجرة . وتجد قبل هذه الترجمة ترجمة « البزدوي » « محمد بن محمد بن الحسين » المتوفى سنة (٤٩٣ هـ) وبعدها ترجمة « ابن هندويه » « محمد بن محمد بن الحسن بن الحسين بن حسكويه » المتوفى سنة (٥٠٧) للهجرة ، وقل مثل ذلك من أبي العلاء المعري وعن الطبري وعن الطوسي وعن أبي حنيفة ، وعن أبي بكر وعن ابن سينا والفارابي والكندي وغيرهم .

وقد طبق المؤلف طريقته هذه حتى على المستشرقين ، فأتعب نفسه بذلك وأتعب القرّاء ، وخالف بذلك عرف الغربيين في تسمية الأشخاص . فالغربيون كما هو معروف لا يدعون الأشخاص بأسمائهم الأولى ، بل يدعون الناس ويترجمون حياتهم ويكتبون عنهم بأسمائهم الأخيرة ، وهي أسماء الأسر في الغالب . وكل الأسماء الغربية التي نسمع بها في الذياع أو « التلفزيون » أونقرؤها في الكتب والجرائد الأجنبية هي على هذا النحو . ولهذا كان ادخاله اسم « ميون »[1] ، و « فيشر »[2] و « مولر »[3] و « جريفيول »[4] و « شولتز »[5] في الجزء الأول وفي مادة حرف « الألف » على اعتبار أسماء هؤلاء الخاصة مبتدئة بهذا الحرف ، عملاً متعباً للقارئ ، ومخالفاً لعرف أصحاب هذه الأعلام .

ثم إن الدارسين للعلوم العربية والاسلامية في بلاد الغرب والمستشرقين أنفسهم لا يدعون

---

(١) الأعلام ١/١٩ .

(٢) الجزء الأول الصفحة ١٩ .

(٣) المصدر نفسه الصفحة ٢٠ .

(٤) كذلك الصفحة ٢١ .

(٥) كذلك الصفحة ٢٤ .

هؤلاء وأمثالهم ، ولا يشيرون اليهم ويذكرونهم في مؤلفاتهم ، إلا بأسمائهم الأخيرة . ولا نجد أحداً يذكر « نولدكه » في باب الثاء على اعتبار أن اسمه الأول هو « تيودور » أو « ادوارد » أو « سخاو » أو « بروكلمن » أو « سترستين » أو « نالينو » أو « ثورنبرك » وأمثالهم في مادة « كا » ، بحجة أن اسم هؤلاء الأول هو « كارل » ، بل يذكرونهم في باب الحرفين الأول والثاني من الاسم الأخير ، الاسم الذي اشتهر به الأسر عند الغربيين ، وذلك كأن يذكر « نولدكه » في باب « نولدكه » و « سخاو » في مادة « سخاو » و « نالينو » في باب « نالينو » وهكذا ، إبعاداً للتعب عن القارئ ، ولئلا يضطر فيرجع الى الاسم في موضعين من مواضع أجزاء الكتاب للوقوف على الترجمة . ثم إن أكثر الناس حتى المتخصصين لا يتذكرون الاسم الأول للمستشرقين وانما يعرفونهم بأسمائهم الأخيرة ، حتى لنجد كتبهم تختصر أسماءهم الأولى في الغالب وتكتفي بذكر الحروف الأولى منها فقط ، وذلك لاشتهار الرجل عندهم باسمه الأخير ، لا باسمه الأول ، فكان واجباً على المؤلف أن يراعي هذه الطريقة في ترتيب تدوين الأعلام .

وعندي أن المؤلف لو سار على طريقة أهل الموسوعات في الزمن الحاضر لأراح قراءه كثيراً ولخلصهم من الرجوع الى الترجمة مرتين . وطريقتهم في تدوين الترجمة السير على شهرة صاحب الترجمة . فإذا أردت الرجوع الى « الطبري » ، وهو « أبو جعفر محمد بن جرير » ، المفسر والمؤرخ والفقيه المعروف ، رجعت الى حرف « الطاء » ، وذلك لاشتهار الرجل بنسبته هذه الى طبرستان ، أكثر من اشتهاره باسمه الأول بين العلماء والمتخصصين [1] . وإذا أردت الوقوف على ترجمة « الطوسي » مثلاً رجعت الى هذا الحرف كذلك ، لاشتهاره بهذه النسبة أكثر من اشتهاره بـ « نصير الدين أبي جعفر محمد بن محمد بن الحسن » ، وهو العالم المعروف بعلم الهيأة . أو « محمد ابن الحسن بن علي أبو جعفر » المتوفى سنة « ٤٥٨ » أو « ٤٦٠ » للهجرة وهو من كبار علماء الشيعة في العراق . وإذا أردت الوقوف على ترجمة « المدائني » مثلاً ، رجعت الى حرف « الميم » لشهرته بـ « المدائني » بين العلماء والمتخصصين أكثر من اشتهاره بـ « علي بن محمد بن

(١) راجع دائرة المعارف الاسلامية ٤/٥٧٨ : (الطبعة الانكليزية) .

عبد الله »[1] . وهكذا قل عن بقية الترجمات . وعلى هذا النسق ، رتبت ترجمات الأعلام في « دائرة المعارف الاسلامية » وفي « دائرة المعارف البريطانية » ، وفي سائر الموسوعات الأخرى المؤلفة في مختلف اللغات الغربية .

وقد تذمر المؤلف في المقدمة من الصعوبات التي لاقاها في تدوين أسماء المستشرقين وفي ضبطها ، وذكر أمثلة على ذلك . والواقع أن الكتاب والمؤلفين والمترجمين قد أتبعوا مذاهب شتى في ضبط الأسماء الأعجمية . وقد وقع مثل هذا في صدر الاسلام وفي أيام الخلافة العباسية خاصةً عند انهماك القوم في التعريب . ومَرَدُّ هذا الاضطراب الى عوامل عديدة ، منها جهل الشخص الذي يريد ضبط اسم ما بلغة صاحب الاسم ، فيتخبط فيه ان كان لا يعرف من اللغات الأعجمية إلا قراءة الحروف ، فيكتبه على وفق الحروف التي يجدها مطبوعة امامه ، بينما هي في التلفظ والنطق شيء آخر ، وقد يكتبه على نمط نطق أهل لغة أخرى ، فيقع في خطأ آخر ، كأن يضبط الاسم الألماني أو الانكليزي على وفق النطق الفرنسي ، أو الاسم الفرنسي على أسلوب النطق بالألمانية ، وهكذا ، فيقع الضابط للاسم في خطأ لايدري به . والمعروف أن النطق ببعض الحروف يختلف بين لغة وأخرى . ثم إن الأقطار العربية قد تختلف أحياناً في أسلوب تدوين بعض الحروف المنقولة من الاجنبيـــة ، كحرف الـ «G» الذي ينطق « كافا » في الألمانية أو الانكليزية يكتب « جيماً » في العربيـة المصرية مثلاً ، ذلك لأن المصريين ينطقونه « كافاً » عند القراءة على طريقتهم في إبدال حرف « الجيم » بـ « الـكاف » . فكلمة « انجليز » مثلا تقرأ بالـكاف بدلا من الجيم عنـد النطق باللفظة في مصر ، أما في العراق فتكتب بـ « انكليز » أي بالكاف وتقرأ على نحو كتابتها . واسم « Ignace » ، «Ignatz» الألماني يكتب « اجناس » في مصر ويقرأ « اكنـاس » . أما في العراق ، فيكتب ويقرأ « اكناس » ، وغير ذلك من أسباب يخرجنا البحث فيها عن حدود هذا الموضوع .

والعرب بعدُ ، طريقة في ضبط الأعلام الأعجمية ، تتفق مع قواعد النطق بالعربية . والجمع

---

(١) راجع دائرة المعارف الاسلامية ٣/٨١ (الطبعة الانكليزية) .

اللغة العربية بالقاهرة بحوث وقرارات في ضبط الأعلام الأعجمية ، دونت في مجلته . وقد وقف عليها الأستاذ المؤلف كما أشار الى ذلك في مقدمته . ولما كان كتابه هذا من المؤلفات العلمية التي يرجع اليها ، كان من الواجب عليه الرجوع إلى قواعد مجمع اللغة في ضبط الأعلام ، والى الألمان الموجودين في مصر أو الى الأساتذة المصريين البارعين في الألمانية في تدوين الأعلام الألمانية وضبطها مثلا ، أو الى الايطاليين المقيمين في مصر في ضبط الأعلام الايطالية ، وهكذا بالنسبة الى الأعلام الانكليزية أو الفرنسية ، وبذلك يتخلص من هذه الشكلات التي لم يتمكن من التخلص منها حتى في طبعته هذه الجديدة ، ويضع للقارئ وللكتاب الذين سيرجعون الى مؤلفه أسماء مضبوطة ضبطاً متقناً يعتمد عليه .

وقد لاحظت مثلا في ترجمته لأحد المستشرقين ، وهو «Ignatz Goldziher» أنه كتبه « كولد سهر » في مقابل سني الولادة والوفاة ، وكتب تحته « اجناس كولد سهر » ، ثم قال : « مستشرق مجري موسوي » ، يلفظ أسمه بالألمانية إجناتس جولدتسيهر » . وقد كان الواجب على المؤلف أن يكتب الاسم بطريقة واحدة ، هي الطريقة الألمانية ، ذلك لأن المؤلف وان كان مجرياً ويهودياً ، لكنه كان يتكلم الألمانية ، وبها ألف جل مؤلفاته ، وأن يكتب الاسم على هذه الصورة : « إگناتس گولد تزهير » ؛ لأن النطق بحرف الـ « G » هو « گ » في هذه الحالة . كما أن النطق بحرف الـ « Z » الذي يلي حرف الـ « t » هو « تزيت » لا « تسيت » . أي « سين » كما كتبه المؤلف [1] .

ولاحظت أن المؤلف استعمل « آو » لما يقابل «Au» فكتب « آوغست » لـ «August» التي هي « أغسطس » عند العرب . وقد استعمل قدماء العرب « أ » لـ «Au» في مثل هذه الحالة ، وذلك أقرب إلى النطق الغربي ، كما أن الكثير منهم قد أهمل حرف « الواو » ، فكتب « أغسطس » لـ « Augustus » ، ولم يعوضوا عن الـ «U» ، فكان

(1) ١/٨٠ .

الواجب نقل الاسم الى الهمزة اذن ، على طريقة المؤلف في السير على الأسماء الخاصة الأولى في ترجمات الأعلام .

ونلاحظ أن العرب القدماء قد ساروا على طريقة كتابة الحرف «t» « طاء » في التعريب ، فكتبوا « أغسطس » كما ذكرت ، وكتبوا أفلاطون وأرسطو وفلوطين وغير ذلك ، وذلك باستبدالهم الحرف اللاطيني المذكور الطاء . ولهم في ذلك قاعدة . وقد عرض مجمع اللغة العربية في القاهرة لها بالبحث كذلك .

وللعرب القدماء رأي كذلك في تدوين الحرف «P» وهم يكتبونه « فاء » في الابتداء ، كما أن لهم آراء في أصول تدوين بعض الحروف الأخرى ، مثل «G» الذي يقلبونه « غ » وال « K» وال «C» ، وأمثال ذلك . ونجد نماذج عديدة منها في كتب التواريخ ، مثل الطبري والمسعودي وحمزة الاصبهاني ، وفي الكتب المترجمة عن اليونانية واللاطينية ، وفي كتب الجغرافية القديمة والبلدان .

وقد لاحظت أن المؤلف لم يذكر من آثار المستشرقين إلا آثارهم العربية الضخمة ، أو بعض مؤلفاتهم المنقولة الى العربية . وهذا في رأيي نقص . وقد كان من الواجب ذكر كل آثارهم مهما كانت كبيرة أوصغيرة ، بالعربية أو بغيرها ، ليقف القارىء عليها . ولا عذر لإهمال المؤلف المؤلَّفَ منها باللغات الأجنبية بحجة أن المراجعين للكتاب عرب ، وأن أكثرهم لا يحسنون اللغات الغربية ، أو أن منهم من لا يتقن إلا لغة واحدة ، فلا فائدة اذن من ذكر تلك المؤلفات . وسبب ذلك أن الكتاب مرجع في ترجمات الأعلام ، والمفروض أن تكون كل ترجمة من ترجماته مركزة شاملة محيطة بحياة المترجم ، والآثار هي خلاصة حياة المترجم ، فإهمالها وعدم الاشارة إليها معناه نقص وإهمال . نعم قد يكون العذر أيضاً في صعوبة تدوين أسماء هذه الآثار بالحروف اللاطينية وطبعها . لكن العذر غير مقبول أيضاً . فما دام المؤلف قد حشر المستشرقين في الأعلام ، وجمعهم مع المترجمين على صعيد واحد وفي درجة واحدة ، فقد لزمه ذكر مؤلفاتهم

كاملة ، وتركيز حياتهم ، ليقف عليها القرّاء .

وقد وضع المؤلف أسماء المراجع في نهاية الصفحات ، تخالف بذلك الموسوعات الحديثة التي تضع المراجع في نهاية كل ترجمة ، باعتبار أنها جزء من الموضوع ، فلا يتشتت البحث ، ويضطر الراجع الى المراجعة في مكانين كما حدث في هذا الكتاب . واختصر المراجع ، وأهمل الكثير منها ، ولاسيا المهمة منهـا التي يجب أن يرجع إليها كل باحث في الأعلام وفي سير الماضين ، مثل كتاب « بروكلن » وملحقاته في « تأريخ الأدب العربي » . وهو سند كل من يريد الوقوف على الآثار العربية وأصحابها ، وتأريخ الآداب العربية لجرجي زيدان والموسوعة الاسلامية وأمثالها ، مع أنها مراجع مهمة تجب الأشارة إليها في كل ترجمة . نجد لها مكاناً في المراجع المذكورة ، ليستفيد منها القارئ ، خاصة أنها تتضمن أموراً كثيرة في سير المترجمين لم ترد في كتاب الأعلام .

وقد لاحظت أن الترجمات تحتاج الى استدراكات كثيرة ، والى تصحيحات . فلم يشر المؤلف مثلاً الى جريدة « المفيد » التي أصدرها « ابراهيم حلمي العمر » بعد عودته من بلاد الشام ، بل ذكر أنه واصل أصدار جريدة « لسان العرب » التي سبق أن أصدرها في دمشق ، على حين لم يصدر منها إلا أعداداً ، ثم أغلقت ، فأصدر « المفيد » في مكانها ، كما تجد ذلك في كتاب « تأريخ الصحافة العراقية » لعبد الرزاق الحسني . والظاهر أن المؤلف لم يقف عليه ، بدليل عدم اشارته إليه . وهناك أمثلة كثيرة من هذا القبيل .

وقد وردت في الكتاب ترجمات أناس ليست لهم من الآثار إلا أثراً واحداً أو أثرين أو أكثر لا قيمة لها من الناحية العلمية أو الاجتماعية أو الثقافية . أخذها من كتب التراجم التي ظهرت حديثاً بعد الطبعة الأولى للأعلام . ولما كانت هذه المؤلفات مثل : « الذريعة في تصانيف الشيعة » ، هي في موضوع آخر ، هو تدوين اسم كل من ترك أثراً مهما كان طابع ذلك الأثر كبيراً أو صغيراً ، مهماً أو غير مهم ، أو هي كتب فهارس مؤلفات ومؤلفين ، لذلك فان مهمتها تختلف عن مهمة كتاب (الأعلام) الذي يجب أن تنحصر حدوده في تراجم

الأعلام فقط . أما إذا أدخلنا فيه تراجم مثل من ذكرت ، فإنه سيخرج بذلك من دائرة الأعلام ويصبح مثل الكتب التي أشرت اليها ، ويجب عندئذ أن يتضاعف حجمه عدة مرات .

ومن أمثلة الزائد الذي لا أرى له مكاناً في هذا الكتاب تراجم أناس جاهليين مثل : « خثعم »[1] و« أبرهة بن الصبّاح »[2] و« أبرهة ذو المنار »[3] و« البرج بن مسهر »[4] وأمثالهم من الجاهليين الذين نجد أسماءهم في كتب الأخبار ، وعلى شكل أقاصيص لا أهمية لها كبيرة ، ولا يعد أصحابها من الأعلام . وقد لاحظت أنه وضع تواريخ وفيات لأكثر الجاهليين مضبوطة بالسنين الميلادية ، وأكملها بوضع ما يقابلها من السنين قبل الهجرة . ولا أدري كيف جوّز لنفسه وضع تواريخ الوفيات هذه ولا الى أي أساس استند في ضبط السنين وهو يعلم أن علم ذلك كله عند الله .

وأودّ أن أشير على المؤلف بضرورة حذف الجمل والعبارات القديمة التي تعوّد الناس قراءتها في الكتب المؤلفة على الأسلوب القديم ، مثل : رجل فاضل ، عالم شاعر شجاع جواد ، كان من أكابر ... وأمثال ذلك ، ان طبع كتابه مرة أخرى ، وذلك ما أرجوه ، وأن يختصر كثيراً في القصص القديم المنقول من الكتب القديمة وفي النقول التي اعتمد عليها وأخذها كما هي من صاحبها ، وذلك بتشذيبها وتهذيبها ، لتتناسب مع الذوق الحاضر والأسلوب العلمي في النقد وفي تدوين السير .

وبعدُ ، فإني أريد من القارىء ألاّ يتصور أن ما ذكرته يغمط حق الكتاب ، ويغمز في أهميته وفائدته وفي جهود مؤلفه ، وهو رجل فاضل أعرفه وأعرف قدره حق المعرفة . وقد أدركت أدبه وظرفه ولطف شمائله ودماثة خلقه يوم كنا (أنا وهو وأستاذي الجليل الكبير

(1) ٢/٣٥٢ .

(2) ١/٧٢ .

(3) المصدر نفسه .

(4) ٢/١٦ .

محمد بهجة الأثري) نجتمع للسمر الأدبي ونخوض في مختلف الأحاديث حين نفرغ لأنفسنا من اجتماعات مؤتمر المجامع العربية الثلاثة في مدينة دمشق سنة ١٩٥٦ م ، وما قلته في الكتاب هو رأيي ، وربما لا يشاركني فيه المؤلف ولا غيره ، وهو لا يؤثر في قيمة هذا السفر الضخم على كل حال . وكل انسان لا بد له هفوات ، ولا سيما في أمثال هـــذه الأعمال الضخمة كهذا الكتاب .

مصطلحات علم الكيمياء

كراسة في (١٣) صفحة ، تتضمن المصطلحات العربية الكيمياوية ورموزها ، وما يقابلها من مصطلحات ورموز في اللغة الانكليزية ، و (٧) صفحات أخرى لم ترقم عنونت بهذا العنوان : « آراء المجامع العلمية العربية التي تخالف رأي اللجنة » . وقصد باللجنة لجنة تألفت من ثلاثة أساتذة من أساتذة الكيمياء بمصر ، وأستاذ من سورية اجتمعت في آب ١٩٥٧ بالقاهرة للنظر في المصطلحات الكيمياوية المستعملة في سورية ومصر ، وذلك بمشاركة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية . وتذكر مقدمة الكراسة أن الادارة الثقافية قامت بعد انتهاء اللجنة من دراسة هذه المصطلحات بعرضها على المجامع العلمية العربية الثلاثة : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والمجمع العلمي العربي بدمشق والمجمع العلمي العراقي ، لابداء آرائها فيها ، « وبعد دراسة المجامع العلمية لترجمة المصطلحات وافت الادارة الثقافية بنتائج دراستها ، وهي في مجملها تقر ما انتهت اليه اللجنة التي شكلتها الادارة »[1] .

وانتهت الادارة الثقافية بعد ذلك الى الخلاصة الآتية : « لذلك أقدمت الادارة الثقافية على نشر هذه المصطلحات ، ليستخدمها الاساتذة والطلاب في المرحلة الثانوية في أنحاء العالم العربي ، وألحقت الإدارة المصطلحات المتفق عليها بالآراء التي بعثت بها المجامع العلمية لتكون

(١) الصفحة الرابعة .

عمل نظر بعد ذلك »[1] .

ثم اختتمت مقدمتها بقولها : « والادارة الثقافية إذ يسرها أن تقدم للأمة العربية أول جهودها في ميدان المصطلحات العلمية التي أصبحت من الأهمية بمكان في نهضة العرب الحاضرة ، تأمل أن توالي اصدار بقية المصطلحات العلمية الموحدة في القريب العاجل إن شاء الله »[2] .

وقد فهمت من نشر هذه الكراسة ومن مقدمة الادارة الثقافية لها أن المصطلحات المطبوعة قد أصبحت مصطلحات رسمية مقررة ، أقرتها الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، بعد أن مرت بمراحلها المذكورة في المقدمة ، وأن على وزارات المعارف في الدول العربية العمل على نشرها وتعميمها في الكليات وفي المدارس وبين المتخصصين ، وفقاً لنظام الجامعة الواقع عليه خاصة وقد قرأت هذه الجملة : « المصطلح المتفق عليه » فوق كل مصطلح عربي ، وجملة « المصطلح الافرنجي » فوق كل مصطلح انكليزي ، مما حملني على الذهاب الى أن المصطلحات العربية المطبوعة في الحقل العربي وتحت تلك الجملة ، هي المصطلحات المقررة التي حصل عليها الاتفاق ، اتفاق اللجنة مع المجامع العربية الثلاثة ، وأن ما وقع عليه الاختلاف قد وضع في محل آخر ، وأن أمر استعماله لذلك متروك الى حين .

وقد تبين لي من مراجعة المصطلحات ومن مراجعة آراء المجامع العربية الثلاثة فيها أن ما حدث في الواقع هو غير ذلك ، وأن ما طبع تحت جملة « المصطلح المتفق عليه » إنما يمثل ما اتفقت اللجنة عليه ، لا ما اتفق رأي اللجنة والمجامع عليه ، بدليل ما فعلته من مقابلات الصفحات المرقمة بالصفحات المهملة من الترقيم الحاوية للمصطلحات ولآراء اللجنة وآراء المجامع الثلاثة . ومعنى هذا أن المصطلحات المنشورة في الصفحات المرقمة هي مصطلحات اللجنة ، وأن المصطلحات المطبوعة في الصفحات المهملة من الترقيم تمثل رأي اللجنة وآراء المجامع الثلاثة .

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) كذلك .

ومعنى هذا أن كل ما فعلته الإدارة الثقافية لا يعدو طبع آراء اللجنة وآراء المجامع في هـــذه الكراسة ، ليقف عليها القرّاء ، أو أنها أخذت برأي اللجنة وعملت به ، ولم تأخذ بآراء المجامع الثلاثة .

وقد كان الصواب في نظري قيام الإدارة الثقافية ، بطبع المتفق عليه وحده ، على أنه الرأي الغالب ، وترك المختلف عليه لمناقشة جماعية جديدة . فالقاعدة العامة عند الدول التي تكون فيها مجامع لغوية أن تتولى هذه المجامع البت في النواحي اللغوية ، والمصطلحات هي جزء من اللغة ، وتقوم المجامع بتقرير المصطلحات بعد استطلاع آراء الخبراء في دلالة كل مصطلح من ناحيــة العلم والفن والاختصاص . أما إذا كان طبع الكراسة لمجرد عرض آراء على المتخصصين ، فإن الأمر شيء آخر بالطبع .

وقضية المصطلحات العلمية قضية خطيرة يجب الاهتمام بها ، وهي الآن تتقاذفهـا الأهواء ، لا بين الأقطار العربية ، بل بين المتخصصين بموضوع واحد وفي قطر واحد ، فكل متخصص يختار أو يضع ما يراه دون أن يتعب نفسه بمراجعة المتخصصين الآخرين أو اســـتطلاع آراء المجامع . وللقضاء على هذه البلبلة الفكرية ، يجب بذل مجهود كبير في إخراج كتاب يضم أعمال المجامع العلمية واللجان العلمية في هذا الباب ، ليقف عليـه المتخصصون وليبدوا آراءهم في كل مصطلح ، حتى إذا ما وقع الاتفاق على مصطلح ما ، عُدّ مصطلحاً رسمياً يدوّن في الكتب العلمية المدرسية وغيرها ، ويذاع في المدارس والكليات .

كتاب بسط الأرض في الطول والعرض لابن سعيد المغربي

إخراج معهد مولاي الحسن بتطوان

عُني الغربيون بالتراث العلمي للعرب أكثر من عناية العرب في الوقت الحاضر به ، فأخرجوا مؤلفات العرب الشهيرة في الجغرافيا وفي الكيمياء والطب والفلك والفلاحة وأمثال ذلك ،

ونقلوا أكثرها الى لغاتهم . وقد سمعت أن الايطاليين قد عزموا أخيراً على إخراج كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » للإدريسي كاملاً بالعربية مع التعليق عليه وشرحه شرحاً علمياً حديثاً . وهو كتاب ألفه الإدريسي لملك صقلية روجر الثاني ، إجابة لملتمسه منه ، فهو كتاب مهم ألفه عالم عربي من أسرة شريفة كان يعد في زمانه من أركان علم الجغرافيا ، لملك عرف بميله الى البحوث العلمية وبالتسامح . وكنت قد اقترحت على المجمع العلمي العراقي نشره ، فاستحضر أكثر نسخه الخطية ، ثم حدثت ظروف مؤسفة ، أدت الى سبق الإيطاليين للمجمع في نشره وإخراجه . وقد اكتفى المجمع بنشر الخارطة ، أخرجها الأستاذ الفاضل أستاذي السيد محمد بهجة الأثري ، وشاركته أنا في الإخراج .

وفي جملة الكتب التي كتب لها النشر كتاب بسط الأرض في الطول والعرض لابن سعيد المغربي، في الجغرافيا . حققه الدكتور « خوان فرنيط خينيس » « Dr Juan Vernet Gines » الأستاذ بجامعة برشلونة ، وأخرجه معهد مولاي الحسن بتطوان ، وطبع بمطبعة كريماديس بتطوان .

وقد قسم المؤلف الأرض المعمورة الى تسعة أقسام : المعمور خلف خط الاستواء الى الجنوب ، والسبعة أقاليم المعروفة ، ثم القسم التاسع المعمور ما بعدها الى أقصى العمارة في الشمال ، وقسم كل قسم من هذه الأقسام الى عشرة أجزاء ، فتكون عدة الأجزاء اذن تسعين جزءاً . وهو خلاصة من كتاب آخر للمؤلف نفسه اسمه كتاب الجغرافيا أو جغرافيا في الأقاليم السبعة [1] .

وأما المؤلف ، فإنه من مشاهير علماء الأندلس وأدبائه ، وهو نور الدين أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي الغرناطي المتوفى بتونس سنة ٦٥٨ على رواية أو بدمشق سنة ٦٧٣ للهجرة على رواية أخرى ، وله جملة مؤلفات ذكرها « بروكلمن » [2] .

(1) Brockelmann, Suppl., I, S. 546. f.

(2) Geschichte der Arabischen Literatur I, Suppl., S. 577.

وقد أشار ابن سعيد المغربي الى عدد من الجغرافيين نقل من مؤلفاتهم ، مثل بطليموس والبيهقي وأبن فاطمة [1] ، والمسعودي [2] والبكري [3] والخوارزمي [4] ، غير أن جل اعتماده كان على ابن فاطمة [5] . وابن فاطمة سائح وبحّار لا نعرف من أمره كثيراً ، كان ممن ركب البحر المحيط ، وعرك البحر ، وساح في أوربة ، وخبر البر ، وقام بسياحات أخرى ، فكانت معرفته بالجغرافيا عن خبرة وعلم . ونجد نتفاً من بحوثه في تاريخ أبي الفداء [6] . ولعل الأيام ستمكن المستشرقين أو العرب المعنيين بالبحث عن تراث العرب من التمكن من الظفر بآثار هذا البحار الجغرافي ، ومن تدوين سيرته بشيء من التفصيل .

والكتاب هو النص فقط . أما المقدمة والشروح والدراسات التحليلية ، فقد تركها الناشر ، ذاكراً أنها ستكون قسماً خاصاً يكوّن الجزء الثاني لهذا الكتاب الذي سيشمل أيضاً ترجمة اسبانية له ، وتصحيحاً للأخطاء الطبعية التي قد تقع في الجزء المطبوع ، وفهرستاً لما جاء فيه . والجزء الثاني لازم لهذا الكتاب ، الذي لم يشتمل إلا على مقدمة قصيرة في تعريف النسخ التي اعتمد عليها الناشر . ولا بد أن المحقق سيتطرق فيه الى الموارد التي أخذ منها المؤلف ، والى علم المؤلف بأحوال الغرب من الناحية الجغرافية ، ولا سيما أحوال الأوربيين في ذلك العهد .

وقد اعترف المؤلف في مواضع من كتابه أن علمه بأحوال الأوربيين قليل ، وكرر جملة : « خاملة الذكر عندنا » في مواضع عديدة من كتابه في الفصول التي بحث فيها عن الغربيين . وقد نعت سلطان الأتراك بـ « سلطان الأشكري صاحب القسطنطينية » [7] ، وسمى أهل

(١) راجع الصفحة (١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٣١ ، ٣٢ ، ومواضع أخرى) .
(٢) الصفحة (١٦ ، ٢١ ، ومواضع أخرى) .
(٣) الصفحة (٤٦) .
(٤) الصفحة (١٠٢) .
(٥) راجع الصفحة (٥ وما بعدها) .
(٦) مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية السنة الأولى ، العدد الأول (٥٨) .
(٧) الصفحة (١١٦ ، ١٢٧) .

جزيرة « كريت » تارةً « الحرابطة »[1]، وتارة « الحرابطة »[2]، وتارة « الحرانطة »[3].

وقد تطرق المؤلف الى بعض الفرق والمذاهب بشيء من الاختصار، فأشار الى الإسماعيلية مثلاً، وذكر مواضعهم في بلاد الشأم، وتطرق الى النصيرية فقال عنهم: « وهم ينسبون الى نصير مولى علي، رضي الله عنه. يزعمون أن علياً، قدس الله روحه، وقفت له الشمس، كما وقفت ليوشع، وكلته الجمجمة، كما كلت المسيح، وغلوا فيه الالوهية، ومذهبهم شائع في جزيرة عانة من طرف الجزيرة التي تلي العراق »[4]. وتحدث عن الكلدانيين في العراق، فقال: « ومعظم أهلها كلدانيون على ملة سبت عليه السلام والياس، يسمونهم صابئة، وهم أعداء الصابئة. ومن الكلدانيين كان أبو اسحاق الصابي، له مصنف بيّن ذلك فيه »[5].

وقد وهم المؤلف في جعل نصير مولى لعلي، والظاهر انه لم يراجع كتب أهل الفرق المنيرة، بل أخذ من مورد ليس له علم صحيح بفرق الشيعة. ولعل المحقق سيشير الى ذلك فيما بعد، كما أخطأ المحقق في لفظة « سبت عليه السلام »، والصحيح « شيث » النبي، وما زال كثير من أهل الموصل يتسمون به، وبالياس. وليس بين الانبياء نبي اسمه « سبت ».

ووردت في الكتاب على صغر حجمه فوائد قيمة عن البلاد الأوربية، فذكر بعض مواضعها مثل « بريس » أي « باريس »، و « لندرز » أي لندن، و « بيصة » أي « بيزا »، وذكر أسماء أنهار ومدن كثيرة وأسماء شعوب عديدة، وأشياء من عاداتهم وآدابهم، وغير ذلك مما يفيد كثيراً في معرفة أحوال أوربة وبقية أنحاء العالم في ذلك العهد.

ومن الواجب على المحقق القيام في الجزء الثاني المرتقب بمقارنة بين هذا الكتاب وكتاب

(١) الصفحة (١١٢).

(٢) المصدر نفسه (ص ١١٧).

(٣) الصفحة (١١٢).

(٤) الصفحة (٨٦).

(٥) الصفحة (٩٢).

« نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » للإدريسي الذي هو أوسع من هذا الكتاب وأشمل وأكثر تفصيلاً ، وتبيين الصلة بينهما ، ودرجة اعتماد أحدهما على الآخر .

الدراسات الأدبية

عنوان مجلة صدر العدد الأول منها في ربيع ١٩٥٩ ، بالعربية والفارسية ، أصدرها قسم اللغة الفارسية وآدابها بالجامعة اللبنانية الرسمية ببيروت . وقد حوت موضوعات قيمة في الأدبين العربي والفارسي ، أهمها بحث في كتاب التاج للجاحظ ، وفي الموارد التي أخذ الجاحظ منها ، وفي الكتب المؤلفة في الأدب الساساني في سير الملوك وآدابهم ، مما يدخله الكتاب في فصل خاص يطلقون عليه : التاج ، والتي عرفت في العربية بكتاب التاج . وقد كتب هذا الموضوع السيد محمد محمدي أستاذ الأدب العربي في جامعة طهران ، وأستاذ الفارسية وآدابها في الجامعة اللبنانية . وقد ألحق بهذا الموضوع جملة تعليقات واستدراكات في تصحيح طبعة التاج التي حققها وصححها المرحوم أحمد زكي باشا .

وفي جملة الموضوعات الواردة في هذا العدد أيضاً ، بحث باللغة الفارسية كتبه الدكتور جبرائيل جبور في الأدب العربي المعاصر بلبنان ، وبحث وضعه السيد عارف تامر بعنوان « طاهر شاه النزاري الألموتي » وهو بحث في الإسماعيلية وفي الأسباب التي أدت الى انقسام الاسماعيليين النزاريين الى فرقتين : مؤمنية وآغاخانية ، وبحث عنوانه « تأريخ قم » للحسن بن محمد بن الحسن القمي الموضوع سنة ٣٧٨ للهجرة ، كتبه السيد أحمد لواساني ، وهو تعريف بهذا الكتاب القيم الثمين الباحث في تأريخ قم ، من أهم المراكز الأدبية والثقافية في ايران .

وتقع المجلة في ١٢٧ صفحة ، وقد حوت بالاضافة الى البحوث المذكورة موضوعات أخرى مفيدة في الأدبين العربي والفارسي .

كتاب الفلاحة

هذا كتاب مهم من كتب أهل الأندلس في الفلاحة ، مؤلفه عبد الله بن ابراهيم المعروف بأبي بصال وبابن البصال الطليطلي من رجال القرن الخامس للهجرة ، وهو عالم اختصاصي بالفلاحة ومن المشتغلين بها غير أننا لا نعرف من أمره شيئاً يذكر ، فلا نعرف مولده ولا سنة وفاته ، وكل ما بلغنا من خبره أنه كان يعدّ من شيوخ علم الفلاحة في أيامه في الأندلس ، وأن معظم المشتغلين بهذا العلم من المعاصرين له أو الذين جاؤوا من بعده قد اعتمدوا عليه ونقلوا من كتابه المطوّل والمختصر في الفلاحة ، وأنهم ذكروه في كتبهم بإجلال واحترام وتقدير ، وأنه زار صقلية وبلاد الشأم ومصر والمغرب ، وربما زار أرضين أخرى مثل الحجاز ، واستورد منها ما لفت نظره من نباتات وبذور غرسها وزرعها في حديقة تجريبية أنشأها لهذا الغرض ، وأنه ابتدع طرقاً جديدة في تربية النبات وفي التطعيم واصلاح التربة ومعالجة أمراض النبات ، وأنه عُني بالناحية العملية من الفلاحة ، فكان يقوم نفسه بغرس النبات وتحسينه وتكثير الجيد منه . وقد اشتغل في بستان أنشأها في اشبيلية غرس فيه ما جمعه سمّاه (بستان السلطان) يرجح أنه بستان المعتمد بن عبّاد الذي خدمه ابن بصال [1] ، كما أنه اشتغل في بساتين أخرى للأمراء والسلاطين ، مثل جنة المأمون أو بستان الناعورة الذي أنشأه المأمون بن ذي النون وعهد بالاشراف عليه الى العالم بالنبات والطبيب المشهور المعروف بابن وافد . وهو بستان نزهة وتجارب ، جلبت اليه النباتات والأشجار الغريبة من البلاد البعيدة من الشأم والعراق وما وراءهما ، وأجريت فيه التجارب الزراعية والنباتية المختلفة ، فطعمت الشجرة الواحدة بعدة طعوم ، لتنتج ثمراً متنوعاً ، وأجريت تجارب لإيجاد ورد وزهر جديد ، ولتحسين النوع والبذور ، وزرعت فيه النباتات المفيدة في الطب ، وزين بمختلف الزين ، وأقيمت قباب من الماء منظرها يسرّ الناظرين .

(١) كتاب الفلاحة ، ص ٣٢ ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلد الخامس ، العدد ١ — ٢ ، ١٩٥٧ .

وقد اشتهرت الاندلس بجماعة من العلماء الذين انصرفوا الى دراسة العلوم ، وفي جملتها الطب والفلاحة . ألفوا كتباً كثيرة فيها ، عرفت بالتركيز وبغلبة الناحية التجريبية عليها ، وقد فقد أكثرها ، وترجم بعضها الى اللاتينية في حياة مؤلفيها ، وترجم بعضها بعد ذلك . وبقيت ترجمات بعضها أما أصولها العربية ، فقد زالت مع الزائلين وذهبت مع الذاهبين .

وفي جملة علماء الزراعة أبو المطرف عبد الرحمان بن محمد بن عبد الكبير بن يحيى بن وافد ابن محمد اللخمي ، وله كتاب في الزراعة . وهو من مشاهير أطباء الاندلس ، ومن المعاصرين لابن بصال ، أي من رجال القرن الخامس للهجرة . وأبو عبد الله محمد بن مالك المعروف بالتغنري من بلدة تغنر ، المعروف أحياناً باسم الحاج الغرناطي ، وهو من المعاصرين أيضاً لابن بصال ، ومن المتصلين به . وقد أشار في كتابه (زهر البستان ونزهة الأذهان) المخطوط الى تجارب عديدة قام بها ابن بصال ، والى اتصاله به وأخذه منه [1] .

وممن ألف في الزراعة أيضاً أبو عمر أحمد بن محمد بن حجاج صاحب كتاب في الفلاحة ، أسمه (المقنع) . وقد نقل عن ابن بصال ، وهو من معاصريه كذلك ، وأبو زكريا يحيى بن محمد بن أحمد المعروف بابن العوام الإشبيلي صاحب كتاب الفلاحـــــة . وقد أشار في مقدمته بتجارب ابن بصال ، ونقل في فصوله منه [2] . وأبو الخير الإشبيلي ، وله مؤلف في الفلاحة ، أسمه كتاب الفلاحة ، وقد اقتبس غيره منه [3] .

وقد وردت في كتاب (عمدة الطبيب في معرفة النبات لكل لبيب) اشارات الى ابن بصال ، والى مقابلات جرت بينهما ، ويظهر أنه كان متصلاً به . وقد أخبره ابن بصال عن بعض مشاهداته في صقلية والإسكندرية والقاهرة . وذكر بعض أنواع البساتات والأزهار التي غرسها ابن بصال في بستان السلطان ، وقد شاهدها مؤلف الكتاب نفسه ، وحكاها في هذا

(١) كتاب الفلاحة (ص ١٦ وما بعدها) .

(٢) كتاب الفلاحة (ص ١٧) .

(٣) المصدر نفسه (ص ٢٠) .

الكتاب . وقد درس مؤلف هذا الكتاب على عالم آخر أسمه ابن لونكو ، أبو الحسن علي بن لونكو المتوفى سنة ٤٩٨ هـ أو ٤٩٩ هـ [١] .

ووضع بعض الاختصاصيين في الفلاحة أراجيز في هذا العلم ، وصل بعضها الينا ، ومنها أرجوزة لأبي عثمان بن جعفر بن لبون التجيبي من المريّة . ويظهر أنه من أصل أسباني ، وقد تأثر بابن بصال كذلك [٢] .

والكتاب الذي أتحدث عنه ، كتاب وجيز ، أشتمل على ستة عشر باباً . وهو مختصر كتاب آخر للمؤلف نفسه ، سمي بهذا الاسم أيضاً ، فصل فيه تفصيلاً كبيراً . ويظهر أن المؤلف قد وجد حاجة ملحة لاختصار الكتاب المطوّل ، ليكون سهل التناول ، فأوجزه في هذا المختصر المطبوع . وقد أشار الى ذلك مؤلفون قدماء مثل المقري ، كما أستخرج غيره من هذا الكتاب المطول عدة نسخ لحاجتهم اليها .

ولحاجة الأسبان الى هذا العلم ، نقلوا كتاب ابن بصّال إلى لغتهم ، كما نقلوا كتباً أخرى فيه ، مثل كتاب ابن وافد ، وتوجد الترجمتان . وفي النسخة الترجمة لابن بصال أمور لا نجدها في النص المختصر ، مما يدل على أن هذه الترجمة هي ترجمة للنص الأصل المطوّل لفلاحة ابن بصال ، وليست من المختصر الذي نتحدث عنه [٣] .

وتتناول الفصول الستة عشر المواد الآتية : المياه وأصنافها وطبائعها وتأثيرها في النبات ، والأرضين وأنواعها وطبائعها وكيفية تمييز الجيد منها والرديء ، والسماد وأنواعه وطبائعه وطريقة استعمال كل نوع ، والإمارات التي تعرف بها جودة الأرض والزراعة وهو الباب الخامس ويقسمه الى (٣٥) فصلاً . ويقول إن الزراعة تكون بالزراريع أو البذور وبالنوامي أو القضبان . ثم يبحث في الباب السادس عن بعض الطرق في غراسة الأشجار ، فيذكر طريقة الزراعة

(١) كتاب الفلاحة (ص ١٥ وما بعدها) .

(٢) الفلاحة (ص ١٨ ، ٣٤) ،

Lerchundi — Simonet, Crestomatia arabego-espanola, Granada, 1881.

(٣) الفلاحة (ص ١٩) .

بـ « التكابيس » ، وطريقة الغراسة بـ « الوخ » وطريقة الغراسة بالنوى . أما الباب السابع ، فهو في تشذيب الأشجار والأوقات المناسبة له . أما الباب الثامن ، فهو في التلقيح ، وهو باب فصل فيه المؤلف ، وأكمل بحثه في الباب التاسع . أما الباب العاشر ، فهو في زراعة الحبوب والقطاني ، وقد تكلم فيه على زراعة الفول والأرز واللوبيا والعدس والجلبان والسمسم والقطن والعصفر والزعفران والخشخاش والحناء . أما البذور التي تتخذ لزراعة النباتات التي تتخذ لاصلاح الأطعمة كالتوابل ، والمواد المستعملة في الطب ، فقد تحدث عنها في الباب الحادي عشر .

أما الباب الثاني عشر ، وهو باب لم يرد في الترجمة الاسبانية ، فقد خصص بالقثاء والبطيخ والقرع والباذنجان والاصفرج والكبر والحنظل . وأما الباب الثالث عشر ، فقد خصص بالبقول ذوات الأصول ، مثل اللفت والجزر والفجل والثوم والبصل وأمثال ذلك . وأما الباب الرابع عشر ، فقد خصص بالبقول والخضر . وخصص الباب الخامس عشر في زراعة الرياحين والأزهار والورد وفي طرق تكثير الورد ، وجعلها تزهر مرتين في العام . وأما الباب السادس عشر فهو : « باب جامع لمعان غريبة ومنافع جسيمة من معرفة المياه والآبار واختزان الثمار وغير ذلك مما لا يستغنى عن معرفتها أهل الفلاحة ، اذ هي من تمام أعمالها واستكمال فايدتها »[1] ، وقد تحدث فيه عن دفع مضار الحيوان المتولد في البساتين وغيرها ، كمروق الأرض ، ومن زرع الأعشاب « النيل » في الحدائق المزينة ، ثم عن طرق حفر الآبار ومعالجتها ، وكيفية تكثير مياهها وغير ذلك مما يتعلق بالبئر .

وقد استعمل ابن البصال المشهور البوليانية ، مثل غيره من علماء الفلاحة في الاندلس ، بحسب نطق المستعربين الأسبان ، فاستعمل « شتنبر »[2] مثلاً قاصداً « سبتمبر » ، و « أغشت » و « غشت » لا غسطس[3] ، و « ماية »[4] لشهر « مي » أو مايس ، كما أنه

(١) (ص ١٧٣) .

(٢) الفلاحة (ص ١١١ ومواضع أخرى عديدة) .

(٣) المصدر نفسه (ص ١١٦) .

(٤) (ص ١٣١ ، ١٥٢) .

استعمل « الجمة » بمعنى أسبوع [1] وعلى طريقة أهل المغرب ، وهي طريقة معروفة حتى اليوم .

وقد وردت في الكتاب مصطلحات مفيدة جداً ، تفيد أهل الزراعة في الزمن الحاضر ، في استخدامها في مقابل بعض المصطلحات العلمية الأجنبية . ووردت فيه مصطلحات مولدة ، وأسماء آلات استعملها أهل الأندلس في ذلك العهد ، مثل : آلة « ميزان الماء » المعروفة بـ « المرجيقل » . لتعديل الأرض وتسويتها و « الجاروف » [2] والزرجونة والقادوس . ومن مصطلحات الزراعة الواردة في هذا الكتاب : « الزريعة » ، و « النقل » ، و « القلب » ، و « الأرض الحرشاء » ، والأرض الغليظة ، والأحواض ، والبطن ، والسرير ، والأهداف ، والخطوط ، والأرض الفرسة ، والسكك ، والتنقيل ، والظروف ، وغير ذلك من مصطلحات .

والكتاب بعد من إخراج وتحقيق السيد « خوسي مارية مياس بييكروسا » الأستاذ بجامعة « برشلونة » و « السيد محمد عزيمان » السكرتير العام لوزارة التربية والثقافة للمنطقة الخليفية بالمغرب ، ومن منشورات معهد مولاي الحسن بتطوان . وقد ألحقا بالنص العربي ترجمة أسبانية له ، مع مقدمة لها ، لكنهما لم يضعا فهرساً عاماً للمصطلحات العلمية ، وللأسماء والنباتات والبذور المذكورة فيه ، لتسهيل مهمة المراجع ، كما يفعل مؤلفو الكتب المنشورة على وفق الطرق العلمية الحديثة ، فأضاعا على القارىء وقتاً سيقضيه طويلاً للتعرف على مادة واردة فيه ، أو مصطلح من المصطلحات الفنية المذكورة فيه .

والكتاب مصدر مهم ومرجع لا غنى عنه لمن يريد الوقوف على البحوث العلمية عند العرب والمسلمين .

جواد علي

---

(١) « ويسقى مرة في الجمعة اذا كان في الربيع والخريف ... » ، ص ١٥٤ ، « ويسقى بالماء مرتين في الجمعة » ص ١٦٣ .

(٢) الفلاحة (ص ٥٥) .

فهرست أعمال المجمع العلمي العراقي

في سنة ١٩٥٨ — ١٩٥٩

هذه تذكرة لما قام به المجمع في غضون المدة التي انصرمت بين آخر مجلد صدر من هذه المجلة ، وهذا الجزء الذي يقدم الى القراء ، التزمت فيها الايجاز ، وضمنتها الأمور التي تفيد من يريد الوقوف على سيرة المجمع وتطوره .

ديوان الرئاسة : تحتم المادة التاسعة من نظام المجمع تجديد انتخاب الرئيس ونائبيه في مفتتح كل عام مجمعي . وقد عقدت الجلسة الأولى لسنة ١٩٥٩ — ١٩٦٠ مساء السبت الثالث من تشرين الأول لتنفيذ هذه المادة ، فانتخب بالاقتراع السري الأستاذ السيد منير القاضي رئيساً والأستاذ السيد محمد بهجة الأثري نائباً أول للرئيس ، والدكتور أحمد سوسة نائباً ثانياً . وبناء على استقالة الدكتور أحمد سوسة من نيابة الرئاسة ، انتخب المجمع في جلسته المنعقدة مساء السبت ١٧/١٠/١٩٥٩ الدكتور مصطفى جواد في محله . ومن حضرات الأساتذة المذكورين مضافاً اليهم العضو العامل الدكتور جواد علي سكرتير المجمع ، تكون ديوان الرئاسة لسنة ١٩٥٩ — ١٩٦٠ .

وفاة أعضاء : فجع المجمع خلال هذه المدة بوفاة العضو العامل السيد محي الدين يوسف ، والأعضاء المراسلين المرحومين السادة : الأستاذ خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ، والدكتور منصور فهمي كاتب السر العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والدكتور عبد الوهاب عزام ، والعضو الفخري السيد يعقوب سركيس ، رحمهم الله جميعاً وعوض الآداب العربية منهم خيراً .

انتخاب عضو مراسل : وانتخب المجمع في جلسته الرابعة عشرة المنعقدة في ١٦/١/١٩٦٠ الأستاذ المستشرق السويدي « نيبرك » عضواً مراسلاً ، تقديراً لعلمه ودراساته العربية والاسلامية .

الموازنة : زيدت مخصصات المجمع للسنة المالية الحالية مبلغ (١٥٠٠) دينار ، فبلغت موازنته خمسة عشر ألف دينار ، وهي تشمل كل أنواع مصروفاته من مخصصات ورواتب الموظفين والمستخدمين ومن حاجاته الى القرطاسية والطبع ، وهو يأمل زيادتها في ميزانية السنة القبلة ، ليتمكن من أداء واجبه على الوجه الأفضل .

المطبعة : ابتاع المجمع حروفاً جديدة لمطبعته ، لتعويض ما قد يستهلك من الحروف القديمة ، وابتاع أيضاً علامات حركات وفوارز وغيرذلك ، وبدأ باستعمالها . وقرر ادخال مبلغ عشرة آلاف دينار في موازنته القبلة لابتياع آلة تنضيد ، ومبلغ ألف وخمس مئة دينار ثمن أدوات تجليد ، لتأسيس شعبة خاصة بتجليد الكتب وبقية المنشورات .

أما ملاك المطبعة فما زال على ما كان عليه ، وهو طباع واحد وثلاثة مرتبين ، ويشرف عليهم موظف بدرجة ملاحظ .

مطبوعاته : قام المجمع بطبع بضع كراسات في المصطلحات العلمية التي أقرها بناء على طلب الدوائر الحكومية ، كما أنجز طبع الجزء الثاني من كتاب مؤرخ العراق ابن الفوطي للأستاذ محمد رضا الشبيبي ، وكتاب علم الفلك للعضو العامل السيد عباس العزاوي ، والعراق في الخوارط القديمة للدكتور أحمد سوسة . وشرع في طبع الجزء الثامن من كتاب تأريخ العرب قبل الإسلام .

نشر الآثار : وقد اتبع طريقة جديدة في نشر الآثار المخطوطة والمؤلفة والترجمة ، تتلخص في قيام المجمع بطبع كل أثر يقرر نشره على أساس دفع ثلثي ما يطبع من الأثر الى صاحبه أو محققه أو مترجمه ، واحتفاظ المجمع بالثلث المتبقي له . ويكون بذلك لصاحبه حرية التصرف بالأثر عند نفاد النسخ المطبوعة . اتخذ قراره هذا مراعاة للاقتصاد في النفقات .

المصطلحات : تشغل المصطلحات الجزء الأكبر من وقت المجمع . وترد عليه طلبات

متوالية متوالية من مختلف الدوائر لوضع ألفاظ علمية انكليزية . وقد أنجز قبـــل مدة قصيرة مصطلحات علم الفضاء ، وشرع في وضع ألفاظ لثلاث مئة مصطلح انكليزي في علم التربة تلقاها من مديرية الزراعة العامة . وأمامه قوائم أخرى بعضها طويلة وأخرى قصيرة وردت عليه من دوائر أخرى خلال هذه المدة لدراستها ووضع مصطلحات عربية لها .

وكان في جملة الدوائر التي طلبت منه وضع مصطلحات عربية جديدة وزارة المالية ، وذلك إبانّ معالجتها موضوع عناوين ملاك المستخدمين الدائميين والوقتيين . فقـــد وجدت أن فيها طائفة من مصطلحات ترجع إلى أصل غير عربي ، وأنها بحاجـــة الى إصلاح ، فعدل المجمع ما احتاج الى تقويم وتعديل ، وأرسله الى الوزارة المذكورة التي أخذت برأيه وطبقته . وكذلك فعلت وزارة الداخلية فسألت المجمع رأيه في المصطلحـــات الإدارية المتعارفة اليوم ، وهي : المتصرفية ، والقائم مقامية ، والناحية ، والمتصرف والقائم مقام ومدير الناحية . وبعد درسه لها من وجوه مختلفة ، وجد أن هـــذه التقسيمات لم تكن معروفة قديماً ولا مألوفة في الأقطار العربية في الزمن الحاضر أيضاً إذ جرت كل حكومة على تنظيم إداري خاص بهـا ولم تسر على تقسيم واحد ، لهذا رأى عرض الترتيبين الآتيين على الوزارة للاستئناس بها :

١ — أن تحل لفظة « ولاية » محـل « لواء » ، ولفظة « والٍ » بدل « متصرف » ، ولفظة « مخلاف » بدل « قضاء » ، ولفظة « رئيس » بدل « قائم مقام » . أما لفظة ناحيـة فتبقى على حالها ، وكذلك كلمة مدير .

٢ — أن تحل لفظة « مخلاف » محل « قضاء » ، و « رئيس » بدل « قائم مقـام » ، وتبقى كلمات لواء وناحية ومتصرف ومدير على ما هي عليه .

الهدايا : تسلم المجمع جملة هدايا من المؤلفين ومن الناشرين ، فأودعها خزانة كـتبه ، ودوّن في سجل الكتب أسماء مهديها . ومن جملة المؤلفين الذين أهدوا كتبهم الأستاذ السيد محمد عزة دروزة ، وهو من المؤلفين الذين اعتادوا ارسال مؤلفاتهم الى المجمع ، وآخر ما أهـداه

كتابه تأريخ بني اسرائيل من أسفارهم وتأريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار .
والأستاذ الشاعر السيد خير الدين الزركلي وقد أهدى اليه الطبعة الثانية من (الأعلام) . وهو كتاب ضخم وقع في عشرة أجزاء ألفه على طراز معجمات التراجم .

ووصل اليه من الأستاذ أكرم زعيتر كتاب ذكرى عادل زعيتر ، والمسلمون في العالم اليوم لمؤلفه الدكتور عبد الرحمن زكي وهو في مجلدين : المسلمون في آسية الاسلامية والمسلمون في افريقية الاسلامية ، والبند في الأدب العربي لعبد الكريم الدجيلي ، والقيساب التونسية في تطورها لسليمان مصطفى زبيس ، ونفط العراق : دراسات سياسية واقتصادية لحكمت سامي سليمان .

ولا تزال مؤسسة « فرنكلين » للطباعة والنشر تواصل عملها في ترجمة الكتب الأميركية الى اللغة العربية ، وترسل مطبوعاتها الى خزانة كتب المجمع ، وفي جملة ما أهدته : العرب والملاحة في المحيط الهندي تأليف جورج فضلو حوراني اللبناني الأصل ، وقد نقله الى العربية يعقوب بكر ، وتأريخ العلم لجورج سارتون . نقله الى العربية الدكتور جورج حداد والتوجيه المهني لذوي العاهات ومؤلفات أخرى لا تزال تصل اليه تباعاً .

كما أهدت مكتبة الرياض السعودية الكتب التالية الى خزانة كتب المجمع وهي : عمدة الفقه على مذهب أحمد بن حنبل تأليف الشيخ موفق الدين بن قدامة ، ونظرية العقد والرد على المنطقيين واقتضاء الصراط المستقيم وهما من تآليف شيخ الاسلام ابن تيمية ، وكذلك فتاواه المشهورة ، وشرح الطحاوي في العقيدة السلفية ، والمحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل .

كذلك أرسل المجمع العلمي للاتحاد السوفيتي الكتب الآتية هدية منه الى خزانة كتبنا : القاموس العربي الروسي ، وثلاث راهنامات مجموعة ، والمنة الروسية ، وعدداً كبيراً من الكتب والمجلات مطبوعة باللغة الروسية . وتسلم كذلك هدايا من المجمع العلمي لجمهورية ازبكستان بطشقند .

أما الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، فقد أهدت اليه قصة الحضارة تأليف ول ديورانت وترجمة محمد بدران ، والفكر الأوربي في القرن الثامن عشر تأليف بول هازار ، ومصطلحات علم الكيمياء ، والتعريف بشكسبير للأستاذ عباس محمود العقاد ، وهنري السادس لوليم شكسبير تعريب محمد بدران وكوميديا الأخطاء ـ رتشارد الثالث ـ لشكسبير تعريب محمد بدران كذلك .

وتلقى من المجمع العلمي العربي بدمشق المطبوعات الآتية : خريدة القصر وجريدة العصر « قسم شعراء الشام » تأليف العماد الأصبهاني وتحقيق شكري فيصل ، وتراجم الأعيان من أبناء الزمان تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، وأخبار البحتري للصولي . ومن معهد مولاي الحسن بتطوان كتاب بسط الأرض في الطول والعرض تأليف أبي سعيد المغربي وتحقيق الأستاذ خوان فرنيط ، وهو كتاب قيم في الجغرافيا بني على تدوين درجات الطول والعرض . ومن السيد محمد العبودي كتابه : الأمثال العامية في نجد ، ومن السيد علي أصغر حكمت عضو المجمع المراسل ، مؤلفه « سرزمين هند » ، وهو ملاحظات وآراء عن الهند أملاها الى علمه عن هذا العالم ، في أثناء سفارته عن بلاده الى الهند .

الشعبة الفنية : صورت الشعبة الفنية عدداً من المخطوطات لخزانة كتب المجمع وللدوائر الحكومية مثل مديرية الصناعة العامة ومديرية الآثار القديمة العامة وكلية الآداب ، ولهيئات علمية أجنبية مثل المكتبة العامة الدولية بلينينغراد وقسم الدراسات السامية بجامعة وسكونسن بالولايات المتحدة ومكتبة الجامعة الأميركية ببيروت ، ولأشخاص معنيين بالبحث عن المخطوطات .

وفي جملة ما صوره المخطوطات الآتية : ذكرى ما لكل الصحابة من الأحاديث ، صورها لأحد الباحثين الأتراك المشتغلين في العراق تنفيذاً لأحكام الاتفاقية الثقافية المعقودة بين الجمهورية العراقية والجمهورية التركية ، و « مجرد مقالات الأشعري » ، صورها السيد حافظ غلام الأستاذ المساعد بجامعة الله آباد ، والطالب بكلية الآداب ببغداد الآن ، و « الرسالة

العثمانية » وشرح ديوان هذيل ومقتطفات من كتاب العين وقد صورها جميعاً للدكتور جورج كرانكوف النمساوي الأستاذ المساعد في معهد الدراسات الشرقية بفينا .

وصوّر بـ « المايكروفلم » لقسم الدراسات السامية بجامعة وسكونسن بالولايات المتحدة : الفراسة لفخر الدين الرازي ، ومختصر من تأريخ الشيخ الرئيس ابن سينا للجوزجاني ، ونقاسيم الحكم لابن سينا ، والدر المنظوم في أخبار ملوك الروم لمكاريوس الحلبي ، وهي في مجموعة خطية محفوظة في خزانة كتب مديرية الآثار القديمة برقم (٥٩٤) و (٨٢٠) . وصور نسخة مخطوطة كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي المحفوظة في خزانة مديرية الآثار القديمة العامة وذلك للسيد مير بصري . وصور هذه المخطوطة المنسوبة للخليل والمحفوظة في مكتبة المرحوم السيد محمد مهدي الصدر للدكتور عبد الله درويش واحتفظ بنسخة منها حفظها في خزانة كتبه .

وصور للسيد تقي الدين الهلالي كتاب الطرق الحكمية لابن قيم الجوزية . والنفحة العنبرية ورسوم دار الخلافة لخزانة كتب المجمع وللأستاذ السيد منير القاضي ، وديوان لبيد للسيد مجيد بكتاش ، وللدكتور ابراهيم السامرائي نزهة الألباء للأنباري وصور كتاب المحيط المنسوب للصاحب بن عبّاد لخزانة كتب المجمع والجزء السادس من كتاب بغداد (أخبار المأمون) للمكتبة الدولية العامة بلينينغراد ، وقد صورها عن النسخة المحفوظة في خزانة كتب مديرية الآثار القديمة العامة ، والمرصع في الآباء والأمهات . صورها عن النسخة المحفوظة في الخزانة المذكورة وكذلك مخطوطة المرصع في الآباء والأمهات والأبناء والاذواء والذوات .

وصور بـ « المايكروفلم » أيضاً المخطوطات الآتية : النفحة العنبرية للسيد عباس الكاشاني ، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة للدكتور حسين مؤنس ، ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق عن النسخة المصورة المحفوظة في خزانة كتب المجمع العلمي العراقي المأخوذة عن النسخة الخطية المحفوظة في جامع الباشا بالموصل . وقد صورها لأستاذ في « روما » بتوسط مكتبة المثنى ببغداد ، ومنحة السلوك شرح تحفة الملوك للرازي ، واطباق الذهب لشرف الدين عبد المؤمن بن هبة الله

المغربي الأصبهاني ، والتبيان شرح البرهان في طاعة السلطان لمحمود أبي الثناء الآلوسي ، وسياسة الدنيا والدين لسعد بن اسماعيل بن عمر الافرائي ، والمدائح والبائع لابن الهبارية ، والعقد الفريد للملك السعيد لكمال الدين محمد بن طلحة القرشي النصيبي ، وفقه الملوك ومفتاح الرتاج المرصد على خزانة كتاب الخراج لعبد العزيز بن محمد الرحبي البغدادي ، والقربة في أحكام الحسبة لمحمد بن محمد بن أحمد بن الأخوة القرشي ، والتحفة الشاهية في الهيئة لقطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي ، ورسالة في علم الميقات لمؤلف مجهول ، وزيج في الفلك لمؤلف مجهول كذلك ، واليواقيت في المواقيت لإبراهيم بن علي بن محمد الاصبحي المعروف بابن البرذع ، وتحقيق الاثبات للأسماء والصفات لابن تيمية ، وغزو الجيوش الاسلامية في الرد على المعطلة والجهمية لابن قيم الجوزية ، والخسوف مسألة في علم التوحيد لفخر الدين الرازي ، وكتاب التوحيد للإمام جعفر الصادق ، وقد صورها كلها عن مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة ببغداد لحساب خزانة كتب الجامعة الأميركية ببيروت . وتاريخ الجبرتي وقد صوره لحساب معهد المخطوطات العربية بالأمانة العامة لجامعة الدول ، صوره من النسخة الخطية المحفوظة في خزانة كتب مديرية الآثار القديمة العامة .

اجتماعات المجمع : لا يزال المجمع يوالي اجتماعاته العامة الاعتيادية في مساء كل سبت ، وقد حضر العضو المراسل الدكتور اميليو غرسية غومس سفير اسبانية في الجمهورية العراقية أحد هذه الاجتماعات ، وطلب السماح له بحضور الاجتماعات المقبلة بعد عودته من « مدريد » . وقد عقد المجمع خلال السنة المجمعية ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ (٣٣) اجتماعاً عالج فيها مختلف القضايا الادارية والموضوعات العلمية وفي مقدمتها موضوع المصطلحات .

خزانة كتب المجمع : لا زال المجمع يوالي شراء الكتب لخزانة كتبه . وهي تتألف من (١٤٠٠) كتاب في التاريخ والجغرافية ، و (٩٩١) في الدين والتربية والفلسفة ، و (٨٨٢) كتاباً في الأدب ، و (٢٤٨) كتاباً في دواوين الشعر ، و (٣١٣) كتاباً في معاجم اللغة

وفهارس المخطوطات ، و (٩٨) كتاباً في علوم اللغة العربية ، و (١٩٨) مخطوطة أصلية أو صورة « فوتغرافية » لمخطوطات عربيـــة ، و (٣٢٧) في العلوم ، و (٣٢٨) في الاجتماع ، و (٤٤٣) كتاباً في الانظمة والقوانين والقرارات ، و (١٣٤) كتاباً مدرسياً ، و (١٧٤) كتاباً فارسياً ، و (١٤) كتاباً تركياً ، و (٩٣١) كتاباً روسياً ، و (٢١٣) كتاباً ألمانياً ، و (٣١) كتاباً ايطالياً ، و (١٨٦) كتاباً فرنسياً ، و (٢٤) كتاباً انكليزياً في اللغـة ، و (٥٦) كتاباً انكليزياً في الأدب ، و (٦٢) كتاباً بالانكليزية في العلوم ، و (٩٧) كتاباً انكليزياً في الفلسفة ، و (١٢٧) معجماً وفهرســـاً مدونة بالانكليزية ، و (١٤٠) كتاباً انكليزياً في الاقتصاد وفي العلوم السياسية ، و (١٢٧) كتاباً انكليزياً في الجغرافيا ، و(٤٨٩) كتاباً في التأريخ ، و (٤٩) كتاباً انكليزياً في الفن . وكل هذه الكتب هي مما لها علاقة بالعالم العربي وبالعالم الاسلامي .

التعاون العلمي والثقافي : يحرص المجمع العلمي على تكوين أوثق الصلات بينه وبين المجمعين العربيين في الجمهورية العربية المتحدة ، وذلك لتوحيد الجهود في تنسيق الخطط والتقريب في منهج أعمال المجامع العربية الثلاثة الموجودة اليوم في العالم العربي .

وقد قرر في جلسته الثانية عشرة المنعقدة في مساء ٣/١/١٩٦٠ بناء على اقتراح العضو العامل الدكتور جواد علي الكتابة الى مجمع اللغة العربية بالقاهرة لموافاة المجمع بقراراته الأخيرة المتعلقة بالمصطلحات وبالقرارات العلمية للاطلاع عليها وللعمل على توحيدها مع مصطلحات المجمع العلمي العراقي وتنسيق العمل في حقل المصطلحات . والمجمع يرجو أن يوفق في ذلك ويحقق فكرة توحيد المصطلحات في البلاد العربية وتعميمها في الدوائر الرسمية وبين المتكلمين في العربية . ويعتقد أنه من الضروري توحيد الجهود بصورة مستمرة ومتزايدة في هذا الباب .

زيارات الأجانب : ولقد قصد المجمع عدد من الزوار الأجانب الذين زاروا العراق ، من بينهم البروفسور « جوكوف » رئيس قسم التاريخ في المجمع العلمي للاتحاد السوفيتي ومعه الشاعر

الطاجكي « طوزون زاده » عضو مجمع « طاجكستان » ، ووزاره الأستاذ « فوسبنس » عضو المجمع المراسل وسفير اسبانية في العراق ، وعدد من الأساتذة الألمان ، والأستاذ السويدي « نيبرك » عضو المجمع المراسل وعضو « الأكادمية » السويدية وهو من المستشرقين المعروفين وناشر كتاب الانتصار في الرد على ابن الراوندي .

وقصده نفر من مختلف الجنسيات لشراء خارطة صورة الأرض للشريف الادريسي التي نشرها المجمع ، وحصلت على شهرة واسعة في الداخل والخارج وطُلبت من أميركة ومن أماكن عديدة من أوربة ، وزينت بها جدران مؤسسات أجنبية رسمية عديدة لجمالها ولطرافتها ولأهميتها التأريخية والثقافية ، وصارت خير دعاية للعراق وللعالم العربي .

مساهمة المجمع في نشر الثقافة بين الشعب : لقد قام المجمع بتلبية طلبات متصرفية لواء بغداد ومتصرفيات أخرى بعدّ مكتبات الادارة المحلية بمطبوعات المجمع ، فزود تسع عشرة مكتبة محلية تابعة لمتصرفية لواء بغداد بها ، كما زود مكتبات الألوية الأخرى بها .

وساهم في تزويد المكتبات الأهلية العامة في مختلف مدن العراق بمطبوعاته كذلك دون ثمن ، كما أهدى مطبوعاته الى بعض الأشخاص الذين لا تساعدهم حالتهم المالية على شراء منشورات المجمع لضآلة دخلهم ، مع حرصهم على المطالعة والتتبع ، وزوّد مكتبات الكليات التابعة للجامعة بمطبوعاته بناء على رجائها . كما زوّد مكتبات جامعات عديدة عربية بمطبوعاته هدية منه اليها ، وزوّد مكتبات شمال افريقية بمطبوعاته مساعدة منه في نشر الثقافة بين الأقطار الشقيقة ، وأهدى مطبوعاته هذه الى مكتبات جامعات عديدة في الشرق والغرب بناء على طلبها ورجائها وبتوصية من الممثليات العراقية في تلك البلاد في بعض الأحيان .

لجنة المجلة : تتألف لجنة المجلة في الوقت الحاضر من الأساتذة السادة : محمد بهجة الأثري ، والدكتور مصطفى جواد والدكتور جواد علي وشيت نعمان . ووظيفتها النظر في البحوث التي يرسلها كتابها الى المجمع لنشرها في مجلته . وتقبل اللجنة ما يرد اليها من الكتّاب سواء أكانوا من

أعضاء المجمع أم من غيرهم إذا كان منسجماً مع خطة المجمع ، غزيراً في مادته . وهي قد تتساهل في نشر ما يرد عليها من مواد مكتوبة بقلم أناس ليسوا أعضاء في المجمع ، تشجيعاً لهم وتنشيطاً لهممهم ، وهي إذ تجيز نشر مثل هـذه المقالات من أجل هذه الغاية ، تنشرها على مسؤولية أصحابها ، فلا تتعرض لها بتصحيح لا في المادة ولا في اللغة والأسلوب .

ومجلة المجمع ليست خاصة بأعضاء المجمع ، لا يكتب فيها غيرهم ، ولا يفسح صدرها لكتابات غيرهم . وما المقالات التي يجدها القارىء في هذا الجزء ، وهي لغير أعضاء المجمع ، إلا برهان على فساد ما قد يذهب اليه بعض الناس .

أجزاء المجلة : مجلة المجمع مثل المجلات المجمعية الأخرى ، لا تتقيد بشهر أو بفصل ، فليست المجامع دور نشر فتتقيد بقيود مواعيد الاصدار ، وقاعدتها في النشر التمسك بالمجلدات . وقد يكون المجلد جزءاً واحداً وقـــد يكون جملة أجزاء . ولهذا لا يتقيد المجمع بتعيين مبلغ خاص بالاشتراك ، بل يتقيد ببيع المجلة على أساس سعر الجزء الصادر الى السوق وهو (٢٠٠) فلس للجزء الواحد مأخوذاً من ادارة المجمع ، مضافاً اليه سعر البريد ، إذا كان مطلوباً في البريد .

جواد علي

تصحيح الغلط المطبعي

في مقالة مؤرخ العراق ابن الفوطي

ص	السطر (س)	الغلط	الصواب
٣٧٢	٢	الجلبل	الجليـل
٣٧٣	٢٢	١٥	٥١
٣٧٥	٢٢	الطبيب	الطبيب
٣٧٦	١٩	سنة ٣٦١	سنة ٣٦٢
٣٨٧	٨	يبيغي	ينبغي
٣٧٩	١٢	عن الذين	عن الذي يقولون
٣٨١	٦	الموصل	الموصلي
٣٨١	١٥	أمير الركب	أمير الركب (٤)
٣٨١	١٩	( ) المختصر	(٣) المختصر
٣٨١	٢١	(٣) وقع	(٤) وقع
٣٨٨	١٠	من ألقاب الصين	من أسماء الصين المجردة
٣٩٦	١٠	مجاهداً لدين الله	مجاهد الدين
٤٠٨	٢	جيد	حيث
٤٠٨	٦	يكبرس	بكبرس
٤٤٥	١٩	خليل ابن الملك	خليل أخو الملك
٦٥٩	٧	والفقيه	والفقيه

ص	السطر «س»	الغلط	الصواب
٤٦٣	٨	التمابير	التدبير
٤٨٣	٥	فقل	فقد
٤٨٧	٤	ثمن عشرة	ثمان عشرة
٤٩١	١٩	ارجع الى قول	راجع قوله
٤٩١	١٩	نقلناه قبلا	ننقله بعدا
٤٩٥	١٥	منهم	من المتصوفة
٥٠٣	١٢	رفيات الرقبات	فوات الوفيات
٥٠٤	١٨	المنهل الشافي	المنهل الصافي
٥٠٥	١٥	أراد بحنقر	أراد أن يحنقر
٥٠٧	١٨	أيدمر دقاق	أيدمر بن دقاق
٥١٣	٦	شيخ عبد الرحمن	الشيخ ...
٥٢٠	١٨	عقيف	عفيف
٥٢٣	١	صاحب	صاحب ديوان المالك والصواب
٥٢٨	٢٠	شهد	مشهد
٥٣٣	١٢	الدعان	الدهان
٥٣٨	١٥	حفظ	خط

بيان من المجمع العلمي العراقي

قرر المجمع تخصيص الف دينار جوائز . قدر كل جائزة مئتا دينار تعطى لمن يقدم احسن مؤلف في الموضوعات الآتية :

١ — تصنيع العراق ووسائله

٢ — تقريب العامية من الفصحى

٣ — اصول الأدب العربي

أو أحسن ترجمة عربية :

١ — الكتاب في المخترعات المبنية على التطبيقات الالكترونية

٢ — الكتاب في النظائر المشعة

وجوّز المجمع ان ينفرد بالتأليف او الترجمة واحد وان يشترك فيه اثنان فاكثر .

واشترط ان يكون الاداء والتعبير بالعربية الصحيحة ، وان يكون المؤلف اوالمترجم من العراقيين . وافسح لتقديم المؤلف او المترجم كتابه الى المجمع مهلة تنتهي بـ ٣١ كانون الاول ١٩٦٠ .

والتزم المجمع ان يقوم بطبع الكتاب الفائز بنفقته ، وان يعطي صاحب الكتاب الفائز ثلث ما يطبع من النسخ تتمة للجائزة النقدية على ألا يقل ما يطبع عن الف نسخة . وقرر اعلان ذلك في الصحف والاذاعة و « التلفزيون » . ولم يجوّز مشاركة اعضاء المجمع العاملين في هذه المسابقة .

رئيس المجمع العلمي العراقي

منير القاضي

« فهرس المجلد السادس »

من مجلة المجمع العلمي العراقي

المقالات

باب الكتب

الصفحة

مطبوعات المجمع العلمي العراقي

مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الأول) .

« « « « (المجلد الثاني) .

« « « « (المجلد الثالث : جزءان) .

« « « « (المجلد الرابع : جزءان) .

« « « « (المجلد الخامس) .

« « « « (المجلد السادس) .

كتاب النغم ليحيى بن علي بن يحيى المنجم — تحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري .

تاريخ العرب قبل الإسلام « الجزء الأول » — نفد .

« « « « « الجزء الثاني » — نفد .

« « « « « الجزء الثالث » .

« « « « « الجزء الرابع » . القسم السياسي

« « « « « الجزء الخامس » . القسم الديني

« « « « « الجزء السادس » . القسم الديني

« « « « « الجزء السابع » . القسم اللغوي

« « « « « الجزء الثامن » القسم الحضاري

للدكتور جواد علي

صورة الأرض للشريف الادريسي _ تحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري والدكتور جواد علي .

موجز الدورة الدموية في الكلية _ للدكتور هاشم الوتري .

المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد _ للحافظ ابن الدبيثي _ انتقاء الامام الذهبي ، الجزء الأول تحقيق الدكتور مصطفى جواد .

بلدان الخلافة الشرقية _ تأليف لسترنج وترجمة الأستاذين : بشير فرنسيس وكوركيس عواد .

خريدة القصر وجريدة أهل العصر ـ لعماد الأصبهاني ـ القسم العراقي ـ الجزء الأول : حققه وضبطه وشرحه وكتب مقدمته الأستاذ محمد بهجة الأثري ، وأعد أصله وشارك في تحقيقه ومعارضته ووضع فهارسه الدكتور جميل سعيد .

منازع الفكر الحديث ـ تأليف سي. م. جود ، ترجمة المرحوم الأستاذ عباس فضلي خماس ومراجعة الدكتور عبد العزيز البسام .

الخطاط البغدادي علي بن هلال (ابن البواب) ـ تأليف الدكتور سهيل أنور ، وترجمة الأستاذين : محمد بهجة الأثري وعزيز سامي .

كتاب الجامع الكبير في صناعة المنثور من الكلام والمنظوم : تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد .

مصطلحات المجمع في هندسة السكك والري والأشغال وفي الصناعة والملاحة والطيران .

مصطلحات المجمع في صناعة النفط .

تكملة اكمال الاكمال ـ تأليف جمال الدين أبي حامد محمد بن علي المحمودي المعروف بابن الصابوني حققه وعلق عليه الدكتور مصطفى جواد .

مؤرخ العراق ابن الفوطي ـ للأستاذ محمد رضا الشبيبي الجزء الأول .

« « « « « « « « الثاني .

مقدمة الرياضيات ـ تأليف وايتهيد ، وترجمة المرحوم الأستاذ محيي الدين يوسف .

المينا الإسلامي في المتحف العراقي ـ للسيد ناصر النقشبندي .

خارطة بغداد قديماً وحديثاً ـ وضع الدكتور أحمد سوسة والدكتور مصطفى جواد والسيد أحمد حامد الصراف .

الرقابة من النسل الرئوي والبي . سي . جي ـ للمرحوم الدكتور شريف عسيران .

دليل خارطة بغداد المفصل ـ للدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد سوسة .

تأريخ علم الفلك في العراق في عهد المغول والتركمان والأتراك ، تأليف الأستاذ عباس العزاوي .

كتب ساعد المجمع على طبعها

الزبدية ـ تأليف السيد صديق الدملوجي .

أنت والوراثة ـ تأليف أمرام شاينفلد ، وترجمة السيد بشير اللوس .

العلوم الطبيعية ـ دراسة عامة للعلوم الفيزيائية والكيميائية والرياضية وأثرها في سير المدنية الحديثة ، للدكتور نوري جعفر .

المدخل الى الفلسفة الحديثة ـ تأليف سي . ام . جود ، وترجمة السيد كريم متي .

الديارات ـ للشابشتي ، تحقيق السيد كوركيس عواد .

الشرفنامه ـ تأليف الأمير البدليسي ، وترجمة السيد جميل بندي الروزبياني .

ديوان الشرر ـ للسيد أحمد الصافي النجفي .

الدستور وحقوق الانسان (جزءان) : للسيد عطا بكري .